

مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

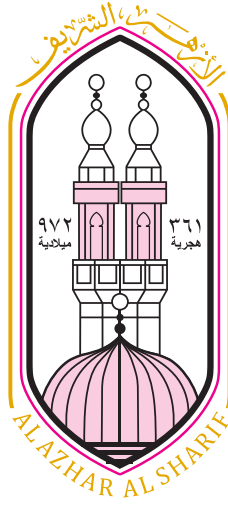
مَجَلَّةُ شَرْيَعَةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْهَارِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٢٨

المجلد الثامن والعشرون

السنة ١٣٧٦ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

ليوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

١٢

٢٠٠٠٦

دوريات

حديث الهجرة

أفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

«أما بعد» : فانه ليذكرنا مطلع هذا العام الجديد ، بحادث الهجرة المباركة ، هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة ، وهى التى مر عليها اليوم ثلاثة عشر قرنا وخمسة وسبعون عاما ، إذ كانت فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة من ميلاد المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام .

هذه الهجرة قد أشار القرآن الكريم اليها وإلى أسبابها ، ونوه بفضلها وبنعمة الله فيها ، إذ أمر الله بها رسوله وأوحى اليه بنحطتها ، وطريقة انفاذها ، ليتم رسالته ربه ، ولينجو للمؤمنين من كيد المشركين الغادرين ، وذلك قوله تعالى : « وإذ يمكركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وكذلك أشار القرآن إلى هذه الهجرة فى آية أخرى من سورة الأنفال ، أرشد الله بها المؤمنين - بعد أن أمدهم بعونه وأيدهم ، ونصرهم فى غزوة بدر على عدوهم - أرشدهم سبحانه وتعالى أن يذكروا بالشكر وعظيم الحمد ، تلك النعمة الكبرى ، التى أنعم بها عليهم ، إذ كانوا قلة فكثرتهم ، وكانوا فى مكة مستضعفين مستذلين ، فأواهم فى المدينة وأعزهم ونصرهم ، كما قال سبحانه وتعالى : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

حقا إن هذه الهجرة كانت خيرا ونصرا ، وكانت بركة عظيمة وفتحا مبينا ، عاد بها المؤمنون جماعة قوية عزيزة ، وأمة فاضلة كريمة ، بل كانوا كما قال الله جل شأنه : « كُتِمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » .

فلقد مكن الله لرسوله بهذه الهجرة ، أن يجمع شمل المسلمين ويقوى وحدتهم بما أجراه عليه الصلاة والسلام من عقد مؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ومؤاخاة يعترفون بها إلى عزة الإسلام ، ويتعزى بها المهاجرون الغرباء ، عن مفارقة الأهل والولد والأقرباء ،

حديث الهجرة

كما مكن للمؤمنين الذين عذبوا وأوذوا في مكة ، ففروا بدينهم إلى الحبشة ، أن يعودوا إلى إخوانهم في المدينة فرحين مستبشرين ، وهذه رحمة الله يدرك بها عباده المحلصين الصابرين .

فتح الله بهذه الهجرة باب الهداية والإيمان ، والدخول في دين الإسلام ، لكل من يريد- طائعا مختارا - أن يعتنق عقيدة التوحيد ، ويخلع عبادة الأوثان ، من أولئك الذين كانوا يخشون بأس أهل مكة وبطشهم بمن يترك دينهم إلى الدين الإسلامي الحنيف . فقد صارت الدعوة الإسلامية والدخول فيها إلى مجال واسع ، يتمتع أهله بالطمأنينة وحرية العقيدة ، والتمكن من إقامة شعائر الدين في أمن ويسر وسلام .

تمكن محمد عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة من تثبيت أركان الإيمان ، ونشر تعاليم الشريعة ، وارساء قواعد الدولة ، فسرى نور الحق في أرجاء الأرض ، وانتصر الرسول بحقه ، على مناويهِ وأعدائه ، أهل الباطل وأهل النفاق ، وعلى سائر أحزاب الشرك والكفر ، من قريش وغير قريش ، حتى استقر أمر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، وتم للرسول وأصحابه فتح مكة ، ودخل الناس في دين الله أفردا وجماعات .

وهكذا تكون عاقبة الصبر والثبات على الحق ، وهكذا يكون الفوز للجهاديين المصابرين ، الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، لا علاء كرامة الله ، وتمكين مبادئ العدالة في الأرض ، ودفع الطغاة البغاة الذين يعتدون على الأمنين في أوطانهم ، ويبغون عليهم في أنفسهم وأهلهم ، ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

وقد نوه القرآن الكريم بمكانة المهاجرين الأولين ، على صبرهم وثباتهم وحسن بلائهم ، ومجمل لهم المنزلة الكريمة بين عباد الله المؤمنين .

كما أشاد بذكر الأنصار الذين آوهم وأكرمهم ، وخططوهم بأنفسهم وأحبوهم وآثروهم ، كما قال الله تعالى : « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب » ، « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

حديث الهجرة

وقال عز وجل : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

* * *

كانت أسباب الهجرة النبوية كلها من جانب المشركين شرورا وآثما ، وطغيانا وظالما ، وكانت تعصبا وجهالات ، وإعناتا شديدا واعتداءات ، افتن في ألوانها أولئك المشركون ، واستمروا طوال ثلاثة عشر عاما يعذبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم والجماعة القليلة من أصحابه ، وهو ثابت صابر ، قوى العزم مصابر ، لا يقابل شرهم إلا بالخير ، ولا يجزى إساءتهم إلا بالإحسان ، يرجو بذلك لهم الصلاح والهداية ، وأن يخلصهم مما هم فيه من جهالة وغواية .

لم يهاجر عليه الصلاة والسلام من مكة لأول ما لقي من تعنت المشركين وبحودهم ، ولم يتبرم لأول وهلة من تعصبهم وعدوانهم وإيذائهم ، فانه عليه الصلاة والسلام قد فضله الله بأن جعله من الرسل أولى العزم ، بل إنه كان أقوى أهل العزم عزما ، وأشدهم جلدا وثباتا وصبرا ، ولذلك مكث تلك السنين الطوال ، يصابر المشركين ويلاينهم ويعالج نفوسهم الجاحدة ويعظهم ، وطالما احتمل أذاهم واقتراءهم ، وسخرتهم وتهكمهم ، يغفر لهم جهالاتهم ، ويعفو عن إساءاتهم ، ويدعو الله لهم ولا يدعو عليهم ، وكان يقول : « اللهم اهد قومي فأنهم لا يعلدون » .

ذهب يوما إلى الطائف - لما اشتد عليه أمر قريش في مكة - يدعو أشراف ثقيف ، إلى دين الله ، وإلى معاونته حتى يبلغ رسالة الله ، فلم يجيبوه إلى الدين ولا إلى النصر ، بل ردوا عليه رد تهكم وجهالة ، وتعصب وحقافة ، يقول له أحدهم : « أما وجد الله أحدا يرسله غيرك » . ويقول له آخر : « والله لا أكلك أبدا : لئن كنت رسول الله لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلك » . ثم أغروا به صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم يقفون له في طريق عودته ، يسبونونه ويصيحون به ، ويرمون بالأحجار في أعقابه ، حتى سالت دماؤه ، وحتى كان يضطر إلى الجنوح إلى جانب من الطريق ، ليقعد من شدة الألم ، ومن العجز عن متابعة السير ، فلا يمكنونه من ذلك ، إسرافا في تعذيبه والتنكيل به ، حتى تعبوا من متابعته ، فتفرقوا من خلقه ، يتضاحكون ويسخرون .

حديث الهجرة

لم يلجئه عليه الصلاة والسلام إلى الذهاب إلى الطائف ، والتعرض لما أصابه من العنت والشدة ، وألم الاستهزاء والسخرية ، إلا بخود قومه قریش وتعنتهم ، وإسرافهم في سفاهتهم وشدة إساءتهم ، ولذلك أرسل الله اليه ملكا يقول له : « إن الله قد بعثنى اليك لتأمرني بأمرك ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين » يريد الجبلين : جبل أبي قبيس والذي يقابله ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده .

إن طغاة المشركين وجبايرتهم ، قد تعبوا هم أنفسهم من قوة احتمال الرسول وثباته ، وكانوا هم الذين تبرموا من جلده وصبره ، وضائق نفوسهم بعفوه وسعة حلمه ، فذبروا أمر قتله ، ليقضوا على دعوته ، فكان اجتماعهم في دار الندوة ، واتفاقهم على الأخذ برأى اللعين أبي جهل ، أن يجمعوا له من مختلف القبائل فتيانا أشداء ، يرصدون بسيفهم في جنح الليل أمام بيته ، ثم ينقضون عليه ، يضربونه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في تلك القبائل ، وبذلك لا يقوى بنو هاشم على القيام للأخذ بثأره .

وهنا كشف الله لرسوله عن تدبير المشركين ومكرهم ، وسوء نيتهم وختلهم ، وأمره أن يهاجر ويترك لهم مكة ، حتى يقضى فيهم قضاء المحتوم .

أما بعد : فإن على المسلمين اليوم أن يتخذوا من حادثة الهجرة أعظم المثل ، وأحسن العبر ، وأن يتعلموا منها ومما لاقاه الرسول فيها ، وفي السنين الطوال قبلها - من العنت والأذى والشدة - كيف يكون الصبر والجلد ، وكيف يكون الثبات والاحتمال ، وكيف يكون الاعتصام بالحق ، والاستمسك بالعقيدة ، والجهاد دفاعا عن حقوق الإنسان ، وحماية للحريات والأوطان .

إن مصر اليوم تتظاهر عليها قوى الطغيان والبغى ، وتهدد كيانها بعض دول الغرب التي يملؤها الغرور والفجور ، ويحدوها التعصب والتعنت المزدول ، والتي تطبق بتصريحها وتصرفاتها ، قصة الذئب والحمل المشهورة في أبشع صورة .

أليس زعماء هذه الدول وقادتها ، يعييون على مصر - التي قررت تأميم القناة - أنها احتفظت واستمسكت بموظفي الشركة المنحلة ، فحفظت لهم حقوقهم ، وأبقتهم في مراكزهم ، يتمتعون بجميع رواتبهم ومخصصاتهم ؟

حديث الهجرة

لأنهم يعيرون على مصر هذا الصنيع الجميل . وكانوا يعيرون عليها بالضرورة ، وكان يشتد صراخهم وعويلهم ، واحتجاجهم وتظاهرهم ، لو أنها استغنت عن أولئك الموظفين ، واستبدلت بهم أهل كفايات من المصريين .

فهل لهذا التعنت مثيل ، إلا ما أوردناه من قصة الطائف ، ورد بعض زعماء ثقيف ، على الرسول محمد بقوله : إن كنت صادقاً في دعوى الرسالة فلا أكلمك ، لأنك أعظم خطراً من أن يكلمك إنسان ، وإن لم تكن صادقاً فلا أكلمك ، لأنه لا ينبغي أن يكلمك إنسان .

تعنت واضح ، وتعصب فاضح ، لم يختلف فيه أهل الزعامة والرياسة والمدنية ، من الغربيين في القرن العشرين ، عن أولئك الغلاظ الجفافة ، من أهل الجاهلية الأميين .

نسأل الله أن يحفظ مصر وأهلها ، من كيد الأعداء الباغين ، وأن يعلى شأن الإسلام والمسلمين ، وأن يقوى وحدة العرب ، ويديم الألفة والمحبة بينهم ، ويجمع على الحق كلمتهم ، ليكون لهم النصر والفوز ، الذي كتبه الله للمجاهدين الصابرين . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

مُذَرَّبُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

بِمَجْلَةٍ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رَبِيعُ الْخَوَرِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الاشتراك السنوي

مبلغ
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الأول - القاهرة في غرة المحرم ١٣٧٦ - ٨ أغسطس ١٩٥٦ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هجرة تتجدد...

كانت الهجرة الأولى هي الحد الفاصل بين طفولة الإنسانية وبلوغها سن الرشد . .
وكانت الحد الفاصل بين التبعد للأساطير والأهواء والأوثان الحجرية والعجول الذهبية
والعظمة الذليلة ، وبين اتخاذ (الحق) ميزانا لأحكام العقل ، ومقياسا للتوجيه الإنساني ،
ودليلا إلى الله : فلا سلطان إلا سلطانه ، ولا جبار إلا هو - آخذ بناصيته .

ونحن اليوم أمام ظروف جديدة يجب أن نستلهم فيها من معاني الهجرة المحمدية ،
والثورة الأولى من الحق على الباطل ، لأننا في مثل الظروف التي كانت فيها تلك الهجرة ،
فالقيود التي كبل الاستعمار الصليبي أيدينا وأرجلنا بها منذ ارتكبنا جريمة الضعف ، ومنذ
سمحنا لدولتنا الإسلامية بأن تستعجم ، قد نهضنا الآن بحول الله وقوته لتحطيمها والتحرر
منها ، وقد فعل ولاه أمرنا في سبيل ذلك أكثر مما كان يخطر في أوهام الناس أو يرونه في
أحلامهم . فالهجرة تتجدد الآن ، وهي ليست هجرة من بلد إلى بلد ، بل هي هجرة من الباطل
إلى الحق ، ومن الأساليب الملتوية إلى صراط الله المستقيم . وليعلم كل مسلم أنه
من هذه الهجرة أمام واجب جديد ، وهو أن يتطهر من الأخلاق التي يمتقتها الله ،
وأن يتخلق بأخلاق أهل الهجرة الأولى من أصحاب رسول الله ، وأن يصلح آخر هذه الأمة
إلا بما صلح به أولها كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس . فإلى الهجرة الجديدة ،
وإلى ما يلائمها من استقامة وجهاد وجهود ، أيها المسامون . . .

المحرم

يحاربون الله !

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .
المائدة - ٣٣

بقية من بقايا عهد الفجور الذي أباده الله ومحق طواغيته وقوض أركانه ، لا تزال - ويا للأسى - منبثة في صحافتنا ، وعلى بعض كراسي التدريس في مدارسنا وكراساتنا ومعاهدنا ، تعمل على تمزيق غشاء العفة والفضيلة في قلوب شبان الوطن وشاباتنا ، بما تتفنن في عرضه على مسامعهم ، ووضعه أمام أنظارهم ، من أحاديث ، وبحوث ، وقصص ، ويوميات ، وأخبار ، وصور ، وأكاذيب تدور كلها حول تهيج الغرائز الجنسية ، أو تهوين أمر الأعراس ، أو دفع أبناء الجيل في طريق التحلل . حتى إذا خيل إليهم أنهم انتصروا في هذه الجبهة ، وأن « العيار قد انفلت » حقا ، تظاهروا بالعويل والبكاء ، وراحوا يتساءلون : لماذا انفلت العيار ؟ ! وهل انفلت إلا بجهودكم وكفاحكم ومختلف أساليبكم لتقويض دعائم العصمة والعفة والمناعة في قلوب ضحاياكم من أبناء هذا الوطن المسكين وبناته ؟ !

وهل يخفى على الله والناس ما رسموا من خطط ، وما بثوا من سموم ، ومارسوا من دسائس ، فيما كتبوه من جد وهزل ، وأدب مغلى أو مكشوف ، وتضليل باسم الثقافة تارة والعلم تارة أخرى ، بل باسم الحضارة المفتري عليها ، ليزحزحوا هذه الأمة عن عقائدها ومقدساتها ، وليقطعوا ما أمر الله به أن يوصل من أرحام القومية بين سلف عزيز كريم ، وبين خلف لا صلاح لآخره إلا بما صالح به أوله .

وقد حسب فريق منهم أن المعركة في هذه الجبهة قد وضعت أوزارها ، فأعلنوها

حرباً في جبهة أخرى ، وهي حرب على الله بجاهرة ووجهها لوجهه ، بلا حياء ولا خوف من أمة أو قانون أو ذى سلطان .

وهذه مجلة تصدر باسم امرأة تقلبت بين المسرح والصحافة ، وبين قناع النصرانية واسم الإسلام ، تفتح صدرها لزنديق لا يستحي أن يقول :

« إن الله فكرة . . إنه فكرة في تطور مستمر . . كما تدل على ذلك قصة الأديان (بزعمه) . »

« الله في العقل الحديث . . معناه الطاقة الخام التي في داخلنا . »

« الله هو الحركة التي كشفها العلم في الذرة ، وفي البروتو بلازم ، وفي الأفلاك .
« هو الحيوية الخالقة في كل شيء ، أو بعبارة القديس توماس : الفعل الخالص الذي ظل يتحول في الميكروب حتى صار إنساناً ، وما زال يتحول إلى ما لا نهاية له [١] . »

« والعلم بهذا المعنى الجديد عبادة . . والفن عبادة . . والفلسفة عبادة . . لأنها إدراك لهذا الإله بوسائل مختلفة . . وإحساس به من زوايا مختلفة . »

« والمعبود بهذا المعنى الجديد برلمان حر ومدرسة عصرية تضم كل الآراء . . وينضوى إليها جميع المختلفين تحت قانون واحد ، هو حب الحقيقة [٢] . »

« هل هناك مسلم أو مسيحي أو يهودي يخالفني في هذه الحقائق الأولية ؟ ! لا أظن ؟ ! [٣] » .

هذا بعض ما يقوله هذا الزنديق ، وهو يزعم - مع ذلك - أن كل مسلم وكل مسيحي وكل يهودي يوافقونه على ما يقول من أن الله في العقل الحديث معناه الطاقة الخام التي في داخلنا . . ولعله - إذا سكت له كل مسلم وكل مسيحي - سيصدق نفسه بأن مصر قد كفرت معه بالله ، ولم يبق فيها لله ولي ولا نصير .

[١] الزنديق كاتب المقال يكذب على توماس الذي يصفه المسيحيون بأنه قديس ، فالقديس توماس لم يسمع

بكلمة الميكروب . والذي يكذب على الله لا يستحي أن يكذب على القديس توما أو توماس .

[٢] مسكنة الحقيقة التي تتلوث بلسان هذا الكاتب وتنقسم بلعاب قلبه .

[٣] ومتى كان ظنك يصيب الواقع ؟ إن الظن لا يغني من الحق شيئاً .

وهو لا يكتفى بهذه الفحة ، بل يقول أيضا في مقاله الذى نشرته له مجلة الكفر والفسوق والعصيان لله :

« إن الأديان تمر بمرحلة انهيار تشبه المرحلة التى مرت بها ديانة الإغريق . وهناك اسمان حلا لواء هذا التطور هما : كوبرنيك ، ودارون . أثبت الأول أن الأرض ذرة تراب بين ملايين الأراضى المبعثرة فى الكون ، وأثبت الثانى أن الإنسان حلقة فى سلسلة مخلوقات يتطور الواحد منها إلى الآخر : من الأميبا ، إلى الذبابة ، إلى الكلب إلى الحمار ، إلى القرد ، إلى الإنسان ، إلى شكسبير . وأثبت أن البقاء للأصلح ، وليس البقاء لمن يدخل الكنيسة ، وأن السماء قد تركت الأرض بمن فيها ينطح كل منهم صاحبه بقرنيه .

« وزاد فى (تحلل) الإنسان من المقدسات القديمة ظهور الإله . . والقوة الهائلة التى وجدها الإنسان فى يديه ، وساقيه ، وعقله . فبدلا من الكاهن الذى كان يدخل الغابة ليمجد الله ويصلى ، أصبح الرجل العصرى يدخل الغابة ليقطع الأشجار ويصنع ورق الصحف . وطالب الكيمياء أصبح يلهو بالعالم الذى ينخل ويتركب تحت بصره كل يوم دون أن يذكر اسم الله . والمدارس التى كانت تنفق عليها الكنيسة لتعلم اللاهوت والشعر ، تحولت إلى معاهد للجبر والرياضيات تنفق عليها منحة روكفلر . إن كل (ما تبقى) من الأديان هى الأيام المقدسة التى تحولت الآن إلى إجازات وأيام راحة ، والأمل الوحيد الباقى للدين أن يقيم معبده فى عالم الحقيقة الذى أنشأه كوبرنيك ودارون وفولتير وسبينسر . والرب الذى لا يحترم عقلا صنعه بيديه يعطينا العذر فى أن لا نعبده »

ومن العجيب أن ينشر هذا الهذيان المتهاوت فى مصر الاسلامية التى أسس دينها أول معبد فى وادى النيل لإقامة الحق وتحطيم الأوهام وإنقاذ العقل من تعاريج الباطل ، ذلك الدين الذى أعلن فى سورة التوبة ٣٣ ، وفى سورة الفتح ٢٨ ، وفى سورة الصف ٩ أنه (دين الحق) ، وأن الله شرعه لإقامة الحق ما كان منه وما سيكون ، وقد أخذ الذين تخلفوا عنه وعاب عليهم أنهم رأوا الحق وخذلوه . فكل حق كان أو سيكون فهو إسلام ، ومن واجب المسلم تأييده من حيث هو حق ، ورأس الحق وأوله وآخره الإيمان بالله مبدع هذا الكون ومودع مافيه من قوى وخصائص لا يعلم منها الإنسان إلا ما علمه الله ، وإن دينا لم يصطدم بالحق ولا مرة واحدة فى أربعة عشر قرنا سيقبى صديق الحق ونصيره

ما بقى العالم ، فالاسلام يرحب بكل حقيقة علمية خالصة من الشوائب الطارئة والأباطيل الملتوية ، ويحمي الحقيقة ويضئ المصابيح من حولها لتنال حقها من الظهور والاستقرار . وعلماء الاسلام قد سبقوا كوبرنيك إلى معرفة أن الأرض ذرة بين ملايين الأجرام المبعثرة في الكون ، والتي تدل بنظامها الدقيق وبدائع صنعها العجيب على أنها من خلق إله عظيم يفضح جهالات الحقى والأغرار ممن حرموا سعادة الايمان به ، وسلبوا جمال معرفته ، وباءوا بخذلان من الله في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وإن من الجهل والكذب على العلامة تشارلس دارون القطع بأن شكسبير كان - في أصوله العريقة في القدم - ذبابة وكلبا وحمارا وقردا ، إن دارون لايقول هذا ، ولا يهتم به إلا من كان علمه كعلم الذبابة والكلب والحمار والقرد ، ونظرية النشوء والتطور في خلق الله من نبات وحيوان نظرية قد تصدق في الأنواع المتقاربة جملة وأحيانا ، وكان دارون أعلم بالنبات والحيوان من أن يجرؤ على إطلاقها هكذا إلا من كان جاهلا بعلم دارون ونظريته التي لاتزال في موازين الأخذ والرد ، ولم تبلغ أن تكون حقيقة علمية بتفاصيلها ، مع مرور عشرات السنين على تقريرها في كتاب أصل الأنواع ، وما برح معارضا لها في تفاصيلها تُخير من علماء الطبيعة إلى يوم الناس هذا . وأى تعارض بين أن يدخل الانسان الغابة ليجد جمال الله ويصلى ، وبين أن يستفيد ناس آخرون من شجر الغابة في وقودهم وأبنيتهم ومرافقهم وفي صنع ورق صحفهم النجسة والظاهرة ؟ ! وكَم من فحول العلماء في الكيمياء يذكرون عظمة الله في دراستهم لدقائق صنعته وجمال خلقه كلما تأملوا في تحليل العناصر وتركيبها ، فازدادوا بذلك إيماننا إلى إيمانهم . وقد عرفنا من نجباء طلبة كلية الطب عشرات كانوا يخرجون من محاضرات الكيمياء التي كان يلقيها عليهم الأستاذ محمد أحمد الغمراوي وهم أشد إيماناً بالله وأنفذ بصيرة في سرائر الله التي أردعها في جمال الطبيعة منذ برأ ملكوت السماوات ، فكانت عدسة المجهر محرابا من محاريب عبادتهم لله وتعظيمه وتبجيله ، إذ يتبينون بها العجى الذى أصيب به قلوب الجاحدين والملحدن ، والنور الذى ملأ الله به قلوب المؤمنين به والمتقين .

وقد يظن القارئ أن كاتب ذلك المقال في مجلة روز اليوسف هو عدو لله وحده ، ونحن نخالف في ذلك ونذهب إلى أنه عدو للانسانية كلها ، لأن الانسانية بقطرتها فيما بين الأزل والأبد مؤمنة بالله ومتدينة . وإن مصر التي يعيش هذا النكرة من خيرها لاشك أنها وطن إسلامي تمتلئ مساجده بالمؤمنين العابدين والركم السجود في كل مدينة

وبلدة وقرية من أقصى الصعيد إلى سيف البحر من آخر الدلتا . إن هؤلاء الملايين هم مصر ، وكلهم متدينون . والذين شذوا عنهم بالكفر والإلحاد من أمثال هذا الكاتب لا يكاد يزيد عددهم على عدد القردة في حديقة الحيوان ، بل هم أقل وأحق ، فن البغي والعدوان على الإنسانية كلها أن يقول هذا الكاتب ، وأن تنشر له مجلة الفسق والفجور قوله :

« هل رأيت الخوف والذهول في عين الكلب وهو يتأمل ورقة طائرة في الهواء ؟ إنه لا يرى الهواء . . وأراهن أنه ينظر إلى الورقة كما ينظر إلى مخلوق حي . . . ويظن أن بها روحها تحركها . . إنه كلب متدين » .

هكذا يمثل هذا الزنديق التدين ، والايمان بالله . فهو عنده وهم ، كالوهم الذي يتوهمه الكلب في الورقة الطائرة أنها مخلوق حي ، ولذلك يقول عن الكلب إنه كلب متدين ، ومعنى ذلك أنه يقذف البشر كلهم ، ولا سيما المؤمنين بالله من مواطنيه فيما بين أقصى الصعيد وآخر الدلتا بأنهم كهذا الكلب المتدين على حد تعبيره .

فهل يستحق هذا المخلوق شرف « المواطن » في موقفه هذا من مواطنيه ؟ !

ودعنا من كونه عدوا لله ، فهل يليق به أن يعيش في وطن ينظر فيه هذه النظرة إلى جميع المواطنين المؤمنين بالله من سكانه ؟ !

كل هؤلاء تشملهم كلمة « القذف » من عدو الله وعدو الإنسانية وعدو مصر كاتب ذلك المقال الذي يقول فيه عن الكلب الناظر بخوف وذهول إلى الورقة الطائرة في الهواء : إنه كلب متدين . ومع كل ذلك يسأل في ختام مقالته : هل هناك مسلم أو مسيحي أو يهودي يخالفه فيما قاله ؟

أجيبوه أيها المسلمون والمسيحيون واليهود ، فإنه يسألكم . وإن لم تجيبوه سيزعم لنفسه أن الاثنين والعشرين مليوناً من المصريين كلهم على دينه في الزندقة والإلحاد ، وأن المساجد كلها فارغة لا يغشاها مصل لله يرى السعادة كل السعادة في طاعته وابتغاء مرضاته .

أجيبوه ليعلم أن الإسلام اليوم أقوى في قلوب أهله مما كان منذ ثلاثمائة سنة إلى الآن ، وأن قوة الإسلام في قلوب أهله هي التي تطارد الاستعمار الآن من بقعة إلى بقعة ، ومن خط حربي إلى خط حربي آخر من ورائه ، وأن الضعف الذي آنسه الاستعمار في إيمان المسلمين بدينهم فأطعمه فيهم قبل ثلاثمائة سنة ، قد استحال الآن قوة وسطوة وأملا ونورا . وبما بثه الإسلام في قلوب أهله من قوة وسطوة وأمل ونور يطارد

المسلمون الآن فلول الاستعمار من مكان إلى مكان، حتى ينتهى ذلك بالنصر المؤزر والظفر الكامل إن شاء الله ، وحينئذ ستخس قرآن الإلحاد والزندقة والفجور في جحورها ، وستكون أيام المسلمين كلها أعيادا ترتفع فيها أصوات أهل الإيمان بكلمة : « الله أكبر وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » ، وأول هذه الأحزاب حزب الإلحاد والتحلل والطمع في أن يزول نور هذا الإسلام من الوجود « والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

وبعد فقد رأينا كثيرين ممن قرأوا مقالة هذا الزنديق يتساءلون: أليس في مصر قانون يتخذ أهلها من شر الصحف التي أسرفت في البغى على العفة والفضيلة ، وفنت ما استطاعت في قلوب أبناء مصر وبناتها ، حتى إذا أيقنت بأن « العيار قد انفلت » أعلنت بعد ذلك الحرب على الله ، وعلى إيمان المسلمين بالله . ومع أن هذه المعركة الجديدة بنت سنتنا هذه ولا تزال في بداية ظهورها فانها بلغت أقصى فجورها ! .

إن وزير الداخلية - شكر الله له - ساهر على الأمن يمنع الناس أن يبغى بعضهم على بعض في أموالهم وأنفسهم ، ولكن أليس لله في مصر قوة رادعة تضرب على أيدي أعدائه الذين يعتدون بالبغى والسطوة وقلة الأدب على المؤمنين به وعلى الإيمان به ؟ .

يظن هؤلاء البغاة أنهم (تحرروا) من كل وازع ، وأنه لم يبق في هذا الوطن سلطان يحى المتدينين والمؤمنين بالله من أن يهاجموا على صفحات هذه المجلات الماجنة بهذه القحة والمجاهرة ، وأنهم يستطيعون - لأول مرة منذ عشرات الآلاف من السنين - أن يقولوا في الله والمؤمنين به ما لم يكن يجرؤ على القول به أحد من قبل في مصر ، كنانة الله في أرضه . فما عدا مما بدا ؟

ما الذى جد في مصر حتى جد فيها هذا اللون من الفجور والبغى بعد أن لم يكن ؟ . أهكذا يكون المواطنون المؤمنون - وهم مصر كلها - معرضين لبغى الملحدين في مصر ، وهم أقل عددا من القردة في حديقة الحيوان ؟

إذا لم يكن في مصر قانون يحى السكثرة الخيرة من القلة الشريرة فسنوا لنا قانونا يحميننا في ديننا وإيماننا ، فقد طفح الكيل ؛ بل طمى السيل ، فأنقذوا البلد وأهله يرحمكم الله ...

نفحات القرآن

مسئولية المرء عن أقواله

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما . »

١ - تناولت هذه الآية جانبا من جوانب الأدب الإنساني ، ولعله الجانب الخطير الواسع الذي تناط به المسؤولية أمام الله وبين الناس : وهو جانب الأقوال التي تجري على اللسان ، فليكن كان للإنسان عقل يزوده على الإصفاق ، وفيه حياء يكفه عن الهذر ، فكثيرا ما يسبق لسانه عقله ، ويغلب طيشه حيائه ، فتهافت ألفاظه في غير تريث ، ويكون خطؤه أكثر من صوابه ، ويغيب عن وعيه أثر ذلك في علاقته بالناس ، وسوء عاقبته فيما وراء دنياه .

٢ - من أجل هذا عني القرآن بتوجيهاته الأليكة إلى تجنب السقطات اللسانية ، وشدد نكيره على المنحرفين في القول بنحو الغيبة ، والتميمة ، والغمز في الناس بما يشبه الغيبة كالإشارات ، والاستفهام الذي يراد منه إثارة المعاييب ، وكشف ما يخدش الناس في سمعتهم ، وكثيرا ما أفصح الرسول عن خطر اللسان حتى عجب البعض ، وسأل عن مبلغ الأثر لما ينطقون به ؟ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ ؟ » ، وكانت مهازل القول وسقطات اللسان ظاهرة اجتماعية من ظواهر الجاهلية ، وأثرا من آثار الجفوة قديما عند من لم تتسع بينهم الثقافة ، ومن أسف أنها اليوم أكثر شيوعا بيننا مع ما بلغته الثقافة من توسع .

وتعليل ذلك أن الثقافة العلمية تعوزها القدرة العملية ، ثم الثقافة والقدوة يعوزهما معا

ألا يفسح الطريق للأسباب الفاسدة المزاحمة للتربية ، والناقضة لأثرها الإيجابي في نفوس الناشئة وغير الناشئة .

٣ — وكان طبيعيا كذلك ألا يكتفى القرآن بالتوجيه إلى تجنب السقطات والتحذير منها ، بل يعالجها فيما يعالجه من شئون الناس ، وأن يعلم الناس ما لم يعلموه ، وأن يرتفع بهم عما يهبطون إليه من الأقاويل ، فزجرهم في غير هذه الآية عن الحمز ، والنيمة ، والغيبة ، والكذب ، ونحو هذا .

ثم علمهم إجمالا في مقامنا هذا أنه لا يجب الجهر بالسوء من القول كيفما كان ذلك السوء : من كل مالا يرتضيه الخلق الكريم ، ولا يستقيم عليه الأمن بين الناس ، أو يمس أى نظام مقبول اصطلاحوا عليه .

وكل مالا يحبه الله يكون عمله جريمة ، وتكون نتيجته حسابا وعذابا : وذلك هو القول الفصل وهذا إجمال قوى في التنبيه وإجمال قوى في التهديد بالعذاب .

وإنما تعلق هذا الزجر بالجهر دون السر ، لأن السر من خفايا النفس وبواطن الخاطر . وواضح أن الخواطر تنساب في خيال الإنسان ، وتدور في أفقه الذهني دون عاولة في جلبها غالبا ، ودون قدرة على دفعها والتخلص منها بتاتا ، ولا تعتبر عملا ظاهرا يدركه الناس فيما يدركونه من شئون المرء ، ولا يكون لها مساس بأحد .

وإزاء ذلك لا يتعلق بها الحكم بأنها خير أو شر ، وتجاوزتها المسؤولية فلا ثواب عليها ولا عقاب ، ووقفت المسؤولية عند الجهر فقط دون السر .

وثبت ذلك فيما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم : من أن الله تجاوز لأئمة عما حدث به أنفسهم ما لم تقل أو تعمل .

٤ — غير أن تجاوز المسؤولية لما تتحدث به النفس لا يمنع من تهذيب الباطن ، والتوجيه إلى الخواطر الكريمة ، فإن الخواطر مثار العزيمة ، وباب العمل : خيرا أو شرا .

فاتجاه الإسلام إلى تهذيب الخواطر الباطنة دون محاسبة عليها يعتبر بناء للخلق ، وتقويما للشخصية ، وتربية للضمير ، حتى لا تكون الخواطر إيجاء شيطانيا يدفع بالمرء نحو المهالك ويوجب إليه المفاسد ، فتصبح خواطره شروا ومآثم على نفسه وعلى المجتمع .

وسيلة هذا النوع من التربية هو إصلاح القلب ، واستمداد هديه وغذائه من جوانب القرآن وروضاته النافعة بنسبات الحياة ، وروح الوجود في دنيا الناجحين .

وإذا تسر لامرئ تذوق القرآن والتماس توجيهاته أمكنه أن يقتصد في خواطره ، وأن يعدل في تفكيره ، وأن يتخير في أحاديثه النفسية ، ويطرح كثيرا مما يساوره من الظنون ، ويقترن بذلك إحساسه ببقطة الضمير ، وشعوره في خلجاته الباطنة بأن مداركه نافذة لاتعثر فيما كانت تتعثر فيه من غشاوات الخطايا .

وبما تجاوزت المسؤولية خواطر النفس - وهذه فسحة كريمة من جانب الله سبحانه - فقد اتسعت هذه الفسحة الكريمة فأناحت للراء جزاء طيبا على خواطره الطيبة إذا تركت .

فإذا ما جالت في فكرته نزعة إلى الخير واعتزم القيام به ثم لم يفعله فهو مأجور على ذلك مع أنه لم يقل ولم يعمل .

وفي ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » فانظر : تجد أن وسيلة التربية في نظر الإسلام بلغت من السمو مبلغا يعتبر غاية اللطف والسخاء ، فهو لا يدخل تحت المسؤولية خواطر السوء ، ويقف بها عند الجهر به فقط ، لأنه عمل .

وهو يدخل في استحقاق الثواب خواطر الخير ، ولا يضيق بالجزء الحسن عليها ، تشجيعا على الخير من أوسع أبوابه ، إذا ما كانت هذه الخواطر مستقرة في نفسه ، ولم تكن مجرد سوانح خيالية .

ونعود فنقول :

هـ - كره الله الجهر بالسوء من القول في كل شأن ، وربما كان في هذا التعميم صد عن شكاية المظلوم لظالمه ، أو زجر عن إيضاح المصائب ، وذكر المساوئ حين يقتضي الأمر ذلك في مقام التربية ومواقف الخصومة ، ولو فهم ذلك وقلنا به لكان كبتا للشكاية في صدر المهيب ، وقد يستفزه الغيظ والبكت إلى الإسراف في ثأره ، وكان فيه كذلك تضيق على المربين في مجال التربية وعلاج النقائص ، وكان فيه ثالثا إغراء للعتدين على الناس

بالتقاضي في عدوانهم إذا أمنوا ذكر عيوبهم وإفشاء مظالمهم ، وكل ذلك ينافي ما قصد من التربية .

ولهذا : استثنى الله تعالى من كراهيته للجهر بالسوء من القول شكاية المظلوم من ظالمه (إلا من ظلم) .

٦ - وفي هذا الاستثناء إباحة للمظلوم أن يجهر بشكواه من الظالم ، ويذكر ما بنفسه من الحق على ظالمه ، وفي هذا الاستثناء أيضا تنبيهه على أن الله تعالى يستجيب للمظلوم دعاءه ويثأر له من ظالمه .

إذ المستثنى من المسكروه محبوب ، والشئ الذي يحبه الله يتقبله ، وهذه قضية مفروغ منها ، وقد تقرر في غير موضع أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

فضلا عن أن الظلم جراءة على الله ، واستهانة بما رسم بين عباده من وجوب العدالة ، وفي مقامنا هذا يقول سبحانه : « وكان الله سميعا عليما » .

وفي التعقيب بذكر السمع والعلم تؤكد لما علم أن الاستثناء من سماع ظلامة المظلوم ومناصرة الله له ، لأنه مستضعف ولاجئ إلى ربه ، وكفى بالله سميعا للشكوى ، عليما بما لا يعلمه غيره ، وقادرا على الأخذ بحق الضعيف من القوى المتجبر . . .

ثم تنتقل بنا الآيات إلى الحث على الخير كيفما كان نوعه : قولاً أو عملاً ، جهراً أو خفية . . . وإلى الحث على العفو عن السوء كذلك « إن تبدوا خيراً أو تحفوه ، أو تعفوا عن سوء ، فإن الله كان عفوا قديرا » .

ومفهوم أن العفو تسامح من القادر على الجزاء ، والتسامح مجلبة للديعة غالباً ، وهو تخلق بصفة الله عز شأنه ، والله يجزى صاحب العفو على عفوهِ ، ويجزى صاحب السوء على سوءهِ .

٧ - وقد يقال : كيف يكون العفو عن السوء محبباً إلى الله بعد أن قلنا إن شكوى المظلوم ولو بسوء القول مرضية مسموعة ؟ .

وجوابنا : أن للعفو مجالاً يتسع له ، وهو فيما تحتمله النفس ، ولا يفحش ضرره ولا يكون في شأن ديني ، فإذا كان الأمر هيناً وفي حق شخص كان العفو طيباً ، وإذا لم يمنح المظلوم إلى العفو في هذا الأمر الهين فشكواه مسموعة ومن حقه أن يجهر بالسوء في حق ظالمه .

فما بالك إذا ضاقت النفس بما ينالها من سوء ، ولم يتهيأ لها العفو عن الظالم ؟ فمن حكمة القرآن أن يدعو إلى العفو إذا استطعناه ورضيناها ولم يكن فيه تشجيع على الإضرار بالغير والمساس بنظام المجتمع .

ومن عدالة الإسلام أن يفتح باب الشكوى أمام المظلوم وأن يفسح له مجال التشفى من ظالمه بما يبدى به ظلامته ، وهنا تنهض الحقوق وتتجلبب الشرور ويستقيم الأمر .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

٨ — ونحن نشهد ما ينتاب الأدب الاجتماعى من تصدع ، وما يشيع بيننا من مخازى القول السيئ جهارا ، وفى كل وسط ، حتى أصبحت مهازل الألفاظ ، والدعوات إلى المحجون بأسوأ الأساليب ديدنا مألوفاً بين السوقة ، وكذلك بين كثير من كتاب يزعمون أنهم دعاة لإصلاح اجتماعى !

وما كان ذلك التبيجح إلا نتيجة طبيعية للتساح مع هؤلاء الهازلين ، والمأجنين ، والمتجورين بالأقلام ، والأمر بحاجة إلى علاج حاسم إذا قصدنا الإصلاح وبناء المجتمع الصالح ، أما أن تكون الحرية مجالاً للافشاش ، وللبجهر بسوء القول فشىء من ذلك لا يحبه الله ، ولا يمكن أن يأتى بخير ما

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

الحياة من الله

قال علقمه بن علاثة للنبي صلى الله عليه وسلم :

— يا رسول الله ، عظمى

فقال له المرشد الأعظم صلى الله عليه وسلم : « استحي من الله استحياءك من

ذوى الهيبة من قومك » .

السنة

عيد الجلاء الأول (*)

— ١ —

شر الناس مكانا - أحسد الناس للناس - من فتن
اليهود - شأنهم مع المحسن إليهم - كتب الله عليهم
الجلاء منجما - جلاؤهم في العهد النبوي .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن في المسجد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود . نفرجنا حتى جئنا بيت المدراس ، فقال : أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

المدراس : صيغة مبالغة من الدرس ، أو اسم مكان منه ، والمعنى أنهم جاءوا بيت الخبر العالم الذى يدرس لهم كتابهم ، وهو التوراة ؛ أو جاءوا البيت الذى يقصده اليهود للدراسة والتعليم ، من إضافة العام إلى الخاص ، مثل : مسجد الجامع ، كما يقول النحاة . وفى بعض روايات الحديث : « حتى جئنا المدراس » وهى ترجح المعنى الثانى .

وباء « بماله » للبدل والمقابلة ، أى إنكم مكرهون على الجلاء بحق ، ولا مناص منه ، فمن وجد منكم بدل ماله شيئا ولا سيما إذا لم يستطع نقله فليبعه .

* * *

شر الناس مكانا ، وأبعدهم فتنة وطغيانا ، وأشدّهم عداوة للناس كافة ، وللذين منوا منهم خاصة ، هم اليهود ! .

وإذا كان في مكتنة عدو واحد أن ينقض جبل أمة بأسرها ! ليفسد عليها أمرها !
ويوقد نار العداوة والبغضاء بينها - فكيف بأحزاب تحزبت ، وطوائف تجمعت ، وكلهم
- مجتمعين ومفترقين - أعدى الأعداء وأشقى الأشقياء وأحسد الناس للناس على ما آتاهم الله
من فضله ؟ !!

هذه حقائق جلاها كتاب لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبينها رسول
يعرفه اليهود أنفسهم كما يعرفون أبناءهم أو أشد ، ولذلك كانوا يستنصرون به ويستفتون
على الذين كفروا « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ...

ثم آمن الناس جميعا بهذه الحقائق ، شعوبا ودولا ، فأخذوا يقتلونهم تقتيلا ، ويشردونهم
في الأرض تشريدا ، ويسومونهم سوء العذاب ، لما رأوا رأي العين من صدق الله ورسوله
فيهم . . . وإذا كانت الشواهد على إفسادهم في الأرض في كل زمان أكثر من أن تعد ،
حسبنا أن نشير إشارة عاجلة لما صنعه واحد منهم بغيا وحسدا !!

كان شاس بن قيس اليهودي شيخا من شيوخ الكفر والطعن على المسلمين ، فمر بنفر
من الأوس والخزرج وهم في مجلسهم يتحدثون ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات
بينهم في الإسلام بعد أن كان من أمر عداوتهم ما كان ، فقال والله مالنا معهم إذا اجتمعوا
من قرار ! فأمر شوبا من اليهود كان معه أن يعمد إليهم فيجاس معهم ويذكرهم يوم بعث ،
وكان يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل الشاب ما أمر
به ، فثار القوم وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين وتقاولا . . . وغضب الفريقان
جميعا وتنادوا : السلاح السلاح !! حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فيمن
معه من أصحابه المهاجرين فقال : يا معشر المسلمين : الله الله . أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم
بعد إذ هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به . . . فعرفوا أنها نزغة من الشيطان ، وكيد
من إخوانه فألقوا السلاح . . . وأنزل الله تعالى فيما أنزل « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا
من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » ...

* * *

لولا يسئ اليهود إلى قوم يساكنونهم أو ينزلون بأرضهم - وهذا فرض محال - لكان
للقوم العذر في إجلالهم وتطهير البلاد منهم ؛ لأنهم طبعوا على اللؤم والغدر والكيدهم والأذى ،
ما وجدوا إلى كل أولئك سبيلا . . . فكيف بمن يحسن إليهم ويكفرون إحسانه ، ويمضى
عهودهم وينكثون عهده ، ويدفع الضر عنهم ويتربصون به الدوائر ؟ !!
هكذا كان شأنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أذن هاجر من مكة إلى المدينة ،

حتى أجلاهم ما شاء الله أن يجليهم... ثم أوصى في مرض موته باخراج المشركين من خزيرة العرب ، وألا يبقين دينان فيها ... وسيأتى إن شاء الله بعض تفصيله .

* * *

وإذا كان الله جلت حكمته قد كتب على اليهود الجلاء منجما فإن أول ما كان منه في العهد النبوى ، جلاء يهود المدينة ، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم وكتب بينهم كتاب أمن وأقرهم على دينهم وأموالهم ، على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوا ، ولكن معدن اللؤم لا يستقر حتى ينقض !

أخذوا ينقضون العهد تباعا ، فلم يكن بد من غزوهم ثم إجلائهم تباعا كذلك .. وكانت غزوة كل طائفة منهم وجلاؤه عقب غزوة من الغزوات السكار : بدر ، وأحد ، والخندق .

فأما بنو قينقاع فقد غصوا بانتصار النبي صلى الله عليه وسلم في بدر ، وأظهروا ما كانوا يكون من الغيظ والحسد له وهددوه وأصحابه بأنهم هم الناس في الحرب ، وكانوا أشجع يهود .. فتوجهت إليهم جنود الله يقودهم عبد الله ورسوله على رأس عشرين شهرا من مهاجره ، وحاصروهم في حصونهم أشد الحصار وأعظمه ، وقذف الله في قلوبهم الرعب حتى ذلوا ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلوهم من المدينة ولهم النساء والذرية وللسلمين أموالهم .

فجلوا إلى أذرعات من بلاد الشام ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا .

* * *

وفي شهر ربيع الأول من السنة الرابعة لحق بنو النضير باخوانهم في نقض العهد والجلاء ، وكانوا أئتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فأنذرهم .. وأجلهم عشرا ليخرجوا من المدينة ولا يسكنوه بها .. فتحصنوا : « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » وامتن الله على المؤمنين بأنه هو الذى أخرجهم من ديارهم لأول الحشر [١٠] .

[١٠] في العهد النبوى ، وثانى الحشر في العهد العمرى ، أو الأول في الدنيا والثانى وهو الحشر الأكبر في الآخرة .. هذا وكان ابن عباس رضى الله عنهما يسمي سورة الحشر سورة بنى النضير لأنها كلها نزلت فيهم ...

وقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم ويكف عن دمائهم .. فأجلاهم بنفوسهم وذرائعهم ، على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح .. وقد جلا معظمهم إلى خيبر ، وجلا بعضهم إلى الشام ..

* * *

ثم لحق بنو قريظة باخوانهم في نقض العهد من قبل ، وكانوا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظهم كفرا ، وأقذعهم سبا وخشا ..

فما إن رجع صلى الله عليه وسلم من غزاة الخندق في أواخر سنة خمس وهم أن يخلع لباس الحرب حتى جاءه جبريل فقال وضعت السلاح ، فان الملائكة لم تضع أسلحتها بعد ، فانهض بمن معك إلى بنى قريظة ، فاني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب ..

ولم يكن من بنى قريظة إلا أن تحصنوا بحصونهم التي لم تغن عنهم من الله شيئا ... فهزمهم الله شر هزيمة بعد أن نازل حصونهم جند الله خمسا وعشرين ليلة حاصروهم فيها حصارا لم يعرفه تاريخهم من قبل .. حتى إذا رأوا أنه لا مناص من هلاكهم جوعا طلبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال والذراري ، فأبى .. ولما شفع فيهم رجال من الأوس قال لهم صلوات الله عليه وسلامه : ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ فقالوا نعم ... ثم حكم سعد رضى الله عنه - وكان جريحا بسهم أصابه في غزوة الخندق - بأن تقتل الرجال وتسبي النساء والذرية ، فقال صلوات الله عليه : لقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد .. وهكذا طهر الله أرض نبيه من قوم لن يفيد فيهم ميثاق ولا عهد ...

* * *

أجلى الله هذه الطوائف الغادرة الفاجرة ، من أرض نبيه الطاهرة المطهرة ، فمن هم هؤلاء اليهود الذين خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه ، ومنهم راوى الحديث أبو هريرة رضى الله عنه ؟

ضاق المجال عن إجابة هذا السؤال ، فوعدنا الجزء التالى بمشيئة الله عز وجل ما

طه محمد العاكت

سيد الأوس

كان سيدا جديرا بالسؤدد ، حقيقيا بالمجد . كان سيدا عمرى النزعة ، مثله في الأنصار مثل عمر بن الخطاب في المهاجرين ، أعز الله به الإسلام بمقدار ما بقي للإسلام ، وكان هو وأخوه سيد الخزرج كما قال القائل :

فان يسلم السعدان يصبح مجد بمكة لا يخشى خلاف مخالف (١)
وكان ذلك بمقدار ما منحهما الله سبحانه من عزة ، وما أمدهما به من أنصار وعشيرة ، على أن لله جنودا منها ملائكة الرحمن ، كما كان منها السعدان ، إلا أن ذلك قول له دلالة على ما كان لسعد وسعد من مكانة في النفوس ؛ ومجد تالد موروث .

ولقد أكرم الله (سعد بن معاذ) بالإسلام ، وأكرم الإسلام بسعد بن معاذ ، فكان من أكبر الأدلة على أن هذا الدين إذا عرفته النفوس السكرية الصالحة فما أسرع أن يحولها سماوية ربانية تتمثل فيها العظامم ، وتتجلى فيها العزائم ، وتطير إلى مجد لا يحدهم محدود ، وتخرق كل حجاب يحاول أن يحول ، لا تريد إلا مرضاة هذا الخالق المحسن ، ولا تبتغي إلا ما يحب شاء الناس أم أبوا ، رضوا أم كرهوا . وسترى في ذلك النموذج من سيرة هذه النفس الملهمة العظيمة ما يدل على ما يصنع الإسلام بالنفوس الخصبية وما تفعل النفوس الخصبية للإسلام .

* * *

تبتدئ قصة السيد (سعد بن معاذ) بحديث له مع مصعب بن عمير عريف المسلمين الأولين في يثرب ، الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أسلم من أهل المدينة في بيعة العقبة يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويؤمهم في الصلاة .

مضى سعد بن معاذ في سبيله يوما ، فاذا مصعب يجلس مع ابن خالته (أسعد بن زرارة) وهما يعلمان الناس الإسلام ، فاستدعى أسيد بن حضير ، وكان من سادة الأوس فقال له : ويحك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا لئسفها ضعفاءنا ،

(١) السعدان : سعد بن معاذ سيد الأوس وهو هذا ، وسعد بن عباد سيد الخزرج . وتقدم الحديث عنه في ص ٧٤٦ من المجلد السادس والعشرين .

فازجرهما ، وانتهما أن يأتيا دارنا ، فلولا أن أسعد بن زرارة منى ما قد علمت (ابن خالتي) لكفيتك .

وتناول أسيد حربته وانطلق إلى أسعد ومصعب ثم صاح بهما : ما جاء بكما إلينا ؟ أتسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كانت لكما في نفسيكما حاجة .

قال مصعب وهو مترن هادئ : أوتجلس فتسمع ؟ فان رضيت أمرا قبلته ، وإن كرهته فكف عنه .

وعند ذلك ركز أسيد حربته وجلس يسمع ، وبعد برهة خالطت فيها بشاشة الإسلام وأدبه قلبه ، فترعرع وحى عن بينة واهتدى إلى الحسنى - لم يشعر إلا وهو يهتف بهم : ويحكم ، كيف تدخلون هذا الدين العجيب ؟ . . ثم اغتسل وتطهر وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

واستطال سيد الأوس مدته فذهب بنفسه نائرا حنقا ، وكذلك العصبية الجاهلية قبل أن يهجم عليها نور الحق وتخالطها سكينه الإيمان الصحيح ، فأخذ يرمى القوم بقوارضه ، ويلهمهم بكلمه ، ويتهددهم بوعيدة ، ولكن مصعبا العريف المعلم المذهب احتال له كما احتال لصاحبه من قبل ، سنة الإسلام في تعليمه وتهذيبه « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » ، وأصغى السيد ابن معاذ إلى السيد مصعب ، فسرعان ما كان تأثره بآيات الله والحكمة ، واستفادته لذلك الهدى والرشاد ، ثم يرجع إلى قومه والجماسة تهزه ، والتعصب للحق ينطقه : يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ . . . سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمتنا نقيية - قال سعد - فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . ثم يسلم القوم جميعا فيعز الله بهم الإسلام ، ويعزهم به ، وكانت أولى بركات سعد على قومه وعلى المسلمين . ثم دخل الإسلام دور الأنصار كلها ، وأصبحت الخزرج تدين لسعد بن معاذ أيضا كما دانت له الأوس من قبل .

وكان سعد يعرف بأصالة رأى وسداد القول ، ثم تجلى فضل سعد في نصره الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتأييده ، ومشاطرته إياه في كل عارض ينزل بالمسلمين ، لا يألوه نصحا ولا يسلمه لشيء ، ويقيه الردى ، ويدفع عنه كل كيد واعتداء ، ويحشد له كل قوة من رجال وعتاد ، حتى صار النبي صلى الله عليه وسلم يعتد بالأنصار ويعتز بهم ويثني عليهم

ويدعو لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ، وكذلك العناية الربانية إذا منحها المنعم ، والعروة الوثقى إذا وهبها الله بعض عباده المكرمين :

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فانهم سعداء

شهد كل الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في مدة حياته ، وكان مجليا في كلها مضجيا بأعز ما عنده .

وأولى الغزوات وأحفلها بنصر الله وتأييده والتي سماها الله سبحانه في كتابه الفرقان في قوله : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » هذه غزوة بدر ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفق يومها من ألم الأنصار في الاستهداف للعظام ، وما تتطلبه الحروب من تضحيات كرائم ، وكان رقيقا رقيقا ، فكان يعرض الأمر في شأنها على أصحابه ليرى رأى الأنصار فيها ، فقال كبار المهاجرين فأحسنوا ، وظهر استعدادهم المنشود المنتظر . ثم نظر السيد سعد بن معاذ إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة الرضا والحفاوة وهو يقول : والله لـسكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به الحق ، وأعطيناك موثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت ، فتجن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك فينا ما نقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

وهذا موقف أحسن به السيد سعد إلى الأنصار والمهاجرين جميعا ، وأشاع في نفوسهم روح الحماسة والتقدم ، وطمانتهم على الحب المتبادل الذي هو كفيل أن يغمرهم بالعون السماوى ، والمجد المتطاوّل الربانى .

لقد أحسن سعد في هذا الموقف الحاسم بما ثبت الله به قلوب المؤمنين وربط عليها ، ولقد أنزل الله جنده من السماء وهزم جند الأعداء .

وكان سعد حريصا كل الحرص أن يفي بالعهد ، فينضم مع أبى بكر ومعها خيرة الأنصار والمهاجرين لحراسة السيد الرسول صلى الله عليه وسلم وتنظيم الدفاع عن ذاته الكريمة ، يقومون في ذلك بأخطر مهمة في المعركة باستبسال يعز نظيره .

وفي الخندق كان سعد كدأ به المضحى الأمين الوفي والمجاهد الصادق المجلى . لقد اعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخيه سعد الخرج معه وعلى عبد الله بن رواحة معهما ، فبعث بهم إلى يهود بنى قريظة ليؤافوه بأخبارهم ، وكانوا قد عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه ، فلما انقض الأحراب على المسلمين بالمدينة انضموا إليهم ونقضوا عهد المسلمين . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر المخلصين ليؤافوه بخبر بنى قريظة ، وقال لهم فيما قال : إن كان حقا ما بلغنا عن هؤلاء فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاء الناس . فعادوا وحنوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنقضهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معاشر المسلمين !

ثم اشتد خوف المسلمين من انضمام بنى قريظة إلى قريش وحلفائها ، وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يفارض غطفان فى قبول ثلث غلة المدينة على أن يكفوا عن الحصار ، فعل ذلك إشفاقا على المسلمين ، وتخفيفا عليهم ، حتى لا يصابوا من قبل الإسلام ، وحتى يأتى الله سبحانه بفتح قريب . ولما علم السعدان بذلك سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذلك شيء أم الله به لا بد من تنفيذه ؟ أم هو شيء يحبه النبي صلى الله عليه وسلم فيصنعه من نفسه ؟ فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم : بل هو شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنعه إلا لأنى قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ، فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! والله ما لنا بهذا حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . وتناول سعد الصحيفة التى كانت قد كتبت بذلك فمحا ما بها .

ثم جال سعد جولات تذكر وهو يدفع المشركين ، حين يحاولون اقتحام الخندق إلى المسلمين ، فلم يلبث أن رماه عاصم بن عمرو بن قتادة بن العرقعة وقال : خذها وأنا ابن العرقعة . قال سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فانه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله شهادة لى ، ولا تمننى حتى تقر عيني فى بنى قريظة .

وقد نصر الله المسلمين على الأحزاب ، فأرسل عليهم ريحا وجنودا لم يروها ، وكان الله بما يعملون بصيرا . ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا .

ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظهرا ، فأمر بلالا أن يؤذن في الناس : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة . وتلاحق المسلمون ، وأخذ على الراية وهى لم تطو بعد ، وخار جيش بني قريظة لما رأوا جيش المسلمين ، وأيقنوا بالهلاك إن مضى محمد صلى الله عليه وسلم في خطته ؛ فتابوا إليه نفاقا منهم ، وسألوه أن يعفو عنهم . فأبى ذلك حسما لمادة الغدر والخيانة ، وحاصرهم خمسة وعشرين يوما حتى استجاروا بحلفائهم من الأوس ليشفعوا لهم . وتدفعت الأوس على السيد الرسول صلى الله عليه وسلم يسألونه في أمرهم ، فقال لهم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ وكان ذلك مظهرا عجيبا من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في جمع القلوب حوله مع المحافظة على صالح الدولة العام .

حكم إذا صلوات الله عليه سعد بن معاذ الجريح الذى سأل الله سبحانه ألا يميته حتى يقر عينه في بني قريظة . وبمذا حكم سعد بن معاذ ؟ لقد حكم بحكم الله من فوق سبع أرقعة [١] . أحضر وهو جريح فحكم بأن تقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يضرب لسعد فسطاط في المسجد ليكون على مقربة منه ؛ وكان يزوره كل يوم ومعه أبو بكر وعمر ومن استطاع من المسلمين ، وبعد أن استجاب الله دعوته فأقر عينه في بني قريظة انفجر جرحه وسال دمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يندبه : واكسر ظهراه ! وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : مه . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون . وأقر الله عين سعد بالشهادة ، ففاضت روحه ، وانحدرت دموع النبي صلى الله عليه وسلم على لحيته حزنا على سعد . وقيل اهتز عرش الرحمن لموت سعد .

وما اهتز عرش الله من أجل هالك سمعنا به ، إلا لسعد أبي عمرو

رحمه الله سعدا ، وجعل منه في نفوس المسلمين عبرة تنفخ فيهم روح الشجاعة والإيمان

والتضحية . آمين ما

محمود النواوى

مَحْثُ

في مصادر الشريعة النظرية

— ٣ —

أدلة المنكرين لحجية القياس :

استدل المنكرون لحجية القياس بأدلة كثيرة من المنقول والمعقول [١] ، وأظهر هذه الأدلة ما يأتي :

أولاً : ما جاء في الكتاب الكريم من النهي عن اتباع الظن ، وأنه لا يغني عن الحق شيئاً ، كقوله سبحانه : « ولا تقف ما ليس لك به علم » وقوله جل ثناؤه : « وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً » والقياس ظن من الظنون لأن مبناه على الظن بأن العلة التي لأجلها شرع الحكم في المنصوص هي كذا ، فيكون منهيها عن اتباعه والعمل به ، والمنهي عنه لا يكون حجة في استنباط الأحكام [٢] .

والجواب عن ذلك : أن الظن الذي نهى الله عن اتباعه هو الظن في الأحكام المتعلقة بالعقائد ، لأنه لا بد فيها من القطع واليقين ، أما الأحكام العملية فإن الظن فيها كاف باتفاق العلماء ، ولهذا صح إثباتها بأخبار الآحاد وظاهر الكتاب والسنة ، والعمل بشهادة الرجلين وشهادة الرجل والمرأتين وهي لا تفيد إلا الظن .

وثانياً : ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب ، وبرهة بالسنة ، وبرهة بالقياس ، فإذا فعلوا ذلك فقد ضلوا وأضلوا » . وقالوا في وجه الاستدلال بهذا الحديث : إن المقصود منه أن الأمة تعمل مرة بالكتاب ، ومرة بالسنة إذا لم يوجد كتاب ، ومرة بالقياس إذا لم يوجد كتاب ولا سنة ، فإذا

[١] راجع المستقصى للفرزالي ج ٢ ص ٢٥٦ ، وما بعدهما ، وأصول السرخسي ج ٢ ص

١٢٠ ، ١١٩ .

[٢] شرح الاسنوى على النهاج ج ٢ ص ٢٣٢ ، المستقصى للفرزالي ج ٢ ص ٢٥٨ ، وأصول

السرخسي ج ٢ ص ١٢٩ .

حصل منهم العمل بالقياس فقد ضلوا في أنفسهم وأضلوا غيرهم باتباعه لهم ، ولو كان القياس حجة شرعية لما كان العمل به ضلالا للنفس وإضللا للغير [١] .

والجواب عن هذا : أولا أن هذا الحديث لا تقوم بمثله الحجة ، لأن في بعض رواته من لا يعتد به . قال ابن السبكي في معراج الوصول [٢] : هذا الحديث لا تقوم بمثله حجة لأن راويه جبارة بن المفلس ، وهو ضعيف . وثانيا أن هذا الحديث على فرض أنه حجة فليس معناه ما قالوا ، بل معناه أن هذه الأمة تعمل زمنا بالكتاب وحده ، وزمنا بالسنة وحدها ولو مع وجود الكتاب من غير نسخ ولا تخصيص ؛ وزمنا بالقياس وحده ولو مع وجود الكتاب والسنة تبعاً للأغراض والأهواء ، وهذا خروج عن الدين ولا يقول به مسلم .

وثالثا أن هذا الحديث - على تسليم صحته وأن المراد منه ما قالوا - معارض بحديث معاذ بن جبل وغيره من الأحاديث الدالة على أن القياس حجة فيجب التوفيق بينه وبينها ، وذلك بأن يحمل هذا الحديث على القياس الفاسد ، ويحمل حديث معاذ وغيره على القياس الصحيح ، فيكون الحديث المذكور بعيدا عن محل الخلاف ، لأن الخلاف إنما هو في العمل بالقياس الصحيح ، أما القياس الفاسد فلا يصح العمل به من غير خلاف .

واستدلوا ثالثا : بأن أكابر الصحابة قد ذموا الرأي ، وأنكروا العمل به ، والمراد به في كلامهم القياس ، ولم يعارضهم أحد في ذلك فكان إجماعا منهم على أن القياس ليس حجة شرعية ، وهذا كثير مشهور عنهم ، فمن ذلك ما يأتي :

١ - ما روى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه حينما سئل عن معنى الكلاله قال : أى سماء تظانى ، وأى أرض تقلنى ؟ إذا قلت فى كتاب الله تعالى برأى ، يعنى القياس [٣] .

٢ - ما روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم

[١] المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٣ .

[٢] هذا الكتاب شرح لمنهاج الأصول للبيضاوى وهو مخطوط بمكتبة الأزهر .

[٣] المستقصى للفرالى ج ٢ ص ٢٤٧ ، وشرح للمنهاج للاستوى ج ٤ ص ١٨ ، ومسلم الشبوت

أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا ، والرأى في كلامه هو القياس اتفاقاً [١] .

٣ — ما روى عن عمر أيضاً أنه قال : « إياكم والمكايلة قبل وما المكايلة ؟ قال : المقايسة » [٢] .

٤ — وما روى عن علي بن أبي طالب أنه قال : « لو كان الدين بالرأى لكان باطن الخلف أولى بالمسح من ظاهره » [٣] .

٥ — ما نقل عن عبد الله بن عباس أنه قال : « يذهب قراؤكم وصلحاؤكم ، ويتخذ الناس رؤساء جهالاً يقيسون الأمور بالرأى » [٤] .

٦ — ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « إذا قلتم في دينكم بالقياس أحللتهم كثيراً مما حرمه الله ، وحرمت كثيراً مما أحله الله » [٥] . . . إلى غير ذلك مما نقل عن الصحابة من ذم الرأى وإنكار العمل به [٦] .

والجواب عن ذلك : أن هذه الروايات تخالف المشهور عن هؤلاء الصحابة من القول بالرأى ، والعمل به ، فأبو بكر - كما نقلناه عنه سابقاً - قال في الكلاله : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فن الله ، وإن يكن خطأ ففنى ومن الشيطان . وأما عمر فالقول بالرأى وأمره لأبي موسى الأشعري بالعمل به أشهر من الشمس ، وكذلك علي بن أبي طالب كان القول بالرأى مشهوراً عنه ، فقد روى عنه أنه قال : « اجتمع رأى ورأى عمر على حرمة بيع أمهات الأولاد ، ثم رأيت أن أرقهن . وقد اشتهر القول بالرأى عن عبد الله بن مسعود ، فقد روى عنه أنه قال في المفوضة : اجتهد رأى ، فإن يك صواباً فن الله ، وإن يك خطأ ففنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان . وغير ذلك كثير ، وهو يدلنا على أن ما نقل عنهم من ذم الرأى ومنع العمل به غير صحيح ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه

[١] المستصفى للفرالى ج ٢ ص ٢٤٧ .

[٢] شرح المنهاج للاستوى ج ٤ ص ١٨ وأعلام الموفين ج ١ ص ٣٠٩ .

[٣] مسلم الثبوت ج ٢ ص ٣١٥ .

[٤] ، [٥] مسلم الثبوت ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

[٦] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، أعلام الموفين ج ١ ص ٣٠٦ وما بعدها .

الروايات - على فرض صحتها عنهم - معارضة باجماعهم المتقدم على العمل بالقياس ، وإذا لابد من التوفيق بينهما جمعا بين الدليلين المتعارضين في اظاهر ، وطريق التوفيق بينهما أن نحمل ما مدحوه وعملوا به على القياس الصحيح المستجمع لشروط الصحة ، الصادر ممن هو أهل للنظر والاستدلال ، ونحمل ما أنكروه على القياس الفاسد الذى لم تتوافر فيه شروط الصحة والاعتبار ، كالقياس المخالف للنص أو الصادر عن ليس أهلا للنظر والاستدلال أو الصادر عن هوى النفس والمقصود به مصالح خاصة ، وما أشبه ذلك [١] .

قال الغزالي في المستصفى - بعد أن أورد ما ساقه المنكرون للقياس عن بعض الصحابة من ذم رأى والعمل بالقياس - : « والجواب من أوجه » :

الأول : أننا بنا بالقواطع من جميع الصحابة الاجتهاد والقول بالرأى والسكوت عن القائلين به ، وثبت ذلك بالتواتر في وقائع مشهورة ، كبراث الجدة والإخوة ، وتعيين الإمام بالبيعة ، وجمع المصحف ، والعهد إلى عمر بالخلافة ، وما لم يتواتر كذلك فقد صح من آحاد الوقائع روايات صحيحة لا ينكرها أحد من الأمة ما أورث علما ضروريا بقولهم بالرأى ، وعرف ذلك ضرورة ، كما عرف سقاء حاتم وشجاعة على ، بغاوز الأمر حدا لا يمكن التشكك في حكمهم بالاجتهاد ، وما نقلوه بخلافه فأكثرها مقاطيع ، ومروية عن غير ثبت ، وهى بعينها معارضة برواية صحيحة عن صاحبها بنقيضه ، فكيف يترك المعلوم ضرورة بما ليس مثله ، ولو تساوت في الصحة لوجب اطراح جميعها ، والرجوع إلى ما تواتر من مشاورة الصحابة واجتهادهم .

الثانى : أنه لو صحت هذه الروايات وتواترت أيضا ، لوجب الجمع بينها وبين المشهور من اجتهادهم ، فيحمل ما أنكروه على الرأى المخالف للنص أو الرأى الصادر عن الجهل الذى يصدر ممن ليس أهلا للاجتهاد ، أو وضع الرأى في غير محله ، والرأى الفاسد الذى لا يشهد له أصل ، ويرجع إلى محض الاستحسان ، ووضع الشرع ابتداء من غير نسج على متوال سابق ، وفي ألفاظ روايتهم ما يدل عليه إذ قال : « اتخذ الناس رؤساء جهالا » وقال : لو قالوا بالرأى لحرموا الحلال ، وأحلوا الحرام [٢] .

[١] راجع أصول السرخسى ج ٢ ص ٢٣٣ .

[٢] المستصفى ج ٢ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

رابعاً : أن القياس يؤدي إلى الاختلاف والتنازع بين الأمة ، لأن مبناه على مقدمات ظنية كثبوت الحكم في الأصل ، وأن العلة فيه هي وصف كذا ، وأن هذا الوصف متحقق في الفرع ، والمقدمات الظنية مثار لاختلاف الأفهام والأنظار ، والاختلاف والتنازع لا تقره ، ولا ترتضيه ، قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » [١] أى قوتكم ودولتكم ، وقال عز من قائل : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » [٢] .

والجواب عن هذا : بأن الاختلاف والتنازع الذى تنهى عنه الشريعة ولا ترتضيه هو الاختلاف في العقائد وأصول الدين أو في شأن من شؤون الحرب وسياسة الدولة ، لا ما كان في الأحكام الشرعية العملية ، كما يرشد إلى ذلك التشبيه في قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » فان المشبه بهم إنما اختلفوا في العقائد والديانات ، وقوله جل ثناؤه في الآية الثانية : « فتفشلوا وتذهب ريحكم » فان التنازع الذى يوجب الفشل وذهاب القوة والدولة هو التنازع في العقائد والشؤون الحربية ، لا في الأحكام العملية والفروع الفقهية ، والاختلاف الناشئ عن العمل بالقياس ليس اختلافاً في العقيدة أو في شأن من شؤون الدولة وسياستها ، وإنما هو اختلاف في أحكام جزئية فرعية لا يؤدي الاختلاف فيها إلى أية مفسدة ، بل قد يكون فيه رحمة وتوسعة من الله على عباده .

خامساً : وهو منقول عن النظام وقد ساقه للاستدلال به على امتناع القياس عقلاً ، وحاصل هذا الدليل أن مدار القياس على التسوية في الحكم بين المتماثلات ، والفرقة فيه بين المختلفات ، وعلى أن الأحكام معقولة المعنى ، وأحكام الشريعة على خلاف ذلك ، لأن الشريعة فرقت في الحكم بين المتماثلات ، وجمعت فيه بين المختلفات ، وجاءت بأحكام لا مجال للعقل فيها ، وكل شريعة هذا شأنها لا يكون للقياس مجال فيها .

أما فرقتها بين المتماثلات فلائها فرقت بين الأزمنة والأمكنة في الفضل والشرف ، ففضلت ليلة القدر على سائر الليالي . قال تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » وفضلت مكة والمدينة وبيت المقدس على سائر الأماكن ، مع استواء الكل في أنه زمان ومكان ، ورخصت في قصر الصلاة الرباعية دون الثنائية والثلاثية ، وأسقطت الصلاة والصوم

[١] آية : ٤٦ من سورة الأنفال

[٢] آية : ١٠٥ من سورة آل عمران

عن الحائض، وأوجبت عليها قضاء الصوم دون الصلاة، مع أن الكل عبادة. وأما جمعها بين المختلفات فلا أنها جعلت التيمم بالتراب موجبا للطهارة كالماء، مع أن التراب يشوه الأعضاء والماء ينظفه؛ وجعلت الخطأ كالعمد في ضمان الأموال وقتل الصيد في الحرم؛ مع أن العمد فيه قصد، والخطأ لا قصد فيه، وجعلت الظهار موجبا للكفارة كالقتل خطأ مع الفرق الشاسع بينهما.

وأما أنها شرعت أحكاما لا مجال للعقل فيها فلا أنها أوجبت قطع اليد في سرقة القليل ولم توجهه في غصب الكثير، وأوجبت الحسد على من قذف غيره بالزنا، ولم توجهه على من قذفه بالكفر، مع أن الكفر أشد وأعظم، وشرطت في الشهادة على الزنا أربعة رجال، واكتفت في القتل بشاهدين، مع أن القتل أشد وأغلظ. إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يدرك العقل عللها وأسرارها: كتحديد أعداد الركعات في الصلوات الخمس، وتحديد عدد الأشواط في الطواف بسبع، وتحديد الجلد في حد الزنا بمائة وفي حد القذف بثمانين.

هذه خلاصة ما أورده النظام دليلا على امتناع القياس عقلا، وقد أجاب العلماء عن هذه الشبهة بجوابين:

أحدهما بطريق الإجمال، وثانيهما بطريق التفصيل. أما الأول فقد اختلفت فيه أنظار الأصوليين بحسب اختلاف أفهامهم ومعرفتهم بأسرار الشريعة، وأحسن هذه الأجوبة في نظرنا ما أجاب به ابن القيم في أعلام الموقعين (١) لوضوحه وقوة بيانه، قال رحمه الله تعالى: إن ما ذكرتم من الصور وأضعاف أضعافها فهو من أبين الأدلة على عظم هذه الشريعة وجلالتها ومجئتها على وفق العقول السليمة، والفطر المستقيمة، حيث فرقت بين أحكام هذه الصور المذكورة لافتراقها في الصفات التي اقتضت افتراقها في الأحكام، ولو ساوت بينها في الأحكام لتوجه السؤال وصعب الانفصال، وقال القائل: قد ساوت بين المختلفات، وقرنت الشيء إلى غير شبيهه في الحكم، وما امتازت صورة من تلك الصور بحكمها دون الصورة الأخرى إلا لمعنى قام بها أوجب اختصاصها بذلك الحكم، ولا اشتركت صورتان في حكم إلا لاشتراكهما في المعنى المقتضى لذلك الحكم، ولا يضر افتراقهما في غيره، كما لا ينفع اشتراك المختلفين

في معنى لا يوجد الحكم، فالاعتبار في الجمع والفرق إنما هو في المعاني التي لأجلها شرعت تلك الأحكام وجودا وعدما .

وأما الثاني فلم يتعرض له أحد من العلماء - فيما أعلم - إلا ابن القيم، فإنه أورد الأمثلة التي ساقها النظام وزاد عليها أمثلة أخرى ، وأفرد كل مسألة منها بجواب مستقل مفصل مبينا حكمة الشارع في التفريق بين الأمور التي تماثلت في الظاهر ، وفي الجمع بين الأمور التي تخالفت في الظاهر بيانا شافيا وافيا يقنع كل منصف بأن أحكام الشريعة جاءت على وفق العقول السليمة والفطر المستقيمة، ولأهمية هذه الردود ونفاستها ننقل هنا بعضها لتكون عنوانا لغيرها [١] ، قال رحمه الله جوابا عما زعم النظام أن فيه تفريقا بين المتماثلات : وأما نقصه الشطر من صلاة المسافر الرباعية دون الثلاثية والثنائية ففي غاية المناسبة، فإن الرباعية تتحمل الحذف لطولها بخلاف الثنائية، فلو حذف شطر لأبحف بها ولزالت حكمة الوتر الذي شرع خاتمة العمل ، وأما الثلاثية فلا يمكن تشطيرها ، وحذف ثلثها مغل بها ، وحذف ثلثها يخرجها عن حكمة شرعها وترا ، فإنها شرعت ثلاثا لتكون وتر النهار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المغرب وتر النهار فاوتروا صلاة الليل » .

وأما إيجاب الصوم على الحائض دون الصلاة فن تمام محاسن الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح المسكفين، فإن الحيض لما كان منافيا للعبادة لم يشرع معه فعلها، وكان في صلاتها أيام الطهر ما يغنيها عن صلاة أيام الحيض، فيحصل لها مصلحة الصلاة في زمن الطهر لتكررها كل يوم بخلاف الصوم فإنه لا يتكرر ، وهو شهر واحد في العام، فلو سقط عنها فعله بالحيض لم يكن لها سبيل إلى تدارك نظيره ، وفاتت عليها مصلحته ، فوجب عليها أن تصوم شهرا في طهرها لتحصيل مصلحة الصوم التي هي من تمام رحمة الله بعبده وإحسانه إليه بشرعه .

وأما قطع يد السارق في ثلاثة دراهم وترك قطع يد المختلس والمتنهب والغاصب فن تمام حكمة الشارع ، فإن السارق لا يمكن الاحتراز منه ، فإنه ينقب الدور ويهتك الحرز ، ويكسر القفل ، ولا يمكن صاحب المتاع الاحتراز بأكثر من ذلك ، فلو لم يشرع قطعه لسرق الناس بعضهم بعضا، وعظم الضرر ، واشتدت الخنة بالسراق، بخلاف

المنتهب والمختلس ، فإن المنتهب هو الذى يأخذ المال جهره بمرأى من الناس فيمكنهم أن يأخذوا على يديه ، ويخلصوا حق المظلوم ، أو يشهدوا له عند الحاكم ، وأما المختلس فإنه إنما يأخذ المال على حين غفلة من مالكه ومن الناس ، فلا يخلو الحال من نوع تفريط يتمكن به المختلس من اختلاسه ، وإلا فمع كمال التحفظ والتميز لا يمكنه الاختلاس ، فليس كالسارق بل هو بالخالن أشبه ، والمختلس إنما يأخذ المال من غير حرز مثله غالباً ، فإنه الذى يغافل ويختلس متاعك فى حال تخليك عنه وغفلتك عن حفظه ، وهذا يمكن الاحتراز منه غالباً فهو كالمنتهب ، وأما الغاصب فالأمر فيه ظاهر ، وهو أولى بعدم القطع من المنتهب ، ولكن يسوغ كف عدوان هؤلاء بالضرب والنكال والسجن الطويل والعقوبة بأخذ المال .

وأما إيجاب حد الفرية (يعنى القذف) على من قذف غيره بالزنا دون الكفر ففي غاية المناسبة ، فإن القاذف غيره بالزنا لا سبيل للناس إلى العلم بكذبه فجعل حد الفرية تكذيباً له ، وتبرئة لعرض المقدوف ، وتعظيماً لشأن هذه الفاحشة التى يجلد من رمى بها مسلماً ، وأما من رمى غيره بالكفر فإن شاهد حال المسلم وإطلاع المسلمين عليها كاف فى تكذيبه ، ولا يلحقه من العار عليه فى ذلك ما يلحقه بكذبه عليه فى الرمى بالفاحشة ، ولا سيما إن كان المقدوف امرأة ، فإن العار والمعة التى تلحقها بقذفه بين أهلها وتشعب ظنون الناس وكونهم بين مصدق ومكذب لا يلحق مثله بالرمى بالكفر .

وأما اكتفاؤه فى القتل بشاهدين دون الزنا ففي غاية الحكمة والمصلحة ، فإن الشارع احتاط للقصاص والدماء ، واحتاط لحد الزنا ، فلو لم يقبل فى القتل إلا أربعة لضاعت الدماء ، وتوأتب العادون ، وتجروا على القتل ، وأما الزنا فإنه بالغ فى ستره كما قدر الله ستره ، وكره إظهاره والتكلم به ، وتوعد من يجب إشاعته فى المؤمنين بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة .

وأما قوله : « وخص بعض الأزمنة والأمكنة ، وفضل بعضها على بعض مع تساويها فى أن السكل زمان ومكان » فالمقدمة الأولى صادقة ، والثانية كاذبة ، فإنه لم يفضل بعضها على بعض إلا لخصائص قامت بها اقتضت التخصيص ، ولم يخص سبحانه شيئاً إلا بخصص ، ولكنه قد يكون ظاهراً ، وقد يكون خفياً ، واشتراك الأزمنة والأمكنة فى مسمى الزمان والمكان كاشتراك الحيوان فى مسمى الحيوانية ، والإنسان فى مسمى الإنسانية ،

بل وسائر الأجناس في المعنى الذي يعمها ، وذلك لا يوجب استواءها في أنفسها ، والمختلفات تشترك في أمور كثيرة ، والمتفقات تتباين في أمور كثيرة ، والله سبحانه أحكم وأعلم من أن يفضل مثلاً على مثل من كل وجهه بلا صفة تقتضى ترجيحه ، هذا مستحيل في خلقه وأمره ، كما أنه سبحانه لا يفرق بين المتماثلين من كل وجه ، فحسبته وعد له تأبي هذا وهذا ، وقد نزه سبحانه نفسه عن يظن به ذلك ، وأنكر عليه زعمه الباطل ، وجعله حكماً منكراً ، ولو جاز عليه ما يقول هؤلاء لبطلت حججه وأدلتها ، فإن مبناها على أن حكم الشيء حكم مثله ، وعلى ألا يسوى بين المختلفين ، فلا يجعل الأبرار كالفجار ، ولا المؤمنين كالكفار ، ولا من أطاعه كمن عصاه ، ولا العالم كالجاهل ، وعلى هذا مبنى الجوزاء ، فهو حكمه الكونى والدينى وجزاؤه الذى هو ثوابه وعقابه ، وبذلك حصل الاعتبار ، ولأجله ضربت الأمثال وقصت علينا أخبار الأنبياء وأممهم .

وقال رحمه الله في الجواب عما زعم النظام أن فيه جمعا وتسوية بين المختلفات : وأما قوله إن الشريعة جمعت بين الخطأ والعمد في ضمان الأموال فغير منكر في العلة-ول والفطر والشرائع والعادات اشترك المختلفات في حكم واحد باعتبار اشتراكها في سبب ذلك الحكم ، فإنه لا مانع من اشتراكها في أمر يكون علة لحكم من الأحكام بل هذا هو الواقع ، وعلى هذا فالخطأ والعمد اشتركا في الإلتلاف الذى هو علة للضمان ، وإن اختلفا في علة الإثم (وهو القصد) وربط الضمان بالإلتلاف من باب ربط الأحكام بأسبابها ، وهو مقتضى العدل الذى لا تتم المصلحة إلا به ، كما أوجب على القاتل خطأ دية القتل ، وذلك لا يعتمد التكليف ، فيضمن الصبي والمجنون والتائم ما أتلّفوه من الأموال ، وهذا من الشرائع العامة التى لا تتم مصالح الأمة إلا بها ، فلو لم يضمنوا جنائيات أيديهم لأتلف بعضهم أموال بعض ، وادعى الخطأ وعدم القصد ، وهذا بخلاف أحكام الإثم والعقوبات فلها تابعة للمخالفة وكسب العبد ومعصيته ، ففرقت الشريعة فيها بين العائد والمخطئ .

وأما جمعها بين الماء والتراب في التطهير فالله ما أحسنه من جمع وما أطفقه وألصقه بالعقول السليمة والفطر المستقيمة ، فقد عقد الله سبحانه الإخاء بين الماء والتراب قدرا وشرعا ، فجمعهما الله عز وجل وخلق منهما آدم وذريته ، فكانا أبوين اثنين لأبويننا وأولادهم ، وجعل منهما حياة كل حيوان ، وأخرج منهما أقوات الدواب والناس والأنعام ، وكانا أعم الأشياء وجودا ، وأسهلها تناولا ، وكان تعفير الوجه بالتراب لله

من أحب الأشياء إليه ، ولما عقد هذه الأخوة بينهما قدرا أحكم عقد وأقواه كان عقد الأخوة بينهما شرعا أحسن عقد وأصحّه .

هذه هي أدلة الفريقين المتنازعين في حجية القياس ، وما يرد عليها من مناقشات ، ومنها يتبين بجلاء أن ما ذهب إليه الجمهور من العلماء هو المذهب الحق الذى لا تشوبه شائبة ، ولا تحوم حوله ريبة ، وهو الذى جرى عليه عمل الصحابة وانعقد عليه الإجماع في العصور المتقدمة قبل أن يوجد النظام وشيعته ومن لف لفه .

قال أبو القاسم عبيد بن عمر في كتاب القياس : ما علمت أن أحدا من البصريين ولا غيرهم ممن له نباهة سبق إبراهيم بن سيار النظام إلى القول بنفى القياس والاجتهاد ، ولم يلتفت إليه الجمهور ، ومن خالفه في ذلك فريق من زعماء المعتزلة كأبي الهذيل وبشر بن المعتز وبشر المريسي .

وقال الإمام المزنى « الفقهاء من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وهم لم جرا استعمالوا المقاييس في الفقه في جميع الأحكام في أمر دينهم قال : وأجمعوا أن نظير الحق - حق ، ونظير الباطل باطل ، فلا يجوز لأحد إنكار القياس ، لأنه التشبيه بالأشياء والتمثيل عليها [١] » .

ويقول الإمام السرخسي في أصوله - بعد أن أورد كثيرا من المسائل التي عمل الصحابة فيها بالرأى والقياس في عصر الرسول وبعده - : فتبين بهذا أن العمل بالرأى كان مشهورا متفقا عليه بين الصحابة ، وأنهم كانوا مجمعين على جواز العمل بالرأى فيما لا نص فيه ، وكفى بأجمعهم حجة (٢) ٤

زكى الدين محمد بن

المدرس بكلية حقوق عين شمس

(١) نبراس العقول ص ١١٣

(٢) راجع أصول السرخسي ص ٢٠ ص ١٢١ وما بعدها

بنو اسرائيل

في الماضي والحاضر

— ٤ —

عداوة اليهود للاسلام :

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة صار بالمدينة ثلاث طوائف :

١ — المسلمون من المهاجرين والأنصار .

٢ — اليهود الذين كانوا يسكنون بأطراف المدينة .

٣ — المنافقون وكانوا خليطاً من اليهود وعرب المدينة ، وقد ترأسهم عبد الله ابن أبي (ابن سلول) رأس النفاق . وكما ابتلى المسلمون في مكة بالمشركين ابتلوا في المدينة باليهود والمنافقين ، وكانت عداوة اليهود للمسلمين أشد من عداوة المنافقين . وقد ناصب رؤساء اليهود — إلا قليلاً منهم — الرسول العداوة من أول مقدمه المدينة ، وداخلهم منه هم كبير ، وحملوا له الحقد والضغن ، وليس أدل على ذلك من هذه القصة ؛ روى يونس ابن بكير عن صفية بنت حيي بن أخطب قالت : « لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم قباء — قرية بنى عمرو بن عوف — غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر ابن أخطب مغلسين ، فوالله ماجاءنا إلا مع مغيب الشمس ، بخاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهويناء ، فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما نظر إلى واحد منهما . فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بنعته وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته — والله — ما بقيت » .

وفي رواية أخرى ذكرها موسى بن عقبة أن أبا ياسر لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أطيعوني ، فإن الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب — وهو يومئذ سيد اليهود — وهما من بني النضير ، بغلس إلى رسول الله وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه — وكان فيهم مطاعا — فقال : أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا أبداً .

فقال له أخوه : يا بن أمى أطعنى فى هذا الأمر واعصنى فيما شئت بعده لاتهلك . قال : لا والله لا أطيعك أبدا ، واستحوذ عليه الشيطان واتبعه قومه على رأيه . قال : أما أبو ياسر فلا أدرى ما آل إليه أمره ، وأما حى بن أخطب والد صفية فشرب عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يزل ذلك رأيه - لعنه الله - حتى قتل صبورا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل مقاتلة بنى قريظة » . [١]

وكان الكثيرون من رؤساء اليهود على ما كان عليه حى بن أخطب من الحقد والعداوة ، ولم يسلم منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام وأضرابه الذين آثروا الحق على شهوات أنفسهم والآخرة على الدنيا الفانية .

مهادنة اليهود :

وكان بالمدينة من أحياء اليهود بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وكان نزولهم بالمدينة من أيام بختنصر حين دوخ بلاد المقدس وأخرجهم منها ، وكانوا قوة لا يستهان بها . فرأى رسول الله بناقب فكره وبعد نظره أن يأمن جانبهم ، فعقد معهم معاهدة مقتضاها ترك الحرب والأذى ، فلا يحاربهم ولا يحاربونه ، ولا يؤذيهم ولا يؤذونه ولا يعينون عليه أحدا ، وإن دهمهم بالمدينة عدو ينصروه ، وأفرهم على دينهم . ولقد كانت هذه المعاهدة عملا بارعا وسياسة حكيمة رشيدة ، أمن بها المسلمون شر هؤلاء الذين كانوا يساكنونهم بالمدينة ولو إلى حين ، وانصرفوا إلى نشر دينهم وتأمين دعوتهم وإرساء أساس دولتهم التى أخذت فى التكوين والنمو والظهور .

دسائس اليهود :

ولئن كانت هذه المعاهدة حالت بينهم وبين المجاهرة بالعداوة وحمل السلاح لمناوأة المسلمين ، إلا أنها ما كانت لتحررهم من فطرتهم الرديئة وأخلاقهم المردولة وطبيعتهم الغادرة ، فسعوا بين المسلمين بالدس والوقعة وإلقاء الأراجيف والأكاذيب والنيل منهم ومن الرسول حتى هموا بقتله وتأليب القبائل عليهم فى طى الخفاء ، وهكذا نرى أن حياة اليهود المجاورين للمسلمين بالمدينة كانت سلسلة من اليكيد للإسلام وبث الفتنة ونقض العهد .

وقد آلمهم وأقض مضاجعهم أن رأوا الأوس والخزرج قد تآلفوا بعد العداوة ، واتحدوا

بعد الفرقة ، وصاروا درع الإسلام وحصنه ، فحاولوا أن يؤلبوا بينهم العداوة ، وكادوا ينجحون لولا أن تدارك الرسول الأنصار بصائب حكمته وبلغ موعظته ، وأفسد عليهم خطتهم ورد كيدهم في نحورهم .

واليك ما ذكره ابن اسحق في سيرته قال : « ومرو شأس بن قيس - وكان شيخا قد عشى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في نجاس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملائكة بني قيلة [١] بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم من قرار ، فأمر شابا من يهود وكان معه فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم يوم بعث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا يقولوا فيه من الأشعار . وكان يوم بعث يوما اقتتل فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواب رجلان من الحيين على الركب : أوس بن قبطى من الأوس ، وجبار بن صخر من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة . وغضب الفريقان جميعا وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة - وهى الحرة - السلاح السلاح !

فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يامعشر المسلمين ، الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هذاكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟ »

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا ، وعانق بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، فأنزل الله في شأن شأس ابن قيس وما صنع « قل يأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون » (٢) وأنزل في شأن الذين كادوا يسمعون إليهم « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون

[١] الأوس والخزرج .

[٢] سورة آل عمران الآية ١٠٨ ، ١٠٩ .

وأتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ،
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ،
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » [١]
ولا تزال قصة شأس بن قيس تتجدد كل يوم وتمثل في العالم الإسلامي والعربي
في مظاهر شتى وأثواب براقة مزخرفة ، تستر وراءها الحقد الدفين والعداوة المتأصلة والنذالة
المسفة ، ولئن كان في مبدأ الإسلام شأس ونفر ممن هم على شاكلته يسعون في الأرض
بالدس والوقية والإفساد وتقطيع الأرحام ، ففي حاضرننا اليوم عشرات من أمثال شأس
وجماعته ، دعاة فتنة وفرقة بين صفوف العرب والمسلمين ، برعوا في الدس والاختلاق ،
وتفنونوا فيه أفانين شتى ، وتيسرت لهم من الإمكانيات للوصول إلى أغراضهم الدينية
ما لم يتيسر لشأس وأتباعه : ففي العالم اليوم الصهيونية العالمية بأموالها وإذاعاتها ودعاياتها
وسيطرتها على السياسة الموجهين لدفة السياسة اليوم ، وفيه الدول الاستعمارية المشايعة لهذه
الصهيونية والتي لولاها لم تقم لعصابات إسرائيل قائمة ، ولا كان لها وجود على ظهر
الأرض ، وفيه الصحف الاستعمارية التي يسيطر عليها أصحاب الأموال من اليهود ، وكل
هؤلاء ورثوا الحقد على الاسلام والمسلمين من قديم الزمان ، ولا ينفكون من السكيد للاسلام
والعروبة ، ويأكل أكبادهم أن يروا العرب كتلة واحدة ويذا واحدة ، وأن يروا المسلمين
على قلب رجل واحد متمسكين بقول الحق تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وقول
الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « ترى
المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فهل لنا أيها المسلمون والعرب أن نفسد خطط هؤلاء الأعداء ، وأن نفوت عليهم
ما يريدون بنا من الفرقة والانقسام ؟ وهل يكون لنا في رسول الله والرعيل الأول من
المسلمين قدوة حسنة ؟ فقبر كل فتنة يثيرونها في مهدها ، ولا تلقى لنا يرجفون به بالا ؟
ذلك ما نرجو ، وما ذلك على إسلاميتنا وعروبتنا بعزيمنا

المكتوب محمد محمد أبو شهبة

المدرس بكلية أصول الدين

من أعلام الفكر الاسلامى :

واصل بن عطاء

٨٠ - ١٣١ هـ ٦٩٩ - ٧٤٨ م

الباحث فى كتب التاريخ يجد أن هناك معتزلة ظهرُوا فى صدر الإسلام ، غير المعتزلة المعروفين فى علم الكلام . فقد حدثنا المؤرخون أن قوما اعتزلوا الحروب التى قامت بين على وأصحاب الجمل وبين على ومعاوية ، وآثروا البعد عن الفريقين تجنباً لإثارة الفتن وإشغالها بين المسلمين ، حرصاً على توحيد كلمتهم ، ولم شملهم ، ثم لما تنازل الحسن ابن على عن الخلافة لمعاوية اعتزلوا الناس ، ولزموا مساجدهم ومنازلهم ، وقالوا : « نشتغل بالعلم والعبادة » .

وعلى ذلك فتسمية هؤلاء معتزلة تسمية لغوية بحث ، فهى من العزلة والانكماش ولم يستجد لها معنى آخر .

أما المعتزلة الفرقة الكلامية ، فيكاد المؤرخون يجمعون على أن المسكان الذى ظهر فيه هذا الاسم هو مسجد البصرة ، والكنهم يختلفون فيمن أطلقه ؟ . يقال هو الحسن البصرى إثر سؤال عن مرتكب الكبيرة ، أهو مؤمن أم لا ؟ وجهه إليه أحد الناس ، أو واصل بن عطاء .

فتفكر الحسن فى ذلك ، وقبل أن يجيب كما يروى الشهرستانى ، أو بعد أن أجاب بقوله : إنه مؤمن وأمره فى كبريته مفوض إلى ربه : إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، كما يروى غيره .

قال واصل : أنا لا أقول : إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام من مجلس الحسن أو طرده الحسن من مجلسه - على اختلاف الروايات - واعتزل إلى سارية من سوارى المسجد يقرر ما أجاب به .

فقال الحسن أو قال الناس الذين في حلقته على اختلاف الروايات أيضا : اعترلنا واصل : فسمى هو وأصحابه معتزلة ، لأنه اعترل قول المسلمين في مرتكب الكبيرة ، أو اعترل مجلس الحسن البصري . ويبدولنا أن هذا ليس أول اختلاف لواصل مع أستاذه فان الإنسان لا يترك أستاذه ولا يطرد من المرة الأولى .

ويروى ابن خلسكان : أن الذي أطلق هذا الاسم قتادة في حياة الحسن البصري . ويروى المرتضى في أماليه (١) أن مبدأ الاعتزال كان بعد موت الحسن حيث جلس قتادة مجلسه ، وحدثت بينه وبين عمرو بن عبيد نفرة فانتحى عمرو جانبا من المسجد ، وجلس إلى سارية وتحلق الناس حوله فأطلق عليهم قتادة اسم « المعتزلة » .

ويرى بعض المستشرقين أنهم سموا معتزلة لأنهم كانوا أنقياء متقشفين زاهدين ضاربي الصفح عن ملذاتها ، وكلمة معتزلة تدل على ذلك لأن العزلة تكون عن زهد في الدنيا . والحق أن هذا الرأي ليس سليما ، لأن بين المعتزلة من لم يسلم من الاتهام بالمعاصي .

وبعد - فأى الروايات نرجح ؟ . يبدولنا أن الحسن البصري هو الذي سماهم بهذا الاسم ، وصارت كلمته علما على هذه الفرقة لما له من المكانة العظيمة ، ولأن أغلب كتاب الفرق ينسبون الحادثة إليه ، كما أن الإجماع يكاد ينعقد على أن رأس المعتزلة واصل ابن عطاء ، وما رواه ابن خلسكان في وفيات الأعيان والمرتضى في أماليه مخالفا لذلك لا يعول عليه لأنهما ليسا متخصصين في الفرق . فمن واصل بن عطاء مؤسس المعتزلة تلك الفرقة الكلامية العظيمة ؟

هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألتغ . ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة من أصل فارسي وكان مولى لبني ضبة ، وقيل لبني مخزوم ، وقيل لبني هاشم ، والأخير هو الراجح .

ولد ونشأ على الرق ، ولم يذكر لنا المؤرخون أنه بقي على الرق أو صار حرا ، ولكن يظهر لنا من سيرته أنه قضى أكثر عمره حرا . كما أننا لا نعلم الزمن الذي مكثه بالمدينة على التعيين لنعرف ما ارتسم في ذهنه من عادات أهلها ، وما كان يظللها من أفسار وآراء ، وقد انتقل إلى العراق ، ويظهر أنه قد قضى فيه سن التعلم ، فقد جاء في المال

والنحل للشهرستاني : أنه كان تلميذاً للحسن البصرى ، واستمر تلميذاً للحسن إلى أن اعتزل مجلسه . ويظهر أنه كان يغشى مجالس غيره من العلماء . بل يظهر أنه كان ينتاب مجالس الشيعة حتى عد ممن تخرج عليهم وتربى ، وحتى إنه يقال أخذ واصل الاعتزال عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .

وإذا ساغ لنا أن نستنبط من آرائه نوع تربيته وأثر العلماء الذين تخرج عليهم ودارسهم ، فيجب أن نقرر أنه اتصل بالخوارج والشيعة وأهل الحديث وأرباب النحل المختلفة ، فان آراءه مزيج من كل هذه الأفسكار .

ولكن المفكر لا يتخرج على الرجال فقط ، بل يستمد مما حوله وتؤثر فيه البيئة العامة التي تظله والآراء التي تضطرب وتتناحر في عصره من سياسية وفكرية ، وخلاصة الكتب التي يقرؤها ، ولذا يجب أن نلمع إلى الأحوال السياسية والفكرية في عصره ، لأن واصل مرة جيل وغارس الأصول لجيل . فهو رئيس فرقة تكلمت في أصول الاعتقاد وخالفت في طرائق تفكيرها ، وفي بعض ما أنتجه فكرها المألوف لدى الفقهاء والمحدثين .

الأحوال السياسية : نشأ واصل في العصر الأموى حيث كانت الخلافات السياسية على أشدها بين جميع الفرق والحكومة الأموية ، بل بين كل فرقة وغيرها . والقلاقل في أرجاء المملكة الإسلامية يقوم بها الخوارج دائماً والشيعة أحياناً ، وليس للأمويين إلا إنحساد تلك الثورات ، ومحاولة القضاء عليها بالمال يغدقونه على أعدائهم ويمأون به أفواه خصومهم ، وبالرجال والجيوش يجهزون للقتال ، والخصم عنيد لا يلين ، وتاريخ الخوارج معروف وبسالتهم في القتال لاتنسى .

هذه هي البيئة السياسية عامة . أما البيئة الخاصة التي قضى فيها واصل أكثر حياته وهي العراق فقد كانت أعظم البيئات خلافاً وانشقاقاً . فالعراق كان مسرح الفوضى والثورات في عهد الأمويين ، وخطب زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف تصور لنا مدى ذلك عند أهل العراق . ولعل هذه المذاهب المختلفة والأجناس المتنافرة والديانات القديمة التي تعاقبت على هذا القطر قبل الفتح الإسلامى كان لها أثر دائم في ظهور أهل العراق بهذا المظهر الغريب من التنافر والتناحر ، وأعان على ذلك تركيز الدعايات المذهبية فيه من خوارج وشيعة وغيرها من ذوى الآراء ، وكلهم يبت آراءه وأفكاره فيمن حوله .

الأحوال الفكرية : المدينة كانت البيئة الأولى لواصل بن عطاء ، ولا شك أن الحركة العلمية فيها ناشطة ، فهي العاصمة الإسلامية الأولى ، تخلف فيها أكبر تراث إسلامي فكري ، وأقام فيها الصحابة والتابعون بما حملوا عن الرسول عليه الصلاة والسلام من فقه وتشريع ونظر وتأويل ، فلذلك تأثر واصل بهذه البيئة فاعتمد كثيرا على القرآن ، واستند إلى نصوصه ومعاني آياته .

ثم انتقل إلى العراق وهو يموج بمختلف الآراء وشتى النزعات ، والجدل قائم بين أهله ، والمسائل السياسية والدينية مطروحة للبحث . فهؤلاء الخوارج يتناولون السكينة وحكم مرتكبها ، والشيعية يبحثون في الإمامة وشروطها ، ويتعرضون لأصول العقائد فيقولون فيها برأيهم ، بل لقد تعرضوا للفروع فاجتهدوا ، وكونوا لهم مذاهب تناسب إلى أئمتهم .

وأولئك الموالي يقودون الحركة العلمية ، ويخوضون غمار الميادين الفكرية الحرة ، ويحملون لواء التجديد ، وينهمكون في البحث والتنقيب ، لأنهم يريدون أن يجبروا نقصهم بالمعرفة ، ويرفعوا خسيتهم بالعلم ، وواصل بن عطاء بين هؤلاء جميعا يتأمل ويقارن ويثابرو ويبحث ، وتختلط في ذهنه أصواتهم ، وأحيانا تمتاز وتتفصل . يسمع من قوم ويجلس إلى آخرين بأذن صاغية ، وذات مرة واعية ، وتقوم قريحته الوفاة بتحديد موقفه من كل أرائك مع استقلال في الرأي وعمق في النظر .

أضف إلى ذلك أن بعض الآراء الفلسفية والعلوم القديمة كانت تجد من يتناقها بين البصرة والكوفة ، ولا سيما آثار السريان ونتاج مدارسهم في الرها ونصيبين ومجاذلات النصارى في بعض المسائل ونظريات أصحاب النحل الأخرى .

فتأثر واصل بهذه الحركات ، وأثر في الفكر الإسلامي أعظم التأثير ، فقد حول مجراه وصبغه صبغة جديدة ، وجعل العقل عماد هذا التفكير ، وفتح باب النظر على مصراعيه ، ووضع أصل الاحتجاج بالعقل والإجماع زيادة على الاحتجاج بالكتاب والسنة . فكان من ذلك أن نشأ علم الكلام ، وقويت شوكة الدفاع عن العقيدة ، واستطاع المسلمون أن يعبروا عن أدلة دينهم بأسلوبهم وحججهم العقلية ، بعد أن كان اعتمادهم على الأدلة النقلية التي لا يدعن لها غير المسلمين ، فلا عجب أن يكون واصل رئيس هذه الفرقة العظيمة

لسنا غاية اللسانة جدلا لايشق له غبار ، خطيبا في طليعة الخطباء ، أثنى عليه بشار بن برد
- وكان صديقا له قبل معرفته بالإلحاد -

فقال :

أبا حذيفة قد أوتيت معجزة من خطبة بدت من غير تقدير
وقال يصف تفوقه على أقرانه وحسن مجانبته للرأ في كلامه - لأنه كان ألغ بالراء -
تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الرأ لم يشعر به أحد قبل التصفيح والإغراق في الطاب

وكان خبيرا بفنون الكلام وضروب البيان ، فافقأ جدله مع عمرو بن عبيد في مسألة
مرتكب الكبيرة ، تجدد الحجة الباجء ، واللغة السليمة ، وافرأ خطبته التي تجنب فيها الرأ
تجد ألفاظه القوية ، وعانيه الغراء ، حتى لقد اشتهر تجنبه الرأ على ألسنة الشعراء فجعلوه مثلا ،
قال أبو محمد الخازن في قصيدة يمدح الصحاح بن عباد :

نعم تجنب - لا - يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لفظة الرأ
وكان شاعرا رصين الشعر يميل فيه إلى الحكمة والاعتدال . قال :

تحامق مع الحق إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذاعقل
فان الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

وكان واصل لا يخشى في مذهبه لومة لائم ، فقد عادى أصدقاء كثيرين منهم بشار
ابن برد وكان صديقا له أشد الصداقة ، فلما علم واصل بالحادة قاطعه وقال : أما لهذا الأعمى
المسكتنى بأبى معاذ من يقتله ، أما والله لولا أن الغيلة من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبيع
بطنه على مضجعه ! ولم يقف واصل عند حرصه على دينه ودفاعه عنه ، بل أرسل الدعاة
ينشرونه في كل الأقطار ، ويعلمونهم طرق الدفاع عن هذا الدين ، فبعث عبد الله بن الحارث
إلى المغرب فأجابه خلق كثير ، وبعث إلى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ
ولزم المسجد ، وناظر جهنم بن صفوان - أحد مؤسسى مذهب الجهر في الإسلام - فقطعه
ورجع عنه ، فلما عاد حفص إلى البصرة رجع جهنم إلى قول الباطل وبعث الحسن
ابن ذكوان إلى السكوفة ، وبعث عثمان الطويل إلى أرمينية . وكان متبعا لأخبار رساله
ليتعرف أحوالهم فاذا لاحظ على أحدهم خروجاً عن الجادة أرسل إليه يعظه

ففرى من هذا أن واصلًا كون حوله رجالا كثيرين ، وبعث بهم إلى البلدان ، وكان ناجحا في تأسيس جمعيته وتنظيم خطتها ، وقد خلد أعمال الدعاة ووصفهم أدق وصف صفوان الأنصارى فقال .

له خلف شعب الصين في كل ثغرة
رجال دعاة لا يقل عظيمهم
إذا قال مروا في الشتاء تطاوعوا
بهجرة أوطان وبذل وكلفة
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم
وأوتاد أرض الله في كل بلدة
وما كان سحبان يشق غبارهم
تلقب بالغزال (٤) واحد عصره
ومن لحرورى (٥) وآخر رافض
وأمر بمعروف وإنكار منكر
يصيرون فضل القول في كل منطق
تراهم كأن الطير فوق رؤوسهم
وسياهمو معروفة في وجوههم
وفي ركعة تأتى على الليل كله
وفي قص هدايا وإعفاء شارب

إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر (١)
تهكم جبار ولا كيد ماكر
وإن كان صيفالم يخف شهر ناجز (٢)
وشدة أخطار وكد المسافرين
وأورى بفلسج للخاصم قاهر
وموضع فتياها وعلم التشاجر (٣)
ولا الشدق من حبي هلال بن عامر
فمن الليتامى والقبيل المسكائر
وآخر مرجى وآخر حائر
وتحصين دين الله من كل كافر
كما طبقت في العظم مدية جازر
على عمة معروفة في المعاشر
وفي المشى حجاجا وفوق الأباغر
وظاهر قول في مثال الضائر
وكور على شيب يضى لناظر

* * *

لم يأخذ واصل أجرا على درس ألقاه ، ولا شغل منصباً رسمياً في الحكومة ، بل كان يحذر الناس من التعلق بالدنيا . وانظر إلى قوله لجعفر بن محمد الصادق : « وإنك يا جعفر وابن الأئمة شغلك حب الدنيا فأصبحت بها كلها » . وقد كفاه الله بمؤنة البحث عن الرزق ، فيسر له ريبه أبا عبد الله الغزال ، فكان يستنمر له مالا في تجارة أو ثمار ضيعة كانت له ، فلم يشغل عقله العظيم بالبحث في اقتناص درهم أو طلب دينار . وكان يقول : المؤمن إذا جاع صبر وإذا شبع شكر . وبذلك أخذ نفسه وسار على هذا النهج فهو صابر أو شاكراً

محمود محمد زيادة

المدرس بكلية اللغة العربية

- (١) له : أى لزعم المعتزلة : واصل بن عطاء . وخلف البرابر : أى ببلاد البربر (المغرب) .
(٢) شهر ناجز : الشهر الواقع في صميم الحر . (٣) يريد علم الجدل والاستكلام .
(٤) الغزال لقب واصل . (٥) الحرورى نسبة إلى حروراء ، وهم الخوارج

الاسلام والأسرة

عناية الإسلام بالأسرة حقيقة انفرد بها بين شرائع الله جميعا ، فهو دين الحياة لا ريب ، يعتبرها ويرعاها ويتسع لشئونها ويعالج مشكلاتها التي تتصل بالأحياء أنفسهم ، وبما حولهم مما خلقه الله من أجلهم .

واهتمام الإسلام ببناء الأسرة ، واختيار الزوجين - وهما لبنتاها التي لا تقوم بدونهما - وبيانه للحقوق والواجبات التي أحكمها العليم الخبير بها رباط الزوجية ، وجعلها دستور العيش الرغيد بين الزوجين وأبنائهما وخدمتهما ، وتفصيله للأداب التي لا بد منها في الاختلاط والتزاور ومعاملة الجيران ، إلى آخر ما هنالك من شئون الأسرة الإسلامية ، هو هدفنا من أحاديث تتابع - إن شاء الله - ونود أن تجتمع عليها الآذان والقلوب جميعا ، بقدر الحاجة إليها في زمن اختلطت فيه مذاهب الحياة ، وولى أقوام وجوههم شطر الغرب يستوردون تقاليد وآراءه التي تخالف موروثاتنا العزيزة ، ولا تصالح عليها حياتنا ، لأنها لم تصلح حتى اليوم - ولن تصلح - حياة الذين عرفت بهم ، وعرفوا بها ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والزواج هو سبيل هذه الأسرة التي هي لبنة في صرح المجتمع الإسلامي المتكافل ، ولن يكون مرهوب الجانب يرحى ويحذر حتى تستهدى بهدى الله ، فقد كان شرعة الدنيا ومنهجها والمشكاة التي يتراءى في ضيائها المؤمنون !!

وقد سأل رسول الله صلوات الله عليه عكاف بن وداعة الهلالي : ألك زوجة ؟ ! قال لا ، قال : ولا جارية ؟ ! قال : لا ، قال : وأنت صبيح موسى ؟ ! قال : نعم والحمد لله ، قال : فأنت من إخوان الشياطين ، إما أن تكون من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع ، فإن من سئتنا النكاح ، شراركم عذابكم ، ويحك يا عكاف ، تزوج ! . وما كان الإسلام بدعا في الدعوة إلى الزواج ، فهو وصية كل نبي ودعوة كل رسول ، وهو طبيعة الحياة التي لا تنهض بجنس واحد حتى يقاسمه فيها الجنس الآخر ويعمل معا

على أن تسير الحياة مسيرتها التي يكون الأحياء فيها - ذكورا وإناثا - خلفاء عن الله في عماره هذا الكون العظيم !!

.. وقديما أراد فرعون أن يبيد بنى إسرائيل ويستأصل شأفتهم فضى يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم - وكاد يفلح فيما ابتغى وأمل ، لولا أن اقتضت رحمة الرحيم نجاه موسى عليه السلام فكان ما أراد : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وحسبنا من قصة الزواج الأول - زواج آدم وحواء - أن نذكر قول الله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » .

فسنلاحظ بالنظرة الأولى معنى الازدواج والانسجام الذى لا يكون بين شيئين كما ينبغى أن يكون بين الزوجين ! ومن أجل ذلك عد الله الزواج من أعلام عظمته وشواهد قدرته فقال سبحانه وتعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فلقد يكون الزوج من قطر ، وتكون الزوجة من قطر آخر ، فيصنع الزواج المعجزة ، وهو يختصر الأبعاد ويدنى المسافات ويسقط الفوارق ، فتكون الأسرتان اللتان تم بينهما الإصهار أسرة واحدة تتعاطف وتتواصل بكوارح الجسد الواحد !! وهكذا كانت آثار الزواج الذى لم يستهدف غير هذه الغايات الشريفة ، ومن أجل هذا أصر رسول الله إلى أبى بكر وعمر ، وزوج بناته من على وعثمان رضى الله عنهم أجمعين !

وأى معنى للسكن فى الآية الكريمة إن لم يكن هو ذلك الرضا والارتياح وارتفاع الحرج بين الزوجين ، وحين تضيق بالرجل فسيحات البلاد ، ويتبرم به بعض الناس ، ويأوى الى بيلته ، مضطرب الحواس ، مبهور الأنفاس ، تتلقاه هنالك نفس برة راضية ، تسمح متاعبه وآلامه بالكلمة اللينة والوجه الذى يشرق بما بين جانحتى شريكة الحياة من حب ومودة وإخلاص !! ولقد كانت خديجة رضوان الله عليها رائعة حقاً حين دخل عليها رسول الله بعد الوحى الأول ، ترتجف بوارده ، فقال : زملونى زملونى ، فلما قام من نومه وقص عليها قصته فى حراء وقال : لقد خشيت على نفسى . قالت : كلا ،

والله ما يخزيك الله أبدا . ثم واصلت حديثها حتى سكن جأشه وطابت نفسه وألم كما أشارت بورقة بن نوفل !

وأم سلمة كانت ناصحة بصيرة وطبة خبيرة ، وهى تشير على رسول الله فى خلاف أصحابه عن أمره فور صلح الحديبية ، فلم يخروا ولم يخلقوا بعد أن أمرهم بذلك ثلاثا ، فسألته أم سلمة أتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تسكلم أحدا من صحبتك كلمة واحدة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ! وما كاد رسول الله يفعل حتى قاموا جميعا فنحروا وحلقوا وجعل بعضهم يخلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وندما ! !

إن الزواج شطر الدين ، به تحفظ الحرمات ، وتصان الكرامات ، وتستحكم بين الناس الصلات ، وبه يتبغى النسل ، وتوضع الدعائم القوية لتواصل الحياة سعيها فى سداد ونظام « ومن تزوج فقد أحرز نصف دينه » ، فليتنق الله فى النصف الآخر « كما قال الرسول الكريم .

والذين يفرقون من الزواج ويتحامونه مؤثرين سبيل الانطلاق وإرخاء العنان لشهواتهم ، فارين من مؤن الزوجية وتبعاتها ، إنما يقيمون دليلا لا يدفع على خفة دينهم ، وضعف رجولتهم ، وقد جاء شاب إلى أمير المؤمنين عمر يشكو فقره ، فقال له : تزوج ، ثم قرأ قول الله تعالى : « إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم » ! .

وما ينبغى أن يرد ذو فضل عن الإصهار للأحرار بسبب قلة فى المال ، أو خفاء فى المجتمع ، فقد أعظم الرسول فى ذلك النذير فقال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . . وإن الزواج لشركة حقا ، ولكنه شركة روحية ، لا صفقة تجارية ، فإذا جاء المال فى ركب الفضائل التى لا بد منها فى الزواج فرحبا به ، وإلا فسخقا سخقا ، فلقد كانت أخلاق رسول الله هى المفخر التى قدمه بها عمه أبو طالب فى حفل زواجه بخديجة . . قال يومئذ الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الأحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله ابن اخى لا يوزن به فتى من قریش إلا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ونفرا ونبلا ، وإن كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وغرض حائل وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى « ، وكانت أخلاقه صلوات الله عليه هى حجة خديجة حين قالت لرسول

الله : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، فقد أردفت تقول : « إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق » ! .

والناس يزنون طالب الزواج بما يملك من مال ، لا بما يحسن من أعمال وتنط به من آمال ، وينظرون إلى العروس من زاوية رصيدها العاجل وما سيصير إليها غدا من تراث الآباء والأجداد ، أو من أبحرها ومرتبها الذي تراحم فيه الرجال بالمناكب في غبار المجتمع على حساب البيوت الموحشة ، وقد نسي هؤلاء الميزان الذي وضعه المعصوم صلوات الله عليه « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لما لها لم يزد الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لجمالها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوجها لم يرد إلا أن يغض بصره ويحفظ فرجه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ! !

ولقد كان الناس في أعصار الخير والنور لا يراعون إلا الفضل والمروءة فيمن يختارون لسكراتهمهم ، ولا يتطاولون لغير ذات الدين التي تغالى بأخلاقها أكثر مما تغالى بجمالها ، فان هذه أصون للشرف وأحفظ لأمانات الزوج من أخواتها الموكلات بفضاء الأرض يذرعه ، المكاثرات ببريق الثياب ومظاهر الزينة ، وقد قال رجل للحسن : يخطب ابنتي الكثيرون فمن أزوجها ؟ ! فقال : « زوجها ممن يتقى الله ، فانه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها » ! .

ولقد خطب ابنة سعيد بن المسيب - وهى حاملة علم أبيها - جماعة من خلفاء بنى أمية وأمرائهم ، ولكنه آثروهم تلميذه أبوداعة في قصة طريفة فيها إعزاز العلم وأهله ، وفيها تصون السكرام عن زخارف الحياة الدنيا ! وما ازدحم هؤلاء على باب سعيد لفرط مال أو لجمال بارع ضربت بابنته فيه الأمثال ؛ ولكنهم ابتغوا بذلك المنبت الكريم ، والبيئة التي لا يزكو فيها غير الثبات الطيب ، فالجمال الذي يخطف الأبصار غير الجمال الحقيقي الذي تسجد في محاريبه البصائر ، وقد قيل قديما : إن المرأة الجميلة تسر العين ولكن المرأة الفاضلة تسر القلب ! وأين الجمال الظاهري من جمال الروح وصفاء القلب وإشراق النفس بأداب الإسلام .

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس
ويقول صلوات الله وسلامه على صفوته من خلقه : « إياكم وخضراء الدمن . قالوا :
وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الجميلة في المنبت السوء » ! وقال « تخيروا
لنطفكم فإن العرق دساس » وقال : « لا تتزوجوا الحمقاء ولا الورهاء فان اللبن يمدى »
وقد امتن رجل على أولاده فقال :

وأول إحسانى اليكم ، تخيرى لما جدة الأعراق باد عفانها

* * *

وبعد - فقد حث الرسول على الزواج بقدر دعوته إلى عدم المغالاة في المهور ، فليست بناتنا سلعا نغالى لها في الثمن ، ولكننا جواهر كريمة نبغى لها المنزل الآمن ، والمحل الأكرم ، فهل أتى فريقا من الناس انحرفوا في ذلك عن الصراط السوى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيسرهن صداقا أكثرهن بركة » وقوله : « لاتغالوا في مهور النساء فانما هي سقيا الله » . . « التمس ولو خاتما من حديد » . . « تزوجها على سورة كذا أو آية كذا من القرآن » ! .

فبأى كتاب يبرر الذين يجنبون عن الزواج إعراضهم عنه ! وهل نراهم بعد إلا غادين إلى ذات الدين في هذه الأضواء الدينية والاجتماعية ابتغاء رضوان الله وقرارا لعين رسول الله الذى قال : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ؟ !

« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » ما

معوضى عوضى إبراهيم

الواعظ العام

حرية الصحافة عندنا

كتب الأستاذ جمال العطينى المحامى إلى الأهرام يقول :

« إن الطريقة التى مازالت تنشر بها الصحافة أخبار الحوادث والتحقيقات ، بل ومجرد البلاغات ، هى أقرب إلى التجسس وترصد خطوات الناس وتسقط هفواتهم والتشهير بهم والاعتداء على حرمة خصوصياتهم »

وإنها فى ممارستها حريتها تعتدى بذلك على حريات الناس .

إننا لا نريد حق النشر أن ينقلب فيصبح شهوة النشر .

حكم تلحين القرآن

كثر الكلام في هذه الأيام عن تلحين القرآن ، وهل هو حلال مقبول أو حرام محظور ؟

ونمهد لذلك بكلمة فنقول :

إن القرآن هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، هو اللفظ العربي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المنقول عنه نقلاً متواتراً ، المتعبد بتلاوته ، المتجدد بأقصر سورة منه . وقد استمر نقله واتصلت روايته لفظاً وتلاوة بالتواتر القاطع من لدن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى وقتنا هذا .

وهي مزية - كما قال الحافظ ابن حزم في الملل والنحل - خص الله بها المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ؛ ولذلك بقي القرآن غصاً جديداً على مر الدهور .

وقد اعتنى المسلمون - وبخاصة القراء منهم - بالقرآن عناية لم يعنوا بها لشيء ما في هذا الوجود ؛ فاستنبط أئمتهم « من التلاوة المروية أحكاماً ضابطة لها » ووضعوا قواعد ومعايير لكيفية النطق المشروع الذي نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ من المد والحسن والإدغام والوقف والإمالة وما إلى ذلك من أحكام تجعل قراءة القارئ مطابقة كل المطابقة لقراءة النبي عليه الصلاة والسلام ، وليتلى القرآن بالكيفية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم رواية متصلة اتصالاً لا ريب فيه .

وبعد هذا التمهيد نقول :

إننا إذا أردنا تكوين رأي صحيح في التلحين مبنى على أسس صحيحة نرى أن نورد الأسئلة الآتية ، ونطلب إجابة واضحة محددة عنها ، فالإجابة عنها هكذا فيها القول الفصل والحكم العدل :

٣ — وما مدى معرفة الذين يريدون التلحين بقواعد التلاوة وبعلم القرآن ؟

فأن كما مراد المنادين بالتلحين هو تحسين الصوت بالقرآن تحسينا يبعث على تدبره وتفهمه وتسكون به القراءة أشد تأثرا في النفس، وخشوعا في القلب، واعتبارا في العقل، فذلك جائز لامرية فيه، بل هو مطلوب مرغوب؛ قال جل شأنه: « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب » وقال سبحانه تنديدا بالمعاندین : « أفلا يتدبرون القرآن » وقال عز من قائل : « ورتل القرآن ترتيلا » .

والترتيل في قراءة القرآن - كما قال القرطبي في تفسيره ، وكما قال البدر العيني في شرحه للبخارى - هو التأنى في أدائها وتبيين حروفها وحركاتها ، لتكون أدعى إلى فهم معانيها .
روى البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ على » . قال : قلت اقرأ عليك ، عليك أنزل ؟ قال إني أشتهى أن أسمع من غيري .
قال : فقرأت النساء حتى إذا بلغت : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » قال لي : كف ، أو : أمسك ، فرأيت عينيه تذرفان » .

فهذه الآيات والأحاديث وكثير مثلها تدل بجلاء على أن المطلوب بالقراءة إنما هي القراءة التي تذكر الإنسان بربه ، وتبعثه على تدبر القرآن وتفهم معانيه ، وتؤثر في نفسه التأثير الذي يحرك قلبه ويجعله خاشعا حتى تذرف عيناه كما ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله الذي نزله يقول فيه : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ويقول سبحانه : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

وروى الطبراني بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتخزن فيه » [١] .

وإن كان المراد تطريبه والتغنى به بالنغمات المحدثه المركبة على الأوزان والأوضاع الملهمية والقانون الموسيقي الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن المقطع عن المعنى المراد والخشوع

المطلوب دون تقيد بقوانين القراءة ، وقواعد التلاوة ، فالقرآن ينزه عن هذا ؛ ويجل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك ؛ فقد روى الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيئ قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » [١] .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا تهذوا بالقرآن هذ الشعر [٢] ، ولا تنثروه نثر الدقل [٣] ، وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب [٤] .

وروى البخارى بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يأذن الله لشئ ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتغنى بالقرآن ؛ وقال صاحب له : يريد يمجهر به » . وقال السكرمانى : يمجهر به معناه بتحسين صوته وتحزينه وترقيقه ويستحب ذلك ما لم يخرج الألفان عن حد القراءة ؛ فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفى حرفاً فهو حرام [٥] .

والخلاصة أن الذين ينادون بالتلحين إن كانوا يريدون المعنى الأول فنحن وهم على سواء .

وإن كانوا يريدون المعنى الآخر - ولعله الظاهر عرفاً - فقد بان خطره ، ووضحت حرمة وعدم إباحته .

ولعلمهم يزعمون أن تلحين القرآن وتطريبه من دواعى كثرة ترديده وحفظه ؛ وهو أمر مطلوب مرغوب شرعاً ، وما دام الأمر كذلك فكيف لا يكون مباحاً ؛ ألا ترى

[١] فضائل القرآن لابن كثير ص ١٢٦

[٢] الهذ بالذال المعجمة المشددة مرعة لقطع والمرور فيه من غير تأمل المعنى كما ينشد الشعر وتعد أياته وقوافيه - العيني .

[٣] الدقل : أردأ القر .

[٤] زاد المعاد ج ١ ص ١٢٦ ، وفريب منه في البخارى باب الترتيل في القراءة .

[٥] العيني على البخارى باب من لم يتغن بالقرآن .

أن كثيرا من قصائد المديح حفظها الناس حينما لحنها المالحنون ، وغناها المغنون ، ولولا ذلك ما حفظها إلا قل من الناس .

وهذا كلام ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ؛ فلو سلمنا أن تلحين القرآن على هذا النحو من دواعي حفظه فلا يصلح ذلك عذرا لنا أمام الله تعالى ؛ فتطريبه والنطق به على غير النحو الذى نزل به والذى تواترت القراءة به من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا تغيير لما أنزل الله ، ولما وعد به فى كتابه من حفظه كما نزله .

ونحن الآن نكتب القرآن طبق ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بكتابته ؛ وكما أجمع عليه أمر الصحابة فى زمن عثمان رضى الله عنه ، ولم نزل هذه الطريقة مثبتة مرعية إلى وقتنا هذا ، على الرغم من أنها لا تتشى فى بعض الأحيان مع قواعد الإملاء المعروفة لنا .

وإذا كنا نبالغ فى المحافظة على رسمه وكتابته إلى هذا الحد ، أفلا نبالغ فى المحافظة على نطقه وقراءته كما قرأه الرسول صلوات الله عليه ، وكما تلقاه عنه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

والسر فى هذا ظاهر غير خفى ؛ فالمسلمون يريدون أن يحافظوا على كتابهم كما نقل إليهم بالتواتر الذى لا ريب فيه ، وهذه ميزة للقرآن امتاز بها عن سائر الكتب السماوية ، فلا يستطيع إنسان فى هذا العالم أن يزعم أن شيئا مما فى التوراة والإنجيل هو نفس الألفاظ التى نطق بها موسى أو عيسى عليهما السلام .

أما نحن معاشر المسلمين فلنا أن نفخر بأن كتابنا الذى نقرؤه ونكتبه نقرؤه كما قرأه نبينا على أسلافنا ، وكما كتبه وقرأه الصحابة الذين سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ يقول الإمام الحافظ ابن حزم فى الملل والنحل : « وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل (يعنى المتواتر) شئ أصلا » .

إذن فقراءتنا للقرآن كما وصل إلينا ميزة لكتابنا - كما قلنا - لا يعدها أى شئ مهما كان ، ولو كان ذلك الشئ من عوامل حفظه وكثرة ترديده .

إذا ثبت ذلك فما الحاجة التي تدعو للتلحين ؟

لا نريد أن نتهم مسلماً بأنه يريد سوءاً بالقرآن ، فمعاذ الله أن يكون منا ذلك لمسلم كأئنا من كان ، فقد نص فقهاؤنا رحمهم الله في مثل ما نحن فيه على أنه يجب حمل حال المسلم على الصلاح إذا ما بدر منه ما يعتبر انحرافاً عن الجادة وميلاً عن الصراط المستقيم .

وأغلب الظن عندنا أن تلك الفكرة التي يتحمس لها البعض ما هي إلا دسيسة أدخلت بطريقة لامعة براقة على بعض السذج من المسلمين وزينت لهم حتى اعتنقوها وآمنوا بها بل سعوا إلى تروييحها لاعتقادهم أن في ذلك الخير لكتاب الله تعالى .

على أننا نسأل هؤلاء الذين ينادون بالتلحين عن السر في إثارة مثل هذه الموضوعات الآن ؟

ولمصلحة من إثارتهما ؟ وما المفسدة التي يجب درؤها في بقاء التلاوة على الكيفية نقرأ بها والتي وصلت إلينا متواترة من نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولا أشك في أنهم لا يحIRON جواباً ولا يستطيعون قولاً .

ثم نسألهم مرة أخرى عن مدى معرفتهم بقواعد التلاوة المروية وعلوم القرآن . إنهم بلا شك لا يعرفون من علومه إلا النزر القليل الذي لا يغني عن الحق فتيلاً ، فأولى بهم ثم أولى أن يدعوا ما لا يعرفون إلى ما يحسنون القول فيه . هـدانا الله وإياهم سواء السبيل .

وصفوة القول أن التلحين الذي يخل بجلال القرآن ويتدبره وخشوع القلب لا يقره مسلم ولا يرضاه لكتاب الله الذي أنزل هدى ونورا ، وموعظة واعتباراً وتذكيراً وإرشاداً فتلحينه وتطريبه بالمعنى الذي يقصد إليه المتنادون بالتلحين خروج بهـذا الذكر الحكيم والنور المبين إلى غير ما أنزل من أجله وانحراف مهين إلى غير وجهه .

ويقيننا أن إخواننا الذين يدعون للتلحين لو عرفوا حقيقة الأمر لما دعوا إليه ، ولأنوا بجانبهم وأعرضوا عن هذه الوسوس التي يزينها الشياطين ويوسوسون بها .

وفقنا الله وإياهم للعمل بالقرآن وهدى القرآن ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . والسلام على من أتبع الهدى .

أبو زبر شلي

أستاذ بكلية أصول الدين

دعائم المجتمع الاسلامى :

مظاهر النظام فى الاسلام

النظام أساس هذا الكون الرحيب الواسع ؛ ولو فسد النظام فى الكون لفسد أمر السموات والأرض ومن فيهن . وقد أبدع البارئ ملكه على أدق نظام وأعمق إحسان ، وقال سبحانه : « إنا كل شئ خلقناه بقدر » . وقد أوجد الله الإنسان والمكان والزمان ، وألهمنا أن لكل إنسان فى الحياة عملاً يقوم به ، وينبغى له أن يحسنه ؛ وأن لكل مكان ما يناسبه ويلائمه ، وأن الزمان يجب أن يكون فرصة للعمل والسعى ، وإلا انقلب غصة ؛ ولا يمكن الانتفاع بهذا الزمان على وجهه إلا إذا عرف الإنسان له حدوداً ، وأخضعه للنظام والترتيب ، ولاءم بين زمانه وأعماله ، وقد أشار تبارك وتعالى إلى مثل هذا الضبط والتنظيم بقوله : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » .

والمشاهد أن كثيرا من الناس لا يحسنون السعى أو التصرف فى الحياة بسبب مخالفتهم مبادئ النظام وقواعد الترتيب ؛ فهم يخلطون عملاً بعمل ، وقد يقبلون على العمل فى غير إبانته ، فلا يأتى على وجهه ، وقد يؤخرون العمل عن أوانه ، فيجور على وقت غيره من الأعمال ، وقد يسرفون فى العمل ، فيؤدى بهم هذا الإسراف بعد قليل إلى إسراف فى الركود والكسل ؛ إلى غير ذلك من مظاهر القوضى والاضطراب .

والإسلام الحكيم القويم قد أعطى النظام حقه الموفور من العناية والاهتمام ، ليلفت الأبصار والبصائر إليه ، ويحمل أتباعه عليه ، فلا يقولون ولا يعملون ولا يسعون فى حياتهم إلا بنظام وإحكام ؛ وإذا نظرنا القواعد الأساسية التى بنى عليها الإسلام وجدناها تنهض بالنظام وعلى النظام ؛ فكلمة التوحيد نظام فى الاعتقاد ، إذ هى إقرار بالعبودية لإله واحد لا يشركه فى ملكه أو تديره سواه ؛ وإذا توافر الإخلاص فى ذلك

الاعتقاد استقام العبد على طريق واحد مستقيم ، ولم تتفرق به السبل عن وجه ربه . .
ولا شك أن توحيد الطريق المعروف الغاية والنهاية نظام أى نظام . . .

* * *

وهذه الصلاة اليومية المتكررة خمس مرات كل يوم وليلة ، أقامها الله على النظام والتحديد ، ولم يدعها مبهمه غامضة متروكة لهوى المرء الذى قد يضل وقد ينسى ، فقال تبارك وتعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » . أى فرضا ثابتا ثبوت الكتابة فى اللوح أو الطرس ؟ وموقوتا أى منجما فى أوقات معلومة محدودة ، لا بد من أدائها فيما قدرا لإمكان ؛ والله يطالب بها حتى فى مواطن عدم الاستقرار ، فهو يقبل الصلاة مقصورة فى السفر ، ومقسومة فى حال الحرب ، وغير كاملة الهيئات والحركات فى المرض المانع من الإتيان بكل حركاتها ؛ فذلك الأداء المحدود فى الموعد المحدد خير من تأخيرها عن ميقاتها لتأديتها كاملة فيما بعد ؛ وهذا تنظيم بليغ ، وربط حكيم بين الوقت والعمل المخصص له .

عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . ثم كتب أن صلوا الظهر إذا كان النوى (أى الظل) ذراعا ، إلى أن يكون ظل أحدكم مثله ؛ والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس ؛ والمغرب إذا غربت الشمس ؛ والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل ، فمن نام فلا نامت عينه ، فمن نامت فلا نامت عينه ؛ والصبح والنجوم بادية مشبكة . . . وهذا تبيان عمري ، يحكى ما نظمته الإسلام على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام من أمر الصلاة ومواقيت الصلاة .

* * *

وهذا هو الصيام . . . لم يكب الله علينا مطلق صوم ، ولم يكلفنا بمدة صوم مجهولة أو متروكة لتقدير كل إنسان ؛ بل نظم ذلك وحدده ، فقال تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات »

أى محددات معينة بالعدد ، وهى أيام رمضان الذى ذكره عقب ذلك بقوله عز من قائل : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وزاد الإسلام الصوم تنظيما وتحديدًا ، فجعل لبدأيته حدا معلوما هو الفجر ، ولنهايته حدا معلوما هو غروب الشمس .

وتعقب السنة القرآن المجيد فى توضيح أمر الصيام ، فيقول الحديث : « لاتصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غم عليكم فأكلوا العدد ثلاثين » .

* * *

والزكاة وهى نصيب الفقراء فى مال الأغنياء ، وهى الحق الواجب للسائل والمحروم ، لم يتركها الله سبحانه غامضة مبهمه ، ولم يكلها فى مقاديرها ومواعيدها إلى النفوس التى قد تشح وقد تنحس ، بل حدد الإسلام مواعيدها ومصارفها ، وأحصت السنة الأشياء التى تجب فيها ، وفصلت الكثير من أمورها ، وفى القرآن الكريم : وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهة ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

فزكاة الزرع تجب يوم القطف والحنى عندما يطيب المزروع ، وزكاة المال تجب عندما يحول عليه الحول ويتم على حيازته العام ، والمقدار معلوم ، فهو إما العشر ، وإما نصف العشر ، والمستحقون للزكاة حددتهم آية التوبة ، والآية الكريمة السابقة تنهى عن الإسراف وتذم أمره ، والإسراف إما إفراط أو تفريط ، وليس بينهما إلا التوسط والاعتدال ، وذلك هو عين النظام .

* * *

ثم يأتى الحج ، ذلك الغرض الواجب فى العمر مرة واحدة . . . لم يدعه الله للهوى والاختيار ، بل حدد وقته ، ونظم عمله ، ورتب شئونه ، ودعا الناس إليه فى وقت واحد ومكان واحد ، وحول بيت واحد ، ولهدف واحد ، والقرآن الكريم يقول : « الحج

أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونى يا أولى الألباب » .

فيحرم المسلم بالحج في أشهره المعلومات المحدودة ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، والوقوف بعرفة يجب أن يسكون في اليوم التاسع من ذى الحجة ، وبقية المناسك في أيام العيد . وبعد الآية السابقة بآيات يقول القرآن المجيد : « واذكروا الله في أيام معدودات ، فمن تمجّل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ، واتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه تحشرون » .

والأيام المعدودات هى الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة ، وهى الأيام المعينة المحددة لرمى الحجارة ونحر الضحايا والهدى ، وقد جمعت الآية بين التحديد وبين التوسعة الخفيفة ، فمن فعل ذلك في اليومين الأولين جاز ، ومن أخر إلى الثالث جاز ، ولكن لا يخرج عن الثلاثة ...

ولو استعرضنا أمور الزواج والطلاق والعدة والرضاع والبيوع والمعاملات في الإسلام ، لوجدناها مقامة على التنظيم والتنسيق ، وهذا كله يوحى إلى المسلم أن يكون في أمره على نظام ، لأن النظام يوفر المجهود ، ويضاعف الثمرة ، بينما تذهب الفوضى بالمجهود ، وتقضى على الثمرات .

إن الله أقام كونه على النظام ، وجاء انقرآن بالنظام ، وبذيت قواعد الإسلام على النظام ، فيجب أن نكون أمة النظام ...

أحمد الترابى

المدرس بالأزهر الشريف

شفاعة المروءة

رفع رجل إلى أمير المؤمنين عمر في جرم اقترفه ، فأراد معاقبته ، فأخبر أن له مروءة فقال : « استوهبوه من صاحبه » .

حظوظ الدنيا وحظوظ الآخرة

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً - وسعد جالس فيهم - قال سعد : فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من لم يعطه ، وهو أعجبهم إلى . فقلت يا رسول الله ، مالك عن فلان . فوالله إنى لأراه مؤمناً ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلماً . قال فسكت قليلاً . ثم غلبنى ما أعلم منه ، فقلت : يا رسول الله ، مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمناً ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلماً . قال : فسكت قليلاً . ثم غلبنى ما علمت منه ، فقلت : يا رسول الله ، مالك عن فلان ، فوالله إنى لأراه مؤمناً ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مسلماً . إنى لأعطي الرجل - وغيره أحب إلى منه - خشية أن يكب في النار على وجهه .

رواه البخارى ومسلم فى الإيمان والزكاة . واللفظ لمسلم فى الزكاة .

تقديم : أعطى رهطاً . أى مالا . والرهط العدد من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى الأربعين . والأول هو المشهور ، ومعنى أعجبهم إلى : أفضلهم وأصابعهم فى اعتقادي ، وفلان : كناية عن اسم أبهم بعد أن ذكر . لأنه لم يتعلق ببيان غرض . والمراد به فى الحديث جعيل بن سراقبة الضمرى المهاجرى رضى الله عنه ، وتقدير مالك عن فلان ؟ ! أى أى سبب لعدولك بالعطاء عنه . والاستفهام هنا للتعجب من ذلك . وقد يجوز أن يكون على حقيقته التى هى طلب العلم أى بالسبب ، ويروى : لأراه بفتح الهمزة : أى لأعلمه ، وبضمها : أى لأظنه . وجرم بالثانى القرطبي وغيره ، ولم يجوزه النووى محتجا بقوله الآتى : ثم غلبنى ما أعلم منه . ونوقش بأن العلم قد يأتى بمعنى الظن الغالب كقوله تعالى « فان علمتموهن مؤمنات » ، و « أو » فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلماً . بمعنى : بل . مثلها فى قوله تعالى « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » على أحد القولين فيها ، وفى العبارة حذف تقديره : قل : إنى لأراه مسلماً ، والإيمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإسلام معناه الانقياد والدخول فى السلم . وهو إظهار الإيمان ، والإقرار بالشهادتين باللسان ، والعمل بالأركان .

قال تعالى « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ولما كان الإيمان من أفعال القلوب وعلمها عند الله أرشد النبي صلى الله عليه وسلم سعدا إلى أن يحكم بالظاهر . وهو الإسلام . لا بالباطن . وهو الإيمان . وهذا وقد يتساوى معنى الإيمان والإسلام كما هو شأن المسلمين الصادقين . ولكن ذلك علمه عند الله تعالى كقوله « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » وقوله « إن الدين عند الله الإسلام » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « خشية أن يكب في النار على وجهه » . مبنى للمجهول من كبه إذا صرعه وألقاه على وجهه . واللازم منه أكب على عكس القاعدة والضمير فيه عائذ على الرجل وهو المعطى . أى إني لأعطي الرجل خشية أن يكب إذا لم أعطه في النار على وجهه بكفره أو عصيانه لتعلمه بالدنيا ، وتفنته بها .

المعنى :

قال النووي في شرح مسلم : معنى هذا الحديث أن سعدا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى ناسا ، ويترك من هو أفضل منهم في الدين ، وظن أن العطاء يكون بحسب الفضائل في الدين ، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم حال هذا الإنسان المتروك فأعلمه به ، وحلف أنه يعلمه مؤمنا . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلما . فلم يفهم منه النهى عن الشفاعة فيه مرة أخرى .

هذا كلام النووي . وأوضح منه أنه نهى عن الحكم على الرجل بما لا يعلمه إلا الله ، وهو الإيمان . لأنه من صفات القلوب ، وإرشاد لما هو الأولى بالحكم به . وهو الإسلام . لأنه ظاهر لكل إنسان ، وقد نحا النووي نفسه هذا المنحنى في شرح هذا الحديث في . وضع آخر فقال : ليس فيه إنكار كونه مؤمنا ، بل معناه أن لفظ الإسلام أولى به . فإن الإسلام معلوم بحكم الظاهر ، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله . قال النووي . فسكت ثم رآه من هو دونه بكثير فغلبه ما يعلم من حسن حال ذلك الإنسان فقال : يا رسول الله ، مالك عن فلان ؟ ! تذكر . وجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هم بعطائه من المرة الأولى ثم نسيه فأراد تذكره . هذا كلام النووي . ويحتمل سؤال سعد أو تعجبه أن يكون قد فهم من صرف العطاء عن هذا الرجل أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعده من المؤمنين . بل ينكر ذلك وينفيه . بدليل هذا التكرار في السؤال مع ما صحبه من ضروب التأكيـد .

ثم قال النووي : وهكذا المرة الثالثة إلى أن أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن العطاء ليس هو على حسب الفضائل في الدين فقال صلى الله عليه وسلم « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار » .

معناه : إني أعطى ناسا مؤلفة في إيمانهم ضعف لو لم أعطهم كفروا فيكبرهم الله في النار ، وأترك أقواما أحب إلى من الذين أعطيتهم ، ولا أتركهم احتقارا لهم ، ولا لنقص في دينهم ، ولا لإهمالا لجانهم . بل أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم من النور والإيمان التام ، وأثق بأنهم لا يتزلزل إيمانهم لكفاله ، وقد ثبت هذا المعنى في صحيح البخارى . (أى فى حديث آخر فان هذا أيضا من رواية) عن عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال أوسى فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا . فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمد الله تعالى ، ثم أنفى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلى من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلوع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير .

هذا وينبغي أن نأخذ من مثل هذا الحديث عظة شافية لما في صدورنا . معشر المؤمنين فيما نلقى من حلول العيش ومره ، وخير الزمان وشره . فان ما كان من ذلك على هوى النفس ورضاها ليس مقياسا لمنزلة الإنسان عنده ، ولا دليلا على مرتبته في دينه ، كما أن ما يصيبه مما يذكره ليس دليلا على سخط الله عليه ، ولا على تقصير في عبادته . ولا منافاة بين ذلك وبين ارتباط البركات العامة في المال والبنين باستقامة الأئمة ، وصلاح الجماعات . كما يقول الله تعالى في أهل الكتاب « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » . كما يقول جل شأنه « والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » . كما يقول حكاية عن نوح عليه السلام يعظ به قومه ويشرهم « استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » . . فان ذلك هو الحكم العام الذى كتبه الله - والله أعلم - لعامة المؤمنين عونا لهم على الثبوت على الإيمان والأخذ بالدين ، وإعازا للأئمة المؤمنة بين العالمين ، وإعفاء لجمهورهم مما لا يحتمله ولا يطيقه إلا القلة من خواص المؤمنين الذين جعل الله غناهم في قلوبهم ، وسعادتهم فيما عند ربهم ، وفي هذا يقول سفيان الثوري وهو من أئمة الزاهدين - رحمه الله :

لو يعلم المملوك ما في قلبه من الغنى لخالدونا عليه بالسيوف . وصدق . ففي الحديث « ليس الغنى عن كثرة العرض . ولكن الغنى غنى النفس » وقد أفصح بمثل هذا الفرق بين الأُمم والأفراد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة « والله يرزق من يشاء بغير حساب » قال بعد بيان أن الأبرار والفقراء يعني أفرادهم في الجملة أمام ذلك الحكم سواء إلا ما يؤثر به الله الأبرار من الأحوال والخصال التي تجعلهم أقوى على الصبر والاحتمال : وأما الأُمم فأمرها على غير هذا . فإن الأمة التي ترونها فقيرة ذليلة معدومة مهينة لا يمكن أن تكون متقية لأسباب نعم الله وسخطه . بالجرى على سننه الحكيمه وشريعته العادلة . ولم يكن من سنة الله تعالى أن يرزق الأمة العزة والثروة والقوة والسلطة من حيث لا تحتسب ولا تقدر ، ولا تعمل ولا تدبر . بل يعطيها بعملها ويسلبها بزلها (١) .

هذا وفي الحديث من دلائل النبوة علم النبي صلى الله عليه وسلم بأحوال القلوب . فهو يعطى القلوب الجزعة الهالعة ، ويكل الأخرى إلى ما جعل الله فيها من الغنى والخير ، وهذا مما يجعل العطاء على هذا الوجه من خواصه صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عن بعض هؤلاء المؤلفه قلوبهم أنهم كانوا يساهون طمعا في العطاء فلا تغرب شمس ذلك اليوم على أحدهم إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس . فقد جرى هذا العطاء إذن مجرى الدواء لبعض أمراض القلوب التي عانى الله منها كل ذى قلب سليم من خواص المؤمنين .

ولا منافاة بين هذا الحديث أيضا وبين الخس على العمل والكسب وابتغاء الخير كالذى سبق لنا في بعض أعداد هذه المجلة [٢] في حديث « إن الله يحب العبد التقي الغنى الخفي » فقد علمت من مقاصد العمل والكسب هنالك ما يجعله عبادة محضة . كسد حاجة النفس ، وحفظ ماء الوجه ، وصيانة العرض ، وصلة الرحم ، وإغناء الوارث ، وإغاثة الملهوف ، والعون على نوائب المعروف ، وإعلاء كلمة الحق ، ونصرة الدين . وكل أولئك لا يجعل الدنيا مقصدا ولا غاية هؤلاء العاملين المخلصين . كما لم تكن دليلا على حال الصالحين ، ولا مقياسا لمنزلة المتقين .

(١) تفسير المنار - ٢ - ص ٢٧٤ و ص ٢٧٥

(٢) جزء ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ

أغراض الحديث وما يؤخذ منه :

في الحديث كما قال النووي :

- (١) الشفاعة إلى ولاية الأمور فيما ليس بمحرم .
- (٢) وفيه مراجعة المسئول في الأمر الواحد .
- (٣) وفيه تنبيه المفضل والفاضل على ما يراه مصلحة .
- (٤) وفيه أن الفاضل لا يقبل ما يشار عليه به مطلقا بل يتأمله فإن لم تظهر مصلحة لم يعمل به .
- (٥) وفيه كما قال هو وغيره أن الإمام يصرف المال في مصالح المسلمين الأهم فالأهم
- (٦) هذا وفيه غير ما ذكر هنا الإرشاد إلى ما هو الأولى من الحكم بالظاهر وترك الحكم بالباطن .
- (٧) وفيه مثل من مجاهدة الأنبياء عليهم السلام لنفوسهم في القيام بأمر الدين حتى إنهم ليمنعون على المحبة ويعطون على العداوة . كما يفعل الأطباء في منع ما يضر وإعطاء ما ينفع من الدواء .

محمد فرج المقدمه

المدرس بكلية اللغة العربية

الاعتدال

من شاء أن يربي أبنائه على مبادئ الحرية فلينبث فيهم روح الاعتدال والبساطة ، ولا يخشى تأثير ذلك في السعادة ، فإن الاعتدال من أسباب الحصول عليها .

شارل وايز

من غرائب الاستشهاد في تاريخ الإسلام :

موسى بن أبى الغسان

ليث الأندلس الشهيد [١]

أعندكم نبأ عن أهل أندلس كم يستغيث بنو المستضعفين وهم	فقد سرى بحديث القوم ركبان أسرى وقتلى ، فأيتهزأ إنسان ! (الرندي)
---	---

نعجب بالبطل السكى إذا قاد الجحافل الجواراة ، من نصر إلى نصر ، ورمى بأبطاله المغاوير من ميدان إلى ميدان ، فأحرز المفاز الرائعة بجهادهم المستميت ، وتركوا لاسمه الخالد صدى يدوى ، وذكرًا يتردد ، وهو من ورأئهم يرسم الخطة ويدير المعركة حتى يقتعد غارب المجد ، معتمدا على جنوده الأشاوس ، وقواه الهائلة ، مع ما منحه الله من شجاعة حازمة وعقل مدبر حصيف .

ولسكن العجب يتجاوز حده فيصل إلى الروعة والإدهاش حين نرى بطلا آخر لا يملك من الجنود كتائب متراحمة ، ولا يحوز من الذخيرة قوى متناسبة ، بل يركن إلى نفر قليل من ذوى العزم ، ويقف أمام عدد محشد متكاثريموج في آلاته وأسلحته وقذائفه ، ومع ذلك كله نرى البطل المغامر يقذف بنفسه في لجج الموت ، ويتصور أن كتيبته المحدودة قوة عاتية ، فيهجم بها كالإعصار ، وينقض أمامها كالصاعقة ، لا يعبا بعاقبة ، ولا يهتم بموت ، بل إنه ليتأكد من الخاتمة الرهيبة ، ثم لا يثنى في اندفاعه ملييا نداء البطولة ، ومرحبا بالاستشهاد في سبيل المبدأ والعقيدة ، فاذا أبطأ عليه قليلا طار إليه موفور الكرامة

[١] انظر مسرحية [فارس غرناطة] في الجزئين الثالث والرابع من سفتنا السادسة والعشرين

مرفوع الرأس ، يرشد الأجيال القادمة إلى أن الموت في نور الحرية يفضل الحياة في ليل المذلة والاستعباد ، وهذا ما فعله البطل الأندلسي العظيم موسى بن أبي الغسان !!

ونحن لايمكنتنا أن نعقد موازنة ما بين هذا البطل العظيم ، وغيره ممن اعتمدوا في انتصاراتهم على الذخيرة الموفورة ، والعدد الكثير ، فبطلنا المغوار فدائى يطلب الشهادة غير مترقب جاها في دولة أو منصبا في مملكة ، والثاني رجل باسل تزدهم في صدره الآمال ، ويتروقب اليوم الذى يتألق فيه كوكبه على مسرح السياسة والسلطان ، وبهذا الأمل المشرق يندفع بجيشه الحافل ، وعدده المتكاثر ، ولئن جاز لنا أن نقدر فيه روائع البطولة ، وعظمة القيادة ، فان تقديرنا العظيم ليتزايد ويمتد إلى أقصى مدى يتاح لذلك الذى فقد الأمل في أحلك مواقفه ، فأثبت في الكريهة قدميه ليموت مرفوع الجبين ، كريم الإباء .

كان موسى بن أبي الغسان فارس غرناطة من أشجع من عرفهم التاريخ من الأبطال ، وقد انضم إلى أكرم اصول العرب في غرناطة ، فأورثه محتده العربى همة عالية وإباء عنيقا ، واتخذ الشباب الغرناطى مثلا نادرا في الفروسية والبطولة ، وتطلعت العقائل من وراء الحدود ليشهدنه - ممتطيا جواده - في درعه السابغ ، وسيفه اللامع ، وقد سارت أحاديث بطولته ، فأرهبت العدو الزاحف ، ولو تقدم به الزمن حينما ما لاستطاع أن ينقذ الإسلام بكفأته وفدائيته ، ولكنه أتى في الرمق الأخير ، وشاهد الاحتضار الفاجع ، فما استطاع أن يدفع بالحياة إلى ميت طريح !!

كانت غرناطة في أيامها الأخيرة مصابة بما أصيبت به الأندلس عامة من تنازع المطامع ، وتناحر الأهواء ، واشتداد الفتن والثورات ، وتسلط الأجنبية من بنات النصرانى ، ذوات الضغائن والأحقاد ، على الصعاليك من الملوك والوزراء . ولئن كان ابن حزم قد قال في أيامه « قضية لم يأت الدهر بمثلا ، أربعة رجال يسمى كل واحد منهم نفسه أمير المؤمنين : واحد بـاشبيلية ، والثاني بالجزيرة الخضراء ، والثالث بمالقة ، والرابع بسبته » فان الشر بعد ابن حزم قد تفاقم وتطايروا حتى كادت كل مدينة أن تصبح بنفسها ذات ملك وإدارة وجيش !! بينما أخذ العدو يتجمع ويتآزر وقد فتح عينيه على المدن الإسلامية ، ينصب الأشرار ويقيم الثورات ، ويبعث الدسائس والأرصاء ، حتى أفلح في تقويض الصرح الشاهق فأنهار متخاذل الدعائم ، مفقت اللبنة .

وكان من الحظ الأشأم أن تسلم غرناطة مفايلدها قبل مصرعها الأخير إلى أبى عبد الله ابن الأحمر ، وهو ملك لم يخلق للقيادة والكفاح ، بل انحصرت آماله وانكسحت آفاهه إلى مدى يحتقره ذوو الهمم والمطامح ! ! ثم هوى الوقت نفسه يرضى بأن يكون آلة مستخرة في يد « فرديناند الخامس » يضرب به ذوى قرابته من المسلمين فتقوم الثورات الداخلية وتزايد الحرب الأهلية ثم يهيئ له ملك الفرنجة محاربة عمه « محمد بن سعيد الزغل » فتقسم غرناطة الصغيرة إلى قسمين : قسم يحكمه أبو عبد الله وقسم يسيطر عليه عمه ، ويهتبل فرديناند فرصة التناحر الداخلى فينقض أولا على « الزغل » ويخلص منه خلوصا يضمن له السيطرة على بلاده المحدودة ! وإذ ذاك يتابع خطته الماكرة فيزحف إلى غرناطة وهى يومئذ عزلاء شلاء ! ! فيهجم عليها هجوم الصاعقة ، وتحين الساعة الفاصلة لتصطرع القلعة المتخاذلة مع العدو الحاقد فى قوته العاتية وبأسه الشديد ! !

إن سياسة « فرق تسد » تلك التى يستغلها الاستعمار الغربى فى عصرنا الراهن ، ليست وليدة هذا القرن ، ولكن جذورها تمتد فى أعماق الأجيال إلى مدى شاسع يعرفه من يطالع صحف التاريخ ، ويلم بالبواغث الأصيلة لسقوط الحضارات وانهيار الأجماد ، ومع أن تاريخ الأندلس فى عهد ملوك الطوائف حافل بشتى العظاى البالغة ، والعبر القاسية ، فإن هذا الملك الصغير قد أغمض عينيه عما يزدحم به الأفق من غواش دامية ، وأوصد أذنه عما تقدم به الناصحون من رأب الصدع ، وجمع الكلمة ، ولن نغفى عمه من التشريب والملامة ، فقد كان عليه أن يكون أشد حصانة ، وأوسع إدراكا ، فيجنىح إلى المسالمة ، فى جو تحوم فيه النصور الجارحة فوق ضعاف العسافير ، ولكنها الأناىة المفرطة التى تقدس الذات وتهوى بالمثل الرفيعة ، مهما رجفت الأهوال وتطأيرت الخطوب ، وما هو ذا فرديناند يزحف بخيله ورجله ليجو العروبة والإسلام من ربوعهما الزاهرة ! ! وليصفع هذين القزمين صفة ألىة تهوى بهما إلى القاع ! ! ثم تدور الدائرة فلا تبقى لدى الرجلين غير ذكريات خزينة يلغنها الأسى وتكفنها الإنشجان ! !

سارت جيوش العدو إلى غرناطة وقد حسبتها مائدة حلوة الازدرداد ، ومنهلا عذب الورد ، ففرديناند أدرى الناس بتضعضع ابن الأحمر وتخاذله ، ولكنه لا يدرى أن الأقدار قد اصطففت موسى بن أبى الغسان ليجرعه كؤوس العلمم والصاب ، فقد بادر القائد العربى الباسل إلى تنظيم السرايا ، وتهيئة العدد ، وأخذ يقود الكتائب بنفسه ، وينقض على الجمع المتكاثر ، مع الصفوة المختارة من جنوده ، فيتخن ويصرع ! !

ويظهر من خوارق البطولة ما يفوق الظنون ويعدو الأوهام ، حتى تحير فرد يناند في أمره وأصبح اسم موسى مثار الفلق والفرع من نفسه ، فهو يعجب لقائد في كتيبة صغيرة ، يفر أمامه الطوانان اللجب كقطيع متخاذل ، تفزعه طلبة رثبال جرى. ! !

وإذا لم تجد القوة الطاغية في بأس البطل السكى ، فقد عمد العدو إلى حصار غرناطة من كل ناحية ، فواجه موسى أزمة اقتصادية حادة كانت أشد عليه من طعن السيوف والرماح ، فقد نفذت المؤن ، وتلوت بطون الجياع من الأطفال والنساء والسهول ! ! ولكنه اعتمد على ذكائه اللامع ، فوضع بنفسه نظاما خاصا لتوزيع الطعام ، وقاد الفرق القدائية من الشباب الباسل للتسلل بين الثغرات ، واختطف المؤن من برائن الأعداء ! ! ونظر العدو الكتائب الصغيرة تنقض انقضاضا طائرا فتخطف المؤن وتسرع بها إلى البطون الساغبة والأحشاء المنتخبة فتمطمع من جوع ، وتدفع من برد ! ! ولم يجد الحصار شيئا في تضعضع القوى ، وانخذال العزيمة كما كانوا يظنون ! ! وإذا ذاك صمم فرد يناند على اقتحام أسوار المدينة ، وأصدر أمره السريع بالزحف ، ولكن عين موسى تمتد إلى خارج الأسوار ، فتدرك ما طرأ من التجمع والتحفز ، ويرى أن يتخذ للموقف عدته ، فيجهز كتائبه ، ويخرج إلى اللقاء دون اكتراث بالحشد الزاخر والعتاد الوفير ، ودارت معركة رهيبه بين قوتين غير متكافئتين ، وأبلى المساهون بلاء حسنا ، فقتلوا من أعدائهم جموعا كثيرة ، ولكن الكثرة الكثيرة تغلب وتتقدم ، فانسحب موسى إلى الوراء وهو يضطرم غيظا لما يشاهد ، فقد عدم السلاح والرجال ، إلا نفرا لم تغن شجاعته شيئا إزاء ما يواجهون من فيضان صليبي يكتسح السهول ويعشى الأنظار ، وقد بادر القائد القدائي فأغلق أبواب غرناطة وتراجع ليبحث في الأمر بعد أن تفاقم الشر وانداع اللهب ! !

اجتمع أبو عبد الله بن الأحمر مع رجاله وأعيان دولته ، يتشاورون فيما عسى أن يكون ، وقد سد عليهم اليأس كل سبيل ، فشبح الهزيمة يدنو ويقرب ، وقد نفذت المؤن وتراكت الجثث ، وأخذ حاكم المدينة أبو القاسم بن عبد الملك يشرح الموقف على حقيقته ، وقد نكست الرعوس واندلعت الحسرة في القلوب ، وأجمع الحاضرون على أن الشعب لم يعد يستطيع دفاعا في حومة خاسرة مهلكة ، فالاستسلام وحده هو الحل الأصوب للأزق الضائق ! ولئن أقنع هذا جميع الرؤساء من يتشاورون ، فإن موسى وحده ينفرد بالمعارضة ويرى مواصلة الدفاع مفضلا أن تفنى قوات المدينة ، ويصرع أبطالها بعد أن يصرعوا

أضعاف عددهم من أعدائهم ، وإذ ذاك يدفع العدو ثمن غرناطة باهظا فتتعاظمه النجبة وينقلب نصره إلى مآثم نواح ! .

رأى جرىء تدفعه غيرة الشباب ، ويمليه طموح القائد وفدائيته ، ولكنه مرهق عسير لا سبيل لتنفيذه بحال ، فقد أقر المجتمعون الصلح ، ووفد عليهم رسول فرديناند يحمل شروطه المغرية ، موشاة بوعوده المسولة وخداعه البراق ، وشروط العدو مقبولة في مثل هذا المأزق البهيم لو تمسك بها صاحبها فارتبط بما تعاقده عليه من موثيق ، ولكنه يقدمها يمينه ليزقها بشماله بعد أن ينتهى التوقيع ، وتستسلم المدينة إلى عدوها المغير ! .

قرأ موسى شروط العدو ، فماذا رأى ؟ رأى سبعة وستين شرطا تتضمن إخلاص العدو ووفاءه ! فهو يود إطلاق سراح الأسرى من المسلمين والنصارى بلا فدية ! يطمنن العرب على دينهم وأعراضهم وحرثهم مع إجازة من يريد الهجرة إلى بلاد المغرب ، وسيقطع أبا عبد الله بن الأحمر ضياعا واسعة يعيش فيها بقية حياته ! وعلى المدينة أن تقدم خمسمائة شاب من أبطالها رهينة تضمن الوفاء والطاعة ، وأن يقسم الملك وكبار القادة يمين الولاء للملكى قشتالة وأرغون ! .

قرأ موسى الشروط وابتسم ! فهو يعلم أن هذا الغادر قد نكت كثيرا بما سبق أن تعاهد عليه ، فبالأمس القريب عاهد صاحب « مالقة » حتى إذا تمكن منه قذف به في بئر مظلم رهيب ، ثم ساق المسلمين أرقاء إلى إشبيلية ، فسلط عليهم الأسنة والحراب ، وأقام المشانق والأنطاع ، وأجبرهم على الانسلاخ من دينهم العزيز ، وانتكح حرمت المساجد ، وعيث بقوانين الإسلام ، وصنع ما يصنع الحاقد الألد ، وقد تمكن من غريمه الواهن الضعيف ، فشرب من دمه ، ونثر أشلاءه على الثرى أكداسا فوق أكداس ! .

لقد قرأ المجتمعون الشروط ، وانفرد موسى بالمعارضة ، وذهب أبو عبد الله ليسلم مفاتيح المدينة ، بينما انطلق موسى فلبس درعه السابعة ، وركب جواده الأصيل ، وأعد من شبابه الفدائيين كتبية بأسلة ، تقذف بأرواحها في صفوف العدو ، وقد تعاهد الأبطال أن يقوموا بهجوم جنونى ماحق ، فهم قلة ضئيلة لا ثابت أن تتجمع عليهم الكتائب فتعصف بهم في أقرب مدى يتاح ، فعليهم - وقد صمموا على الاستشهاد - أن يدعوا منطق الروية والتدبير ، فيعملوا سيوفهم ذات اليمين وذات الشمال طائرين متوشين ليأخذوا بالثار الناقم قبل أن يتهاووا إلى مصارعهم مستشهدين ! .

وطارت النسور إلى ميدانها الرهيب فكأن إعصارا يهب فيكسح الصفوف ! ! وفتح

الفرنجية أعينهم على كتيبة صغيرة تحقق ما تأتي عليه !! وقائدها الباسل يطير من صف إلى صف فينثر الأشلاء ، ويقط الرقاب ، ! ولقد تجمع الطوفان العرمم بعد أن أذهلته روعة المفاجأة ، وأحاط بالفدائيين مناضلا مجلدا ، وبعد كفاح عاصف مرير صعدت أرواح الشهداء قريرة مغتبطة برضوان الله ، أما موسى العظيم فقد اعتورته السيوف وتقاذفته الرماح فما وجدت من دروعه السوايغ منفذا تصيب منه مقتلا يرديه ، إلا بعد أن ذبح كثيرا من أعدائه ، وحين تكاثر عليه الجمع قذف بنفسه إلى الموج فاحتضنه النهر دون أن يسلم جثته للباغين !! وكأني به وقد قرعنا بما صنع ، فودع الحياة وقد أعذر نفسه أمام ضميره ؛ ذلك الضمير الثائر الطموح الذي ارتفع بصاحبه عن ضعف البشرية واستسلامها ، وطار به إلى أفق سامق لا تبلغه ذات جناح !

واحسرتاه !! لو كان هذا الموقف الخالد لبطل غربي لأقيمت له النصب ، ودونت في شجاعته الأسفار ، ولأصبح إسمه مقطوعه رائعة من أناشيد البطولة تتردد على الشفاه وتصدح بها الأتاور ، ولسكننا لا نجد من مؤرخي المسلمين من يعكف عن دراسة سيرة هذا الفارس الأشم !! إلا كلمات متناثرة تتفرق وتتباعد ، فإذا لم يكن مصرعه النبيل الأبى مذكيا للعواطف وملهبا للأحاسيس فيخلده الشعراء في ملاحمهم ، والقصاص في رواياتهم !! فأى موقف بعده يتخذ مهبطا للالهام وافقا للشعاع !! وفي تاريخ الإسلام مئات من الأبطال قدموا أنفسهم للموت وهم يدركون نهايتهم الرهيبة ويرونها رأى العين دون أن يعقد بهم خور ، وأن ينكص بهم إحجام !! فأين ما كتبه مؤلفو العرب عن هؤلاء !! إن الذل الاستعماري قد جرى في العروق ودب في العظام ، فأصبح الكاتب المسلم يفرد المجلدات الوسعة ليتحدث عن نابليون وغربالدى والأسكندر !! ثم يرضن يبحث على بطل ممتاز كموسى بن أبي الغسان !! فلا يكاد يلتفت إليه شاعر محقق ، أو مؤرخ محقق ، أو قصصى أديب .

وقد كان ما توقع البطل الفدائي أن يكون ! فقد غدر فرديناند بما أخذه على نفسه ، فأخذ ينتحل الأسباب الظالمة لمحاكمة المسلمين ، وأوقد المحارق لإعدام البررة ممن ثبتوا على دينهم ، واضطر كثيرون إلى التنصر لسانا لا قلبا ، وانهكت أعراض ، وذبحت رقاب ! وتسألني أين كان المسلمون في المشرق حينذاك وقد صرع الاسلام في الأندلس فما وجد ظهيرا يلوذ به أو سنداً يحيمه ؟ ؟ لقد تطوع بعض الكتاب بالإجابة عن هذا السؤال ، فأبدى معاذير مختلفة لاتمنع المؤاخذه والملامة ، وهى بعد ، فروض واهية لاتثبت لتحجيص دقيق ، أو ميزان مستقيم . فما لاشك فيه أن العثمانيين وحدهم في قوتهم الباسلة

وسلاطنتهم المرهوب كانوا أقدر المسلمين على إغاثة اللهياف ونجدة المكروب ، ولكن أفقهم المحدود جمد بالدم فى العروق فلم تعصف بنفوسهم حمية ، أو تدفع بمعوتهم نخوة ، ! ! أجل لقد وجد من الكتاب من يبرر تقصير المسلمين عامة عن النهوض بالأندلس من بكتوتها الماحقة ، فيقول عن أهل المغرب فى العدو إنهم كانوا فى ثورة مضطربة لحروب نشبت بين أنفاذ بنى مرين فما استطاعوا أن يقوموا بواجب الإسلام فى نصرة أخوانهم المسلمين ، بينما احتل الأسبان ثغور العدو فحاصروا غرناطة جنوبا وشرقا بالأسطابل وشمالا وغربا بالجنود ! ! كما يقال فى معرض التبشير عن بنى الإسلام فى مصر وتركيا حديث كله عجب ! ! فقد زعم الزاعمون أن قايتباى رجل مصر ، قد تشاور مع بايزيد الثانى صاحب تركيا على إنقاذ غرناطة ، ولكن فرديناند قد أقنع سلطان مصر بوساطة سفيره الماكر « بطرس مارتير » بأن الأسبان يدافعون عن أنفسهم أناسا غضبوا ديارهم ونهبوا أموالهم ! فاقنع الرجل بما سمع ، وآثر السلامة مع صاحبه بايزيد ، ! ولعمري إن كلمة الحق ليجب أن تقال قاسية أليمة فى هؤلاء المتواكلين عامة ، وفى الأتراك بنوع خاص ، فبنو مصر والمغرب قد يلتمس لهم بعض العذر فى قلة الحيلة وضعف الجهد ، أما بنو عثمان فما كانوا فى الواقع يحرضون على ازدهار الإسلام وانتعاشه حرصهم على الغنائم والأسلاب وما يتبعهما من السيطرة النافذة والظل المديد ، ولو نفذ هؤلاء تعليم الإسلام فيما ملكوا من الدول وفتحوا من البلاد لأشرقت شمس الإسلام فى أماكن يلفها الظلام ، وتغمرها الدياجير ، ولكن مستعمراتهم الواهنة ما كادت تحس تخاذلهم المترنخ حتى انتقضت تخلع عنها نير الذل والاستعباد ، ولو آمنت هذه الشعوب رحمة الإسلام وعدالته فى أناس لا يحملون منه غير اسمه لقدست فى إكبار دين الحرية والعدالة والمساواة ! ! وحسبك أن مصر - وهى المسلمة العريقة - قد لقيت من عنت بنى عثمان ما جعل أبناءها المسلمين ينقمون على إخوانهم فى الدين ما يلقون على أيديهم من الذلة والاعتصاب ! ! فما بالك بأهم لم تعرف شيئا عن منابع الإسلام ومبادئه الكريمة فى الرحمة والحرية والمساواة ! ! هؤلاء هم الأتراك العثمانيون ! !

أما ملوك الإسلام الآخرون فى شتى ممالكهم المتناثرة فقد حملوا معهم - فى تغافلهم الشائن وتكاسلهم المؤسف - أكبر تبعه توجهه إلى إخوة جمع بينهم الدين ، ووحدهم المشاعر والأحاسيس ! .

سلام على الأندلس الشهيدة ! وتحية عاطرة إلى روح شهيدها الفدائى موسى بن أبى الغسان

محمد رجب البيومى

فى فردوسه البهيج .

عيد الجلاء

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فهذا الشهر العظيم ، الذى يتوسط بين عيدين إسلاميين عظيمين ، قد أراد الله العلى القدير ، أن يجمع فيه للمصريين جميعا — مسلمين وغير مسلمين — ، أعيادا وطنية رائعة ، ويجعل منه موسم أفراح ومهرجانات قومية زاهرة ، وأن يشهد فيه العالم كله ، آثار ما حبا الله به مصر ، — على أيدي رجال الثورة ، وبفضل جهودهم وكفاحهم ، وصدق عزائمهم ، وقوة إيمانهم — ، من النعم العظمى ، والفضل الكبير .

فى هذا اليوم الأغر الميمون ، وفى غمرة الفرح والابتهاج ، بجلاء جيش الاحتلال البريطانى ، أتهز هذه المناسبة السعيدة ، لأنشر فى الآفاق جميعها ، قريبا وبعيدا ، شرقها وغربها ، تحية الإكبار والتبجيل ، والوفاء وعرفان الجليل ، لتلك النخبة من أبطال الجيش المصرى ، قادة الثورة الأحرار .

وأود هنا أن استمهل السامعين قليلا ، لندعو الله تعالى ونبتل إليه ، ونستمطر سبحانه جوده وإحسانه ، — ومثوبته ورضوانه — على تلاحم الأرواح الطاهرة الزكية ، أرواح شهدائنا الأبرار ، ورجال ثوراتنا السابقين ، لقاء ما قدموا لدينهم ووطنهم ، من أعمال صالحة ، وقربات عظيمة عند الله .

لقد جاهد أسلافنا فى سبيل الوطن العزيز ، ما وسعهم الجهاد ، وضخوا فى ميدان الشرف ، بما قدر لهم من نصيب ، حملوا رأيه الجهاد ، تنشرها عزيماتهم حينما ، وتطويها الأحداث أحيانا ، وصارعوا قوى الشر والطغيان ، يواتيهم النصر مرة ، وتخذلهم خيانة النفعيين وعمال الاستعمار مرات .

فلما أراد الله سبحانه وتعالى للبلاد ، أن تنطلق من ربة الذل وإغلال الاحتلال ، وأن تتجلى عنها غواشى الظلم والطغيان ، هيا سبحانه وتعالى لذلك أسبابه ، ويسر وسائله ، وقامت الثورة الحاضرة بزعامة الرجل العظيم القوى الأمين « جمال عبد الناصر » . تقدم هذه الثورة يحمل لواءها ، فى شجاعة وحزم ، لا تلين فئاته لوعد أو وعيد ، ولا تفتر عزيمته لترغيب أو ترهيب .

قامت هذه الثورة عاقلة حكيمة - ولما تكون في الأمم أو الشعوب ثورات لها عقل أو حكمة ، - فحقق بها قاداتها لمصر - في أقل من أربع سنوات - من أعمال الإصلاح والإنشاء والتعمير ، وإزالة الفساد وعوامل الفساد ، والقضاء على الاحتكار والاستغلال ، والاستبداد والاحتلال ، ما لا يستطيعه أضعاف أضعاف عددهم في عشرات السنين .

قد أكرم الله مصر بهؤلاء الرجال قادة الثورة ، فتية أحرارا ، مؤمنين مخلصين ، لا يبالون - في سبيل إعزازهم ووطنهم ، وإسعاد أمتهم - بما يلاقون من تعب ونصب ، ولا يأبهون لما يعترضهم في هذا السبيل من شدائد وعقبات .

ولا عجب ، فانهم هم الذين صمموا النية ، وعقدوا صادق العزم - منذ أول كفاحهم - على أن يقدموا أرواحهم فداء لوطنهم ليظهره من فساد الحكم ، واستغلال النفوذ ، واستبداد طبقة المثرين المترفين ، وتسلبهم بالإرهاق والإغصات ، على سائر الطبقات . . وليخلصوا البلاد من الاحتلال البريطاني الذي جثم على صدرها كابوسا ثقيلا مدى أربعة وسبعين عاما حرمتها من كل نشاط ، وحال بينها وبين كل تقدم ، وعمل بشديد قوته وحيلته على أن يقتل فيها كل حيوية تتمتع بها الأمم الحرة المستقلة .

إن الاحتلال البغيض - وهو في جميع ألوانه وأحواله ومذاهبه بغيض مقيت - لا يعنيه من البسائد التي يحتلها ، ويطغى بالعتو والجبروت على أهلها ، إلا أن يستغل موارها ، ويستولى على منابع ثروتها ، ويسخر جميع مرافقها وكل جهود أصحابها ، لمنافعه الخاصة ، هذه المنافع التي يستبيح للوصول إليها كل وسيلة ، ولو كانت عدوانا أشد العدوان على كرامة الآدمية والحقوق الإنسانية ، أو على حرية العقيدة الدينية . وسياسة الاحتلال والاستعمار ، جنوبى إفريقيا وشمالها ما تزال تحدث أقوى الحديث وأصدق عن مبلغ الامتهان والإذلال والتنكيل والتقتيل الذي يصب على الإنسانية صبا بأيدي دعاة العدالة والمساواة والحرية ، ومدعى التبشير بحقوق الإنسان وكرامة الإنسان ! .

إن هذه الثورة الناهضة ، الرشيدة العاملة ، لها عنوانها الناطق ، وقلوبها النابض ، ورأسها المفكر ، ورمزها الحى ، وقائدها القوى الأمين .

ذلكم هو الرئيس « جمال عبد الناصر » فلقد عرف كيف يحسن الوقفات ، ويسدد الضربات ، ويكسب الحلولات ، وكيف يقاوم الزعازع والتيارات ، ومختلف التديريات : زعازع الحرب التي استمرت تشنها عليه دول الغرب ، هي حرب أعصاب أجادوا طرائقها

وأحكموا أساليبها ، وجهزوا لها جميع أسلحتها ، وزودوها بكل ما عندهم من تهديدات ومغريات ، ثم تيارات الإشاعات ، وتديرات الفتن والاضطرابات التي كان يحكمها ويحكم أطرافها ، أولئك الاتهازيون المتربصون ، الذين خسروا بالثورة ما كان لهم من ترف فاسد ومتاع وشهوات .

إن بطل الثورة ، وقائدها الحر الأمين ، قد دحر بقوة قلبه وخالص إيمانه ، تلك القوى والتكتلات ، وقضى بحكمته وثباته وافتح بصيرته ، على جميع تلك الأعاصير والتيارات ، وخرج من كل هذه المعارك فائزاً منصوراً بعناية الله القوى القدير .

أيها المصريون : الآن قد حق الحق وبطل الباطل ، وحمل الاحتلال عصاه على كتفه ورحل . فماذا أنتم فاعلون ؟ لقد دخلتم في مرحلة العمل ، لاسعاد الوطن وحفظ كيانه ، وعلى حدود البلاد عدو سافر ، متحفز متوثب ، ومن ورائه اعداء مقنعون ، يعدونه بالسلاح والذخيرة والعتاد ، نخذوا حذرهم ، وثقوا بجيشكم ، ووفروا له من القوة ، كل ما يحتاج إليه في حماية الوطن ، والدفاع عن حوزته . لقد وضحت لكم معالم الطريق ، وفتحت أمامكم أبواب العمل الصالح المثمر ، وأصبحتم متكافلين متضامين ، فابدلوا كل جهودكم ، في إسعاد أمتكم وإعزاز دينكم وعروببتكم . والله ينصركم ، وهو خير الناصرين .

ألا وإنكم ستدعون عما قريب ، إلى الافتاء في دستوركم الجديد ، الذي أرسى قواعد الشورى ، ويمكن أساس العدل والتعاون ، لإقامة حكم نيابي سليم ، يكفل لجميع المواطنين الحرية والمساواة ، كما أنكم ستدعون إلى انتخاب رئيس الجمهورية ، بخدوا جدكم ، وسابقوا في خير وطنكم ، لا يفوتن احدا منكم ذلك الشرف العظيم .

أيها المصريون : إنى قد عزمت بمشيئة الله تعالى - وذلك من أعز ما يسعدنى ويشرفنى - أن أتقدم في المهرجان العام ، مهرجان الجلاء ، أحمل بنفسى علما من أعلام النهضة ، وراية عظيمة من رايات الكفاح في مراحل الثورة المصرية كلها ، قديمها وحديثها ، ذلكم هو علم الأزهر الشريف .

أتقدم به بأسى وباسم رجال الأزهر - إلى بطل الثورة ، وباعث النهضة ، الرئيس العظيم « جمال عبد الناصر » عهدا متينا على متابعة العمل والكفاح والوفاء ، ومبايعة أكيدة على النصر والإخلاص والولاء ، مبايعة يوثقها ويذكرها كتاب الله العزيز ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الرحمن تاج

عيد الأضحى

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه وكل من والاه ، واهتدى بهداه .

أما بعد ، فإنه يطيب لى فى هذا اليوم الكريم يوم العيد الأكبر ، أن أبعث إلى إخوانى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، بتحية الإسلام طيبة مباركة ، وأن أتوجه إليهم فى هذه المناسبة المحيطة ، بالتهنئة الخالصة زكية عطوة ... فسلام الله ورحمته وبركاته على كل من طابت أنفسهم بعقيدة الإسلام وتزكت سرائرهم بروح الإيمان ، واستحضروا فى هذا اليوم حادث الابتلاء العظيم ، الذى امتحن الله به إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما أفضل الصلاة والتسليم . واتخذوا منه عبرة ، وأسوة حسنة ، فى الصبر والجلد وقوة العزم والجهاد فى سبيل مرضاة الله ، فلقد ضرب سيدنا إبراهيم وابنه عليهما السلام ، فى الصبر والثبات ، والبذل والتضحية ، أعلى مثل يذكر فى العالمين ، ويكرمان به عند الله فى مقدمة عباده الصادقين المخلصين ، ولقد كرم الله فيهما هذا الصدق وهذا الإخلاص ، وجازاهما على الصبر والثبات خير الجزاء ، وأكرمهما على البذل والتضحية بنعمة الفداء ، فدى به اسماعيل عند ما أسلم نفسه ذبيحا لأبيه إبراهيم ، طاعة لله وامتنالا لأمر الله العلى الكبير الرؤوف الرحيم . ومن هنا كانت التضحية فى هذا اليوم ، سنة من سنن الإسلام ، وشعيرة كريمة من شعائره ، تخليدا لذكرى الفداء العظيم .

أيها المسلمون : إنى أهنيكم بهذا العيد الأكبر عيد الأضحى ، وعيد النعمة الكبرى ، نعمة فداء اسماعيل ، الأب الأعلى لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

وأهنيكم فى هذه المناسبة ، بتلك النهضة الواعية ، التى سرت فى أقطار المسلمين ، وبتلك الروح القوية ، التى دبّت فى قلوب المؤمنين روح التعاطف والتناصر والتعاون على جمع الكلمة ، والعمل على إصلاح شأن الأمة ، وإعداد العدة فى إخلاص وعزم وحكمة ، لتقوية الروابط بين الأمم والشعوب ، وللتعاون على إقرار السلام فى الأرض ، مع من يحبون فى الأرض السلام .

وأهني حجاج بيت الله الحرام ، بتوفيق الله إياهم لأداء هذه الشعيرة التي هي من أعظم الأركان التي بنى عليها الإسلام . إنهم جديرون بهذه التهنئة ، سعداء بهذا التوفيق ، فإن أجمل ما يغبط المرء عليه ، وأجل ما يحمد من أجله ، وخير ما يتخلى المسلم لأخيه المسلم ويرجوه له التشجيع به ، والتزود منه ، أن يرى جادا في طاعة الله ، مشغولا قلبه ولسانه وفكره وسائر أركانه بما فيه مرضاة الله . وهذه أمور قد فسحت لها الشريعة المجال ، وهيات فيها مختلف الفرص ، وأوسع هذه المجالات وأرحبها ما هيأته للمسلم بفرض شعيرة الحج ، وما أتاحته له بها في كل عام ، من التمتع بفترة استجمام تهدأ فيها نفسه من اضطراب الحياة المادية وصخبها ، ويستريح من عنائها ونصبها ، ويخلص بها إلى نوع عظيم من الرياضة الروحية ، يتفرغ فيها للاقبال على الله بالذكر والفكر ، وبجميل الحمد والشكر ، وبخالص التوبة وصدق الإنابة ، ويزود من ذلك كله لمستقبل أمره في هذه الحياة ، ومستقبل أمره في الحياة الآخرة الدائمة الباقية ، بزيادة إيمان ، وثبات جنان وقوة عزم ، وبكل ما فيه تزكية النفس ، وتطهير الضمير ، وإلجال الحرص على التمسك والاعتصام بحبل الله المتين ، الذي يعصم من الشرور والفتن ، ويحجي من الوقوع في حبائل الشيطان .

هذا هو الحج ، وهذه فضائله وآثاره ، وهذا هو ما يغبط الحجاج عليه ، ويرجى لهم كل الخير من أجله . لكن هذا في الحقيقة ليس هو كل ما للحج من فضائل ومزايا ، فليست آثار الحج الطيبة مقصورة على إصلاح المستقبل ، والتزود له بما يثر الخير والبر ، بل إن هذه الآثار لها نور قوى تشع به على ما قد يكون للإنسان من عمل سيئ في ماضى حياته ، فتبديد ظلماته ونحو سيئاته ، وبذلك يعود المؤمن المخلص من حجة مطمئن النفس ، عظيم الرجاء ، قوى الأمل ، في عون الله له في المستقبل ، وعفوه عنه فيما مضى ، وهذا هو جماع سعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

أيها الحجاج إلى بيت الله الحرام ! أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وإن «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» كما ورد في الحديث النبوى الصحيح .

هذا الحديث يدل على فضل الحج وما له من الأثر العظيم . في تكفير الذنوب ، التي اقترفها الحاج في ما ضيه ، فانه صريح في أن الحج إذا كان خالصا لله تعالى ، لا يقصد به شيء من متع الدنيا وרגائبها ، ثم وقع طاهرا صافيا لا يشوبه شيء من كدورات المعاصي والآثام ، ولا من فحش القول وقبحه ولغوّه ، فانه يكون حجا مبرورا يعود به صاحبه مطهرا من دنس الخطايا التي يسكون قد اقترفها في حياته ، فتصير صفحة سيئاته

بيضاء ، أشبه بما كانت عليه يوم ولدت أمه . والسّر في هذا أن شعائر الحج ومناسكه ومواقفه - ولاسيما الطواف بالكعبة ، ووقوف الحجاج بالملتزم بين الباب والحجر الأسود ، ضارعين الى الله مستغفرين ، باكين خاشعين ، هي من أقوى الدوافع على الندم والتوبة ، وعلى الخشية والإنابة ، وعلى تذلل العبد لربه وضراسته اليه ، أن يغفر له ذنوبه ، ويتجاوز عن سيئاته ؛ ويكرمه بقبول دعائه ، فهى مواطن تسكب فيها العبرات وتستجاب الدعوات ، ويرجع منها الحاج مطهرا من الخطايا والآثام ، صغيرها وكبيرها ان شاء الله .

أن التوبة الخالصة ، التوبة النصوح الصادقة ، التي تبدد ظلمة المعاصي وتمحو السيئات هي التي يحترق فيها قلب المؤمن بنار الألم والحسرة على ما فرط في جنب الله وعلى ما اقترف من معصية الله ، يستعيد فيها صفحة ماضية ، ويذكر فيها كل ما يقلق نفسه من معاصيه . فينفطر لذلك قلبه ، وترتد فرائضه ، وترتج سائر جوانحه وأركانه ، ثم تسيل عبراته سخينة ، من أثر تحرق القلب وانفعال النفس بالاسى والأسف . من غير أن يكون في ذلك أثر لتكلف أو تصنع ولا تظاهر أو رياء ، وإنما هو الخضوع لله والخشية من سطوة الله وإنما هو صدق العبد في اقراره بذنبه ، واعترافه به فيما بينه وبين ربه . هذه هي التوبة التي تسكف ماضى الذنوب وتذيب السيئات ، وهى التي تبعث على الاستقامة والتقوى وعمل الصالحات ، وهى التي يظللها وعد الله الكريم في قوله تعالى : « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » . هذه التوبة لها مظان ومواطن كثيرة في الحج ، ولها مجالات فسيحة في مناسكه وشعائره ومواقفه ، فليكن هم الحاج أن يحسن أداء هذه الشعائر والمناسك ، وليجتهد في أن يظفر من تلك المواقف ، بتوبة خالصة صادقة ، يصفق بها قلبه ، ويتقبلها ربه ، وتستقيم بها في الصالحات اعماله ، ويكون بها في مستقبل امره ، احسن حالا وأشد استقامة مما كان عليه في ماضيه .

أن من علامات الحج المبرور أن يكون الحاج في حياته المستقبلية : في سلوكه الخاص وفي معاملاته وعلاقاته بالناس ، احسن استقامة وأشد تمسكا بالدين وأحكام الشريعة منه قبل أداء الحج ، فان الله يعين التائب الخالص ؛ ويتولاه بالهداية والتوفيق ، وينصره على دواعى الشر وعوامل الفتنة ، « ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز »

أسأل الله الكريم أن يقبل توبة الصادقين ، وأن يجمع كلمة المسلمين ، وأن ينصرهم على أعدائهم الباغين ، وأن يعيد امثال هذا اليوم على العالم الإسلامى باليمن والخير والبركة والسلام .

عيد الثورة - ٢٣ يوليو

كلمة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فأنا في أعياد متتابعة ، ومواسم أفرح متصلة ، يسلم بعضها لبعض ، ويأتى بعضها في أعقاب بعض ، أعياد دينية إسلامية ، وأعياد وطنية قومية ، يتم لنا الابتهاج بها جميعها في ثلاثة أشهر الحج ، من هذا العام السعيد الميمون .

احتفلنا بعيد الفطر المبارك ، الذى شرعه الله ، ليفرح فيه المسلمون في جميع بقاع الأرض ، بما وفقهم الله من إتمام شعيرة الصوم ، التى هى من أركان الإسلام ، وإحدى قواعده الأربع بعد كلمة الإيمان .

واحتفلنا بالعيد الوطنى العظيم ، عيد الجلاء وانسحاب القوات الأجنبية ، قوات الاحتلال والاستعمار ، عن أرض الوطن العزيز ، هو الاستقلال الحقيقى ، الذى استرد به الشعب حقه فى السيادة الكاملة ، والهيمنة القوية المطلقة ، على جميع شؤون البلاد ومرافقها ، بعد أن كانت فى يد الأجنبي الغاصب ردحا طويلا من الزمن يتحكم فيها بالظلم والعدوان . ثم احتفلنا بالعيد الدينى الأكبر ، عيد الأضحى عيد الفداء ، الذى شرعه الله تعالى ، لتؤكد فيه روابطنا ، ونقوى به وحدتنا ، ونجسد فيه كل عام ذكريات طيبة مجيدة ، ونستعيد به صفحات تاريخية رائعة ، هى حقائق واقعية يقينية ، حدث عنها القرآن فى آياته المحسنة . التى مجد فيها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وأشاد فيها بما أوحى الله به من الأمر ببناء الكعبة لتكون مطافا للمؤمنين ، وبما شرعه الله سبحانه من شعائر الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، وبأنواع الهدى والأضحية ، التى يذكر بها دائما حدث ذلك الذبح العظيم ، الذى كان فداء لسيدنا إسماعيل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

واليوم نخطف بثانى العيدين الوطنيين ، ولكننا فى الحقيقة أولهما بحسب الترتيب الواقعى ، هو عيد الثورة ، التى انفجرت بها الوطنية المكبوتة والتى هب بها أحرار الشعب من رجال الجيش ، بقيادة البطل الماهر ، الزعيم الأمين جمال عبد الناصر ، فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ .

هذه الثورة هي أساس النهضة ، وهي الجهاد الحق ، الجهاد المؤمن المخلص ، الذى قضى على الفساد ، وأزاح الأجنبي عن البلاد، ونالت به مصر استقلالها الكامل الصريح . هبت هذه الثورة شديدة قوية ، ولكن فى حزم وحكمة ، فقضت بحركة واحدة ، أو بحركتين متشابهتين ، على ألوان الطغيان والفساد ، وعلى الجور والاستبداد ، قضت على الفساد والطغيان الداخلى ، وعلى الجور والاستبداد والطغيان الخارجى .

كانت الأمة كلها - بعد استثناء جماعة الدخلاء على الوطنية المصرية ، من أولئك المترفين المفتونين ، الذين كانوا يرون أنفسهم السادة والأمراء ، ويرون بقية أفراد الشعب المصرى من الوطنيين الحقيقيين عبيدا وخداما أذلاء - كانت الأمة المصرية جميعها - بعد استثناء تلك الجماعة - ساخطة على فساد الأوضاع ، وعلى الأساليب التى كانت تحكم بها البلاد ، صارخة من الظلم والاضطهاد ، متبرمة أشد التبرم بتسلط الإنجليز واحتلال الإنجليز ، فقامت بثورة سنة ١٩١٩ التى ضربت أقوى الأمثلة فى البذل والتضحية ، فلقد كانت ثورة الجماهير وحدها ثورة شعب أعزل من كل سلاح خفيف أو ثقيل ، وكانت هتافات الشعب ونداءاته بالحرية والاستقلال وسقوط الاحتلال ، لا تقابل من جانب القوات المحتلة ، إلا برصاص البنادق والرشاشات ومن نجا من الموت ضمنه السجون والمعتقلات . لم يشارك الجيش حينئذ فى تلك الثورة ثورة ١٩١٩ بكثير ولا قليل ، ولماذا ؟ ألم يكن هناك جيش يمكنه إلى حد ما أن يسند تلك المظاهرات الشعبية الإجماعية التى تطالب بحقوق المهضوم ؟ . بلى ، قد كان هناك جيش اسمه الجيش المصرى : جنود وضباط من رتب مختلفة ترتقى إلى رتبة الأميرال والواء وحتى رتبة الفريق ، ولكنه كان جيشا يفقد القيادة الوطنية السليمة ، كالا خاضعا لسلطان الدولة المحتلة مسيرا بأوامرها ، فلم يستطع أن يتحرك منه فرد أو جماعة ضد طغيانها أو يعمل على تخفيف ضغطها ، على الشعب الأعزل المسكين .

ثم كان لهذا الفساد وهذا البلاء أثره السيئ فى حملة فلسطين ، فقد تعاونت فيها على مصر عوامل الشر والختل والخداع والخيانة ، وكانت الخاتمة الغاشمة الظالمة القاسية تلك الهدنة التى قررت ولم يستطع أو لم يرد تنفيذها إلا على جانب واحد : أريد على أن يستقبل الضربات والطعنات وليس له أن يرد عليها أو يقابل سيئة بمثلها .

ورجع أبطال معركة فلسطين إلى مصر مغبونين مظلومين ، ولكنهم لم يكونوا فاشلين ولا مهزومين ، بل كانوا فى التقدير العدل الحر والتحقيق البرى المنصف فائزين منتصرين .

عادوا أبطالا بحق وعادوا منتصرين بحق وإن كان قد حيل بينهم وبين أن يقضوا بحقوقهم على الباطل ويسحقوه سحقاً . عادوا وكان قد ظهر أمر الخيانة ، وأمر الجهل الفاحش ، الذى كانت تدار به معركة فلسطين والذى كانت تصدر به الأوامر العسكرية - لرجال المعركة - من حجرات الاستراحة فى قصر عابدين فى ظل نصائح الإنجليز وتوجيهات الإنجليز ومجاملتهم باصدار أوامر الانسحاب أو التقهقر أو التوقف على حساب الصالح الوطنى العزيز .

هذا كله - مضافاً إلى سوء الحالة من قبله ، قد طفق به السكيل وفعل فعله فى جميع النفوس الساخطة المتذمرة : نفوس الشعب ونفوس أبناء الشعب الأحرار من رجال الجيش . فكانت الثورة الحاضرة التى أزال الكرب وفرجت الشدة وأنقذت البلاد من الاحتلال والاختلال وحالات الفساد والاستهتار .

فثورة مصر فى سنة ١٩٥٢ كانت ثورة الشعب ؛ يتقدم لتنفيذها الجيش ؛ أو كانت ثورة الجيش ؛ يؤيده ويسنده فيها الشعب . كانت حركة هذه الثورة خاطفة ، لم تلبث إلا ساعات معدودات ، وكانت ثورة بيضاء لم تزهق فيه أرواح ، ولم تسفك دماء .

وهذه المفاجأة الحاسمة ، وهذه السرعة الخاطفة ، التى تمت بها الثورة ؛ فى حركتها الأولى ، هى من غير شك أسلوب قوى من أساليب الثورات ، فلكل ثورة أسلوب تقضى به ظروفها ، وطبيعة مركزها ، ويستقيم إلى الهدف الذى ترمى إليه ، فليس للثورات نظام خاص ، ولا طريق معين محدود ، فكل شعب تأثر له طريقته وأسلوبه فى ثورته .

هذه السرعة الخاطفة ، التى تمت بها الحركة الأولى للثورة ، لم تحتاج إلى كبير معاونة من جماهير الشعب ، بل إنها لم تفسح المجال لهذه الجماهير ، كي تأخذ بنصيبها ، وتشفى غلتها ، وتعلن مقتها وسخطها ، على الفساد الداخلى ، وعلى الاحتلال الأجنبي ، بالطريقة التى أعلنت بها مقتها وسخطها وغضبها فى ثورة سنة ١٩١٩ .

على أنه لم يكن فى ثورة سنة ١٩٥٢ محل لحركات الجماهير ، التى كثيرا ما تخرج عن حدود النظام ، وكثيرا ما تلجأ إلى أعمال التخريب والتدمير ، وتحريق المحطات وتقطيع خطوط المواصلات ، على الطريقة التى أظهر بها الشعب سخطه فى ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كانت هذه الأعمال فى تلك الثورة مقصودا بها الإنجليز ، لشل حركتهم ، ومقاومة سطوتهم ؛ والرد على عدوانهم وتسلبهم .

أما في سنة ١٩٥٢ فقد كانت الحركة الأولى للثورة ؛ موجهة ضد الفساد الداخلي وأصحابه ؛ وضد الفجور وأهله ؛ وضد المترفين الفاسدين ؛ أدل الإقطاع المتجبرين .

قامت الثورة ضد هذا الشر والفساد ، بقوة عسكرية ، يؤيدها الشعب ويناصرها ، ويسندها بما ينبغي أن يكون من أنواع التأييد والنصرة ، وبالمحافظة على حدود النظام ، والوعي التام .

أما الحركة الثانية للثورة الحاضرة ، وهي التي كانت ضد الاحتلال الأجنبي ، فلم تكن بقوة عسكرية ، ولا مقاومات تدميرية ، لم تكن بحرب وضرب ، وإنما سارت من طريق المفاوضات السياسية ، غير أنها مفاوضات كانت في الجانب المصري ، متشعبة بالروح العسكرية القوية ، التي لا تعرف المداورة والمواربة ، ولا تقبل أساليب الخداع والمداينة ، ولذلك كانت تعمل على النفاذ إلى الغرض في وعى وحزم ، وأن تتجه دائماً إلى الهدف كالسهم ، فأتت ثمرتها ، وأدركت غايتها ، « وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .

هذا - وإن من توفيق الله تعالى أن يكون احتفال البلاد في هذا العام بعيد الثورة ، بعد أن خلصت من آخر أثر من آثار الاحتلال وبعد أن استكملت مقومات مجدها ، وأقامت أركان حياة حرة كريمة ؛ على أساس دستور عظيم رفع موازين العدل ، وصان حقوق الأفراد والجماعات ، وبث في أرجاء الوطن روح النهضة ، وقوى الروابط بين مصر والشعوب المنتصرة للحق ، والعاملة على نشر السلام في الأرض .

ألا إن ابتهاج الوطن بذكرى هذا اليوم المجيد ؛ بضاعفه الفوز بما أفادته البلاد في خلال هذا السنوات الأربع ، على يد قائدها العظيم ، من استقرار شامل ، ونهضة واعية ، وشعور بالقوة والعزة ، وبما أفاء الله عليها ، بفضل سداد رأيه ، وسعة أفقه ، وقوة إيمانه ، وحسن بلائه ، من نصر عظيم وفتح مبين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون »

أسأل الله الكريم أن يحفظ على مصر مجدها وعزها وأن يديم على قائدها التأييد والتوفيق وأن يجمع كلمة الأمم العربية والإسلامية على الحق وينشر بين شعوب العالم روح الخير والبر والوئام وحب السلام .

الموت دفاعا عن الوطن شهادة

بيان فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

إن قرار تأميم قناة السويس الذى اتخذته مصر وأعلنه زعيمها العظيم ورئيس جمهوريتها فى ٢٦ يولييه سنة ١٩٥٦ هو قرار وطنى حكيم قوى فى غاية القوة وأسمى معانى الشرف والعزة والكرامة . وهو عمل مشروع لا ينقصه شئ من الاعتبارات الشرعية والقانونية ، ولا يؤثر على حق مصر فى القيام به ما تزعمه دولتان أو ثلاث دول من الدول الاستغلاية الاستعمارية . وكل الدول التى لا تسيطر على زعمائها روح الاستعمار البغيض والاستبداد الذميمة أعلنت ولا تزال تعلن أن تأميم قناة السويس عمل شرعى وحق خالص لمصر .

نعم : هو حق خالص لمصر ، استطاعت أن تقرره وتعلنه وتنفذه - بعد ما زالت عن أرضها قوات الاحتلال التى كانت متحكمة بالعنف والجبروت فى شؤونها حائلة بينها وبين كل نهوض أو تقدم ، والتى كانت عاملة جاهدة على إضعافها والقضاء على آمالها فى الحرية والاستقلال والتمتع بثمرات الحرية والاستقلال .

إن تأميم قناة السويس - ذلك الحق الشرعى - قد صار حقيقة واقعة هتف لها جميع المصريين وغير المصريين من الذين ذاقوا مرارة الاستعمار والاستعباد واكتنوا بنار الاحتلال والاستبداد . هتفوا لها جميعا وهللوا وكبروا ، حتى الأفراد الذين كانت لهم فى العهود الماضية علاقات مودة خاصة ببعض رجال الاستعمار الذين كانوا يساعدونهم ويساندونهم فى تحقيق مآربهم الخاصة ومنافعهم قد فرحوا فى أعماق نفوسهم بذلك التأميم مؤمنين بأنه عمل موفق عظيم .

فالمصريون اليوم جماعة واحدة وقوة مؤمنة متكاتفه ، لا يسمحون لقناة السويس أن تمتد إليها - بعد تأميمها - أيد استغلاية استعمارية . ولا يمكن أن يسلموا بالأشراف

عليها لأى هيئة دولية أو شركة أجنبية . وهم يستمعيتون - شيوخهم قبل شبابهم - فى الدفاع عن القناة وتأمينها وفى المراقبة لسلامتها وتأمينها .

فليعلم تجار الحروب من أهل الاستعمار والاستغلال المزدول - الذين يلحون باستخدام القوة لإعادة القناة مرة أخرى إلى أحضان الاحتكار الأجنبي، وشركات الاستغلال الانجليزى والفرنسى - إن قناة السويس جزء من الوطن ، وإن الدفاع عن الوطن واجب مقدس . وفرض دينى عام يستوى فيه المسلم والقبلى ، وتعلن النضال فى ساحاته منارات المساجد ونواقيس الكنائس ، فان هذا الواجب المقدس ليس دفاعا عن صالح الإسلام وحده ، وإنما هو دفاع عن الصالح الوطنى العام .

نحن لا نريد أن نردّ على التهديد والتلويح باستخدام القوة للاستيلاء على القناة مرة أخرى بأن محاولة احتلال القناة بالقوة قد يجر إلى حرب عالمية طاحنة، قد تنحسر فيها دول الاستعمار ما بقى لها من جاه وسلطان .

لا نريد أن نرد بهذا أو نلوح به ، وإنما الذى نملكه ونستطيع أن نقرره ونردّ به على ذلك التهديد هو أن الموت فى سبيل الوطنية، وفى الدفاع عن العزة القومية ، وعن الاستقلال والحرية ، أفضل من الحياة فى ظل الاحتلال والاستعباد .

ألا إن رجال الأزهر جميعا ، يعرفون حق المعرفة ، ويؤمنون أقوى الإيمان ، أن الجهاد فى سبيل الدفاع عن الوطن ، جهاد فى سبيل الله ، وهم يدركون أن واجبه الأسمى أن يتأهبوا لهذا الكفاح ، وأن يعدوا العدة لشرف هذا الدفاع . فليعلم الطاغون الباغون أنه حين يجد الجدد ، سيكون الأزهريون فى مقدمة صفوف المجاهدين معترين بقول الله تعالى : « والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

ليعلم ذلك أولئك المستبدون المعتدون ، وليعلموا أن الموت فى هذا السبيل شهادة ، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

عبد الرحمن تاج

شيخ الجامع الأزهر

تعليقا : ٢٩

حكومة تبني ، وكتاب يهدمون

في غمرة من البهجة ، ولهفة من الأمل طلع علينا فتى مصر ورئيس نورتها جمال بتلك التصريحات المفاجئة القوية الصادقة التي زفت إلينا مشروع تأميم شركة القناة . . . وقد عودنا جمال منذ فجر الثورة أن نستقبل من يوم إلى يوم أملا باسما ، ونطرح ياسا كان نحيا ، وأن نسترد كرامة مسلوبة ، ونستعيد حقوقا مغصوبة .

وعجيب أمر هذا البطل نهضت في قلبه الفتى أحاسيس أمته ، وجاشت في وعيه الواعي خواطر شعبه ، وآمال قومه فكان شعلة متقدة ؛ وعزيمة صارمة وقوة نفاذة . عجيب أمر هذا البطل الذي اختط لنفسه أن يفجأنا كل يوم بما كنا نحلم به ولا نطمح فيه : حتى غدونا نترسم خطاه فنراه في صمته أسبق إلى الآمال من أقواله ؛ ونرى الأهداف الشاغحة أخضع لإرادته ، وأطوع لغزيمته من خواطر المتعني .

كم كنا نستبعد أن يكون لنا صوت نجهر به في زحمة الصائحين زورا بالعدالة الاجتماعية ، أو تكون لنا شخصية يرمقها من يدفعوننا ظلما عن مصاف الإنسانية . . . وكما كنا نستبعد أن يصغى إلينا ساسة الغرب لو جأرنا ، أو يتنبهوا لنا إذا تحركنا ؟ !

لقد كاد اليأس يمتزج بالنفوس امتزاج الدم بالجسم لطول ما بلونا من خدع الساسة والسياسيين ، ولكن بطل مصر استطاع بمعونة الله - كما يجري دائما على لسانه - أن يجعل المستحيل في نظرنا أمرا واقعا ، وأن يبدد اليأس ويغرس في القلوب إيمانا أكيدا بأن الحياة الكريمة لا تطيب إلا في ظلال القوة . وأن السكامة الوطنية لا تنال إلا ببذل الدماء في سبيلها ، وفي هذه السبيل اتجه جمال بشعبه . وبهذا الإحياء بعث في أمته حيوية جديدة ، وبهذا هتف جمال فكان صوته مدويا في الآفاق حتى خرق أسماع الصم من ساسة الغرب ، وأبرز لهم شخصية مصر حتى لم يعودوا يتجاهلوننا بسخريتهم وصلفهم . هكذا صنع جمال وعرف بذكائه أن يطيح بالأعياب الاستعمار كما تطيح الرياح بالأعياب الأطفال . عرف جمال أن يعترف بإيمانه ، وبالتضامن في شعبه ، وبين شعبه وشعوب الشرق ، أن يهز راية العروبة خفاقة بين رايات كانت تغالبها وتتنكر لها .

وما يدرينا : لعل في جعبة البطل المصرى سهاما أقوى من هذا السهم في صدر الاستعمار ، ولعل في ذاكرته آمالا أجسم من تأميم شركة القنال .

وما دام جمال يستعين بالله كما عهدناه ، ويعتز بأيمانه الوطنى وبخلفه المشهود فإن يتخلف عن غاياته ، ولن تقعد به الجهود الموفقة دون ما تصبو إليه مصر من أهداف ، وسيظل يننى ويرفع البناء ، ويجدد لنا ذكريات الأسبقين من أبطال الإسلام .

... هذا وقد كان بودنا أن تتجه الجهود منا جميعا إلى ما تنشده الأمة وينشده زعيمها من إصلاح في مختلف السبل .

غير أنا نشهد إلى جانب هذا النشاط محاولات يقوم بها نفر من الكتاب يفتنون الأمة عن أخلاقها الكريمة ويثبون فيها التمرد على الآداب العامة ، ويصرفون الشباب عن دينه ، ويحبسون اليهم النزعات المنحرفة والتحلل من كل تقليد كريم كتاب يجردون متسعا في كثير من الصحف فيتهافتون على التبجح ، ويحتالون في انتزاع الحياء من الوجوه ، ويزينون للشباب رذائل التمرد على القيم الأخلاقية .

أولئك يستغلون تسامح أولى الأمر معهم ، ويستخدمون الحرية في أبغض الأمور المناقضة للحرية

وعندى أن هؤلاء الكتاب ، وأن تلك الصحف التى تنشر دعوتهم ، عوامل هدم لما تبنيه الثورة ، وأنهم خصوم للوطنية الصادقة ، وأن تماديهم على هذا الغى مناوأة سافرة للثورة في أكرم غاية تتجه إليها .

وكل محاولة تقوم بها الثورة لبناء جيل جديد وإيجاد مجتمع صالح لا يمكن أن تجدى تلك المحاولة جدواها المنشودة ما دام في مصر كتاب وصحافة ينزعون إلى الانحراف ويدعون إليه ، والكثير من أولئك الكتاب وهذه الصحافة معروفون من قبل بالخروج عن حدود اللياقة وبالزلفى إلى أرباب الفساد .

وعندى أنه يتحتم وقف هؤلاء الإباحيين عند حد من الأدب ، وأن تعرفهم الحكومة كيف يكون الأدب إن لم يستجبوا ويعرفوه .

وإن ظلت هذه الأقلام سادرة في باطلها نستبعد الغاية في بناء جيل جديد وإيجاد مجتمع صالح ؛ ويستفحل الداء ؛ ولا يجدى بعد ذلك دواء .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

لغويات

قل ... ولا تقل ...

نشرت مجلة الأزهر الجليلية في جزء رمضان الماضي مقالا تحت عنوان « قل ولا تقل » للأستاذ الكبير محمد صالح الريدى ، تضمن بعض ما فى كتابه الذى أفرده لنقد بعض الأساليب التى تجرى على ألسنة الكتاب والمتأدين ، والإبانة عن الأساليب الصحيحة التى تقابلها . وهو يدخل فى تنقية اللغة وتنزيهها عما شابها من الدخيل ، حفاظا عليها وذبا عن حوزها .

وهذا الأمر مما يختلف فيه النظر ويتسع الاجتهاد ، وقد أحسن الأستاذ ظنه بى أن أبدى ما يعنى لى فى هذا المقال ، والأستاذ يلتزم الفصيح الراجح من الأساليب ، وسبيلى فى كتابتى أن أذكر ما أقف عليه فى المبحث من راجح ومرجوح توسيعا للثقافة اللغوية ، ولهذا إذا عقت على بعض ما فى مقاله فانما هو أنه سلك طريقا وسلكت طريقا آخر ، ولا يغض بحثى من بحثه ، وله الفضل بالسبق والتقدم ، وسأذكر هنا بعض التعقيب ، مع شكرى له واعترافى بفضله .

استتلف نقودا

أنكر الأستاذ هذه الصيغة ، والصواب عنده أن يقال : استتلف نقودا أو تسلف . والاعتماد فى هذا على أن « استتلف » لم ترد فى المصباح والقاموس واللسان . وقد وردت فى الأساس للزخشرى ، ففيه : « وأسأفته مالا وسلفته . واستتلف فلان واستسلف وتسلف » وورد فى مستدرک التاج على مادة سلف : « واستسلفت منه دراهم فأسلفنى ، مثل تسلفت ، نقله الجوهري ، ومنه أنه استتلف من أعرابى بكرا أى استقرض » وهذا النص لو صح كان فيه موافقة للأساس ، ولسكن بان أن فى الطبع تحريفا ، فان الذى فى النهاية لأبن الأثير - وهو أصل ما فى التاج - : « أنه استسلف » . وحسبنا ما فى الأساس ، حجة ومستندا .

حوائج (جمع حاجة)

هذا مما خطئ أيضا . والصواب حاجات وحاج . ويزاد عليهما حوج . وإنكار حوائج في جمع حاجة سبق به الأصمعي وزعم أنه مولد . وقد حمّله على هذا أنه جمع غير قياسي ؛ فإن حاجة على زنة فعلة ، وفعله لا تجمع الجمع الأقصى . ولذا لا يقال في جمع حارة : حوائر ولا في ساحة : سوايح . وقد تبع الحريري في درة الغواص الأصمعي بفعل الحوائج من لحن الخواص . وردّ اللغويون على الأصمعي أن الحوائج جاءت في فصيح الكلام فوجب قبولها ، وكمن فصيح خالف القياس ولم يغض من فصاحته . وقد أفاض ابن بزي في الاستشهاد على سماع الحوائج من فصيح الكلام . ومن ذلك قول الشياخ :
تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يعتسفن مع الجرى

(والجرى : الرسول) . وكذا أكثر الشهاب الخفاجي في شرح الدرّة في إيراد بعض ما جاز عن العرب فيه الحوائج .

وقف باهتا

يرى الأستاذ أن الصواب أن يقال : وقف مبهوتا ، وأساس هذا ما ورد في عبارة الجوهري ، وهي - على ما في اللسان - : « بهت الرجل - بالكسر - وعرس وبطر إذا دهش وتحير ، وبهت - بالضم - مثله ، وأفصح منها بهت ؛ كما قال - عز وجل - : فهبت الذي كفر ، لأنه يقال : رجل مبهوت ، ولا يقال : باهت وبهيت » وقد تبعه صاحب القاموس ، وزاد في صيغ الفعل : بهت كنصر . وقضية هذا الكلام أن يقال : بهت بالبناء للفاعل فهو مبهوت ، وهذا غريب حائد عن القياس ، وإنما مبهوت من بهت مبنيًا للمفعول ، وقد أبان شارح القاموس أن الجوهري أخذ هذا عن الكسائي . وأن الكسائي بناءه على صيغة فعل بهت بالبناء للمفعول . ففيه مع القاموس : « (وهو مبهوت) و(لا) يقال (باهت ولا بهيت) وهكذا قاله الصاغاني ، وأصله الكسائي . وهو مبني على الاختصار في الفعل على بهت كفى . وأما من قال : بهت كنصر ومنع فلا مانع له في القياس . وقد نقله اللبلى في شرح الفصيح . قالوا : باهت وبهات وبهيت

يصلح لكونه بمعنى المفعول كبهوت ، وبمعنى الفاعل كباهت . والأول أقيس وأظهر .
قاله شيخنا « وعندي أن بهيتا جاء على بهت ككريم من كرم وشريف من شرف ، فهو
بمعنى فاعل . وهذا أقيس من ورود فاعيل في معنى مفعول .

والقارئ يخرج من هذا البحث بأنه لا شيء في أن يقول القائل : وقف باهتا .

اختصاصي في الطب

وهذا أيضا مما أنكره الأستاذ . ويذكر أن الصواب : إخصائي في كذا أو خصيص .
والذي أنكره صحيح لا شيء فيه ، فهو منسوب إلى الاختصاص . فأما الإخصائي فهو
منسوب إلى الإخصاء مصدر أخصى الرجل أى علم علما واحدا . والواقع أن المختص
بالطب مثلا لا يقتصر علمه على الطب بل يعلم علوما أخرى من علوم الوسائل كالعربية
واللغات الأجنبية ، ويقول القدماء : إن فلانا يختص بعلم كذا ويشارك فيه ، على أن هذا
المعنى للاخصاء جاء به القاموس نقلا عن الضاغاني ، وجرت فيه مباحثة بين الأستاذين
اللعوين عبد القادر المغربي وعبد الله البستاني . وكان البستاني ينسك هذا النص على وجهه
ويزعم أن أصل العبارة : أخصى الرجل : معل معلا واحدا أى خصى وقطعت خصيته
مرة واحدة ، وذلك في الخصيان المعروفين بالطواشية ، وهو يعبر على أن عبارة القاموس
تبعاً للضاغانى دخلها التحريف ، وأن الإخصاء يرجع إلى الخصية ولا يمت إلى التخصص
في العلم بسبب . وكان المغربي يأخذ بالنص ويرى أنه لا تحريف فيه . ويبقى عليه بيان
مأخذه وصلته بالتخصص . وعندي أن أصل أخصى : أخصّ أى اختص فأبدل من
الصاد الأخيرة ياء فصار أخصى ، كما قالوا : أمل وأمل . وقد ورد في اللسان : « فلان
مخصّ بفلان أى خاص به » . وترى أن الإخصائي فيها مقال . فأما الاختصاصي
فلا مقال فيه .

وأما خصيص فلم ترد بمعنى مخصوص وإن كان القياس لا ياباه ، وكان المظنون أن
أبا الرقعمق قال :

أصحابها قصدوا الصبوح بسحرة وأتى رسولهم بذلك خصيصا
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبعه قلت اطبخوا لي جبة وقيصا

فلما رجع إلى الرواية إذا فيها : خصوصا . ويرد خصيص كثيرا في عبارات أصحاب التراجم ، يقولون : فلان خصيص بفلان أى ملازم له مقرب أنير عنده . ومن هذا ماورد في معجم الأدباء ٢ / ٢٠٤ من طبعه الحلبي إذ يقول عن أحمد بن ابراهيم النديم أستاذ ثعلب : « وكان خصيصا بأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام وأبي الحسن قبله ، وله معه مسائل وأخبار » .

ومن أراد التوسع في هذا المبحث فعليه بكتاب « مناظرة لغوية أدبية بين الأساتذة : عبد الله البستاني وعبد القادر المغربي وأنستاس السكرملي » وقد طبعه القدسي سنة ١٣٥٥هـ .

أناط فلان بي كذا

هذا لا مزية في خطئه وأن الصواب : ناط . غير أنى أدون هنا رأيا للشيخ نصرالهوري كتبه بخطه على نسخة المصباح المطبوعة المحفوظة بدار الكتب ، ونص ما كتبه على هامش مادة (نوط) : « ويقع كثيرا في كلام الفقهاء أنهم قد أناطوا الحكم بكذا . فلعلهم اطلعوا على استعماله ثلاثيا مجردا ومزيذا أيضا ، نظير غاظه وأغاظه ، وسرى بكذا وأسرى به ، كما سبق في ص ٧٣ من هذا الجزء » وهو يشير إلى قول المصباح في مادة (الغيظ) : قال ابن الأعرابي - كما حكاه الأزهري - غاظه يغيظه وأغاظه بالألف . وترى أن الشيخ الهوري حسن الظن بالفقهاء فتمس لهم وجها للخروج من الخطأ ، وهم كثيرا ما يخطئون في اللغة ويغلب عليهم ما يجري على ألسنة الناس .

أخذت بناصر فلان

وهذا أيضا مما عابه . وقد يخرج على أن الأصل : أخذت بيد ناصر فلان ، وهو كناية عن نصره وإسعاده . وفي شعر النابغة :

أتخذل ناصري وتعز عبسا أيربوع بن غيظ للعن

وقد أورد صاحب الخزانة ٢ / ٣١٤ هذا البيت في شعره ؛ وقال : « هذا خطاب لعينة بن حصن ، وأراد بناصره بنى أسد وقوله : « أيربوع بن غيظ للعن » هذا خطاب

آخر ليربوع بن غيظ . والمعنى بسكسر الميم وفتح العين المهملة : المقبوض فى الأمور ، وعنى به عينة بن حصن ، يقال : عن يعن ، وإنك لتعن فى هذا الأمر أى تعرض فيه « وقوله : المقبوض كذا ، وكأنه محرف عن المتعرض .

تلاشى الشيء

أنكره الأستاذ وذكر أن الصواب : عدم الشيء . وقد أحببت أن أذكر ما وقفت عليه فيه . فهو مطاوع لاشى الشيء أى محاه وألغاه . وهو مصوغ من لاشى . وفى مستدرک التاج بعد مادة (لقش) : « وأما قولهم : لاش فانه مختصر عن لاشى ، ويستعمل غالباً فى الازدواج ، كقولهم : الماش خير من اللاش ، كما سيأتى فى م وش . واستعملوا منه أيضاً التلاشى ، وكأنه مولد » وترى من هذا أن شارح القاموس لا يجزم بأنه مولد . وعلى أنه مولد فقد جرى به الاستعمال منذ دهر سبق . فقد نقل القرطبى فى تفسيره لسورة الواقعة ١٧/٢١٨ عن الماوردى : لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشى بذره « . والماوردى هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الفقيه الشافعى . وكانت وفاته سنة ٤٥٠ هـ . وهو صاحب أدب الدنيا والدين والأحكام السلطانية .

رجل متعوس أو تعيس

الذى يرضاه الأستاذ أن يقال : تاعس أو تعس . وقد جاء فى الأساس : « تعسه الله وأتعسه ، وهو متعوس متعوس » فترى كيف جاء متعوس . وإذا جاء متعوس سهل مجيء تعيس فى معنى متعوس .

وهذا ما بدا لى فى مقال الأستاذ الريدى . والله المسئول أن يوفقنا جميعاً للصواب

محمد على النجار

لا حيلة فى المرأة

قال سقراط « ثلاثة كانت من أكره الأشياء إلى : نحو اللغة اليونانية ، والفقر ، والمرأة . وقد تغلبت على الأول بكثرة الدرس ، وعلى الثانى بالسعى والصبر ، ولكنى لم أجد حيلة فى المرأة » .

الامام البخارى

استنباطه المعانى والأحكام المتعددة من الحديث الواحد

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم : اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز ، الصحيحان : البخارى ومسلم . وتلقتهما الأمة بالقبول .

وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهى كونه أسهل متناولا . من حيث جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به ، جمع فيه طرقه التى ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه أسانيد المتعددة وألفاظه المختلفة فيسهل على الطالب النظر فى وجوهه واستثمارها ، ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم فى طرقه .

أما البخارى فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة فى أبواب متفرقة متباعدة ، وكثير منها يذكره فى غير بابها الذى يسبق إلى الفهم أنه أولى به ، وذلك لدقيقة يفهمها البخارى منه ، فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى فى طرق هذا الحديث .

وقد رأيت جماعة من الحفاظ المتأخرين غلطوا فى مثل هذا ، فنفوا رواية البخارى أحاديث هى موجودة فى صحيحه فى غير مظانها السابقة إلى الفهم . اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة الفتح :

... ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة ، فاستخرج فهمه من المتون معانى كثيرة فرقها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى منه بآيات الأحكام ، فانتزع منها الدلالات البديعة ، وسلك فى الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة .

قال الشيخ محي الدين ، نفع الله به : ليس مقصود البخارى الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها ، والاستدلال لأبواب أرادها .

ثم قال الحافظ : ولهذا اشتهر قول جمع من الفضلاء « فقه البخارى فى تراجمه » .

ثم قال : قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى ، فيما رويناه عنه في جزء سماه (جواب المتعنت) : اعلم أن البخارى ، رحمه الله ، كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع ، ويستدل به في كل باب باسناد آخر ، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه ، وكلما يورد حديثا في موضعين باسناد واحد ولفظ واحد ، وإنما يورده من طريق أخرى لمعان . ١ هـ .

وقال صاحب (نبراس السارى في أطراف البخارى) :

وكان المؤلف ، كما التزم فيه صحة الحديث ، التزم معه استنباط الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة . واستخرج بفهمه الثاقب معانى كثيرة فرقها في أبوابه بحسب المناسبة . وقطع - لذلك - الأحاديث واختصرها بحسب الحاجة . وأعادها في الأبواب المختلفة .

تراه يخرج حديثا في باب ، وهمه من الحديث ما يتعلق به . ثم يعيده في موضع آخر ، فيخرج منه معنى يقتضيه الباب الذى أخرجه فيه .

وينتزع في هذا الموضع قطعة من الحديث ويقتصر عليها من غير أن يذكر الباقي . ثم في موضع آخر يعمد إلى البعض الآخر ويذكر الأول .

فلذلك انتشرت طرق الحديث في كتابه وأوردها في الأبواب المتباعدة ، وتفرقت وجوه الحديث وذكرها في المباحث المتفرقة ، ولم يتيسر له استيفاء المتون في كل باب ولا استيعاب الطرق في كل مبحث وكتاب . ثم لدقة نظره في ربط الأحاديث بالأبواب كثيرا ما يذكر الحديث في غير مظانه ، ويورده في الباب الذى لم يسبق إليه الفهم ، فيصعب على الطالب جمع طرقه ١ هـ .

وقال الدهلوى (١) في شرح تراجم صحيح البخارى : وأراد (البخارى) أيضا أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جدا ، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث في الأبواب ، ويودع في تراجم الأبواب سر الاستنباط . ١ هـ .

(١) المجلة — أعلام المسلمين في الهند يسمون عاصمة بلادهم (دلهى) لأن ذلك أقرب الى تلفظهم باسم هذا البلد ، والنسبة إليه (دهلوى) . أما (دلهى) كما تذكره صحفنا الآن فهو اللفظ الانجليزى ، كما يقول الانجليز للاسكندرية « الاسكندريا » ، وللقاهرة « كايرو » . فهو تحريف ، والصواب (دلهى) والخطأ (دلهى) .

وقال العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فى مقدمة مجموعة الحديث النجدية :

على أن المراجعة فى صحيح البخارى فى مكان من الصعوبة لا يعرفه إلا من عالجها .
فإن الحديث الواحد قد يوجد فى عدة أبواب منه بألفاظ مختلفة . فمن وجد غلطا فى حديث
منها كان عليه أن يراجع جميع رواياته فيها ليتمكنه الجزم بالصواب .

ومن لم يدقق النظر فى اختلاف الروايات والرواة والألفاظ ، فربما جعل
الصواب خطأ .

وضرب لذلك مثلا ثم قال :

فلمثل هذا الاختلاف فى الروايات لا يجزم المصحح بأن كل ما رآه خفى المعنى محرف ،
فيراجعه . ولا بأن كل ما رآه جلى المعنى هو الصحيح من الروايتين أو الروايات . بل لابد
من النقل واستقصاء الروايات عند المراجعة ، وذلك من العسر بمكان . فتحن نرى الحفاظ
وكبار المحدثين وشراح دواوين السنة ينسون بعض الروايات أحيانا ، أو يغفلون ذكرها
فى مواضعها . فهذا الحافظ ابن حجر - وناهيك بسعة حفظه - قد ذكر فى شرح حديث
أبى قلابة . . إلى آخر ما قال . اهـ .

وقال الحافظ فى الفتح :

إن بعض الرواة يختصر الحديث ، وإن المتعين على من يتكلم على الأحاديث
أن يجمع طرقها ، ثم يجمع ألفاظ المتن ، إذا صحت الطرق ، ويشرحها على أنه حديث
واحد ، فإن الحديث أدنى ما فسر بالحديث اهـ .

وأقول أنا : لقد عانيت كثيرا من المشقة المجهدة للقوى - لولا عونہ سبحانه وتعالى -
بجمعت طرق كل حديث من أحاديث البخارى ، وأفردت لكل صحابى جميع أحاديثه
بطرقها ، ورتبت أسماء الصحابة ترتيبا ألف بائيا حسب أوائل حروفها ، مبتدئا بالرجال
ومثليا بالنساء رضى الله عنهم وعنهن ، وفقنا الله ببركاتهم وبركاتهن إنه سميع مجيب .

وسوف أسوقها حديثا حديثا . وطريقتى فى ذلك أن أسرد أطول طرق كل حديث
ثم أتبعه بالأشارة إلى مواضع الطرق الباقية بذكر اسم الكتاب ورقه وذكر عنوان الباب
ورقه ، وسأؤثر بذلك قراء مجلة الأزهر بين حين وآخر إن شاء الله ، والله المستعان .

١ - أبو أسيد الساعدي :

(١) ٦٤ - كتاب المغازي . ١٠ ، ١ - باب . حدثني محمد بن عبد الرحيم .

حدثني محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن حمزة بن أبي أسيد والمنذر بن أبي أسيد ، عن أبي أسيد رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر : « إذا أكتبوكم - يعني كثر وكم - فارموهم واستبقوا نبلكم » .

له طريقان غير هذا . الأول في الباب نفسه . والثاني في :

٥٦ - كتاب الجهاد ، ٧٨ - باب التحريض على الرمي .

(٢) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ، ٧ - باب فضل دور الأنصار .

حدثني محمد بن بشار ، حدثني غندر ، حدثنا شعبة . قال : سمعت قتادة عن أنس ابن مالك عن أبي أسيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشمل ثم بنو الحارث بن خزرج ثم بنو ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير » .

فقال سعد : ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم إلا قد فضل علينا . ف قيل : قد فضلكم على كثير .

وقال عبد الصمد : حدثنا شعبة ، حدثنا قتادة ، سمعت أنسا قال : قال أبو أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . وقال : سعد بن عباد . له ثلاث طرق أخرى :

الأولى في الباب نفسه .

والثانية في : ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ، ١٥ - كتاب منقبة سعد بن عباد .

والثالثة في : ٧٨ - كتاب الأدب ، ٤٧ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « خير دور الأنصار » .

٢ - أبو أامة :

ليس له شيء من الأحاديث المتعددة الطرق .

٣ - أبو أيوب الأنصارى :

(١) ٨ - كتاب الصلاة ، ٢٩ - باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام : حدثنا على ابن عبد الله . قال : حدثنا سفيان . قال : حدثنا الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبي أيوب الأنصارى ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرقوا أو غربوا » .

قال أبو أيوب : فقدمننا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة ، فننحرف ونستغفر الله تعالى .

وعن الزهرى عن عطاء قال : سمعت أبا أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . له طريق أخرى واحدة في :

٤ - كتاب الوضوء ، ١١ - باب لا تستقبل القبلة بغائط .

(٢) ٧٨ - كتاب الأدب ، ١٠ - باب فضل صلة الرحم .

حدثنا أبو الوليد . حدثنا شعبة . قال أخبرني ابن عثمان قال : سمعت موسى بن طلحة عن أبي أيوب قال : قيل : يا رسول الله ؟ أخبرني بعمل يدخلني الجنة .

حدثني عبد الرحمن . حدثنا بهز . حدثنا شعبة . حدثنا ابن عثمان بن عبد الله بن موهب وأبوه عثمان بن عبد الله أنهما سمعا موسى بن طلحة عن أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال القوم : ماله ؟ ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرب ماله » .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم . ذرها » .

قال : كأنه كان على راحلته .

له طريق أخرى واحدة في : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ١ - باب وجوب الزكاة .

(٣) ٢٥ - كتاب الحج ، ٩٦ - باب من جمع بينهما ولم يتطوع .

حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : أخبرني
عديّ بن ثابت قال : حدثني عبد الله بن يزيد الخطمي قال : حدثني أبو أيوب الأنصاري
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة .

له طريق أخرى واحدة في ، ٦٤ - كتاب المغازي ، ٧٧ - باب حجة الوداع

(٤) ٧٩ - كتاب الاستئذان ، ٩ - باب السلام للمعرفة وغير المعرفة .

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي
عن أبي أيوب الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر
أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .
وذكر سفيان أنه سمعه منه ثلاث مرات .

له طريق أخرى واحدة في : ٧٨ - كتاب الأدب ، ٦٢ - باب الهجرة وقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

(يتبع)

محمد فؤاد عبد الباقي

من وصايا السلف

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما تحت النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عتق وتلك خديعة الطبع اللئيم
(أبو الطيب المتنبي)

في العام الهجري الجديد

آثاره وأسراره

اسكل دورة من دورات الفلك ، وفي كل مطلع عام هجري جديد ، تثار في أنفسنا ذكريات جديدة ، وعبر جديدة ، تبقى على الدهر مثيرة لأحداث جسام ، وتظل عالقة بأذهاننا طوفاً بذكرياتنا ، ليس في العالم الإسلامي فحسب بل في مجموعة العالم الإنساني .

فقد كان الناس فيما غير من أزمنة يبعث الله فيهم رسلاً منهم مؤيدين بالمعجزات وخوارق العادات ، حتى إذا بلغ العلم في نظرياته مداه شغف الناس بتعليل أحداث التاريخ البارزة لتعليلاً منطقياً ، منطبقاً على قوانين الاجتماع ولغة الأحداث والعبر ، فإن عجز هذا الأسلوب في تعليل بعض الحوادث الظاهرة هونوا من شأنها واتهموا كبار العقول في تقديرها ، كل ذلك في سبيل إرغامها على الأخذ بمنطق العلم الذي يعرفونه لا بمنطق الأحداث الجسام ولا بمنطق قضايا العلماء الأعلام ، وتلك النزعة التي درجوا عليها ونهل علماءهم منها كانت قائمة على أصل مقرر عندهم ، وذلك هو أن جميع أطوار الوجود تابعة لنواميس معينة لا تتحول ولا تنتقل ، وأن هذه النواميس حافلة بكل ما يقع في أطوائها سواء أكانت ظواهر مادية أم قضايا اجتماعية . وكان الباحثون الإسلاميون بدورهم يسايرون هذه الطريقة العلمية ثقة منهم بأن القضايا الإسلامية لا يطرأ عليها جمود ولا ركود فهي أبداً في جميع الأزمنة مواثمة لكل دور من أدوار التاريخ وأن دلالتها تبدو للألاء على كل وجه من وجوهها .

غير أن العلم في العهد الأخير وبالتالى في الفترات المتوسطة السابقة على عهدنا الماثلة في أذهاننا قد شك في السلطان المطلق لتلك النواميس ، ورأى أن هذا السلطان يجب أن يقف إلى حد ما فقد قال الأستاذ وليم كروكس الإنجليزى في خطبة له في مجمع العلوم البريطانى وكان رئيسه له ما خلاصته : « مع الأسف البالغ نرى أن أكثر الذين يدرسون قضايا الطبيعة يستحيل أمرهم وشيكاً أو غير وشيك إلى إهمالهم لحانب عظيم من رأس

ما لهم العلمى ، لأنهم يرون أنه وهمى عـض وأنه أوهام لا تتركز على قضايا ذات مقدمات ونتائج ثابتة ، فاننا متى قلبنا حقائق الأمور ظهروا لبطن عن كـتب اتضح لنا بجلاء إلى أى حد بلغت تلك النتائج وهذه النواميس محاطة بنواميس أخرى ليس لنا بها أدنى صلة ، إننا فى مكة فائقة من الكشف عن جميع النواميس الطبيعية لحركة هذا الوجود وتفاعله وتشابك أطواره ، ولكننا مع ذلك لا نكون أقرب مما كنا عليه إلى حل أهم مسألة وهى : أى ضرب من ضروب الإرادة والفكر يمكن أن يوجد خلف هذه الحركات المادية مجبرا إياها على اتباع طريق رسمه لها من قبل ؟ وما هى العلة العاملة خلف هذه الظواهر ؟ وأى ازدواج من الإرادة والفكر يقود الحركة الآلية الصرفة للمادة خارجا من نواويسنا الطبيعية بحيث يجعلها على تسكين هذا العالم الذى نعيش فيه ؟ . ثم قال : اسمحوا لى أن استنتج من هذا الفهم أنه يستحيل علينا أن نتخيل مقدما الأسرار التى تحتويها الوجود والعوامل الدائبة على العمل فيما حولنا » . (راجع مجموعة خطب الأستاذ وليم كروكس) .

وقال الفيلسوف إدوارد لورى « العلم لم يتألف الا من تواضع العلماء على أصوله . وهو لكونه على هذه الحالة يظهر لنا بمظهره المعهود من الثبوت والاستقرار ، فالقواعد الطبيعية بل النواميس ليست إلا من مخترعات العلماء أنفسهم . فالعلم لا يستطيع - وهذه حالته - أن يكشف لنا عن وجه الحقيقة المطلقة ، وكل ما ينتظر منه أن يخدمنا كقاعدة للعمل » - أنظر كتاب (قيمة العمل) للرياضى الفذ هنرى بوانكاري - .

من هنا يرى القارئ أن العلم قد بدأ يتحول عن المنهاج المادى الذى اتبعه فى مدى قرون ثلاثة ، وأخذ يلمح وراء الحوادث قدرة عالية ترسم لكل كائن الحد الذى ينتهى إليه ، وتدفع العوامل لتحقيق مرادها منه : فالباحث فى الأديان عامة وفى الإسلام خاصة يستطيع أن يشير إلى النواحي الخارقة للعادة أى التى لا تكفى النواميس المعروفة أن تأتى بتعليل يثلج عليه الصدر عنها .

ولما كنا اليوم بسبيل الكلام عن الهجرة المحمدية لمناسبة حلول السنة الجديدة فلنا أن نطبق الموقف العلمى لنرى عناية الله التى حفت للنبي صلى الله عليه وسلم فى هذه الهجرة .

الحق الذى لا شية فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث يدعو قريشا إلى الإسلام سرا وجهرا نحو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب له منهم إلا عدد قليل أرغموا على أن يهاجروا إلى

الحبشة لهل ما أصابهم من المشركين ، وقد اضطهد المشركون بقيتهم في مكة حتى وأبلأوهم إلى سكنى شعاب الجبل يقاسون فيه عنت الحصار والمقاطعة . فلما رأى المشركون أن الإعنة لم يجدهم نفعا ولم يحقق لهم مآربا عادوا إلى مشاكستهم بغير قليل من التحدى والمناجزة ، فلما يئس الرسول الأعظم من دعوتهم أخذ يطلع على الناس كافة وعلى القبائل عامة ابتغاء أن يصيخوا إليه وأن يركنوا إلى دعوته ومرغبا إليها أن تأوى إلى ظل الدعوة وأن تتفيأه وتحتفى بحماه ، فكان منها من رده بالحسنى ، ومنها من رده بالمقارنة ، حتى أنه ذهب يدعو أهل الطائف فحصبوه بالحصى والمدر والحجر . وقد اتفق أن لقي بضعة رجال من أهل يثرب (المدينة) فبادهم بما باده به غيرهم ، فلقيت تلك الدعوة من قلوبهم موقع الرضا ، فما أسرع أن آمنوا به واستجابوا لدعوته ، ثم وعدوه بأن ينقلوا إلى قومهم دعوته وينشروا فيهم رسالته ، وقد ضربوا له موعدا في الموسم المقبل حتى إذا حل ذلك الموسم وفوا بما وعدوا ، فأقبل من أهل يثرب اثنا عشر رجلا ، وهناك اجتمعوا بالرسول الأعظم وأسلموا بين يديه إلى الله طائعين مخلصين ، ومن بين هؤلاء عشرة من بنى الخزرج واثنان من بنى أوس ، وهما القبيلتان اللتان تؤلفان أهل يثرب . فلما رجع هذا الوفد شرع الاثنان اللذان من قبيلة الأوس ينشران الدعوة ويركان أصولها وقواعدها في قومهما ، عند ذلك قال سعد بن معاذ سيد الأوس لابن عمه أسيد بن خضير : ألا تذهب إلى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان ضعفاءنا فتزجرهما ؟ فقام لهما أسيد وقال لهما : ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا ؟ اعترلا عن قومكما إن كانت لكما إلى هذه العزلة حاجة . فأجابه أحدهما واسمه مصعب بهذه القالة : أو تجلس إلينا فتسمع ، فان رضيت أمرا قبلته ، وإن أبغضته كففنا عنك ما تكره ؟ ثم قرأ عليه مصعب ما تيسر من الفرقان . منذ ذلك خشع قلبه وبان يقينه بما سمع ثم أسلم من فوره ، ورجع بعد ذلك إلى سعد فقال له : يأسعد والله ما رأيت بالرجلين بأسا ، وما أسرع أن ذهب سعد مغضبا إليهما ففعل مصعب معه مثل الذي فعله مع أسيد ، وكان أن أسلم وحسن إسلامه ، ثم رجع بعد ذلك إلى رجال من بنى عبد الأشهل وهم بطن من الأوس فقال لهم : كيف تعتبروني فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا فقال : كلام رجالكم ونساءكم على حرام حتى تسلموا . فلم يبق بيت من بيوتهم إلا أجاب دعوته . ثم انتشر أمر الإسلام في المدينة حتى عم رقعتها وفاح عيره في أرجائها .

فلما جاء العام الذى بعده وفد على مكة ثلاثة وسبعون رجلا ومعهم امرأتان ليقابلا الرسول الأعظم ، فتواعدوا أن يتلاقوا في بعض الشعاب بعد مضي الثلث الأول من الليل

لكي لا تشعر بهم قريش ، فلما جاء الموعد تسلموا وحدانا إلى مكان الاجتماع حتى إذا كمل عددهم افتتح العباس الكلام فقال لهم : إن محمداً في منعة من عشيرته ، لم يمكنوا منه أحداً مع ما رأوه في ذلك من الشدة ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من تبعات ، والا فدعوه بين عشيرته فإنه منها لمكان عظيم . فقال كبير هذا الوفد وهو البراء بن معرور : والله لو كان لنا في نفوسنا شيء غير ما نطق به لأبدينا به ، ولكننا نريد الوفاء بما وعدنا ، والصدق فيما عاهدنا .

ثم قال الوفد للرسول الأعظم من فوره : خذ لنفسك ولربك ما أحببت . فقال : أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم متى قدمت عليكم ، فسألوه : وماذا لنا على ذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : قبلنا ، وأخذوا يبايعونه حتى انتهوا . وتسمى هذه (بيعة العقبة الثانية) .

ثم تقدم الوفد إلى النبي الأعظم راجياً منه أن يهاجر إليهم ، فقبل دعوتهم داعياً لهم بخير . ثم تخير منهم اثني عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . فلما بلغ قريشاً أن الإسلام انتشر في يثرب ، وأن الرسول الأعظم عاهد أهلها على أن يحجوا دعوته بما يملكون من وسائل وقوة ، وأنه أزمع أن يهاجر إليهم ، هال قريشاً هذا الأمر ، فاجتمعوا في دار ندوتهم وتبادلوا الرأي فيما بينهم ثم تأمروا على قتله اتقاء لهذا الخطر المنتظر بطريقة مبتكرة تلك هي أن ينتدبوا شاباً واحداً من كل عشيرة من عشائرهم فيحاصروه في داره ثم يقتحموها عليه ويضربه كل منهم ضربة بسيفه ليتفرق دمه في جميع عشائر قريش وعند ذلك يتعذر العشور على قاتله فيستحيل الثأر من فرد معين أو عشيرة بعينها ، وعندئذ ترضى عشيرته بالدية ، وبذلك ينتهى أمره فلا تقوم للذين اتبعوه قائمة . قال علماء السيرة أوحى الله إلى رسوله ما بيته أولئك الماكرون الغادرون ، فأمر علياً أن ينأى على فراشه ، واستصحب معه أبا بكر وخرجا من مكة سرا في دبر الليل ، ثم جدا في السير حتى بلغا غار ثور فأويا إليه . أما شبان قريش الذين كفلوا بقتله ليلاً فقد اقتحموا داره لتنفيذ ما ندبوا له ، فلم يجدوا فيه إلا علياً ، فأوجعوه ضرباً ، وعلمت قريش أنه خرج ليلاً مع صاحبه فأرسلت خلفهما شرذمة لتتقبهما ومعهم القافة ، فما زالوا يتبعون أثرهما حتى انتهوا إلى غار ثور . هنالك قرر القافة أنهما أويا إلى الغار لا تقطاع الأثر فيما بعده ، ولم يبق إلا اقتحامه عليهما لإنحراجهما منه . فيقال إن المشركين استبعدوا أن يكونا لحاً إليه

لما كان عليه من الظلمة والوحشة وثواء الهوام فيه ، ولم يجسر أحد منهم أن يرتاده ليتحققوا من خلوه من غريمهم ، فتركوه وعادوا أدراجهم .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه بالغار ثلاث ليال ، وكان يبيت معهما فيه ولد لأبي بكر اسمه عبد الله يبكر فيحضر أندية قريش نهارا ثم يوافيهما ليلا فيخبرهما بما تقوله قريش ، وما تعترمه ضدتهما ، ويحمل إليهما ما يتلغان به من الطعام والماء . فلما أمنا الطلب من قريش جاءهما الدليل الذي كانا قد أعداه من قبل لهذه الغاية ومعه راحلتان ، فامتطياهما وجدا في السير قاصدين المدينة ، وما زالا جادين حتى وصلا إليهما سالمين . وهناك أصبح للاسلام دولة ، وأضحى له جيش وصوله ، والقراء يعرفون ما جدد بعد ذلك من أحداث .

هنا نرى أن لا بد من وقفة لنأرجح آثار الآيات الإلهية من خلال هذه الحوادث ، فانه إذا كان معنى الآيات أنها الحوادث التي تقع ولا يمكن تعليلها بالنواميس المعروفة ولا تنطبق على المنطق الذي تواضع عليه البشر ، فان هذا المعنى يصح على ما نحن بصدد الآن مما يتعلق بالهجرة النبوية .

ذلك أنه ليس ينطبق على أي ناموس معروف ، بل يشذ عن كل قاعدة منطقية ، ويخالف كل عرف من التقاليد العربية ، أن ترفض جميع القبائل الدخول في الإسلام والاضطلاع بأعباء حماية الدعوة إليه ، وتقبله قبيلتان لم تسكونا أنبه قبائل العرب ، ولا أكثرها عددا ، ولا أوفرها مالا ، على ما تقتضيه هذه الحماية من حرب وكفاح ، وخسائر فادحة في الأموال والأرواح .

وما كان ليعقل قبولها لو كان النبي صلى الله عليه وسلم مناهما بالسيادة على بلاد العرب أو الإغارة على الأمم المجاورة والاستيلاء على ما لديها من أموال ونعم ، لأن تلك السيادة كانت مما لا يعقل في بلاد العرب ، إذ لم تكن لها سابقة هنالك يقاس عليها ، ولانقسامها إلى قبائل رحالة دائمة الحركة ، إن أصابتها مخافة في ناحية رحلت إلى ناحية أخرى ، غير آسية على زراعة تركها أو مساكن تهجرها ، ألا ترى أنه لما تهدم سد مأرب وأصاب اليمن سيل العرم ، هاجرت قبائلها إلى كل وجه حتى وصل بعضها إلى شمال بلاد العرب ، ومنها بنو غسان التي نزلت بمحدود سوريا ووقعت تحت سلطان الرومانيين ونزل غيرهم في بقاع أخرى .

أما التمنية بالإغارة على الأمم المجاورة لبلاد العرب فكان مما لا يعقل أيضا ، لأن القبائل العربية التي كانت أرفع مكانا وأعز نفرا قد وقعت تحت أسر الدول التي جاورتها شمالا وشرقا وجنوبا ، فكيف يطمع بنو الأوس والخزرج أن يتخطوا جميع هذه الحوائل القبلية ويغزوا الفرس والرومانين ؟

ولم هذه الافتراضات كلها وقد نص في العهد الذي تم بين النبي الأعظم وبين الأوس والخزرج على أن لهم الجنة .

هنا لا بد من وقفة ثانية نتساءل : هل مما ينطبق على مجرى الحوادث العادية أن ترضى قبيلتان عربيتان لا عهد لهما بدين سماوى ولا كتاب بمثل هذا الجزاء الغيبي على تجردهما لنشر دين عودى صاحبه من قومه بسببه إلى حد أن أصبح لا يطبق البقاء بين ظهرانيهم ؟

لا أنكر أن الجنة جديرة أن تكن جزاء لأعظم ضروب التضحية ، ولكن عند من ؟ عند الذين يكونون قد وصلوا من الإيمان إلى أقصى مداه ، لا عند قوم لم يقابلوا النبي الأعظم إلا ثلاث مرات ، ولم يقرأ عليهم من القرآن إلا آيات .

حقا إن هذه لآية ، ومن أكبر الآيات شأنا ، وإنها لتساوى في نظر الفكر تفجير الماء من الصخور ، وإحياء الموتى من القبور .

لننظر الآن في مسألة الغار :

لا مشاحة في أن القرشيين كانوا حريصين على قتل الرسول الأعظم اتقاء لخطر يهدوهم من اجتماع الجموع حوله خارج مكة ، ثم العود إليها بهم فاتحا أو معاكسا . فلم تبين لهم أنه خرج مهاجرا مع صاحبه تعقبوهما ومعهم القاذية حتى انتهوا إلى غار ثور ، فتوافرت الأدلة على نزولهما فيه ، فهل يعقل وقد انتهى أثرهما إليه أن يتركوه دون أن ينزلوا إليه ؟ قد يقال أنهم تهيّبوا الدخول فيه . وكيف يعقل ذلك ولم يتهيبه الطفل عبد الله بن أبي بكر وكان يتردد عليه كل مساء ليبيت فيه .

هب أن قریشا على كثرة شجعانها لم يجرؤ واحد منهم على اقتحامه ، فهل يعقل وقد تحققت أن الأثر انتهى إليه أن لا تدع عنده جماعة لحاصرته .

وهل كانت تعجز أن ترم على فوهته الأحجار ، أو تلقى فيه قنا وحطبا وتلهب فيه النار لإجبار من فيه على التسليم إليهم .

وإن كان لاهذا ولا ذاك ، فهل كانت تعجز أن ترسل خلفهما في طريق المدينة رجالا يصلون الليل بالنهار ليقطعا الطريق عليهما ؟ .

اللهم إن هذه آية ثانية لا تقل عن سابقتها شأنًا .

فاذا كان الذي حصله العلم لأهله في هذا العصر يسمح بأن ينظر الإنسان في الحوادث على مدى أوسع مما كان ينظر فيه إليها ، فإن النظر إلى هذين الأمرين خارجا عن المجال الضيق للنواميس المعروفة يؤدينا إلى تنور آيات من العناية الإلهية بخاتم رسله تزيد المؤمنين إيمانًا ، وتنير بصائر الذين لا يزالون يرون في النبوات أمورًا عادية ، أركبا يقولون : ظواهر اجتماعية .

هذا ومن يعن بدراسة كل ما أحاط النبي صلى الله عليه وسلم من شئون ، وما تؤدي إليه من فاجع ، في بيئة لم تتجرب رجلا على هذا القسطاس من زنة الحوادث ، وبهذا الأسلوب من تقدير الأمور ، يرأى العين أن الحق سبحانه وتعالى قد أيد خاتم رسله من الآيات الكبرى ليس بما لم ير له مثيل في تاريخ البشرية فحسب ، ولكن بما يجعل العلم نفسه أداة في الكشف عن أسرارها ، والتنويه بجلال آثاره « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد » .

هذه عبر مستخلصة من الوقائع ألمتنا بها إلماما على قدر ما تتسع له المجلة محيلين قراءها على أوضاع أخرى من تاريخ الهجرة ليس هذا البحث له محلا للشرح والبيان ما

عباس ط

يا طيب للغار

يا طيب للغار آواه وصاحبه	وللحمام بما أسدت من الخدم
من يحمه الله سوى في الوفاء له	بين الجهاد وبين الناس والبهيم
لما نحى يثرب اهتز الحمى وبكت	ورق الربا لبكاء البيت والحرم
تأذن الله أن تغشى كتائبه	منازل الشرك في نجد وفي تهيم
وقام أهل المصلى والعقيق على	نصر النبي بعهد غير متفصم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا	فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

محمد عبد المطلب

هجرة في سياستنا الخارجية

- هجرنا السلبية وأصبحنا نرسم لأنفسنا سياسة استقلالية .
- وهجرنا الإنطوائية وأصبحنا نسعى للتعاون النظيف والصدافة البريئة .
- وهجرنا سياسة النعام ... وأصبحنا نقدر خطر إسرائيل ، ولا نخفى رءوسنا في الرمال .
- على هذه الأصول الثلاثة ، تدور سياستنا الخارجية .

* * *

في شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، عقد السيد نوري السعيد مؤتمراً صحفياً بالسفارة العراقية - في وقت صلاة الجمعة فيما أذكر - وكشف عن مداورات اللجنة السياسية في الجامعة العربية سنة ١٩٤٩ ، وما تجلى فيها من روح وأنا أنقل موجزاً لتصرّحاته عن مجلة الأزهر نفسها (م ٢٦ ص ١٨٧) :

في سنة ١٩٤٩ اجتمعت اللجنة السياسية بجامعة الدول العربية ، وجرى البحث في السياسة الخارجية للدول الأعضاء . وألقيت حينئذ ثلاثة أسئلة :

الأول منها : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية (روسيا وتوابعها) ؟ فكان الجواب بالإجماع : إن ذلك غير ممكن ما لم تصبح الدول العربية شيوعية بمعنى الكلمة ، وإلا فلا مجال للتعاون مع الكّكلة الشرقية .

وكان السؤال الثاني : هل يمكن للدول العربية أن تقوم بسياسة الحياد ، فلا تقف مع الشرق ولا الغرب ؟ وكان الجواب : إن الدول العربية ضعيفة لا تستطيع أن تحقق سياسة كهذه تحتاج إلى قوة كبيرة ، تجعل كل من يفكر في الاعتداء عليها يخشى قوتها . وكان السؤال الثالث : هل يمكن للدول العربية أن تتعاون مع الغرب ؟

وجاء الجواب بالإجماع : إن هذا التعاون مقبول ، على شرط أن تحل قضية مصر وقضية فلسطين . وهكذا تقررت سياسة البلاد العربية ، وبدأت بتنفيذها ...

وقد انتهى الآن الخلاف بين مصر وبريطانيا ، ونأمل أن نسعى لحل قضية فلسطين بشكل يرضى العرب ، وأعيد بحث السياسة الخارجية في الجامعة العربية سنة ١٩٥٠ فوجدت اللجنة السياسية أن تلك القرارات سليمة فأيدتها ...

* * *

وما كادت تصريحات الرئيس العراقي تنشر ، حتى ثارت الزوابع ...

فاستدعى الملك سعود صحفياً أمريكياً ، وأدلى له بمحديث مطوّل عن قضية فلسطين ، وأن العرب لن يهادنوا إسرائيل ، وهم مستمسكون بقرارات الأمم المتحدة . وأصدر السيد عبد الرحمن عزام - أمين الجامعة العربية السابق - بياناً يتناول الاجتماعات التي أشار إليها الرئيس العراقي ، محاولاً التخفيف من صورتها التي عرضها التصريح . وليس المهم أن تتنصل الجامعة العربية من تبعة هذه القرارات أو لا تتنصل ، فالثابت قطعاً أن هذه الآراء إن لم تكن مقررات للدول العربية مجتمعة في جلسة رسمية ، فقد كانت آراء الكثير من ساسة العرب ، وليس عيباً أن نرى في الماضي تخلفاً عن الحاضر ، فالوضع الطبيعي أننا نتطور . . . لكن المهم أن ندرك هذا التطور ، وأن نعترف مراكزنا الجديدة لنحافظ عليها ، ثم نواصل السير إلى الأمام .

فأنا هنا أَسْجِلُ الماضي ، لا لألوم نوري السعيد أو عزام أو الجامعة ، ولكن لأبين سياستنا سنة ١٩٤٩ . . ثم سياستنا الآن :

لقد صرّت علاقاتنا مع إنجلترا خلال تلك الفترة بتجارب دبلوماسية وكفاحية مريرة ، وصرّ نظامنا الداخلي في الحكم بتغير وتطور . . حتى وصلنا إلى ما نحن عليه ، فلنثبت ، ولننتقد . وأثبتت هذه الحقبة من التاريخ خطأ السياسة التي ارتسمت خطوطها في مداولات اللجنة السياسية ، أو - على الأقل - في أدمغة كثير من ساسة العرب ، أو - على أقل القليل - في دماغ نوري السعيد نفسه ! فقد أمكن الدول العربية أن تتعاون مع الدول الشرقية ، دون أن تصير شيوعية بمعنى الكلمة ، أو بنصف معناها . . .

استوردنا الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا ، واعترفنا بالصين الشعبية ، واجتمعنا في أرض يوغوسلافيا . . . ولم نصر شيوعيين !

ووقفنا نناصر سياسة الحياء في باندونج ، وفي بريوني . . . دون أن نجد ما يلزمنا لأن نحرز القنبلة الذرية أو الهيدروجينية قبل أن نتكلم في الحياء !

وأردنا نحن أن نحافظ على حسن صلاتنا مع الغرب . . . ولكن الغرب أصر على أن تكون التبعية هي ثمن التعاون . . . لم يعطنا سلاحاً ، ولم يشترقطننا ، وانسحب من تمويل مشروعنا الحيوى السد العالى ، فلما استعملنا حق السيادة في تأميم مرفق مصرى - هو قناة السويس - هاج وماج !! وأظهر الغرب - بصورة سافرة - أنه يريد أن يعقد قضية مصر لا أن يحلها ، وأنه مصر على بقاء إسرائيل وحذف فلسطين من الخريطة . إلى الأبد !!!

إنها هجرة غيرنا بها معالم سياستنا الخارجية ، بل قلبناها رأسا على عقب . . .

هذا الارتباط المؤبد بالكتلة الغربية وحدها ، الذى شبهه أحد ساستنا مرة بأنه زواج كاثوليكي لاطلاق معه . هذا الخوف والوجل والإشفاق من كل ما يمس الكتلة الشرقية ، خوفا من أن تصدر إلينا الشيوعية كل ذلك هجرناه . . . إلى غير رجعة !! !
وهجرنا الانطوائية . . .

كننا نحرص على أن نقف وحدنا ، نشك في كل دولة ، وفي كل أمة ، وفي كل ارتباط ولو كان بين قوى متكافئة !! !

وانتشرت قالة السوء ، وتفاقت أزمات الثقة بين الدول العربية . . .
لقد اتحدت كلمة الأمة العربية في جهاد فلسطين المقدس ، وهال العدو مغبة هذه الوحدة . . . فـدس بيننا جرائمه ، ولعب بذيله ، فخرجنا يلعن بعضنا بعضا ، ويكفر بعضنا بالعروبة ، وبالوحدة ، وبفلسطين !! !

ورأينا أمريكا وإنجلترا وفرنسا تسعى جاهدة لتكوين حلف الأطنطاطى ، وحلف البحر المتوسط ، وحلف مانيلا للباسفيك والهندي . .
ورأينا روسيا توسع رقعة كتماتها الشرقية . .
أما نحن فقد كفانا ما كان . . . وكأننا وحدنا الذين أخطأنا في هذا العالم . .
إن سياسة أمريكا أخطأت . . وسياسة إنجلترا أخطأت . . وسياسة فرنسا مليئة بالأخطاء !

ورأينا روسيا تصحيح خطأها في عبادة ستالين ، وبولندا تصحيح خطأها الذى أدى لثورة بوزنان ، والصين الشعبية تؤكد حكومتها للبرلمان أنها ستعمل على التخلص من الأخطاء الماضية . . . لكننا اليوم . . عرفنا قيمة التجمع والتكتل .

لقد هتف رئيس الجمهورية في خطابه التاريخي الذى يرد به على أمريكا وإنجلترا ويعلن تأميم القناة . هتف في هذه الظروف الدقيقة يرحب برغبة سوريا في الاتحاد مع مصر ويرد على تحيتها بأحسن منها .

سوريا ومصر آخذان في الاتحاد .

سوريا والأردن أزالتا حواجز السفر ، وتتفاوضان في إزالة القيود الاقتصادية .

سوريا ولبنان وحدثهما من قديم ، وتزدادان إيماناً بالاتحاد، وتسعيان في توثيق الاتحاد .
 المملكة العربية السعودية واليمن تتعرضان معاً للاستعمار البريطاني : الأولى في البريمي ،
 والثانية في الصراع على الحدود حول المحميات ... وتتقاربان حتى يسأل مسئول يمني :
 هل في النية عقد اتحاد فدرالى جديد من الدولتين ؟؟ ... فيقول : نحن في اتحاد فعلا .
 ثم هناك المواثيق العسكرية بين مصر والمملكة السعودية ، واليمن ، وسوريا ، والأردن .
 وأراد الاستعمار أن يقطع طريق الاتحاد ...

فرض المعاهدة الليبية ليمزق الأمة العربية في شمال إفريقيا ... ويعزل المغرب العربي
 عن مصر وباقي الأمة العربية ، ويبقى له مركزاً في المنطقة ...

وأصر الاستعمار على بقاء الجزائر تحت السيطرة الأجنبية ، ولم يسمح لها بما سمح به
 لتونس ومراكش ، لتكون حاجزاً يعرقل الوحدة ، ولتكون قاعدة يحميها الاستعمار ..
 وكان الاستعمار قد أقام لإسرائيل ... لتمزق مواصلات مصر والأردن وفلسطين وسوريا
 ولبنان والعراق وتهدد المملكة العربية السعودية وقد أطلت من ميناء إيلات على خليج العقبة .
 وفرض على الأردن المعاهدة وجلوب ، ليساعد على التمزيق . ولكن ...

ثارت الجزائر ، وقاتلت قتال الأبطال ، ونحن نحني الرؤوس إعجاباً بهذه الأمة العربية .
 واثارت الأردن ، وطردت جلوب ... والبقية ... إن شاء الله ... تأتي !!! .
 والمهم أن سياستنا الخارجية اليوم سياسة صريحة ، وقد نص دستورنا على ذلك .
 وتيقنا أن عروبتنا هي أساس قوة كما علمتنا التجارب ، وليست سبب ضعف كما أراد

أن يلقننا الاستعمار .

وتأكد من هذا الكتاب الذى كانوا يدعون إلى (القوميات المحلية) المجردة ...
 وتأكد من هذا الكتاب المتطرفون الذين كانوا ينفرون من الحديث عن الدين والعروبة ...
 ومجد هؤلاء وأولئك (وحدة الأمة العربية) في الكفاح .

وسرنا إلى أبعد مدى من الأمة العربية ... مددنا يداً للشعوب المحبة للسلام ،
 فتدعمت علائق الكتلة الآسيوية الإفريقية في مؤتمر باندونج ... ثم وجدنا مصالحنا
 لا تنفصل عن البحر المتوسط ، فأردنا أن نطل عليه ، فكان مؤتمر بريوني .
 نحن أمة عربية ... ونحن أمة شرقية ... ونحن أمة حياد ، تتعاون مع أنصار السلام .

ونحن... طبعاً... أمة إسلامية ، فصر مقر الأزهر ، والمؤتمر الإسلامي ، ودينها الرسمى هو الإسلام .

* * *

ولقد كنا نتجاهل إسرائيل --- كنا نعتبرها أمراً واقعاً ، وكان السذج والبسطاء يعتبرون أن فلسطين بالنسبة لنا قد انقسمت قسمين : إسرائيل ونحن لا ننوى الاعتداء عليها --- وغزة ونحن لا ننوى الاحتفاظ بها --- وإذن فما شأننا بفلسطين ؟؟ .

ثم رأينا ارتباط إسرائيل بالاستعمار فى قيامها وفى بقائها ، ورأينا أن الاستعمار يريد أن يجعل من إسرائيل الكلب العقور الذى يسلطه على الدولة العربية التى لا تعجبه ، ولذلك يسلمها ويحرمنا السلاح ، ليحافظ على التوازن بين مليون يهودى وسبعين مليوناً من العرب ! كنا نؤثر أن نتعاون مع الغرب ونحن نعلم عمق صلته بإسرائيل --- كنا نفضل الصهيونية على الشيوعية ! ثم عرفنا أن مقاومة الشيوعية لا تكون بمهادنة الصهيونية ولا بالتحالف مع الاستعمار ، وإنما تكون بالإصلاح الزراعى وترقية الإنتاج وعدالة التوزيع .

ورفضنا التحالف مع الغرب ، حتى لا نكون خط الدفاع الأمامى عن إسرائيل ولو نظرت إلى الخريطة وعرفت الموقع الجغرافى لكىما - إيران - باكستان - بالنسبة للخط الشيوعى من الشرق ، وإسرائيل من الغرب لعرفت أن المسامحين سيكونون الوقود لحماية الصهيونية !!!

وأشار رئيس الجمهورية إلى استراتيجية إسرائيل فى وسط البلاد العربية فى حديث لمجلة أمريكية أجملته مجلة الأزهر فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ (م ٢٦ ص ١٢٦) قال فيه : « أعتقد أن بقاء إسرائيل سيؤثر دائماً فى الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط - كما هو الحال الآن - لسبب بسيط وهو أن إسرائيل تشطر العالم العربى إلى جزئين » .

وأقدمنا على تكوين جيش فلسطين --- لنحول أهل فلسطين من لاجئين - كما تسميهم هيئة الأمم وهيئة الإغاثة - إلى مكافحين كما كانوا فى تاريخهم الطويل --- واستشهد منا أبطال فى ميدان القتال --- وفى ميدان الغدر والاعتقال --- فهل بعد هذا كله نترك فلسطين ؟ !

لقد هجرنا تلك الحماقة التى كانت تظن أن اليهود سيكتفون بفلسطين --- وأعرب رئيس الجمهورية عن إدراكه لمطامع إسرائيل --- إنها تريد ملك سليمان ، من الفرات إلى النيل !

وأصرت مصر على أن تحمي قناة السويس من مرور سفن إسرائيل أو من يساعد إسرائيل .
وتحيزت لإسرائيل في شكواها من هذا الإجراء بلجنة الهدنة ومجلس الأمن ---
ولكننا - وقد أدركنا الخطر المحدق - قلنا : لا --- بل الفم !!!
إنها هجرة --- إلى سياسة تقدر الخطر الإسرائيلي قدره ، وتعيش على أنه لا استقرار في
الشرق الأوسط ما بقيت إسرائيل !!!

لقد بدأت إسرائيل عصابات وتحولت إلى دولة --- ثم مسخت إلى عصابات مرة
أخرى ، ومرتها إلى زوال - كما قال رئيس الجمهورية -
هذه معالم سياستنا الخارجية الجديدة التي هاجرنا إليها ---
سياسة استقلالية --- إيجابية - سياسة عربية --- شرقية وإسلامية .
فلنعرف طريقنا --- ونحن إلى الخير نسير

محمد فتيحي محمد عثمان

القومية العربية

في خطاب جمال التاريخي

في الخطاب التاريخي العظيم الذي أعلن به جمال عبد الناصر تأميم القناة ، وردت
الكلمة الذهبية التالية عن القومية العربية :

أيها المواطنون ، إن القومية العربية تتقدم . إن القومية العربية تنتصر . إن
القومية العربية تسير إلى الأمام ، وهي تعرف طريقها . إن القومية العربية تشعر
من هم أعداؤها ، ومن هم أصدقاؤها . إن القومية العربية تعلم أن وجودها في اتحادها
وإن قوتها في قوميتها .

وأنا اليوم - أيها المواطنون - أتجه إلى إخوانكم في سوريا العزيزة ، سوريا
الشقيقة ، وقد قررنا وأعلنوا أن يتحدوا معكم اتحادا حرا كريما عزيزا سليما ، لندعم سوريا
مبادئ العزة ومبادئ الكرامة ، ولنرسى سوريا (الوحدة العربية) .

إنني اليوم أقول لا إخوان لكم في سوريا باسمكم : إننا نرحب بكم أيها الإخوة ، فقد
قلتم في دستوركم إنكم جزء من الأمة العربية ، وقلنا في دستورنا إننا جزء من الأمة العربية .
وسنسير معا أيها الإخوة متحدين يدا واحدة وقلبا واحدا ورجلا واحدا ، لنرسى مبادئ العزة
الحقيقية ولنقيم في ربوع الأمة العربية استقلالا سياسيا حقيقيا واستقلالا اقتصاديا حقيقيا .

إنباء العالم الإسلامي

تأميم قناة السويس

في فترة احتجاب المجلة السنوى توالت الأحداث العالمية المتصلة ببقعة مصر ونهضة العروبة والعالم الإسلامى ، فكان من أهمها تمام الحلاء البريطانى عن قاعدة القناة ، وتورط أمريكا وانجلترا في إعلانهما - تحت ضغط الصهيونية العالمية - سحب العرض الذى سبق لها التقدم به لتمويل السد العالى الذى سبق لنا وصف أهميته في السنة الماضية (ص ٩٣٤) .

وأهم ما حدث بعد ذلك خطبة الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي الأكبر بالأسكندرية يوم ٢٦ يولية بأن مصر ستبنى السد العالى بمالها الحلال ، معتمدة على سواعد أبنائها ، وقد أعلن حق مصر في تأميم قناة السويس (التي كانت مدة امتيازها ٩٩ سنة تنتهى سنة ١٩٦٨ أى بعد ١٢ سنة) . وفي الدقيقة التي كان الرئيس يعلن فيها من الاسكندرية هذا الحق الشرعى لمصر ، كان المندوبون لتنفيذ ذلك يقومون بتنفيذه بكل دقة وحكمة ، فاستولت مصر على مكاتب الشركة المؤممة في بور سعيد والاسماعيلية

والسويس ، وتحول اسم الشركة إلى (هيئة إدارة قناة السويس) وبأشرت الهيئة استقبال السفن الداخلة في القناة من شمالها إلى الجنوب أو من جنوبها إلى الشمال ، وتولت استيفاء رسوم المرور ، وقد تم ذلك كله كما كانت الحال من قبل ، واستمرت حركة الملاحة في القنال في حالها الطبيعية وبأكثر تسهيلات للسفن مما كان يجرى قبلا . بشهادة شركات الملاحة الأجنبية وقد قامت قيادة الانجليز في لندن والفرنسيين في باريس لهذه المفاجأة التي لم يكونوا يتوقعونها ، وإن كانوا يعلمون أن ذلك من حق مصر الشرعى ، واجتمع ممثلو الدولتين في لندن منضما إليهم ممثلو أمريكا التي كانت أكثر اعتدالا وقرروا دعوة الدول التي لها علاقة بالملاحة في قناة السويس إلى مؤتمر يعقد في لندن يوم ١٦ أغسطس تشترك فيه مصر وروسيا ، ومجموع الدول التي دعيت إلى هذا المؤتمر ٢٤ دولة . وسنأتى في جزء صفر على ما تتطور به الأحداث .

الحرم المكي

ينتظر أن يتم توسيع الحرم المكي في ثلاث سنوات ونصف بدلا من خمس سنوات

توحيد العطلة الأسبوعية

فى يوم الجمعة ٢٧ ذى الحجة (٣ أغسطس) نفذ فى القاهرة والاسكندرية وسائر المدن المصرية لأول مرة ما استقر عليه الرأى فى المؤسسات والمصارف المالية والهيئات من اعتبار يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعى بدلا من يوم الأحد، فأوقفت البنوك والشركات والبورصة أبوابها، على أن تقوم بالعمل فى أيام الآحاد

القضايا العربية

يذيعها المؤتمر الإسلامى فى الحرمين
أذن عاهل المملكة السعودية لبعثة المؤتمر الإسلامى بعقد ندوات إسلامية ساهرة للشعوب الإسلامية أذيعت يوميا فى الحرمين المكي والمدنى ، من العشاء حتى الفجر .
وذلك لشرح القضايا العربية .

وقد أشرف على هذه الندوات الصاغ علوى حافظ ، وحاضر فيها الدكتور مهدى علام والأساتذة محمود خليفة ومحمود الكولى وتوفيق الحلبي ، ومندوبون عن الصين الشعبية وأندونيسيا والباكستان ومراكش والعراق وشمال إفريقيا وسوريا .

وقد عادت بعثة المؤتمر الإسلامى حاملة رسالتين من جلالة الملك سعود إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى السيد أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر .

فینتهى منه فى عام ١٩٥٩ وتصبح مساحته مائة وعشرة آلاف متر بدلا من ٣٥ ألفا ، وبذلك يتسع لخمسائة ألف مصل من حجاج بيت الله الحرام . وقد رصد لهذه التوسعة والتجديد مائة مليون جنيه مصرى . وسيكون من دورين ، وتفرش أرضه كلها بالرخام ، وستتناول الإصلاح والتجديد ما حول الحرم فى الخارج بحيث يمكن لأربعة آلاف سيارة أن تنتظر خارجه دون أن تزدحم بها الطرق التى جعل عرضها ٢٥ مترا بدلا من ٨ أمتار . وسيكون توسيع الحرم نواة لإعادة تخطيط مكة بحيث تحتفظ بطابعها الإسلامى وستقام منازل جميلة فى الجبال القائمة على أرض مكة للسكان الذين كانوا يسكنون حول الحرم ونزعت ملكية منازلهم لتوسيعه وتقرر إدخال تكييف الهواء فى الحرم المكي والحرم المدنى لتلطيف الجو على المصلين . ووضع تصميم لمئذنة الحرم المكي يجعل ارتفاعها تسعين مترا ، وبذلك تكون أعلى مئذنة فى العالم الإسلامى ، وتليها مئذنة الحرم المدنى فإن ارتفاعها بلغ ٦٧ مترا .

طريق جدة — المدينة

تم تهيئة طريق جدة-المدينة وطوله ٢٥٥ كيلومتر وقد كلف هذا الطريق أربعة ملايين جنيه مصرى ونفذ فى عامين .

كما تم توسيع مطار المدينة فصار يستوعب عددا كبيرا من الطائرات فى وقت واحد .

الأدب والعلوم

وسائل لتبسيط التدريس

ينتظر أن تزود وزارة التربية والتعليم معاهد المعلمين والمعلمات بأجهزة سينمائية ومكبرات للصوت وأجهزة للتسجيل وللعرض وأخرى للتدريس على نطاق واسع لم تعهده هذه المعاهد من قبل .

وقد اختير ٢٣ معلما ومعلمة للتدرب على استعمال هذه الأجهزة في معاهد المعلمين والمعلمات .

أهمت كلية الصيدلة

افتتح وزير التربية والتعليم المبنى الجديد لكلية الصيدلة بجوار كلية الطب في جامعة الإسكندرية ، وقد بلغت نفقات هذا البناء ١٠٠ ألف جنيه ، وهو يجعل من مدرسة الصيدلة كلية فريدة في أجهزتها بين الكليات المماثلة في مصر والشرق العربي ، وستعزز إمكانيات جامعة الإسكندرية في تخريج عدد أكبر من الصيادلة الذين تحتاج إليهم البلاد .

العربية في جامعة جنيف

على أثر القرار الذي أصدرته منظمة الصحة العالمية باعتبار اللغة العربية إحدى اللغات

الرسمية للمنظمة ، قررت جامعة جنيف في سويسرا إدخال اللغة العربية في مناهج كلية الآداب فيها وإنشاء كرسي للآداب العربية . وقد وقع اختيار جامعة جنيف على الدكتور محمد حسين القرطوسي الأستاذ بكلية الآداب في بغداد ليكون أستاذا للعربية في الجامعة السويسرية .

العربية في ألمانيا الشرقية

في نيا من برلين أن عددا من جامعات ألمانيا الشرقية سينشئ فروعاً لدراسات اللغة العربية وتاريخ الدول العربية وجغرافيتها وألمانيا الشرقية ترتبط الآن بعلاقات اقتصادية بعدد من الدول العربية وخاصة مصر

في مدارس مصر الابتدائية

سيكون في مدارس مصر الابتدائية عند ابتداء موسم الدراسة في هذا العام مليون تلميذ وثمانمائة ألف وواحد وستون ألفاً ونسبة المصريين منهم ٩٩,٩ في المائة والأجانب واحد فقط من كل ألف تلميذ . ونسبة المسلمين منهم ٩٣,٢ في المائة والمسيحيون ٦,٧ في المائة ، والباقيون من ديانات أخرى .

الكتب

تفسير الطبري — الجزء السادس

بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر - ٦٤٠ ص - دار المعارف بمصر

صدر بحمد الله هذا الجزء السادس من كتاب (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وهو يبدأ من آية البقرة (٢٧٥) : « الحمد لله عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » ويتم فيه سورة البقرة ، يتلوها ٩٢ آية من آل عمران وآخرها « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدوا به » . وهو كالأجزاء الخمسة السابقة في حسن العرض وجودة الطبع ونفاسة الورق ، زيادة على ما امتازت به هذه الطبعة من تصحيح مافرط في طبعتي الكتاب السالفتين وفي المخطوطات التي أبقاها الدهر من هذا الكنز العظيم ، وما تفردت به من تحقيق وشرح وتنبيه على أسرار العربية ، وحكمة التشريع ، وبدائع الأدب . وفيه من الآثار ما يزيد على ألف أثر (من رقم ٦٢٣٥ إلى ٧٣٩٨) محققة بعلم الأستاذ الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر وناهيك به . وهو كالأجزاء السابقة مختوم بالفهارس التي هي كالمفاتيح لما في الجزء من خزان وكوز . يسر الله إتمامه .

المختار من صحيح مسلم بن الحجاج

الجزءان الأول والثاني - ٢٢٤ ص - مطبعة الأزهر

يقوم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد أبو شعبة مدرس التفسير والحديث في كلية أصول الدين باختيار المقرر للفرقة الثالثة بالكلية من صحيح الإمام مسلم مشفوعاً بشرح نافع هو لطلاب علم السنة دراسة إمعان وتدبر ينتج منها العلم والعمل وتطهير القلوب وشفاء النفوس وإصلاح المجتمع وإعادة الإسلام إلى جوهره الصافي لا ابتداع فيه ولا تشويه . وقد قدم له مقدمة تضمنت ترجمة الإمام مسلم وبياناتاً عن صحيحه وموازنة بينه وبين صحيح البخاري وكلاماً على شروح صحيح مسلم ومختصراته . ونرجو أن يكون اشتغال صديقنا

الدكتور أبو شهبه بتدريس المختار من صحيح مسلم وسيلة لكتابة شرح عليه غير مقيد بهذا المقرر ، فان الناس في حاجة إلى شرح له بالأسلوب الذى انتهجه الأستاذ في هذا المختار ، والله موفق .

مصر في القرن الثامن عشر — الجزء الثالث

لفضيلة الأستاذ محمود الشرفاوى — ١٩٠ ص — مطبعة الرسالة

سبق لنا التنويه بالجزء الثانى من هذا الكتاب الذى وقفه فضيلة الأستاذ المؤلف على دراسة تاريخ الجبرتى . وهذا الجزء في فصلين استوعب في أولها استيعابا كاملا مناهضة الشعب المصرى للظالمين من حكامه الأتراك في القرنين الحادى عشر والثانى عشر للهجرة وثوراته عليهم ، كما لخص مقاومة الشعب للحملة الفرنسية وصدده للغزو الانجليزى . وفي الفصل الثانى صورة صادقة لعصر مجد على كما حاول مؤرخ عصره الجبرتى أن يرسمها كشاهد عيان قيضه الله لتسجيل طرف من سيرة مجد على كما تؤرخها وقائع حياته وأفعاله ومظاهر سلوكه . والأستاذ الشرفاوى وإن كان اعتماداه الأول على الجبرتى إلا أنه رجع في كتابه إلى أوثق المراجع المعينة على ذلك ، وكان قد بدأ في هذا القسم لما كان الحاكم المملوك قائما في مصر ، وانتهى منه عند انتهاء حكم فاروق ، لكن النظام المملوكى كان ما يزال قائما معترفاه ، فكان يحاول أن يلتزم أمانة المؤلف مع عدم الاصطدام بما فرضته قوانين هذا النظام . ثم استطاع أن يكتب كتابه وينشره في ظل الحكم الجمهورى فخرج به إلى الإبانة الصريحة والافصاح . وكان بحمد الله موفقا في هذا الجزء الثالث كما كان موفقا في الذى قبله . فمرجو الله أن ينفع به .

(آيات التوحيد في القرآن)

هو قبس وضياء من وحى السماء ، تعاون على تأليفه ثلاثة من دعاة الأزهر إلى حقائق الإسلام : الشيخ الحسينى المسلمى المفتش العام للوعظ ، والشيخ مجد أبو المكارم عيسى الواعظ العام ، والشيخ زكى رضوان محسن الواعظ العام ، وقد صدر منه الجزء الأول وفيه الإمام آيات التوحيد في أم الكتاب وسور البقرة وآل عمران والنساء ، يذكرون النص القرآنى للآية أو الآيات التى تتعلق بصفة من صفات الله سبحانه ودلائل توحيده ، ثم يفسرون مفرداتها ، ثم يأتون على معانيها باعتبار أنها هداية وتوجيه بأسلوب سهل حتى يظن القارئ أن المعنى صادر عن فهمه . وهذا الجزء الأول في ١٣٠ صفحة . فمرجو لهم التوفيق لإتمام تفسير آيات التوحيد إلى نهاية القرآن في الأجزاء التالية .

تسعة كتب في الدين والعبادة

أهـدى إلينا المسلم الغيور الحاج عباس كزاره مجموعة مؤلفاته في الدين والعبادة ، وهى تسعة كتب فى نسق واحد تزيد صفحاتها على ٣٣٠٠ صفحة . أولها كتاب (الدين والشهادة) ومداره على الشهادتين وأركان الدين الإسلامى ومقاصده وحاجة الناس إليه ، وعلى التوحيد الذى امتاز به الهدى المحمدى على سائر الأديان المعروفة ، ثم على التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم ووجوب الإيمان برسالة الإنسانية كافة . وقد شارك فى تأليف هذا الكتاب فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد أحمد القط من علماء الأزهر . والكتاب الثانى (الدين والصلاة) وهو مأخوذ من الكتاب والسنة وكتب الفقه على المذاهب الأربعة كل مذهب على حدته ، وقد أشرف عليه الاستاذ السيد محمد أمين كتيبي من علماء الحجاز والمدرس بالمسجد الحرام . والكتاب الثالث (الدين والزكاة) على المذاهب الأربعة وهو كالكتاب السابق واشرف عليه فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف عبد الرزاق من علماء الأزهر . والكتاب الرابع (الدين والصوم) على المذاهب الأربعة كالكتابين السابقين . والكتاب الخامس (الدين والحج) فى مناسك الحج والعمرة على المذاهب الأربعة . وقد تكرر طبع هذا القسم حتى بلغ اثنتى عشرة طبعة ، وقد سبق لهذه المجلة تقريره فى جزء ذى القعدة سنة ١٣٦٨ ويقول مؤلفه انه صحح باذن سماحة رئيس القضاة بالملكة العربية السعودية . والكتاب السادس (الدين والأدب) من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وقد قسمه الى موضوعات دينية وموضوعات أدبية وموضوعات الزجر عن الرذائل وبدأ كل موضوع منه بآية من آى الذكر الحكيم وبحديث شريف ثم بكلام الأدباء والأمثال والقصص . والكتاب السابع (الدين والتاريخ) وهو خاص بحياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مولده الى بعثته وهجرته وغزواته ووفاته . والكتاب الثامن (الدين والحرم) وفيه خلاصة تاريخ الكعبة المعظمة والمسجد الحرام ومقام ابراهيم وبئر زمزم ، وقد أشرف عليه الشيخ أبو السمح عبد الظاهر محمد إمام الحرم المكي رحمه الله . والكتاب التاسع (الدين والمرأة) هو مجموعة مقالات لطائفة من الكتاب مختلفى المشارب فاته ذكر اسمائهم فى مواضعها عند كل مقالة ثم استدرك ذلك فى الفهرس . وهذه المجموعة بجلتها من الأعمال المشكورة فى نشر الثقافة الإسلامية بين جماهير المسلمين . فنشكر للمؤلف هديته .

مُزَيَّرُ الْجِلَّةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ

إدارة الجوامع الأزهرية بالقاهرة

تليفون ٤٦٢١٤

مَجَلَّةُ كَلَامِ زَهْرَا

بِمَجَلَّةِ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ

تصدر عن شيختنا الأزهريّة في أول كل شهر عربي

عَمِلَ الْمُخَرِّجُ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الْإِشْرَاقُ السَّنَوِيُّ

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	للطبعة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمربين بالأزهر
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطبعة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمربين خارج الوادي

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر ١٣٧٦ - ٦ سبتمبر ١٩٥٦ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخلاق جديدة . . لحماية جديدة

لما غضب الشرق العربي كله لغضبة جمال عبد الناصر ، في الساعة التي انعقد فيها مؤتمر لندن للتآمر على حق مصر في تأميم شركة القنال ، جلست صحفية ألمانية مسنة في فندق من فنادق بيروت تسأل صحفيا عربيا عن السر - أو السحر - في هذه الحيوية العجيبة التي جعلت مائة مليون عربي يشعرون بشعور مصر ، ويرددون بصوت واحد كلمة جمال عبد الناصر في قضية القنال . فتحوّل الوطن العربي الأكبر كله إلى معسكر للجاهدين ، من خليج العرب في الساحل الشرق لجزيرتهم ، حتى ساحل طنجة والعرأش ورباط الفتح والدار البيضاء والصويرة على المحيط الأطلسي في أقصى الغرب .

إن هذه الصحفية الألمانية المسنة تعجب لهذه الحيوية العربية ، وهذا التجاوب العام الشامل ، وتسأل : ما هو السر - أو السحر - فيما تراه رأى العين في مختلف أوطان العروبة ، وكيف تم كل هذا ؟ !

وقد أجابها الصحفي العربي بأن الناطقين بالضاد وجدوا النسخة الواضحة السهلة من الرجل العربي بأحلامهم ، وهذا الرجل الصريح الذي لا يخادع ،



والذى يعتز برجوليته واستقامته . . وجدوا الرجل الذى يمثل الجرأة والشجاعة ، والذى يعرف معنى الشرف والأمانة ، والذى لا يصبر على الإهانة والذل . فتجاوبت طباعه مع طباعهم ، ونفسيته مع نفسياتهم . . إنهم رأوا فيه أنفسهم ، رأوا فيه كيانهم بألفاظه وأسراره ، فتجاوبوا لحاضرهم والمستقبلهم المنتظر .

وقبل نحو مائة وخمسين سنة جلس نابليون بونابرت يفكر فى أن كرسى القيادة فى الشرق العربى ما برح شاغرا ، فقال يومئذ : « الشرق كله فى انتظار رجل يتولاه ، ولو استتب لى أن أحالف المماليك لكنت الآن سلطان المشرق » .

وقد أخطأ بونابرت فى اختيار حليفه الذى كان يستتب له بحالفته أن يكون سلطان المشرق ، ولو انتبه إلى أن سلطان المشرق إنما كان يستتب له بشئ واحد وهو صفات القائد التى ذكرها ذلك الصحفى العربى لزميلته الألمانية فى بيروت يوم الاحتجاج العربى الأكبر على مؤتمر لندن ، لكان ذلك مفتاح السر ، وطلمس السحر ، الذى كانت تتساءل عنه الصحفية الألمانية ، والذى كان نابليون يحلم به قبل ذلك بمائة وخمسين سنة .

بالأخلاق وحد الله كلمتنا ، وبالأخلاق اجتمعت على الحق قلوبنا ، وبالأخلاق تغيرت دنيا العروبة من حال إلى حال .

ولكن . . على قدر أهل العزم تأتي العزائم ، وعلى قدر اتساع نطاق الأخلاق يتسع نطاق أثرها ويبقى وينتظم .

يجب أن تتجاوب الأخلاق بين القيادة والجمهور ، ويجب علينا جميعا أن نتسلح بالأخلاق ونحرب نمد أيدينا إلى البنادق والمدافع والرشاشات لتتعلم صناعة الموت فى سبيل الحياة .

إن الأخلاق فى لغتنا القومية وتقاليدها العربية هى قوام أرواحنا ، وبها كمال إنسانيتنا ، وهى معيار رجوليتنا فى الرجال ، وجمال أنوثتنا فى النساء .

تألف القومية العربية من المرء والمرأة ، ولا يكون المرء امرءا فى سبيل العروبة ، ولا المرأة امرءة ، إلا بالمرءة . ويقول الإمام العدوى العمري رضى الدين الحسن ابن مجد الصغانى (٥٧٧ - ٦٥٠) فى معجمه (العباب) : المرءة الإنسانية وكال

الرجولية . ومن قبل الصغاني بستة قرون كتب جده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري عامله على البلاد المتاخمة لإيران : « خذ الناس بالعربية ، فانه يزيد في العقل ، ويثبت المروءة » . فعربيتنا وعروبتنا وكياننا القومي وكون الرجل منا امراة والمرأة امراة إنما هو بالمروءة ، والمروءة الأخلاق ، وهى الإنسانية ؛ فالرجوع إليها بالخلاء عن غيرها هو الجلاء ، والتجلى بها هو التجديد ، وتوطين النفوس على ذلك هو الذى يبعث فينا الأخلاق الجديدة الملائمة لما ننشده في حياتنا الجديدة .

وأصدق ما ذكرت به المروءة قول قائدنا الأول معلم الناس الخير (صلوات الله وسلامه عليه) فى إحدى جوامع هدايته : « إن الله يحب معالى الأمور وأشرفها ، ويكره سفاسفها » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو من كملت مروءته » .

وسأل معاوية عبد الله بن عمر (رضى الله عنهم) : ما المروءة ؟ فقال : « تقوى الله ، وصلة الرحم » . ثم سأل المغيرة بن شعبه : ما المروءة ؟ فقال : « العفة عما حرم الله ، والحرقة فيما أحل الله » . ثم سأل ابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : « الصبر على البلى ، والشكر على النعمى ، والعفو عند المقدرة » . فقال له أبوه : أنت منى حقا ، وما نكسب المغيرة عن القصد .

وسئل القائد الحكيم الحليم الأحنف بن قيس : ما المروءة ! فقال : « مواسة الإخوان ، وصدق اللسان ، وذكر الله فى كل مكان » . ومعنى ذكر الله فى كل مكان أن يكون المرء دائبا على ذكر ربه فى كل ما يتصرف فيه من قول وعمل ، فيتصرف فى ذلك بما يعلم أنه يرضى الله ويوافق هدايته على لسان رسوله فى إقامة الحق ، وإشاعة الخير ، وإسعاد الإنسانية بالأسرة الصالحة والمجتمع السليم والدولة المثالية .

والمروءة فى المجتمع السليم لا تتحصر فى أهل الثقافة والحكمة والعلم ، بل تشمل عناصر المجتمع كله ، ولا سيما أهل الثروة والسعة ممن يساهمون فى إقامة مرافق الأمة وترميم خللها . قال الأحنف :

فلو مدّ سروي بمال كثير لجدت به وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطع ع إذا لم يكن مالها فاضلا

وقال الهذلي :

وإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل
أترجو أن تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيل

وسأل رجل مجد بن عمير بن عطار وعتاب بن ورقاء في عشرديات ، فقال مجد بن عمير : على دية . وقال عتاب بن ورقاء : على الباقي . فقال مجد بن عمير : « نعم العون اليسار على المروءة » .

وفي شرح الشفاء للخفاجي : المروءة تعاطى المرء ما يستحسن ، وتجنب ما يسترذل .
وقيل : المروءة صيانة النفس عن الأدناس ، وما يشين عند الناس . ونعتوها بأنها السميت الحسن ، وحفظ اللسان ، وتجنب المجون .

وسئل أحد الأعلام عن المروءة فقال : أن لا تفعل في السر أمرا وأنت تستحي أن تفعله جهرا .

وفي المصباح : المروءة آداب نفسانية ، تحل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . والمصباح كما أنه معجم لغة ، فهو لسان من ألسنة الفقه في الإسلام ، ولا سيما فقه الإمام مجد بن إدريس الشافعي المطلب رحمة الله .

وأجمل ما يتجمل به العربي من المروءة وهو في مقتبل العمر ، وفي ذلك يقول الأحنف سيد بني تميم : « السؤدد مع السواد » . وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

ولما كانت المرأة في دنيا العروبة هي أنثى المرء فهي شريكته في المروءة . بل رأيناهم إذا ذكروها بخلق ممتاز من أخلاق المروءة رفعوها إلى مرتبة المرء فسموها امرءا من غير تاء التأنيث ، حكى ابن الأعرابي أنه يقال للمرأة : إنها لامرؤ صدق . وقالت امرأة من العرب : أنا امرؤ لا أخبر السر . نفى هذين الموضعين تجردت المرأة من تاء التأنيث لما تحلت بمروءة الرجال من أمانة وصدق . وفي حديث عليّ لما تزوج فاطمة رضوان الله عليهما ، قال له يهودى أراد عليّ أن يتنازع منه ثيابا : لقد تزوجت امرأة . يريد امرأة كاملة ، كما يقال رجل ، أى كامل في الرجال .

وكنتم في سبيل أن أمضى بالقلم في حديثي مع القراء عن الأخلاق الجليلة لحياتنا الجليلة ، لو لا أنى تذكرت كلمة نفيسة في الأخلاق لصديق القديم أديب العربية الأكبر

السيد مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، فرأيت من اللائق أن أختم بها هذا الفصل ، وجدير بشبابنا أن يعيدوا تلاوتها المرة بعد المرة ، متدبرين ما ترمى إليه ، قال :

« الأخلاق في رأيي هي الطريقة لتنظيم الشخصية الفردية على مقتضى الواجبات العامة ، فالإصلاح فيها إنما يكون من هذه الواجبات ، أى من ناحية المجتمع والقائمين على حكمه .

وعندى أن للشعب ظاهرا وباطنا ، فباطنه الدين الذى يحكم الفرد ، وظاهره القانون الذى يحكم الجميع . ولن يصلح الباطن المتصل بالغيب إلا بذلك الحكم الدينى المتصل بالغيب مثله .

ومن هنا تتبين مواضع الاختلال في المدنية الغربية ، فهى في ظاهر الشعب دون باطنه ، والفرد فاسد بها في ذات نفسه إذا هو تحلل من الدين ، ولكنه مع ذلك منتظم في ظاهره الاجتماعى بالقوانين ، وبالآداب العامة التى تفرضها القوانين ، فلا يبرح هازئا ساعرا من الأخلاق لأنها غير ثابتة فيه ، بل هى ضارة مع المضرة ، نافعة مع المنفعة ! ولا ينفك يتحول لأنه مطلق في باطنه ، غير مقيد إلا بأهوائه ونزغاته . وبهذا وذاك لن تقوم القوانين في الغرب إذا فنى المؤمنون فيه أو كثرتهم الملحدون . وهم اليوم يبصرون بأعينهم ما فعلت عقلية الحرب العظمى [١] في طوائف منهم قد خربت أنفسهم من إيمانها فتحولوا بها ، فإذا أعصابهم بعد الحرب ماتزال محاربة مقاتلة ترمى في كل شيء بروح الدم ، والأشلاء ، والقبور ، والتعفن ، والبلى ...

وقديما حارب المسلمون وفتحوا العالم ، ودوخوا الأمم ، فأثبتوا في كل مكان هدى دينهم ، وقوة أخلاقهم ، وكان من وراء أنفسهم في الحرب ما هو من ورائها في السلم ، لثبات باطنهم الذى لا يتحول : فلا تجيء حروبهم إلا في حدود . ولو كانوا هم أهل هذه الحروب الأخيرة - بكل ما قذفت به - لبقيت لهم العقلية المؤمنة القوية ، لأن كل مسلم فائما هو وعقليته في سلطان باطنه الثابت القار على حدود بيئة محصلة مقسومة ، تحوطها وتمسكها أعمال الإيمان التى أحكمها الإسلام أشد إحكام ، بفرضها مكررة مرات في كل يوم ، لينع بها تغيرا ، ويحدث بها تغيرا آخر ، ويجعلها كالخارسة للارادة : ماتزال تمر بها وتتعهدها بين ساعة وساعة .

(١) يريد الحرب العالمية الأولى ، فكيف لو شاهد - رحمه الله - عواقب الحرب العالمية الثانية !

إنما الظاهر والباطن كاللوج والساحل ، فإذا جن الموج فلن يضره ما بقى الساحل
ركبنا هادئا مشدودا بأعضاده في طبقات الأرض . أما إذا ماج الساحل . . . فذلك
أسلوب آخر غير أسلوب البحار والأعاصير . ولا جرم أن لا يكون إلا خسف بالأرض
والماء وما يتصل بهما » .

وبعد فهذا التفسير الحكيم للتاريخ في الشرق الإسلامى والغرب الفرنجى يستطيع
دارس التاريخ أن يفسر موقف العرب من فتحهم الأندلس ، مقارنة بموقف خصومهم
منهم يوم زال سلطانهم عنها . وبه يستطيع أن يفسر تاريخ دخول الصليبيين بيت المقدس
مقارنا بتاريخ خروجهم منها بعد يوم حطين . وبه يستطيع أن يقارن بين موقف دولة
الروم من المصريين عند الفتح الإسلامى وقبله وموقف المسلمين من ذلك ، وقد ألمعت اليه
في مواضع متعددة من كتابى (مع الرعيل الأول) . بل به يستطيع أن يقارن بين الموقف
الحكيم الذى يقفه ولاية أمور الدول العربية الآن في استرداد حقوق شعوبهم ، وموقف قادة
الغرب في تعصبهم وجشعهم وتنكرهم للحق وإيثارهم الطرق الملتوية على صراط الله المستقيم .
الأمم كلها تختلف ، وتتدافع ، وتصطدم . وهى في اختلافها وتدافعها واصطدامها
كاللوج يحن جنونه ويهيج ويتصادم . غير أن الأمم التى لها في باطنها قوة من هداية السماء
تجعل ساحلها مشدودا بأعضاده في طبقات الأرض ، لا يضرها اضطراب الموج وهيجه
واصطدام لجه بعضها ببعض ، ولذلك نراها في تاريخها من الماضى الى الحاضر لا تكون
إلا في حدود ، وتبقى لقادتها عقليتهم المؤمنة في سلطان باطنهم الثابت القار تحوطهم
وتمسك بهم أعمال الإيمان التى أحكمها الإسلام وجعلها كالخارسة للارادة . فهم أبدا نبلاء
في اختلافهم واختلافهم مع غيرهم ، كما شاهد التاريخ ذلك من سعد في القادسية ومن
أبى عبيدة وخالد في الشام ومن عمرو في مصر ومن صلاح الدين في بيت المقدس ، وهما نحن
أولاء نشاهد ذلك مع الناس في حادث الاختلاف بين الحق والباطل على قضية تأميم شركة
القتال ، وفي حادث البريى ، وفي محميات اليمن ، وفي الجزائر ، وفي كل مكان نجد نحن تاريخ
المروءة والنبل الذى نتوارثه من أيام سعد وأبى عبيدة وخالد وعمرو وصلاح الدين ، بينما
خصومنا في الغرب يموج ساحلهم بهم اذا ماج اللج ، لأنهم ليس لهم في باطنهم تلك القوة التى
وصفها الرافعى ببياناه البليغ . لذلك تجاوزت تصرفات قادة الغرب في هذه القضية وأمثالها من
القضايا القائمة الآن بيننا وبين الاستعمار وهو يتداعى الى السقوط ، فرأى الناس منهم ومنا
ما يتساءلون عن سره وعن سحره ، وسر ذلك وسحره أخلاق نتلقاها عن تراثنا في التاريخ
دبت حياتها في نفر منا فانفجرت كالقنبلة الذرية في دنيا الاستعمار ، وإذا آمنت العروبة
كلها بهذه الأخلاق ، وعملت بها ، وسرى هذا الخير الى العالم الإسلامى كله ، فسيكون له
ما بعده إن شاء الله ، وليعلمن نبأه بعد حين .

نفحات القرآن

- ٤٢ -

العمل للدنيا عبادة

يتهددنا الله على تركها

« ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم إليه جميعا » .

١ - منطق هذه الآية واضح في التهديد لمن يابون الإيمان ، أو يخالفون دعوة الله إلى عبادته .

ولكن : هل التهديد قاصر على المتخلفين عن الجانب الروحي : من عقيدة وعبادة ؟ .
حينما نتلوها أو نتلونها من إنذارات القرآن يسبق إلى الذهن أن هدف الإسلام هو التوجيه إلى مراسم العبادة : دون التفات إلى جانب الدنيا أو عناية بالترغيب فيها .
بل ينساق إلى بعض الأفهام أن الإسلام يحارب الدنيا ، ويذود الناس إطلاقاً عن التطلع إليها .

وقديماً نظر أناس إلى الدنيا هذه النظرة الزارية ، وملاًوا علينا الآفاق وبطون السكتب تحقيراً لدنيانا ، وتزهيدا فيها ، حتى قدحوا في خيال الناس أن مظاهر الفاقة واصطناع التقشف من صميم الدين وتمام العبادة .

ولعل عذر هؤلاء المتزهدين في الدنيا أن القرآن ينتقصها في كثير من آياته ، فهو يصف

الحياة فيها بأنها لهو ولعب ، وبأنها زينة وتفانح ، وبأنها متاع الغرور . . وهكذا مما ينزل بشأنها ، ويبعدها عن منزلة الاعتبار .

وبسبب ذلك خاصموها ، وأفرطوا في الطعن عليها في غير هوادة ولا إشفاق .

٢ — والحق الذي يشهد به القرآن نفسه أن الدنيا عند الله أسمى مما زعموا ، وأعز شأنها مما قالوا ، وأن الله لا يرضى لعباده أن يحتقروها ، أو يتخلفوا عن النشاط فيها ، أو يترشوا في الابتكار والتجديد والكشف عما أودع الله فيها من أسرار وعجائب ، حتى يصلوا في تعميرها إلى غاية الشوط الذي يستطيعونه .

٣ — فهذا كتاب الله يمتدحها في كثير من آيات أخرى ، ويمتن علينا بما حشد فيها من خيرات ، وبما نسق فيها من جبال وبحار وأنهار ، وبما أبدع فيها من جنات ونخيل وأعناب ، وبما أودع فيها من نعم لا نحصىها إذا عدناها .

فهو يقول : « والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة ، والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان » وهو يذكر ما في البحار والأنهار من لؤلؤ ومرجان ، ويذكر غير هذا في كثير من سياقه ، ثم يمتن بهذا كله على الإنسان والجن فيقول سبحانه : « فبأي آلاء ربكما تكذبان . . ؟ » .

والقرآن يستنهضنا كثيرا إلى التمتع بما خلق الله لنا فيها ، وإلى شكر الله على ما أنعم علينا .

٤ — فهو بذلك يعتبر الدنيا ذات شأن ، وليست هينة في حساب الدين . غير أنه يحذرننا من فتنتها ، والانتقطاع لها ، واتخاذها ملهة عن حياة أخرى هي أكثر متاعا ، وأرق شأنها ، وأبقى زمانا .

وواضح أن التحذير من خلافة الدنيا ينطوى على الإشادة بما فيها من متع الحياة ، وينطوى على أنها فاتنة تغري المرء بمباهجها ، وتنسيه ما وراء الحياة من نعيم خالد .

٥ — وقد علمنا في آياته أن كل ما في الأرض بل ما في الدنيا مخلوق لمنفعة الإنسان ومتاعه ، على أن ينتفع بمتعها ، ثم يؤدي لله واجب الشكر عليها بأقواله وبأعماله ، على نحو ما رسم لنا في تشريع .

٦ — فإذا كان مفهوما لنا من صدر الآية أن المستنكفين عن عبادته لزهادتهم في الانتفاع بها ، والمستكبرين عنها شموخا بأنفسهم : ممن كفروا بالله أو بما جاء من عنده ، مهددون بعذابه الأليم بسبب استنكافهم واستكبارهم .

أو كان مفهوما لنا كذلك أن المتخلفين كسلا عما فرض الله من تكاليف ، وأن دعاة الفتنة المحاربين لما دعا الإسلام إليه من أخلاق ، والداعين إلى مهازل الحياة ، أو نحو هؤلاء جميعا ، مهددون بالعذاب الأليم في اليوم الآخر .

فليكن مفهوما لنا حتما أن المنصرفين عن تقدير ما في الدنيا من آلاء الله ، والمتخلفين عن العمل في هذا الكون والإنتاج في الحياة مع قدرتهم على ذلك ، يعتبرون تاركين لجانب من العبادة التي ينشدها القرآن ، ويتطلع إليها الإسلام ، وأنهم في موقف التهديد أشبه بالمستنكفين والمستكبرين .

٧ — وليس صحيحا أن الدنيا كما فهمها من لم يلتفتوا إلى امتداح القرآن لها ، ولم يفتنوا إلى عناية الله بالجد فيها ، وغاب عنهم تشجيع النبي - صلوات الله عليه وسلم - على المثابرة في تعميرها يوم اشترك مع قوم في تأييد نخلهم ، وحين قال : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، وحين حث على التجارة والزراعة ، وحين حرضهم على الاحتطاب في رأس الجبل إذا لم تكن لهم تجارة أو زراعة أو نحوهما ، وحين شجع على اقتناء الثروة لترك المرء ورثته أغنياء مخافة أن يتركهم عالة يتكففون الناس ، ونحو هذا مما هو بين دفتي المصحف أو في كتب السنة .

٨ — وغير خاف أن الدنيا إذا توفرت لشخص واعتصم بالله في تدبيرها ، وراقبه في التمتع بها ، كان أقدر على الوفاء بحقوق دينه ، وبحقوق مجتمعه ، وكان أقدر كذلك على خدمات إنسانية فوق ما يناط به .

ومن هنا يتأكد لنا أن الدين كما يقوم على العقيدة ويتمثل في العبادة ، يقوم كذلك على المال ، ويتمثل في الإنتاج وفي العمل الصالح للجماة .

إذ الإسلام بطبيعته وفي جوهره دين عزة ، ومنهج كرامة ، وشرعة للحياة الأبية . . ولا يتاح له أن يكون كذلك على أكل الوجوه - إلا في البيئة الخصبية ، والوسط الرحب ، والعيش الرخي ، وفي ظل السيادة والعدالة والنهوض المتوثب : لامع الفاقة ، ومذلة الحاجة ، وتحكم المسغبة في البطون الخاوية .

وما من شك في أن تشريع الله للهجرة من مكة إلى المدينة لم يكن خاليا من التوجيه إلى ذلك .

فإن المدينة كانت ولا تزال أرفه عيشا من مكة ، وأكثر خصبا ، وأروح بالا ، وكان لهذه الميزات أثرها في استقرار الإسلام في المدينة ، واستقراره بعد ذلك في أسواها ، ولا يزال لهذه الميزات أثرها الحتمي في مرونة الذهن ، وسماحة الطبع ، ورقة الخلق ، وهذا ما يلمسه كل من أتيج له ملاقة أهل مكة وأهل المدينة حتى اليوم ، وكل من لا بس الحياة الناعمة والحياة الجافة .

كما أن تشريع الإسلام للزكاة ، وحضه على الإحسان والعطاء ، لم يقف عند غرس المودة والتعاطف بين المعطى والآخذ ، بل قصد كذلك الترفيه عن الأنفس المكدودة ، وصيانة ما استقر فيها من روحانية الإيمان والتدين ، والحفاظ عليها من مساورة البؤس ، والانصراف إلى المسادية البحتة ، وإلى الكد والتحصيل لما يقيم الأود تحت تأثير الضنك والعوز . وأنت ترى من ذلك أن الإسلام لا يعاف الدنيا ، ولا يضعها في المكان الهين ، بل يعتمد عليها مراقبة إلى أهدافه العالية .

٩ — فلو أن رجلا بنى مسجدا واعتبرنا عمله هذا عبادة مجودة : فكذلك الشأن في رجل بنى قنطرة للعبور عليها ، أو أقام سوقا تنبج للناس أن يتبادلوا فيها منافعهم ، أو بنى مصنعا يتعلم فيه الناس مهنة يرتزقون منها ، أو نحو هذا مما نراه عملا دنيويا .

فكل ذلك انفاق في سبيل الله ، وكل ذلك تيسير على الناس ، وكله من مقاصد الإسلام .

والمختلفون عن هذه المؤسسات — مع قدرتهم ومع الحاجة إليها — متخلفون عن جانب من العبادة ، وهم في عداد المستنكفين أو المستكبرين وإن تفاوت الإثم ومقدار الجزاء . « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم » .

١٠ — ومما يرشد إلى هذا في الآية : أن الله سبحانه وتعالى عزم في التهديد وقال : « فيسحشرهم إليه جميعا » ثم فصل هذا التعميم ، فقال : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » .

فانظر : تجدد ثواب الله لذوى الأعمال الصالحات فوق ما يستحقون ، فهو يزيدهم

من فضله ، والأعمال الصالحات ليست نوعا خاصا ، بل كل ما يدعو إليه الإسلام للدين والدنيا جميعا .

والمقابلة بين أهل الصالحات وبين المستنكفين عن عبادته يكشف لنا في إيضاح ، ويدلنا في قوة ، على أن حساب الله سيكون على كل ما نقوم به من عمل ، وأن الثواب منوط بكل ما يعتبر صالحا ولو كان في حسابنا الدنيوى . كما أن العقاب سيكون على غير الصالح مما يجلب ضررا ولو دنيويا ، فالدنيا ليست عبثا ، والإنسان لم يترك فيها سدى ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

١١ — وقد يقال : إن الأنبياء لم يشغلوا أنفسهم بالدنيا ، فهل تخلفوا بذلك عن أمر كان واجبا ؟ .

والجواب : أن عمارة الدنيا كانت هدفا مقصودا في دعوتهم ، فقد صرفوا الناس عن الإفساد فيها ودعوههم إلى العمل النافع . . وما من نبي إلا قام بنصيبه في الحياة قبل رسالته وبعد رسالته . . غير أنهم لم يعيشوا لأنفسهم ، بل بعثوا للتبليغ ، وبث الدعوة ، وتربية شعوبهم ، فكان تعليمهم للناس كيف يتعبدون لله ، وكيف يتعايشون ، وكيف يتحابون ، يعتبر تنظيما للدنيا وتوجيها إلى العمل فيها من أوسع الجوانب .

وبخاصة نبي الإسلام ، فقد نظم لهم قوانين التعامل ، ورسم لهم مسالك الحياة الفردية والجماعية ، ولم يرض لأهله أن ينقطعوا للعبادة ، وسماها رهبنة ونهى عنها في الإسلام . وحسبنا أن الله فرض خمس صلوات فقط ، وترك لنا اليوم كله للعمل الدنيوى ، وفرض الصوم شهرا واحدا ، وأفصح لنا مجال العمل مع الصوم وطول العام ، وفرض الحج مرة واحدة ولم يشغلنا به كل سنة .

وفي هذا ونحوه توجيهه إلى إنفاق الزمن في العمل : دينيا محضا ، ودنيويا نافعا ، وليس من حسن الإيمان ولا من تمام الإسلام أن يقف المرء عند جانب دون جانب ، والله يقول : « وقل أعمالوا » ولم يقيد العمل بنوع دون نوع ، بل أطلقه ليشمل كل خير نبتغيه للأولى وللآخرة .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

عيد الجلاء الأول

- ٢ -

من هؤلاء اليهود ؟ - إمعانهم في الجدل - مجادلة بالحسنى في إغرام وإلزام - معاملة أهل خيبر - من السياسة الحكيمة العليا - فليأخذ عنها سياسة الدنيا - الإنذار الأخير .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : بلينا نحن في المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود ، نخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : بلغت يا أبا القاسم ، قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، ثم قالها الثالثة ، فقال : اعلموا أنما الأرض لله ورسوله ، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله . »

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى *

(*) في كتاب الاعتصام ، وأما الرواية السابقة في الجزء الأول ففي كتاب الجهاد ، كما سيأتى .

من هؤلاء اليهود الذين خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه ومنهم - رضوان الله عليهم - أبو هريرة راوى الحديث ؟

ختمنا الجزء السابق بهذا السؤال ، على أن نجيب عنه في هذا الجزء ، مستعينين بالله عز وجل .

* * *

لم يرو هذا الحديث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبي هريرة :
رواه عنه البخارى في ثلاثة مواضع :

في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، من كتاب الجهاد ، وقد آثرنا لفظه في الجزء السابق . والمناسبة بينه وبين الباب والكتاب ظاهرة ...

وفي باب بيع المكروه ونحوه في الحق وغيره ، من كتاب الإكراه ، مشيراً إلى أن إجماع اليهود إنما هو على كرهه منهم واضطرار لا اختيار لهم فيه . . فيبيع ما يبيعون من أموالهم إذاً ماض لا بأس به ، ولا شبهة فيه . .

وفي باب قوله تعالى : « وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً » وقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » من كتاب الاعتصام . واختارنا روايته في هذا الجزء . وقد أشار البخارى بهذه الترجمة إلى إمعان اليهود في الجدل والهروب من الحجمة التي دمعهم ، كما أشار إلى مجادلته صلى الله عليه وسلم بالتي هي أحسن ، في إخماد وإلزام ...

ولا نريد أن نطيل في صنيع الإمام البخارى ودقته في تراجمه ، واستنباط المعاني الدقيقة الجملة من الحديث الواحد ، إذ يكرره في غير موضع ، فقد أطرنا وسيطرنا بالكثير الممتع في هذا وغيره من فنون السنة ، أستاذ مؤلف فاضل ، يعرفه القارئون على السنة ويقدرونه * وإنما هي لمحة دعت إليها مناسبات يقتضيها شرح الحديث وبيانه .

* * *

ورواه مسلم عن أبي هريرة في باب إجماع اليهود من الجحاز ، من كتاب الجهاد والسير .

(*) ... وانظر مقاله في الجزء السابق ص ٨٧

وقد روى الحديث في غير الصحيحين ، وأكبر علمنا أنه لم يروه أحد من الصحابة سوى أبي هريرة رضى الله عنه .

* * *

وإذا كنا نقرأ في ترجمته وسيرته رضى الله عنه أنه قدم المدينة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام عام خيبر - أيقنا ولا مرية بأن أمر هؤلاء اليهود كان بعد الفراغ من أمر بني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، ويهود خيبر جميعا . وإذا روينا عنه أنه شهد خيبر ، فذلك بعد الفراغ من قتال يهودها ، كما روى عنه أيضا ، ولا تعارض بين الروایتين ، بل إن الثانية تعضد الأولى وتكملها .

فهل أولاء بقايا كانوا قد تخلفوا بالمدينة أذلاء بعد الفراغ من شأن الطوائف الثلاثة ، فأجلهم النبي صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة تطهيرا لها ؟ . . والمراد من الأرض إذا أرض المدينة (*) أوهم فريق من يهود خيبر كانت لهم في المكر والغدر اليد السفلى . .

كان صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبرهم باجلاء اليهود جميعا . . . فقالوا : يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم ، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا هم لا يفرغون للقيام عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم ، روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر سأله اليهود أن يقرهم بها على أن يكفوه عملها ولهم نصف الثمرة ، فقال لهم : نقركم بها على ذلك ما شئنا .

* * *

ليس في هذا العقد تأييد ولا التزام من قبله صلوات الله وسلامه عليه ، بل هو صريح في إقرارهم وإجلائهم متى شاء . . وهذه من السياسة الحكيمة العليا : صدق وصراحة ، وحزم وكياسة ، ونظر إلى مصلحة الأمة دون أدنى مساس بالخلق العظيم ، والمنهج القويم . وشتان ما بين هذا الهدى النبوى الحكيم ، وتخبط إخوان الشياطين ، فيما يسمونه بالمعاهدات أو القوانين الدولية !!

* * *

(*) فيما يظهر . ولا مانع من أن يكون المراد : أرض الحجاز .

كانت خيبر واحة كبيرة تقع على نحو مائة ميل من المدينة إلى جهة الشام ، ولم يكن سكانها مجتمعين في صعيد واحد ، بل كانوا متفرقين في وديان متجاورة ، ومتحصنين بحصون منيعة ، وسط النخيل وحقول القمح .

وكانت مركزا لدسائس اليهود الذين هاجروا إليها . . . ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذرهم ، ومن هنا أقرهم صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقرهم ، كما هو العهد الصريح معهم ، ثم أنذرهم بالخلاء . . .

وإذا كانت له صلى الله عليه وسلم الخيرة التامة في إقرارهم ، فلا بد مع هذا أن يكون قد رأى منهم دسا وخبثا قبيل هذا الإنذار . . .

والمراد من الأرض إذا أرض الجزيرة العربية كلها .

* * *

وسواء أجالاهم النبي صلى الله عليه وسلم بالفعل أم اكتفى بإنذارهم هذا ؛ فقد عرفوا أن كيدهم لا يخفى على الله ورسوله ، وأنهم مهددون في كل ساعة بطردهم من الجزيرة شر طردة . لا جرم أنهم كانوا يعملون الحيلة ، ويجددون الوسيلة ، لتخلصهم من النبي صلى الله عليه وسلم جاهلين أو متجاهلين ما أصاب إخوانهم من قبل جزاء وفاقا « ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله » .

ولا جرم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتابع أخبارهم ، ويعلم حق العلم أنهم العدو الألد له ، والعقبة الشكوى في سبيل دعوته ، فلن يستطيع تبليغها كما أمره الله تعالى ، إلا إذا اطمأن عليها ، وعلى الجزيرة العربية وسكانها . ولا سبيل إلى هذه الطمأنينة بعهود طالما نقضوها ، ومواثيق طالما حلوها . . . وإنما السبيل الذي لا سبيل غيره أن يستأصلوا من الجزيرة . . .

ولهذا الاستئصال كان يتحين صلى الله عليه وسلم أنسب الأوقات وأحراها .

* * *

وسنرى في المقال الثالث والأخير إن شاء الله تعالى تفصيل ذلك ، وكيف أراح الله الجزيرة العربية من بلائهم باتمام جلائهم منها ، إنفاذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يودع هذه الدنيا ! ! ما

الهجرة الشريفة

بطولة وحسن سياسة

إن البطولة الحققة والشجاعة النادرة والكياسة المتدبرة والسياسة الحكيمة ، كل أولئك إنما يظهره في الرجال خطوب الدهر وحداثته ، ونوب الزمان وكوارثه ، فهي المحك الذي تظهر به أخلاق الرجال ، والمعيار الذي يعرف به قوتهم وصبرهم وشجاعتهم . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبته ربه نباتا حسنا ، أنبته على أكل ما يكون من الصفات والأخلاق ، كما قال هو عليه الصلاة والسلام : « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصنفى مهذبا » . وكما قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم » . وفي رواية بعد هذا « فأنا خيار من خيار » .

فهو المصطفى والمهذب وهو المختار والمنتقى ، فلا بد أن تتمثل فيه السمالات كلها ، وتترن نفسه بأطيب الصفات وأكرم الخلال . وقد نشأ عليه الصلاة والسلام من أول حياته مهاجرا منتقلا من رفعة إلى رفعة ومن مكرمة إلى مكرمة ؛ صادفا بفطرته عما لا يليق ، بعيدا عن كل شين ، ألم يقل هو عليه الصلاة والسلام : « والمهاجر من هجر السيئات أو من هجر ما نهى الله عنه » . ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه ارتكب طول حياته أمرا جاء الشرع الشريف بتحريمه أو كراهته ، بل كان في صغره يفعل المكرمات ويأتى بالعظائم ؛ فقد ورد أن مرضعته حليمة السعدية رضى الله عنها كانت إذا أعطته ثديها الأيمن يقبل عليه يمسه حتى يروى ويشبع ، فإذا أعطته الآخر أباه وأعرض عنه ، ولم يكن ذلك إلا لأن الله سبحانه ألهأخا في الرضاع ينبغي أن يروى ويشبع ، وهل هذا إلا هجرة عن الظلم إلى العدل وعن الجور والحيف إلى المساواة والحق ، فكانت حياته صلى الله عليه وسلم كلها هجرات متتابعات ، حتى أذن الله سبحانه بالهجرة الكبرى من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، تلك الهجرة التي غيرت وجه الزمان وأخضعت التاريخ ليصبيخ لها ، وفصلت بين الحق والباطل ، وظهرت بها بطولة الرسول الأعظم وحسن سياسته وكياسته .

ولم تكن تلك الهجرة الشريفة منه صلى الله عليه وسلم خوفا على نفسه أن يموت أو يلحقه ضرر مدمر ، فقد لقي من أذى الكفار ما لا تتحمله الجبال الراسيات ، ومع ذلك كان دائم الظهور بينهم ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وهو فريد ليس معه أحد . وقد قال أصحابه رضى الله عنهم : إنه كان دائما في الحروب أقربنا إلى العدو ، وكنا أحيانا نتقى به العدو .

وقد وقف صلوات الله عليه في غزوة أحد لما تفرق عنه أصحابه ينادى بأعلى صوته ويقول : « إلى عباد الله ، أنا رسول الله » ولم يدع مكانه ولم يتحجل عنه . فهل مثل هذا يخاف الموت أو يخشى الهلاك ؟ كلا . . . ولكن الذى كان يشغل باله إبلاغه رسالة ربه ، فقد كان يخشى ألا يبلغها وفيها الهدى والسعادة ، فهاجر ليليلها ويهذى الناس إليها ، وماذا على ذى المبدأ الحق الواصل بمبدئه المقتنع بثوابه وثمرته ، إذا تحول عن أناس لم يقبلوه إلى آخرين وثق أن يقبلوه ويعتقوه ؟ وهل من عيب على قائد متوشب يحارب في ميدان فلم يذعن العدو له فتحرف لقتال وانتقل إلى ميدان آخر علم أنه سينتصر فيه ثم يعود إلى الميدان الأول فيستولى عليه جميعه .

أشهد أنها السياسة الحازمة والبصيرة النافذة والتفكير الصائب الثاقب ، شأنه صلى الله عليه وسلم في كل أحواله . أو لم تنظر كيف كانت سياسته في دعوته عشيرته إلى الإسلام لما أنزل عليه ربه : (وأذر عشيرتكم الأقربين) فقد صعد الصفا ونادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى . . لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا - وفيهم أبو لهب - فقال : أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا . وفي رواية : ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبالك ، أهذا دعوتنا ؟ فانظر كيف استل منهم اعترافهم بأنه المعروف بينهم بالصدق طول حياته ولم يجرب عليه كذب قط ، حتى إذا ردوا عليه بعد ذلك دعوته كانوا عند العقلاء أشبه شئ بالمجانين ، ولذلك قال قيصر عظيم الروم : « لم يكن (أى النبي صلى الله عليه وسلم) ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله » .

انظر إلى حكمته صلى الله عليه وسلم وسداد رأيه لما أراد أن يهاجر إلى المدينة المنورة ، فانه صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يهاجر إليها من غير سابقة معرفة ببعض أهلها ، فأنهم كانوا كفارا ، ولو نزل عليهم ودعاهم إلى الله وترك دينهم فربما كان موقفهم معه كموقف

كفار مكة : ردوا استهزاء وعداوة وأذى مستطيرا، فساس الأمور بحكته وحسن تدبيره ، وعمل على أن يقابل بعض عظمائهم (الأوس والخزرج) فى موسم الحج فى كتمان وخفية من قومه ، ليقنعهم بما يريد منهم ، وهو أن يمنعوه من القتل حتى يبلغ رسالات ربه ، فاستجابوا له عليه الصلاة والسلام وعاهدوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أولادهم ونساءهم حتى يبلغ رسالات ربه . ثم انظر إلى شجاعته الفذة وبطولته العظيمة ليلة تنفيذ هجرته الشريفة ، فقد كان كفار قريش اجتمعوا فى دار نذرهم يتشاورون فيما يصنعون فى أمره عليه الصلاة والسلام ، ثم اتفقوا على ما رآه أبو جهل - لعنه الله - حيث قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى جلدا نسيبا وسيطا ، ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعملوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فندسريح منه ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فنعقله لهم (أى ندفع لهم ديتهم) فقالوا : لا رأى غير هذا ، وأسرعوا ينفذونه ، فاجتمع شبانهم لبيل أمام بيته صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام ليثبوا عليه ، ولكنه صلوات الله عليه أمر عليا أن ينام مكانه وخرج عليهم وفى أيديهم السيوف الصارمة وفى قلوبهم نار العداوة المتقدمة ، وهو أعزل إلا من ثقة بالله وقلب شجاع قوى بالإيمان ونفس مطمئنة راضية بما يلقاه فى سبيل تبليغ رسالة ربه ، فتر من بين صفوفهم ، وحثا التراب على رؤوسهم ، وذهب إلى حيث يريد الله ، وقد كان يمكنه صلى الله عليه وسلم أن يبيت على فراشه لا يبالى بجمعهم (فكل جمع مؤنث) ولكن كيف كانت تظهر تلك البطولة التى فاقت كل بطولة ، وكيف كان يغيب الكفار بوضع التراب على رؤوسهم ؟ ! .

قصده هو وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور يستخفيان حتى يخف عنهما الطلب ، وهنا نذكر للصديق - رضى الله عنه - وفاءه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان أثناء الطريق يمشى أمام النبي مرة ومرة خلفه وأخرى عن يمينه أو شماله ، فخاطبه فى ذلك فقال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك أو عن يمينك أو عن يسارك . ولم يصلا الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك ، فان كان فيه شئ نزل بى قبلك . وبينما هما فى الغار إذ القائف الذى يقص الأثر يدل الأعداء على الغار ، فوقفوا أمامه مشدوهين يفكرون : أين ذهب ؟ وما إن أحس بهم أبو بكر أمام الغار حتى هلع وجزع وارتعد واضطرب وحزن حزنا كبيرا إشفافا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان يعتقد أنهم إن ظفروا به عليه الصلاة والسلام لا بد قاتلوه فلا يبلغ رسالة ربه .

ولأنه ليرودك في هذا المقام شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُدوء نفسه وطمأنينة قلبه إذ يقول لأبي بكر في هُدوء وتؤدة: « ماظنك باثنين الله ثالثهما » .
وقد حكى الله تعالى ذلك في القرآن الكريم إذ يقول : « ثانی اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

وما إن وصل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة حتى فرح به أهلها فرحا شديدا ، وخرجوا يلقونه بظاهر المدينة حتى قال البراء بن عازب فيما يرويه البخارى : « ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم » وأشرقت المدينة بحلوله فيها ، وسرى السرور إلى القلوب ، وعمت الفرحة جميع الناس .

وبعد - فهل كانت هذه الهجرة الشريفة لإساسة حكيمة انتصر بها الإسلام نصرا مؤزرا ، وعز جانبه وقويت شوكته وانتشر في الناس نوره ، حتى أمكن لأهليه أن يفتحوا ذلك البلد الذى أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم (مكة) بعد أعوام قليلة ، وعاد القوم بنعمة الله إخوانا ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلفين رءوسكم ومقصرين لاتخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

محمد محمد الطنبغى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

الحرية

هاج نسيم الريح لى أمرها	بالله ياربح ابغى ذكرها
تجهز الدهر لإفلاقها	ماحدث فى ليلاة دهرها
لئن طوى استبداده ليلها	فما طوى عن مقاتى فجرها
نجوت من ظلم ومن ظالم	يادهر إن يسرت لى عسرها
إن تخرجوا الآساد فى غابها	هيات ماتكفيكم شرها

شفيق جبرى

منافسة ومخفى :

العرب

في مقدمة ابن خلدون

دأب بعض المؤلفين على الاستشهاد برأى ابن خلدون في العرب !! فهو يلح إلحاحاً جاهداً في ترداده بين من يذكر آراءهم من أساتذة الغرب وأعلامه . والعجيب أن ابن خلدون مرجعه في هذه النقطة فقط !! فهو لا يكاد يذكر له رأياً آخر، مع وفرة ما للرجل من أفكار عالية في شتى المناحي الاجتماعية والتاريخية !! فهل كان العلامة ابن خلدون - في هذا الموضوع وحده - إماماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وهل ذهبت جميع آرائه أدراج الرياح حتى يبدئ الكاتب في تنقصه للعرب ويعيد !!

إن العلامة ابن خلدون - على ثقوب ذهنه وسعة اطلاعه ودقة معارفه - قد زل زلّة خاطئة إذ تهجم على تاريخ العرب في تحيف وانتقاص، والرجل - مهما جات مكانته العلمية واعترت الثقافة الإسلامية بمواهبه وآثاره - بشر يخطئ ويصيب !!

وطبيعي أن يثير الرجل بما كتب عاصفة عاتية، فقد انقسم الباحثون - وما أكثرهم - إزاءه انقساماً صاحباً، ففريق يؤيد عن غرض وحزاة، وفريق يؤول عن محبة وإشفاق، وفريق يعارض عن إنصاف واستقراء !! . وسنناقش ما يقول جميع هؤلاء في هدوء وإيجاز. أما المغرضون من المؤيدين فقد أغمضوا أعينهم عن واقع التاريخ الإسلامي، وأجازوا لأنفسهم أن يشكروا البدائن الملموسة في تاريخ العرب إنكاراً يدعو إلى الدهشة والظنون !! بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فاندفعوا يصفون ابن خلدون بسعة الأفق ورحابة الصدر واتساع النظر، والبعد البعيد عن التعصب والانقياد، وهكذا يكون كل متهم على العرب من أبنائهم حرّ التفكير واسع الصدر في منطق هؤلاء !! كما كان كل إباحي ملحد خارج على الإسلام حرّاً مفكراً وصاحب رأى شجاع في منطقهم أيضاً !! . وبعضهم لا يجرؤ على انتقاص العرب علانية فيستتر وراء آراء ابن خلدون، ثم يناقشها مناقشة تميل بها إلى التقوية والتأييد، وهو بعد جبان وعديد لا يستطيع أن يعلن عن بغضه وكرهيته، بل يحتج بكاتب لاعم أخطأ في الحق فأصاب عند المغرضين !!

وأما المؤولون المثقفون فقد عز عليهم أن يكبو الرجل كبوة ساقطة ، فلجئوا إلى التأويل والتشريح !! وجزموا بأن الكاتب يقصد بالعرب الأعراب ، وشتان بين أولئك وهؤلاء ، فهو إذن لا ينقص غير سكان البادية من الأعراب الرحل الذين لا ينضون تحت لواء ! ولا يمتدون بشريعة وقانون ! !

قال الأستاذ طه الراوى - رحمه الله - في أحد أعداد مجلة الأدب والفن : « وقد كان الناس في العصر الثامن الهجرى وما بعده يطلقون اسم العرب ولا يريدون به إلا الأعراب خاصة ، بجرى ابن خلدون في مقدمته على عرف أهل زمانه ، ولذلك اختلط على الناس فهم كلامه فاختلفوا في مراده : فمنهم من قال إنه لا يريد بهذه الكلمة إلا المتنقلين من أهل البوادر خاصة ، ومنهم من قال إنها كلمة مطلقة فيجب إجراؤها على إطلاقها فهم يريدون بهم هذا الجيل من الناس بدوهم وحضرهم ، وقد أطنب الكتاب في ذلك وأسهبوا مع أن الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى إيضاح ، فإن أسلوب ابن خلدون يدل على أنه جارى عرف زمانه في إطلاق لفظ العرب على الأعراب خاصة ، ولا يزال هذا العرف شائعا عند العامة من عرب هذا العصر في العراق والشام ومصر وغيرها » ! !

وشبيهه بقول الأستاذ الراوى قول الأستاذ ساطع الحصرى في كتابه «دراسات عن مقدمة ابن خلدون» ص ١٠٧ : « إن كلمة العرب في مقدمة ابن خلدون من الكلمات التي ولدت أغرب الالتباسات وأتجبت أسوأ النتائج ، ذلك لأن ابن خلدون استعمل الكلمة المذكورة بمعنى البدو والأعراب خلافا للمعنى الذي نفهمه الآن كما يتبين من الدلائل والقرائن الكثيرة المبينة في جميع أقسام المقدمة » ! !

والحقيقة أن تأويل العرب بالأعراب ظلم سافر ، وتمحل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال ، فالذين فتحوا الممالك هم العرب ، والذين اختطوا البصرة والكوفة والقيروان هم العرب أيضا !!

كما أن الذين تولوا الجباية والخراج وعبروا إفريقيا والمغرب من الذين عناهم ابن خلدون عرب تغلب كثرتهم الكثرة على من اندمج فيهم من بعض الأعراب ، وإذا كان أولئك جميعا أعرابا فلا عرب لدينا البتة ! فكيف نتجاهل الواقع ونحمل كلام الرجل ما لا يطبق ؟ !

على أننا نذهب إلى أبعد من هذا ، فنقول : إن في هذا التأويل الخطئ ظلم فادحا

للأعراب بنوع خاص !! فبعض الأعراب قد كانوا في عهد النبوة على جانب أليم من شراسة الخلق وجفوة الطباع ، والذهاب مع الرعونة إلى أبعد مدى استطاع ، وفيهم نزل قول الله عز وجل : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » وقوله : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » وقوله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » !! هؤلاء وأمثالهم قد وجد فيهم من يخشع للحق ويستجيب في الدعوة الإسلامية عن خاطر طيب ، وقلب سليم !! فقد قال الله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم » وقد نزلت هذه الآية الكريمة في أعراب مزينة إذ نهضوا إلى رسول الله يحملون ما يقدرون عليه من الأموال في سنة ناضبة ماحلة ! وهم قوم النعمان بن مقرن المزني شهيد « نهاوند » وصاحب المواقف الخالدة مع إخوته الأشاوس في الحروب الإسلامية ، والفتوح الميمونة ! ومزينة معروفة بمن أفتحت في البأس والقضاء والشعر والحكمة !! وهى وأمثالها من القبائل قد انتقلت من أطراف المدينة إلى الحدود النائية لتحمي حوزة الدين وتتقدم الفتوح الإسلامية المظفرة !! وكم للأعراب من وثبات ظافرة في فداء الإسلام وتقدمه !! فمن الظلم البين أن نكيل إليهم الاتهام على إطلاقهم ، دون تفرقة بين من أذعن فأطاع ، ومن خالف فتنكب السبيل ! ولو حملنا منطق ابن خلدون - مع استحالة - على الأعراب وحدهم لكان جديرا بالمناقشة والتعقيب ، فعلينا ألا نخرج بالرجل من مازق لنوقعه على مازق آخر !

إن الأعراب في مناحب البادية ومشارف الصحراء - فضلا عن بلاء أكثرهم في نشر الدعوة - قد خدموا اللغة العربية خدمات جزيلة ، فقد كانوا مرجع اللغويين والباحثين من علماء النحو والصرف والعروض حين قامت الأمصار واختلط العرب في الحواضر بالأعاجم ، فسرت العجمة إلى لسانهم ، وأصبحوا غير قادرين على الاعتصام بالفصحى الأصيلة !! وهنا كان الأعراب في بواديهم مصدر الباحثين ونجعة الورد ، يسألون فيجيبون ، وبمشافهاتهم الطويلة ومحادثاتهم الكثيرة ضمت اللغة العربية كنوزا ثمينة ولآلئ غالية ، وفهم ما استعصى فهمه من غريب الشعر ونادر الحديث ! ولهم في النخوة والكرم والبسالة ، والصبر على الشظف والخشونة ، وصدق الفراسة وقوة الانتباه ، أعاجيب خوارق ، فكيف تناسى ذلك كله لتتكلف تصحيح أخطاء وقع فيها إنسان يخطئ ويصيب

بالغا ما بلغ من القدرة والرجحان . وفي سبيل هذا التأويل المتعسف اضطر الأستاذ ساطع الحصرى أن يزعم أن كلمة العرب قد تطورت تطورا متعاقبا فقد كان : « مدلول كلمة العرب يختص بالبدو وحدهم ثم صار يشمل من يسكن المدن والأمصار دون أن يقطع صلاته بالبادية ، ثم صار يشمل سكنة الأمصار بقطع النظر عن صلاتهم بالبادية أو رجوع نسبهم إليها » كما في ص ١٠٨ من الدراسات للحصرى ! !

ونحن نسأل متى أطلق المدلول الأول للكلمة ؟ وإلى أى مدى انتهى المدلول الثانى ؟ ثم متى اشتهر المدلول الثالث ؟ نحن نسأل عن ذلك فلا نجد إجابة تقنع أو ردا يفيد ! !

الحق أن التأويل مخلى متعسف ، فلنتركه إلى الحديث عن الفريق الثالث الذين يعارضون ابن خلدون عن إنصاف واستقراء ، وليسوا بحمد الله فى حاجة إلى تأويل زائف أو جهد مرهق فى إيضاح حقهم السافر ، فصحيح التاريخ الإسلامى تشهد للعرب بالبسالة والإقدام ، فقد فتحوا فى أقل من قرن ما عجزت الإمبراطورية الرومانية أن تفتح فى ثمانية قرون ! ! واقتحموا الأهوال والصعاب فى الجبال الشاهقة ، والصحارى المجردة ، والآكام الناهضة ! ! ولم يتغلبوا على البسائط السهلة وحدها كما زعم الكاتب ، بل عبروا مفاوز الأناضول ، وتقدموا فيما وراء النهر ، وانقلبوا إلى افريقية فالأندلس ، وتوغلوا فى حدود فرنسا توغلا لا يزال يرن صدها المزجج فى توارينهم المتعاقبة من كتاب إلى كتاب ومن جبل إلى جبل ، وكان لهم من العماره والتشييد والبناء مناطقت به آثارهم الماثلة وتوارثته أجيالهم المتعاقبة ! ! أما ما أحدثوه من النظام والأمن والسياسة فقد صار معجزة الأبد وأحاديث الكتب ، مما لا يخطرئ مستشرق غربى - فضلا عن كاتب إسلامى - على إنكاره ، أو الخوض فيه بظن مجحف أو إرجاف مريب ! ! فعلى الذين يقعون مع ابن خلدون فى زلته المشككة أن يغيروا صحائف التاريخ ثم ليقولوا بعد ذلك ما يشاءون . ونحن نستوضح سر الحملة الأليمة الفاسية التى وجهها الكاتب الإسلامى العظيم إلى حملة دينه وذادة شريعته فلا نجد سببا يحيز التهجم والانتقاص ، فلا ريب أن المؤرخ الكبير قد درس تاريخ العرب دراسة وافية ، وهدته بصيرته النافذة إلى ما سجلوه فى صحائف الخلود ، من فتوح زاهرة وحضارات مجيدة ! ! وإن نذهب مع الذين يتهمون الرجل بالتعصب للبربر والضغينة على العرب (فهو ينسب إلى العرب الليمانية فى حضرموت) وليكنه - كما يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه عن ابن خلدون ص ١٣ - « يشك فى صحة هذه السلسلة ويعتقد أن أسماء منها سقطت لأنه إذا كان خلدون هو جده الداخلى إلى الأندلس

عند الفتح فان عشرة أجداد لا تكفى لقطع ستة قرون ونصف وهى التى انقضت منذ الفتح حتى مولده ، وفى رأيه أنه يجب لقطعها عشرون باعتبار ثلاثة أجداد لكل قرن .

أقول : ان نذهب إلى اتهام الرجل بالتعصب للبربر !! إذ لو جاز ذلك فى مذهبه لما جاز لنا أن نكون متعصبين مثله ، لأننا ننظر إلى غير العرب من المسلمين كالفرس والهنود والبربر والترك نظرتنا إلى العرب المسلمين سواء بسواء على قدر اخلاصهم للإسلام ، فالإسلام قد سوى بين أبنائه مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم !!

فان كان لدى الكاتب المؤرخ بعض التعصب - كما يتوهم - فقد خالف به تعاليم دينه القويم ، وتنكب طريق المؤرخ العادل فى البحث الشامل والاستقراء المنصف والحكم التزيه ، ومهما يكن من شئ فالرجل ملوم على آرائه ، إذ جانب الحق مع وضوحه !! وخاض فى الباطل خوفا كريها ، ولكل صارم نبوة كما يقولون .

محمد رجب البيرونى

المدرس بالمنصورة الثانوية

الجهاد والشهادة

أنا ما حييت فقد وقفت لأمتى	نفسى ومالى فى سبيل بلادى
فاذا قتلت - وتلك أقصى غاية	لى - فالوصية عندها أولادى :
بنت لتضميد الجراح ، ويافع	يعنى بتثقيف القنا المياد
حتى إذا بلغ الأشد رأيت به	ذخرا ليوم كريمة وجلاد

خليل مردم بك

رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق

الاستقامة

الدين هو العقيدة التى يؤمن الإنسان بها ، ويسلم نفسه إليها . وأول شرط لصحة هذه العقيدة ، وصدق تحققها فى نفس صاحبها وحياته ، هو الخضوع لها ، والعمل بها ، والحرص على تحقيقها وحين نستعرض كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، نراهما قد عنيا عناية كبرى بالدعوة إلى الاعتقاد ، والعمل بمقتضى هذا الاعتقاد .

ولما يكمل الإيمان عند الإنسان ، ويؤتى ثمراته ، إذا كان الخضوع لمبادئه عملاً دائماً موصولاً ، وهذا الدوام فى العمل والصبر عليه مع الإتيان له ، هو ما يعرف بالاستقامة ، لأن استقامة الإنسان - كما يقول العرب - هى لزومه المنهج العادل ، والإقامة على الأمر الواضح مع الثبات فيه ، وقوام الشئ هو عماده الذى لا يقوم إلا به ، وإقامة الصلاة مداومة فعلها والمحافظة عليها ، ومن هنا لم يأمر الله بالصلاة فى القرآن إلا بلفظ « الإقامة » تنبيهاً على أن المقصود منها هو توفية شرائطها ، واستكمال حقوقها ، لا الإتيان بهياتها الظاهرية

* * *

والدارس للإسلام الحنيف يرى بوضوح أنه دين الاستقامة ، إذ هو دين الملة الغراء التى تدعو أبناءها إلى مبادئها السامية ، ثم تكلفهم النهوض بتبعات هذه المبادئ فى صور عملية واقعية موصولة ، لا تتوقف إلا لتعذر أو تعسر ، والله يريد بعباده اليسر لا العسر ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها

يقول الله عز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . فهو سبحانه قد رسم لعباده المنهاج

الواضح القويم ، الذى لا عوج فيه ولا انحراف ، وأقام الشواهد على صحته وصدقته ، ودعاهم إلى النظر فيه للايمان به عن يقين واقتناع ، فاذا آمنوا به وجب عليهم الخضوع له والعمل به ، وإلا حق عليهم العذاب ، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس امام تارك النور إلا الظلمات . .

ويدعو الله رسوله والذين آمنوا معه إلى هذه الاستقامة فيقول : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا ، إنه بما تعملون بصير » . أى الزم الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه ولا اعتساف . . . الزمة بالثبات عليه واتقاء الاختلاف فيه أو التقاعس عنه ، وليستقم معك كل من تاب من الشرك وآمن بالله وحده ، ولا تطغوا بتجاوز حدود الله ، ولو كان التجاوز بالغلو فى الدين ، لأن الإفراط فيه كالتفريط ، كل منهما زيف عن الصراط المستقيم .

ولذلك جعل الله من دعاء عباده الذين يناجون به ربهم كل يوم عدة مرات قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » . . . ومدح بهذه الاستقامة نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فخاطبه قائلا : « إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » . . . وكرر الدعوة إلى هذه الاستقامة والأمر بها فقال : « فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهوام » . وقال : « وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين » . وقال : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم » .

* * *

وقد وعد الله عباده على هذه الاستقامة الأمان والاطمئنان ، والنواب وحسن الجزاء : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم » .

كما توعد الله الذين يخرجون على هذه الاستقامة وهددهم بالعذاب والانتقام : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار خالدا فيها وله عذاب مهين » . ويقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

وعن عبد الله بن مسعود قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ، ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ؛ ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وشماله ؛ ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

فكان صراط الإسلام هو الخط المستقيم ، والخط المستقيم هو أعدل الخطوط وأقربها في التبليغ إلى الغاية ؛ وليس من شأن هذا المنهج العادل أن يكلف صاحبه شططا أو إسرافا أو إرهاقا للنفس ، بل يدعو إلى أداء واجبه في توسط واستمرار ، ومن هنا جاء الحديث النبوى : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » . وقريب من معنى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلا على الناس » .

ويقول شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربي الأصفهاني في كتابه « أطباق الذهب » هذه العبارة :

« أيها الراكب صهوة الرياضة ، ارفق بنفسك في هذه المخاضة ، ولا تسرع إسراع الحق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، فامش على هيئتك ولا تحب خبا ، ومص الماء ولا تبعه عبا ، فلا خير في تبريح الجمل الطليح [١] ، ولا بر في إيجاف الخيل العجاف [٢] ولا سبق في فيافي القدر ، ولا رمل في طواف الصدر [٣] ، وإذا كدتك العبادة فذرها ، وإذا أدتلك إلى الملالة فاحذرها ، فلا مثوبة في صلاة اللاغب [٤] ، ولا راحة في صيام الساغب [٥] واعلم أن النوم خير للهاجد الجاهد إذا مل ، وخير الأمور أدومها وإن قل ، لا اضطجاع يورث الكسل ، ولا اجتهاد يعقب الملل ، فاعدل عن الإفراط والتفريط

(١) تبريح : إلتعاب . والطليح : المهزول .

(٢) الإيجاف : السير السريع . والعجاف : المهازيل .

(٣) الرمل : المشى السريع . والصدر : الرجوع من الحج .

(٤) اللاغب : المتعب .

(٥) الساغب : الجائع .

إلى النهج الوسيط، وصلّ بالقلب الذشيط، والجأش الربيط [١]، فاذا تعبت فاقعد، وإذا لغبت فارقد، فما خلق الإنسان أجيرا ولا عسيقا [٢] « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » [٣] .

والمهم هو أن يدوم الإيمان، وأن يستمر العمل بمقتضاه، وأن يعتدل المرء على الصراط، وأن لا يحميد عن المنهج، حتى يلقى ربه وهو على ذلك . يقول عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتن مسلمون » .

وفي حديث حكيم بن حزام : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أنحر إلا قائما، أى لا أموت إلا ثابتا على الإسلام والتمسك به وكان من دعاء الرسول قوله : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

* * *

وكم من أناس نراهم في بعض الأحيان يندفعون إلى العمل لمبدأ أو عقيدة، حتى ينجبل إلينا أنهم قد أصبحوا خير الجنود لهذه العقيدة، ولكننا - بعد قليل - نرى جذوة الحماسة عندهم قد نهدت، ودرجة العمل قد انخفضت أو انهدمت، وذلك من الاسراف وانعدام روح الاستقامة

جاء سفيان بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله : يا رسول الله، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك . . فأجابه الرسول : قل آمنت بالله، ثم استقم ! . وهذه العبارة النبوية الوجيزة البليغة هى شعار المسلم الكامل، لأنها تستلزم تصحيحا للعقيدة، وتدعيا للإيمان، وتقويما للنفس، وتمسكا بالحق، واستقامة على الصراط، وثباتا فى العمل، بلا انحراف أو اعتساف

فيا أيها المسلم . . . قل آمنت بالله، ثم استقم ! . . .

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

(١) الجأش الربيط : النفس القوية .

(٢) العسيق : العبد المستعان به .

(٨) انظر ص ٧٩ .

الشجاعة عماد الفضائل

ترتكز الحياة الطيبة السعيدة للفرد والمجتمع وللشعوب على مجموعة من الفضائل تختلف آثارها ، وتتفاوت حاجة الناس إليها ، فتكون حاجتهم في بعض البيئات وفي بعض الأزمنة إلى فضيلة أقوى من حاجتهم إلى أخرى ، غير أن الذى يكاد يكون أمرا عاما أن أولى هذه الفضائل بالاعتبار هى الشجاعة ، ولست أقصد الشجاعة فى الحرب فحسب ، بل إنما أقصد الشجاعة بمعناها الأعم ، وهى ما يعبر عنه بالصبر أو بقوة النفس ، وقديما قال الحكماء : أصل الخير كله فى ثبات القلب . وإذا علمنا أن أضر عاطفة على الفرد هى عاطفة الخوف ، أدركنا مدى حاجتنا إلى الشجاعة ، فإن الفرد الخائف لا يستطيع أن يعمل عملا ذا بال . وكذلك المجتمع الخائف لا يمكن أن يحتل مكانا بين الشعوب ، ولن تتأتى مع الخوف حياة سعيدة .

الخوف من العدو ، والخوف من الدفاع عن الحق ، والخوف من الهزيمة فى المعركة ، كلها عوامل هدم فى كيان الشعوب ، فلا غرو أن يصبح كل شعب يريد حياة كريمة فى أشد الحاجة إلى ثبات القلوب وقوة النفوس ، حتى يجابه الحياة بقوة عارمة من أخلاق النفوس قبل أن يجابهها بعدة وعتاد من الآلات الصماء .

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا فى يدى بطل

ويوم كانت حياة الشعوب أشبه بحياة الوحوش فى الغابات كانت الشجاعة فى قوة القلب وصلابة السواعد ، ثم تطورت الحيوانات ، وأصبح لكل عصر منهجه فى مواجهة الأعداء ، ولكن الشيء الذى لم يتغير - ولن يتغير - هو قوة القلب ، وثبات النفس ، وصرامة الخلق . ومن قول الحكيم العربى ضمرة بن ضمرة المشهور بالمعبدى : إن الرجال لا يكالون بالصيغان ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إن قاتل قاتل بجنان ، وإن نطق نطق ببيان ، ويشبهه قول المتنبي :

لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده فلم يبق إلا الصورة اللحم والدم

وإن الرجل العادى لياخذ العجب حين يسمع أن الرجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان كفاء عشرة من الأعداء، وفي ذلك يتحدث القرآن الكريم فيقول الله عز وجل في سورة الأنفال « يأبى الله النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

يعجب الرجل العادى لأنه يجهل السر، والسر أمامه وبين يديه لو تأمله ، فأول ذلك الصبر، وقد حرصت الآيات الكريمة على ذكره في كل موضع ، فذكر في هاتين الآيتين ثلاث مرات ، فالصبر - إذن - والصدق عند اللقاء ، وثبات القلب في المعركة ، هو أول الأسرار في أن يتغلب الواحد على العشرة . وثانى هذه الأسرار ، وهو بسبب متين من الأول ، أن الكفار قوم لا يفقهون ، يقاتلون على غير احتساب وطلب للثواب ، فيقل ثباتهم ، ويستحقون لجهلهم بالله خذلانه ، وشتان بين رجل يدافع عن - ق - ، ومناضل دون وطن أو دين ، ورجل لا يدري لم سبق إلى القتال ، أو يعرف أنه يقاتل عن غير حق . ولقد قرأت منذ قريب أن جنود بعض الدول التي ركبت رأسها أخيراً تألبوا وصاحوا كيف نقدم أنفسنا فداء لقوم يحرصون على الربح من أسهم القتال ؟ !

وليس من شك في أن الذى يقاتل وهو مقتنع بصواب موقفه ، ومؤمن بأنه يدافع عن عرضه وعرض قومه ، أقوى شكيمة ، وأكثر ثباتاً ، من الذى يقاتل لأن تجار الحرب في أمته دفعوه إلى القتال .

وثالث هذه الأسرار التي أشارت إليها الآيات ، وهو أيضاً مترتب على الأول ونتيجة له ، هو تأييد الله ونصره ، ولكن الله أثبت في هذه الآية أنه إنما يؤيد الصابرين الصادقين في القتال .

فلعشرة من المؤمنين يغلبون المائة من الكافرين بإذن الله ، لأن الله يلقى في قلوب الذين كفروا الرعب ، ولكن ما هو السر في أن الله ينصر هؤلاء ؟ السر أنهم صابرون (والله مع الصابرين) .

ولن نأتى بجديد إذا تحدثنا عن شجاعة العرب في الجاهلية والإسلام ، وعن فرسانهم وأبطالهم ، فذلك أمور مشتهرة متعارفة ، ولكن لعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن الشجاعة

وحدها ليست كافية ، وأنها تحتاج إلى سعة الحيلة في القتال ، وحسن التصرف في المواقف كلها ، والقاعدة الإسلامية (الحرب خدعة) من أقوى الأسس التي يقوم عليها النصر ، ويحدثنا عنبرة بأسلوبه البدائي عن الطريق الذي كان يسلكه لينتصر ، فقد كان عنبرة يجمع إلى نجده وبأسه كثيراً من صفات الحزم والحكمة ، قيل له ذات يوم : أنت أشجع العرب وأشدّها ؟ قال : لا . قيل : فماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، وما دخلت موضعاً إلا قدرت لنفسى الخروج منه ، وكنت أتعهد الجبان الضعيف بالضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنتهي عليه فأقتله .

صفات أربع كشفها عنبرة من نفسه في الجاهلية ، وما زالت إلى يوم الناس هذا - وستبقى - أجل ما يدخره القائد للمعركة الفاصلة : الإقدام في موضعه ، والإحجام في موضعه ، والعمل بحذر ، والابتداء بالنقطة الضعيفة ليدخل العرب في الأقوياء . ولكن ليس معنى ذلك أن يتوارى الجبناء وراء الحزم والعزم ، فلا يثبتون في معترك ، ولا يقدمون على عزيمة ، فأن ذلك من خدع الطبع .

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم ولعل من الطريف الذي نستملح به هنا ، ذاكرين موقف فرنسا ، وقتالها في سبيل قناة السويس إلى آخر جندى بريطاني - على ما روته بعض الملاح - أن رجلاً جاء إلى الشاعر ثابت بن جابر (تأبط شراً) وكان الرجل يكنى أبا وهب ، وكان تأبط شراً من شجعان العرب وفتاكهم ، فقال أبو وهب لثابت : بم تهزم الأقران ؟ قال : باسمي ، ما هو إلا أن أقول للرجل : أنا تأبط شراً حتى يفرون أمامي ، قال أبو وهب : بعني اسمك بحلتى هذه . قال تأبط شراً : قد فعلت ، فلبس الحلقة ثم أشأ يقول :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها	تأبط شراً واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمي وسميت باسمه	فأين له صبري على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسي وشدتي	وأين له في كل حادثة قلبي ؟ !

فهبوا فرنسا تسمت (قلب الأسد) أو لبست (شوارب النمر) فأين لها في كل حادثة صبر الأبطال المغاوير . . . ألا قاتل الله المتشبهين والأدعياء ما

النثر والشعر

في تقدير الاسلام

للنثر خصائصه ومميزاته في تقدير الإسلام الذي صوّره الحقائق ، وأناط به الدقائق ، وجعله في مستوى منيع هو في واقع أمره أمتع من مناط الجوزاء ، لأن النثر ملاك الصيارفة يصوغون به كل عظيم ، ويحكمون به كل أمر جسيم ، وحسب الإسلام أن يكون القرآن جاريا على نسق لا يطاول ولا يقاوم ، تتقطع دونه الأعناق وينتهي إليه الخلق . « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » صدق الله ومن أصدق من الله قيلا ؟ فقد كانت العرب في جاهلياتها ونزواتها تتسابق في المنشور والمنظوم ، لكن شوق العقول وحنين الأحاسيس كان يدور في فلك النثر لأن به فصل المقال وإصلاح الحال وخاتمة المآل . ثم تطورت فضائل البشرية وخفت نزواتها رويدا رويدا في صدر الإسلام ، بغناء الشعر في عهد الإسلام مرتبا ومبوبا وصقيلا غير هزيل ، لأن شعر الجاهلية كان في الحماسة وفي الغزل وفي أبواب الأخذ بالتأثر والترات والمقارعة بالسيوف في مواقف الختوف والمفارقة بالأنساب والتسابق في الأحساب ، أما الإسلام فقد عقد للشعر أبوابا لا تعدو التنويه بالفضائل ومنايذة الرذائل والحض على مواكبة الصدق في الملمات والإخاء في النازلات والأخذ بيد المظلومين والمنكودين ، والتجمع في سلك واحد إذا عدا عاد على عشيرة اعتبرته العشائر عدوانا عليها .

كانت العرب في الإسلام تحس بأحاسيس واحدة ، وتنبض بقلب واحد ، وتنطق بلسان واحد ، وتستقبل قبلة واحدة ، وتستهدى بالله واحد ونبي واحد وقرآن واحد ، وهي إلى عهدنا الراهن جد حفيظة على هذا التراث الموروث إذا نابتها النوائب وحلت بساحتها الكوارث . فليس عجيبا أن نرى بين أظهرنا اليوم عرب البلاد العربية يتسكتلون مع عرب مصر ويفقدونهم بدمائهم وأموالهم ، لأنهم يرون في العرب جميعا كتلة واحدة ونسقا واحدا ممثلين بقول القائل :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

وإن كان الشعر في واقع أمره ديوان العربية ، والثرثرة اليانعة لأدبها وحكمتها ، لأن العربية لغة الدين وذرورة المؤمنين ، ثم هي بعد ذلك من الجوامع الأدبية بين شعوبها ، ناهيك أن رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم اتخذ لنفسه شاعرا يزود عنه بمهرقات الشعر ما كان يوجهه إليه شعراء المشركين : من نقشات سحرهم لحل عقدة جماعته ، وهدم أصول دعوته ، وقد روى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكمة » .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتكلم عن الشعر وينشد ما يحضره منه ، حتى سأل مرة جلساءه عن أشعر الشعراء في رأيهم ، فقال كل منهم ما يعلمه ، فعارضهم وقال : بل أشعرهم هو الذى يقول :

فمن للسؤال ومن للنوال ومن للقال ومن للخطب ؟ !

وهذا البيت لزهير بن أبى سلمى .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « روي أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم » وكان عليه الصلاة والسلام ، وهو من هو ، يتمثل بالشعر ، حتى إنه كان إذا أراد المبارزة ينشد :

أى يومى من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقتدر لا ينبجوا الحذر

وروى يزيد بن مسلم الخزاعى عن أبيه عن جده قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول شريك بن عامر المصطلق :

لا تأمن وإن أمسيت فى حرم إن المنية تحمى كل إنسان
فاسلك طريقك تمشى غير محتشع حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقة وكل زاد وإن أبقيته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن بكل ذلك يأتيك الحديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد بين يديه هذا البيت
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو بعد ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم مبتسما : وأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال النابغة : الجنة
يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجل ، إن شاء الله . حتى إذا بلغ
إلى قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحي صفوه أن يكررا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم مبشرا : لا يفضض الله فاك . فعمر مائة وثلاثين سنة
لم تفضض له ثنية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الشعر ويستنشده من يرويه . قال ابن أبي شيبة :
إن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الشريد فقال له : أتروى من شعر أمية بن أبي الصلت
شيئا ؟ قال : نعم . قال : فأنشدني ، فأنشده ، فخل يقول بين كل قافيتين : هيه ، حتى
أنشده مائة قافية ، فقال : هذا رجل آمن لسانه وكفر قلبه .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن رواحة : أخبرني ما الشعر ياعبد الله ؟
قال : شيء يختلج في صدري فينطق به لساني . قال : فأنشدني ، فأنشده شعره الذي
يقول فيه :

قبلت لله ما آتاك من حسن قفوت عيسى باذن الله والقدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك قبلت لله ، وإياك قبلت لله !

وقال زياد بن طارق الجشمي : حدثني أبو جروال الجشمي ، وكان رئيس قومه ،
قال : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبت
فوقفت بين يديه وأنشدته :

أمنن علينا رسول الله في حرم
أمنن على نسوة قد كُنت ترضعها
فأنك المرء نرجوه وننتظر
يا أرحم الناس حلما حين يختبر
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا لنشكر للنعمى إذا كفرت

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم ، قالت الأنصار : وما كان لله ولرسوله . وردت ما كان بأيديها من الأموال والذراري .

وأشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاذ أو جلاء

بفعل عمر يعجب بمعرفته بمقاطع الحقوق وتفصيلها ، وإنما أراد بمقاطع الحقوق : اليمين أو الحكومة أو البيئة .

قال سعيد بن المسيب : كان أبو بكر الصديق شاعرا ، وعمر بن الخطاب شاعرا ، وعلى أشعر الثلاثة ، ومن قول علي عليه السلام بصفين حين كان يحارب معاوية :

أمر راية سوداء يخفق ظلها إذا قبل قدمها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى يردها حياض المنايا تقطر السم والدماء

ولما بعث عمر الفاروق رضي الله عنه بكتابه إلى علي رضي الله عنه حين أبطأ على مبايعة أبي بكر في صدر خلافته ، وقد ورد في هذا الكتاب الذي أرسله مع أبي عبيدة : قل له يا أبا عبيدة : الحق مفرقة والباطل مغرقة ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عنوف عسوف ، ولئن لم يندمل هذا الجرح بمشبار رأيك وحزمك ، ولم تستجب حيته لرقيتك ، أعضل البأس ، ووقع اليأس ، واحتيج بعد إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق ، وأعسر منه وأغلق ، ونحن من وراء ذلك نعانى أهوالا تذيب الرواسي ، ونقاسى أحوالا تشيب النواصي ، ذهب على من فوره إلى فاطمة الزهراء وأعلمها الأمر ، ثم قال يخاطب نفسه :

إحدى لياليك فهبسي هبسي لا تنعمي الليلة بالتعريس

ثم قال : إذن فأنا مع هؤلاء كأخي بني سليم :

فان تسأليني كيف أنت فأنني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي أن ترى بي كآبة فيدشمت عاد أو يساء حبيب

ودخل كعب بن زهير بن أبي سلمى على النبي صلى الله عليه وسلم مادحا إياه بقصيدته المشهورة التي استعملها بالغزل الرفيع حيث قال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم إثرها لم يفسد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا	إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة	لا يشتكى قصر منها ولا طول
ما إن تدرم على حال تكون بها	كما تلون في أثوابها الغول
ولا تمسك بالوعد الذى وعدت	إلا كما يمسك الماء الغرايل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً	وما مواعيدها إلا الأباطيل
ولا يغرنك ما مننت وما وعدت	إن الأمانى والأحلام تضليل

ثم خرج من هذا إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكساه بردا ، فلما آلت الخلافة إلى معاوية رضى الله عنه اشترى هذا البرد بعشرين ألف درهم .

هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تقدير الشعر والشعراء ، وقد جرى التابعون على هذه الخطة ، فكان منهم الشعراء المجيدون كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، ومنهم عمرو بن أذينة وكان من ثقات رواة الحديث . ومنهم الشعبي الإمام المشهور ، ويروى عنه أنه قال : « ما أنا لشئ من العلم أقل منى رواية للشعر ، وإن شئت أن أنشد شعرا شهرا لا أعيد يلبثا فعلت » .

وكان عبد الله بن المبارك الفقيه الزاهد الكبير شاعرا يحب الشعر الجيد . روى عنه أنه على زهده ونسكه وتقواه سمع سكرانا يتغنى بهذا البيت :

أذلنى الهوى فأنا الذليل وليس إلى الذى أهوى سبيل

فكتبه : فقال له أصحابه : أكتتب بيت شعر سمعته من سكران ؟ قال : أما سمعتم المثل : رب جوهرة فى مزبلة .

وكان أيوب السخيتانى رضى الله عنه يقول :

الماء فى مقلنى والنار فى كبدى إن شئت فاغتر فى أو شئت فاحترق

هذه كانت مكانة الشعر عند المسلمين الأولين ، وما حداهم إلى الحنين إليه الاصححة شعورهم ولطف حسوسهم ، فان الشعر غناء الأرواح ، وترنم الخواطر ؛ فاذا صدف

عنه فأنما يكون ذلك لفساد الشعور وغلظ الحسوس ، ولا جرم أن انحطاطه في أمة يشعر بانحطاطها في جميع مقومات الحياة الأدبية .

وإذن فلا محل للقول بجواز الطعن على الشعر إطلاقاً من حيث كونه شعراً ، فالشعر المباح الذي يحمل بين برديه اجتناب المحظورات ، وممارسة المأمورات ، ومعانقة الفضيلة ، ومجانبة الرذيلة ، وغرس الفضائل والسكامل في نفوس المتعلمين ، واقتلاع بذور الرذائل والقضاء على المفاسد والمبازل في عقول الناشئين ، مأمور به ومعنى في تقدير الإسلام .
أما الشعر الذي يحض على مناجزة الأخلاق الخيرة والفضائل المستعذبة ، ويخرج على الآمنين فيسلبهم أمنهم وطمأنينتهم ، ويتحسس عن عيوبهم لينشرها بين أعدائهم وأصدقائهم ، ويزين للناس الشرور والآثام في ثياب من زخرف القول وبهتانه فهو الذي عناه القرآن الحكيم بقوله :

« والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون »
ومن هذه الناحية أشاد القرآن بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . م

عباس طه
المحامى

في الصين لا غش ولا سرقة

يقول الأستاذ عبد المنعم العديري المرافق لوفد علماء باكستان إلى بلاد الصين الشعبية : إن الخيانة والرشوة والغش والسرقة ، كل هذه المنكرات لا تعرفها الصين الشعبية ، فليس فيها من يرتشى أو يغش لبناً أو زبدة أو غيرها ، كما أنه لا يوجد فيها من يسرق ، لأن من يرتكب إحدى هذه المنكرات يعلم تماماً أن رصاصة تفرغ في رأسه وأنها هي الثمن لذلك .

ذكرى الهجرة النبوية

أقيمت في احتفال الأزهر بعيد الهجرة النبوية

نحمدك اللهم مسبغ النعمة ، وواسع الرحمة .

ونضلي ونسلم على رسولك المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله أكرم من بعثت ، وأصفي من واليت ، تزود من لدنك علما ومعرفة ، وتذوقت أمته سعادة الأمن وحلاوة الإيمان .

أما بعد، فإن الأزهر الشريف حين يحتفل بذكرى هذا الحادث التاريخي العظيم، ذكرى الهجرة النبوية ، فإنه يتيح للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعرف هذا المجد السالف في الجهاد والجلاد ، ويحلي لهم مواضع العظمة الخالدة التي نشأ الإسلام عليها نفوس أبطاله الأبية الأكرمين ، وكيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأولين لاقوا من العنت والسفاهة والجهالة ما تضيق به رحاب الآفاق، ولكنهم كانوا أوسع صبرا ، وأطيب نفسا ، وأقوى ثقة بأن الغلبة للحق ، وأن النصر مع الصبر ، وأن مع العسر يسرا .

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر وفرج لوعة القلب الشجي
وكم هم تساء به صباحا وتعبه المسرة في العشي
إذا ضاقت بك الأسباب يوما فتق بالواحد الأحمد العلي

* * *

من المثل العليا في الثقة بالله التي تفيض على النفس عزيمة ورباطا وقوة ، ما كان من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه من بيته بمكة إلى الغار ، وقد أحاط ببيته فتيه أشداء ، وبأيديهم السيوف المصلطة يؤلفون عصبة لقتله ، وقد اختير من كل قبيلة شاب جلد قوى البأس، حتى إذا ما خرج ضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يثاروا له «وقدمكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله .» . وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما يبت له أعداؤه فما وهن ، ولا نكص ، ولا استكان . . ولكن قويت ثقته بربه ، وتمسكته عزمة الحق الذي يرفع رايته ، والإباء الذي يستصغر كل معوق ، ونخرج صلى الله عليه وسلم بين هذه الأسيااف المستشرفة ، والحدقات المحمرة ، والصدور المغضبة ، وهو يهمس بقول القوى العزيز : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ومرق منهم ولم يشعر به أحد وتركهم في خزيهم مبلسين .

* * *

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار ومعه صاحبه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - ومكثا فيه ثلاث ليال كانت فيها قریش تدور حول نفسها في دهشة وحيرة وغضب ، وفي تتبع الأثر الذي يقف بهم عند الغار فيقول قائلهم : ما أراهما تجاوزا هذا الغار ، ويسألون راعيا بالقرب من هذا الغار فيقول : قد يكونان فيه ، وإن كنت لم أرا أحدا دخله . ثم يمعنون النظر في باب الغار فيجدون خيوطا للعنكبوت على حالة تدل على القدم البعيد ، ويجدون عشا لحماة ورقاء لم تمتد إليه يد تقوضه أو تزيله ، وبثشة تكون ويترددون ، وأبو بكر الصديق في داخل الغار يشتد خونه ، ويضطرب فؤاده ، ويقول للرسول : لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا ، فتتجلى ثقة الرسول بربه ويهمس في أذن صاحبه : « لا تحزن إن الله معنا » ، « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » . فتطمئن نفس أبي بكر ويهدأ روعه ، وينصرف المشركون مؤكدين أن الغار لم تطأه قدم إنسان .

ولقد ذكر القرآن الكريم أمر هذه المؤامرة والمطاردة ، ولفظ الله لرسوله ، وتطمين الرسول لصاحبه أبي بكر . ففي سورة الأنفال يقول الله عز وجل : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وفي سورة التوبة يقول جل جلاله : « إلا تنصروا فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينة عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

وإلى قصة الغار يشير صاحب الحمزية بقوله :

أخرجوه منها وآواه غار وحته حماة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحماة الحصاداء
واختفى منهم على قرب مرآة ومن شدة الظهور الخفاء

ومضت هذه الليلة إلى الثلاث في نظام ترتيب أحكمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فكان ابنه عبد الله يبيت عندهما يحدثهما بما كان من أمر قريش نهارا ، وكان مولاه عامر بن فهيرة يرعى غنما ويتبع عبد الله في خروجه من الغار ليعفى على أثره ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما في الغار بما تصلحه لهما من طعام . .

ونحرا بعد ذلك إلى طريق المدينة ومعهما راحلتان اشترى النبي صلى الله عليه وسلم إحداهما من أبي بكر ، وسار معهما عبد الله بن أريقط ببيعيره ، وقد أعدت لهما أسماء زاد السفر ، فلما ارتحلا لم تجد ما تعلقه به في رحالهما ، فشقت نطاقها نصفين وعلقت الطعام بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر فسميت « ذات النطاقين » رضي الله عنها .

وأخذ أبو بكر معه كل ما بقي له من مال وقد بلغ خمسة آلاف درهم ، وذكرت أسماء أن جدّها أبا خفافة دخل البيت بعد رحيل أبي بكر وقال : ما أظن إلا أن أبا بكر قد بفعكم في ماله كما بفعكم في نفسه . قالت : كلا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحمرا فوضعتها في كوة في البيت كان أبي يضع ماله فيها ووضعت فوقها ثوبا ، ثم أخذت بيده وكان قد كف بصره فوضعتها في الكوة ، فقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا ، ففيه بلاغ لكم ، ولا والله ما ترك أبي شيئا ، واسكني أردت أن أسكن قلب الشيخ . . وسار الركب في طريقه في يقظة وحذر متخذًا من السبل ما قل أن يطرقه المسافرون .

وكانت قريش قد جعلت مائة ناقة لمن يرد عليهم مجدا أو يدل عليه . . وسمع سراقه ابن مالك بأمر الركب ، فخرج سرا مسرعا ممتطيا جواده متبعا أثر الرسول وصاحبه ، حتى إذا أدركهما وسمع قراءة النبي سأخت قوائم فرسه ، فاستغاث بالرسول على أن يعود من حيث أتى ، فأشار الرسول إلى الفرس فنهضت من كبوتها ، وعاد سراقه إلى مكة من غير أن يلحق بهم أذى . . وفي هذا يحدث سراقه أبا جهل فيقول :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا بأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم ترتب بأن مجدا رسول يرهان فمن ذا يقاومه ؟ !

* * *

وتابع الرسول وصاحبه ودليهما السير في طريق المدينة في جو ملتهب الحرارة شديد القيقظ ، وفي حذر وترقب ، فكان في قسوة الجو ، ولحاجة العدو ، واضطراب الخاطر ،

ما يفزع الآمن ويقلقل الساكن ، ويطوق النفس باطار من البلبلة والخوف والنصب ،
إلا أن كل ذلك قد هان عند الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه بازاء شرف الغاية ونبيل
المقصد وإنفاذ أمر الله . .

وبلغا بعد مسير سبعة أيام قبيلة بنى سهم وأقبل شيخها بريدة يحبيهما ويهش لهما
فاطمأنا إلى أنهما أصبحا من المدينة قاب قوسين أو أدنى .

* * *

وكان أهل المدينة يرتقبون بشغف وشوق شديدين مجيء النبي صلى الله عليه وسلم ،
وأن يهل عليهم بطلعته الوضاعة المشرقة ، وأن يروا وجهه الصبيح الأيمن ، وأن يستمعوا
إلى حديثه العذب الممتع ، وأن يأنسوا بجواره الطيب الكريم . .

فكانوا يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يستشرفون قدوم حبيبهم
ورسولهم ، ويظلمون حتى يلهمهم وهج الشمس ويحرقهم حرها ، وكانت الأيام من شهر
يوليه قاسية شديدة ، فيرجعون إلى المدينة ليعودوا في اليوم التالى وهكذا .

إلى أن كان مجيئه صلى الله عليه وسلم ، فرآه يهودى على مد البصر ، وكان يعلم ترقب
أهل المدينة قدومه ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل المدينة ، هذا حظكم الذى تنتظرونه .
نفرج أهل المدينة مهالين مكبرين ، واستقبله ما يزيد على خمسمائة من الأنصار فيهم الرجال
والنساء ، وفيهم الشيوخ والشباب والأطفال ، وانتشر الفرح وعم السرور جميع
أرجاء المدينة .

فعن البراء رضى الله عنه : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، وصعدت منها ذوات الخدور على الأجاجير - أى سطوح
البيوت - يعلن بفرحهن وابتهاجهن .

وعن عائشة رضى الله عنها : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل
النساء والصبيان والولائد يقلن :

طالع البدر علينا من نيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وهكذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول وهلة من أهل المدينة التقدير البالغ ،
والولاء الكبير ، والحب الذي ملك عليهم قلوبهم ومشاعرهم ، فكانوا في فرحهم
وابتهاجهم أوفياء صادقين .

* * *

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم سياسته الحكيمة الخازمة في جمع الكلمة ،
وتقوية الجبهة ، وتوحيد الصف ، فأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف ، وجمعهم
على محبة الله ورسوله ، وآخى بين المهاجرين والأنصار في بر ورحمة وإيثار ،
وكان الأنصارى المثل الأعلى في كرم الوفادة وحسن الاستقبال ، كما كان المهاجرون
مثلاً سامياً في التعفف والإباء .

كان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين بمؤاخاة رسول الله ، ولم يكن
عبد الرحمن يملك شيئاً ، فعرض عليه سعد أن يشاطره ماله فأبى عبد الرحمن ، وقال :
إن الدين الذي اعتنقناه لا يعرف تواكلاً ولا استكانة بل يعرف الكدح والعمل ،
دلونى على السوق فأشترى وأبيع وآكل من كسب يدي . . وقد استطاع رضوان الله عليه
أن يكون في عداد التجار الأثرياء بعد زمن وجيز .

وعمد نفر من المهاجرين إلى الاشتغال بمزارعة في أراضى الأنصار ، وكانوا جميعاً
في محبة ووئام .

* * *

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة طرفاً من سماحة الإسلام وتعاليمه
الواضحة المستبينة ، وأنه يقدس حرية الرأي ، وحرية العقيدة ، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ،
فكان هذا الفتح المبين عهداً جديداً كريماً ، جديراً بدين يختم الله به الأديان كلها ،
وجديراً برسول سمى نفسه ، وصدق ولاؤه ، وطهر قلبه ، وقوى عزمه .

ترك الأهل والوطن ، وجاهد في الله حق جهاده ، لتنال الإنسانية حظها في العدل

والبر والكرامة ، في ظل توحيد الله ونجيده والاعتراف له بالربوبية القادرة والعزة الغالبة والفضل الكبير .

* * *

صراع بعيد المدى بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال .

صراع امتدت فيه يد الظلم العاتية ، تساندها عصبية جاهلية حمقاء .

صراع ضيقت قريش فيه الحصار ثلاث عشرة سنة من بدء البعثة إلى الهجرة على رسول الله وأصحابه ، ولكن قوة الباطل مهما طغت فهي إلى انحلال ، وليل الضلال وإن طال فهو وشيك الزوال .

* * *

وحالنا اليوم - أيها السادة - في هذا الصراع بين المستعمرين الغربيين في باطلهم ، وبين رجال العروبة والإسلام في حقهم ، يذكرنا بقوة الكفاح ، وجلادة العزم ، وجلال المصابرة والمراعاة من رسول الإسلام وصحبه ، حتى أشرق النصر ، ورفرفت راية السلام .

هذه ثورتنا المكافحة الفتية آمنت بحق العروبة ولمست عنت المستعمر واستبداده الآثم ، فأجلته عن البلاد ، وأمت مصالح الوطن ، في صادق عزم ، وجلال حزم ، لتحفظ لمصر كرامتها ، وتصون للعروبة عزتها . ولعل من يمن طالع هذا العام الحديد أن تفوز مصر بفوز قادتها على أطماع هؤلاء الوالغين في الأموال والدماء ، المتحرقين أبدا للاستيلاء والاستعلاء . ولعل أن تنالنا نفعه من بركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته المهاجرين ، الذين أدركوا بصبرهم وجهادهم جمال النصر ، ولذة الظفر ، فننال مما نالوا ، ونظفر بما ظفروا .

وإنك يا سيدى يا رسول الله هادى هذه الأمة ، وقائدها الأول ، ومجاهدها الأمين .

ونحن ننهل من شرعتك رحيقا .

ونتخذ من منهاجك طريقا .

* * *

يا خير من عطر الأرجاء هجرته
وخير من أشرقت في السكون حجته
جاهدت في الحق أعداء الهدى فسمما
وكننت للناس في بدو وفي حضر
بالرأى والحزم والأخلاق طالعهم
بالبين ذكراك يا مختار نذكرها
فاشهد بأن بنى الإسلام ما نكصوا
ونحن في مسمع الدنيا ويقظتها
وخير من شرف الإنسان محتده
وصال في جبهة الدنيا مهندده
بك الجهاد ، ونال المجد سيده
شمسا إذا شارفوا ليلا تبده
فيض من الفضل لازلنا نرده
والعهد للدين - مسئولا - نجدده
ونحن للحق نرعاه وننشده
مجد يدوى وعين الدهر تشهدده

* * *

هكذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جهادا ، وصبرا ،
وفتحا ، وتبiana ، وثقة بالله واعتصاما به : (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس
لا يعلمون) .

نخذوا يا أبناء الإسلام عن رسول الإسلام هذه الدروس الغالية وافقهوها ، وأجمعوا
أمركم ، ووحّدوا صفكم ، وكونوا على الأعداء قوة لا تضعف ، ونارا لا تخبو ، وقوة
لا تلين ، والله معكم ، ولن يترككم أعمالكم ما

محمد عبد التواب

مفتش الوعظ العام بالأزهر

عين الكمال

مدحة في بهي سنا المصطفى صلى الله عليه وسلم

أعين الكمال ، ونور الجمال
عظيم الشناء ، تميم الوفاء
رءوف رحيم ، سخي كريم
كفى بامتداح الإله العزيز
عليك الصلاة رسول الإله
عليك الصلاة كعد البرايا
عليك السلام كعطر الورود
لأنت الحبيب الفريد المثال
كبير الغناء ، أغتر الخلال
صفى سليم ، بديع المقال
تعالى الحميد شديد المحال
عليك السلام رفيع الشمال
عليك الصلاة رضا ذى الجلال
عليك السلام كريخ الغوال

أبو بكر مخيون

بأبي حمص بحيرة

محکم ابن سیده

بین الطی والنشر

لفتنی الصدیق الوفی ، العالم الجہیز ، الأستاذ أحمد الشرباصی ، إلى کلمتکم النفیسة | ١ | التي عرضتم فیها بالنقد البناء ، لکتاب « الصحاح ومدارس المعجمات العربیة » الذی ألفه صدیقنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ونشره المحسن المجازی السید حسن شربتلی ، والذی يعد العدة - کما وعد وقرر عبد الغفور - لنشر کتاب « تهذیب اللغة » للأزهري .

وقد وقفت من کلمتکم الجامعة ، عند کلمتکم :

« ولا نستطیع أن نکتّم هذا المحسن العربی ، أن أعلام الإسلام من الطبقة التي كانت قبلنا ؛ وعلى رأسها الأستاذ الإمام الشیخ محمد عبده ، والعلامة الشنقیطى الکبیر ، والشیخ طاهر الجزائری ، وأحمد تیمور باشا - كانوا یتمنون أن یطبع کتاب (المحکم) لنا بغة الأندلس أبی الحسن علی بن إسماعیل بن سیده الضریر . . . » .

وقفت هنا وقفة المتأمل ، والمتأمل .

ذلک بأن محاولات عدة ، بذلت لنشر هذا الکتاب ، ولکنها ذهبت مع الريح ، لأمرین جوهریین :

أولاً : عدم وجود نسخة كاملة منه ، فی أى مکتبة من مکتبات العالم العامة . والقول بغير ذلک بجانب للصواب .

وقد تدسس هذا الوهم إلى المستشرق الألمانى شارل بروکلان ، فی کتابه « تاریخ الأدب العربی » المطبوع سنة ١٨٩٨ ، حیث قرر فی ص ٣٠٨ ج ١ : « أن فی دار الکتب المصریة نسخة كاملة منه » .

ولم يقف عند هذا الحد ، بل زاد على ذلك أن في المتحف البريطاني نسخة أخرى .
وقد تابعه على هذا الوهم الدكتور فيشر المستشرق الألماني ، والذي كان عضوا
بالمجمع اللغوى حتى وفاته . وقد كشفت له في رسائل ثابتة ما يدحض هذه الدعوى .

ومما يؤسف عليه أن يتسرب هذا الرأى إلى الأستاذ محمود مصطفى فى كتابه
« إجماع الأعلام » ، والعالم الهندى الأستاذ الندوى صاحب « فهرست المصنفات » .

ومن يمين الطالع ، أن أحد علماء تونس الأجلاء ، تنبه إلى هذه الحقيقة ، فنبه إليها ،
فى مادة « ابن سيده » من « دائرة المعارف الإسلامية » حيث كان هو محرر تلك
المادة ، وهو الأستاذ محمد بن شنب .

ومنذ أكثر من أربعين سنة حاول المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وقتئذ ،
أن يطبع ذلك الكتاب ، فألف - لذلك - لجنة ، ولكنها لم تستطع عمل شئ ، بل من
نحو ٦٠ سنة تألفت لجنة قوامها : الشيخ محمد عبده ، والشيخ الشنقيطى ، والشيخ عبد الغنى
محمود ، وعبد الخالق ثروت باشا ، وحسن عاصم باشا ، ومحمد النجارى بك . ولكنها وقفت -
حين تحقق لها عدم وجود نسخة كاملة - مكتفية بطبع كتاب « المخصص » وهو أعظم كتب
ابن سيده ، بعد كتابه « المحكم » . ومن طريف ما يذكر أن كانت اللجنة تعتمد أحيانا فى تحقيق
« المخصص » واستكمال نقصه ، وسد خرومه ، على حافظة الشيخ الشنقيطى ، يشهد بذلك قوله
فى كتابه « الحماسة السنية فى الرحلة العلمية » :

سيبكي على العلم والكتب بعد ما	صد عن بأمرى غير صم ولا بكم
(مخصصها) المطبوع يشهد مفصحا	بما حاز من ضبطى الصحيح ومن رعى
(فعبد الغنى) القارئ الفرع ، شاهد	بحفظى عند الحذف والبت والحزم

ثانيا - ما ذكرتموه من « صعوبة المراجعة فيه » ، فقد وضهتم إصبعكم على الداء الدفين ،
وقد شك القدامى مما شكوتهم منه ، وعلى رأس أولئك الإمام ابن منظور ، فى مقدمة
اللسان ، حيث قال فى الخطبة (ج ١ : ص ١ - ٣) ما نصه :

« غير أن كلا منها (أى تهذيب الأزهرى ، ومحكم ابن سيده) مطلب عسر المهلك ،

وعمر المسلك ، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاّهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه .

قد أُنحِرَ وقدم ، وقصد أن يعرب فأعجم ؛ فرق الذهن بين الشائى والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعى والخماسى فضاع المطلوب ؛ فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ؛ وكادت البلاد - لعدم الإقبال عليهما - أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب ، وتخليط التفصيل والتبويب .

* * *

والآن أنتقل نقلة سريعة إلى عام ١٩٣٩ ، حيث وفقنى الله لجمع شتات الكتاب ، وشرحت ذلك فى مذكرة تفصيلية ، رفعتها إلى وزارة المعارف ، رجاء أن تعاوننى على طبعه بالاشتراك فى عدد من النسخ لمكتبات مدارسها .

وقد أحال الدكتور هيكل وزير المعارف سئلتك المذكرة إلى لجنة فنية ، على رأسها العالمان الجليلان المرحومان : محمد أحمد جاد المولى بك ، وعلى الجارم بك ، وانتهت اللجنة - بعد دراسة استمرت أربعة أشهر - إلى إقرارى على جميع ما ذكرت ، وتأييدها لىاى فى كل ما اقترحت ، ومن ذلك المنهج الذى رسمته فى تبويب الكتاب وترتيبه ، وهو على النسق الذى اقترحتموه فى كلمتكم النافعة « على ترتيب المصباح والأساس » .

وقد سجلت اللجنة - مشكورة - صنيعى فى جمع الكتاب ، ولم شتاته ، واستكمال نقصه ، وسد خرومه ، والوقوف على جميع الأجزاء الموجودة فى المكتبات العامة بالعالم ؛ وأثنت شاء جمها .

وقد رأى الأستاذ العشماوى وكيل الوزارة وقتئذ ، وجوب إخراج الكتاب ، وتيسير طبعه ، ومعاونة المجمع اللغوى فى ذلك .

ثم قامت الحرب ، فاستقر المشروع فى أضياب المجمع ، يتأرجح بين الحياة والموت .

* * *

وأخيرا ، من عام وبعض عام ، زارنى فى منزلى الأديب المجازى الأستاذ أحمد عبد الغفور ، لينهى إلى أنه تذاكر والسيد حسن شربتلى موضوع « المحكم » ، وأن

الرأى استقر على نشره ، وأنه تحدث إلى المسؤولين فى الجامعة العربية ، لتنفيذ ذلك من الاعتماد المالى الذى خصصه السيد الشربتلى ، ورضعه تحت تصرف الجامعة لطبع أمهات الكتب العربية .

وأقول فى وجازة : إن الأستاذ عبد الغفور تسلم منى مذكرة المشروع ومفاتيحه ، ليعد العدة للتنفيذ .

وزاد على ذلك - إمعانا فى الثقة - أن عهد إلى بتحقيق ومراجعة النسخة المطبوعة من كتاب « الصحاح » فى بولاق ، والنسخة المخطوطة من كتاب « التكملة » للصاغانى .

وبعد أن قطعت فى مهمتى شوطا كبيرا ، فى التحقيق العلمى ، والمراجعة الفنية ، بدأت أشرف على الطبع والتصحيح ، ثم وقفت - بعد قليل - على ما أقنعنى به بعض المسؤولين فى الجامعة العربية ، من وجوب الكف عن العمل ، حتى أرى نتيجة عملية لأحد العاملين : « المحكم » أو « الصحاح » .

ولا أزال حتى الساعة فى تنظر لإحدى النتيجتين ، وأخشى ما أخشاه أن يكون هذا مآل البشرى التى ابتهجت لها كثيرا ، وهى أن السيد الشربتلى يعد العدة لنشر كتاب (تهذيب اللغة) للأزهرى .

وإنى لعلى يقين ، أن السيد الشربتلى ، حين يقف على هذه الحقائق ، سيعمل على وضع الأمر فى نصابه ، والله ولى التوفيق ما

عبد العزيز الازهرى

منشئ « المعرفة »

وعضو نقابة الصحفيين

لغويات

سأوطن نفسي على الصبر المرير

يستعمل الكتاب في عصرنا هذا الوصف « المرير » في معنى المترصد الحلو . وقد لقي هذا الاستعمال إنكاراً من بعض الناقدين وأوجب هؤلاء ألا يعدل عن « المتر » . وحجتهم أن المرير يأتي بمعنى العزيمة أى الجزم بالأمر وعدم التردد فيه . ومن هذا قول الشاعر :

ولا أنتى من طيرة عن مريرة إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصر

الأخطب : طائر يتشاءم به . يقول : إنه إذا صمم على أمر لا يثنيه عنه التشاؤم بطير يصبح على الدوح أى الشجر العظيم ، كما يردّ بعض الناس ، بل يمضى لطيّته . ويقرب المرير في هذا المعنى من المتر ، يقال : رجل ذو مترّة أى قوة وعزيمة . والأصل في هذا متر الحبل ، وهو إحكام فتله ، فيكون ذلك قوة له . وقيل منه : حبل مرير ، وهو ما طال واشتدّ فتله ، ويستعار لغير الحبل فيقال : رجل مرير أى قوى ، كأنما أحكم فتله وجدله ، كما قيل : رجل محصد في هذا المعنى ، وأصل الإحصاء لإحكام الفتل ، يقال : حبل محصد : محكم مفتول ، ورجل محصد الرأى : محكم سديده على التشبيه بذلك . وهذا على ما فى اللسان والقاموس والمصباح ، ولا يرى القارئ فيها المرير فى معنى المتر . ومن هنا جاء الإنسكار . غير أن هذه الصيغة جاءت فى الأساس فانتفت عنها الهجعة والذام . ففيه : « وشىء متر ومرير ومتر . قال :

إني إذا حذرتني حذور حُلُو ، على حلاوتي مرير
ذو حده ، في حدتي وقور

فتراه قابل الحلوبالمير ، فكأنه قال : حلو ، مَرَّ على حلاوتي أى مع حلاوتي .

انتشلى من هوة الفاقة

هذا الاستعمال سائغ كثير . وقد جاء في مجلة المنار (المجلد ٢٢ ص ٢٠٣) في تقرير مشروع التعليم الأولى عند الكلام على وجوه الإصلاح الإدارى والاجتماعى : « وجلى أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها إنما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتشاله من هوة الأمية » فكتب صاحب المنار - عليه رحمة الله - في ذيل الصفحة : المنار : النشل والانتشال فى العربية : أخذ اللحم من القدر . وله آلة عقاء تسمى المنشال . ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا . ويستعمله كتاب الجرائد وأمثالهم من المعاصرين بمعنى الإنقاذ من هلكة حسية أو معنوية . ولهذا المعنى فى اللغة كلمة فصيحة ، وهى الانتياش قال ابن دريد :

إن ابن ميكال الأمير انتاشنى من بعد ما كنت كالشئ اللقى

هذا كلام صاحب المنار ، وفى جواهر الألفاظ ٢٦٩ : « وانتشته من كبوته » . وترى صاحب المنار يذهب إلى تخصيص النشل والانتشال بما فى القدر ، وفى اللسان : « نشل الشئ ينشله نشلا : أسرع نزع » وترى فى هذا الإطلاق وعدم التقييد بلحم القدر ، فانتشال الرجل من الشدة : انتزاعه منها وإنقاذه ، على أنه إذا كان الانتشال خاصا بلحم القدر فإنه يسوغ استعارته لإنقاذ الرجل من الهلكة ، فإن الرجل إذ تغشاه النازلة يتقلى فيها ويصيبه شرها كما يتقلى اللحم فى القدر ، وإنجاء الرجل منها كإخراج اللحم من القدر ، ويرى القارئ من هذا أن استعمال كتاب الجرائد ومن على شاكلتهم فى هذا الحرف غير بعيد عن منهج الصحة والسداد .

الطريان - أيار

١ - الطريان أصله الطرآن ، فانما هو مصدر طرأ الشئ أى عرض ، وفى المصباح :

« وطرأ فلان علينا يطرأ مهموز بفتحين طروءا : طلع ، فهو طارئ . وطرأ الشيء يطرأ أيضا طرأنا مهموز : حصل بغنة فهو طارئ » . ولا نرى هذا المصدر (الطرآن) في اللسان والقاموس ، وإنما فيهما الطراء والطروء ، فالطريان مخفف الطرآن ، وهذا التخفيف لم يرد عن العرب ولا يجرى على قياس كلامهم ، فهو خطأ ينبغي اجتنابه .

وهذا الخطأ قديم ، فقد جاء في أسرار البلاغة للشيخ عبد القاهر الجرجاني في آخر « فصل في الفرق بين الاستعارة والتمثيل ص ٢٢٢ » : « وكان الظاهر أن يمثل بادراك الليل الذي إقباله منتظر ، وطرئانه على النهار متوقع » . وجاء في الإحياء مثل هذا في الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ، وهذا في كتاب الحلال والحرام ، وهو الربع الأخير من العبادات . ففيه : « ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه ، وإن أمكن طريان محلل ولاسكن لم يدل عليه سبب » . وقد تكرر هذا اللفظ في الإحياء في هذا الفصل .

٢ — وأبيار بلدة معروفة في أعمال الغربية في مصر ، وهي بفتح الهمزة والعامية تكسرهما ، وفي معجم البلدان لياقوت : « أبيار بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ جمع البئر مخفف الهمزة : اسم قرية بجيزة بنى نصر بين مصر والإسكندرية » فأبيار أصلها أبار ، تخففت الهمزة بقلبها ياء ، وهذا التخفيف أيضا كسابقه لا يجرى على القياس ولا هو مما جاء به السماع عن العرب ، ويقال أيضا في جمع البئر بئار ، ومن هذا قول أبي دلالة :

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن بحثوني كان فيهم مباحث

وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم قوم كيف تلك النبأث

وبئار هذا ينقاس تخفيف همزه ، فيقال : بيار ، كما يقال مية وفيه في مئة وفيئة .

لا أدري ما الفرق بين ...

يذكر ابن خلدون أن هذه العبارة من عبارات الفقهاء والعلماء وليست من عبارات الأدباء والعرب ، ذكر هذا في مقدمته في « فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ ، وجودتها بجودة المحفوظ » وهو يريد ملكة الشعر ، فقد جاء في هذا الفصل : « أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية ، قال : ذاكرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن ، وكان المقدم

في البصر باللسان لعهدده ، فأثدته مطلع قصيدة ابن النحوى ولم أنسبها له ، وهو هذا :
 لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى
 فقال لى على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت له : ومن أين لك ذلك ؟ قال : من قوله :
 ما الفرق ؛ إذ هى من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب . فقلت له :
 لله أبوك ! إنه ابن النحوى » . وقد غاب عن ابن شعيب أن هذا الأسلوب جاء فى رجز
 رؤبة إذ يقول :

أزمان لا أدرى وإن سألت ما فرق بين جمعة وسبت
 وتراه استعمل « بين » غير ظرف ، وهو جار فى الاستعمال العربى . وقد قرئ
 « لقد تقطع بينكم » برفع بين ما
 محمد على النجار

قطع الصلة بين المسلمين وكتبهم

إن صور الكلمات العربية نتيجة جهود عظيمة بذلت فى سبيلها . جهود بذلها
 الأجداد يسمعون الآن عقوق الأحفاد وزرايتهم .

إن لكل كلمة عربية صورة جميلة تميزها عن غيرها ، وقد ظلت الكتابة العربية
 قرابة قرن بلا نقط ، حتى خيف على القرآن من ألسنة الأجانب ، فنقط الحجاج المصحف ،
 وأعقبه الخليل بن أحمد فوضع علامات الإعراب . ولم يبق بعد ذلك فى الكتابة ما يوجب
 الشكوى ، إلى أن ظهر أصحاب الطوايا الخبيثة :

كان فلان باشا يصرح بوجوب استعمال الحروف اللاتينية لأن الحروف العربية قاصرة
 عن تصوير الكلمات على حقيقتها ، فتساءل عن كلمة (علم) ووقف أمامها حائرا يقلبها
 على عدة وجوه . كما تساءل بعده الدكتور إعلان عن كلمة (كتب) وقلبها أيضا على عدة
 وجوه . بقى شئ لا يلىق بالعلماء أن يتجاهلوه ولكنهم تجاهلوه ، وهو أن الأولين والآخرين
 لم يوجد فيهم من كتب كلمة (علم) وحدها أو (كتب) وحدها ثم ترك الناس حيارى
 فى فهمها .

دع كل هذا . واعلم أن هدف القوم هو موالاة التخريب فى بناء الكتابة العربية
 لنتهى إلى استعمال اللاتينية كما فعل الأتراك . وعندئذ تنقطع الصلة بين المسلمين وكتبهم .

يبرم التونسى

بيع الدين ونقله

— ٣ —

الصورة الثانية : بيع الدين لمن عليه بئن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيها مثلا فيتفقان على أن يأخذ الدائن في نظيره خمسة أراذب من القمح بعد مدة معينة كشهر أو نحوه ، وتسمى هذه الصورة عند بعض الفقهاء « بفسخ الدين في الدين » لأنى ما فى ذمة المدين من الدين الأول قد فسخ وزال بالتزامه ديناً آخر بدله .

وحجة الأئمة الأربعة فى منع هذه الصورة ما فيها من بيع الكالئ بالكالئ الذى ورد النهى عنه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووقع الإجماع على بطلانه [١] . واحتج ابن القيم على الجواز بما يأتى :

١ — أن هذا التصرف فيه غرض صحيح ومنفعة مطلوبة للمتعاقدين ، إذ تبرأ ذمة المدين عن دينه الأول وتشغل بدين آخر قد يكون أسهل على المدين وأنفع للدائن ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يكون جائزاً شرعاً ، لأن التعامل إنما شرع لتحصيل منافع الناس وقضاء مصالحهم .

٢ — أن الشارع قد أجاز أن يشغل أحد المتعاقدين ذمته بدين وأن يحصل المتعاقد الآخر على الربح وذلك فى بيع العين بالدين ، فيجوز أن يفرغ المدين ذمته من دين ويشغلها بغيره وكأنه شغلها به ابتداء إما بقرض أو بمعاوضة .

٣ — أنه قد جازت الحوالة شرعاً وهى تقتضى نقل الدين وتحويله من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه ، فقد حصل فيها معاوضة المدين للدائن عن دينه بدين آخر فى ذمة ثالث ، وإذا جازت معاوضة الدين بالدين فى ذمة غير المتعاقدين فأولى بالجواز ما لو كان الدين فى ذمة أحدهما [٢] .

(١) المغنى ج ٤ ص ١٧٢ ، ونيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٢

(٢) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠

وقد نوقش استدلال الجمهور بالحديث بأن هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به لاتفاق الأئمة على ضعفه حتى قال فيه الإمام أحمد: «إن في إسناده موسى بن عبيدة الربذي ولا تحل الرواية عنه» ، وقال الإمام الشافعي: «أهل الحديث يوهنون هذا الحديث» [١] .
وأما الإجماع فقد أنكر حكايته ابن القيم وقال: إنه ليس هناك إجماع في هذه الصورة (٢) .

وإذ قد انتفى المانع الشرعي من جواز البيع في هذه الصورة ، وكان في هذا التصرف مصلحة للعاقدين وتحصيل منفعة تعود عليهما ، فلا يسعنا إلا ترجيح القول بالجواز تمشياً مع روح الشريعة السمحة وجرياً على قواعدها العامة .

الصورة الثالثة: بيع الدين لغير المدين بثمن حال :

احتج المحيزون بما يأتي :

(١) ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ابتاع ديناً على رجل فصاحب الدين أولى إذا أدى مثل ما أدى صاحبه» [٣] ، فقد أقر الرسول عليه الصلاة والسلام البيع وجعل المدين أولى من المشتري إذا دفع مثل ما دفع المشتري ليستخلص نفسه ويبرئ ذمته ، ولو لم يكن البيع إلى غير المدين صحيحاً لم يقره بل كان يأمر بفسخه وإعادة الحال إلى ما كانت عليه من قبل .

(٢) ما روى عن جابر بن عبد الله أنه سئل عن رجل له دين على آخر فاشتري به غلاماً فقال: «لا بأس» فهذا صحابي قد حكم بصحة الشراء بالدين ولم يعلم له مخالف من الصحابة ، فدل ذلك على أن جواز بيع الدين والشراء به كان معلوماً بينهم [٤] .

واحتج المانعون بما يأتي :

(١) أن الدائن لا يقدر على تسليم المبيع للمشتري ، لأن الدين شيء يتعلق بذمة المدين ، وهي غير مقدورة للدائن ، فقد يجهل المدين الدين أو يماطل في الأداء أو يكون معسراً فيتعذر تخليص الدين منه ، وبهذا يكون الدين غير مقدور التسليم كالعبد الآبق والطير في الهواء ، وبيعهما غير جائز لما فيه من المخاطرة فكذا بيع الدين .

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣

(٢) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠

(٣) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٣٣

(٤) المحلى ج ٩ ص ٦

(٢) أن الدين مجهول العين حين العقد لا يدري ما هو ؟ إذ الواجب على المدين أن يؤدي عند حلول الأجل أى شيء مما تنطبق عليه صفة الدين ، وقد يكون ما سيؤديه لم يخلق بعد ، فكان مجهول الوجود والذات معا ، وبيع المجهول منهى عنه لما يؤدي إليه من الخصومة والمنازعة [١] .

تلك أدلة الفريقين ، وقد نقوش ما استدل به المانعون فقليل لهم في الدليل الأول : إنه لا يقوم حجة إلا في وجه من لم يشترط ملاءة المدين وإمكان الحصول على الدين ، أما من يشترط ذلك كالمالكية فلا يقوم حجة عليهم ، لأن المدين إذا كان مليئا مقرا بما عليه من الدين كان الظاهر من حاله عدم المماطلة ، فيكون الدين الذى عليه مقدور التسليم مأمون الضياع فلا يكون في بيعه مخاطرة ، فيفترق عن بيع الآبق والطير في الهواء ، فلا يصح قياسه عليهما . وقيل لهم في الدليل الثانى : إن الجهالة المانعة هى التى تفضى إلى الخصومة والمنازعة ، والجهالة بما سيؤديه المدين عند حلول الأجل ليست بهذه الصفة ، لأن الدين معلوم الصفة ، فأى شيء أداه المدين مما تنطبق عليه أوصاف ما في ذمته يكون مجزئاً له مبرئاً لذمته ، وليس للدائن أن يطلب منه غير ذلك ، وبهذا تتحسم مادة المنازعة .

أما أدلة المجيزين فقد ناقشها المانعون بأن ما احتجوا به من الحديث لم يصح ، لأن في إسناده راوياً مجهولاً ، فقد رواه معمر عن رجل من قريش لم يسمه عن عمر ابن عبد العزيز عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فهو مرسل [٢] ، وبأن أثر جابر وفتواه قد قال فيه ابن حزم : لا دلالة فيه على ما ذهبوا إليه ، لأنه لم يذكر فيه ما يفيد شروطهم التى اشتروها في جواز بيع الدين [٣] .

ونحن إذا أمعنا النظر في كلا الرأيين تبين لنا أن مذهب المالكية أقربهما إلى الفهم وأولاهما بالقبول لموافقته أصول الشريعة التى ترمى إلى التيسير على المتعاملين ، وقد تأيد هذا بالحديث وهو - وإن يكن ضعيفاً - منجبر بموافقته لأصول الشريعة ، كما تأيد أيضاً بأثر جابر وفتواه وهو وإن لم يذكر فيه ما اشترطه المالكية إلا أن هذا مما يعلم من أدلة الشريعة وقواعدها العامة .

(١) المحلى ج ٨ ص ٥٠٤ ، ج ٩ ص ٦ (٢) المحلى ج ٩ ص ٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه .

الصورة الرابعة : بيع الدين من غير المدين بتمن مؤجل :

وذلك كأن يكون لشخص على آخر دين قدره عشرون جنيتها فيشتري به من ثالث أربعة قناطير من القطن يأخذها منه بعد شهر مثلا ، وقد ذهب الفقهاء إلى فساد البيع في هذه الصورة محتجين على ذلك بأنه من باب بيع الكالئ بالكالئ الذي ورد النهى عنه ووقع الإجماع على منعه .

وذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى جواز البيع مستنديين إلى قياسه على الحوالة ، فإن فيها بيع دين بدين على شخص آخر وقد ورد الشرع بجوازها ووقع الاتفاق على مشروعيتها ، وبأن في هذا التصرف مصلحة للعاقدين ، فقد يكون صاحب الدين في حاجة إلى سلعة من السلع ولا يجد ما يشتري به سوى هذا الدين ، وربما لا تكون هذه السلعة موجودة عند المدين ، وليس هناك من ضرر يلحق بالمدين إذ هو مطالب بإيفاء الدين سواء كان ذلك للدائن الأصلي أو لمن يحل محله ، وليس هناك مانع شرعى يمنع من ذلك فيكون جائزا (١) تلك أدلة الفريقين ، وللباحث أن يناقش الجمهور في منعهم هذه الصورة بأن دليل المنع إن كان هو ما رووا من النهى عن بيع الكالئ بالكالئ فقد بينا فيما سلف عدم انتهاض هذا الحديث للحجية ، وإن كان الدليل هو ما حكوه من الإجماع فانا نرى فقهاء المالكية قد أجازوا أن يكون الثمن مؤجلا يوما أو يومين إذا كان غير معين والمبيع مضمون في الذمة ، فإن كان الثمن معيناً بذاته كدار أو دابة معينة جاز تأخير قبضه أكثر من ذلك ، كما أجازوا استبدال الدين بمنافع شيء معين كأن يكثرى به دارا أو دابة معينة ونحو ذلك (٢) وهذا لا يخرج عن بيع الدين بالدين وإن لم يسمه المالكية بذلك ، إذ المنافع المضمونة في الذمة دين ، والتأجيل باليوم واليومين كالتأجيل بالأكثر ، وفي هذا دليل على أن الإجماع هنا غير متحقق لوجود المخالفة من فقهاء المالكية ، وينتد فلا بأس من ترجيح القول بالجواز .

ابتداء الدين بالدين : يذكر الفقهاء عند الكلام على بيع الدين بالدين صورة تعرف عندهم « بابتداء الدين بالدين » وذلك بأن يتدئ المتعاقدان التعامل بينهما بدين منهما ، كما لو باع أحدهما قنطارا من القطن موصوفا في ذمته بتمن معلوم كذلك على أن يتأجل

(١) أعلام الموقعين ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) الحرشى ج ٥ ص ٢٠٢ ، تهذيب الفروق ج ٢ ص ١٥٣ .

كل من المبيع والثمن إلى أجل معلوم . وقد جرى علماء الشريعة على القول بمنع هذا البيع ، ونقل الإمام أحمد وابن المنذر الإجماع على ذلك حتى أن ابن القيم وشيخه وهما من عرفا بتسامحهما في بيع الدين لم يسمحهما إلا الانضواء تحت راية هذا الإجماع والقول بالمنع بين المانعين ، وقد حمل ابن القيم الإجماع المحكي عن العلماء في بيع الدين بالدين على هذه الصورة فقط . وقد احتج العلماء على المنع من بيع الدين في هذه الصورة بما يأتي :

١ - ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى عن بيع الكالئ بالكالئ» وهو الدين بالدين، فإن الكالئ ما تأخر قبضه، قالوا: وهذا الحديث وإن لم يكن قد صح إسناده فإجماع العلماء على وفقه مما يدل على صحته في الواقع ونفس الأمر ، وكفى بإجماعهم مستندا يصلح دليلا للحجية .

٢ - أن في هذا التصرف شغلا لزمى البائع والمشتري دون أن يجنى أحدهما فائدة من وراء التعاقد بهذه الصفة ، فلا البائع قد أخذ الثمن حتى ينتفع به في دفع حاجته ، ولا المشتري قد تسلم المبيع ليقضى به وطوره ، وهذا مما يدل على أن كلا المتعاقدين كان في غنية عن هذه المعاملة أو على أقل تقدير كان غير محتاج إليها حين التعاقد ، وإذا فليس من ضرورة توجب شغل ذمتيهما بشيء هما في غنى عنه ، فضلا عن أن الأصل في عقد البيع أن يكون البدلان مقبوضين فور التعاقد، ففى تأجيلهما معا خروج عن مقتضى الأصل ومخالفة للقواعد العامة ، فإذا لم تكن هناك ضرورة توجب ذلك فلا وجه لهذا الخروج على مقتضى القواعد والعسول عن موافقة الأصول ، فإن الضرورات هي التي توجب الاستثناءات أو تبديحها ، وحيث ارتفعت فالواجب السير على نمط القوانين العامة [١] .

هذا ما وجهوا به منع بيع الدين بالدين ، وللباحث أن يناقش ذلك بأن حديث الكالئ بالكالئ لا ينتهز للحجية لضعفه ضعفنا بينا ، وقد أسلفنا كلام الإمام أحمد وغيره فيمن روى هذا الحديث ، فيجب أن يخرج ذلك الحديث عن دائرة الاحتجاج ، وبأن دعوى عدم الفائدة من مثل ذلك التعامل غير مسلمة ، فإن التجار والصناع كثيرا ما يتنافسون في تصريف بضائعهم أو الحصول عليها ، فلو أراد صانع أن يضمن تصريف بضاعته فإنه يتفق مع أحد التجار على أن يبيع له كمية معلومة ويتسلم الثمن منه عند تسليم

البضاعة إليه ، وقد يكون التاجر نفسه في حاجة إلى نوع من البضاعة ينتجه مصنع معلوم وليس لديه المال الذي يدفعه ثمنها لهذه البضاعة وهو يخشى إن انتظر حتى يتيسر له الثمن أن يسبقه غيره إلى شراء منتجات المصنع فيحتكرها على الناس ويغلى أسعارها عليهم ، فلهذا نرى التاجر المحتاج إلى البضاعة يسرع بالذهاب إلى صاحب المصنع فيشتري ما يريد من البضائع على أن يتسلمها منه بعد أجل ويدفع الثمن إليه عند تسلمها ، فهذا التعاقد بين الصانع والتاجر قد حصل فيه الاتفاق منهما على تأجيل المبيع والثمن مع استفادتهما جميعا منه ، إذ ضمن الصانع تصريف بضاعته وضمن التاجر الحصول عليها بثن متهاود ولم يرهق بأدائه حين التعاقد ، فلم يبق بعد هذا محل للقول بأن هذا التعامل خلو من الفائدة . وعلى هذا فإنه لم يعد هناك من حجة يستند إليها المنع إلا ما حكى من الإجماع على ذلك ، ولو أريد التخلص من هذا الإجماع ههنا لما وجد أحسن مما قال به فقهاء المالكية ، من أن بيع السلم الذي يتأجل فيه المبيع إلى نصف شهر فأكثر يجوز أن يكون ثمنه مؤجلا أيضا ، غير أنه إن كان تأجيله مشروطا لم يحز التأخير أكثر من ثلاثة أيام ، وإن كان تأجيله غير مشروط جاز التأخير أكثر منها [١] ، وعلى كلا الحالين فقد وقع التعامل بالدين من الطرفين وإن لم يسموه بيع دين بدين ، فإن الواقع من حقيقة أمره هو شغل ذمتي المتعاقدين ، والتسمية لا ترفع من الواقع شيئا . وبهذا يتبين أن الإجماع الذي نقل في بيع الكالئ بالكالئ لا ينطبق على هذه المعاملة التي نحن بصددناها ولا يتحقق فيها ، وإنما يراد به أمر آخر غير ذلك ، وهو أن يكون البدلان من الأموال الربوية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغائب بالناجز منها وحرم بيع بعضها ببعض إلا يدا بيد ، فلا يصح فيها بيع غائب بغائب ، لأنه يكون بيع الدين بالدين الذي وقع الإجماع على منعه . وعلى هذا فالذي نراه أن شغل الذمتين من الطرفين فيما عدا الأموال الربوية لا بأس به ، وقد عهد في الشريعة جوازه في الإجارة والكراء والجمالة وغيرها ، إذ يجوز أن يستأجر الإنسان غيره على عمل خاص أو يكتري دابة ثم يسلم الأجرة عند نهاية العمل ، فقد اشتغلت ذمة المتعاقدين : أحدهما بالعمل الذي التزم القيام بأدائه والآخر بالمبلغ الذي يدفعه في نظيره ، وهكذا في الجمالة والمزارعة .

وإذا فلا نرى بأسا من جواز هذا النوع من التعامل ما لم يتضمن من المفاسد المحرمة كالربا والغرر والمخاطرة ، وعلى الجملة فإنه يشترط أن يراعى فيه الشروط التي أسلفنا ذكرها في بيع الدين [٢] .

(١) الخرشى ج ٥ ص ٢٠٢ (٢) رسالة في البيوع المنهى عنها للأستاذ عبد السميع إمام .

بيع الدين في القانون : -

يحرز القانون المدني بيع الديون بدون قيد ولا شرط ، ولما كان بيع الديون في القانون يمثل معظمه في بيع « الكبيالات » وبيع « السندات » فسنعرض لبيان كل نوع على حدة .

(١) بيع الكبيالات : - كثيرا ما يجري التعامل بين التجار والمنتجين بثن مؤجل في أغلب الأحوال حتى يتمكن المشتري من الحصول على الثمن في مدة الأجل ، وفي هذه الحالة يأخذ البائع وثيقة بحقه تسمى « كبيالة » ، وكثيرا ما يحتاج الدائن إلى الحصول على المال ، وهنا قد يعتمد إلى مصرف من المصارف لبيع هذه الكبيالة ، وقد جرى العمل في مثل هذه الحالة أن يدفع المصرف قيمة الكبيالة قبل موعد استحقاقها مع خصم مبلغ منها يساوي فائدة القيمة من وقت البيع إلى ميعاد الاستحقاق على أساس نسبة مئوية خاصة ، فمثلا لو أن لدائن « كبيالة » بمبلغ مائة جنيه على أحد الأشخاص وموعد سدادها بعد ستة أشهر وأراد بيعها للمصرف من حين تحرير الكبيالة فإن المصرف يعتمد إلى فائدة المائة في هذه المدة وهي جنهمان مثلا فيخصمها من المبلغ ثم يعطى البائع الباقي نقدا وهو ثمانية وتسعون جنهما ، وقد يلجأ المصرف إلى هذه العملية نفسها فيأخذ ما عنده من الصكوك التي اشتراها ويبيعها إلى مصرف آخر وهكذا .

وإذا أردنا الوقوف على حكم هذا التصرف من الناحية الشرعية وجدنا أنه يقوم على أساس بيع الدين ثمن معجل مع التفاوت بينهما في القدر ، فإن كان الدين والثن من الأموال الربوية كما هو واضح من هذا المثال فهو ممنوع في نظر الشريعة لما فيه من الربا ، إذ أن المصرف يدفع قليلا ليقبض أكثر منه بعد مدة ، وقد بينا فيما سلف أن من شروط بيع الدين ألا يؤدي إلى محظور شرعى ، ومن المحظورات الشرعية اشتغال عقد البيع على الربا بنوعيه : التفاضل أو النساء ، وهما متحققان فيما معنا من المثال المذكور .

وعلى هذا النمط يجري الحكم في بيع الكبيالات العرفية بين الأفراد بعضهم لبعض ، وهو ما يعرف بينهم بتحويل الكبيالة . ولو فرضنا أن المدفوع في السند من غير جنسه كما لو كان الدين نقدا فبيع بثوب أو عقار أو نحوهما كان البيع جائزا على ما سبق ترجيحه .

(ب) بيع السندات - : قد تحتاج بعض الشركات والهيئات الحكومية والجمعيات العمومية إلى اقتراض مبلغ كبير من المال لترده بعد أجل طويل ولا تجد من يسلفها ما تحتاج إليه نظرا لضخامته وبعد أجله ، فتلجأ إلى اقتراض المبلغ من الجمهور عن طريق الاكتتاب في القرض ، فتجزؤه إلى أجزاء صغيرة تصدر بها سندات على نفسها وتجعل لها فائدة سنوية

ثابتة ، وعند نهاية الأجل ترد قيمتها إلى أصحابها ، وعلى هذا فالسند يمثل جزءا من قرض يدفعه أحد المكتتبين للشركة أو للحكومة أو للهيئة المصدرة ويأخذ به صكاً مثبلاً لدينه ، ويطلق لفظ السند أيضا على هذا الصك .

وقد جرى القانون على جواز تداول السندات والتصرف فيها وانتقال ملكيتها من يد إلى أخرى من غير قيد ولا شرط .

وإذا أردنا معرفة حكم الشريعة في بيع السندات وتداولها فأنا نجد أن بيئها للأفراد يتضمن (١) بيع الدين لغير من عليه الدين (٢) بيع الشيء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما وهو هنا الفائدة الربوية (٣) شراء دين مشروط فيه تأجيله إلى وقت معلوم (٤) بيع الأموال الربوية مع عدم التقابض (٥) بيع الدين بأقل أو أكثر منه .

أما بيع الدين لغير من عليه الدين فقد قدمنا ترجيح رأى القائلين بالجواز من الفقهاء . وأما بيع الشيء إذا كان المقصود من شرائه غرضا محرما ، فلا يؤثر على البيع بالفساد بل البيع صحيح ، وذلك لأن المعصية ليست في نفس البيع ولا في نفس المبيع وهو الدين ، وإنما المعصية في أخذ الفائدة نفسها ، بناء على أنها ربا أو قرض جرنفعا ، وهذا أمر وراء البيع والمبيع ، وهذا تخريج على ما ذهب إليه الحنفية من أنه لا بأس ببيع العصير ممن يعلم أنه يتخذه خمرًا .

أما انتقال الدين إلى المشتري محملا بشرط التأجيل إلى أجل معلوم فلا ضير فيه ، لأن اشتراط التأجيل في الأصل جائز ولازم على رأى الإمامين : مالك بن أنس والليث بن سعد ، وإذا كان لازما في الابتداء فيكون لازما في البقاء لقبول المشتري ذلك ضمنا في عقد الشراء .

أما بيع السند بالنقود من غير تقابض فمن الممكن أن يقال إن العرف يعتبر تسليم السند وقت البيع قبضا للدين المبيع في المعنى أو يقال إنه نائب مناب قبض الدين فيتحقق التقابض بناء على ذلك .

أما بيع الدين بأقل منه أو أكثر فلا يمكن تخريج ذلك على وجه صحيح شرعا لتحقيق الزيادة في جانب أحد الطرفين من غير عوض ومقابل وذلك ربا ، أما إذا كان البيع بقيمة الدين نفسه فذلك جائز ، ولا تأثير لأخذ الفائدة على العقد ، وكل تأثيرها أنه يحرم أخذها والانتفاع بها . والله الهادى إلى سواء السبيل ، وهو أعلم بالصواب ما

عيسى بن محمد عيسى

المدرس بكلية حقوق عين شمس

سابق الحبشة

معنيان جليلان

هذا رجل كريم من رجالات الإسلام الذين يعتز بهم ، رفعه الإسلام كما رفع غيره من الموالى والأرقاء ، ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الأثر بأنه « سابق الحبشة » ، وكيف لا يكون سابقهم وقد سبق الناس إلى الإسلام ، وسبقهم إلى الاستماتة فيه ، وسبقهم إلى التضحية بكل غال في سبيله حتى النفس يبذلها في سبيل الله وابتغاء مرضاته .

إنه رجل يتصل به معنيان جليلان من معاني الإسلام ، وما أنعمها وأعظمها وأحراها أن تجعله الدين الخالد الشامل الذي لا يحسد به إلا كل ختار كفور .

المعنى الأول : المساواة بين الناس على اختلاف صنوفهم وأجناسهم : عربهم وعجمهم ، غنيهم وفقيرهم ، حسيبهم وغير حسيبهم ، سيدهم ورقيقهم ، حتى تكون التقوى والخلق الفاضل والعمل الصالح هي التي تفاضل بينهم وترفع بعضهم فوق بعض درجات ، كما رسم ذلك القرآن الكريم في قوله عز اسمه : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خير » .

ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى المحمدي حتى آخر لحظات حياته ، وفي أجمع توصياته ، في حجة الوداع إذ يقول : « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ويقول : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . يا فاطمة يا بنت محمد ، اعلمي ، لا أغني عنك من الله شيئا . يا عباس يا عم محمد ، اعمل ، لا أغني عنك من الله شيئا » .

ولقد ولى النبي صلى الله عليه وسلم بلالا الحبشي المولى المدينة وفيها وجوه العرب والأشراف عندهم وكبار الصحابة والتابعين ، كما ولى أسامة قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر .

ولقد عير أبو ذر الصحابي الجليل قبل أن يعلم مبدأ الإسلام العظيم - وإنما العلم بالتعلم - عير بلالا كما كان يعيره أهل الجاهلية بأمة السوداء الحبشية « حمامة » وقال له : يا ابن السوداء ، كما كانوا يقولون . فقال له صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمة ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ثم أوضح للناس ذلك المعنى الخالد بما يشرح صدر كل مسلم ويزيده إيماناً بدينه فقال : « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، وإن كلفتموهم فأعينوهم . فان الله ملسكم إياهم ، ولو شاء للمسكم إياكم » . ولما قالها صلوات الله عليه وضع أبو ذر خده على الأرض وحلف ألا يرفعه حتى يطأه بلال .

لقد أدب الله سبحانه المسلمين ذلك الأدب فدانت لهم الرقاب ، وخضعت لهم العباد ، انقيادا لتلك المبادئ الفخمة التي لا تعرفها إلا السماء ، ثم المسلمون الرحاء .

وهذا تأدب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ قال في سموه الإسلامى : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . يريد بلالا هذا الذى عيناه بالحديث اليوم . ثم قال لسعد ابن أبي وقاص وقد شيعه إلى القادسية : يأسعد ، لا يغرنك أن يقال : خال رسول الله ، أو صاحب رسول الله ، فان الناس في دين الله سواء ، يتفاضلون عنده بالطاعة .

وياليت شعرى أيها القارئ الكريم ، لو لم يكن خلق المساواة من أخلاق الإسلام ماذا كان يصيب المسلمين من ضعف وانحلال كما أصابهم بعد أن غيروا وبدلوا . ونحن الآن نتفائل بالخير العظيم لمصر ، فقد تبدلت سياسة التفرقة بين الناس ، وأصبح الحاكم لا يرى إلا الكفايات والأخلاق ، لا الشفاعات والأحساب ، مما يبشر بالبقاء ، والرفعة والسناء ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

أما المعنى الثانى : الذى يتجلى فى بلال العظيم فهو خلق الإيمان والصبر ، وإيثار الله والدار الآخرة . ذلك أمر أنبته الله فيه ، ومعنى جبلة القدر المحسن عليه وهو فى حديثه . وذلك المعنى رأس الإسلام ، وسر رضوان الله ورعايته ، والمرمى البعيد العسير على نفوس الدهماء ، والمرام المعتاص على غير نفوس الصديقين والأنبياء . فقد جبلت النفوس على حب الشهوات والاسترواح بالمرافق ، والارتقاء فى أحضان الدعة والاسترخاء ، فأما الجهاد واحتمال المكاره ، وأما الجلال الشاق لإدراك العظائم ، وأما استقبال البلاء

المضنى، وركوب الكره على الكره ولو في سبيل المجد، فشيء تأباه النفوس وتنفر منه الطباع . وهو الخير كل الخير والعز كل العز . وما نوهت الأديان ولا مجد الشعراء والحكماء شيئا تنويعهم بذلك المعنى العظيم ، لما يتبعه من النجح والظفر ، والمجد والنصر ، والسمو كل السمو (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا - حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) .

تريدون إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبراهيم النحل

وقد كان بلال في هذا المعنى بالمحل الأول والموضع الذي لا يجهل ، كان مضرب الأمثال وعبرة الأجيال ، كان إيمانا يمشى في الأسواق ، وجهادا في سبيل المجد والسؤدد يتردد في الآفاق ، لقد جاء الإسلام فكان في أول الداخلين ، حتى قيل بدأ الإسلام برجل وامرأة وصبي وعبد ، فكان الرجل أبا بكر والمرأة خديجة والصبي عليا والعبد بلالا . وكان من جهر بالإسلام وأظهره ، فكان أولهم برغم أنه عبد لأمية بن خلف ، والعبد لسيدته لا يتصرف إلا عن أمره وحكمه ، ولم يكن أمية ككل السادة ولكنه كان جبارا في الأرض ولم يكن من المصلحين .

وقد كان من المعذنين مع بلال بعض المستضعفين من المسلمين أول الأمر حتى شمل الإيذاء جميع المؤمنين بعد ذلك فأمروا بالهجرة ، على أن بلالا كان صاحب النصيب الأوفى من البلاء ، فلما لجأ إلى التقية أبدا ، ولا وقف إلا مواقف الصلابة والصراحة والعناد ، فهو يقول كلما زاده أمية تعذيبا وأمره أن يذكر اللات - هذا الذكر الكريم يلهج به ويأبى أن يقول غيره : « أحد ، أحد » وكان يمر به ورقة بن نوفل فيقول : نعم . أحد ، أحد ، والله يا بلال . ثم يلتفت إلى الجابرة فيقول لهم : والله لئن قتلتنموه لأتخذنه حنانا - يريد البركة به عند قبره كما يعرف أهل الكتاب .

لقد طال عذاب الشقي عدو الله أمية عبده بلالا بأقسى أنواع التعذيب ، وتعهد بكل ما يستطيع من التنكيل ، فهو يطرحه على بطنه في حر الرمضاء تارة وعلى ظهره أخرى ، ويذهب به يمتة ويسرة وقبولا ودبورا . وهو يجيئ له الدرع الحديدية في تلك الرمضاء ويلبسه إياها ، وهكذا يمارسه مرة ويأمر به مرة حتى يمل . فاذا هدا عاود الكرة . ولقد أدال الله له وأظفره به في غزوة بدر بعد أن كاد ينجو في كنف عبد الرحمن بن عوف ،

ولكن بلالا الرجل الكريم الرفيع لحق به وحرص عليه وهو يقول : هذا عدو الله أمية ابن خلف ، لانيجوت إن نجا . فلحقوه ومزقوه ، وكان يسهم معهم . وقالوا : إن أبا بكر هنا بذلك فقال له :

هنيئا زادك الرحمن خيرا لقد أدركت ثأرك يا بلال

على أن الله سبحانه كان قد كتب لبلال رحمة من أمية ، فاشتره أبو بكر بعد إشادة السيد الرسول صلوات الله عليه بذلك على ما بين في كتب السير ، ثم أعتقه أبو بكر بخفف عنه بعض ما يليق من التعذيب ، ورحمة الله قريب .

هذا ما كان من بلال ، على أن غيره من خيرة المسلمين كان ربما أجرى كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان كعمار بن ياسر ، ولما قيل : يا رسول الله ، إن عمارا كفر قال : كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإسلام بلحمه ودمه ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول : مالك ؟ إن عادوا لك فعد لهم بمثل ما قلت . وأما أبو قيس بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة وغيرهما فقد ارتدوا إيثارا للدعة والراحة فكانوا من الأسفلين . ولقد ألف بلال هذا المعنى الذي نبت في نفسه واستعذبه ، حتى لم يتخلف عن غزوة إلا واحدة استخلفه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ، وحتى ترك شئون الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب إلى الشام مجاهدا حتى توفاه الله .

* * *

هذا هو الإسلام في بعض رجاله الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لم يصرفه عن الحق شيء مهما كانت منزلته . وهذه هي الرجال في الإسلام الأول الصحيح الذي دخل إلى تلك القلوب فملأها بالعلم والهدى في قوم رسموا لمن بعدهم كيف يسرون على الجادة ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

ثم هذا هو بلال العبد الحبشي الذي خفضته الجاهلية فغيرته بأمة الأمة السوداء ، رفعه الإسلام حتى تسنم العلياء ، وجعل منه صحابيا جليلا من أصحاب محمد أثرا عنده يقدمه على وجوه العرب وأعيانها ويرشحه لمعالي الشئون وعظائمها .

ولادة بلال ونشأته :

ولد بمكة من أبويه الحبشيين : رباح أبيه وحامه أمه ، ومكة تتصل بالحبشة في شئون تؤدي إلى الرحلة من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا .

وكانت ولادته قبل الهجرة بثلاث وأربعين سنة وقبل البعثة المحمدية بثلاثين سنة ، وقضت ظروفه أن يكون عبداً لأمية بن خلف وفي خدمته وهو من أئمة الكفر ومن شر المقاومين لدعوة الإسلام الكريم . وقد رأيت أن بلالا كان في أوائل المسلمين برغم ذلك كله ، وأن عدو الله أمية ما زال يعذبه وينكل به حتى أعتقه الله منه على يد أبي بكر ، ولم تكن هذه أولى أيادي أبي بكر ، فقد أعتق كثيراً غيره بعد أن اشتراه ، على أنه ما زال يعذب كما يعذب غيره من المسلمين حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إلى المدينة ، فهاجر إليها مع الطبقة الثانية التي خرج فيها هو وعمار وسعد بن أبي وقاص وعبدالله ابن مسعود . على أن صفاء فطرته وسلامة نفسه كانت تدعوه إلى الحنين إلى مكة كما كان يحن إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والخيرة ، وكانت تأخذة وعكة الحمى بالمدينة فيقول كما صرح عنه يذكر أما كن كان يعهدا :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بفتح وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لزمه بلال خادماً أميناً لا يفارقه في سفر ولا حضر ، يضرب له القباب والخيام ، ويظلمه من الشمس ، ويتولى طعام الجيش ، ويقسم الغنائم ، ويوزع الجوائز ، لا يغفل طرفه عين عن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم وتولى أمره ، وضم له رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك مجادة كريمة ، فجعله مؤذنه على الصلوات بلهارة صوته ، ونداء جرسه ، فكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . وكان لا يقيم الصلاة حتى يحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا تأخر آذنه بها : يارسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح . الصلاة يارسول الله ، حتى يحضر . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة غيره يؤذنون كما بسط ذلك في كتب السير والأحاديث .

وبعد - فان ذكر بلال لا يزال يتردد في كتب الأخبار والسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سياً في رحلاته وأسفاره وغزواته مؤذناً يغيظ به الكفار ، ويقربه أعين الأصحاب والأنصار ، ومتولياً للجيش في طعامه وشرابه وغنائمه ، وموزعاً للجوائز في وفوده ، فأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عزف عن الدنيا وما فيها وترك كل شيء حتى الأذان الذي كان كلما أرادته فقال : وأشهد أن محمداً رسول الله خنفته العبرة وأخذه الإجهاش . واستأذن أبا بكر أن يسافر إلى الشام غازياً ومجاهداً في سبيل الله فأراد أن يستبقيه لنفسه فقال : يا أبا بكر إن كنت أعتقتني لنفسك فاستبقني ، وإن كنت أعتقتني لله فسدني لله . وهكذا قوة الإيمان وصراحته . ثم سافر وهو في حدود الستين ، يجاهد في فتوح الشام مع المجاهدين ، حتى كانت وفاته وهو في حدود السبعين من عمره الشريف ، ولما كان في سكرات الموت كانت زوجه تقول : واكرباه ، فيقول لها : بل واطرباه ، غدا ألقى الأحبة محمداً وحرابه .

العبرة :

هذه نفس كريمة رفعها الإسلام حتى قال فيها عمر : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا ، على أن الجاهلية كانت تزدريها وتضطهدها . هذه نفس تمثل فيها معنى السؤدد الإسلامي ، وتجلى فيها عمق الإيمان وسموه مع الفقر والخلو من كل حسب إلا التقوى والخلق الفاضل وإيثار الحق . وهذا إنسان قدمه الناس لدينه إماماً لهم واتخذوا منه قدوتهم ، فهل آن لنا أن نحسن مقاييس الأشياء ومعايير الناس ؟ لقد جعلت جمهوريتنا الكريمة أول معاييرها أن تقيس الناس بأعمالهم وأن تجعل درجاتهم ومنازلهم على مقدار الإخلاص للواجب والحق والانتاج الصالح للوطن ، والتقدم بالأعمال تنفع الناس وتعلي شأن الوطن ، فالفلاح للعاملين المخلصين والسبق للأفاضل المستجيبين ، مما جعل أهل الحق يتفألون جميعاً بالمجد المطرد ، ويرقبون أن تكون مصر على القمة قبل كل أحد . وهذه مظاهر الرفة والسؤدد تتجدد كل يوم على يد زعيم مصر والشرق . فهل نحن محافظون على ذلك ؟ . وهل نحن متعاونون على تحقيقه . ؟ عند الله التوفيق سبحانه ٤

محمود التواوي

مَحْث

فمصادر الشريعة النظرية

— ٤ —

أركان القياس وشروطه :

وللقيام عند القائلين به أركان لا يتحقق بدونها، وشروط لا يكون صحيحا إلا بتوافرها، أما أركانه فأربعة وهى :

١ — الأصل وهو : ما ثبت فيه الحكم بالنص أو الإجماع ، ويسمى المقيس عليه والمشببه به .

٢ — الفرع وهو : ما لم يرد بحكمه نص ولا إجماع ، ويسمى المقيس أو المشبه .

٣ — حكم الأصل وهو : الحكم الشرعى الثابت للأصل ، ويراد تعديته إلى الفرع بطريق القياس .

٤ — العلة وهى : المعنى الذى لأجله شرع الحكم فى الأصل .

أما الحكم الذى يثبت فى الفرع فهو ثمرة القياس ونتيجته ، وليس ركنا من أركانه ولا شرطاً من شروطه .

وأما شروط القياس فهى كثيرة ومتنوعة ، بعضها يرجع إلى حكم الأصل ، وبعضها يرجع إلى الفرع ، وبعضها يرجع إلى العلة .

ولما كانت العلة أهم أركان القياس ، وبحثها من أعظم مباحث الأصول وأصعبها ، وكان للأصوليين فيها كلام طويل وبحوث ضافية ، وفى بعضها مخالفة لما جاء فى الكتاب والسنة ، وما جرى عليه أئمة المذاهب الفقهية المعروفة ، مع أنهم يذكرون فى كتبهم الأصول التى سار عليها أولئك الأئمة فى الاجتهاد وتفريع المسائل الفقهية .

لهذا كله رأيت أن أتكلم عليها بشئ من التفصيل من غير تعرض لغيرها من الأركان والشروط اكتفاء بما كتبه فيها المؤلفون فى علم الأصول ، وسأجعل الكلام فيها مقصوراً على الأمور الآتية :

تعريفها ، الفرق بينها وبين الحكمة ، رأى الأصوليين فيما يصح التعليل به لأجل

القياس وما لا يصح ، بيان ما في هذا الرأي من موافقة أو مخالفة لمسلك الأئمة في ذلك ، الشروط المعتبرة في العلة ، مسالك العلة .

تعريف العلة :

العلة في اللغة : اسم لما يتغير حال الشيء بحصوله فيه ، ومن هذا سمي المرض علة لأن الجسم يتغير حاله بحصوله فيه . يقول الغزالي في شفاء الغليل : العلة في الأصل ما يتأثر المحل بوجوده ولذلك سمي المرض علة (١) .

وفي لسان أهل الاصطلاح تطلق على أمور ثلاثة :

الأمر الأول : الثمرة والمصلحة التي تترتب على تشريع الحكم ، كحفظ الأنساب من الاختلاط المترتب على تحريم الزنا ووجوب الحد به ، وحفظ العقول المترتب على تحريم الخمر ووجوب الحد بشربه ، وحفظ الأرواح المترتب على تحريم القتل العدوان ووجوب القصاص به ، وحفظ الأموال المترتب على تحريم السرقة ووجوب قطع يد السارق والسارقة - حصول المنفعة لكل من المتبايعين المترتب على إباحة البيع وإجازته ، ودفع الحرج والمشقة المترتب على إباحة الفطر في رمضان للمسافر والمريض .

الأمر الثاني : المعنى المناسب لتشريع الحكم ، وهو ما يترتب على الفعل أو ما يكون فيه من نفع أو ضرر أو مشقة ، فيناسب الأمر به أو المنع منه أو إجازته والترخيص فيه ، وذلك كاختلاط الأنساب المترتب على الزنا المناسب لتحريمه ووجوب الحد فيه ، وذهاب العقول المترتب على شرب الخمر المناسب لتحريمه ووجوب الحد على من يتناوله ، وإهدار الدماء وضياع الأرواح المترتب على القتل العدوان المناسب لتحريمه ووجوب القصاص على القاتل المعتدى ، ومنفعة المتبايعين المترتبة على البيع المناسبة لإباحته وإجازته ، والمشقة الموجودة في السفر والمرض المناسبة لجواز الفطر وقصر الصلاة الرباعية في السفر وأداء الصلاة على الوجه المستطاع في المرض .

الأمر الثالث : الوصف الظاهر المنضبط الذي يشتمل على المعنى المناسب ، على معنى أن وجوده مظنة لوجوده ، وعدمه مظنة لعدمه ، وذلك كالزنا فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب وهو اختلاط الأنساب وضياع النسل ، وكالسرقة فانها أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو ضياع الأموال ، وكالبيع

فانه أمر ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو نفع كل من المتبادلين ، وكالسفر فانه وصف ظاهر منضبط يشتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم وهو المشقة .

هذا هو ما يطلق عليه اسم العلة في اصطلاح العلماء على ما يؤخذ من عباراتهم وكلماتهم المنقولة عنهم في مواضع مختلفة ، فهم يقولون : إن علة تحريم الزنا هي حفظ الأعراض من الانتهاك والأنساب من الاختلاط ، أو هي انتهاك الأعراض واختلاط الأنساب ، أو هي نفس الزنا ، ويقولون : علة إباحة الفطر في رمضان للسافر هي دفع المشقة والخرج ، أو هي المشقة التي في السفر ، أو هي نفس السفر ، كما يقولون : علة جواز البيع هي قضاء حاجة الناس ودفع الخرج عنهم لو لم يتبادلوا ، أو هي حاجة الناس إلى تبادل الأملاك ونفعهم من هذا التبادل ، أو هي نفس البيع .

ويطلقون على كل من المعنى المناسب والمصلحة المترتبة على تشريع الحكم اسم الحكمة أيضا ، ولكن علماء الأصول - فيما بعد - خصوا الوصف الظاهر المنضبط باسم العلة ، وسموا المصلحة التي تترتب على تشريع الحكم بالحكمة أو مقصد الشارع من التشريع وهو ما يعرف عند المتكلمين بالعلة الغائية ، وسموا المعنى المناسب لتشريع الحكم بالحكمة فقط ، فإذا أطلقت كلمة العلة فالمراد بها عندهم الوصف الظاهر المنضبط المشتعل على المعنى المناسب وهو ما يترتب على تشريع الحكم عنده تحقيق مصلحة مقصودة تعود على العباد بجلب نفع لهم أو دفع ضرر عنهم ، وإن قالوا عنه إنه علة مجازا لأنه ضابط للعلة الحقيقية التي هي المعنى المناسب أو المصلحة التي تترتب على تشريع الحكم .

وإذا أطلقت كلمة الحكمة فالمراد بها عندهم أحد أمرين :
الأمر الأول : المعنى المناسب لتشريع الحكم كاختلاط الأنساب في الزنا ، والمشقة في السفر ، وحاجة الناس إلى التبادل في البيع .

والأمر الثاني : المصلحة المترتبة على تشريع الحكم كحفظ الأنساب المترتب على تحريم الزنا ، ودفع المشقة المترتب على إباحة الفطر في رمضان للسافر ، ودفع الخرج والضيق المترتب على جواز البيع [١] .

(١) راجع التوضيح وحاشية سعد الدين التفتازاني عليه ح ٣ ص ٦٢ ، ٦٣ ، التحرير مع شرح التيسير ح ٣ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وتقرير المحقق المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربيني المطبوع بهامش شرح الجلال المحلى لجمع الجوامع ح ٢ ص ٣٥٣ وسلم الوصول للرحوم الشيخ محمد نجيب ح ٤ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ وتعليق الأحكام للأستاذ محمد مصطفى شلي ص ١٣

هذا هو ما استقر عليه اصطلاح الأصوليين كما يؤخذ من كتبهم المختلفة ، ولم يخالف في ذلك إلا الإمام الشاطبي فقد وجدناه في كتابه « الموافقات » يقول : أما السبب فالمراد به ما وضع شرعا لحكم لحكمة يقتضيها ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سببا في وجوب الزكاة ، والزوال سببا في وجوب الصلاة ، والسرقه سببا في وجوب القطع ، والعقود أسبابا في إباحة الانتفاع أو انتقال الأملاك وما أشبه ذلك .

وأما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر أو الإباحة والمفاسد التي تعلقت بها النواهي . فالمشقة علة في إباحة القصر والفطر في السفر ، والسفر هو السبب الموضوع سببا للإباحة ، فعلى الجملة العلة هي المصلحة نفسها أو المفسدة لامتنعها كانت ظاهرة أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وكذلك تقول في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقضى القاضى ، وهو غضبان » فالغضب سبب ، وتشويش الخاطر عن استيفاء الحجج هو العلة ، على أنه قد يطلق هنا لفظ السبب على نفس العلة لارتباط ما بينهما ، ولا مشاحة في الاصطلاح [١] .

فهذا الكلام صريح في أن الإمام الشاطبي له اصطلاح في العلة يخالف اصطلاح الأصوليين حيث سمي ما جعلوه علة سببا ، وسمى ما جعلوه حكمة علة ، ثم يقول : إن المسألة اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نتكلم على رأى الأصوليين فيما يجوز تعليل الحكم به لأجل القياس وما لا يجوز وهو ما نبينه فيما يلى :

رأى الأصوليين فيما يجوز التعليل به لأجل القياس :

من يتتبع كلام الأصوليين في بحوث العلة يجدهم يتفقون على جواز التعليل بالوصف الظاهر المنضبط المشتمل على الحكمة ، وهو ما يكون مظنة لها وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، يقول الآمدى فى الإحكام : « إن الإجماع منعقد على صحة تعليل الأحكام بالأوصاف الظاهرة المنضبطة المشتملة على احتمال الحكم كتعليل وجوب القصاص بالقتل العمد العدوان لحكمة الزجر أو الجبر ، وتعليل صحة البيع بالتصرف الصادر من الأهل فى المحل لحكمة الانتفاع ، وتعليل تحريم شرب الخمر وإيجاب الحدبه لحكمة دفع المفسدة الناشئة منه ونحوه [٢] ويقول الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول » : واتفقوا على جواز التعليل بالوصف المشتمل على الحكمة أى مظنتها بدلا عنها » [٣] .

(١) الموافقات - ١ ص ٣٦٥ طبع المكتبة التجارية .

(٢) الإحكام للآمدى - ٣ ص ١٢ ، ١٣ . (٣) إرشاد الفحول ص ١٨٢ .

و يختلفون في التعليل بالحكمة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : منع التعليل بها مطلقا ظاهرة كانت أو غير ظاهرة ، منضبطة أو غير منضبطة ، وهذا القول منسوب لأكثر الأصوليين ، كما في الإحكام للآمدى .

القول الثانى : جواز التعليل بها مطلقا ، وهو الظاهر من كلام الإمام الرازى والبيضاوى .

القول الثالث : جواز التعليل بها إن كانت ظاهرة منضبطة ، ومنع التعليل بها إن كانت خفية أو مضطربة ، وهذا القول هو المختار للآمدى [١]

ولكل منهم أدلة على ما ذهب إليه مبسطة في موضعها من كتب الأصول . والنظر في هذه الأدلة وما ورد عليها من مناقشات وإجابات عنها يحدد أن الخلاف بينهم إنما هو في جواز التعليل بالحكمة فقط ، أما التعليل بها بالفعل فانهم متفقون على أنه لم يقع في الشرع [٢] وعلى هذا يكون التعليل الواقعى عندهم مقصورا على الأوصاف الظاهرة دون الحكم .

ووجهتهم في ذلك : أن المقصود من العلة معرفة الحكم الشرعى ، وإذا لا بد أن تكون أمرا ظاهرا لا يلتبس على الناس ، منضبطا لا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال . والحكمة لا يتحقق فيها ذلك لأنها - بحسب الاستقراء والتتبع - في بعض الأحكام تكون أمرا خفيا لا يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده كالحاجة بالنسبة لشرعية البيع فانها أمر خفى ، إذ لا يدرك في كل عقد أنه حصل حاجة أو لغير حاجة ، وفي بعضها تكون أمرا مضطربا غير منضبط كالمشقة بالنسبة لإباحة الفطر في السفر ، فانها تختلف باختلاف الأشخاص والأماكن والأحوال ، فالملوك المسترفون لا يتألم من المشقة ما يتألم غيرهم من الأفراد ، والمشقة في زمن الصيف غيرها في زمن الشتاء ، وهى

(١) راجع الإحكام للآمدى - ٣ ص ١٣ ونهاية السؤل شرح منهاج الأصول المطبوع بها مش التقرير والتجوير - ٣ ص ٨٩ - ٩١ ، وجمع الجوامع مع شرح الجلال المحلى - ٢ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، وإرشاد الفحول ص ١٨٢ .

(٢) الإحكام للآمدى - ٣ ص ١٣ .

في السهول والوديان أقل منها في الجبال ، وهى فى ركوب السيارة أو « القطار » أو الطائرة أقل منها فى ركوب الجمال أو الدواب .

وإذا كانت الحكمة خفية فى بعض الأحكام وغير منضبطة فى بعضها فلا يجوز تعليل الحكم بها وبناءه عليها وجودا وعدما ، بل لا بد من البحث عن أمر آخر يكون ظاهرا منضبطا فى نفسه ، ويكون مشتملا على الحكمة بمعنى أنه مظنة لها ، وأن بناء الحكم عليه من شأنه أن يحققها ، ويجعل هذا الأمر علة الحكم ، ويربط وجوده بوجوده وعدمه بعدمه ، وبذلك يمكن معرفة الأحكام وعلاها والقياس عليها ، ومن هنا قرر الأصوليون أن الأحكام الشرعية تدور وجودا وعدما مع عللها لأمع حكمها ، على معنى أن الحكم يوجد حيث توجد علته ولو تخلفت حكمته ، وينتفى حيث تنتفى علته ولو وجدت حكمته ، وبناء على ذلك الأمور الآتية :

١ — أن من كان مسافرا فى رمضان سفرا شرعيا جاز له الفطر وقصر الصلاة الرباعية لوجود علة الجواز ، وهى السفر ، وإن انتفت الحكمة وهى المشقة بأن كان لا يجد فى السفر مشقة كالمملك المترف .

٢ — وأن من لم يكن مسافرا فى رمضان أو مريضا ومن فى حكمهما لا يباح له الفطر وإن كان يجد من الصوم أقصى مشقة كالخباز والوقاد ونحوهما ، لانتفاء علة الجواز ، وهى السفر أو المرض ، وإن وجدت الحكمة وهى المشقة .

٣ — وأن من كان شريكا فى العقار المبيع أو جارا يستحق أخذه بالشفعة لوجود علة هذا الاستحقاق ، وهى الشركة أو الجوار ، ولو لم يحصل للشريك أو الجار ضرر من ذلك البيع وهو الحكمة من تشريع الشفعة .

٤ — وأن من لم يكن شريكا فى العقار المبيع ولا جارا لا يستحق أخذه بالشفعة ، وإن كان يناله من البيع ضرر لسبب من الأسباب وذلك لانتفاء علة الأخذ بالشفعة ، وهى الشركة أو الجوار ، وإن وجدت الحكمة ، وهى الضرر .

« يتبع »

زكى الدين شعبان

المدرس بكلية حقوق عين شمس

الألفاظ الأوربية

في اللغة العربية

الكلمات كالناس ، فهي تولد وتموت ، وقد تولد أحيانا من أصل عريق وأحيانا أخرى لا يعرف أصلها . ويعيش بعضها في عصر ذهبي ، كما يضع البعض الآخر في زوايا النسيان ، وقد يرتفع لفظ من أحبط درك إلى أعلى ذروة ، أو ينحدر من أفواه الخاصة ليستعمله - فقط - المحقق والغواء .

في مدى أربعة عشر قرنا - منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزول القرآن الكريم حتى يومنا هذا - أخذت اللغة العربية تتشكل وتتطور ، ويتغير معنى بعض ألفاظها ، ويزداد عدد هذه الألفاظ نتيجة أخذها واستعارتها كلمات جديدة من كل لغات العالم ، وهي كلمات تأتينا عاما بعد عام لتدخل في لغة الحديث اليومي .

ودراسة تاريخ الأمة العربية يوضح لنا ذلك ، فاتصال العرب بفارس وروما والهند والصين أدى إلى تبادل استعارة الكلمات بين العرب وبين لغات هذه البلاد . وبعد ذلك اتصل العرب بأوروبا عند فتح الأندلس ، وزاد الاتصال بنشوب الحروب الصليبية ثم بفتح القسطنطينية .

وحين كان العرب في أوج قوتهم وذروة مدنيّتهم ، كانت لغتهم هي السائدة ، فقد كانوا هم سادة العلم وأساتذة المعرفة ، ومن ثم تسربت الألفاظ العربية إلى اللغات الأوربية وكانت معظمها أسماء علوم ، حين كان علماء العرب هم أساتذة العالم ، يأتي إليهم الأوربيون من كل فج ليطلبوا عنهم العلم ويقتبسوا من نوره لينشروه في بلادهم . وكانت الإسكندرية وحلب بعض هذه المراكز ، حيث درس الأوربيون على العرب الفلك والطب والرياضيات والفلسفة . وما زال حرف التعريف العربي « ال » مستعملا في كثير من الكلمات الأوربية مثل :

AL manac - الجبر AL gebra - الكحل AL cohol وعشرات غيرها

كما أخذ الأوروبيون ألفاظا كثيرة من اللغة العربية مثل : قطن Coton ، سكر Sugar - صفة (مقعد) Sofa - قهوة Coffe . والقواميس الأوروبية مليئة بالمئات من الكلمات المأخوذة عن لغة الضاد .

ولم يقتصر الأوروبيون على استعارة بعض الألفاظ ، ولكنهم أخذوا عن العرب أيضا طريقة كتابة الأعداد --- 0 1 2 3 واستعملوها بدلا من الأعداد الرومانية المعقدة ، وقد ساعدتهم الأخذ بهذه الطريقة العربية على التقدم الكبير في العلوم الرياضية . ولكن مجدنا العالمي لم يلبث حتى خبا ضياؤه وذبل عوده حين حل الضعف السياسي بالشعوب العربية ، فتركت مكانها السامق لتحتله أوروبا ، وتخلت عن مركزها الرفيع ليأخذه الغرب ، وهكذا انقلب الوضع ، وتسلم الأوروبيون مشعل الحضارة وساروا في المقدمة ينيرون الطريق للعالم ، وكان بدء ذلك ما يسمى باسم عصر النهضة ، وبنى الأوروبيون عصر نهضتهم على فهم خاطئ ، وهو فيما أعتقد خطأ مقصود . فمن المعروف أن العرب ترجموا عن الاغريق وأخذوا عنهم علمهم وفلسفتهم حفظوها وشرحوها وزادوا عليها ، وكانت لهم بجانب ذلك علوم أصيلة لم يسبقهم إليها الاغريق ، وكما قلت قبلا كانوا سادة العلم وأساتذة المعرفة ، ولكنهم كانوا مسلمين ، وكان التعصب الديني اذ ذاك - ولا يزال - حجابا يمنع الأوروبيين عن الحقائق ، وكبر على الأوروبيين المسيحيين أن يعترفوا بالفضل لأهله وأن يرجعوا نهضتهم إلى العلوم التي أخذوها عن العرب المسلمين ، كبر عليهم ذلك وفضلوا أن يردوا علومهم إلى الاغريق ، وجعلوهم هم أصحاب الفضل وتناسوا عامدين ما كان للعرب من أياد على العلم وعلى المدنية .

وسار الأوروبيون قدما في نهضتهم حتى بلغوا ما هم عليه اليوم ، وسرنا نحن القهقري حتى كاد يضيع منا كل ما بناه أسلافنا وأجدادنا ، وسيطرت أوروبا على البلاد العربية ، ونشرت فيها الفرقة والجهل والعنصرية واستغلتها أسوأ استغلال ، وظل العرب مستكينين للذل ، راضين بالعار حتى الآن . القريب حين هب العملاق العربي من غفوته وقام يحارب الاستعمار واستطاع أن يتغلب عليه إلى حد كبير ، وها نحن قد بدأنا المسير في طريق القوة من جديد ، ولن يمر وقت طويل - باذن الله - حتى يعود للعرب ما كان لهم من عز وسؤدد ومجد .

* * *

لا شك أن اللغة كائن حي يتطور ، ومن ثم كان طبيعيا أن تتطور اللغة العربية ، ولولا

القرآن الذى حفظ اللغة وأبقاها ، وحافظ على معانيها ، لسكانت اللغة العربية اليوم قد زالت ، ولعدا الزمان عليها كما عدا على غيرها من اللغات .

وقد تطورت اللغة العربية تطورا كبيرا نتيجة لانصال العرب بالشعوب الأخرى كما ألحنا آنفا ، ونتيجة لأخذ العرب لبعض علوم الغرب وفلسفته ، كما أن للسياسة وصناعة السينا والاختراعات والاستكشافات الجغرافية دخلا كبيرا فى استعارة اللغة العربية لآلاف من الكلمات الجديدة .

وعندما تستعار الكلمات الأجنبية يصبح لها معنى واستعمال خاص ، وبالتالى تتخذ معنى مختلفا قليلا ، وهذا أمر له أهميته ، فان الشعب حينما يتطور ويحتاز مرحلة البداوة إلى المدنية يجد أمامه أشياء وأشياء لم يكن يعرفها ويحتاج إلى وصف جديد ، كما يجد أفكارا جديدة ليعبر عنها أيضا ، ومن ثم يحتاج إلى ألفاظ مفصلة ومحدودة لم يكن يعرفها من قبل . ومعروف أن الفرد العادى يفضل دائما الكلمات القصيرة السهلة النطق ، وهذا ما نلاحظه فى اللغة العامية سواء فى أخذها عن لغات أخرى أو فى تحويل الألفاظ العربية نفسها ، وهكذا نجد كلمات جديدة تشق طريقها إلى لغة الحديث ولغة الأدب على الرغم من جهود علماء اللغة وجمع اللغة العربية فى إبعادها .

والمعروف أن اللغات الأوربية ترجع إلى ما يسمى باللغات الهندية الجرمانية أو الهندية الأوربية .

وأول كلمات أخذناها عن الغرب كانت تتعلق بالعلم والفلسفة فى عصر الترجمة فى أوائل العهد العباسى ، ومن أمثلة ذلك كلمة فلسفة نفسها ، ومعناها كما هو مشهور حب الحكمة ، ورأينا العرب فى ذلك الوقت يستعملون لفظ بوليطيكا بدلا من سياسة ، وفيزيكا بدلا من طبيعة ، وغير ذلك من الكلمات التى يعرفها دارسو العلوم الفلسفية .

ونلاحظ أن الكلمات الإغريقية كانت تؤدي تماما معناها العلمى بسبب وضوحها ودقتها ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل العرب يستعبرونها ، ثم جعلها تشق طريقها إلى كل لغات العالم وتصبح ألفاظا عالمية فى مئات من الاصطلاحات العلمية والمعانى المجردة ، ومن الأمثلة على ذلك - بجانب ما ذكرنا - كلمة جغرافيا فهى مشتقة من لفظين إغريقيين هما Geo : الأرض ، Graph : يكتب أى الكتابة المتعلقة بالأرض .

وليس ثمة ريب فى أن كلمات اللغة الأصلية هى الكلمات المليئة بالحياة والحركة ،

هى التى تخلق فى دورنا وتطوف بمسالكنا ، فى طرقاتنا واجتماعاتنا ، هى التى تعبر فى قوة بالغة عن أصدق مشاعرنا وأدق أفكارنا وأعمق إحساساتنا .

وتزداد ثروة اللغة اللفظية لأن الاتصال بالشعوب المختلفة إنما يؤدى إلى الأخذ من لغاتهم ، وإن كان عدد الكلمات المستعارة يختلف تبعا للظروف ، فعندما يغزو شعب شعبا آخر يأخذ الثانى من الأول قدرا كبيرا من الألفاظ ، ولكنه لا يقضى على لغته إلا فى القليل النادر [١] .

وهذا يفسر كثرة الألفاظ الفرنسية - مثلا - فى اللغة العربية بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم استعانة محمد على بالفرنسيين فى إدارة شئون البلاد ، وتلا ذلك تغلغل الفرنسيين فى العالم العربى ، وتلقى كثير من أبناء العرب دراساتهم فى فرنسا ، كل ذلك جعل لهذه اللغة أثرا كبيرا ، وإذا أضفنا إلى ذلك أهمية هذه اللغة فى العالم كله استطعنا أن نعلم كثرة الألفاظ الفرنسية فى اللغة العربية ، ومن أمثلة هذه الألفاظ كلمة برلمان Parliament وبرنس Prince وسبور Sport وآرش Arch ، كما نجد كلمات خاصة بالأطعمة - والفرنسيون أشهر الطهاة - وكلما يعرف كلمة Roaet وأومليت Omelette ، أو الكلمات الخاصة بالعطور وأدوات تجميل السيدات . وكلمات روج Rouge ، وبارفان Parfum وبودرة Poudre ومودة Mode أشهر من أن نشير إليها .

وعادة استعمال الألفاظ الفرنسية عادة شائعة فى العالم كله ، ولعل من يفعل ذلك يكون مدفوعا بأحد عاملين : الأول نوع من الكسل والتكاسل عن اختيار لفظ ملائم من لغته ، والثانى رغبة فى الإعلان عن معرفته لهذه اللغة الأجنبية ، وليس هناك ما يدعو إلى استعمال لفظ أجنبى إذا ما وجد فى لغتنا ما يحل محله ، أما إن تعذر ذلك فلا مندوحة من استعمال اللفظ الأجنبى .

وقد تستعمل الألفاظ الفرنسية للدلالة على إتقان الصنعة كالحلاق الذى يصر على تسمية نفسه كوافير Coiffeur ، أو صاحب الفندق الذى لا يرضى عن لفظ أوتيل Hôtel بديلا ، أو صانع الحلوى الذى يفخر بأن يكتب على بابه كلمة Pâtisserie بحروف كبيرة ، أو صانع الأثاث الذى يسميه موبيليا Meubles .

وقد يكون الأمر نوعا من التعالى خاصة عند محدثى النعمة ، كذلك الذى يسمى سائق سيارته شوفير Chauffeur ويستعمل كلمة جاتو Gatteaux وكادو Cadeau كل منهما بمعنى الأخرى .

(١) ومن أروع الأمثلة على ذلك تلاشى اللغة القبطية فى مصر بعد الفتح العربى .

وبجانب ذلك نرى ألفاظا لا مندوحة من استعمالها كلفظ جاراج Garage أو كوبون Coupon ، أو الألفاظ الاصطلاحية التي يستعملها فريق من الناس لأنها تتعلق بفهمهم ، كما يستعمل العسكريون في العالم كله ألفاظ سابوتايج Sabotage (تخريب) وكاموفلاج (تمويه) Camouflage أو ألفاظ يستعملها الناس جميعا لأنها سهلة مستساغة مثل تليفون ، وتلغراف ، وترموتر وتلسكوب وأتوماتيكي وما كينة وراديو وغيرها كثير .

والكلمات الدالة على التحية جرت كذلك على السنتنا في الحديث كما جرت على أقلام الكتاب وكلنا يسمع ويقرأ بونجور Bonjour وبونسوار Bonsoir وأوريفوار Aurevoir ومرسى Merci .

وحين دخل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ زاد عدد الكلمات الأوربية التي دخلت إلى لغتنا ، ولاشك أن مركز مصر كزعيمة للبلاد العربية يؤثر كثيرا في استعارة اللغة العربية للألفاظ الأجنبية . وعمل الإنجليز على صبغ الحياة المصرية بصبغة انجليزية ، وكانت معرفة هذه اللغة وسيلة للتزلف إلى الحكام والترقي في الوظائف ، بل وكانت هي اللغة التي تدرس بها العلوم في المدارس ، حتى جاء سعد زغلول وزيرا للمعارف وعمل على استبدالها باللغة العربية .

وبتقدم الحياة في مصر ودخول الكثير من الاختراعات وقراءة الكثير من الكتب الأجنبية وتأثير الاستعمار في حياتنا وجدنا كلمات جديدة تدخل وتتغلغل في لغتنا ، والفرد العادي يجد صعوبة في نطق الألفاظ الأجنبية في مبدأ الأمر ، ويحاول أن ينطقها كما ينطقها أبناؤها ، ولكن الكلمة لا تلبث مع الزمن أن تأخذ طابعا محليا ، بل لا نلبث نحن حتى ننسى أصل الكلمة ونعدها من ألفاظنا ، ومن هنا نستطيع أن نميز بين الكلمات الحديثة الاستعارة وبين الكلمات القديمة الاستعارة ، فكلما كان نطقها قريبا من نطقها الأصلي كانت أحدث .

ومن أمثلة ذلك كلمة Coupon فانها تنطق « كابون » و Machine التي تنطق « مكنة » و Automobile التي تنطق بعدة طرق أشهرها « أتمبيل » و Cinema التي تنطق « سينا » وهكذا في كثير من الكلمات .

(يتبع)

عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

إلى أين ؟ ؟

لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

لا بد لأية جماعة من الجماعات ، ولكل شعب من الشعوب ينشد التقدم والرقى ، ويطمح نحو العزة والمجد ، من نظم وقوانين يلتزم أفرادها التمسك بها ، والسير على نهجها ، كي تضمن الجماعة اتحاد القصد ، وتوفير الجهد ، فتخطو خطواتها ثابتة قوية مطردة ، في اتحاد وتصميم وعزم ، نحو الغاية المنشودة ، والهدف المرموق .

ومهمة الإصلاح بعد الفساد من أصعب الأمور ، وأخطر التبعات ، أيسر منها بكثير توجيه الجماعة الأولى ، وتنشئتها على ما يريده المصلحون والموجهون .

وفرق بين من يوجه الأذى ويرشده ويعلمه ، وبين من ابتلى بتوجيه نصف المتعلم وإرشاده ، فهذا يزعم لنفسه أنه عالم وأن رأيه أولى بالاتباع والقبول ، فهو على حد ما قال الأول : جاهل مركب ، جاهل حتى بجهله ، فاذا حاولت معه تبين الحقيقة فيما يزعمه ويجادلك به ، اشتد في الجدل وعنف في الخصومة ، فاذا لمح من حديثك ميلا إلى الفضيلة ، أو تحبيذا للتمسك بتعاليم الدين ، أو اتباعا للتقاليد القومية الكريمة ، قذفك ألفاظ ليست من أدب البحث في شيء ، لا تؤيد حجة ، ولا تفند رأيا . فأنت - في نظره آنذاك حسب ألفاظه - الرجل الرجعى الجاحد المتأخر الذى يعيش بعقيلة القرون الماضية .

ومما يؤسف له أن الحالة في البيئة المصرية على هذا النحو من التحلل والجدل وادعاء المعرفة في كل فن وعلم ، مما نجد مظاهره في الحياة الخاصة والعامة جميعا : في دور التعليم ، وفي الصحف ، وفي المجلات ، وفي دور السينما والمقاهى والنوادر وغيرها من المجتمعات .

ومرد ذلك أن الحياة المصرية قد تمرست بأنواع من العادات والأخلاق ، وشتات من التقاليد التي لا تمت بصلة إلى البيئة المصرية ، أخذهم بهرجها فافتنوا بها . وإن من العجب أنهم يهتمون بهذه الوافدات الغربية ، ويتعلقون أشد التعلق بأحاديث وأقوال

الرجال منهم ، ويجهدون أنفسهم في تحليلها ، والجرى فيما ترسم من سبل للحياة ، وإن خالفت كل الآداب والتقاليد والتعاليم ، وقد أخضعوا سلوكهم في الحياة لهذه المذاهب والآراء ، لأنها وافقت الميول والشهوات ، وتجاوبت مع التوازن والملاذات .

فترى بعض الشباب ، بل الشيوخ ، وقد تمكنت من نفوسهم الأهواء والأغراض ، وتحكمت فيهم الجهالة ، وran على ضمائرهم ما اكتسبوا من الإثم والفجور ، وصوحت أزهال البر والخير في ساحة الوجدان ، وأصبح الناس عبيد الدنيا بمتعها وزخارفها ، وعشاق مدينة غريبة مسرفة منحرفة ، وارتفعت الأصوات - وهي كثيرا ما ترتفع بين الفينة والأخرى - نادية مولولة : لماذا انفلت العيار ؟

وترسلها إحدى الصحف صرخة مدوية ، ويواليها الكتاب وأصحاب الأقلام بآرائهم وأفكارهم ، وتتولى صحف أخرى استهجان هذا المسلك في معالجة مثل هذا الموضوع على هذا النحو المكشوف المفصوح ، وبخاصة وقد نشرت تلك الصحيفة - المعروفة بتجهمها على الآداب والتقاليد الكريمة - علجا لأحد كتابها يرى فيه فتح بيوت الدعارة ، وإباحة الاختلاط بين الشباب من الجنسين ، ليروى ظمأه ، فلا تكثر الحوادث ، ولا يتدخل القانون .

وإن هذه الصيحات التي تصدر اليوم ليست بنت ساعتها ، ولكنها وليدة حياة مضت ، استطاعت إبانها الآراء الفاسدة ، والمظاهر السكاذبة الخداعة ، وخضوع المجتمع المصرى لها ، أن تتربى في أحضانها ، وأن تنمو في بيئة تناسبها . فبعد أن كانت أفكارا وخواطر ، أصبحت مبادئ وتعاليم . ثم تحولت إلى الظهور في السلوك الشخصى ، ثم برزت في السلوك الجماعى . والآن نصطلى بناها ، ونستصرخ لعلاجها .

أعلم أن فى مصر قانونا للعقوبات ، وإحدى موادها تقرر عقوبة على من يجرئ على سب الدين ، وانتهاك حرمانه .

وأعلم أن فى مصر قانونا لحفظ الآداب العامة ، وأعلم أن فى مصر بوليسا للآداب إنما يعمل فى محاربة الرذيلة .

ولسكننى أقول - والأسف يملأ جوانحى - لو طبقنا القانون تطبيقاً حازماً ، وأخذنا الناس جميعاً به ، لوقعت الأغلبية تحت طائلة هذا القانون . وما تسطره الصحف والمجلات وهو شيء كثير ، إنما هو ما وقع تحت عين البوليس ، وما وصل منه آذان دور النشر ، أما ما خفى فأكثر وأبشع ، هذه حالنا . فما هو سبيل الإصلاح والعلاج ؟؟

إن المصلح إن أراد أن يعدل بهذه البيئة - وحالها كما تعلمون - إلى طريق الطهر والعفة والكرامة والعزة ، فلا يمكن أن يكون ذلك عن طريق سن القوانين ، فهذا سبيل مخوف بالمخاطر ، بعيد عن الصواب ، فإن ضحايا القانون والمتمردين عليه آنذاك ستكون الأغلبية العظمى من هذا الشعب المريض المخدوع . كما لا يمكن أن يكون ذلك بنشر الفوضى الخلقية ، وترك الجبل على الغارب .

لقد أفسد الاستعمار نفوسنا ، وغير مفاهيم الأشياء عندنا ، ولسكننا والحمد لله أمة لها دينها ، ولها تقاليدها التي ما زال الكثير منها نسمع عنه من شيوخوا - آبائنا وأجدادنا - وفي هذا الدين وفي هذه التقاليد الكريمة ما نستطيع أن نأخذ منه العلاج للأمة جميعها شبابها وشيوخها ، رجالها ونساءها .

إننا كمسلمين لنا ديننا ، ولنا تقاليدنا ، التي خلقت من التفرق وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الجبن إقداماً ، ومن الميوعة والتحلل عفة وطهراً ، وحزماً وكألاً ، ومن البطالة والتسكع جسداً وعملاً . وإن هذا الشرق ما كان فاقداً للقوة ، ولا متجرداً عن أسبابها ، وغاية الأمر أنه قد طرأ صدأ على معدنه الأصيل ، فحال بينه وبين التأثير في الوسط الذى يحيط به .

والآن وقد انجذب عنه الصدا ، وزال عنه المانع ، وأطلق له عنان الحرية ، فعليه أن يشق طريقه في الحياة ، كما فعل أجداده من قبل ، أولئك الذى فتحوا الأمصار ، ونشروا الفنون والعلوم والمعارف في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً .

أقول : إن طريق الإصلاح والعلاج هو أن نسلك بالأمة شباباً وشيوخاً ذلك المسلك الذى أصلح السلف الكريم ، ذا المجد التليد ، فلن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

لا تعجب أخى إذا سمعت هذا القول ، فالحق أن الدين ضرورى للحياة الإنسانية ، ضرورى فى تنظيم سلوكها ، ضرورى فى توجيهها ، ضرورى فى تربية الضمير الإنسانى فى الفرد والجماعة ، ليراقب الله فى الخلوة والجلوة ، فلا ينبغى للإنسان أن ينصرف عنه متلهيا بالحياة المادية ، ولا ينبغى للعقل أن يحيط من شأنه ، وينغمطه قدره وأثره . فمن الجهالة ومن الحماقة معا أن يعيش الإنسان فى هذه الحياة عيشة الأنعام ، فيصير ماشية فى صورة إنسان ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .

إن خير الطرق لإصلاح الشباب حتى لا يقات الزمام ، والسكى نعود به إلى حظيرة الطهر والعفاف ، هى غرس الروح الدينية فى قلبه ، وإذكاء عاطفة البر والخير فى نفسه ، ووضع المشاعل النيرة فى طريقه حتى لا يسير فى الظلام . أنيروا له الطريق بتسليم المثل العليا فى العفة والطهر ، والشجاعة والإقدام ، والجد والمثابرة فى العمل المفيد . بينوا لهم عمليا ما تحققة الفضيلة من فوز ونجاح ، وسعادة عند الله والناس ، ولا تتركوهم فى حيرتهم وفراغهم .

فان للشباب والفراغ والجدة مفسدة للبر أى مفسدة

إننا إن فعلنا ونفذنا دستورنا فى الإصلاح ، حقق الله لنا الآمال ، وتبوأ هذا الشعب مكانه اللائق به فى حاضره الرشيد ، ليكون أهلا لمجده التليد ، وإلا فالى أين ؟؟ ما

محمد أبو المظرم
الواعظ العام

تركة سيد الخلق

قال عمرو بن الحارث (أخو جويرية أم المؤمنين) :

ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة .

الاسلام ومشاكل المجتمع :

ثورة الاسلام على الفقر واحتكار الاموال

هذا قبس من نور الشريعة الإسلامية الغراء ، يحدد موقف الإسلام إزاء مشكلة من أهم المشاكل الاجتماعية التي تشغل الرأي العام العالمى فى هذا الوقت ، وهى مشكلة الفقر واختلال الوضع الاقتصادى فى المحيط الدولى ومختلف الشعوب ، قبسته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم ، وجعلته موضوع الحديث فى هذه الصحيفة الرشيدة .

والذى دعانى للحديث فى هذا الموضوع ما تنادى به حالة العالم اليوم من وجوب الإسراع فى حل هذه المشكلة المعقدة التى تتفرع عنها أمهات المشاكل ، وتهدد العالم بالفناء من وقت لآخر : فقد أطلت على العالم فى أواسط القرن الماضى تحمل فى إحدى يديها حالة من النزاع بين الطبقات فى مختلف الشعوب ، قضت على معالم المحبة وقوضت دعائم الأمن والسكينة ، وفى اليد الأخرى حالة من الصراع بين الدول تنخفضت عن حربين عالميتين فى أقل من ربع قرن من الزمان ، وإلى هذا وذلك سارت تجر فى أذيالها دعوة خطيرة تقوم على هدم النظم والتعاليم السائدة فى بلاد العالم وإقامة نظم أخرى على أنقاضها ، وهى الدعوة المعروفة باسم « الشيوعية » .

وهذه الدعوة أخذ شأنها يقوى فى ظل هذه المشكلة حتى تزعمتها الدولة الروسية ، فعز جانبها وازداد نشاطها ، وصارت تتوغل فى ربوع العالم وتنقل من بلد إلى بلد ، الأمر الذى أزعج الدول الرأسمالية وجعلها تحزم أمرها وتنظم صفوفها للقضاء على هذه الحركة الواسعة التى تهدد مصالحها أولاً وبالذات .

وبذلك انقسم العالم إلى معسكرين خطيرين يتنازعان السيادة على دول العالم ، وظل النزاع بينهما يتطور حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من تسابق الفريقين فى اختراع الأسلحة المدمرة ، واستخدام المواد الناسفة فى وسائل القتال ، استعداداً لحرب مقبلة يكون لها الفصل فى هذا النزاع الجسيم الذى لم تجد فيه الوسائل السلمية .

وهكذا يقف العالم مرة أخرى أمام كارثة عظمى من جراء هذه المشكلة، مع أنه لم يمر على نهاية الحرب العالمية الثانية سوى أعوام قلائل ، بل إن العالم لم يواجه في حياته أخطر من الكارثة التي يواجهها الآن .

ولا عجب أن تكون هذه المشكلة بهذه الخطورة، فانها تبدو في صورة مالية منفرة لا أثر فيها للتناسق والانسجام بين أجزائها - لا في وضعها القومي ولا في شكلها الدولي - حيث يتجلى فيها انعدام التقارب بين الطبقات ، واختلال التوازن المالى بين الدول : فبينما يحلق بعض الأفراد من مختلف الشعوب في أعلى طبقات الغنى حتى يكاد يخترق السحاب، إذا بالسواد الأعظم في هذه الشعوب يغوص في أعماق الفقر حتى يكاد ياتهم التراب، كما كان الحال في مصر قبل الثورة المباركة ، حيث كان نظام الملكية الزراعية على الخصوص يشبه ما كان عليه الأمر في عهد الإقطاع ، وبنينا تسيطر بعض الدول على ربوع العالم حتى لا تكاد الشمس تغرب عن أملاكها على حد تعبير الجغرافيين، إذا بأكثر الدول يضيق عليها الخناق حتى تكاد تلفظ أنفاسها ، ولا شك أن مثل هذا الوضع سواء من الناحية الدولية أو من الناحية القومية لا يقره دين ولا وجدان، ولا يعيش في ظله نظام ولا سلام: فالإنسان قد يرضى بكل بلاء إلا إذا ابتلى بالجوع أو منى بالفقر، فانه لا يملك الصبر لاسيما إذا كان بجانبه شاحق الثراء يستأثر به بعض الأغنياء ، والفقر ألد أعداء الإنسانية من قديم الزمن ، وفي محيطه تقع أفظع الجرائم ، لأنه يحارب الإنسان في قوته ويهاجمه في قوام معيشته وعماد حياته ، وقد قال فيه النبي صلوات الله عليه وسلامه : « كاد الفقر أن يكون كفرا » وكان يدفع الناس في الجاهلية على اختلاف طبقاتهم إلى قتل أولادهم ، أما الأغنياء فخوفا من الوقوع فيه ، وأما الفقراء فروما للتخلص منه ومن مآسيه ، قال الله تعالى في التحذير من ذلك : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقال في آية أخرى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا » وفي تاريخ الأفراد والأمم ما يشهد أن كثيرا من الحوادث التاريخية والمآسي الشخصية والاجتماعية كان للفقر دور كبير في وقوعها إن لم يكن هو كل شيء فيها ، ونظرة عابرة في حالة العالم اليوم تثبت أن جميع المشاكل التي يعانها تدور هذه المشكلة وتجري في فلكها العتيد ، ومن هنا تحتل مكان الصدارة من بين المشاكل التي تشغل أذهان العالم ، وقد حار في حلها المفكرون من جميع الشعوب ، فلم يستطيعوا على الرغم من الجهود المتواصلة التي يبذلونها في هذا الصدد أن يقفوا لها على حل سليم يكفل السلام بين الدول ، والوئام بين الطبقات ، ولا تزال تهدد حضارة العالم وسعادة الشعوب .

والحقيقة أنه لا علاج لها ولا لغيرها من مشاكل البشر إلا في الدين الإسلامي الخفيف ، وكل محاولة في هذا الصدد سوى الرجوع إليه مصيرها إلى الفشل ، ولا غرو فالإسلام دين الإنسانية وشرعية الخلود ، وقد أودع الله تعالى فيه - وهو العليم بمصالح العباد - جميع ما يحتاج إليه الناس من أمور المعاش والمعاد ، بحيث لا تواجههم مشكلة إلا كان في هذا الدين ما يعينهم على حلها ، ولا يمكن حلها إلا على ضوئه : قال الله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » والمراد بالرد إلى الله الرجوع إلى كتابه ، وبالرد إلى الرسول الرجوع إليه صلى الله عليه وسلم في حال حياته وإلى سنته بعد مماته ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » .

وبالنظر في تعاليم الإسلام يتبين أن فيها ما لا يمكن أن تحل هذه المشكلة إلا على ضوئه : ذلك أن الحل السليم لهذه المشكلة هو الذي تتحقق به أهداف المعسكرين المتطاحنين ، وتلتقي عنده وجهتا النظر الرأسمالية والشيوعية ، وتجتمع فيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وهذا الحل لا وجود له إلا في الإسلام ، وبيان ذلك : -

أن النظام الرأسمالي : تغلب عليه النزعة الفردية إذ يقوم على إقرار الملكية الفردية وإطلاق حرية التجارة والمعاملة بين الناس من غير قيد ولا شرط ، على أساس أن حاجة الناس بعضهم إلى بعض كافية في تنظيم علاقاتهم فيما بينهم على الوجه الذي يكفل مصلحة الجميع ، وأن المصلحة الشخصية هي الدافع الطبيعي إلى العمل ، وأن الإنسان حين يعمل لمصلحته الشخصية يعمل لمصلحة المجموع .

والنظام الشيوعي : تسيطر عليه فكرة الصالح العام ، فيقوم على إلغاء الملكية الفردية ، ووضع مقاليد الثروة والعمل في يد الدولة تتولى شئونها ، وتقوم بتوزيع الأجور على أفراد الشعب كل على قدر حاجته أو على حسب عمله ، بدعوى أن في ذلك حماية المجموع من استغلال بعض الأفراد .

فهما نظامان متناقضان بينهما تمام التناقض ، وكل منهما لا يصلح أساسا للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ولابد من نظام وسط يجمع أهدافهما ويتجاني عن عيوبهما ، وهذا النظام لا وجود له إلا في الإسلام .

وتتجلى عيوب النظام الرأسمالي : في عدم الحد من حرية الأفراد والجماعات فيما يختص بالمعاملات ، لأن ذلك يشير في النفوس عوامل الجشع والأنانية ويهيئ للبعض استغلال

البعض ، وقد كان من نتيجة هذا النظام أن تهبأت الفرصة أمام ذوى المطامع ، ونما في نفوسهم حب المال ، فصاروا يتفننون في طرق الكسب ، فانتشر الربا حتى تغلغل في كل مرافق الحياة الاقتصادية ، وفشت الرشوة ، وشاع الغش في التجارة والتطفيف في السجل والوزن ، وقامت السوق السوداء ، ولجأ الناس إلى احتكار الأقوات وغيرها من الضروريات ، وتحكم أصحاب الأعمال في الطبقات العاملة لاسيما بعد ظهور النهضة الصناعية والاستغناء بالآلات البخارية والكهربائية عن الأيدي العاملة ، إلى غير ذلك من مظاهر الجشع التي كان لها أسوأ الأثر في فساد المجتمع ، حيث تركزت الثروة في الدول التي ظهر فيها هذا النظام في أيد قلائل ، وانتشرت البطالة وشيم الفقر على رؤوس الجماهير ، وترتب على ذلك عجز القوة الشرائية ، وزيادة الإنتاج عن الاستهلاك ، وتعرض الآلات الصناعية للتوقف لعدم توفر الخامات والمواد الأولية اللازمة للصناعة في الأسواق المحلية ، وبذلك وقعت الحكومات الرأسمالية في مأزق حرج ، فالجماهير يطالبونها بتدبير موارد للرزق وميادين للعمل ، وأصحاب الأعمال يطالبونها بفتح أسواق جديدة لتوزيع بضائعهم ، وتدبير المواد الأولية اللازمة لنشاط الصناعات ، وإزاء هذا الضغط المزدوج وجهت أطباعها إلى الدول الضعيفة تستغل وتستعمر ، وبذلك انتشر النظام الرأسمالي في مختلف الدول بماله وما عليه ، وكان لابد من وقوع التنافس بين الدول الرأسمالية على الأسواق الخارجية ، فاضطربت العلاقات بين الدول وكان ما كان مما سبق ذكره .

أما النظام الشيوعي : فإنه لا يتمشى مع طبيعة الإنسان ونظام العمران ، ولا يتفق مع نوايا الحياة : فقد أودع الله في الإنسان غريزة التملك لتدفعه إلى تحصيل ما ينفعه ، والإنسان إذا لم يشعر أن ما يحصل عليه من المال يجوده يكون ملكا له ينتفع به حال حياته ويؤول إلى ورثته وهم أقرب الناس إليه بعد مماته ، ضعفت همته وخارت عزيمته وقعد عن طلب الرزق ، فتعطل دواليب الأعمال ويختل نظام الحياة ، وقد خلق الله الناس متفاوتين في المواهب والقوى والاستعدادات والمشارب ، فلا بد مع هذا من التفاوت في الأرزاق ليمت احتياج بعضهم إلى بعض وتسخير بعضهم لبعض ، وقد يعترض على ذلك بقيام هذا النظام في روسيا ، والجواب أن ذلك يرجع لفساد النظام القيصري الذي كان يسود روسيا قبل النظام الشيوعي ، هذا إلى أنه إنما يعيش فيها تحت سلطان القوة لا تحت سلطان الرغبة والميل الطبيعي . أما الإسلام فإنه يجمع النظم كلها ، وسنأتى على بيان ذلك في المقال التالى ٥

محمد السيد نورا

المدرس بكلية الشريعة

نجوى الى رجال الغد .

الشباب هو زهرة العمر ، و ربيع الحياة ، وفرصته التي يغدو فيها الفتى ويروح في أكثاف السلامة والعافية .

إليه يطول تلفت النفوس وتمنيها ، ويتصل شوقها وحنينها . نجد ذلك من أنفسنا ، ونراه في استبشار هؤلاء الذين يجرى في عروقهم دم الشباب حارا دافقا ، وآباؤهم يبدون لنا صورا من تلهف العريان بن اليتيم حين سأله أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان : كيف تجسّدك ؟ فقال : أجدنى وقد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين .

وتسمع عبر الأجيال صدهاء في شعر الشعراء وحكمة الحكماء من مثل قول أحدهم :

إن الشباب الذى مجدّه عواقبه فيه نلذ ، ولا لذات للشيب

وقول الآخر :

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

والشباب هم أمل الأمم ومقصدر جلاء الشعوب ، تعدهم للغد القريب ، وتدخرهم لساعات الشدة ومواقف الخطر ، ليجددوا بحيويتهم ما وهى من قوتها ، ويبلغوها بمواهبهم ما هى أحق به وأهله من سيادة ورفعة وكمال .

ولقد كترم الله الشباب في أقدس كتاب ، وامتدح استجابتهم للحق وسبقهم للإيمان وضيقتهم بالذل الذى راض آباء كثيرون عليه أنفسهم ورضوا به ، فقال تعالى : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ، وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين » . وقال ابن عباس : « ما أتى الله عز وجل عبده علما إلا شابا ، والخير كله في الشباب » . ثم قرأ قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » وقوله على لسان قوم إبراهيم : « سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » وقوله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا » .

وصلوات الله على خاتم رسله ، فقد وضع الشاب الذى نشأ فى عبادة ربه بين الإمام العادل والرجل تعلق قلبه بالمساجد فى السبعة الذين يظلمهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وما أولى الشباب بهذا التكريم ومثله معه حين يتخذون فى فورة شبابهم رقبيا عليهم من ضمائرهم ، يهيمن على غرائزهم ويوجه نشاطهم الى ما يرفع ذكركم بين أقرانهم ويعلى قدرهم ما امتد بهم العمر ، فلا يقلتون لحظة من أعمارهم النفيسة دون أن يؤدوا فيها عملا كريما يقر بهم من الأهداف العالية وصنيعا رفيعا يدينهم من الآمال العالية ، متفعين فى أوقات فراغهم بما يبهج أنفسهم من الرياضة المحببة والملح المشرقة واللهو البريء ، فلقد صار رسول الله صلى الله عليه وسلم ركانة ، وسابق عائشة ، وقال للتي سألته : هل أدخل الجنة ؟ « لن تدخل الجنة عجوز » وسأل أخرى « زوجك الذى فى عينيه بياض » فى قصتين مشهورتين . ومن الآثار السكرية « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإنها إذا كلت عमित » ، « إن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فالتسوا لها طرائف الحكم » ، فى رائق النكات وبارع الكلمات وإرسال النفوس إلى ما تهوى - فى غير إثم - مع إخوة هم على سجيتهما من علو النفس ورقة الحس وتقوى الله ، تجديد لما فتر من قواها وحفز إلى مضاعفة نشاطها فيما تستقبل من أعمال وتواجه من تصرفات .

إن المستقبل البسام هؤلاء الذين يعرفون قيمة الشباب ، وإنهم إن كانوا اليوم أطفالا فسيكونون فى غد رجالا تصير إليهم أجداد البلاد ومقدساتها ، والغد لهم إن أدوا زكاة الشباب ، وهو عليهم إن دعاهم الوطن للتهئؤ والاستعداد بالعلم والعمل فلكصوا على الأعقاب . . وما أتعس أمة تجرى شبيبته وراء التافه من الشئون وتعلق بالعمل الدون ، وتنسى رجولتها فيما تبدو وراءه من لين الأنوثة وتسكسر الغايات ، ولله القائل :

لحاً الله صعلوكاً مناه وهمه من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً

وأين هؤلاء الكسالى الذين ترتعش أوصالهم دون عزائم الخير من الشباب الحر الأبيّ الذى يقتحم المخاطر ويواجه الخطوب مع العالمين ، لتسكون أمتهم خير الأمم ، وهم يهتفون مع القائل :

لا صحبت الحياة إن صحبتنى فى الملمات مهجة تستضام

لقد عرف تاريخ الإسلام شباب على وأسامة ومصعب بن عمير ورافع بن خديج وسمره بن جندب وعمير بن أبى وقاص ، ووراء هؤلاء فى مكان الأسوة الحسنة شباب

ووددنا لو راجع الأحفاد صحائف حياتهم ، ليمضوا في طريق الإباء أعزة كراما تسمع لهم الدنيا من جديد وتطيع ، فما امتاز هؤلاء بسطة في الجسم ولا بوفرة في المال ، ولكنهم سبقوا بالإيمان والعلم الذي يميز الخبيث من الطيب والخير من الشر والهدى من الضلال ، فلا يراهم الله عز وجل إلا على الطيب من القول ، والخير من العمل ، والحق الذي قامت به السموات والأرض ، ثم لا يكون الضلال والشر إلا غرضا لعزائمهم أتى لا تنى عنه حتى ترهقه أو تهلك دونه . . .

فهل لشباب العروبة والإسلام أن يأخذوا درسا من رافع بن خديج ، وقد وقف على أطراف قدميه حتى يبدو كبيرا مخافة أن يردده رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد في غزوة أحد وسأله : ماذا يحسن من فنون القتال ؟ فقال : الرمي ، فقبله صلوات الله عليه ، ودرسا آخر يحلوه لهم سمرة بن جندب ، فلقد رده الرسول عن جهاد أحد ، فبكي وقال : يا رسول الله ، كيف تقبل رافعا وتردني ، ولو صار عنى لصرعته ؟ فلما أذن النبي صلى الله عليه وسلم في مصارحته صرعه ومضى بعمله - لا يجاه الأقرين وشفاعة الشافعين - إلى صفوف أحد .

على أى شيء تدافعا بالمناكب ؟ إنه الجهاد في سبيل الله ابتغاء نصرة الحق ، والظفر بالشهادة في سبيله . ولن نستعيد مجدنا التليد إلا بمثل هذه الأرواح الكبيرة ، وعلى أيدي شباب مؤمن يتخرج في مدرسة هؤلاء الخالدين الذين تعلموا وعملوا ، فكان العلم والعمل جوازهم إلى الخلود ، وذويوع الشأن بين الآباء والأقران ، وفي كل زمان ومكان .

كان علم ابن عباس - لا حسبه ولا نسبه - هو طريقه إلى تقدير أمير المؤمنين عمر ، وتقديمه له على مشيخة المهاجرين والأنصار . وما زالت الأجيال تردد باكبار وإجلال مقالة ذلك الفتى الذي كان على رأس وفد الحجاز في تهئة عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فلما هم بالكلام قال له الخليفة : ليتحدث من هو أسن منك . فقال الفتى : يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أولى بالخلافة منك ، ولكن الله إذا رزق عبده لسانا لا فظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، واستوجب التوقير والاحترام ، فاسترضاه الخليفة وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

إنى لأرثي لكثير من الشباب المرجى المؤمل . . فلقد فتنه عن دينه وتقاليده واردة الغرب ، وبلبات فكره وخلبت لبه دعايات إباحية مسمومة ، يذيعها فيهم بكرة وعشيا

مفتونون كبار ، وصحافة معروفة في الشرق العربي بأغراضها الهادمة للفضائل والآداب ، يلتقون جميعا عند طمس العقائد الدينية ، ليصير الأحياء قطعانا لا يرددها عن غير رادع من عقل ، ولا وازع من دين . ولن نسكت عن التذكير والنذير ، ولن نحطم الأقسام وزيق المداد بأسا من إنقاذ هؤلاء الأعداء مما خدرهم وسيطر على عقولهم ، ولكننا سنظل ندعوهم إلى الدين والعلم الصحيح الذى قدسه الإسلام - وض عليه وأعلى من قدر أهله فقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال الرسول الكريم : « إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء يوم القيامة » . فبالدين والعلم يأمن الجيل من فتن أعداء الشرق وخصوم الإسلام . وقد غير الشرق روحا من الزمن استأذ الدنيا كلها تأخذ عنه وتفيد منه ، فلما رنقت الغفلة أجفانه أفلت من يده الزمام إلى أيدي الغرب الآخذ بمخازن الحياة الزاعم أنه أبو الحضارة وحامى الحرية ونصير الضعفاء . . وهيهات . ! !

يا شباب العروبة والإسلام ، هذه بشائر يقظة الشرق تشيع الثقة في غد مشرق للإسلام والمسلمين ، فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر على تحصيل ما ينفع من العلم ، ويصل بكم إلى آمالكم من شريف الوسائل ، وأضيئوا أقباس الهدى ما استطعتم ، وتعرفوا دينكم مرة أخرى ، ولا تدعوه كلما اتجهتم في الحياة يمينا أو شمالا .

فالدين سلوى النفس من آلامها وطبيبها من أدمع وجراح

واياكم وهذه الأفكار المسعورة ، وهذه الأقلام المأجورة التى تسمى الأشياء بغير اسمها ، فما أكثر ما سميت المروق من الدين تجديدا ، وسميت التدين رجعية وجمودا ، وحذرت من القرآن والسنة زاعمة أنها من القديم الذى لا يوائم التطور وروح العصر ، حاسبة أنها تستطيع أن تخفت صوت الله الذى تكفل بحفظه في قوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » وكونوا مصداق قول الصادق صلوات الله عليه : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

أعزكم الله بالإسلام يا شباب ، وأعز بكم الحق وأهله ، وبصركم طرائق الخير ، لتعلموا كلمته ، وترفعوا رايته . . إن شاء الله ما

معوض معوض إبراهيم

واعظ بور سعيد

الأزهر للدين أولا

هدأت وشيع نعشها ليل فشيء - معنا به الأشجان والأوصايا
ومشت بها الآباد تستبق الخطأ - فدفنت آمالا هناك عذابا
ورجعت أندب في الدجى أطلالها - فوجدت دنيا الحالمين يبابا

* * *

بلغ الزمان ، وسجرت عبراته - فطوى مع الليل الجريح كتابا . .
إن المصيبة في « الوليد » عظيمة - حسب « الوليد » من « العميد » مصابا
أيموت في الميدان نابغة القرو - ن ، فلا يرى الأحباب والأصحابا ؟ !

* * *

قل للامام طوى الزمان صحائفها - فاطو بها الأيام والأحقابا . .
واهتزز بيناك الدهور ، وأيقظ النو - ام ، والحنفاء ، والكتابا
أصغى إليك الدهر في سلطانه - فاهدم بمعوله العتيد هضابا
« فالصرح » للدنيا و (للدين) معا - فأعد فيه النشء والطلابا
واغز السحاب ، وحقق الآمال واج - عمل منهم السفراء والأقطابا

* * *

في مصر أخلاق ، وفيها أمة - فابعث بها الأخلاق والآدابا
وابن الحياة على الفضيلة والتقى - وارع الشباب ، وهيئ الأسبابا
وأقم على الشورى الحياة ، وحطم الأ - صنم ، والأزلام ، والأنصابا
وأعد إلى « البيت العتيق » شبابه - واكشف عن الفن الرفيع نقابا . .

واهتك حجاب الدهر ، واهرز في الدنا
واجعل « محاريب الهداية » قبلة ..
والمشرقين مآذنا . . وقبأبا
للعالمين . . وكعبة ومثأبا

* * *

تلك « الحصون الشاخحات » منائر
فأزجر إذا الأخلاق هد بناؤها
واذكر إذا نمنى الزمان عقائلا
واحم الفضيلة ، واقتمح ، إن ثارت الد
فاذا قضى في أمة . . أعلامها
تهدى القرون ، وتعجز الألبأبا
في مصر ، والشرق البعيد شبأبا
واجعل لمن من (الكتاب) نصأبا
نيا ، وضاق بها الوجود . . عبأبا
كانت حياة العالمين . . خرابأبا

* * *

في « الصرح » أعلام ، وفيه عزائم
فاجمع أمور المسلمين ، إذا التوى
واجعل لكل قضية ، إن ثارت الآ
واحذر رعاك الله .. في الدنيا ، وفي
واصفح عن الزمن الأثيم ، فربأبا
تدع الخطوب وإن عصفن سراأبا
أمر ، وذلل في الحياة صعاأبا
راء حولك حجة . . . وجواأبا
تلك الشهاب الداجيات ذئابأبا
رجع الزمان إلى الصواب . . وتابأبا

صابر على رمضانه الجورتنى

يوم غد

يا بنت يعرب كم من موجه دنف
يذود عنك خفى الختل منغمسا
كم خاض معركة نرساء دامية
فلم يحشمك عبء المن متنفضا
مهلا فصحبك والتاريخ يوم غد
لم تذكريه فسلم يحشدك نسيانا
في الهول يحمل ما يرضيك جذلانا
شبت وأمعن فيه السيف إثنانا
بالمعجب واحتمل الآلام كتماننا
سيرفغان غشاء يسدل الآنا
فؤاد الخطيب

تعليقات

تجاوب الشرق

طالما ساورتنا الخشية على أمجاد الشرق أن تذهب ضحية الاستعمار ، وطالما قرأنا وسمعنا ما يبديه أصحاب الغيرة القومية من المخاوف على روابط الشرق أن تتفكك ، وأن تتغلغل فينا دسائس الاستعمار ، وهمزات الخائنين على الشرق ، منذ كانت له الصدارة عليهم في سالف عهوده المشرقة .

حتى كاد يبلغ الخوف من نفوسنا جميعا مبلغ اليأس ، وعشنا طويلا نتباكى على الماضي ، ونتأس في ذكرياته عزاءنا عن الآمال المفقودة .

وكم كانت لواجج الأسى تردد اضطرار ماكلما وجدنا أصابع الاستعمار تفرق صفوفنا ، وروحه الخبيثة تأخذ مأخذها في مجتمعتنا ، وفي سياستنا وتعليمنا ، ونتجه بنا في كل ناحية تخرج بنا عن طابعنا الشرقي ، وتسليحنا من تقاليدنا الروحية ، حتى غمرتنا الشكوك في حقيقة أنفسنا ، وفيما ورثنا من المناقب والأمجاد التي يعرفها الغرب عنا ، والتي أوغرت صدره علينا ، فاستفزته الأنانية إلى زحزحتنا عنها ، ثم أخذ يفاحرنا بها في غير احتشام ولا مواربة .

ذلك كان . ولكن الشرق - والحمد لله - قد هزته الأريحية العريقة إلى تدارك شأنه ، وتجديد أواصره على صادق المودة ، وأكد الولاء والإخاء .

تنبه الشرق كله إلى ما يحاك له ، وانزعج الشرق كله مما أصابه ، وأحس الشرق كله بمأساة التخاذل والاستهتار التي كادت تنقض أركانه ، وتطمس معالمه ، بغاشت في صدور أبنائه غيرة كامنة ، وانفعلت نفوس رجاله بعد هدأة لم تكن من خصاله ، وتجاوب الشرق كله على صيحة من بعض جوانبه ، فأذهلت الغرب على اتساعه ، وأشاعت فيهم من جديد أن الشرق هو الشرق الذي كنتم تحسدونه ، وتخشونه ، وليس هو الشرق الذي توهمتموه زاهدا في تركته المغصوبة .

هذه ظاهرة الحياة الفتية في الشرق كله ، وليست بدعا في نظر العارفين بالشعوب والمتصلين بالاجتماع .

إذ الشرق هو الوطن الذي تصاعدت فيه دعوات المرسلين ، وشاعت في جنباته روح الإخاء في الله وفي الوطن ، وكانت فيه صولة الجيوش قديما في مناصرة الحقائق الدينية والنظم الاجتماعية ، وانبعثت منه إشراقة الدنيا بالمعرفة وبالأخلاق الإنسانية . والشرق إزاء هذه المناقب العالوية لم يكن يجدر به غير السيادة والهيمنة . وحينما كانت سيادته قائمة . . وهيمنته ميسوطة . . كانت سياسته . . مثلا كريما في العدالة والإخاء والتراحم ، وكانت قوميته عزيزة في غير تعصب ولا أنانية .

ولكن عثرات عوقت سيره في سبيله ، فأفسحت للتخلفين عنه أن يغالبوه على أمره ، ولعلها كانت في حساب القدر بلاء له حتى يعرف من شأن نفسه مقدار ما نزل به من جراء استهائته ، وفتوره في صيانة قوميته وأمجاده والاحتفاظ بشخصيته ، ولعلها كانت في حساب القدر تربية قاسية له ، حتى يفيق من غفائه ، ويستعيد ما فاته ، ويعتصم بجده ، فينهض بحاضره ليصل ماضيه بمستقبله - وقد فعل اليوم .

وإنا لنعید الشرق بمعونة الله أن ينكص بعد وثبته ، ونعيذه بتوفيق الله أن يكون سلطانه في غير بيوت أبنائه ، وأن يكون للخلاء فرجة بين صفوفه أو مقام في دياره .

وإذا كان للأحداث فضل في توجيه الشعوب ، فلهل شعوب الشرق تبني نهضتها من جديد على الصلة بالله ، والتعجيد للدين ، واستمداها من تعاليم السماء .

حتى تظفر بما ظفر به الشرق أولا : من مجادة وسيادة ، ولا تتبلى بما ابتلى به الشرق أخيرا من تخاذل وضالة واحتلال .

ولعل كتابنا الذين لانسأهم ، ولا نفتأ نرى مخازيهم ، يكفون أقلامهم عن الدعايات المرذولة ، ويخلصون في مؤازرة الحكام ، ويبصرون الشعوب بما ينبغي الجد فيه من تصحيح للوطنية ، وأطهير للخلق ، وسمو بالأنفس والكرامات ، ولعلمهم لا ينفرون من دعوتنا لهم إلى حوزة الدين ، فانها دعوة إلى الخير كله ، أما دعوتهم التي يدأبون عليها في التحلل والإباحية فانها دعوة إلى الشر كله ، وإن استراحوا إليها ونشطوا فيها ما

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

مول الأبناء :

الاستعمار يتآمر ... والقومية العربية تعمل

ارتبطت قناة السويس في إنشائها بأمرين : البيت الحاكم في مصر . . . والاستعمار الأجنبي . وكان طبيعيا بعد أن تخلصت مصر من البيت المالك ، والنظام الملكي كله . . وبعد أن خرجت القوات البريطانية المحتلة ، أن تفكر في تصفية التركة المتخلفة عن الماضي البغيض . . .

وجاءت مفاوضات السد العالي . . وألقت بريطانيا وأمريكا القفاز . . والتقبطته مصر . . وأتمت شركة قناة السويس !

وأرادت دول الغرب أن تقابل التحدى . . وكان أمامها أنواع من الإجراءات :

إجراءات دبلوماسية ، وقانونية ، وسياسية : تتلخص في المفاوضات المباشرة ، أو الوساطات والمساعى الحميدة ، أو التحكيم ، أو الشكوى لمجلس الأمن أو هيئة الأمم أو محكمة العدل .

إجراءات اقتصادية : وقد كان التوقف عن تمويل السد العالي - بلا شك - فاتحة حرب اقتصادية سواء أحدث تأميم شركة القناة أم لم يحدث . . . هذا رأينا الذى لا نحيده عنه .

إجراءات عسكرية : وهنا تستخدم إحدى الدول الغربية القوة المباشرة ، أو تستخدمها الدول الغربية متعاونة ، أو تصدر قرارا من أحد الأحلاف العسكرية

بذلك ، أو تستغل مجلس الأمن وهيئة الأمم في هذا السبيل . وهناك إسرائيل مستعدة للوثوب من الباب الخلفي كالعصابة المرتزقة المأجورة - إذا قبضت الثمن !

واختارت دول الغرب من كل برية شوكة ...

اختارت أن تعقد مؤتمرا من أربع وعشرين دولة ، رفضت منها اثنتان الحضور .

واختارت في الوقت نفسه أن تقيم القيود على المعاملات الاقتصادية ، فجمدت أرصدة مصر في البنوك الخاضعة للدول الغربية ، حتى تهددت مرتبات رجال السلك السياسى نفسها ، وأخيرا أعفيت هذه من الحظر . . . بعد لآى .

كما اختارت دول الغرب أن ترسل قوات عسكرية بحرية وبرية وجوية إلى قواعد البحر المتوسط ، وبعد أن أرسلتها راحت تتلطف في شرح مهمتها .

بقى نوع رابع من الإجراءات - لا يدخل تحت وصف ... لأنها إجراءات التآمر والفساد والخيانة والفتنة ... مثل المحاولات المختلفة التى تجرى لتعطيل الملاحة فى القناة . تارة يعقد قنصل فرنسا فى بورسعيد اجتماعات للموظفين الأجانب ويقيم الاتصالات لتأليبهم على هيئة الإدارة الجديدة ، وتارة تقدم الشركة المملوغة إغراء شهيما بدفع مرتب ثلاث سنوات لمن يمتنع عن العمل ... وتتصل بالمرشدين فى الإجازة حتى لا يعودوا ، وقد قيل إن عدد المرشدين كلهم ٢٠٧ ، منهم ٦١ إنجليزيا ، ٥٤ فرنسا ، ٤٠ مصريا ، والباقي من جنسيات أخرى ... ثم هناك الإشارة المريضة فى خطاب سلوين لويده لحوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، والإشاعة التى أطلقها الاستعمار بحرق أجنحة الغرب فى معرض دمشق ... كلها محاولات لا تدخل تحت اسم ولا وصف مما اصططح عليه العرف والقانون ، وأهم هذه الإجراءات ما يمس النواحي الاقتصادية والعسكرية .

أما الإجراءات الاقتصادية : فهى تحصيل حاصل - كما قلت ... إن هذه الدول منذ توقفت عن تمويل السد العالى وشهت بمكانة الاقتصاد المصرى فى العالم ، قد بدأت سلسلة أعمال مدروسة متتابعة لإحراج الحكومة المصرية ... وكان لا مندوحة من مواجهة هذه الأعمال ، مهما كان الموقف . وأيسرها طبعا التلصؤ فى الإفراج عن نصيب مصر من الأرصدة الاسترلينية المقرر وفقا للاتفاقيات ...

وأما الإجراءات العسكرية : فإن إسرائيل - السكاب العقور - أمره ليس جديدا ولا غريبا . . . وإسرائيل تصرخ في دول الغرب تريد السلاح ، والغرب يريد تحطيم القومية العربية في وثيتها الجديدة ، وتحطيم الأساحة المستوردة من روسيا وتشكوسلوفاكيا ، فن مصلحة الفريقين أن يتفقا .

أما الإجراءات العسكرية المباشرة عن طريق الدول الغربية نفسها فعليها أن تواجه خطر ين :

الخطر الأول : استعجال حرب عالمية نتيجة لتدخل روسيا . . . حقيقة ان الدول كلها تسعى لتأجيل الحرب العالمية - بما فيها روسيا ، وحقيقة ان الدول الغربية تسيطر على استراتيجية الشرق الأوسط وتستطيع أن تقفله في وجه روسيا إلى حد كبير . . . ولكن ليس معنى هذا أن روسيا لا تجد سبيلا إلى التدخل - إذا أرادت : تستطيع أن تتدخل عن طريق المتطوعين - مثلما تدخلت في حرب كوريا ، فلا تصبح الحرب عالمية ، وقد لوح بهذا شديلاف بعد نهاية مؤتمر لندن ، وتستطيع أن تتدخل في منطقة أخرى غير الشرق الأوسط من المناطق المشحونة بالتوتر . . . أمما ألمانيا بشطريها ، وكوريا بشطريها ، والصين وفرموة ، والهند الصينية بشطريها . . . كلها مناطق صالحة للاشتعال ، بأن يتحرك الشطر الموالي للكتلة الشرقية ضد الآخر ، فيؤثر هذا حتما على الاستراتيجية والتكتيك في معركة قناة السويس . وقد أشارت جريدة « جورنالى دتاليا » إلى شيء من هذا حين قالت : « ليس من الضروري أن يكون الإنسان امتراجيا ليدرك خطة العمل السوفييتى التى تنحصر فى اجتذاب القوات الغربية من أوروبا للهجوم ، فى الوقت الذى تراه موسكو ملاماً ، فتكتسح خطى براغ - مانيس - باريس ، وبودابست - زغرب جوريزيا » .

والخطر الثانى الذى يواجه الغرب : انطلاق ميدان المعركة حتى يعم الدول للعربية كلها . . . وفرنسا ما زالت تتمنح تحت ضربات المغرب العربى - وخاصة الجزائر . وليبيا هددت حكومتها بالخطر على القاعدة الأمريكية الضخمة ، وسوريا ولبنان والمملكة السعودية والعراق تمتلك إما منابع البترول وإما أنابيبه . . . فأذا ساعدتنا الشعوب الحرة الأخرى بقدر ما نستطيع ، كالحند وموقفها معروف ، والصين الشعبية وفيها مسلمون

وهى ليست عضوا فى الأمم المتحدة ومن ثم لا تلتزم بقراراتها ، وأندونيسيا وهى شريكة الهند فى « باندونج » وفى أرضها صدرت قراراته ، كان على الاستعمار أن يواجه جبهة متسعة شاسعة .

ماذا يقولون ؟ :

ولا شك أن الغرب قد اعترف بهذين الخطرين وحاول التهوين من شأنهما . فقد علقت وكالة الأسوشيتدبرس على موقف شبيلوف - وزير الخارجية الروسى فى مؤتمر لندن - بقولها : « ... ولكن الدبلوماسيين الغربيين قد لاحظوا أن شبيلوف قد كشف عن إدراك حى للأخطار التى قد تنجم عن إدارة مصرية مطلقة للقناة ، ودعا إلى عقد معاهدة جديدة لضمان حرية القناة وحقوق مصر ، وإيجاد تعاون دولى مع مصر لضمان استقرار رسوم السفن ، والاتفاق على ألا تكون القناة مبعثا للتهديد بعمليات حربية ، أى لا تكون منطقة قاعدة حربية كالقاعدة التى كانت تستخدمها بريطانيا . ويقول بعض الدبلوماسيين الغربيين : إن هذا قد يكون إشارة إلى رغبة روسيا للاشتراك مع الدول الأخرى فى إدارة القناة إذا وافقت مصر » . وذهبت « الدليل سككتش » البريطانية هذا المذهب ، وقالت إن دبلوماسية إيدن قد طوت شبيلوف .

كذلك يعاقب الغرب أملا كبيرا على الضغط الاقتصادى : فالأسوشيتدبرس تقول : « وهناك أمر واحد مؤكد : أن دول الغرب فى وضع يمكنها من تشديد ضغطها الاقتصادى على المصريين بوسائل يمكن أن تجعل الحياة عسيرة جدا » وقد علقت صحيفة الاستايتست البريطانية على الإنذار الذى وجهته الحكومة البريطانية إلى الشركات التجارية الإنجليزية ألا ترسل سلعا إلى مصر إلا إذا كان ثمنها مدفوعا بمقتضى اتفاقات سابقة لتاريخ تأميم القناة أو كان الدفع من موارد أخرى غير أرصدة مصر الاسترلينية وقالت : « إن هذه الحركة ستشدد من المضاعف التى تواجه مصر ، ولما كانت السلطات البريطانية قد طلبت إلى حكومات الدول الغربية الأخرى ألا تشجع البنوك المحلية على سد الثغرة فى تدابير مصر الخاصة بالتمويل الناشئة عن سحب تسهيلات الدفع بالسترليني - وهو الجزء الأكبر فى التمويل عادة - فإن مصر قد تستخدم مابقى لديها من الذهب والعملة الأجنبية فى تمويل تجارتها وفى سد الثغرة فى مدفوعات الخارجية .. والاحتياطى عندها لا يزيد على ٩٠ مليون جنيه » وقد فاتت هذه الصحيفة أن الدول الغربية ليست هى كل شئ فى العالم ، وأن الدول العربية

ودول الكتلة الشرقية تستطيع أن تعاون مصر بإجراءات مصرفية واقتصادية ، لا يتسنى للغرب مواجهتها إلا بأن يعمم الحظر المالى الذى فرضه على كل هذه الدول .
لقد ذكرتنا إنجلترا بحصارها الاقتصادى السابق على نابليون .

المؤتمر :

أما الإجراءات الدبلوماسية فقد دعا الغرب إلى مؤتمر لندن . وأعادنا إلى عهد المؤتمرات فى القرن التاسع عشر ، وسياسة مترنيخ ، وقد برر هذا المؤتمر بأنه نوع من التحكيم عرضت له مواد ميثاق هيئة الأمم ، وبرر عدم اللجوء للهيئة التى يستشهد بميثاقها بأن إجراءاتها طويلة جدا .

وقد تخض المؤتمر عن هذه الاقتراحات بشأن تدويل القناة .

١ — إدارة دولية مباشرة : وهذا مادعت إليه فرنسا أولا .

٢ — إشراف دولي : بتشكيل مجلس إدارة دولي يكون مسئولا عن إدارة أعمال القناة وتشترك مصر فيه ، ويرتبط بالأمم المتحدة ، على أن تدير مصر القناة تحت إشرافه ، وتشكل هيئة دولية للتحكيم وتحدد عقوبات لمن يخرج على القواعد الدولية . وهذا مادعت إليه الولايات المتحدة الأمريكية ، واعتبر هذا اقتراح الدول الغربية الثلاث .

٣ — تعاون دولي : وهو ما اقترحته باكستان . . . وما لبثت أن انضمت للمشروع الغربى بعد تعديلات خفيفة تهدف إلى عدم فرض إرادة المؤتمر على مصر ، واشتركت فى التعديلات تركيا وإيران ، وقبلتها الدول الغربية .

٤ — إدارة مصرفية ويشترك فى المجلس دول محايدة غير الدول الكبرى : وهذا هو الاقتراح الأسباني الذى أعلنه أرتاخو ، وندد بالإشراف الدولى واعتبره انتقاصا للسيادة . ثم ما لبث أن عاد إلى إسبانيا على نحو مريب ، وخلف نائبه ليعلم الانضمام إلى المشروع الغربى مع بعض التحفظات !

٥ — لجنة استشارية : تمثل مصالح المتفاعلين بالقناة على أساس التمثيل الجغرافى والمصالح ، وتتولى الهيئة الإشارة والاتصال ، وتبلغ الحكومة المصرية تقريرها إلى هيئة الأمم المتحدة ، وهذا هو اقتراح الهند الذى أعلنت مصر أنها يمكن أن تتخذه أساسا

٦ - معاهدة جديدة: وهذا هو الاقتراح الروسى، وكانت مصر قد أعلنت فى بيانها أنها مستعدة لعقد معاهدة جديدة لتأكيد معاهدة القسطنطينية ، تودع فى سكرتارية هيئة الأمم، فتكون مسئولة دولياً إذا أخلت فى إدارتها بما التزمته من ضمانات . واتصل وزير الخارجية المصرية بسفراء الدول التى تهمها الملاححة بالقنال ليلبغهم أنه مستعد لتلقى شكايرهم بشأن الملاححة ، على أن يكون مؤكداً أن مصر لا تقبل الإشراف الدولى على القناة .

وقد ردت مصر . . وأعربت عن وجهة نظرها فى يوم انعقاد المؤتمر ذاته ، وتتابع التصريحات الرسمية بعد ذلك ، وهى تقرر أن ما تقبله مصر هو : معاهدته جديدة .

مؤتمر أوسع نطاقاً مقره القاهرة ، وتدعوله مصر دول اتفاقية القسطنطينية والدول التى تستخدم القناة .

لجنة استشارية فنية ، ليس لها أى طابع سياسى .
القومية العربية :

إن القومية العربية هى التى تعمل الآن . . . لم يعد هناك قضية مصرية ، بل عربية . . هكذا تتابع التصريحات الرسمية من مصر . . . وتأيدت عملياً فى حركات يوم ١٦ أغسطس ، من إضرابات ومظاهرات ومؤتمرات وخطب وبرقيات . وقدمت سوريا « بعثة طوافة » على رأسها رئيس حكومتها زارت العراق والأردن والمملكة السعودية لتدقيق التعاون على تأييد مصر .

ولقد أنعش القلب موقف الدول العربية التى أعلن استقلالها الرسمى قريباً . . . إن عمرها السياسى والوطنى يفوق عمرها الزمنى . . . إنها تنمو بسرعة ، وتستفيد من تجارب الذين سبقوها ولا تتعثر فى أخطائهم .

فكيف نعبّر عن تقديرنا لموقف السودان الحبيب . . . حكومة وشعباً . . . أحزاب الحكم والمعارضة؟؟ إننا نحى هذا الوعى الشعبى، وهذه البداية البظيفة لسياسة السودانية . وليبيا . . . المثقلة بالاتفاقات المالية والسياسية والعسكرية . . . إن وزير الخارجية بالنيابة يقول للسفير الأمريكى : إن الحكومة لا تستطيع أن تحمى أكبر قاعدة أمريكية

في الشرق الأوسط موجودة في أرضها ، إذا هددت مصر ... ويدهش السفير ويسأل الوزير: هل هذا الكلام رسمي؟؟ ... ويؤكد الوزير كلامه ... ويؤكد رئيس الوزراء الذي كان بمصر لحضور اجتماعات الجامعة العربية موقف الوزير .

وتونس ... ومراكش ... كلاهما يؤيدان مصر .

والبحرين ... التي لم تنل بعد استقلالها ... إن الاتحاد الوطني هناك أعلن تضامنه مع البلاد العربية .

وانتفضت الشقيقات الكيبرات ... لقد كان تصرف الدول الشابة مثيرا ومشجعا ... اقبلت العراق تشارك الدول العربية ... وأقبلت المملكة السعودية تهديد بالبترول ، وأذيع نبأ ذلك من السفارة المصرية بفرنسا .

أين كان هذا ... وقت قضية فلسطين عام ١٩٤٨؟؟

إن ثمانى سنوات ... قد فعلت فينا الكثير !!!

والآن :

لقد انتهى مؤتمر لندن ، فإذا كان الهدف من وراء انعقاده ؟؟

كان الهدف إكساب الدول الغربية سندا أدبيا . . . وإعطاءها ستارا يكون بمثابة « كاموفلاج » للاستعدادات العسكرية . . . وإلقاء بعض الماء على نار الحماسة العربي ! وتعريض البلاد لفترة يتخللها ضغط اقتصادى ومناورات عسكرية وألاعيب فى القناة ، ثم قرارات المؤتمر !!!

وكان هذا ظاهرا فى طريقة اختيار الأعضاء . . . ومناورات السياسة والحرب . . وإدارة الجلسات .

ولقد نجح المؤتمر من وجهة النظر الاستعمارية فى الوصول إلى تأييد الدول الغربية ، وإحداث (تغيير فى المنظر) تواصل القوات العسكرية وراءه استعداداتها . . . ولم يكن معقولا ولا منتظرا أن تستدعى بريطانيا هذه الدول ، لتستصدر منها (دكرى تو) باستخدام القوة ! فالذين طلبوا لنبغات السلام داخل المؤتمر ... ثم فاجأتهم النهاية ، والذين ظنوا أن مجرد اتفاق المؤتمر على استبعاد القوة كسب ... قد جانبهم أطراف من القضية .

إن جيتسيكل زعيم العمال الانجليزى الذى يعارض استخدام القوة يؤيد التدويل ، والصحف الانجليزية التى تعارض إيدن تؤيد التدويل ... والدول التى أكدت سيادة

مصر أيدت التدويل داخل المؤتمر ... وأراد جتيسكيل أن يفتح القناة لإسرائيل ،
ليغدق على جيوب المصريين مزيدا من الرخاء !!!

ودالاس ... الذى لا يحب الحرب ولا يستلطف استخدام القوة ... لم يجبذ أن
يقرر المؤتمر قرارا اجماعيا ... لىكى يترك الباب مفتوحا أمام كل دولة لتعلن عن القرار
الذى ارتضته داخل المؤتمر عن طريق حكومتها ... وبذلك تعلن التدويل ، ثم تعلن
ما تشاء من إجراءات لم يناقشها المؤتمر ، ولم تخطر له على بال !!!
أرأيت هذا الكلام المسموم ؟ ؟

ثم اتفق المؤتمر على أن يوفد مندوبى الولايات المتحدة واستراليا والسويد والحبشة
وإيران لعرض الاقتراح الغربى على مصر .

ووافقت مصر على أن تستقبل اللجنة ... بعد أن أكدت أنها لا تحمل إلا محاضر
المؤتمر ، وأن الالتقاء بها والتحدث معها لا يقيد أحد الطرفين .
وقد لاحظنا بعد نهاية المؤتمر :

١ - استمرار المظاهرات العسكرية :

٢ - السير فى محاولات الاتصال بمرشدى القناة لعرقلة الملاحة . وقد صرح الانجليز
بأنهم لا يتدخلون فى حرية رعاياهم الشخصية إلا أنهم رجعوا فأذاعوا أنهم ناشدوا موظفى
القناة الأجانب الاستمرار فى العمل إلى حين ، وأذيع مثل هذا عن اللجنة الخماسية ، ومعنى هذا
أن الانجليز يتابعون إصدار الأوامر إلى رعاياهم الذين يعملون بالقناة ، بل قد حاول الغرب
الاتصال بالراغبين فى الالتحاق بالعمل فى الإدارة الجديدة من البلاد المختلفة لحملهم على العدول .

٣ - رحلة الملك حسين إلى الرئيس شكرى القوتلى ، والمحادثات المشتركة بينهما بشأن
الموقف العربى ، ورحلة الأمير زيد بن الحسين سفير العراق بلندن إلى الملك سعود .

٤ - استمرار الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية والأردنية ، وتجدد
الحديث عن تحويل مجرى الأردن .

٥ - ومن جانب مصر ، تواصل البلاد التدريب ، والاستعداد على ساق وقدم ،
وتدور المباحثات لمواجهة الموقف من الناحية الاقتصادية مع مديرى البنوك ووفود الدول
كسوريا والصين الشعبية وألمانيا الشرقية . والله المستعان .

محمد فنحى محمد عثمان

أنباء العالم الإسلامي

تفسيح جهود العرب

لسلامة الوطن العربي الأكبر

مائدة ليبيا

كما يصفها رئيس وزارتها

تقرر عقد مؤتمر عام لمختلف الأحزاب والهيئات في جميع الأوطان العربية لتنسيق جهود العرب في سبيل نصرته القضايا العربية والدفاع ككتلة واحدة من أجل سلامة الوطن العربي الأكبر، وينتظر أن يكون انعقاد هذا المؤتمر إما في دمشق أو في بيروت .

ذكرى السنوى الكبير

تقيم البلاد الليبية (طرابلس وبرقة) في يوم الجمعة ٩ صفر حفلات كبرى لذكرى مرور مائة عام على وفاة الإمام محمد بن على السنوسى الكبير مؤسس الزوايا السنوسية في جغبوب وفروعها في ليبيا وأنحاء شمالي إفريقيا . ويمثل مصر في هذه الذكرى مفتي الديار المصرية ووزراء الأوقاف والامين العام للجامعة العربية والسكرتير العام للأزهر والمعاهد الدينية، والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وتستمر مهرجانات الذكرى مدة أسبوع، ويزور كبار المدعوين المعالم السنوسية في بنى غازى والبيضاء والجبل الأخضر وغيرها

مر السيد مصطفى بن حليم رئيس وزراء ليبيا بيروت ، وتحدث إلى مراسل دار الأخبار فيها ، ومما قاله له : إن معاهدتنا مع انجلترا لم تمنعنا أن نتبادل التمثيل الدبلوماسى مع روسيا، ولا أن نؤيد مصر في تأميم القناة ولا أن نمنع بريطانيا من استغلال مطاراتها في بلادنا لتهديد مصر وسلامتها . . إننا أحرار . . أحرار ، نأخذ من بريطانيا خمسة ملايين جنيه استرليني في العام وليس في جيشنا أى ضابط بريطانى ، ونأخذ من أمريكا اثني عشر مليوناً من الدولارات ولا نتركها تتدخل قيد شعرة في سياستنا . إننا نعرف أنفسنا ونتبع حكمة معاوية « إذا لم يجد فيك الناس رهبة أو رغبة استهانوا بك » .

ثم قال : « هل تريد الصراحة ؟ نحن لا نستطيع أن نقف على أرجلنا قبل مضي خمس عشرة سنة . إننا دولة جديدة تحتاج إلى كل قرش يأتيها من الخارج، وعند ما تنتهى فترة البناء لن نجد في ليبيا من يرضى بهذه المعاهدة أو يسكت عنها ، إن معاهدتنا

أكثر من ألفي طالب في الانتصار لقضية إنسانية وتأييدها ضد الاستعمار ، فقد اشتركت هذه الجمعيات في بحث قضية الجزائر والمجزرة الممجية التي تقوم بها فرنسا في الشعب الجزائري على مشهد من حضارة القرن العشرين ، واعتبروا ذلك تدهورا معيبا للإنسانية ، وأعلنوا في قرارهم أنهم يعتقدون اعتقادا ثابتا أن أي حل لمشكلة الجزائر يجب أن يقوم على أساس حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه .

كتيبة علماء الأزهر

احتفل بتخريج الكتيبة العسكرية الأولى من علماء الأزهر وموظفيه في جيش التحرير للجهاد في سبيل الله ، وكان في طليعة كتيبة الجهاد الأزهرية التي أتم أفرادها تدريباتهم على استعمال الأسلحة والذخيرة الحية فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأصحاب الفضيلة سكرتير الأزهر العام ومدير التفتيش والمدير العام للوعظ والإرشاد .

وقد تمت تدريباتهم خلال أسبوعين في معسكر خاص بساحة كلية الشريعة وأشرف على تدريبهم البكباشي صلاح المراسي قائد معسكر الجامعات في جيش التحرير والصاغ محمد الطيبي رئيس المعسكر ، وقد سجل كبار علماء الأزهر - برغم تقدمهم في السن - إصابات وأهدافا عسكرية ممتازة .

أصلح من معاهدة الأردن : إننا رفضنا أن نفاوض الانجليز على أساس معاهدتهم مع الأردن .

نحن نأخذ منهم المال بأيدينا ، ونصرفه بأيدينا . نحن نأخذ منهم السلاح مجانا ، نحن لا نرضى بوجود بريطاني واحد في جيشنا ، نحن لا ندعهم يتدخلون في سياستنا الخارجية . نحن جمدنا لهم جميع ما لهم عند مادعانا واجب الأخوة نحو مصر » .

غابة في شمال القاهرة

تقرر إنشاء غابة مساحتها ٨٠٠ فدان في شمال القاهرة عند الجبل الأصفر ، واعتمد لذلك أربعون ألف جنيه ، وتم بالفعل زراعة ١٧٦٠٠ شجرة في مساحة قدرها ١٨٥ فدان ، منها ٨٤٠٠ شجرة حور من الأصناف الممتازة التي تدخل أخشابها في صناعة الأثاث وأعواد الكبريت .

وينتظر استغلال هذه الغابة في ابريل القادم .

يقظة الضمير

في جامعة كبريخ بانجلترا لأول مرة في جامعة كبريخ ، بل في الحياة العلمية ببريطانيا ، يستيقظ الضمير الإنساني فتتوحد كلمة خمس عشرة جمعية جامعية تمثل

الأدب والعلوم

وقد وافق المؤتمر على عدة مقترحات تقدم بها الدكتور فكرى مندوب مصر، وفي مقدمتها تخصيص قاعة لعرض صور تمثل الآثار والمباني في صقلية وما يقابلها من آثار ومباني البلاد الأخرى، ليظهر على نحو جلى مدى ما انطبعت به حضارة صقلية من حضارات البلاد الأخرى. كما قرر المؤتمر تخصيص قاعة أخرى لعرض الخرائط الجغرافية التى تصور الاتصالات بين صقلية وبلاد البحر الأبيض المتوسط فى مختلف العصور.

ومن المعلوم أن الشريف الإدريسي كان قد استدعى إلى صقلية ليكون حامل مشعل العلم فيها، وعليه تتلمذ ملك صقلية وكبارها، وفى صقلية أُلّف كتابه العظيم فى الجغرافيا، ورسم الخرائط الجغرافية التى لا تزال محفوظة ومعروفة إلى الآن.

توحيد مستوى الشهادات

فى البلاد العربية

أوصى مؤتمر التعليم الثانوى للبلاد العربية - الذى عقد أخيراً فى بيروت - بتوحيد مستوى الشهادات العامة بالبلاد العربية، لإمكان التبادل الثقافى بين مختلف الدول العربية.

انفجار فى الشمس

حدث فى الأسبوع الماضى انفجار جسيم فى الشمس يقول علماء الطبيعة فى معهد سويسرا الفيدرالى إن قوته تزيد عن قوة انفجار مليار قنبلة ذرية. وقد شمل الانفجار مساحة فى الشمس تقدر بخمسة أضعاف مساحة الكرة الأرضية. قالوا ولم يكن له خطر على الإنسان فى الأرض لأن الجزيئات الذرية المنبعثة من الانفجار لا تصل إلى الأرض، وغاية ما كان له من الأثر اضطراب فى الموجات اللاسلكية القصيرة ورداءة الطقس فى بعض الأنحاء.

حضارة العرب والاسلام

فى جزيرة صقلية

فى المؤتمر الدولى الأول الذى انعقد فى بالرمو بجزيرة صقلية للاخصائيين فى تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط فى الأسبوعين الماضيين قدم الدكتور أحمد فكرى بحثاً قيماً عما تدين به حضارة صقلية للحضارتين العربية والإسلامية اللتين أثار مشعلهما هذه الأرجاء أمداً طويلاً، وكانتا ينبوع الذى استمدت منه العلم والمدنية وأساليب الحياة.

الأزهر

في أندونيسيا وباكستان

عين شمس ، وهى ستكون فى البداية مؤلفة من أربعة أقسام أو كليات : للآداب ، والتربية ، والعلوم ، والاقتصاد المنزلى . وإن الاقتصاد المنزلى نفسه مبتكر لأول مرة فى تعليمنا الجامعى ، وستمنح خريجاته درجة بكالوريوس أسوة بالأقسام الأخرى . وقد تم الآن تعيين هيئة التدريس لقسم التربية ، وسيتم قريباً من تعيين الأساتذة للأقسام الأخرى . وقد كان إقبال البيوت العفيفة الشريفة على تقديم بناتهن لهذه الكلية عظيماً جداً ، فإن الكلية قررت أن تأخذ فى هذا العام مائة وخمسين طالبة ، فتقدم لها ثمانمائة طالبة . وهذا مما يدل على أن مصر لا تزال بخير ، وأن دعاة الفجور والاختلاط كاذبون فى دعاويهم . وقد اختير لهذه الكلية الجامعة للبنات قصر السلطنة السابقة ملك فى مصر الجديدة ، وتفتح الكلية أبوابها فى الأسبوع الآتى .

معهد الفتيات الدينى

تقرر افتتاح معهد الفتيات الدينى فى مدينتى القاهرة والإسكندرية فى العام الدراسى الحالى ، وستشرف على هذين القسمين إحدى مديرات معاهد البنات ، وقد حرصت مشيخة الأزهر على أن تكون برامج الدراسة كفيفة بأعداد ربات البيوت على النظام الذى يجمع بين سعادة الدنيا والدين ، وأرسلت مشيخة الأزهر هذه البرامج إلى وزارة التربية والتعليم للموافقة عليها .

قررت مشيخة الأزهر إنشاء مركزين ثقافيين جديدين أحدهما فى أندونيسيا والآخر فى باكستان ، وتتكون نواة هذين المركزين من نحو عشرة من العلماء الممتازين الذين يعرفون لغة أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية . وسيتولى الخمسة الأزهريون فى كل من هذين المركزين إنشاء المركز الجديد فى الجهة التى بعثوا إليها ، وسيعدون لكل مركز الدار الضخمة التى تليق به ، ويختارون من علماء أندونيسيا وباكستان العدد الذى يحتاجون إليه للمعونة والتوجيه . وقد أدرجت مشيخة الأزهر المبالغ المالية اللازمة لهذين المركزين فى ميزانيتها .

الكلية الجامعية للبنات

إن فوضى اختلاط الجنسين فى التعليم الجامعى قد زكت أنف الجور يريحها الكريه فى السنوات الأخيرة ، حتى لم تستطع أن تكابر فى ذلك أكثر الصحف فجوراً . زد على ذلك أن الثورة فى آمالها نحو تكوين الأسر الصالحة صارت تشعر بالحاجة إلى عنصر نسائى مهذب يساعدها على بناء نظام الأسرة القوية فى مستقبل مصر ، لذلك قامت بتأسيس كلية جامعية للبنات فى جامعة

التعليم الثانوى فى الجزائر

يزيد عدد المسلمين فى الجزائر على ستة ملايين ، وقد حرم أبناؤهم من التعليم فليس لهم فى المدارس الثانوية غير ٧٠٠ تلميذ ! بينما أبناء الفرنسيين المتوطنين فى الجزائر يتعلم منهم فى المدارس الثانوية ٢٥٠٠ تلميذ ، أى نحو أربعة أضعاف أمثالهم من أبناء الشعب الجزائرى كله .

حلقات دراسية

تنشأ الجامعة العربية

تقوم جامعة الدول العربية بالاستعداد لعقد مؤتمرات وحلقات دراسية خلال العام القادم بينها المؤتمر العربى الثالث للثقافة لبحث تدريس التاريخ والجغرافيا للمدارس المختلفة .

وستعقد أربع حلقات دراسية : الأولى لوضع خطة طويلة الأمد فى ترجمة الكتب العالمية إلى اللغة العربية ، والثانية لتربية المكفوفين ، والثالثة لدراسة تعليم اللغات الأجنبية وآدابها فى المعاهد العربية ، وستنظم مؤتمرا لأساتذة الجامعات والمعاهد العليا فى البلاد العربية .

الازهريون الجدد

يتلقى طلبة الأزهر زملاءهم الجدد لهذا العام ، وفى يوم السبت ٣ صفر الامتحان التحريرى للقبول بالسنة الأولى الابتدائية فى المعاهد الدينية بالقاهرة والاسكندرية والأقاليم ، وقد حدد الأزهر عدد الأزهرين المستجدين هذا العام بثلاثة آلاف طالب ، نرجو الله أن يكونوا من أهل الدعوة للخير .

الدراسة فى الأزهر

يبدأ الموسم السنوى للدراسة فى كليات الأزهر والمعاهد الدينية ومعهد البحوث فى يوم السبت ١٠ صفر (١٥ سبتمبر) .

رعاية الاحداث وتعليمهم

تقرر إنشاء مؤسستين للاحداث فى القاهرة إحداهما فى العباسية ، والأخرى فى مصر القديمة (القسطنطينية) تتسع كل منهما لنحو ألف وخمسمائة طفل ، وهى الخطوة الأولى فى سبيل تنفيذ مشروع كامل يرمى إلى رعاية جميع الأحداث وتعليمهم فى خلال السنوات الخمس القادمة ، وهؤلاء الأحداث من الذين لا عائل لهم ، وقد أهمل المجتمع أمرهم فيما مضى فكانوا يعيشون بلا رعاية ولا إرشاد منزلى أو قومى .

الكتب

الأدب المفرد - للبخارى

بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - ٣٥١ ص - المطبعة السلفية بالقاهرة

الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ - ٢٥٦) أول من وضع فى الإسلام كتاباً محض فيه صحيح السنن ومحصها ، بالشروط الدقيقة التى اشترطها ، فقطع الطريق بذلك على أهل البدع الذين نجمت قرونها فى عصره ، ففشلوا فيما رسموه من الخطط لإفساد السنة المحمدية ، وحرمان الإنسانية من هذا ينبوع الصافى للتشريع والتهديب وحسن التوجيه إلى الحق والخير . وإذا كان عام ٢٢٠ - كما يقول الحافظ ابن حجر فى فتح البارى - هو الحد الفاصل بين آخر البطون الثلاثة الأولى التى وصفها النبى صلى الله عليه وسلم بأنها خير القرون ، وبين زمن البدع والمذاهب الزائغة والدعوة إلى تشويه الإسلام ، فيكون الإمام البخارى هو الرجل الذى أعده الله لإدراك نهاية القرون الثلاثة بالشطر الأول من حياته ، فقسلم منها أمانات الإسلام ، كما أعده بالشطر الثانى من حياته ليستقبل زمن الفتنة بجهاده وجهوده ويقم له ولأهله هذه القلعة الحصينة من سنة رسول الله فىبقى بها على كل محاولة سافرة أو مدسوسة لاتلاف الإسلام وتحويل مجراه .

ولما كان الأدب والخلق والتوجيه الاجتماعى من أهم عناصر رسالة الإسلام ، فاننا نجد له فى صحيح الإمام البخارى مكاناً متمسكاً بالتمسك بأهميات ما توارثته أئمة الإسلام من الحديث النبوى ، ثم رأى البخارى أن هذا الموضوع يستحق زيادة العناية به ، والأمة الإسلامية فى حاجة إلى استقصاء سائر ما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، (فأفرد) لذلك هذا الكتاب الجليل الذى سماه (الأدب المفرد) ووضعه فى أيدي الناس ليستنوا بسنته فى أنفسهم وبيوتهم وتاديب بنينهم ، والتعامل مع أفراد المجتمع فى أنديةهم وأسواقهم ودواوين حكهم .

وكان (الأدب المفرد) للبخارى قد طبع في سنة ١٣٠٦ ببلدة آرة في الهند ، ثم في القسطنطينية سنة ١٣٠٩ ، وفي القاهرة سنة ١٣٤٩ ، وكان ينبغي أن تكون الطبعة المتأخرة أصح وأحظى بالعناية من الطبعة المتقدمة ، إلا أن الأمر جاء بالعكس فبقيت طبعة الهند خيرا من الطبعتين التاليتين لها ، ولذلك رأى الوجيه المجازى الكبير الشيخ يوسف زينل أن يعاد طبع هذا الكتاب في المطبعة السلفية بالقاهرة ، وقد تفضل علامة المجاز الشيخ محمد نصيف فاستعار على مسؤوليته من مكتبة الحرم المكي الشريف نسخة مخطوطة من الأدب المفرد ونسخة من الطبعة الهندية وأرسلهما إلى صديقه رئيس تحرير هذه المجلة ، وتولى الفاضل المحقق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي معارضة نصوص هذا الكتاب بما ورد منها في الكتب الستة ، ونبه على موضع كل حديث اتفق وروده فيها . كما قام بترقيم الأبواب بأرقام متسلسلة فبلغت ٦٤٤ بابا ، وبتريقيم الأحاديث بأرقام متسلسلة كذلك فبلغت ١٣٢٢ حديثا .

وكتب رئيس تحرير هذه المجلة مقدمة الكتاب ، واستعرض فيها حياة الإمام البخارى من نشأته الأولى إلى أن بلغ القمة في كيان الإسلام العالمى ، وذكر مما امتاز به هذا الإمام العظيم أنه كان من زمن طفولته يعنى باستيفاء تراجم الرواة حتى كأنه يعيش معهم ، فكان يعلم الراوى وبيئته وعمن كان يروى ومن هم الذين رووا عنه ، فإذا حدث أحد فأخطأ في سند الرواة أدركه البخارى ، لأنه يعلم الراوى وشيوخه وتلاميذه وأزمانهم وأوطانهم .

وقد ألحق بآخر هذه الطبعة من الأدب المفرد فهرس تفصيلى لأبوابه بأرقامها وأرقام الأحاديث التى فيها .

ومع أن هذه الطبعة من الأدب المفرد قد امتازت بكل ما ذكرنا ، فإن المجال لا يزال مقسعا لخدمة هذا الكتاب خدمة أخرى أوسع وأدق ، وقد اتخذت الأهبة لتحقيق ذلك بعد نفاذ هذه الطبعة إن شاء الله .

يسر الاسلام

وبيان أشياء من مناسك حج بيت الله الحرام

هذه رسالة لطيفة في مناسك الحج وتحرى ما صح منها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ألفها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود الشريف قاضى حكومة

قطر في الخليج العربي ، وقد أورد فيها تحقيقات تقتضى التوسيع على الناس فيما ضيقوا به على أنفسهم في مثل رمى الجمرات من الزوال إلى الغروب في أيام التشريق ، مع أن رمى النبي صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة يوم العيد من أول النهار يقتضى جواز الرمي في الأيام الأخرى قبل الزوال فيزول الحرج في هذا الزمن الذى ازداد به عدد الحجيج وازداد الازدحام بسبب ذلك .

والرسالة مطبوعة في مطابع دار المؤيد في البحرين ، وهذا مما ابتهجنا له أن تقوم حركة الطباعة في مختلف أنحاء الجزيرة العربية حتى بلغت الرياض في أعماق نجد ، والطباعة رائد الحضارة والعلم ، يتسعان باتساعها ويستنيران بأنوارها . والله الموفق .

التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم

لإمام تونس وشيخ جامعها الأعظم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
من منشورات دار الكتب الشرقية بتونس

هو جزء في قريب من ٤٠٠ صفحة ، انطوى على مقدمات التفسير وعلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم . وقف فيه مؤلفه مواقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، وأبدى في تفسير القرآن نكتا لم ير من سبقه إليها ، واهتم فيه ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتم أيضا ببيان تناسب الآي بعضها ببعض .

ومقدمات الكتاب وحدها كتاب ، وهى عشر مقدمات : الأولى في التفسير والتأويل وكون التفسير علما . الثانية في استمداد علم التفسير . الثالثة في التفسير بغير المأثور والتفسير بالرأى وشروط صحة التفسير . الرابعة في غرض المفسر . الخامسة في أسباب النزول . السادسة في القراءات وماله منها علاقة بالتفسير . السابعة في قصص القرآن . الثامنة في آي القرآن وترتيبه وأسماء سوره . التاسعة في المعانى التى تصلح حمل القرآن للحمل عليها . العاشرة في إعجاز القرآن ومنه الإعجاز العلمى والحكمة وإخبار القرآن بالمقبيات .

وهذه المقدمات في مائة صفحة من حجم صفحات هذه المجلة ، ثم يأتي تفسير سورة الفاتحة فسورة النبأ إلى آخر كتاب الله .

إن للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الجامع الأعظم بتونس وهو إمام تونس بل علامة شمال إفريقيا وأديبها ، وقد ملأ الأرض علما بتحقيقاته ومؤلفاته ، وآجرها هذا التفسير النفيس . مد الله في حياته .

الوجودية في الميزان

للاستاذ محمد أبو المكارم عيسى - ٧٢ ص - المطبعة المنيرية

هذه رسالة ثانية في الوجودية لفضيلة الأستاذ المؤلف ، وأصل هذه الرسالة الثانية محاضرة ألقاها في نادي مأموري الضرائب بين فيها مبادئ الوجودية وأغراضها ، ثم أضاف إليها زيادات لم يكن يسمح بها الوقت المحدد لإلقاء المحاضرات ، فكان فيها بيان وربط بين أصول الذاتية قديما وحديثا ، فهي تتبع لمبادئ المذهب الوجودي ، ومقارنة بينها وبين تلك المذاهب القديمة . ويقول المؤلف إن الذين تكلموا على الوجودية لبس بعضهم منظار النائب العام اتهاما لها ، وارتدى بعضهم روب المحاماة دفاعا عنها . قال : ولكني لم أرد أن أكون واحدا من أولئك ، كما أنني لا أتشع بوشاح القاضي ، وإنما سأكون الخبير الذي ندب لقضية غمضت ظروفها وخفيت قرائنها وعميت أدلتها ، فمهمته بسط الحقائق ، وإظهار القرائن ، ليستنير الطريق أمام العدالة .

ووعده باصدار رسالة ثالثة أوسع من هذه وأصرح .

الشكليات وروحها في الأديان

للاستاذ واصف البارودي - ٤٠ ص - من منشورات عباد الرحمن

عباد الرحمن جماعة من شباب مسلمي لبنان ، اتخذوا لأنفسهم شعارا من قول الله عز وجل « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقد سمعنا عنهم كلمات الثناء من أنحاء مختلفة آخرها للاستاذ السيد أبو الحسن

للندوى فى مجلة البعث الهندية ، وهذه الرسالة (الشكليات وروحها فى الأديان) كتبها فاضل منهم وهو الأستاذ واصف البارودى من كبار رجال التعليم ، وقدم لها رائد الجماعة الأستاذ السيد محمد عمر الداعوق ومدارها على تونى روح الشعائر عند القيام بها وإلا كانت رياء يعود على صاحبه بالإثم ، لأن الأعمال بالنيات لا بظواهر شكلياتها ، والإسلام باعتماده على الحس الداخلى المستنير حيث تبيت النية إنما أراد من الشعائر روحها وحقيقتها وأثرها فى النفس المسامة ، لأن الإسلام دين صدق وتعقل وتفكير يؤدى إلى تذوق مرهف لحقائق الوجود ، وهذه المعانى العظيمة إذا تدبرها الشباب الإسلامى وعمل بها يوشك أن يكون منه جيل يستحق أن يكافئه الله بمثل ما كافأ به أسلافه من أهل الصدر الأول ، والله المعين .

رابعيات الخيام الحقيقية

للأستاذ عبد الغفار الهاشمى — ١١٤ ص — مطبعة الشرق

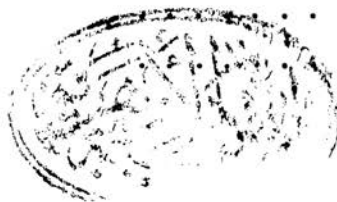
الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانستانى يجيد اللغة الفارسية وقد مارس تدريسها ، ثم قام أخيراً بترجمة ربايعات الخيام عن أصلها الفارسي ، وقد أورد النص الفارسي لكل رباعية وأعقبه بترجمته ثم أوضحه بما يزيده بياناً ، وقدم للكتاب مقدمة طويلة عن الخيام ورباعياته وترجماتها بالعربية وبمختلف اللغات الأخرى ، فنلفت إليها الأنظار .

تصويب

وقع فى باب وصف الكتب من الجزء الماضى خطأ فى تعيين بداية الجزء السادس من تفسير الطبرى ونهايته . والصواب أنه يتبدى من آية « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وينتهى بآية « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو (افتدى) به » . فترجو من الله الغفران ومن القراء التصحيح .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
١١٣	أخلاق جديدة لحياة جديدة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١١٩	نفحات القرآن : العمل لدين عبادة	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٢٤	السنة : عيد الجلاء الأول - ٢ -	» طه محمد السماكت
١٢٨	الهجرة الشريفة بطولة وحسن سياسة	» محمد الطنيجي مدير الوعظ والارشاد
١٣٢	العرب في مقدمة ابن خلدون	» محمد رجب البيومي
١٣٧	الاستقامة	» أحمد الشرباصي
١٤١	الشجاعة عماد الفضائل	» علي الهامري
١٤٤	النثر والشعر في تقدير الاسلام	» عباس طه
١٥٠	ذكرى الهجرة النبوية	» محمد عبد التواب
١٥٧	محكم ابن سيده	» عبد العزيز الاسلامبولي
١٦١	لفويات	» محمد علي النجار ،
١٦٥	يسع الدين وتقله - ٣ -	» عيسوي أحمد عيسوي
١٧٣	سابق الحبشة	» محمود النواوي
١٧٩	بحوث في مصادر الشريعة النظرية - ٤ -	» زكي الدين شعبان
١٨٥	الالفاظ الاوربية في اللغة العربية	» عمر طلعت زهران
١٩٠	لا يصلح أسر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها	» محمد أبو المسكارم
١٩٤	ثورة الاسلام على الفقر	» محمد السيد ندا المدرس بكلية الشريعة
١٩٨	نجوى إلى رجال القد	» معوض عوض إبراهيم
٢٠٢	الأزهر لدين أولا	» صابر علي رمضان الجوشق
٢٠٤	تقليقات : مجابو الشرق	» عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٠٦	الاستعمار يتآمر	» محمد فتحي محمد عثمان
٢١٤	العالم الاسلامي	المجلة
٢١٦	الادب والعلوم	»
٢١٩	الكتب	»



مُذِيرُ الْمَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُنْوَانُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

بِمَجْلَةِ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
الطلبة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمربين بالأزهر	٣٠٠
خارج البلاد	٥٠٠
للطلبة خارج البلاد	٣٠٠
للعلماء والمربين خارج البلاد	٤٠٠

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٦ - ٦ أكتوبر ١٩٥٦ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢
٢٠٠٦

هَذَا هُوَ الْغَرْبُ ...

هذا هو الغرب ، وهذه مواقفه من الحق ، ومن السلام ، ومن التعايش الإنساني ...

كلهم أنطوني إيدن ، وكلهم جى موليه ...

كلهم روبرت منزيس ، وكلهم جنرال بيرنز !

إن وعد بلفور لليهود باحلالهم في مزارع العرب ومرافقهم ، وبانزاحهم في بيوتهم ومعايذهم ودور حكمهم ، والقذف بأصحاب البلاد إلى خارج الحدود يبيتون في العراء شيوخاً ونساء وأطفالاً ... إن وعد بلفور هذا ليس وعداً صادراً عن شخص بلفور ، فإن بلفور أصغر وأهون شأنًا من أن يستطيع ارتكاب هذه الفضيحة بنفسه ... ولا هو وعد من الدولة البريطانية وحدها ، فإن شعوب الغرب - في أوروبا وأمريكا وأستراليا - لو كان للحق حرمة في مقاييسها ، أو للانسانية كرامة في موازينها ، لارتفع لها صوت - ولو من الجامعات والجماعات والأندية والمحافل - باستنكار هذه الجريمة المخجلة ، وبال دعوة إلى وضع حد لهذه اللصوصية والهمجية التي لا يقع مثلها إلا من أمثال الذين وقعت منهم . بل إن هذا الوعد الذي أيدته ورضيت به عصبة الأمم في جنيف ، وسجلت فيه الصكوك الكافرة ، وسهرت على تطوير أحكام هذه الصكوك حتى تحولت إلى خيام



تحيط بحدود فلسطين ليعتقل فيها سراة فلسطين وكرامها وساداتها الشرعيون ، لم تكن عصابة الأمم في جنيف هي المسئولة عنه ، بل إن أمم الغرب كلها ، وحضارة القرن العشرين وثقافته - اللتين كانت عصابة الأمم تمثل دورها الهزلى باسمهما وعلى مسرحهما - هي المسئولة عن ذلك بكل من يخبئ وراءها من علماء وفلاسفة وجامعيين ومستشرقين ومختربين ومنافقين ومتبجحين بما يزعمون أنهم مؤمنون به من حضارة زائفة وثقافة فاجرة وتقدم في الرياء المسلح والتفاق المهذب والظلم المنظم .

وهذه الحماقة التي بالغ أنطوني إيدن في الإصرار عليها ، وأسرف في الاندفاع فيها ، لتأمينها شركة مصرية كانت تعمل في أرضنا التي اعترف البريطانيون أنفسهم في معاهدة الجلاء بأنها أرضنا نحن من دون الناس جميعا ، فهي أرض حرة مستقلة ، لأمة حرة مستقلة ، تعرف كيف تدافع عنها دفاع الأحرار المستقلين . . .

وهذه السفن والطائرات التي رأيناها تغدو وتروح بين الجزر البريطانية والموانئ الفرنسية ، وبين جزيرتي قبرص ومالطة وصخرة طارق بن زياد ومطارات الجبانية والبصرة والثغور الليبية ، حاملة أسلحة حلف الأطلنطي والعون الأمريكي ، وجنودا بالأسين يتورد من يتردد منهم ويحتج من يحتج من أمهاتهم وآبائهم . . .

هؤلاء الجنود ، وهذه الأسلحة ، وسائر ما يهدد به أنطوني إيدن سلام الإنسانية .

هذا السيف الذي يلوح به إيدن يميننا وشمالا لأمة استعملت حقها في التأميم كما يستعملون هم حقهم في مثله ، يلوحون به لأمة أخذت تسير في طريق الإصلاح الاجتماعي والعمراني والثقافي في أرجاء بلادها وفي أعماق ريفها ، فساء ذلك أدعياء الحضارة الاستعمارية الآيلة إلى الانهيار ، وزعماء الاستغلال الجشع الذي انفضح أمره وانهى عصره ، فأرادوا أن يقطعوا الطريق على مصر في انتفاضتها الاجتماعية وتجدها العمراني وتوسعها الثقافي ونشاطها الصناعي وتقدمها العسكري وإصلاحها الزراعي ، ولهذا أرغى أنطوني إيدن وأزبد ، ولو كان مؤمنا بالحضارة حقاً لكان حقاً عليه أن يشجع مصر على ما هي في سبيله من تقدم ، وكان حقاً عليه أن يفسح لها الطريق ، لا أن يقف لها فيه معترضا كما يقف قطاع الطرق !

ونعود فنقول في إيدن كما قلنا في بلفور ، إنه أقل شأنا من أن يكون هو قاطع الطريق

في وجه مصر إلى الحضارة والنهضة والإصلاح ، ولكنه يفعل ذلك باسم الدول التي استجابت لدعائه إلى مؤتمر لندن الأول ، وأيدته في مؤتمر لندن الثاني ، وارتضت بأن تكون ذيولا له في مؤتمر لندن الثالث .

إنها ليست حماقة رجل أو عشرة رجال أو ثمانية عشر ، وإنما هي إحنة من إحن الغل الذي يضطغنه ناس على ناس ، هي نزعة من نزعات الحقد الذي يضمه فريق لفريق ، هي زفرة من زفرات شاعر الإمبراطورية البريطانية رديارد كبلنج يوم قال : « الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا » ، ومن قبله عبر عن هذا الحقد اللورد بيرون وهو في طريقه إلى اليونان ، وفيما بينهما كان فككور هيجو ينظم ديوانه « الشرقيات » .

إن هذا بعضه من بعض .

كل هذا متسلسل بعضه في إثر بعض .

المسألة أكبر من أن تكون مسألة تأميم من مصر لشركة مصرية ، وأوسع نطاقا من أن تكون مسألة انتظام الملاحة في قناة السويس ، ولا سيما بعد أن عملوا هم على الإخلال بانتظام الملاحة بما قاموا به من تحريض المرشدين وإغرائهم بالمال وغير المال لينسحبوا من ميدان العمل لانتظام الملاحة ، وبعد أن فشلوا في ذلك كله استمرت الكلاب تعوى ، وقوافل السفن تمخر في القناة بأمان وانتظام زاد في رقه القياسي على ما كانت عليه الحال قبل التأميم .

المسألة أكبر من هذا وذاك ، إنها مسألة الشرق والغرب .

إنه الحقد المتأصل على الشرق من الغرب . وصدق الله العظيم : « قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر » .

إن موقف الغرب من تأميم مصر لقناتها - حلقة في سلسلة المسألة التي يسمونها « المسألة الشرقية » ، وحرصهم قبل نحو أربعين عاما على دق الاسفين اليهودي في قلب الوطن العربي كان حلقة أخرى من تلك السلسلة ، والحلقتان مرتبطة إحداهما بالأخرى ، وقد أعلن ذلك أنطوني إيدن في مجلس العموم أخيرا حين قال :

« ما هي الخطوة القادمة التي سيخطوها جمال عبد الناصر إذا تركناه ينبج في العمل الذي أقدم عليه ؟ إنني لا أشك ، ولا أظن أن المجلس يشك ، في أنها ستكون : إسرائيل ! » .

فأنطوني إيدن لا يهتم تأميم قناة السويس أو تدويلها ، ولا يهتم انتظام الملاحة في قناة السويس أو اختلالها ، بل هو في حالة انتظام الملاحة بين البحرين الأحمر والأبيض يحاول إفسادها والاختلال بها ، ويفكر في الطواف حول إفريقيا من طريق رأس الرجاء الصالح لو جراه في ذلك القائمون على شركات الملاحة . وإنما الذي هو خائف عليه ، والذي يسير سقنه وطائراته بالجنود والعتاد بين البلاد استعدادا للانتحار في سبيله هو أن يبقى اليهود إسفيناً في الكيان العربي ليكونوا مصدر شر وفساد في الأرض ، وليشغلوا العروبة عن رسالتها الحضارية والانسانية .

إنه يفعل ذلك لإسرائيل كما لو كان من سبط يهوذا أو من أفرايم ، أليس أستاذه ونستون تشرشل كان يتلقى اليهود فيقول لهم إنه صهيوني ؟ وما كان تشرشل إلا رمزاً للغرب في موقفه التاريخي من الشرق ، ومن العروبة ويقظتها بوجه خاص .
انهم يخافون أن يستيقظ العملاق ، فيعرف طريقه الى نفسه بعد أن نسيها ، وبعد أن كفر بها دهرها طويلاً .

من ثلاثمائة سنة والغرب يدعو العروبة إلى أن تكفر بنفسها وتؤمن به ، يدعوها إلى أن تنسأ عن سجاياها وتمسخ في شكله وعاداته وأهوائه ، فلا تكون هو ولا تبقى هي !
كان يزهدها في العلوم وتطبيقها في الصناعات ، ويشغلها بالفنون النظرية وفلسفة التشكيك ومذاهب اللهو ومدارج الضعف والتخنت ، وعلى هذه الأسس قامت وزارات المعارف في البلاد التي تسلمت عليها الاستعمار ، ولهذه الأغراض وجدت الصحافة والصحف في ظل الاستعمار ، وقد استطاع الاستعمار في الزمن الطويل الذي اتصل فيه الشرق بالغرب أن يوجد لدعوته عملاء مؤمنين بها ، ويزعمون في كل جيل لجيل الذي بعده أن هذا هو العلم وهو الحضارة وهو التمدن وهو الترقى ، وإنما انحدرنا في الهاوية التي كنا فيها قبل الثورة بدلالة عملاء الغرب في الشرق من صحفيين ومدرسين وفنانين ، وقد ثارت الثورة في مصر على كل شيء إلا على هؤلاء فانها لم تتفرغ لهم بعد ، ولن نستطيع أن نكون الجيل الذي سيحمل رسالة الثورة ، رسالة العروبة ، رسالة البناء اللائق بالعملاق في يقظته ، إلا إذا حرمننا الغرب من عملائه الثقافيين والفكرين في الشرق ، ووضعنا أمانة الجيل في الأيدي الأمينة التي تنقل العلم إلى الشرق العربي مطبقاً على ثمراته في الصناعة في أوسع مقياس ، وثقف النشء العربي في كل مكان بالثقافة العربية الأصيلة مألثة قلوب رجال المستقبل بحجة أسلافهم ، وتنمية سجاياهم ، واستئناف السير في طريقهم إلى القوة ، وإلى العلى ، وإلى المجد ، والله أكبر والله الحمد

نفحات القرآن

- ٤٣ -

تلطف القرآن

في مناجاة العقول ، ودعوتها بالدليل

« يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وأُنزلنا إليكم نورا مبينا » .

١ - هذه آية من آيات الدعوة إلى الخير في أسلوبها الرحيم ، فيها - أولا - نداء للناس عامة دون تفريق بين سابق ولاحق ، ولا ملك وسوقة ، ولا رجل وامرأة . وفيها - ثانيا - إخبار أكيد لهم بأن برهانا جاءهم من ربهم على صدق ما دعاهم إليه . وفيها - ثالثا - إخبار بأن الله أنزل إليهم نورا مبينا .

فهذه توجيهات ثلاثة : يشف كل واحد منها عن منهج فسيح من مناهج التربية الإنسانية .

الأول : - يا أيها الناس - فهذه مناجاة للناس عامة تكشف عن تسوية بينهم في خطاب القرآن ، وتنبي عن تكريمهم بالخطاب دون غيرهم من الخلائق ، وذلك التكريم رعاية لآدميتهم ، وتقدير لعقولهم ، واعتماد على تمييزهم بين الحق والباطل ، والشر والخير . . . وهذه الاعتبارات مفروضة في الإنسان ، ولو كان نابيا عن التفاهم وغاويا للشقاق .

وعلى هذه الاعتبارات وجه إليهم الأخبار بأن برهانا جاءهم من عند ربهم ، فهم

جديرون أن يتفهموا البرهان بعقولهم ، ويستجيبوا له من قلوبهم ، ويؤثروا لأنفسهم
الأخذ به دون تخلف عنه .

إذ الدليل لا ينهض بالدعوة حقاً ، ولا يربأ بها عن الشكوك والتشكيك ، إلا إذا كان هو
في ذاته بالغاً مبلغه من الصدق ، وحينئذ فقط يسمى برهاناً . ودون ذلك يسمى عند العلماء
دليلاً لا برهاناً ، وكثيراً ما تساق الأدلة والنقاش حول القضايا العلمية ، ولكن الدليل
قد لا ينهض بالدعوة كما ينهض بها البرهان ، فما بالك إذا جاء البرهان من عند الله ؟ ؟

لاشك : أنه يكون في أوج اليقين ، وتكون مخالفته مكابرة وإهمالاً للعقل ، وتنصلاً
من الفهم ، وتمادياً في الجهالة .

وليس هناك سبيل إلى العلم الصحيح وطريق إلى الحق الصراح أوثق من البرهان ،
سواء أكان برهاناً نظرياً يتألف من المقدمات . . أم حسياً من طريق المشاهدة . . .
فمن لم يخضع للبرهان فقد عزل نفسه عن خصائص الإنسانية التي أشاد الله بها في خطابه
للناس أول الآية .

٢ — أضف إلى هذا أن أمراً ثالثاً يقضى على الناس بالمطاوعة في غير تريث . .
وهو إخبار الله تعالى بأنه أنزل إليهم نورا مبيناً .

والنور يكون حسياً فيهدى به الأنظار ، ويكون معنوياً روحانياً فيهدى البصائر .
وإذا كان نورا مبيناً فهو تمام ما يكشف للرء عما خفى ، وليس بعد انوار المبين
معذرة لمن يتعمى عن المشاهدة بنظره ، أو عن الهداية ببصيرته وقلبه .

فإذا كان نورا . . ومبيناً . . ومن عند الله . . فمنذا الذي يتعلل بعجزه عن الإدراك
إلا من عميت بصيرته ، ورائت على قلبه الضلالات ، فلم يعد لنور الهداية منفذ إلى دخيلته .
وذلك هو العمى الذي يستحبه الغواة ، ويستريح إليه المبطلون ، وذلك هو العمى الذي
يعاب عليه الإنسان : إذ لا يحاول استماع الدعوة ، ولا تفهم البرهان « فأنها لا تعمى
الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

٣ — ونعود فنقول : وما المقصود بالبرهان الذي جاءهم من ربهم . . ثم بالنور
الذي أنزله الله إلينا ؟ ؟

أما البرهان فهو - على ما يهتدى إليه السياق ورجحه المفسرون - محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - وأما النور فهو القرآن الكريم .

وكيف كان محمد برهانا ؟ ؟

نشأ محمد يتيمًا . . . وأميا . . . وفقيرا ، فلم يظفر بتعليم في كفالة معلم ، ولا برعاية في كنف أب ، ولا في بحبوحة يسار . . . ومع هذه العوامل القاسية كان مسلكه : صبيا ، وشابا ، ورجلا ، غاية الكمال المشهود بين قومه .

وحرمانه من معارف العرب التي كانوا يتوارثونها عن آبائهم ومجالسهم : كالشعر والتاريخ والأنساب غير قاض عليه بالنجول أو التبذل ، وغير مانع له أن يسمو بمواهبه ويمتاز بمحامده على كل من حوله .

فالموازنة بين ما شب عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، وما شب عليه غيره من لداته وأقرانه ، والإنصاف في تقدير كماله ، مع البعد عن نقائص بيئته ، تفصح عن مبادئه ، وطهر نفسيته ، واعتباره معدنا يرحم معادتهم جميعا ، وإن توفرت لهم مكارم يتمدحون بها ، أو أجاد يفاخرون بذكرها . . .

وقصارى ذلك : أن محمدا فيما بلغ من سؤدد شخصي يعتبر برهانا على جذراته بالرسالة ، وأن رعاية الله كفلته منذ نشأته لهذه الغاية التي ادخرت له ، واختير لها ، وأنه صادق في كل ما دعاهم إليه من توحيد الله ، وبطلان ما عداه ، وببذما تعارفوه من تقاليد لا يرتضيها لهم دينهم الجديد .

. . . نظرة منهم ومن يعوزه الدليل إلى ما لقي محمد صلى الله عليه وسلم من خصومة ، ومثابرة على المشادة معهم في لين من جانبه ، حتى قاوم جهالة شائعة ، واجتاح كفرا متغلغلا ، ونظم صفوفًا متفرقة ، وبث هداية كانت مجهولة ، ونشر دينا جديدا ، وعلمهم كيف يسوسون أنفسهم ويسوسون من يدين لهم ، وكيف يسلكون مسالكهم في ضوء جديد من المعرفة ، وكيف ينهضون إلى مشارق المجد على دعائم العروبة المصقولة .

أقول : نظرة إلى هذه الجوانب تكفى للاقتناع بأن محمدا برهان حق على أن دعوته كلها حق . . .

وأما القرآن فهو نور مبين : لما فيه من تعاليم أحاطت بكل ما تكل به مقومات الإنسانية .

إذ ليس في حياة الناس خلق ، ولا مالى ، ولا نظامى فردى أو اجتماعى ، إلا له في القرآن توجيه تفصيلي ، أو اجمالى متروك للسنة بيانه .

فالقرآن - بما اشتمل عليه من تبيان للناس - كفيل بتمام الحياة في أكل أوضاعها ، وعلى أصلح وجوها : مدنية ، وصناعية ، وحكما ، وسياسة ، ومنافسة في كل جانب من جوانب الدنيا ، مع حسن الصلة بالله ، والاستمداد من توجيهه وتوفيقه .
وهذه الآية - بما اشتملت عليه من ذكر البرهان والنور المبين - لم تذكر لمجرد الإخبار ، وإنما هي تذكير بقيام الحجّة علينا ، حتى لا يغفل عنها الغافلون منا .
فهى متضمنة للوعد بالإحسان لمن أخذ بها ، وللوعيد بالشر لمن صدق عنها .

وإنما وردت في أسلوب الخبر رفقا بالناس في الدعوة ، وترغيبا لهم في الاستماع ، وتيسيرا عليهم أن يفطنوا ، ويحسنوا الاختيار لأنفسهم بترجيح عقولهم ، وإيثار الخير لأنفسهم .

وقد جاء الوعد صريحا عقبها في قوله سبحانه : « فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » .

نعم : من اقتنع بالبرهان الذى جاءه من ربه : وهو رسوله محمد - صلوات الله عليه - وبما كان ذلك البرهان قائما عليه من الحق ، ثم اعتصم بكتاب الله وأخذ بتوجيهاته في شئونه مع الناس وفي خاصة نفسه ، فهو لا شك في كنف الله ، يتولاه برعايته ويحوطه من فتن الدنيا بحفظه ، وينخفف وقع الخطوب على نفسه ، حتى يسكون راضيا بما يلقاه إن تجهمت له الحياة ، قرير العين بما يحسه من الصلة بربه ، وحتى يكون دائما جانحا إلى الله فيما يأمله ويعترمه ، مستشعرا بفضل الله فيما يصادفه من حظ ونجاح . وهذا مظهر الرحمة والفضل للذين يدخله الله فيهما .. ثم فوق ذلك يهديه الله صراطه المستقيم طوال حياته ، حتى يخرج من دنياه إلى رضوان مولاه .

هذا ما تنطوى عليه الآية من وعد الله تعالى : في إيجاز من القول .

أما الوعيد بالشر لمن صدق عن الأخذ بالآية فلم يرد في هذا السياق صريحا كما ورد الوعد بالخير ، وفي إغفاله نمط من التربية الإسلامية : لأن الوعيد غير محبب إلى النفوس ، فالله يتركه في هذا المقام ملاطفة للعقول ، وملاينة للقلوب ، ويتركه كذلك ليشعرنا

بكرهية الشيء البغيض، والاكتفاء بالأمر المستحسن، تاركا للعقول أن تدرك الوعيد بنفسها من المقابلة بين ما ذكر وما لم يذكر صريحا، ويترك ذكر الوعيد ليعلمنا كيف ندعو الناس إلى الخير، ونهون عليهم قبوله، والارتياح إلى الدعوة، ولا شك أن الترفق في الحديث، ورطوبة الأسلوب، وذكر الأمور المرغوبة، من وسائل الدعوة الناجحة في أكثر المواقف والمناسبات، ومصدق ذلك في قوله تعالى: « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - ادفع بالتي هي أحسن .. »

وهكذا يخاطبنا الله بأسلوبه الذي يطلب إلينا أن نأخذ به، وفي حديثنا على هذا النمط لفئة إلى جانب الوعظ، وما قصدنا ذلك وحده .

وإنما قصدنا تجلية السبيل التي شرعها الله لسيادة المسلمين، ومنها يسبقون غيرهم إلى ما لم يعرفوا مثله من جهة أخرى: فإنها معارف جمة حملها إلينا الإسلام، فعشنا في ضوئها حقبة كنا سادة غير مزاحمين، ثم تخلينا عنها فابتدراها سوانا، وتخيينا نحن إلى هامش الحياة. ولكن يقظة جديدة هزت مشاعر الشرق، فبعثت في ربوعه أملا قويا، وحياة مشبوبة، ولعلها خطوات موصولة ومقرونة دائما بالتوفيق ما

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الأخلاق المحمدية

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا	منها، وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم ديننا لكانت وحدها	دينا تضيء بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل	يغرى بهن ويولع الكرماء
فاذا رحمت فأنت أم أو أب	هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فأنتما هي غضبة	في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما	جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته	بجميع عهدك ذمة ووفاء

شوقي

السنة

عيد الجلاء الأول

— ٣ —

المثل الأعلى في العدل — البلاغ الأخير — آخر الوصايا
النبوية — من دلائل النبوة — اليهود في مشارق الأرض
ومغاربها — المثل الأسفل في الكفر .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انطلقوا إلى يهود ، نخرجنا معه حتى جئناهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : يا معشر يهود ، أساموا تساموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، أساموا تساموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، فقال لهم الثالثة ، فقال : اعلموا أنما الأرض لله ورسوله وأنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبيعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » .
رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم *

* * *

لن تقوم لدعوة إصلاحية قائمة ، ما لم تتحها قوة عادلة من كيد الكائدين وعدوان المعتدين . .

(*) في باب إجلاء اليهود من الحجاز ، من كتاب الجهاد والسير . وقد نهينا على ذلك في الجزء السابق ، وعلى أهم مواضعه في صحيح الإمام البخارى . . .

وما شهد التاريخ - ولن يشهد - أصدق من الإسلام في دعوته ، ولا أرحم منه في معاملته ، ولا أعدل منه في قوته ، مع أشد الناس عداوة له وصدا عن سبيله . . . وهل ظفر التاريخ قبل الإسلام ، بمثل هذا العدل الخالد العام « ولا يجرمكم شتان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » ؟ ومن أراد على ذلك دليلا عمليا ، فهذا شاهد واحد من آلاف الشواهد العملية على ما نقول :

لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجلاء يهود خيبر سألوه أن يقرهم بها على أن يكفوا عملها ولهم شطر ما يخرج منها من الثمر والزرع ، فأقرهم على ذلك ما شاء ، دون أن يتقيد بأجل معلوم ، فكان يرسل إليهم رسوله عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، لتقدير الثمر وتحديد الشطر ، وكان منصفاً حكيماً عادلاً ، وكان يقسم ويخيرهم في القسم ، لكنهم ضاقوا بانصاف عبد الله ذرعا فأرادوا أن يرشوه ، بجمعوا له حليا من حلى نسائهم فقالوا : هذالك ، وخفف عنا وتجاوز لنا في القسم . . . فقال لهم : يا أعداء الله ، تعطوني السحت ! والله لقد جئكم من عند أحب الناس إلى ، ولأتم أبغض إلى من القردة والخنزير ، ولا يمحلى بغضى إياكم وحى إياه على ألا أعدل . . . فقالوا بهذا قامت السموات والأرض !!!

* * *

فلو أن اليهود أنصفوا أنفسهم ، وأوفوا بعهودهم مع الله ورسوله ، لوفى لهم الله ورسوله ، فعاشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين في هذه الدنيا على أنفسهم ودينهم وأموالهم وأولادهم ، لن ينالهم أبدا فيها أذى . . . فأما لو اتبعوا الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، لآتاهم الله أجراً مرتين ، ولأحياهم حياة طيبة ، ولأتم عليهم نعمته في الدنيا والآخرة . . .

ولكن ماذا يؤمل الإسلام ورسول السلام ، فيمن أكلوا السحت ، وعبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، وقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ؟ !!!

مع هذا كله عاملهم صلوات الله وسلامه عليه أحسن معاملة ، وجاملهم أعظم مجاملة ، حتى إذا لم يزدحم العفو والإحسان إلا طغيانا وكفرا ، ولم يزدحم الحلم والابجال إلا لؤما وغدرا - أنذرهم بهذا البلاغ الأخير : أسلموا تسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . . . وإلا فلا عيش لكم في هذه الأرض التي آوتكم وأظلتكم ، فحجتم فضلها ، وختم أهلها ، وحاربتم الله ورسوله فيها . . .

أنذرهم هذا الإنذار الجامع الحاسم ثلاثا ، وفي كل مرة يجيبون في لؤم وخبث :
قد بلغت يا أبا القاسم ، خبا وهربا من الأمر الذى لامناص منه ، وهو الطرد من هذه
الأرض ، إن لم يسلموا لله رب السموات ورب الأرض رب العالمين ...

لقد أرادوا أن يتخدعوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه الإجابة ، فما على الرسول
إلا البلاغ ، وقد بلغ غير مرة ، فليدعهم بعد أن أدى أمانته ، وبلغ رسالته ، ولكنهم
جهلوا - أو تجاهلوا - أنه قد أجمع أمره في هذه المرة على واحد من اثنين لا ثالث لهما :
فاما إسلامهم ليسلموا هم ، وإما إجلاؤهم لتسلم البلاد منهم ... وإذا كان من شرعة الإسلام
أن لا إكراه في الدين ، فإن من شرعته إبعاد المفسدين .

علم أعداء الله وعباده بل أعداء أنفسهم ، أن الأمر جد ، وأنهم عاملون في خيبر وما
حولها ، على شطر ما يخرج منها إلى أجل مسمى عند الله تعالى ، فإذا جاء أجلهم أخرجهم
من ديارهم كما أخرج إخوانهم لأول الحشر ... ومن أجل ذلك أقرهم صلوات الله وسلامه
عليه في خير ما شاء الله أن يقرهم ، لئلا يتقيد بموعد محدد كما قلنا من قبل ... ومن أجل
ذلك أوصى أصحابه - فيما أوصى - وهو يودع هذه الدنيا : ألا يبق دينان في جزيرة العرب ،
اهتما باقرار السلام وحماية الإسلام ، في مهده الأول ومقره الأصيل .

* * *

والمراد من جزيرة العرب في الوصية النبوية الحجاز خاصة : مكة والمدينة واليامة
وما إليها ، لاتفاق الخلفاء سيما الراشدين منهم على إقوار اليهود والنصارى باليمن مع أنه من
جزيرة العرب . وإنما أجل عمر رضى الله عنه نصارى نجران من بلاد اليمن ، لتقضهم العهد
بأكلهم الربا ، وكان مشترطا عليهم في كتاب صلحهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ألا يأكلوه ،
وعقد الدمة ينتقض بأكل الربا إذا كان مشروطا على الذميين ألا يقربوه ...

لا جرم أن الخلفاء الراشدين - ولا سيما الصديق والفاروق - رضوان الله عليهم ، كانوا
جد حريصين على إنفاذ وصيته صلى الله عليه وسلم بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ... بيد أن
الصديق شغل عن إجلائهم بقتال المرتدين وما نعى الزكاة على الرغم من قصر خلافته !
فأنفذها الفاروق في نزوة من نزوات عدوانهم ، وحلقه من سلسلة غدرهم ..

ولقد كانت لهم في هذه الوصاة أناة ، وفي هذا الطرد سعة ، ولكن ليس غريبا
على الذين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، أن يستعجلوا العذاب بظلم عظيم !

ذلك بأن اغتيال من ظفروا به من المسلمين جبلة فيهم، ولهم في ذلك صحائف سود!!
فبينما عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يشرف على ماله بخير ذات ليلة، ألقوه من فوق بيت
وهو نائم، فقدعوا يديه ورجليه! والقدع: اعوجاج الرسغ من اليد والرجل حتى تنقلب
الكف أو القدم.. ولا ريب أنهم أرادوا قتله، كما قتلوا في العهد النبوى عبد الله بن سهل،
ثم أنكروا وحلفوا اليمين الفاجرة.. فلم يشأ النبي صلى الله عليه وسلم أن يبطل دمه، بل أدى
ديته من عنده....

ولما بلغ اعتدائهم أمير المؤمنين رضى الله عنه قام في أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطيبا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال:
نقرمكم ما أقرمكم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ما له هناك فعدى عليه من الليل،
فقدعت ياه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت لإجلاءهم -
فلما أجمع عمر على ذلك أتاه رأس اليهود: أحد بنى أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين،
أنخرجنا وقد أقرنا محمد على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أنى نسيت قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك ليلة بعد
ليلة؟ فقال عليه لعنة الله: كانت هذه هزيلة من أبى القاسم! فقال عمر: كذبت يا عدو الله.
(والقلوص: الناقاة الصبور الفتية).

فأجلاهم رضى الله عنه إلى نواحي الشام، وأعطاهم قيمة ما كان لهم
من الثمر مالا وإبلا وعروضا... ولم يقتص منهم لابنه وقد أحدثوا به عاهة، لأنه
لم يعرف من الذى دفعه!!

* * *

ألا إنه لو لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم بطرد اليهود من الحجاز لكان طردهم منه
حقا محتوما على خلفاء المسلمين وأمرائهم، فكيف وقد أخبر بذلك؟؟ فكان إخباره هذا
آية صدق من آيات نبوته، وبشارة حق بين يدي وصيته.

أما ما كان من طردهم بعد هذا الجلاء وتشريدهم، واضطهادهم في مشارق الأرض
ومغاربها - فقد ألفت فيه أسفار شتى، يرى فيها الرائي لأول نظرة أن إحسان الإسلام
إليهم فاق كل إحسان، فكان جزاؤه منهم كفرانا فوق كل كفران!!

ذلك ديدن من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل

المؤمن الحق

من حَقَّكَ على أيها القارئ وقد حدثتك بعض الحديث عن شيء من آراء الوجوديين وما انزلقوا إليه من إنكار الإله سبحانه وتعالى، واطراح القيم الأخلاقية والآداب النفسية.

من حَقَّكَ على أن أحدثك أحسن الحديث عن المؤمن الحق، ولا يفوتني قبل أن أبدأ في حديثي هذا أن أذكر أن بعض الزملاء أرسل إلى هذه المجلة مجلة الأزهر التي كانت تنشر حديثي أنه يرى أن أبحث أصل هذا المذهب وأتبين مراميه وأغراضه، ثم أرد عليه، ولكن كيف أضيع وقتي في بحث مذهب أول خطواته بحود الإله جل وعلا، والتعصير في غير أدب ولا حياء بأنه غير موجود، ألا تسمع كيركجورد مبتدع هذا المذهب يقول: لا يصح أن نقول: الله موجود. وإلى وارثه الأول جان بول سارتر الباريسي يقول: الوجودي يرفض فكرة وجود الله (سبحانه) والوجودي يطرح كل ما حوله من قيم ومعتقدات وآراء وحضارة. وإذن فكيف أبحث مذهباً منهاراً من أساسه؟!، ولكنني أردت - بما كتبت تعليقا على بعض فقرات من هذا المذهب نشرت في بعض الجرائد - تنبيه القارئ، وبخاصة التلاميذ إلى بطلان هذا المذهب، وأنه يدعو إلى الإباحية ونبذ القيم الأخلاقية ليحذروه ويصونوا أنفسهم من الانزلاق في مزالقه والوقوع في حماته.

ومن عجب أنه ظهر في الناس الآن باحث أو فيلسوف أو متفلسف يزعم - في جرأة وحقنة وينشر ذلك في بعض المجلات المنحلة - أن الله (سبحانه) فكرة ... أنه فكرة في تطور مستمر ... الله في العقل الحديث معناه الطاقة الخلام التي في داخلنا ... الله هو الحركة التي كشفها العلم في الذرة وفي البروتون وبلازم (هو أحد الأمور المكونة للذرة في أي كائن حي) وفي الأفلاك ... هو الحيوية الخالقة في كل شيء، أو الفعل الخالص الذي ظل يتحول في الميكروب حتى صار إنساناً وما زال يتحول إلى ما لا نهاية له ... الخ ما هذى به ذلك الباحث أو الفيلسوف (العجبر).

وإنه لمن العجب العاجب أن باحثي هذا الزمان وفلاسفته إذا أرادوا أن يظهرُوا على الناس فلسفتهم فليس أما مهم إلا الله يتبدئون بحجده وإنكاره (سبحانه وتعالى عما يقولون

علوا كبيرا) ويزعمون أنه غير موجود أو أنه فكرة أو أنه الطاقة الخام في داخلنا أو الحركة التي كشفها العلم الخ ، أو يعمدون إلى كرائم الأخلاق فيدعون إلى التحلل منها، وإلى الأعراض فيهنون شأنها ، وإلى الغرائز الجنسية فيهيجونها ، وهكذا كل يوم يكشفون عن سوءة يزعمونها فلسفة .

إن الفلاسفة الأول مثل أفلاطون وأرسطو هدتهم فلسفتهم في عصور الظلمات الحوالك إلى وجود الله سبحانه وبعده عن كل نقص ووصفه بكل كمال ، وإلى الأخلاق الفاضلة فدعوا إليها ، وفلاسفة اليوم في عصر النور والعلم والعرفان تهديمهم فلسفتهم (الفجة) إلى انكار وجود الله سبحانه وهو تهدي إليه الفطرة الكاملة ، ويرشد إليه العقل السليم ، هلا جاءوا بما يفيد الأمة في اقتصادياتها أو اجتماعياتها أو أخلاقها وآدابها أو تجارتها وصناعاتها . وفي الحق أن هؤلاء ليسوا فلاسفة ولا علماء ولا باحثين ولا مفكرين ولا شيئا أبدا مما يقدره الناس ويعرفونه ، ولكنهم كتاب استطاعوا أن يلوا ألسنتهم وأقلامهم بما يكتبون فيصوروا الكفر في عبارات ملتوية غامضة ويزعموا ذلك فلسفة ، فالفلاسفة عندهم لفظ ملتو غريب ومعنى كله إلحاد وزندقة ، ولست أيها القارئ في حاجة أن أبين لك مافي العبارات السابقة التي نقلتها لك عن ذلك الفيلسوف (العجبر) وتركت كثيرا غيرها من سخف وتفاهة، فهي واضحة العوار ظاهرة البطلان، فالله في نظر هذا الجاهل فكرة، وهو الطاقة الخام وهو الحركة وهو الحيوية وهو الفعل الخالص وهو الإنسان وهو الذي يتحول إلى ما لا نهاية له ، وإذا كان الله سبحانه كما ذكر هذا الجاهل فماذا عساه يكون هذا الأحق ؟ وهل لكلامه معنى أكثر من أنه هذيان وسخف ، ألا يستحي ذلك المخلوق أن ينشر على الناس هذا الهراء ، ألا تستحي المجلة التي تنشر له هذا الإلحاد أن تظهر للقراء وهي تحمل أسوأ المعاني وأبشعها وأظورها بطلانا وفسادا وأدلها على حقارة فكر قائلها وضعف عقله ، ألا تأخذ حكومتنا الرشيدة على يد مثل هذا الكاتب ومثل هذه المجلة ، وهي التي جعلت من أول أهدافها تهذيب الأخلاق والمحافظة عليها وصون عقائد الناس من الإفساد ، ونادت بأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، والإسلام من مثل هذا الهذيان براء .

كنت كتبت مقالا بعنوان (الله) نشر في مجلة نور الإسلام التي يصدرها علماء الوعظ رأيت لهذه المناسبة أن أذكر شيئا منه هنا عسى أن تكون فيه فائدة لمن أراد أزيد أو أراد شكورا - قلت :

الله كلمة إذا ذكرت وجلت منها القلوب، وخشعت النفوس، وانشرحت لها الصدور، واهتزت لها الأرواح، واطمأنت الأفتدة، شعورا منها بعظمة صاحب هذا الاسم وجلاله وكبريائه وحاجة هذا الكون إليه، فهو الأول والآخِر والظاهر والباطن، وهو قيوم السموات والأرض يسكهما أن تزولا .

سبحانك ربى دل كل شىء فى الوجود عليك، وأرشدت كل ذرة منه إليك، خلقت سبع سموات طباقا وجعلت القمر فى نور وزينتها بنجوم ثابتات وكواكب سيارات - وكل فى فلك يسبحون - ونظمها أشكالا مختلفات، فدوائر ومربعات ومثلثات وزويا قائمات ومنفرجات، تهدى بها خلقك فى ليلهم وترشدهم فى سفرهم - وبالنجم هم يهتدون - وخلقت الأرض وجعلتها كفاتا أحياء وأمواتا وجعلت فيها رواسى شامخات وجرت فيها الأنهار وأجريت فيها العذب القرات وأثبت فيها زراعا مختلفا ألوانه متشابها أكله، صببت الماء صبا ثم شققت الأرض شقا، فأثبت فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وجعلت ذلك متاعا لنا ولأنعامنا، وخلقت الإنسان من ماء مهين فجعلته فى قرار مكين إلى قدر معلوم، خلقتة فى بطن أمه خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث، بدأت خلقه نطفة ثم جعلته علقة ثم مضغة ثم جعلت المضغة عظاما فكسوت العظام لحما ثم أنشأته بعد ذلك خلقا آخر فنفخت فيه الروح وأحييته فى بطن أمه ثم تلطفت به فأخرجته من مكان ضيق لا يعلم شيئا فجعلت له السمع والبصر والفؤاد لیسمع ویبصر ویتدبر ویتفكر، ثم أسبغت عليه نعمك ظاهرة وباطنة لا يحصى عددها ولا ينقطع مددها، ومع ذلك عاداك كثير من خلقك بفحدوك وكفروا بك وأنكروك، ظنوك جسما فطلبوك فى سواء الأجسام فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، طلبوك وسط الجواهر فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، طلبوك فى كل شىء وفى كل مكان وزمان فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، فكفروا بك وأنكروك، غشيتهم المادة ووقفت أبصارهم وعقولهم عند حدودها ومعالمها فطلبوك بينها فلم يجدوك، ومحال أن يجدوك، بفحدوك وأنكروك، بحثوا عنك حيث شاءت أهواؤهم فلم يعثروا عليك بفهلوك، وظنوك عدما من الأعدام فأنكروا أن لهم الها خلقهم ورزقهم يحييهم ويميتهم .

ولست أدرى كيف يحجده الجاحد .

تدل على أنه الواحد

وفى كل شىء له آية

وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد الطنبى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

يقظة العرب

العالم العربي اليوم في يقظة ، لا يشك في ذلك إلا مكابراً أو جاهل ، والأمة العربية اليوم في بعث ، ونحن نرى دلائل هذا البعث عن يمين وشمال ، وتبدي لنا مظاهره هنا وهناك وهناك ، ويقظات الشعوب ليست كيقظات الأفراد تتم في لحظة وتذهب في أخرى ، بل يقظة الأمم تكون نتيجة لجهاد طويل وكفاح مرير ، والبعث المعتاد لشعب من الشعوب يحتاج إلى زمن مديد ، فكيف إذا كان هذا البعث بعد غفوة استمرت عدة أجيال ؟ .. لاشك أن زمن البعث في هذه الحالة يكون أبعد وأطول ...

والأمة العربية قد قطعت نحو يقظتها وبعثها طريقاً مليئاً بالأشواق والمصاعب ، بعد أن كانت عوامل التحطيم والتفريق قد تجمعت عليها فنالت منها واستبدت بها ، وبعد أن صارت شخصيتها المعنوية وقوميتها الحقيقية ووطنيتها المتميزة في حكم المهدوم ؛ ولو استنبأنا التاريخ في صبر واستقصاء لأنبأنا عن كثير من هذه العوامل ؛ ولكننا نختصر استعراض التاريخ ، فنجد الحكم العثماني بارزاً بين هذه العوامل ؛ فقد سيطر العثمانيون على العروبة بلا جهاد عنيف أو صراع طويل ، لأن العثمانيين حينئذ كانوا يمثلون الخلافة الإسلامية - وإن أنكر البعث التاريخي عليهم انتقال هذه الخلافة إليهم - والعرب أكثرهم مسلمون ، فدخلوا في طاعة السلطنة العثمانية عن رضى واختيار ؛ إذ كان الشائع يومئذ أن آل عثمان يدافعون عن بيضة الإسلام ، ويمثلون خلافة المسلمين ، اللهم إلا إذا استثنينا « اليمين » التي كانت ترى نفسها أحق بالخلافة من سواها ...

وكان دخول البلاد العربية في السلطنة العثمانية سبباً في أن تذوب شخصية العروبة في هذا الملك المنبسط العريض ؛ ولا غبار على المسلمين إذا طمحوا إلى خلافة تسوسهم وتقودهم ، ولا عيب فيهم إذا أحب كل منهم أخاه ، فالمؤمنون كما يقول القرآن إخوة ؛ ولكن العثمانيين استغلوا هذه العاطفة الدينية استغلالاً سيئاً منحرفاً ، فكانوا يبالغون في الحملة الجائرة على القومية الوطنية ، بدعوى أنها تنافي عالمية الإسلام وأخوته ؛ ولو أنهم في مقابل هذا أشاعوا المساواة والعدالة بين الجميع لكان الأمر وخف وقعه ، ولكنهم فرقوا وميزوا وكالوا بمختلف المكاييل ، فالعروبة عندهم بقرة حلب ، تدر لهم ما يشاءون

عندما يشاءون ، وأخذوا يميزون بين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان الأخرى ، مما كان يوجد في الوطن الواحد طائفتين منفصلتين أو أكثر . . .

* * *

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل شاخت الدولة بعد شباب ، وضعفت بعد قوة ، وانطوت تلك الوقفات الدينية الرائعة بانتصاراتها وذكرياتها ولمعاتها ، وكثرت كتائب الأعداء من أمام ومن وراء ، وانحرف المتأخرون من السلاطين ، فتحكموا واستبدوا وتعسفوا ، وجعلوا يمتصون دماء العرب بحجة الخدمة للدولة العلية دولة الخلافة ، وبحجة الدفاع عن الإسلام والإعزاز لشأن المسلمين ، والله يعلم أين كانت تنفق هذه الأموال ! . . .

وقد تكون هناك عوامل قاسية أخرى تكالبت على السلطنة حتى وقفها ذلك الموقف البئيس ، ولكن الذي لاشك فيه أن الخثالة من سلاطينها أسرفوا في استبدادهم إسرافاً أدى إلى انفجار البركان ، ورب ضارة نافعة ، إذ كان هذا الاستبداد ، وذلك الامتصاص ، وذلك الضعف ، من طلائع العوامل للبعث في العالم العربي .

إذ نبه العيون الغافية ، وأيقظ القلوب النائمة ، وحرك الجنب المشنخة بالجرار ، وأطلق الألسنة الساكنة ، وبغبر براكين الغيظ والتمرد على الاستعباد والهوان ، ودفع بطلائع المجاهدين العرب إلى الجهر بكلمة الحرية ، والدعوة إلى الحصول على الحقوق المسلوبة ، والكرامة المنهوبة ، فأخذت ديار العرب تسمع من يجرؤ فيحرضها على الثورة من أجل الحرية والاستقلال .

وصار أفق العروبة المتأهب للثورة يسمع مثل قول الشاعر اليازجي :

فقد طمى السيل حتى غاصت الركب !
وأنتم بين راحت الفنا سلب ؟ !
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب !

.....
.....
.....
شرقاً وغرباً ، وعزوا أينما ذهبوا ؟
ووجه عزكم بالهون منتقب ؟ !

تنهبوا واستفيقوا أيها العرب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
كم تظلمون ، ولستم تستكون ، كم

.....
.....
.....
ألستم من سطوا في الأرض واقتحموا
فما لكم ويحكم أصبحتم هملاً

و يسمع مثل قول الزهاوى فى الدولة العثمانية المستبدة :

وما هى إلا دولة مستبدة تسوس بما يقضى هواها وتعمل
تفرع بالإعزاز من كان جاهلا وتخفص بالإذلال من كان يعقل

--- --- ---
وقد عبثت بالشعب أطماع ظالم يحمله من جورهِ ما يحمل !!
فتعسا لقوم فوضوا أمرَ نفسهم إلى ملك عن فعله ليس يسأل
فيا ملـكـا فى ظلمه ظل مسرفا فلا الأمن موفور ، ولا هو يعدل
تمهل قليلا ، لا تعظ أمة إذا تحرك فيها الغيظ لا تمهل
وأيديك إن طالت فلا تفر ربهـا فان يد الأيام منهن أطول !!

و يسمع مثل قول الرصافى ، وهو يندد بما كان لأصهار السلاطين العثمانيين
عن رواتب ونعيم :

نعموا فى غضارة الملك عيشا وحملنا من دونهم أنثقاله !!
فاذا ما صال العدو خرجنا دونهم للوغى نرد صياله
وإذا هم جروا الجرائر يوما فعليـنا تكون فيها الجمالة !
وإذا ما استهل فيهم وليد فعليـنا رضاعه والكفالة
فكفينا أصهارهم مؤنة العيد ش ، فكانوا ضغتنا على إباله
تلك والله حالة يقشع الحق منها ، وتسمن العدالة
ليس هذا فى مذهب الاشترا بكة إلا من الأمور المحالة
وهو فى الملة الحنيفية البيضاء ء كفر ربنا ذى الجلالة !!

* * *

ولقد حاول بعض الجهلة من المنتسبين إلى الإسلام أن يجردوا الأمة العربية من كل
فضيلة لها ، ظنا منهم أنه كلما ظهرت الأمة العربية مجردة من هذه الفضائل كان أثر الإسلام
فيها أوضح وأظهر ؛ وإذا صح أن للجاهلية مساوئها وعيوبها ، فكيف يجوز أن نجور فى الحكم
على الأمة العربية بهذه الصورة ، وهى التى اختارها الله لتكون طليعة جنوده فى الأرض ،
وقائدة عباده المؤمنين بين الناس ، وهى التى حملت الدين الحنيف إلى العالمين ، وأسست

المدنية العربية الإسلامية الزاهرة في المشرق والمغرب ، وهى التى نفى الإسلام المجيد تربتها ، فتبدت منها عناصر الخير والبر والجهاد ، وهى التى يقول فيها إمام دعوة الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » ويقول : « بغض العرب نفاق » ويقول : « أحب العرب من قلبك » ويفأخربع وبته فيقول : « أنا سابق العرب » ويقول : « أنا أعربكم ، أنا من قريش » ويقول : « أحبوا العرب لثلاث : لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهل الجنة عربى » ! ! .

* * *

ومما ساعد على البعث العربى الحاضر ، وكان من أسباب قوته واندفاعه ، تخلص المواطنين المسيحيين العرب من سلطان أوربا الذى كان يتخفى وراء سلطات الكنائس الأوروبية الروحية ، ولقد استغلت أوربا هذه السلطة الروحية مرات كثيرة ، وخرجت بها من ساحة العقيدة والآخرة ، إلى معترك السياسة والمطامع الدنيوية ، ولكن المسيحيين العرب تنهوا لما يحاك لهم ويراد بهم ، ولما يضيع عليهم بسبب هذه السيطرة الغربية من حقوق وحرية ومكانة ، فبدأوا يتخلصون من هذه السيطرة شيئاً فشيئاً ، فترجموا الإنجيل إلى العربية ، وخرجوا طوائف من رجال الدين المسيحى من العرب المسيحيين ، وصاروا يرتلون تراتيلهم وصلواتهم وغيرها بالعربية ، وبذلك وأمثاله استطاعت الكنائس العربية أن تتخلص من سلطة الكنيسة اليونانية ، وأن تتخلص كذلك من سلطة فرنسا السياسية المستترة خلف إرسالياتها التبشيرية وتظاهرها بالغيرة على المسيحية ، لأن فرنسا كانت تحاول دائماً أن تظهر بمظهر الحامية للمسيحية فى الشرق العربى ، ولها فى ذلك مآرب أخرى ! .

* * *

ومن عوامل البعث العربى الحاضر تلك الحركات الفكرية والروحية المثارة التى انبعثت فى أرجاء العالم العربى ، فهزته هزات عنيفة ، جعلته يتبصر ما أمامه وما خلفه ، وجعلته يتلفت حواله ليعرف أين هو من ركب الدنيا وموكب الأحياء ، فثورة المجدد الإسلامى محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمال الدين الأفغانى وتلميذه : محمد عبده ورشيد رضا ، وكتاب « أم القرى » لعبد الرحمن السكواكى ، وكتاب يقظة العرب لنجيب عازورى ، وغيرهما من الكتب المثارة المضطربة بنار الغيرة على ماضى العروبة وحاضرها ومستقبلها . . .

هذه الدفعات وأمثالها هنا وهناك كانت عوامل قوية لتحقيق ذلك البعث القوى الذي نشهد دلائله الآن . . .

* * *

ولو أردنا استعراض العوامل عاملا عاملا لامتد سبب الحديث ، فحسبنا أن نشير إلى طائفة من هذه العوامل ، كالعناية بنشر اللغة وتدريسها ، وبعث التاريخ العربي الصحيح ، وتفهم القومية العربية على وجهها السليم ، وإنشاء المدارس العربية لصعد طغيان المدارس « الإرسالية والتبشيرية والأجنبية » ، وعقد المؤتمر العربية لبحث أمور العرب ، وفي طليعة تلك المؤتمرات المؤتمر العربي بباريس سنة ١٩١٣ ، وأمره مشهور غير مجهول ، وطغيان القائد جمال باشا السفاح ، وحوادث الشنق التي أودت بطائفة من زعماء العرب ، واشتعال الثورة العربية سنة ١٩١٦ ، وحسن التفاهم والتعاون بين العرب المسلمين والعرب المسيحيين ، وخنقهم العصبية الدينية ، ثم خيانة إنجلترا وفرنسا الفاحشة وغدرهما بحقوق العرب وعهودهما للعرب عقب الحرب العالمية الأولى ، ثم حركات الثورة والتحرير التي قامت هنا وهناك وهنا لك في مختلف أجزاء الوطن العربي ؛ كل هذه كانت عوامل قوية في انفساح الطريق أمام البعث العربي الحاضر . . .

* * *

ولا ننسى العوامل المساعدة أيضا مثل توسع وسائل الانتقال والمواصلات ، وتنظيم الرحلات والتزاور بين أبناء العروبة ، وتأثير الصحافة والإذاعة والأدب والمسرح والسينما ، ثم البحوث والمحاضرات والقصائد الدائرة حول القومية العربية ومكانة العرب ، ثم الجمعيات العربية المختلفة ، ثم جهود الحكومات العربية المختلفة ، ثم جامعة الدول العربية وما بذلته من جهود ثقافية وسياسية . . . كل هذه العوامل ساعدت البعث العربي على الاندفاع إلى الأمام . . .

واليوم - والعرب يتطلعون إلى غد أسعد وأفضل - يجب عليهم أن يتعرفوا معالم طريقهم جيدا ، وأن يحددوا أهدافهم بدقة وبصيرة ، وأن يتلاقوا في صدق وإخلاص على تلك الأهداف ، وعلى الله تحقيق المطالب ! . . .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

الاسلام والغرب

وجها لوجه

أثناء الحرب العالمية الأولى كان الجنرال «النبى» القائد الإنجليزى يقود الجيش الذى يحارب به الأتراك فى الشام ، وحين استطاع أن يهزم الجيش التركى ويدخل مدينة «القدس» قال تصريحه المشهور : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .

لقد تذكر القائد الإنجليزى أن أجداده الغربيين حاولوا الاستيلاء على هذه المدينة المقدسة والاستقرار فيها ، ولكنهم عجزوا وطردها من الشرق الإسلامى شرطردة ولم يستطيعوا أن يحققوا أحلامهم ، فرجعوا إلى أوروبا خائبين ، وظلت مرارة الخيبة فى نفوسهم ، ونار الحقد على المسلمين المنتصرين تأكل قلوبهم يتوارثها جيل بعد جيل ، حتى انتصر جيشهم فى الأرض التى طردوا منها ، واستولى على القدس بعد قرون ، فقال القائد الإنجليزى هذه القولة التى نمت عن الحقد الدفين ، وهمل الغرب وهنأ القائد المنتصر على الجيش التركى ، وعدوا ذلك انتقاما لما حل بهم من هزيمة منذ قرون . . .

وحين انتهت الحرب بانتصار الغرب على ألمانيا وحليفاتها تركيا ، وقسمت الدول المنتصرة الغنائم ، كانت سوريا من نصيب فرنسا ، فذهب إليها الجيش الفرنسى ليجتزلها ، ولكن السوريين قاوموه وكبدوه خسائر فادحة وإن يكن قد انتصر إلى حين . ولما دخل الجيش الفرنسى «دمشق» تذكر قائده كما تذكر زميله الإنجليزى «النبى» أن أجداده المتعصبين جاءوا إلى هذه الأرض الإسلاميه ليستقروا فيها ، ولكن صلاح الدين الأيوبى طهرها منهم وطردهم ، وكان الحقد يأكل قلبه هو الآخر فلم يتمالك نفسه من الذهاب إلى قبر البطل الراقد «صلاح الدين الأيوبى» لا ليجييه كما يحبى بطل بطلا وكما هى عادة الأبطال الشرفاء ، بل ليتشغى ويرضى ما فى نفسه من حقد ، فقال مخاطبه وكأنه حى أمامه : « لقد عدنا يا صلاح الدين » قال هذا وهو يعرف تماما أنه يخاطب بطلا قد مات منذ قرون بعد ما طرد الفرنسيين وغيرهم من أرض الشرق وكان نبىسلا فى معاملتهم .

وما كان هذا القائد الفرنسى النافه ليستطيع أن يقف أمام صلاح الدين ويقول له هذا القول

لو كان صلاح الدين حيا، بل كان يفر كأجداده الذين فروا من قبل . . وليست هناك نفس سليمة شريفة تستسيغ ما فعله هذا القائد الفرنسي الذى يتحدى عظميا في قبره ، وإن يكن التحدى للذين ورثوا الأرض بعد صلاح الدين . ولكن هذا القائد أعطى هؤلاء الورثة الغافلين الدليل الحى على أن الغربيين لا يزالون يعيشون ويتصرفون مع الشرق بنفسية الخاقد المنتقم من المسلمين الذين هزمهم أجدادهم على يد صلاح الدين وغيره من حكام المسلمين في مصر . . وكان كرميله القائد الإنجليزي صورة من صور هذا الغرب المتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، وكانا قائدين من أمتين زعمتا ولا تزالان تزعمان أنهما بعيدتان عن التعصب ضد الشرق والإسلام وأنهما صديقتان للمسلمين ، ولكنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون .

إن علينا أن نفهم تماما أن الغرب يسيطر عليه في تصرفاته مع الشرق عاملان - أولهما - روح التعصب والحقد على الإسلام - وثانيهما - الخوف على مصالحهم من نهضة الإسلام .

إنهم يعرفون جيدا أن المسلمين كان لهم ماض مجيد ، وقد حكموا العالم قرونا متطاولة، وأن دينهم لا يرضى لهم الذل والهوان ، ولا يجب لهم غير العزة والسيادة ، وأن دعائهم الآن يحاولون أن يبعثوا فيهم هذه الروح ليستعيدوا مجدهم الغائب ، ولو وصلوا إلى ما يريدون من مجد وقوة فسوف لا يكون للغرب سيطرة على الشرق ، وسوف يحرم الغرب من خيرات الشرق التى يعيش عليها الآن وينعم بها ، ويعود البريطانيون مثلا إلى جزيرتهم يصبطادون السمك ، ويأكلون الشعير الذى تنتجه جزيرتهم ، ويصبجون - كما قال وزير الملك الهندي المسلم « جهانكير » - شعبا بألسا يسكن جزيرة صغيرة يحكمها ملك صغير [١] .

يعرف الغرب هذه الحقيقة ، ولهذا يقف للشرق بالمرصاد ، ويعمل على الحيلولة بينه وبين النهوض بشتى الوسائل ، ويضغطون على الصمام حتى لا يخرج العملاق من القمقم ويعود إلى السيطرة من جديد ، وهم يتبعون في تحطيم قوى الشرق كل الطرق ... فهم

(١) قال الوزير الأول - هذا القول لمثل الانجليز في الهند حين طالب منه أن يكتب الملك المسلم « جهانكير » رسالة يحملها لسيده ملك انجلترا فقال : لا يليق بملك عظيم مثل جهانكير أن يكتب لملك صغير يحكم جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بألسون . كما جاء في « حضارة الهند لجوستاف لوبون »

يسلطون معاول المبشرين والمستشرقين لخدمة المعانى والروح الدينية فى نفوس المسلمين ، ولإبعادهم عن فهم دينهم فهما صحيحا حتى يظلوا بعيدين عن تأثيره السحري فى نفوسهم .

وهم يستعملون نفوذهم فى البلاد الإسلامية التى يحكمونها ، لكنى يجعلوا برامج التعليم بعيدة عن روح الدين ، ليشب المثقفون المسلمون جاهلين بدينهم فيسيثوا الظن به ، ويتقبلوا كل طعن عليه ، وربما صاروا بعد ذلك حربا عليه ، مؤيدين بسلطة الاستعمار التى تؤيد كل خارج على دينه ، وتغدى عليه الخيرات ، وتشجعه على الماضى فى طريقه الضال ، حتى يشكك المسلمين فى دينهم .

وقد كان من نتيجة هذا ما نراه اليوم من تكوين جيل مسلم مثقف ثقافة مدنية خالصة يعرف كثيرا عن الغرب ونهضته ورجاله ، ولا يعرف شيئا عن الإسلام وتاريخه وأمجاده ، وإذا عرف فمعلومات مشوهة تدعوه إلى السخرية بالإسلام والقبرؤ من المسلمين .

ولست هذه المدارس والمؤسسات الصحفية الغربية التى يتنافس الغربيون فى إقامتها فى كل مكان فى الشرق إلا أساليب قوية ووسائل عملية لتوصلهم إلى الهدف الذى يريدون ، وقد عرف الناس أن المبشرين دائما هم طلائع الاستعمار ورواده فى كل مكان .

وفى المجال السياسى يحرص الغرب على استعباد المسلمين خاصة والشرقيين عامة ، ويحول بينهم وبين وسائل النهوض والاستقلال باللين والدهاء ، أو بالقوة والعنف ، بينما نجد دولا فى الغرب متمتعة باستقلالها وهى أقل شأنا من الأمم الشرقية التى يحرص الغرب على استعمارها ، ونظرة إلى ما يجرى فى البلاد الإسلامية التى يستعمرها الانجليز والفرنسيون أو غيرهما تعطيك الدليل فى جلاء ووضوح .

فالجزائر تلك الدولة الإسلامية العربية التى كانت قوتها ترهب الغرب فى البحر الأبيض المتوسط انتهز الفرنسيون تحطيم أسطولها مع الأسطول المصرى والتركى أمام أسطول الدول الغربية مجتمعة فى البحر الأبيض أيام مجد على وتصنعوا الأسباب لاحتلالها عام ١٨٣٠ م ، ولكن كانت هناك الدوافع النفسية المتعصبة ضد الإسلام كما ينطق بذلك تقرير وزير حربية فرنسا الذى رفعه للملك شارل العاشر ببربه مبادرة حكومته لاحتلال الجزائر « أخذنا بثأر الإهانة التى لحقت ممثل فرنسا ، وإرضاء للمسيحيين ، وذلك بأبادة المسلمين أشد أعدائهم طغيانا » . ويلاحظ أن سلطان الجزائر كان قد أقرض فرنسا قبل ذلك أموالا

أنقذتها من ورطتها المالية . . فتصوروا رد الجميل ، ويقول في تقريره أيضا : « مولاي إنها المشيئة الإلهية التي قضت بأن ينادى سليل القديس لويس ليأخذ بالثار » . والقديس لويس في نظرهم هو لويس التاسع الذي أسره المسلمون في المنصورة ثم أطلقوا سراحه بعد دفع فدية من المال . وفي طريقه إلى فرنسا أراد أن يظهر بمظهر البطل فخرج على المسلمين في الجزائر ، ولكنهم قتلوه بعد أن هزموه ، فصار في نظرهم « القديس لويس » الذي يريدون أن يغسلوا عار الإهانة التي لحقت به ، وينتقموا من المسلمين الذين هزموه وهم يدافعون عن بلادهم ، ثم يستطرد التقرير فيقول : « وليغسل عار الإهانة التي لحقت به هو بالذات ، وليقتصص للذين وللإنسانية . . » ويقول قائد الحملة التي احتلت الجزائر موجها كلامه لرجال الدين المرافقين للجيش : « لقد جئتم لتعيدوا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية إلى أفريقيا (١) » . .

وهكذا يحرك التعصب ضد الإسلام هذه الجيوش لكي تحتل بلادا مسلمانا وتعمل على إبادة أهله من المسلمين . . ولئن كان هذا قد نطقت به تقاريرهم وألسنتهم منذ أكثر من قرن ، فإن فيما تحدثوا به ودونوه في صحفهم في هذه الأيام ما ينطق تماما بأن القوم هم هم ، لم تغير نفسيتهم ، ولم تهذبهم حضارتهم . فإن « جورج بيدو » وزير خارجية فرنسا في سنة ١٩٥٣ يقول غداة خلع سلطان مراکش حين صارحه بعض الصحفيين باستنكار هذا التصرف في بلد مسلم في اليوم الذي يحتفل فيه المسلمون بعيدهم الأكبر - يقول ردا على هذا الاستنكار :

« يعز عليّ أن أرى الغلبة للهلال على الصليب ، فدعوني - أيها السادة - أحلم ببيت المقدس » وهكذا تطفح الأحقاد الموروثة على لسان وزير خارجية لدولة علمانية دون مبالاة . . فيبقى بهذا التصريح على ملاّ من الصحفيين الذين ينشرون كل ما يسمعون !! بهذه الروح احتلت فرنسا الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ ، أي منذ مائة وثلاثين عاما تقريبا ، وهي دائبة على محو عربتها وإسلاميتها ، وأهلها دائبون كذلك على الجهاد والتضحية ليسيّ لهم إسلامهم وتبقى لهم عربتهم . . ولا تقف لهم فرنسا وحدها ، بل يقف معها حلف شمال الأطلسي الذي أعد ليقف أمام روسيا !! فلماذا يتجمع الغرب كله ضد الشعب المسلم المكون من أحد عشر مليونا والذي يدافع عن أرضه وتراثه وحقه في الحياة ؟ ! لا نعرف سببا لذلك إلا الرغبة في التحكم واستغلال هذا الشعب وإذلاله . . لقد كتب بعض

كتاب فرنسا الأحرار بعد أن اشتمازت نفوسهم من أساليب دولتهم الغاشمة وقالوا : هل كان يرضى زعماء العالم الغربي عما يجري في الجزائر من تقتيل المسلمين وتدمير بيوتهم لو كان شعبها شعبا مسيحيا لا مسالما !!!

ولقد ذكرنا هذا القول بموقف الغرب مع اليونان ليساعدها على التحرر من حكم الأتراك ، فقد تجمع الغرب كله على تركيا في صف اليونان وقام شاعر الإنجليز يستحث الغربيين بقصائده ويثير فيهم العصبية ضد تركيا . وفعلًا تحررت اليونان وأصبحت دولة مستقلة . . ولا يقل أى شعب مسلم من الشعوب المضطهدة الآن عن اليونان ، ولكن الفرق أن هذا مسلم ، وذاك مسيحي . . هذا يجب استعباده واستغلاله وكنتم أنفاسه حتى لا يستيقظ للصوم ، وذاك شعب أوربي يجب أن تعطى له حريته ، ولو كانت هذه الحرية في استعباد الشرقيين !!

وقد نشرت مجلة « لايف » الأمريكية تحقيقا صحفيا عن الجزائر وكُتبت تقول : إن الفرنسيين يقولون . . كان يجب أن نصنع مع المسلمين ماصنعت أمريكا بالهنود الحمر نقتلهم . . !! (١)

وهذا وزير فرنسي يقف في برلمانهم يقول بأعلى صوته : إننا لا نسمح لرجل من الشرق مثل جمال عبد الناصر أن يقف في وجه أوروبا ويحطم نفوذها !!
المسألة إذن مسألة نفوذ أوروبا على الشرق والخوف من ضياعه !!

والذى جرى لفلسطين هو مثل آخر من أمثلة محاولة الغرب إذلال المسلمين وكسر شوكتهم . فلقد تأمر الغرب كما هو معروف على شعب عربى مسلم وأخرجته من بلاده وأملاكه ، وتركه مشردا ينظر من بعيد إلى بيته وحقله يتمتع عدوه بهما وهو محروم حتى من القرب منهما . .

والإسلام والمسيحية قريبان . . والمسلمون لا يحرقون عيسى ولا يتهمون أمه بالزنا كما فعل اليهود ، ولقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام ولكن الله أنجاه من كيدهم ورفعاه إليه . . والقرآن الكريم يحمد عيسى وأمه ويدافع عنهما ويرى ساحتهم من اتهامات اليهود . . فكان من منطق النفوس السليمة المبرأة من الهوى أن يتقارب المسلم والمسيحي وأن يكونا في وجه اليهود المعتدين .

(١) نقلته وعلقت عليه مجلة التحرير بقلم الأستاذ محمد صبيح .

ولكن هذا المنطق السليم انعكس واختفى تماماً أمام منطق المصالح الذاتية للغرب ، وأمام خوفه على لقمة الزبد التي عرف طريقها منذ أن عرف طريقه لاستغلال الشرق . انعكس هذا المنطق السليم لأن الغرب يخشى أن تقوى الدول الإسلامية ، وهي تملك ذخائر البترول والمواد الخام للغرب فتحرمه منها ، فكان لابد له إزاء هذا الخوف أن يضع هؤلاء الأفاكين اليهود في قلب العالم العربي الإسلامي ليشغله بهم ، ويجعلهم شوكة وحرية يطعنه بها متى أراد ..

وتلك وصمة العالم الذي سمي نفسه زورا وتبحرا بالعالم الحر .. وليس له من معنى الحرية السامية نصيب ، اللهم إلا إن كانت حرية في سلب أموال الناس وحریاتهم !!

والآن يتجمع هذا الغرب أيضا - وفرنسا وإنجلترا في مقدمته - يتجمع بأساطيله وقواته البرية والجوية والبحرية أمام مصر ، ويسلط صحفه وإذاعاته على قائد مصر ونفر الشرق الرئيس جمال عبد الناصر لماذا ؟ ؟ لأنهم أحسوا أن الرئيس جمال يتبع سياسة مستقلة ، ويريد النهوض بشعبه والشعوب العربية والإسلامية لتنفض عنها غبار الماضي ، وتحطم قيود الذل التي يضعها الغرب في عنقها ، لأنهم رأوا جمال يعمل على تقوية مصر وجيشها وعلى توفير الخيرات لشعبها ، ويسلك في هذا سبلا لا يرضونها ، ليجعل من مصر وشقيقاتها العربية المسالمة قوة لها شأنها في ميزان القوى في هذا العالم .. وفي هذا خطر محقق على الغربيين ؛ لأن معناه القضاء عليهم وعلى سيطرتهم وسلبهم ونهبهم من الشرق .. فيجب إذن أن تجند كل القوى الغربية لتحطيم هذا المارد الذي خرج لهم من مصر .. قال الإنجليز عنه : إنه عدوهم الأول .. في العالم .. وقال الفرنسيون : إنه الذي يقود حركة التحرير في المغرب ضد فرنسا .. وقال الإنجليز : إنه الذي يحرك شعوب المستعمرات ضدنا .. وماذا في هذا عند أصحاب الشرف والحق ؟ !

إن هذا شرف يفتخر به جمال وتفتخر به مصر والشرق .. ولكن متى عرف الغرب الشرف أو صادق الشرفاء الأحرار ! إنه لا يعرف إلا الخونة ولا يصادق إلا الأشرار .. الذين يشاركونه في لصوصيته وجرائمه ضد الشعوب البريئة !!

لقد قالت صحف الغرب وصحف ربييته إسرائيل : إن جمال عبد الناصر يريد أن يعيد في الشرق تاريخ صلاح الدين الأيوبي .. وهم يعرفون جيدا ما فعل بهم صلاح الدين ، وهم لهذا يحاولون التخلص من صلاح الدين القرن العشرين . أما نحن فنعرف أيضا

صلاح الدين . ولهذا نضع أرواحنا في كف جمال ، صلاح الدين القرن العشرين . .
ليعيد لنا مجدنا الغائب . .

إن الموقف الآن هو بين الشرق والغرب ، لا بين مصر وبريطانيا ، هو موقف فاصل
بين عهدين : عهد النفوذ المطلق للغرب في الشرق ، وعهد اليقظة في الشرق ليرسم بنفسه
الطريق الذي يؤمن سيره وحياته . . ولولم يرض الغرب . . ومن أجل هذا يغضب
الغرب ، ومن أجل هذا أيضا يقف الشرق صفا واحدا مع مصر . . يقرب الفجر الحديد
الذي بدأ يطل عليه بنوره الوضاح . . لتشرق بعده شمس جديدة على الشرق
القوى العزيز . .

إن الشمس التي تشرق من الشرق كل يوم لاتزال تلح علينا أن نشرق معها كذلك
على العالم . . ولن يكون ذلك إلا إذا فهمنا رسالتنا ، وفهمنا وضعنا في العالم ، وعرفنا
أساليب القوة في الحياة ؛ لتتغلب على قوى الشر ، ونحرس رسالتنا في الحياة : رسالة النور
والخير والسلام . .

إن المجد الذي غاب عنا قرونا قد بدأ يطل علينا من جديد . . فلنبذل في سبيله
القرايين من أموالنا ودمائنا وكل عزيز لدينا . . لنعيش في شرقنا أعزاء وتعيش معنا
كل الشعوب سعداء كرماء .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقل عسى أن يكون قريبا

ديوبند ، (سهارانپور)

عبد المنعم النمر

عضو بعثة الأزهر والمؤتمر الإسلامى فى الهند

صفحات من البطولة في الاسلام

العرب قوم جبلوا على الشجاعة والمروءة والإقدام ، وقد حفظ لنا التاريخ من قصصهم وأخبارهم في هذا الباب العجب العجاب . ولأمر ما اختار الله خاتم رسله من العرب ، لما كانوا عليه من الفضائل والخلال التي تؤهلهم للدفاع عن الإسلام وتبليغ رسالته إلى الناس عامة عربهم وعجمهم . ولما جاء الإسلام نعى فيهم فضيلة الشجاعة والإقدام ، ونحى بهم فيها منحنى الدفاع عن الحق والخير والعدل . ونشر لواء الأمان والمثل الإنسانية الرفيعة ، فبعد أن كان العربي يقاتل حمية وعصبية أو طمعا في مغنم أو جاء أو سلطان أو ليرى الناس أنه شجاع مغوار ، أصبح يقاتل دفاعا عن عقيدة صحيحة ودين قويم امتزجا بلحمه ودمه ، وطمعا في مرضاة الله ورسوله ، ومسارعة إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وقد استفاضت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بهذه المعاني الكريمة قال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » [١] . وقال عز شأنه : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » [٢] وقال : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » [٣] .

ولم يرد الأمر بالقتال في القرآن الكريم إلا مقرونا بكونه في سبيل الله ، وما سبيل الله إلا طريق الإسلام ، وهى طريق الحق والعدل والخير .

وفي الحديث الصحيح الذى رواه البخارى أن رجلا سأل رسول الله صلوات الله

(١) سورة الحج الآية ٣٩ - ٤٠ (٢) سورة النساء الآية ٧٤ (٣) التوبة الآية ١١١ .

وسلامه عليه عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل ليرى مكانه، أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال المشرع الحكيم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله». فلا عجب - وقد رفع الإسلام من شأن الجهاد فى سبيل الله - أن كان للبطولة فى تاريخ المسلمين قصة واقعية مشرفة، تنم عن عظمة النفس وسموها وما كان عليه هؤلاء القوم من التضحية بالنفس والمال فى سبيل الدفاع عن العقيدة ودفع الظلم والعمل على تثبيت دعائم الحق والعدل ونشر السلام، فلا يفتن أحد فى دينه، ولا يظغى قوى، ولا يتجبر غشوم، ولا يذل ضعيف، ولا يسام الخسف والهوان رقيق.

وليست البطولة قاصرة على مواطن الحرب والطعان، ولا على أصحاب الأجسام الفارعة والقوة الخارقة، وليكنها تكون فى رأى والاعتزاز به، والمجاهرة بالحق والانتصار له والثبات عليه مهما تآزرت قوى الشر والباطل، وقد تكون من ضعيف فى بدنه قوى فى نفسه، ولا تكون من قوى فى جسمه خائر فى عزيمته، وإذا اجتمعت القوة البدنية والقوة الروحية والنفسية لشخص فقد استحوذ على البطولة من جميع جوانبها.

أما أول سطر كتب فى سجل البطولة الإسلامية فهو ما سجله التاريخ على صفحاته الغربمباد من الفخار والإعظام لصاحب الرسالة العظمى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يوم تألبت قريش عليه وعلى صحبه القلائل، وجاءوا إلى عمه وناصره أبى طالب يحملون الضغن وقطيعة الرحم والمناجزة بالحرب فقالوا: يا أبا طالب، إن لك فىنا منزلة وشرفا، وقد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا لا نصبر على هذا. فأما أن تسكفه أو ننزله وإياك، وعز على أبى طالب فراق قومه وهو على دينهم كما عز عليه أن يسلم إلىهم ابن أخيه، فأرسل إلى رسول الله وأخبره بمقالتهم وقال له: فابق على وعلى نفسك ولا تكلفنى من الأمر ما لا أطيق. وفى هذه البرهة التى توقف عليها مصير الإنسانية، ووجد الرسول فيها عمه كأنه خاذله وحوله أتباع لا يكادون يدفعون الأذى عن أنفسهم سواء فى ذلك أشرافهم وغير أشرافهم، قال بطل الأبطال قولته الخالدة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خنفته العبرة مصحما على تبليغ رسالة ربه، فإ كان من شيخ قريش أبى طالب ألا أن وقف مشدوها أمام هذه العظمة النفسية والبطولة الحقة والإرادة القوية التى لا تقهر، فنادى على ابن أخيه وقد بهره ما رأى وما سمع، وقال له: «قل يا بن أخى ما أحببت فلن أسلمك إليهم أبدا».

فهل علمت - أيها القارئ الكريم - في باب البطولة أروع من هذا المثل وأسمى ؟ ؟
ولم تقف بطولة الرسول صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد من عظمة النفس وقوة الروح
والشجاعة في الرأي، بل كانت له مواقف ومواقف في مواطن الحرب والنزال أشاد بها
الشجعان الكواسر والأبطال المغاوير، فهذا فتى الفتيان وسيد الشجعان على كرم الله وجهه
يقول : « إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحلق اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو أقرب بنا إلى العدو » ويقول ابن عمر رضي الله عنهما : « ما رأيت أشجع ولا أنجس
ولا أجود ولا أرحم من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويقول أنس رضي الله عنه :
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس ، لقد فرغ أهل
المدينة ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم عليه الصلاة والسلام راجعا قد سبقهم إلى الصوت
وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيوف في عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » .
وهل ينسى التاريخ موقفه صلى الله عليه وسلم في أحد وقد فر بعض الكفاة والشجعان وثبت
هو مع ثلثة قليلة من صحبه يقاوم جحافل الشرك ويصد أنصار الباطل ويحمي حمى العقيدة ؟
بل هل ينسى التاريخ موقفه المشرف يوم حنين ، إذ أعجبت المسلمين كثرتهم فلم تغن
عنهم شيئا وضائق عليهم الأرض بما رحبت ثم ولوا مدبرين . لقد وقف في هذا اليوم على
بغلته البيضاء وجموع المنهزمين قد ضاقت بهم السبل وهو ينادى : « إلى عباد الله ، إلى
عباد الله » فما لبثت فلول المنهزمين أن ثابت إلى رشدها، وتجمعوا حول النبي صلى الله عليه
وسلم، وشرعوا يقاتلون الأعداء ، حتى حصلوا على النصر بعد الهزيمة ، ومن يدرى ؟ فلولا ثباته
صلى الله عليه وسلم في أحد وحنين لكانت الهزيمة منكرا ، ولربما تغير مجرى الحوادث
وأنت الرياح بما لا يشتهي السفن .

لقد كانت هذه الصفحات المشرقة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مدرسة تأدب
بتعاليمها المسلمون ؛ وتخرج في رحابها أصحابه الأجلاء ، وقد عرف التاريخ الصادق للكثيرين
منهم البطولة الفذة والذكر الخالد والأثر العظيم في كسر أغلال الشرك وإزالة رِق العقول
ونشر رسالة الإسلام وإشاعة الحرية والأمان بين الناس ، ولا يتسع مقالى اليوم للتحدث
عن تلاميذ هذه المدرسة المحمدية الفاضلة ، فألى مقال آت إن شاء الله ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

الاسلام ومشا كل المجتمع :

ثورة الاسلام

على الفقر واحتكار الاموال

- ٢ -

إن الإسلام يجمع محاسن النظم كلها ويتجافى عن عيوبها ، ويشتمل على كل ماتمس إليه حاجة الناس في أى مكان وأى زمان ، فهو يقرر الملكية الفردية ونظام الدرجات وحق الميراث ، ليتم التعاون بين الناس ويقوم كل منهم بواجبه في الحياة على أتم الوجوه ، قال الله تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) . ولكنه مع ذلك نظم موارد الملكية وحدد أبواب الكسب بما يتفق ومصلحة المجموع ، فحصر أبواب الملكية في ثلاثة أشياء ، وهى الزراعة والتجارة والصناعة ، ووضع لكل منها قواعد إذا روعيت كان فيها صلاح الفرد وصلاح المجتمع ، ودفع الناس إلى طلب الرزق من هذه الموارد المحدودة بكلتا يديه ، ونظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على وجه لا يوجد فى أرقى النظم والقوانين ، قال الله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

وروى الطبرانى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يحب المؤمن المحترف) وروى الطبرانى فى المعجم الكبير عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى الكسب أفضل ؟ قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » . ومما يشير إلى واجب العامل قوله تعالى : (إن خير من استأجرت القوى الأمين) ومما يشير إلى حق العامل ما رواه ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) وروى البخارى فى حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم) كما كلف الإسلام الدولة بفتح ميادين العمل للقادرين عليه ، يدل

على ذلك صنيع النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض السائلين حيث جاءه بقدم وشد فيه بيده الشريفة عودا من خشب، وأمره أن يجمع الخطب من الخلاء ويبيعه للناس، ونهاه عن السؤال والتكفف على ما رواه الترمذى وغيره عن أنس رضى الله عنه، وكما حث الإسلام على كسب المال من هذه الموارد المشروعة حذر من طلبه من غير هذه الموارد حماية للمجتمع، وشرع من الوسائل ما هو كفيل بتحقيق هذا الغرض، فنهى عن الطمع ورغب في الزهد قال الله تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل جملة وتفصيلا، قال الله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ونهى عن الربا والغش في التجارة والتطفيف في الكيل والوزن والتلاعب بالأسعار واحتكار الأقوات لبيعها في السوق السوداء، ونهى عن الرشوة وغير ذلك من أنواع أكل أموال الناس بالباطل أى أخذها بغير طريق شرعى. ومما جاء في تحريم الربا قول الله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) فهذه الآية صريحة في تحريم الربا بجميع أنواعه، فلما يقال في تبرير ربا الانتاج من أن الحاجة إليه ماسة في هذا العصر لقيام المشروعات ونهوض الصناعات وأنه لا يترتب عليه ضرر للأخذ، يجاب عنه بأنه يمكن الاستعاضة عن الربا بتكوين الشركات والمساهمة في المشروعات، وأن ضرره لا يقتصر على الآخذ ولكن بطريق غير مباشر، وفي اختلال التوازن المالى خير شاهد، ومما جاء في تحريم الرشوة ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: (لن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما) وبلغ من مطاردة الإسلام للرشوة أنه شرع مصادرة الأموال التى تظهر فى يد صاحبها بغاوة ولم يعرف لها سبب مشروع، ويغلب على الظن أنه استغلها بحكم منصبه أو بأى وجه من وجوه الحرام، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن اللثبية عند ما ولاه على صدقات بنى سليم، وكما فعل عمر مع أبي هريرة حين ولاه على إمارة البحرين، وبهذا سبق الإسلام جميع النظم إلى وضع قانون الكسب غير المشروع.

ومما جاء في تحريم الاحتكار ما رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الجالب مرزوق والمحتر ملعون). وأمر التطفيف والسرقة وغيرهما من أنواع أكل أموال الناس بالباطل أظهر من أن يخفى، وكما حدد الإسلام موارد الكسب نظم طريق الصرف وإنفاق الأموال، فأمر بالاقتصاد، ونهى عن الإسراف والتقتير قال الله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) كما شرع الله الحجز على السفهاء يؤخذ به من لم يؤثر فيه الإرشاد.

وإلى جانب هذا حجب الإسلام في الغنى ونفر من الفقر ومدح المال وذم السؤال، كل ذلك ليحصى المجتمع من حبس المال وإنفاقه فيما لا يفيد، ولم يهمل الإسلام أمر العجزة والضعفاء الذين لا يقدرّون على الكسب، فهم جزء من الأمة يجب عليها رعايتهم

وقد بدأ الإسلام عنايته بهم بحثهم على الصبر والرضى بما قسم الله لهم ريثما يأخذ بيدهم بالوسائل المادية، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) ثم من كان له قريب موسر من الأصول أو الفروع حمله إياه فيما يعرف في الفقه الإسلامي بالنفقات، ومن ليس له قريب موسر حمله للهيئة الاجتماعية، وفتح لذلك عدة موارد أهمها الزكاة جعلها الله أحد أركان الإسلام فليست بفرع ولا نافلة، وجعل ما يعطاه الفقير منها حقا لا منحة ولا تفضلا حتى يحفظ للفقير كرامته، ونظم قواعدها على وجه يكفل مصلحة الفقير والغنى على السواء، وجعل للدولة الإشراف على تنفيذ نظامها ولو بالقوة، وإلى جانب الزكاة فتح الإسلام جملة موارد منها الوقف والوصية وإكرام الضيف وصدقة التطوع وزكاة الفطر والأضاحى والكفارات والتذوق ونحو ذلك مما يتصل بمصلحة الفقراء، وإلى جانب هذا كله قرر تخصيص جزء من بيت المال للإنفاق منه على بعض الطوائف كالزمنى والعجزة والشيخوخ، كما فعل عمر مع الذمي الذي رآه يتسكف الناس حيث قرر له معونة شهرية من بيت المال وقال له: (ما أنصفناك أيها الذمي، أخذنا منك الجزية في حال قوتك ثم أضعناك في حال شيخوختك) وبهذا سبق الإسلام جميع النظم إلى وضع مبادئ الضمان الاجتماعى الذى نادى به السيروليم بيردج.

والقاعدة العامة التى تدور عليها سياسة الإسلام المالية نشر العدالة بين أفراد المجتمع والتقريب بين الطبقات، ومكافحة تركيز الثروة حسبما يشير الله تعالى إليه في آية النهى إذ يقول: «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم»، ومما يتصل بذلك قانون الميراث الإسلامى ومنع تفضيل بعض الأولاد على بعض في الهبة، حيث يتضمن ذلك توزيع الثروة بين أكبر عدد ممكن من الورثة وعدم تركيزها في يد بعض الأفراد، وذلك لأنه وإن كانت المساواة المادية لا تصلح أساسا للحياة الاقتصادية فإن التفاوت الكبير بين أفراد المجتمع لا يصلح كذلك، كأصابع اليد لا تؤدي وظيفتها إلا بما هي عليه من التفاوت المحدود، أما إذا تساوت أو زادت نسبة التفاوت بينها عن الحد المعقول كأن يكون بعضها مترا وبعضها بضعة سنتيمترات فإنها لا يمكن أن تؤدي وظيفتها.

ومن هنا يتضح أن موقف الإسلام من الفقر موقف العداء ، وأنه أعلن عليه غارة شعواء ، وهذه الحملة تهدف إلى حصره في أضيق الحدود لا إلى القضاء عليه كل القضاء ، لأن وجوده على وجه معقول من لوازم الحياة .

وتمثل ثورة الإسلام على الفقر في ناحيتين : ناحية دفاعية وناحية هجومية ، وتمثل خطة الدفاع في ناحيتين ، الدفاع ضد الفقر الذى ينشأ من أسباب شخصية ، والدفاع ضد الفقر الذى ينشأ من أسباب اجتماعية ، وخطة الهجوم موجهة إلى الفقر الناشئ من أسباب طبيعية ، ذلك أن أسباب الفقر مهما تعددت وتنوعت تنحصر في ثلاثة أنواع : أسباب شخصية ترجع إلى سلوك الشخص نفسه كالإسراف والسكسل ، وأسباب اجتماعية ترجع إلى المجتمع ويذهب ضحيتها بعض الأفراد ، وأسباب طبيعية لا دخل فيها للفرد ولا للمجتمع كالمرض والشيخوخة والجوائح العامة ، وبالتأمل في تعاليم الإسلام يتبين أنه تتبع أسباب الفقر وأعد لسكل منها ما يناسبه

فأعد للفقر الناشئ من أسباب شخصية الحث على العمل والنهي عن الإسراف والتبذير والتجيب في الغنى والتنفير من الفقر .

وأعد للفقر الناشئ من أسباب اجتماعية تحريم أكل أموال الناس بالباطل جملة وتفصيلا : كتجريم الربا والرشوة والغش في التجارة إلى غير ذلك من الوسائل التى شرعها للوقاية من الفقر الناشئ من أسباب اجتماعية .

وأعد للفقر الناشئ من أسباب طبيعية مواساة الفقراء وإيجاد نفقة القريب على القريب وفرض الزكاة ، إلى غير ذلك مما شرعه الإسلام لعلاج الفقر الناشئ من أسباب طبيعية .

وهذه هى المبادئ التى وضعها الإسلام للسير عليها فى الأحوال العادية ، أما حالات الطوارئ التى لا تكفى فيها النسب المقررة فى الزكاة : كحالات الزلازل والبراكين والفيضانات وانتشار الآفات الزراعية ونحو ذلك مما ينشأ عن اختلال الوضع الاقتصادى وتفشى الفقر فى صفوف الأمة ، فقد وكل الإسلام إلى الحاكم أن يفعل ما يراه مصلحة فى مثل هذه الظروف الاستثنائية : كأن يزيد فى سهام الزكاة عن الحد المقرر ، حتى إذا استقرت الأوضاع وعادت الأمور إلى حالتها الطبيعية عاد بالأمة إلى المحافظة على هذا النظام وعدم الخروج عليه ، وهذا ما تمليه روح الإسلام ، فقد كانت الزكاة مطلقة فى أول الأمر ثم حددت مقاديرها

بعد ذلك ، فإذا عرض للمسلمين حالة تشبه حالتهم في أول الإسلام فلهم أن يأخذوا من الزكاة بالقدر الذى يسع الفقراء إلى أن تعود الأمور إلى مجاريها الطبيعية ، وقد عطل عمر حد السرقة في عام الحجاة ، وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الأشعرين إذا رملوا في الغزو أو قل طعامهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم) وفى باب المصالح المرسلّة عند مالك مجال واسع ، ومن ذلك يتضح أن قانون الإصلاح الزراعى الذى قامت به حكومة الثورة يعتمد من الإسلام على أصل صحيح .

وبعد - فهذه نبذة قصيرة عن نظام الإسلام يتجلى منها أنه منتصف الطريق بين موسكو ولندن ، ويمكن لجميع الدول أن تأخذ به على أنه نظام اقتصادى إن لم تقبله على أنه دين ، وقد سار عليه العالم ردحا من الزمن ففاض فيه الخير ورفرف السلام ، ولا نجاة للعالم اليوم إلا بالأخذ بهذا النظام ، وأين من ذلك أفكار البشر ؟

وهل يستوى وحى من الله منزل وقافلة فى العالمين شروء
وهذا ما أمكن إجماله فى هذا الموضوع الشتيت ، والله ولى التوفيق ما

محمد السيد نرا

من هيئة التدريس بكلية الشريعة

الرحمة فى قلب أرحم مولود

جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى يوم من الأيام بقر بعلى وبتمسقى ، فجعل يأكل من البعل ، فقالوا له :

— يا رسول الله ، إن هذا أصفى وأطيب .

فأجابهم : وهذا لم تجع فيه كبدا ، ولم يعرفه جسد .

مَجْـوُـث

في مصادر الشريعة النظرية

— ٥ —

مناقشة الأصوليين فيما يجوز التعليل به لأجل القياس :

إننا إذا رجعنا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واستقرأنا ما فيهما من الآيات والأحاديث الخاصة بالتشريع ، وجدنا الكثير من الأحكام الواردة فيها معللا بما يترتب على الأفعال من منافع أو مضار ، وهو ما سماه الأصوليون حكمة ، ومنعوا التعليل به .

من ذلك قول الله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون » فإنه سبحانه علل الأمر باجتنباب الخمر وما ذكر معه بما يترتب عليها من المفاسد الدينية والاجتماعية ، ولا شك أن هذا من الحكم التي قال الأصوليون إن التعليل بها لم يقع في الشريعة .

وقوله جل ثناؤه في شأن زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب بنت جحش : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » [١] . فالله جل شأنه أمر رسوله الأمين بزواج زينب بنت جحش التي كانت زوجا لزيد بن حارثة الذي كان متبني للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعال هذا بما يترتب على الزواج بها من دفع الحرج والضيق عن المؤمنين ، بسبب ما اعتادوه وجروا عليه من تنزيل الأدعياء منزلة الأبناء في الأحكام والحقوق .

ومن ذلك أيضا ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وقال : « إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » (١) وهو تعليل بما يترتب على الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من المفسدة وهى قطيعة الرحم ، لما يثبأ بين الضرائر من التشاحن والتخاصم ، وهو تعليل بالحكمة .

وما روى أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » (٢) أى أجدر أن تجتمعا على وفاق وخير ، يقال : أدم الله بينكم أى وفق ، فالأدمة هى الاتفاق والامتراج والاختلاط والمعاشرة .

فأنه عليه الصلاة والسلام بين السبب فى إباحة النظر إلى المخطوبة ، وهو ما يترتب على النظر إليها من المحبة ودوام الوفاق والألفة بين الزوجين ، فإن الخاطب إذا رأى من يرغب فى زواجها ، وعلم فيها من المحاسن ما يرغبه فيها ، كان ذلك وسيلة إلى طول المعاشرة ودوام الصحبة ، وهذا من الحكمة التى ادعى الأصوليون عدم وقوع التعليل بها فى الشريعة .

وكذلك لو رجعنا إلى ما نقل عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم من الفتاوى والأحكام لوجدنا فيها الكثير من التعليل بالحكمة . فمن ذلك أنهم عللوا النهى عن قطع الأيدي فى الغزو الوارد فى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تقطع الأيدي فى الغزو » بما يترتب على القطع إذ ذاك من الضرر ، وهو الخوف من ارتداد المقتوع ولحاقه بالكفار إذا كان من الرجال العاديين فى الجيش ، أو الخوف من طمع العدو فيهم وإظهار ضعفهم أمامه إذا كان المقتوع أميرا للجيش ، ثم عدوا هذا الحكم إلى غير القطع من الحدود كحد الزنا وشرب الخمر ، وقالوا : لا تقام الحدود فى دار الحرب (٣) .

وهذا - كما ترى - تعليل بالحكمة وتعدية للحكم من المنصوص عليه وهو القطع إلى غير المنصوص بناء عليها ، وفيه رد على الأصوليين الذين منعوا جواز التعليل بالحكمة والذين أجازوه وادعوا عدم وقوعه فى الشريعة .

وإذا رجعنا إلى ما قاله الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة ، وأنعمنا النظر فيما نقل عنهم من الأحكام والعمل التى عللوا بها وجدنا فيها الكثير من هذا النوع .

(١) نيل الأوطار ٦ ص ١٢٦ (٢) متقى الأخبار مع شرح « نيل الأوطار » ٦ ص ٩٤

(٣) انظر أعلام الموقعين ٣ ص ٢٩ ، ٣٠

فهذا أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول: إذا كان السبي رجالا ونساء وأخرجوا من أرض العدو إلى دار الإسلام فأنى أكره أن يباعوا من أهل الحرب فيتقوا (١) ، فإنه علل كراهة بيع السبي لأهل الحرب بما يترتب على البيع من المفسدة وهي تقوية أهل الحرب التي تعود على المسلمين بالضرر .

وهذا أبو يوسف يقول : للرجل سهم واحد وللفرس سهمان من الغنيمة ، ويعلل ذلك بقوله : ليرغب الناس في ارتباط الخيل في سبيل الله ، وهو تعليل بما يترتب على هذا الحكم من مصلحة ، وهي ترغيب الناس في الإكثار من الخيل وإعداد العدة المقوية للمسلمين ضد أهل الحرب .

وفي هذا يقول أبو يوسف في كتاب الخراج ما يأتي : يضرب للفارس من الغانمين ثلاثة أسهم : سهمان لفرسه ، وسهم له ، وللراجل سهم ، على ما جاء في الأحاديث والآثار ، وكان الفقيه المقدم أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول : للرجل سهم ، وللفرس سهم ، وقال : لا أفضل بهيمة على رجل مسلم ، وساق له ما استدلل به من الآثار ثم قال : وليس هذا على وجه التفضيل ، ولو كان على وجه التفضيل ما كان ينبغي أن يكون للفرس سهم وللرجل سهم ، لأنه قد سوى بهيمة برجل مسلم ، وإنما هذا على أن يكون عدة الرجل أكثر من عدة الآخر ، ويرغب الناس في ارتباط الخيل في سبيل الله ، ألا ترى أن سهم الفرس إنما يرد على صاحب الفرس فلا يكون للفرس دونه [٢] .

وهذا محمد بن الحسن يقول : من له على آخر مائة خلف لا يقبض منها درهما دون درهم ، ثم وزن له خمسين فدفعها إليه ، ثم وزن له خمسين أخرى فدفعها إليه ، لم يحسب استحسانا ، وعلى ذلك بأنه قد لا يتيسر له وزنها دفعة واحدة ، ولو اعتبر هذا القدر لوقع الناس في الضيق والحرج ، وهو أيضا تعليل بالحكمة .

وهذا الإمام مالك بن أنس يفتي بتضمين الصناعات ما يكون في أيديهم من أمتعة الناس ، ويعلل هذا الحكم بقوله : « وذلك لمصلحة الناس إذ لا غنى للناس عنهم » [٣] .

(١) الرد على سيرا الأوزاعي ص ٦١

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٢٢ طبع المطبعة السلفية

(٣) المتقى شرح الموطأ ج ٦ ص ٧١

ويجيز الجهاد مع أمراء الجور، ويقول : لو ترك ذلك لسكان ضررا على المسلمين [١]
وهذا - كما ترى - تعليل بالحكمة .

وقد روى عن الإمام أحمد القول بتضمين الأجير المشترك ، وإن لم يتعد ، مستندا في ذلك إلى قول على رضى الله تعالى عنه : « لا يصلح الناس إلا هذا » يعنى الحكم بالضمان [٢]
وكذلك لو رجعنا إلى كتب الفقه المختلفة لوجدنا فيها أحكاما كثيرة معاملة بالمصلحة والحاجة والضيق والخرج والمشقة ، وهى من الحكمة التى قال علماء الأصول إن التعليل بها لم يقع فى الشريعة .

فمن ذلك أن المتأخرين من علماء الحنفية أجازوا أخذ الأجرة على تعليم القرآن والإمامة والأذان وسائر الطاعات ، وعللوا ذلك بالحاجة والمصلحة بناء على تغير الزمن واشتغال الناس بشئون المعيشة ، فلا يستطيع القائمون بهذه الأمور أن يتفرغوا لها من غير أجر .

ومن ذلك ما قاله علماء الحنفية فى خيار الشرط ، فقد حكوا بجوازه مستندين فى ذلك إلى ما جاء فى حديث حبان بن منقذ من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « إذا بايعت فقل لا خلافة ، ولى الخيار ثلاثة أيام » وعللوا جوازه بالحاجة إلى التروى والاستشارة ، ثم عدوا هذا الجواز إلى خيار النقد ، وهو أن يشرط البائع على المشتري أنه إن لم يدفع الثمن فى مدة معينة فلا يبيع بينهما ، وذلك لحاجة الناس إليه كما فى خيار الشرط .

ومن ذلك أيضا ما قرروه فى عقد المضاربة ، فانهم قالوا بجوازه ومشروعيته من غير خلاف بين أئمة المذهب فى ذلك ، وعللوا هذا الجواز بحاجة الناس إلى هذا النوع من التعامل لأن صاحب المال قد لا تكون له خبرة بالتجارة ، ومن يكون له خبرة بالتجارة قد لا يملك المال اللازم لها ، فيحتاج كل منهما إلى الآخر ، ولما اختلف الإمام وصاحباها فى مشروعية عقد المزارعة فقال الإمام بعدم مشروعيته ، وقال الصاحبان بمشروعيته ، استدل بعض أصحاب الكتب الفقهية للصاحبين بأدلة كثيرة ، ومن بين هذه الأدلة قياس المزارعة على المضاربة بجامع الحاجة (٣) ، وذلك كله تعليل بالحكمة .

(١) الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ١٥

(٢) المغنى لابن قدامة ج ٦ ص ١٠٧

(٣) الهداية شرح البداية للبرغينانى ج ٤ ص ٤٢

ومنها أن فقهاء الشافعية قالوا : المساقاة مشروعة « وهى أن يتفق صاحب النخل أو الشجر مع عامل على أن يتعهده بالسقى والتربية نظير جزء من الثمر كالربع أو الثلث » ، وعلاوا مشروعتها بأن مالك الأشجار قد لا يحسن تعهدها أولا يتفرغ له ، ومن يحسن التعهد ويتفرغ له قد لا يملك الأشجار ، فيحتاج ذلك إلى الاستعمال ، ويحتاج هذا إلى العمل ، فدعت الحاجة إلى تجويزها ، ثم قالوا : القراض (١) جائز قياسا على المساقاة بجامع الحاجة (٢) .

كما قالوا بجواز بيع الرطب على النخل بمثله من التمر ، وعلاوا ذلك بالحاجة ، ثم قاسوا عليه ببيع العنب على شجره بمثله من الزبيب لاشتراكهما في الحاجة

وغير ذلك كثير يظهر للاتباع للمسائل الفقهية في كتب الفروع المختلفة ، وفيما ذكرناه الكفاية للرد على الأصوليين في قصرهم التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم ، ودعواهم أن التعليل بالحكمة لم يقع .

ومع ورود التعليل بالحكمة في النصوص الشرعية والأحكام المنقولة عن الصحابة والأئمة وكتب الفقه المختلفة لا نكون في حاجة إلى الرد على ما قاله علماء الأصول تبريرا لقصرهم التعليل الواقعى على الأوصاف الظاهرة ، من أن الحكم بعضها خفى لا يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده ، وبعضها مضطرب غير منضبط ، والتعليل لا يصح إلا بالظاهر المنضبط ، لأن هذا الوقوع يدل دلالة واضحة على أن من الحكم ما يكون ظاهرا لا يلتبس على الناس ، منضبطا لا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال .

أما المسائل التى أوردوها وجعلوها دليلا على رأيهم فى بناء الأحكام على الأوصاف الظاهرة دون الحكم بجواز الفطر للسافر والمريض ولو انتفت المشقة ، وثبوت الشفعة للشريك والجار ولو لم يحصل لأحدهما ضرر من البيع للأجنبي ، فانها لا تصلح سنداً لهم فى قصر التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم ، لأنها من المسائل التى ربط الشارع

(١) القراض ويسمى المضاربة أيضا : هو العقد الذى يتفق فيه صاحب المال مع غيره على أن يدفع له مبلغا من المال ليتاجر فيه على أن يكون الربح بينهما مناصفة أو اثلاثا

الحكم فيها بأسباب معينة: كالسفر والمرض والشركة أو الجوار، يوجد الحكم بوجودها، وينتفى بانقائها، وإن كان هذا الحكم مشروعاً بالحكمة يستطيع العقل إدراكها كالمشقة ودفع الضرر، ومثل هذه المسائل لا يتأتى القياس فيها، وذلك لأن العلة التي ربط الشارع الحكم بها من العلة القاصرة على الأصل والتي لا توجد في غيره من المحال، إذ السفر لا يوجد إلا في مسافر، والمرض لا يتحقق إلا في مريض، ومن الشروط المعبرة في علة القياس ألا تكون العلة قاصرة على الأصل بل توجد فيه وفي غيره من المحال (١) على ما سنبينه في الكلام على شروط العلة.

بقي أن يقال: إذا كان التعليل بالحكمة قد وقع في المسائل المنقولة عن الأئمة فضلاً عن وقوعه في الكتاب والسنة وفتاوى الصحابة كما بينا، فلم قصر علماء الأصول التعليل على الأوصاف الظاهرة دون الحكم؟ وأكثر هؤلاء العلماء إنما دونوا هذه الأصول أخذاً مما نقل عن الأئمة من الفروع، كما هو معلوم من تاريخ هذا العلم.

وجوابنا عن هذا - كما يستفاد من كلام بعض المحققين - أن الأصوليين إنما سلكوا هذا المسلك ليصلوا من ورائه إلى أمرين:

الأول: ضبط الفروع المنقولة عن الأئمة بأقيسة عامة شاملة، وعلل ظاهرة غير مضطربة، ليسيروا عليها في تخريج المسائل التي لم ينقل عن إمام المذهب تصريحاً بحكمها.

والثاني: المحافظة على المذهب وما نقل عن أئمتهم من فروع حتى لا يعترض عليهم بفرع منها.

يقول الكمال بن الهمام في فتح القدير عند الكلام على علة تحريم الربا في الأصناف الستة الواردة في الحديث، وهل هي الكيل أو الوزن كما قال الحنفية، أو الطعم في المطعومات والثنية في الائتمان كما قال الشافعية، أو الاقتيات والادخار كما قال المالكية، ما أتى مع شيء من التصرف: الوجه أن تجعل العلة في تحريم الربا عند الحنفية قصد صيانة أموال الناس وحفظها عليهم، ولكن يلزم على التعليل بالصيانة ألا يجوز بيع عبد بعبدين وبعبير ببعيرين، وجوازه مجمع عليه إذا كان حالاً، فإن قيل: الصيانة حكمة فتناط بالمعروف لها

(١) ولزميل وصديق الأستاذ محمد مصطفى شلبي في رسالته: تعليل الأحكام مناقشة ومحاورة طريفة مع علماء الأصول في منعمهم التعليل بالحكمة ص ١٤١ - ١٤٩

وهو السكيل والوزن ، قلنا : إنما يجب ذلك عند خفاء الحكمة وعدم انضباطها ، وصون المال ظاهر منضبط ، فإن المماثلة وعدمها محسوس ، وبذلك تعلم الصيانة وعدمها ، غير أن المذهب ضبط هذه الحكمة بالسكيل والوزن تفاديا عن نقضه بالعبد والعبدین ، وثوب هروی بهرویین [١] .

ومن تأمل هذا الكلام وجده واضحاً فيما قلناه ، حيث أنه يصرح بأن العلة - التي علل بها علماء الحنفية تحريم الربا في الأصناف الستة التي ورد النص بها - وصف ظاهر مشتمل على الحكمة وهي قصد صيانة الأموال وحفظها ، وأن هذه الحكمة ظاهرة منضبطة يصح التعليل بها من غير احتياج إلى الوصف الضابط لها ، ولكن علماء المذهب عدلوا عن التعليل بها إلى التعليل بالسكيل والوزن ، للفرار عن الاعتراض على المذهب ببيع العبد بالعبدین والثوب بالتوبين لو أنهم عللوا بالحكمة وهي قصد صيانة الأموال وحفظها ، فإن التعليل بالصيانة يقتضى منع هذا البيع وعدم جوازه ، وهو يخالف المقرر في المذهب ، وهو بهذا التقرير يعطينا صورة واضحة لمبلغ محاولة العلماء ضبط الفروع بأوصاف ظاهرة توافق الفروع الثابتة في المذهب حتى لا يعترض عليه بفرع من الفروع المنقولة عن الأئمة ما

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

زكى الدين سمعان
المدرس بكلية حقوق عين شمس

البر والاثم

قال النواس بن سمعان : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال :
« البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

الألفاظ الأوروبية

في اللغة العربية

- ٢ -

ومن الكلمات التي أخذناها وشاعت كلمة ميل وهي كلمة لاتينية بمعنى ألف خطوة ، وكلمة بور Port بمعنى ميناء ، وتنطق في شمال الدلتا « بلط » وكلمة Sister سستر وتدل على المرضات .

وهناك كلمات تدل على أسماء نباتات لم تكن معروفة للعرب وجاءتنا بأسمائها من الغرب مثل بطاطس Potatoes وقد جاءنا اللفظ من الدنيا الجديدة بعد استكشافها ، أخذته معظم اللغات الأوروبية كما هو فيما عدا فرنسا التي أطلقت عليه اسما جديدا Pommes de terre وكذلك كلمة طباق Tobacco ، وطماطم Tomatoes ، وشكولاته Choclates ، وكاكاو Cocoa .

ولم يقتصر أخذنا عن الغرب على إنجلترا وفرنسا ، ولكننا أخذنا عن جميع اللغات حسب اتصالنا بها ، فإيطاليا مثلا كانت مركز التجارة الأوروبية في العصور الوسطى ، وكانت تجارتها مع الشرق تمر بمصر والبلاد العربية ، ومن ثم أخذت لغتنا عن الإيطالية كلمات عديدة تتعلق بما كانت تتفوق فيه إيطاليا من علوم وفنون ، ومعروف أن إيطاليا برزت غيرها في الموسيقى والنحت والتصوير ، ولذلك جاءتنا منها ألفاظ بيانو Piano ، وسوبرانو Soprano وسولو Solo ، وبروفيل Profile . وشهرة إيطاليا في البناء ذائعة فلم يكن غريبا أن نستعير منها ألفاظ بلكونة Balcone ، وكوريدور Corridore . وشهرة إيطاليا بصناعة أنواع معينة من الطعام أعطانا لفظ مكرونة Macaroni ، ورواج تجارتها أعطانا وأعطى لغات العالم كلمة بنك Bank ، وموسلين Muslin النسيج المعروف الذي أخذه الإيطاليون تقليدا من بلدة الموصل . ومن الألفاظ الإيطالية التي نستعملها كثيرا وبخاصة في الشتاء لفظ انفلونزا .

والصلة بين العرب والاسبان قديمة تركت في اسبانيا مئات ومئات من الكلمات العربية ، وتركت لنا بعض كلمات خاصة بعد أن قفرت اسبانيا إلى مقدمة الصفوف وترعمت حركة الاستكشاف الجغرافي ، فمنها أخذنا سيجار Cigar وسيجارة Cigarette .

ونتيجة لاستكشافات البرتغاليين في أفريقيا جاءتنا ألفاظ بنانا Banana ونجرو Negro ومربلاد Marmalade مربى البرتقال وتانك Tank بمعنى إناء .

والكلمات التي تعبر عن الألعاب الرياضية جاءتنا من الغرب ، أخذنا بعضها في استسلام لم نحاول تعريبها مثل بولو Polo و بلياردو Pilliard وغيرهما ، والبعض الآخر بذلنا محاولات فاشلة لتعريبها ، ولكن تغلب اللفظ الأجنبي وسرى استعماله ، كما حدث لكلمات فوت بول Foot ball وباسكتبول Basket ball و بينج بونج Bing Bong وغيرها .

والكلمات التي نستعملها للتواصلات والنقل أيضا أوروبية مثل ترامواى Tramway وأوتوبليس وتاكسى ولورى Lorry .
وهناك ألفاظ يستحيل علينا ترجمتها إلى العربية لأنها أسماء أفراد أطلقت على اختراعات لهم مثل Watt و Volt و Ampère .

وأخذنا بالتقويم الميلادى جعلنا نأخذ بكلمات استمدت من أسماء ملوك رومانين أو من آلهة الإغريق ، ف شهر أغسطس أخذ اسمه من الإمبراطور صاحب هذا الاسم ، ويوليوس قيصر أعطانا شهر يوليو ، وكلمة قيصر بمعنى ملك ، وأكتوبر معناه الشهر الثامن وإن كان حاليا هو الشهر العاشر ، ونوفمبر معناه الشهر التاسع وإن أصبح في أيامنا هذه الشهر الحادى عشر .

أما كلمة جنيهه Guinea فهي عملة سكت من ذهب مستورد من إقليم غينيا على ساحل أفريقيا الغربى ، وأطلس Atlas بمعنى مصور جغرافى أخذ من اسم أحد آلهة الإغريق كانوا يعتقدون أنه يحمل العالم على كتفيه ، وكلمة بركان من اسم الدالانار الإغريق Vulcan ، أما كلمة ساندوتش فلها قصة ترجع إلى القرن الثامن عشر ، فقد كان اللورد ساندوتش الإنجليزى مولعا بالقمار يقضى أيامه ولياليه أمام المائدة الخضراء ، ولم يكن يجد وقتا يتناول فيه طعامه ، فابتكر طريقة جديدة هى أن يلتهم قطعة من اللحم موضوعة بين شريحتين من الخبز ، وأطلق اسمه على ابتكاره الذى ذاع .

وتوجد أسماء فيها أخطاء شائعة مثل دندى Dinde أو الدجاجة الرومية كما نسميها ، والدجاجة التركية Turkey كما يسميها الانجليز ، والدجاجة الهندية كما يسميها الفرنسيون ، ولا ينتمى هذا الطائر إلى أى من هذه البلاد ، فهو طائر أمريكي .

وأمرسكا نفسها سميت باسم Americo Vespucci أمريكيو فسبوتشى بينما كان المفروض أن تسمى باسم مكتشفها كرسstof كولومب .

ونحن نستعمل - نقلا عن الفرنسية والانجليزية - كلمات كثيرة مركبة من مقطعين أحدهما غربي والآخر لاتيني : مثل كلمة بسكلته فهي مأخوذة من Bi بمعنى اثنين ، Kuklos بمعنى عجلة . والمقطع Auto بمعنى ذاتي ونجد في كلمات كثيرة مثل أوتوجراف وأوتوموبيل والمقطع Dia بمعنى « بين » تشكلت منه كلمات كثيرة مثل ديالوج Dialogue حديث بين شخصين أو أكثر ، والمقطع ist ويدل على شخص ويأتى في أواخر الكلمات مثل أرتست Artist وبيانست Pianist وغيرها .

* * *

هذه أمثلة قليلة من كلمات كثيرة أخذتها اللغة العربية ، ورأيناها تجري على ألسنة الناس في حديثهم وعلى أقلام الكتّاب في كتاباتهم ، ونجد بجانبها كلمات أخرى أخذتها لغات العالم جميعا ، ولم تأخذها اللغة العربية مثل رأس المال Capital وتجارة Commerce واستغلال Investment وتأمين Insurantee وخصم Discount .

ولم تأخذها اللغة العربية لأنها أولا ألفاظ صعبة النطق ، وثانيا لأن مثيلاتها في لغتنا تغنى عنها بدقتها ووضوحها ، ومن ثم لم نكن في حاجة لاستعارتها .

ومن الكلمات الشديدة الذبوع بيننا والتي قد يظن البعض أنها غريبة كلمة بيجاما وهى فارسية ، وكلمة شامبو وهى هندية ، وكلمة كاكي أو خاكي وهى هندية أيضا . أما لفظ موكاسان Moccasin الذى ذاع أخيرا وأطلق على نوع معين من الأحذية ، فقد كان فعلا من جلد الغزال يرتديه هنود أمريكا الشمالية .

ومن طريف ما يحدث من تغيير فى المعنى عند استعارة لفظ ما حدث لكلمة مخزن العربية ، فقد أخذها الأوربيون فأصبحت Magasin الفرنسية بنفس المعنى أو بمعنى

دكان ، وكانت Magazine الانجليزية بنفس المعنى حتى القرن الثامن عشر حين صدرت مجلة باسم Gentleman's Magazine وفسر الناشر الاسم بأن المجلة تحوى كنوزا من الأدب كالسكنوز التى قد توجد فى المخازن ، ولكن اللفظ استعمل بعد ذلك بمعنى مجلة .

* * *

هذه الظاهرة التى تحدث عنها تحدث فى كل لغة ، والكلمات التى أخذناها سيدقى بعضها ويدخل فى لغتنا ، والبعض الآخر سيمحى ، وسنقلع عن استعماله متى توفرت الظروف المناسبة . فحين نؤمن بقوميتنا إيماننا صادرا من القلب ، وحين تنبلج فى أفئدتنا أنوار الحرية الحقة ، وحين تذهب عنا عقدة الصغار التى نشعر بها أمام الأجانب وكل ما هو أجنبى ، حين يتم ذلك كله - وهو قريب إن شاء الله - سنقلع عن استخدام الكثير من هذه الألفاظ التى أخذناها بلا مبرر ، والتى جرت على ألسنتنا للباهاة أو المحاكاة أو عن جهل . ومثل هذا البحث يحتاج إلى مجلد ، ليس أقدر على كتابته من بعض علمائنا اللغويين ، ولعل بعض هؤلاء يعنى بمثل هذه البحوث المقارنة .

وليس من المعتاد أن يهدى كاتب بحثه إلى إنسان ما ، ولكنى أخالف المتبع وأهدى بحثى هذا إلى الصديق الأستاذ الشيخ محمد على النجار العالم اللغوى الثقة ما

عمر طلعت زهراته

الله والعلم الحديث

النظر فى ملكوت السماوات والأرض من أعظم وسائل الإيمان بالله ، والاستدلال بعظمة الكون على عظمة الذى أوجده وكونه . ومن الناس من يزيده العلم بملكوت الله إيماناً بالله ، ومنهم الذين اختاروا طريق الشقاوة فهم يزدادون بذلك كفرا .

وقد ألف الأستاذ عبد الرازق نوفل العالم الزراعى كتاباً عنوانه « الله والعلم الحديث » أثنى عليه الدكتور حسين عارف وكيل جامعة القاهرة بأنه « جمع بين دقة العلم وعمق الإيمان ، وأظهر روعة الإسلام ، وربط الحديد من النظريات العلمية بالآيات القرآنية ، بخاء بذلك فريداً فى نوعه ، وموجبا لأن تم قراءته » .

المقاطعة الأدبية

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل ، فيقول : يا هذا . اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد - وهو على حاله - فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبأس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبأس ما قدمت لهم أنفسهم - إلى قوله - فاسقون » . ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتنصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضهم على بعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم » . رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، واللفظ لأبي داود .

تقديم :

تقدير : إن أول ما دخل النقص : أى النقصان ؛ على بنى إسرائيل : أى فى دينهم ، أنه كان الرجل : أى منهم ، يلقي الرجل : أى الآخر ، فيراه على معصية ، فيقول : يا هذا اتق الله ودع : أى اترك ، ثم يلقاه من الغد : أى فيه أو لقياً مبتدأ من الغد ، فلا يمنعه ذلك : أى بقاءه على حاله من المعصية مع نهيه له بالأمر القريب ، أن يكون : أى من أن يكون ، أكيله وشريبه وقعيده : أى مصاحباً له فى الأكل والشرب والقعود . فثلاثها فعيل بمعنى مفاعل كقوا كل ومشارب ونظيره قول حاتم :

إذا ما صنعت الزاد فالتسى له أكىلا فانى لست آكله وحدى

فلما فعلوا ذلك : أى تركوا ما بدءوا به من النهى عن المنكر إلى مصاحبة العصاة على الوجوه المذكورة ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض : أظهر الوجوه فيها : أنها من قولهم : ضربت الشيء بالشيء وضربته : إذا خلطته ، والمراد لازم ذلك الخلط ، وهو الاشتباه والاتباس ، وجاء من هذا الضرب بمعنى الشبه والمثل ، والضرب : الشبيه والمثيل . تقول :

هم ضروب وضرباء : أى أشباه وأمثال ، وأما الثانية فى الحديث ، وهى : لىضربن بقلوب بعضكم على بعض ، فالباء فيها لتأكيد التعدية وتسمى زائدة . مثلها فى قوله تعالى : « بل نقذف بالحق على الباطل » أى نقذفه ، فالمعنى لىضربن قلوب بعضكم على بعض ، أى لىجعلنها على وفاق بعض أى مثاله ، والأخذ على يد الظالم : كناية عن منعه ، وأصله الإمساك باليد ، ومعنى لتأطرنه على الحق : لتردنه ولتصرفنه إليه ، وأصل الأطر الثنى والعطف - الحسى - فهو إذن فى مثل الحديث مجاز ، ومعنى لتقصرنه على الحق : لتحبسنه عليه حتى لا يجاوزوه إلى الباطل ، وليس فى عطف هذه الجملة الثلاث بعضها على بعض تكرار كما يظن بادئ الرأى . فالأولى للنع عن الباطل والظلم ، والثانية للرد إلى الحق والحمل عليه ، والثالثة للالزام به والحبس عليه ، وبين الإزالة عن الوصف والتحلى بضده ثم لزومه والثبوت عليه من التفاوت ما لا يخفى ، واللحن فى الحديث على أصل معناه ، وهو الإبعاد والطرده ، أى من رحمة الله ، وهو من الخلق فى لازم ذاك ، وهو السب والشتم والدعاء .

المعنى :

المقاطعة الأدبية : وهى أولى المظاهر العملية الصادقة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سلاح من أسلحة الحق الحاسمة الماضية ، وقوة من قواه الغالبة الطافرة ، يتوقف عليها فى كثير من المواطن حسم أدواء الظالمين المهلكة المفقنية ، وكف بوائقهم المتلفة المبلية ، وصد شرورهم العاصفة المدمرة ، وبمقدار ما تعرف الأمم والجماعات من قيمة هذا السلاح وقدره ، ومن عظيم خطره وأثره ، يكتب لها الله ما شاء من السلامة والبقاء ، ثم يتفضل عليها بما هى له أهل من العزة والكرامة والشرف والسناء ، وبمقدار ما تستهين الأمم والجماعات بهذا السلاح الروحى ، وتنكر من خطره ، وتجهل من قدره وأثره ، تضطرب عليها أمورها ، وتسوء أحوالها ، وتفسد شئونها ، وتزلزل فى العالمين أركانها ، بل تدرس وتنطمس معالمها وآثارها ، كما هو شأن كثير من الأمم التى انتهت إلى المداھنة فى الدين ، والركون إلى الظالمين ، والسكوت على انتهاك محارم الله رب العالمين . فجعلها الله كما قيل :

ليصبحن أحاديثاً ملعنة لھو المقيم لھو المدبج السارى

وجعلها سلفاً ومثلاً للآخرين ، كهذا الذى يحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتلوه من كتاب الله فى شأن بنى إسرائيل .

وكما وردت هذه المقاطعة الضمنية مقدمة في الحديث على ما بعدها من الأخذ على يد الظالم ، وأطره على الحق وقصره عليه ، فبذلك هي مرتبتها في كل تأديب حكيم ، وتهذيب قويم .

أناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن أغنت ككائبه

وحمل الظالمين الآثمين على الحق أمر حتم أوجبه الله على جميع المؤمنين ، ففي الحديث : « من رأى منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ويظن كثير من الناس أن هذا الإنكار القلبي على ظاهره بأن يحتبس الإنسان سخطه في نفسه ، ويختزن ما يجد من ذلك في دخيلة صدره ، وهو فهم لا يكاد يستقيم ، إذ كيف يكون هذا الإنكار القلبي الذي يكون به صاحبه على مرتبة من مراتب الاستجابة لهذا الواجب العظيم شيئا آخر غير هذه المقاطعة الأدبية التي هي - وإن كانت عملا من أعمال الجوارح - هي المرأة الناطقة والصورة الصادقة لما في القلوب . فهي إذن المرادة من هذا التغيير للمنكر بالقلب لكن على نوع من التوسع والمجاز . ولم لا ؟ ! وفي سمات الوجوه وقسماتها ، وفي لمحات العيون ونظراتها ، لاسيما عند من لا يحسنون المداينة ولا الرياء ، ولا يعرفون الغش ولا الخداع ، دلائل صادقات ، وعلائم واضحات ، على ما وراءها مما يعتلج في الأفئدة من نيران الغيرة على الحق والحمية له ، وما يعمل في الصدور من النعمة على الظالم والسخط عليه . ومن كلام أسلافنا : ما أسرامرؤ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفي فلتات لسانه ، وإن كانوا يسوقون هذا القول في مقام غير الذي نحن فيه ، وهذا الفهم ينبغي أن يتعين بعد ذلك لأمر :

أولها : ما علمت من أن شأن المؤمنين بحق أن يكونوا صادقي المشاعر ، متحدى البواطن والظواهر ، بعد أن حملوا أنفسهم على ما تستطيع من كف اليد واللسان ما لم يدع الأمر إلى شيء من التلطف والمداراة للذين هما من شيم الهداة وشمائل الدعاة ، ليطلبوا بذلك لما استعصى من الداء ، ويستلوا به السخيمة والشجاء ، وليستأصلوا ما رسخ من جذور الإثم في القلوب ، وما استقر من أصول الشر في النفوس .

وثانيها : أن قطع حبائل هؤلاء الظالمين هو المأمور به في كتاب الله في كثير من الآيات التي سيأتى بعضها من قريب ، وهو أقل مراتب المأمور به كما علمت فيما نشرحه من الحديث ، فلا ينبغي أن نتصور مرتبة من مراتب تغيير المنكر هي دون ذلك بكثير ، ولا يكاد أن يكون لها أي أثر اجتماعي في هذا الأمر الاجتماعي الخطير ، إذ أي فائدة تعود على المجتمع

من أن يجتر المنكرون مشاعرهم ، وهم يوادون ويقاعدون ويؤاكلون ويشاربون إلى ما يلبس ذلك من المباشطة والمسامرة واطراح الكلفة في مجالس الطعام والشراب ، لو سلم أن ذلك يمكن أن يكون . ولقد فطن سلفنا إلى ذلك فكانوا إذا غلبوا على أمرهم يعتزلون ويقولون : « الوحدة خير من جليس سوء » .

وثالثها : أن لفظ التغيير بالقلب كما هي عبارة الحديث لا يكون له معنى حتى يتعدى إلى المنكر شيء ظاهر ملموس وإلا فكيف يكون هذا التغيير ؟ !

ورابعها : أن تغيير المنكر بالقلب بعد عجز اليد واللسان إذا لم يكن المراد منه في الحديث هو ما ذكرناه ، من علائم هذا الإنكار ودلائله ، والتصرف على مقتضاه بل على ما تأبى الطباع السليمة سواء ، يكون الحديث قد ترك بعد إنكار اللسان أقرب المراتب إليه ، وأوصلها به ، وأجداها على الأمة بعده ، إلى ما لا أثر له ، ولا يتمتع معه الوقوع تحت الوعيد الشديد الذى توعد الله به هؤلاء الذين ينكرون ثم يؤاكلون ويشاربون ويقاعدون .

وقد عنى الإسلام بهذه المقاطعة عنايته بأصل من أصول الدين ، واختص الله أهلها بأنهم هم حزبه المفلحون وجنده المؤيدون إذ يقول : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » إلى غير ذلك من آيات هذا الباب ، ذلكم بأن الإسلام إنما يعنى بما يدوم ويبقى لا بما يزول ويفنى ، وقد قال الله تعالى في شأن الأئلاء يوم القيامة : « الأئلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » ووصفهم بأنهم : « لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » أنه قد جعل هذه المقاطعة بين الفريقين سلامة للسليم من السقيم ، وحفظا له من أن ينطمس نوره بمدخلة الظالمين ، حتى يصير الفريقان بعد أن يضرب الله قلوب بعضهم ببعض أشباها وأمثالا ونظراء وأشكالا ، كما تضمن هذا الحديث وكما ورد في حديث آخر من قوله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » كما جعلها حجة بالغة لمن لا يجدى معه القول من الظالمين ، وشاهد صدق لما يدعو إليه من الحق واليقين .

وإن الإنسان لا يكاد يحيد ديناً سخر الله الحياة لتصديق أحكامه وأوامره بالواقع والمشاهد والظاهر الملموس، وأقام من الأحداث شهود عدل لتأييد آياته وتزكية شرائعه، كهذا الدين الحنيف، الذى أتم الله به الأديان، وأسعد بالتوفيق إليه هذه الكثرة من بنى الإنسان. فمن ذلك ما رواه أصحاب السير من قصة رجل واحد توعد قومه بهذه المقاطعة إن لم يسلموا، فأسلموا إلى أن كانوا هم جنود الإسلام، وأنصار الرحمن؛ وكان وعيده ذلك هو الموعظة الشافية، والدعوة الهادية، والحجة البالغة، والمنطق السليم، والدليل المستبين، ذلكم هو سعد بن معاذ رضى الله عنه.

فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة - مصعب بن عمير رضى الله عنه مع من أسلم في العقبة الأولى من الأنصار ليقروهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان ممن أسلم على يديه سعد بن معاذ رضى الله عنه بعد أن كان ذاهباً إليه ليكفه أو يقتله، فأذا به يرجع إلى قومه بنى عبد الأشهل بوجه سمح متسهل مشرق بنور الإسلام غير الذى ذهب به إلى أن قالوا: «نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم» ثم لم يرعهم منه إلا قوله: يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ فيقولون: سيدنا، وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة. فيقول: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، فما يمشى في بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة، ثم لا تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا أطرافاً تأخر بها الإسلام إلى أن هاجر إليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقد شهر الإسلام هذا السيف البتار في وجوه بعض المتوانين عن الأخذ بالحزم والعزم من المؤمنين ممن تخلفوا في غزوة العسرة (تبوك) عن الجهاد، ثم لم يجدوا لهم عذراً لاصداقاً ولا كاذباً من عدم الانتظام في سلك المجاهدين، وهم كعب بن مالك وصاحبا رضى الله عنهم، فما كان من هذا السيف إلا أن ضعضع همهم، وزلزل أقدامهم، وأسأل أماقيهم، وخلع قلوبهم، كما سيأتيك من قصصهم الذى ستجد فيه من روعة المقاطعة ورهبتها، ومن صدق المؤمنين في القيام بحقوقها، وأدائها على أبلغ وجوها، وأبعد مقاصدها، ما يريك أن الله ورسوله كان أحق عندهم أن يرضوه؛ وأنه لا يقام بجانب رضاه وزن لأقوى الروابط، وأوثق الأواصر، وأشد الصلات، فلا لزوجة، ولا لقربة، ولا لجيرة، ولا لعشرة، أن تساوى أو تدانى الامتثال لأمر الله ورسوله. ثم ترى من قصص التوبة ووقعها في نفوسهم، وصورة تبشيرهم بها، وتسابقهم في إعلانها،

وخشية النبي صلى الله عليه وسلم من إعلانها إذ نزل بها الوحي في بقية من الليل من تدافع الناس وتزاحمهم ، ما يصوره لك ما رواه كعب قال : أنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الآخر من الليل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة ، وكانت محسنة في شأني ، معتنية بأمرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم سلمة ، تيب على كعب بن مالك ، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال : إذن يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل . وهكذا كان شأن الإسلام عند السالفين هو الدين والدنيا ، وهو الممات والحيا ، وهو الشأن كل الشأن ، والحد كل الحد ، لا كما يجده هؤلاء الذين يتحلون بأسماء المسلمين على غير بصيرة ، ولا بينة ، ولا صدق ، ولا يقين ، ولا حمية للحق ، ولا غيره على الدين ؛ ثم ترى كيف كان فرح المسلم بتوبة الله عليه ، وابتهاجه بعودة ما انقطع من عوائد الود إليه ، لا كما يفرح به هؤلاء الذين يتخلفون عن كل صالحة ، ويتسابقون إلى كل طالحة ، إثارة للذات العاجلة ، واتباعاً للشهوات الفانية ، وضناً بأنفسهم وأموالهم على الباقيات الصالحات ، مما يريك معنى أن الناس غير الناس ، وأن الهمة غير الهمة ، وأن القلوب غير القلوب ؛ وأنا لا نخلو من الإسراف في الدعوى ، والتمكيد في الغرور .

فما رواه كعب بن مالك رضى الله عنه في شأنه وشأن صاحبيه مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ، قوله : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، فاجتبتنا الناس أو قال : تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي بالأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم . . . إلى أن ذكر أنه تسور جدار حائط [١] أبي قتادة ، وهو ابن عمه ، وأحب الناس إليه ، قال : فسألت عليه ، فوالله ما ردّ على السلام ، فقالت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت ، فعدت فناشدته فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار . فلما مضت من الخمسين ليلة أربعون إذا برسول من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي إليه فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك ، ويرسل إلى صاحبيه بمثل ذلك ، قال : ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عنا ،

قد ضاقت على نفسى ، وضاقت على الأرض بما رحبت (ولقد يبلغ به هذا الضيق أن يخشى أن تنظم هذه المقاطعة مع حياته موته ، فهو يخشى - كما يقص عن نفسه - أن يموت فلا يصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يموت صلى الله عليه وسلم ، فيكون بتلك المنزلة من الناس ، فلا يكلمه أحد منهم ، ولا يصلى عليه ، ولا يسلم عليه) إذا به يدركه من الله الفرج ، فيسمع صوت صارخ أوفى [١] على سلم [٢] يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أنه قد جاء فرج ، قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل [٣] صاحبي مبشرون ، وركض رجل فرسا ، وسعى ساع من أسلم قبلى ، وأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . . . إلى أن ذكر من إقبال الناس عليه بعد إعراضهم عنه ، ما يريك كيف يكون الحب فى الله ، وكيف يكون البغض فى الله ، لا شئ آخر مما يتحاب عليه أو يتباغض أو يتواصل أو يتقاطع أهل هذه الحياة . فلقد كان هؤلاء المعرضون عنه بالأمس كل الإعراض يتلقونه وهو فى طريقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أفواجا أفواجا ، حتى إذا ما مثل بين يديه قال له صلى الله عليه وسلم - وهو يبرق وجهه من السرور ، وكان إذا سراسنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكانوا يعرفون ذلك منه - : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، فكان من مقالته : يا رسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، لولا أن قال له صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

أما بعد - فانه إما القيام بهذا الواجب العظيم ، وهو تغيير المنكر بحسب المستطاع من مراتبه ، لتكون السلامة والنجاة للجميع ، أوللناهي عن سوء دون الظالمين كما يقول الله تعالى فى شأن بنى إسرائيل « فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين يهون عن سوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون » ، وذلك كان طورا من أطوارهم قبل أن ينتهوا إلى المؤاكلة والمشاركة والمقاعدة إلى أن لعنوا جميعا كالمذكور فيما سلف من الحديث ، وإما ضرب القلوب بعضها ببعض ، وما فيه من الطمس على البصائر ، والخنم على القلوب والأسماع ، ثم الطرد من رحمة الله ، وما وراء ذلك من عموم العذاب ، وشمول العقاب . كما قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » وكما ورد فى الحديث « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك

أن يعصمهم الله بعقاب منه » وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها . فقال : يا رب ، إنّ فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين . قال : اقلبها عليه وعليهم ، فإن وجهه لم يتمسك (١) في (٢) ساعة قط ، وورد أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام : إني مهلك من قومك (٣) أربعين ألفا من خيارهم ، وستين ألفا من شرارهم ، فقال : يا رب ، هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟! فقال : إنهم لم يغضبوا لغضبي ، وواكلوهم ، وشاربوهم .

فاللهم اكتب لنا السلامة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ على أيدي الظالمين ، وحملهم على الحق حملا ، وقصرهم عليه قصرا ، ولا تجعل بيننا وبينهم حتى يطيعوك مواصلة ولا ودا ، واجعلنا على ما وصفت به أسلافنا رضى الله عنهم من قولك « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ما

محمود فرج العقدة

المدرس بكلية اللغة العربية

كيف يتخلص الشرق من الغرب ؟

قال مستر بلانت في مذكراته (ج ٢ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٩) : كتب إلى برناردشو يقول : « أخشى أننا سنلاقي أوقاتا عصيبة في الهند ، ولكن على الهنود - وعلى المصريين أيضا - أن يعملوا على تحقيق حرياتهم ، فليس في وسعنا أن نطلق سراحهم من تلقاء أنفسنا ، ما لم يتخلصوا هم من أيدينا عنوة ، وما لم تجاهبنا الهزيمة ويتداعى صرح الإمبراطورية في جهات أخرى ، فيضطرونا كل ذلك إلى الخروج من تلك البلاد كما خرج الرومان من بريطانيا » .

(١) يتغير وهي رواية ثانية . (٢) أى من أجل . (٣) أى بنى إسرائيل .

عبد الرحمن بن عوف

كلما ذكرنا واحدا من هؤلاء الأصحاب الخيرة الكرام فإنما نحاول بدراسته أن نجدد للمسلمين عهدا بعد فكاك يدرس ، ومعاني من الإيمان والعظمة والسمو ، ومن النبل والتقوى ومكارم الأخلاق كادت معالمها تحيى ، وهى عز الإسلام ومجد المسلمين ، والمزايا التى إن تجردوا منها فلا خير لهم - علم الله - فى الحياة ، وإذا لكان بطن الأرض لهم خيرا من ظهرها . فهى بصائرهم فى هذه الحياة ، وهى النصر والفتح لهم من الله ، وهى البركات من السماء والأرض ، وهى التى أقاتل عثار العرب وكانوا أعداء فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها ، وكانوا قليلا مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس فأواهم وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات لهم يشكرون .

أيها القارئ الكريم - لاتدع هذه الفرصة تمر بك دون أن تعظ نفسك ، فتجدد بالإسلام عهدك ، وتعيش فى سلف أولئك الصالحين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فلا ترضى لنفسك إلا أن تكون على نهجهم ، وتتخذ الأسوة الصالحة فى سيرتهم . فقد دانت لهم الرقاب وخضعت لهم العباد ، وصاروا سادة فى الدنيا بعد أن كانوا عبيدا ، وزكت نفوسهم وعلمت الكتاب والحكمة بعد أن كانوا أميين لا يعرفون إلا الشهوات البهيمية والنهب والسلب والغارات تلو الغارات .

لقد شاء الله سبحانه أن تكون هذه الطائفة الكريمة هى التى تأخذ دين الله بقوة ، ولقد اختارها الله سبحانه لتسهم بأكبر نصيب فى نشر دعوة الحق فى كل أقطار ورضيها لذلك ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكيف يختار حزبه ، فهم المعيار على الفضائل ، والمقياس لكل من ينشد المكارم ، أو يلتمس المجد الباذخ ، فلعل قليلا من التأمل فى سيرهم يعود بنا إلى المجد الذى اقتعدوه ثم خلفوه ، لو أننا حفظناه باقتفاء آثارهم ، والتزام أحوالهم وأعمالهم ، وقد جاء الخبر عن سيد البشر « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » قيل : من هى يارسول الله ؟ قال : « التى على ما أنا عليه وأصحابى » .

وقد كان عبد الرحمن بن عوف الذى نحاول اليوم عرض صورة منه على القارئ الكريم من خاصة أعضاء هذه الجماعة المحمدية التى جاهدت بكل ماتملك فى نصرة هذا الدين ، ونشر دعوته بين العالمين .

ورضى الله عنه ورسوله فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فى الخبر المشهور الذى بشر فيه أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطليحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح .

ثم رضى الله عنه ورسوله فقدمه المسلمون ليصلى بهم إماماً فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك يوم أسفر الناس بصلاة الصبح وخافوا الشمس ، والنبي صلى الله عليه وسلم فى وضوئه لم يأت بعد ، ثم أدركهم النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فصلى ركعة خلف عبد الرحمن ، وكان الصحابة قد سبحوا لما أدركهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأراد عبد الرحمن أن ينكص ليتقدم رسول الله ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أشار إليه أن اثبت ، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الأولى ثم أقبل على أصحابه فأيد صنيعهم فى تقديم عبد الرحمن وقال : « أحسنتم ، إنه لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته » . ويا لها من شهادة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد شهادة أصحابه العملية بتقدمه دون خلاف عليه ولا رجوع إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما يعامون من منزلة عبد الرحمن عنده .

وقد رضى الله عنه ورسوله كل الرضا فنصره على خالد بن الوليد وقال له : لو كان أحد ذهباً تنفقه فى سبيل الله لم تترك غدوة أو روحه من غدوات أو روحات عبد الرحمن ابن عوف . روى أصحاب الأثر والسير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالداً إلى بنى جذيمة بن عامر يدعوهم إلى الإسلام فى جماعة من أصحابه فقالوا : نحن مسلمون ، فأسرهم وأمر كل واحد من أصحابه أن يقتل من معه ، فى حديث يطول ، فلما قدم خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عاب عبد الرحمن على خالد ونصره عمر بن الخطاب ، وتلاخى عبد الرحمن وخالد وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : يا خالد ، ذروا أصحابي ، متى ينكأ أنف المرء يجمع ، لو كان أحد ذهباً . . الحديث .

وهكذا كانت كل أخباره وأحواله تدل على ماله من مكانة فى الإسلام ومنزلة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وخيرة أصحابه ، لما وهبه الله سبحانه من إخلاص عجيب وتضحيات فى سبيل نصرة الإسلام ، وما كان يسع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه وماله ، ويفدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخرج المواقف فى سبيل الله

منذ عرف الإسلام فدخل فيه مع السابقين الأولين، لا يخالف على صاحب الرسالة ولا يرد له دعوة ، فلا يراه في كل أمر إلا حيث يحب الله ورسوله .

نشأته وحياته

كانت ولادة السيد الزهري عبد الرحمن بن عوف بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات ، وكان والده عوف بن الحرث بن زهرة بن كلاب ، ولهذا يلقب أحياناً بنحال النبي صلى الله عليه وسلم .

ونشأ رحمه الله بمكة صادق الحس سليم الفطرة، لا يعبا بما كانت تعج به مكة من عبادة الأوثان ، والإيغال في الأثم والبهتان ، وهذا عجيب من أمر رجل نشأ في وسط يجحد الآباء ويحفل بما يحفلون به ، ويقولون حتى بعد سطوع نور الحق : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، ولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

فإذا كان عبد الرحمن لا يبالي ما يصنع هؤلاء ولا يلتفت إليه ، فإن جدرا به أن يكون من حملة هذا الدين والآخذين به خيراً مأخذ ، وقد نقلت الأخبار أكثر من هذا : أنه لم يكن من المسرفين في الخمر، وغلا بعض الناس فقال : إنه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وهو لا يتفق مع ما رواه أبو داود والترمذي وصححه عن علي بن أبي طالب (١) قال : صنع لنا ابن عوف رضي الله عنه طعاماً فدعانا فأكلنا وسقانا نحمراً قبل أن تحرم ، فأخذت مني وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون ، فخلطت فنزلت : « لا تقرّبوا الصلاة وأتمّ سكارى حتى تعلموا ما تقولون » فإن من المتعسر التوفيق بين الخبرين لأنه بعيد جداً أن يكون عبد الرحمن ممن لا يشربون الخمر ولا يجربونها ثم يقدمها على مائدة طعامه .

ومهما يكن فقد عرف عن عبد الرحمن ما عرف عن غيره من أئمة الصحابة أمثال أبي بكر وعلى من التنزه عن كثير من أمر الجاهلية في الجاهلية ، وذلك من صفاء النفس ، وصدق الحسن ، لهذا كان عبد الرحمن من أوائل من لبوا دعوة الإسلام وسبقوا إلى الحسن مع أبي بكر وعثمان وطلحة وعلى ، على أنه كان بزازاً يتجر في الحرير ، وكان في إسلامه بعض

التضحية بماله لقلة الرغبة في التعامل معه ، على أنه يشركه في ذلك المعنى أبو بكر وعثمان وطلحة ، كانوا يتجرون في الحرير وسبقوا إلى الإسلام .

وكان مما عهد به القدير الحكيم لانقياد عبد الرحمن لدعوة الإسلام ما يذكره أرباب السير في أخبار السكهان [١] .

روى أصحاب السير عن ابن عساكر عن عبد الرحمن ما خلاصته أن عبد الرحمن سافر إلى اليمن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فنزل على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكان ينزل عليه إذا جاء إلى اليمن .

فسأله مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال : هل ظهر فيكم أحد خالف دينكم ؟ فقلت : لا ، ثم ذكر أنه قدم عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم فقال السكاهن بعد حديث جرى بينهما : ألا أبشرك بشارة هي خير لك من التجارة ؟ إن الله قد بعث في الشهر الأول من قومك نبيا ، وارتضاه صفيا ، وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ، ينهى عن الأصنام ، ويدعو إلى الإسلام ، ويأمر بالحق ويفعله ، وينهى عن الباطل ويبطله ، يا عبد الرحمن : أخف هذه الواقعة ، وعجل الرجعة ، واحمل إليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذى المعالى وخالق الليل والصباح
انك ذو السر من قریش يا بن الفسدى من الذباح
أرسلت تدعو إلى يقين يرشد للحق والفلاح

... ..

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضى الله عنه وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله فاتة . فلما أتيت بيت خديجة رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال : أرى وجهها خليقا أن أرجو له خيرا ، فما وراءك ؟ فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حمير مؤمن مصدق بى وما شاهدنى ، أولئك إخوانى حقا . وكذلك هدى الله قلب عبد الرحمن للإسلام بلا محاولة ولا مطاولة كما كان من غيره .

(١) راجع أخبار السكهان في التبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم في سيرة ابن دحلان وغيره ، وإنما نذكر هذا لأنه يزيد المؤمن إيمانا بدينه ، وليس فيه شيء مما يخالف قواعد الإسلام والمنطق ، على أننا لا نقطع بصحته .

ثم جرى على عبد الرحمن ما جرى على غيره ، ممن دخلوا في دين الله أول ما أنزله من اضطهاد وتعذيب وإنكار وقطيعة حتى من أقرب الناس إليه ، وقد فعلت أمه معه مثل ما فعلت أم سعد بن أبي وقاص معه فقالت : والله لا يظلني سقف من الحر أو البرد ، وإن الطعام والشراب حرام عليّ حتى تكفر بما جاء به محمد ، فما بالي شيئاً . وكذلك الإسلام حين تخالط بشاشته القلوب .

ثم كان عبد الرحمن فيمن كتب لهم الهجرة إلى الحبشة منذ أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بها وقال كلمته الشريفة المأثورة : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملسكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أتم فيه » فخرجت الكثيرة من خيرة المسلمين إذ ذاك وكان منهم عثمان وزوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم والزبير وعمر ابن سعيد بن العاص وأخوه خالد وجعفر بن أبي طالب وغيرهم من خيرة السابقين الأولين ، وقد بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا وسبع عشرة امرأة .

وكان عبد الرحمن أثرى من عرفته مكة إذ ذاك ، فكانت تضحية على تضحية ، وكان في سبيل الله ما يليق عبد الرحمن ، كما كان في سبيل الله ما يليق عثمان بن عفان . وكانت هذه الهجرة صقلا لمن كتمت له ، تزيده بصرا بالحياة وعرفانا ببعض الأمم ، كما كانت إيمانا وبصيرة وهجرة ، وعاد عبد الرحمن إلى مكة فيمن عاد .

ثم أذن الله للنبي أن يهاجر بأصحابه إلى المدينة ، فكان عبد الرحمن من أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتغنون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .

بعد الهجرة

كان عبد الرحمن ممن امتازوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تهن قواهم ، ولم تلن قناتهم . وقد كان الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وقد آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار إخاء كإخاء النسب ، فكان الأخ الأنصاري يقاسم أخاه المهاجر ماله وينزل له عن إحدى زوجتيه إن كان له زوجتان فيطلقها ويزوجها أخاه إذا انقضت عدتها .

وكان أخو عبد الرحمن سعد بن الربيع فقال سعد : يا عبد الرحمن : إني من أكثر

الأنصار مالا فأنا مقاسمك، وعندى امرأتان فأنا مطلق إحداهما، فإذا انقضت عدتها فزوجها، فقال عبد الرحمن - في إباء الإسلام وكرامة بنى عبد مناف وأدب النبوة المحمدية -: بارك الله لك في أهلِكَ ومالك، ولكن دلني على السوق، ثم خرج واتجر، فكان من أثرى المسلمين بالمدينة كما كان أثرهم بمكة، وقد نفع الله الإسلام بما لعبد الرحمن وتضحياته في كثير من المناسبات الكريمة والغزوات، يخرج منه مرارا في سبيل الله فيبدله الله خيرا منه، وكان ذلك من المعاني التي زادت حبا في الله ورسوله والمؤمنين .

وما زال عبد الرحمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وما أعظم بركة الجهاد والتضحية على صاحبه وأعوذها بالخير وجميل الذكرى والشرف والسؤدد، هي التجارة التي لن تبور، والسعادة الحقة والمجد الصحيح لمن كتبته له، وقالوا : إن عبد الرحمن لم يتخلف عن غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما أثر عنه في يوم بدر أنه رأى الملائكة تقاتل من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الذي أثر عنه في أحد فشيء إنما يدل على تفانيه في الله ورسوله، لقد ظل يناخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدفع عنه الأذى ويقيه بنفسه في خمسة عشر من أصحابه فقط، يدين لهم الإسلام بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللأسباب قيمتها في تحقيق المسببات، وكان فيهم أبو بكر وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين، وقد جاء في الآثار والسير أنه أحصى ما به من الجراحات فكانت واحدا وعشرين جرحا مع إصابته في رجله .

كما أثر عنه في تبوك أنه أسهم بمائتي أوقية من الفضة في تجهيز جيش العسرة، وهذه هي الغزوة التي اقتدى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن ركعة ثم قال : إنه لم يتوف نبى حتى يؤمه رجل صالح من أمته، وكلها أوسمة شرف ومجد لعبد الرحمن جعله موضع التقدير في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسجل له في التاريخ ذكرا رفيعا وأسوة كريمة .

ويأثر التاريخ لعبد الرحمن سريته إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست من الهجرة ليدعو كلبا إلى الإسلام وكانوا من النصارى، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقعده بين يديه وعممه بعامة سوداء وأرعى بين تخفيه منها، ثم قال : اغد باسم الله فقاتل من كفر بالله، وأوصاه هو وأصحابه وكانوا سبعة رجل، فدعاهم ثلاثة أيام ثم أسلم أميرهم، وكتب إليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج تماضر ابنة الأمير واسمه الأصيبغ بن عمرو، ثم فرض الجزية

على من أقام على دينه ، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أكثر ما يعرف التاريخ لعبد الرحمن من جهاد وتضحية .

بعد الرسول صلى الله عليه وسلم

ظل عبد الرحمن محافظا على عهد الإسلام وفيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآله الكرام ، وتجلى ذلك في بره لزوجاته وصلتهن بالعطايا التي تبغ من القارئ العجيب .

ومن ذلك ما روى الترمذى بسنده وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم للنسائه : إن أمركن لما يهمنى من بعدى وليس يصبر عليكن إلا الصابرون الصديقون . ثم قالت لأبى سلمة بن عبد الرحمن : سقى الله أباك من سلسبيل الجنة . وكان ابن عوف قد تصدق على أمهات المؤمنين بأرض بيعت بأربعين ألفا .

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : أوصى عبد الرحمن بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمئة ألف .

وهكذا يتجلى الإيمان الصحيح ويبدو القلب السليم ، وهذه أيضا منقبة لا نعلم أحدا زاحم فيها عبد الرحمن . أما صلة عبد الرحمن بالخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت صلة الطاعة والانقياد والحب المتبادل لا يختلف على واحد منهم إلا أن يرى منكرا فما يبالي - وهو حبيب الله ورسوله وموضع التقدير الخطير - ألا يقر منكرا من أحد ، كما قيل إنه خاصم عثمان لما استعمل أقاربه ، وكان هو الذى اختاره بعد تحسس رأى العام ، على أن ذلك شىء قد لا يثبت على البحث ولكنه شىء يذكره الناس فى أخبار عثمان رضى الله عنه ، فإن صح فما أوسع مجال الاجتهاد ، وهم يقولون : إن عبد الرحمن لما خاطبه فى ذلك قال : كان عمر رضى الله عنه يقطع رحمه فى الله وأنا أصل رحمى فى الله ، ولا نرى كثيرا من أحوال عبد الرحمن مع أبى بكر فى التاريخ ، ولكن المفهوم بوجه عام أنه كان موضع تقديره ، وقد رجع إليه قبل أن يستخلف عمر ، وهذه من أمهات مسائل الدين والاجتماع ، وكانت كما يقول أبو بكر فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجر ، ومما يؤثر فى ذلك الصدد ما يرويه المبرد فى الكامل وغيره من المؤرخين عن عبد الرحمن أنه قال : دخلت يوما على أبى بكر الصديق فى علمته التى مات فيها فقلت له : أراك بارئا يا خليفة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال : أما إني على ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يامعشر المهاجرين أشد على من وجعي ، إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورمأنفه أن يكون له الأمر من دونه ، وهى كلمة رائعة من كلام أبي بكر (١) يقول عبد الرحمن فقلت : خففص عليك ياخليفة رسول الله ، فأن هذا يهيكك إلى مابك ، وإنما الناس في أمرك رجلان : رجل رأى رأيك فهو معك ، ورجل خالفك فهو مشير عليك ، وصاحبك كما تحب ولا نعلمك أردت إلا خيرا . والذى يعيننا من الحديث أن أبا بكرضى الله عنه جعله موضع شكاته ومتنفسه مما يجد ويشكو ، فأما عمررضى الله عنه فإنه كان يتخذ صديقا وصاحبا في الأسفار ومستشارا ومرجعا حتى في مسائل العلم ، فقد رجع إليه في مسألة حد الشرب فجعله ثمانين جلدة ، وكان موضع اجتهد الصحابة ، ورجع إليه فيما يستقر عليه الرأي في الوباء إذا وقع بأرض ، وقد سافر معه إلى الشام في حديث يطول ، وأخبار قد لا يتسع لها المجال اليوم ، وقد كان عمر صيرفيا في الرجال واعيا حريصا على الممتازين الخيرة من الرجال .

وهو الذى جعله في السبعة أصحاب الشورى ، وقال ليس لعبد الله بن عمر فيها شيء ، وقال : إذا تساوت الأصوات فكُونوا مع عبد الرحمن بن عوف .

وقد قص التاريخ الطويل الكثير من أمر عبد الرحمن وأنه بطل المفاوضات والمداولات حتى أتم الأمر لعثمان بما أراه الله ، وبعد طول بحث في حدود المدة التي حددها عمر ، وهى مسائل مشهورة في التاريخ لا نطيل اليوم بعرضها على القارئ الكريم .

ثم زعموا أنه كره من عثمان بعض الأمر وأنه أعرض عنه حين دخل يعوده في مرضه . وفي عهد عثمان رضى الله عنه كانت وفاة عبد الرحمن رضى الله عنه في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة النبوية الكريمة ، رحم الله الجميع وأحسن أسئلتهم آمين .

بعض صفات عبد الرحمن

لعلك الآن رأيت أهم ما امتاز به عبد الرحمن من الجهاد والتضحية والشخصية الكريمة ، وقد كان عبد الرحمن رضى الله عنه من أثرياء المسلمين واسع التجارة كثير الماددة ، يقولون : إنه كان على مربطه مائة فوس ، وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم ، وقد قدر ربع ثمن ماله بعد وفاته فبلغ أربعة وثمانين ألفا ، على أنه كان من أندى المسلمين يدا ، وأكثرهم

سخاء وأشدّهم برا بالفقراء والمعوزين وأبناء السبيل ، وقد ضرب في ذلك أروع الأمثلة ، وكان مضرب المثل بمثل سماحة الإسلام وسخائه ، طالما شطر ماله على عهد الرسول وتصدق به . تصدق مرة بأربعين ألف دينار ، وحمل مرة على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة .

وكثيرا ما أعتق في سبيل الله حتى قالوا : إنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا . وتحدّثوا أن جملة ما أعتقه بلغ ثلاثين ألف نسمة ، على أنه كان يخشى المال ويكرهه ، ويخاف مغيبته .

روى أنه بكى مرة بكاء شديدا ف قيل له : ما يبكيك ؟ قال : إن مصعب بن عمير كان خيرا مني . توفي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفن فيه . وإن حمزة بن عبدالمطلب كان خيرا مني ، لم نجد له كفنا ، ولما أخشى أن أكون ممن عجلت له طبيباته في حياته الدنيا ، وأخشى أن أحتبس عن أصحابي بكثرة مالي .

وتحدّث نوفل بن إياس قال :

كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسا ونعم الجليس ، وإنه انقلب بنا ذات يوم حتى دخلنا منزله ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا فأتينا بقصعة فيها خبز ولحم ، فلما وضعت بكى عبد الرحمن ثم قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشجع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ولا أرانا أنحرنا لما هو خير لنا ! وهناك صور وأخبار تدل على زهده وتقشفه وكثرة إحسانه إلى الفقراء والمعوزين .

على أنه كان فقيها في دينه بصيرا بالكتاب السنة ، يفتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من فقهه وبصره أن عمر بن الخطاب أسند إليه إمرة الحج ، وكان من أمانته أنه اتّمنه على بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج بهن ، كما كان عمر رضى الله يقدمه ويستشيريه ويرجع إلى قوله في العلم والسياسة .

هكذا كان الخيرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يحملون هذا الدين فيزكى نفوسهم ، ويضعها في مصاف الملائكة ، ويسمو بأرواحهم فيسجل لهم ذكر الخالدين .

والحمد لله رب العالمين

محمود السراوي

المفتش بالأزهر

العمدة في أسباب الخلاف

بين حملة الأديان

مما لا مرية فيه أن الأديان السابقة على الدين الإسلامي لم يجد المنتسبون لها مناصباً من التقيد بقيود لآمت إلى الأديان ذاتها بصلّة ، بدليل أنهم كانوا يناجزون أنبياءهم ورسلمهم بالمنديات ، ولا يخضعون لنواميسهم إلا بقدر ما تتفاعل به نفوسهم من الخوارق والآيات ، ولذلك جعل الله آيات الأنبياء الأولين من خوارق العادة ، ومما تقام به الحجة في بيئة كل نبى : فوسى بن عمران أحرص مناجزیه بآية العصا حين أعملها في محاكاة الحية وتلف ما يافكون ، وحين ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وإبراهيم ألقى في النار بفعل مناجزیه فقال الله لها : « يا ناركونى بردا وسلاما على إبراهيم » . ونوح صاحب السفينة أنجى الله له قومه من الغرق والشرق ، على حين أن طوفانه شمل أكثر هذه الرقعة السوداء ، وعيسى أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ونبأ الناس بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم من طعام وشراب وكساء ، ومن إليهم ممن ناجزهم المعاندون ووقف في طريق رسالتهم المخالفون .

على أن الذين آمنوا بتلك الخوارق من المعاندين والمشاكسين واستسلموا لها وأخذوا بها لم يعدوا أنبياءهم ورسلمهم مجرد حملة رسالات أو نبوات ، بل ضربوا في بيداء الخيال حتى ارتفعوا بهم إلى منازل العبادة ، فأكبر أسباب الخلاف بين الأمم تعصبها لأنبيائها ، وارتفاعها بهم عن مرتبة الرسالة والنبوة إلى ما لا يتفق مع الدين والعقل ، ولا يستقيم على دليل .

كانت الأمم في العهود السابقة لاتدين للقررات العلمية ، ولا تخضع لأحكام العقلية ، هائمة بين الحس والخيال في واد لا يحده حد ولا يسوده نظام من الأنظمة . فقد كان الحس يفزع الأمم بأنواع من التفاعل الوجودى : من حر وبرد ، وجوع وظمأ ، ومرض وموت . فكانت تنفعل طبيعتها بهذه الفواعل أيما انفعال ، فتتطلب المخلص بالحد

والكدح ، فإن أخفقت في ارتياد المخلص من عالم يعلو متناول حسنها ، نظرت إلى السماء مناجية العلى الأعلى قيوم السموات والأرض ، وهى نزعة ليس أكل ولا أحق منها لو وقفت عند هذا الحد . ولكن الخيال يطمس جلالها وجمالها بما يحمل إليها من صنوف الأوهام والتصورات الباطلة ، ويحمل الأثم على تجسيد هذا الشعور العالى ، فتدين الأثم لأنصاب وأصنام تتخيل فيها الوساطة أو الحلول ، أو غير ذلك من الأحلام .

فكل رسول أرسل إليهم ارتفعت به إلى أعلى من مستوى البشرية ، وأكثرها دعاه ابن الله ، وكان أكبر أسباب هذا الغلو اعتماد أولئك الرسل على المعجزات في تأييد دعواهم كما أسلفنا ، فكانت هذه الخوارق من أكبر أسباب رفع الأنبياء إلى درجة البنوة لله تعالى والغلو في تعبيدهم ولا سيما بعد موتهم إلى حد جهلوا معه الخالق ذاته ، فجعلت العبادة لهم دون من خلقهم وأرسلهم أو في مستوى عبادته ، حتى نعى الله عليهم ذلك النهج الرخيص فقال عز من قائل : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلًا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون » .

فلما جاء دور الإسلام كانت الأثم - ولا سيما العرب - قد دخلت من حياتها الأدبية في دور التعقل والفهم ، وعرفت لأحكام العقل ونواميس الكون قيمتها ، حتى أن العرب لما أرادوا أن يبطلوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، اقترحوا عليه أن يأتهم بالمعجزات ، ويؤخذ من سياق طلباتهم أنهم كانوا لا يهابون بها ، فقالوا تحديا لدعوته كما حكى الله عنهم : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف (من ذهب) أو ترقى فى السماء ، ولن نؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا » .

ظاهر من السياق أن هؤلاء تحدوا الرسول الأعظم فيما طلبوه مع اعتقادهم أنه لن يحقق لهم ما تحدوه به ، لأنه ليس فى طوق البشر ، وحتى لو كان فى طوق البشر وحققه لهم كله أو بعضه لقالوا إنه السحر ولا شئ غير السحر « ولو فتحننا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون » سكرت أبصارنا أى سدت عن الإبصار بالسحر .

إلى هذا الحد يتضح الفرق بين من عاصروا الرسول الأعظم وبين من عاصروا الرسل والأنبياء السابقين ، فالمعاصرون للرسول كانوا لا يقبلون دعوته إلا بالحجة والبرهان ، ومنزلة هذه الدعوة من الدليل القاطع في صحتها . أما أولئك السابقون فقد كانوا يسمعون بالدعوة من قبل رسلهم وأنبيائهم لمجرد أن يأتوهم بالحواري والآيات الناجمة عن تحديدهم لهم ، لأن المعجزة في عرف العقل أن تقوم مقام « صدق عيسى في كل ما يبلغه عنى » . لكن وقد بلغت العقول شأوا بعيدا من الإدراك وفهم الحقائق على أوضاعها في عهد الرسول الأعظم لم يكن الإيمان برسالاته إلا منبعثا من البرهان الدامغ والحجة البالغة في باب الأقيسة العقلية والدلائل البرهانية .

فلا غرو أن أصبح المسلمون بعد عدد محصور من السنين أرقى الأمم علما وعملا ، وأبعدهم بالوجود وحوادثه خبرا ، فكانوا يدرسون الطبيعات والرياضيات وينقبون في الأرض عن خفايا المعادن ذات القيمة العظيمة في الصنائع والفنون باسم الدين والقرآن وخلافة الله في الأرض ، بينما كان من تقدمهم يقتل بعضهم بعضا تأليا للرجال ، واختلافا في الأباطيل التي أحاطوا بها عقائدهم ، فلا عجب أن بلغ المسلمون من المدنية الفاضلة في أقل من قرن ما لم تستطع أكبر الأمم شأننا أن تبلغه في قرون عديدة .

إن من المدهشات بل من المعجزات التي تشهد لهذا الدين بأنه وحى إلهي صادق أنه حشر إلى حظيرته في قرن من الزمان نحو مائة مليون من الأتباع بحض وجوده لا بسيف ولا إغراء ، لأن المسلمين كانوا إذا أرادوا إخضاع أمة بحريا على ناموس التغالب خيروها بين ثلاث : الإسلام أو الجزية أو الحرب ، وكانت الجزية التي يضر بونها على الأمم لا تبلغ بعض ما كان يجبيه ولا تهم منهم بضرب وجودهم ، فكان يسهل على كل أمة تغلب لهم أن تدفع الجزية ، فما الذي اضطر هذه الملايين إلى الدخول في الإسلام غير سماحة هذا الدين وانطباقه على أحكام العقل ، وظهور أهله بمظهر الكمال والفضل ؟

بل إن أكثر الولاة كانوا لا يرتاحون إلى رغبة غير المسلمين في الإسلام طمعا منهم في زيادة أموال الدولة بما يجيء من الجزية ، فإن الرجل كان بمجرد دخوله في الإسلام يعفى من الجزية ، فيكون في ذلك عجز لإيراد الحكومة ، لهذا كان بعض الولاة يكرهون أن تدخل الأمم المفتوحة في الإسلام تفاديا من نقص الإيرادات .

ولكن الشعوب كانت ترى الفرق واضحاً بين تعاليم دينها وتعاليم الإسلام ، فكانت تتراعى إلى أحضانها طائفة مختارة ، حتى بلغ عدد من دخل منهم في أقل من قرن في الإسلام نحو مائة مليون كما أسلفنا ، وهذا عدد لم يسمع بمثله في تاريخ دين من الأديان .

ولا يزال الإسلام سائراً في طريقه من الانتشار العظيم رغم تقصير أهله في الدعوة إليه ، وتنظيم الإرساليات والدعاة ، ولو كان المسلمون اليوم على ما كان عليه آباؤهم من الفضائل التي يهددهم إليها دينهم ، ويعلنون عنها بسيرتهم ، لانتشر دينهم بلا دعوة انتشاراً لا يدع لغير الإسلام من الأديان مجالاً لمنازعته .

وقد بذل الإسلام مجهوداً عظيماً ليزعزع في الأمم عقيدة تأليه النبيين حتى لا تقف هذه العقيدة حجر عثرة أمام ترقيقهم فقال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى إليهم » وزاد على ذلك بياناً فذكر شيئاً من تفصيل حالات أولئك المرسلين حتى يزيل كل احتمال لارتفاعهم عن مستوى الإنسانية فقال تعالى : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ، وكان ربك بصيراً » كأنه قال : إن من يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق لا يصح أن يكونوا آلهة ، فهم أفراد من خيار هذا النوع ، لا فرق بينهم وبين سائر أفرادهم إلا أنهم اختيروا لأن يكونوا رسلاً لله إلى عباده .

كان لهذه الآيات تأثير كبير في كسر غلواء الوثنية والشرك ، وصد تيار التأليه عن صالحى البشر ، ولم يزل هذا التأثير يرقى وينتشر حتى صرنا في قرن لا يحسر واحد فيه أن يعلن هذه العقيدة في بلاد لم تأخذ حظها من العلم والنظر .

وأخذ نوابغ القرون الأخيرة يثبون في الناس مبدأ تنزه الخالق عن الولد والشرىك ، وأن المرسلين ليسوا إلا رجالاً اقتبسوا النور عن الخالق وعكسوه على الناس ، فقال فيلسوف الشعراء (فكتور هوجو) كما نقلته المجلة الروحية عنه : « إن الشعور الفطرى المودع في صميم الإنسان بوجود الله تعالى أتى إليه من تلك الشمس مباشرة (يعنى بالشمس الله عز وجل) أما الديانة اليهودية ، والصائبية ، والبوذية ، والمسيحية ، والمحمدية ، فهى من نور القمر ، لأن موسى وبوذا وعيسى ومجدا هم أنواع من السكواكب دائرة حول تلك الشمس يستشرقون نورها ويعكسونه على من دونهم من العالمين ، فالديانات التي هى أقمار الشمس الإلهية مهمتها إفاضة النور على الإنسان في غياهب حياته وظلمات بقائه » .

هذا كلام فيه جهات من الضعف إلى جانب جهات من القوة بارزة فيه ، ولكن
 مما يستشهد به على أية حال للدلالة على تحول العقلية البشرية عن تأليه الأنبياء ، وعلى اتجاه
 نظرها إلى الديانة الإسلامية بعد أن كان التعصب يحول بينها وبينه .

فالحوائل التي كانت تفرق بين الأمم ، وأشدّها الغلو في تقدّس أنبيائهم والصالحين
 من رجالهم ورفعهم إلى درجات الألوهية ، كادت تكون في عداد الآثار التاريخية .
 فإذا وصل الإنسان إلى الخلاص منها توحدت الأديان على أسلوب القرآن ، وكان الفوز
 لأصوله على مر الزمان .

عباس طه
 المحامي

أمل الشرق العربي

أرى الأمل الذي نحيا عليه	أضاء من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طرق المعالي	فدهركم عصامي عنيـد
وجرح العرب يضمده بنوه	وهل يتلاءم الجرح القصيد
نيام أغرقوا في النوم حتى	أشيع بأنهم شعب بليد !
أرى الحرية اختضبت دماء	وقد خفقت لطلابها بنود
رخيص كل ما بذلوه فيها	ولا تغلو النفوس ولا النقود
إذا جعلت لها الأرواح مهرا	فان لمجدها كتب الخلود

محمد الهاشمي

محمد المثل الأعلى

أول من خط طريق الكفاح للحق

كان الدهر يمضى سادرا في غلوائه ، تتغشى مظالمه شعوب الأرض ، وتعبث مفاهيمه في مسائل الأخلاق والعقيدة ، بشرف الإنسانية وسلامها .

ولكن رجلا تنشق عنه الصحراء في واد غير ذي زرع ، وغير ذي قوة حاسمة ، يعترض طريقه ليقول له : قف أيها الدهر ، فإن لي معك حسابا عن مصاير الإنسانية ومقدراتها .

ويبتسم العجوز الماكر الذى طوى القرون ، وابتلع الأحداث والرجال جميعا ، يحاول أن يقول شيئا ، ولكن السماء ترج بأفلاكها وكواكبها لتناديه من فوقه : أطمعه فانه النبي الموعود « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

في هذه اللحظة كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد مزق حجاب السرية عن وجه دعوته الحديدية ، وصعد على الصفا ينادى بصوت جهير : يا بني فهر ، يا بني عدى - لبطن قريش - بفعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر ، بفاء أبو لهب يتقدم قريشا فقال عليه الصلاة والسلام :

أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أفكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا .

قال . فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب - طاغية القوم - : تبا لك ، ألهذا جمعتنا . فكانت أول كلمات الغرور يلقى بها رجل تائه في وجه القوة الزاحفة .

ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم ينادى مرة أخرى - والدهر واقف يسمع - عشيرته الأقربين :

« ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو ، انى لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس عامة . »

فقام أبو هب - مرة أخرى يقول - خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب ، فان أسلمتموه ذلتم وان منعتموه قتلتم .

فكانت أول بوادر الجزع المرتعد ، يقول بها أمس منهزم ، أمام غد غالب .

وبدأت الحرب ، وبدأ الكفاح بين الحق والباطل ، بين النور والظلام ، بين القوى الانهزامية المتقهقرة التى تجر الإنسانية إلى الوراء ، فى مسارب الظلم والجهازلة والجحود ، وقوى التقدم الاستطلاعية الوثابة التى تقود الإنسانية إلى معارج رقيها ، وسبيل هديها ، ومستقر أحلامها وانغامها ، وكان كفاحا رائعا ، لم تشهد مثله الدنيا ، وكانت روعته وفذاذته فى التأليف المثالى بين العدل والقوة ، وحرمان الذات من أجل البذل للعالم ، واسقاط العواطف والميول والعصبية ، لتكون كلمة الحق هى العليا .

عظمة أى كفاح لا تكون إلا بما تحمل صدور أصحابه من القوة والعناصر النفسية التى يتركب منها كل كفاح مظفر : الصبر ، والصدق ، والمخاطرة . ولعل هذه المعانى لم تبلغ مثلها الأعلى فى كفاح عرفه الناس - كما تجلت فى الكفاح المحمدى . وأول ما خطب النبي بالإنذار خوطب معه بالصبر قال تعالى : « يا أيها المدثر قم فأأنذر » ثم قال فى سياق الآيات : « ولربك فاصبر » ولقد صبر - النبي صلى الله عليه وسلم - على إنذار قومه وإبلاغ دعوته صبرا عظيما ، كان منبع القوة التى استنفدت شر أعدائه ، كما كانت منبع القوة التى خلقت ممن كان حوله من المستضعفين والأرقاء عمالقة مرهوبين . أقبل خباب بن الأرت - وكان عبدا يعذب بالنار - إلى رسول الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ، فقال : يا رسول الله ، ألا تدعو الله لنا ، فقال : إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ، ما يصرفه ذلك عن دينه .

ولقد عانى النبي - صلى الله عليه وسلم - فى كفاحه الأعظم ما نسميه اليوم بالحصار الاقتصادي - هو وقومه ومن فيهم من المسلمين ، لا يمكنون من بيع ولا شراء ولا معاملة ،

وظلوا كذلك ثلاث سنين ، حتى أكلوا ورق الشجر ، فما زادهم ذلك إلا إيماناً وتثبيتاً ومضياً في كفاحهم إلى الأمد الأقصى .

والصدق أول طريق الكفاح إلى الحق ، وليس هو الصدق في الحديث إلى الناس فقط ، ولكنه صدق صاحب الفكرة مع نفسه ، فلا يستر عنها من مكاره الواقع وتبعاته شيئاً ، وصدقه مع دعوته فإذا هو بالغ من العلم بها والركون إليها منقطع الغايات في الجزم واليقين ، فهذا الصدق العميق هو القوة الكفاحية التي تتعالى بصاحبها عن متناول الخوف والغرض والتجهيل .

خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لصدهجوم هوازن وثقيف ، وكان في جيش كثيف من المحاربين أعجبهم كثرتهم ، فكشفهم العدو عن مواقعهم أول المعركة ، وفروا إلا قليلاً .

وظل النبي في الميدان العراء ينادى بصوت جهير نفس الصوت الذي كان ينادى به من فوق الصفا : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، حتى ثاب إليه المنهزمون ، وأعاد الصدق إلى نفوسهم الشجاعة والحمية ، فكروا على عدوهم كثرة أنزلت بهم الهزيمة الحاسمة ، وأقبل عليه عتبة بن ربيعة العبدشعبي - مندوب قريش - يساومه ، وكان ذلك قبل الهجرة ، يقول له : « يا بن أمية ، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا ينقطع أمرنا دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجح لا تستطيع رده عنك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فلم يزد صلى الله عليه وسلم في جوابه ، على أن قرأ عليه القرآن من أول سورة فصلت ، ففرع القرآن نفسه قرعاً شديداً ، وقام من مجلسه عائداً إلى قومه ، مرضوض النفس ، واهن الثقة برأيه ، من سطوة القرآن ، ووسطوة الصدق في نفس الداعي الذي يبشر به .

وإذا اجتمع الصبر ، والصدق ، في كفاح ، أصبحت المخاطرة نتيجة حتمية لازمة لها ، ولذلك كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم - من أول يوم الرسالة - سلسلة من المخاطرات المتصلة ، فلم يكن الموت أمام النبي - صلى الله عليه وسلم - شيئاً يؤبه له ، وبذل أن ندخل في تفاصيل معروفة ، نعدو إلى جوهر الفلسفة الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدير من حوله معاني المخاطرة والكفاح ، فإذا هو يتركز في تمجيد الموت في سبيل العقيدة ،

وازدراء الحياة التي يقف الحرص عليها دون بلوغ الكفاح غايته ، وفي ذلك يقول :
صلى الله عليه وسلم ، منذرا ومحذرا :

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقالوا : أعن قلة
نكون حينئذ يا رسول الله ؟ فقال : لا بل أنتم حينئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،
تكرهون الموت وتحبون الحياة » .

فلعل العالم الإسلامي — وهو يناضل اليوم في سبيل حريته واستقلاله ، قوى الشر
والظلام — يجد في حياة المكافح الأعظم قدوة تصعد به إلى غاياته ، وتحقيق أهدافه .

محمد سعاد جبرول

دكتور في الشريعة الإسلامية

من وحي القتال

وحيّ زعيم نهضتنا جمالا	تعال إلى يا شعري تعال
صحائف فعلهم نور تلالا	وحي صحابة سهروا الليالي
لمن لبلادنا فعلوا المحالا	وأنى للنهى ببيان شكر
لما بلغت تحييتنا الكمالا	فلو نظمت من الدر القوافي
مفاخره وسربله جلالا	جمال أعاد للوادي المفدى
أعاديننا ، وأمت القتالا	فشكرا يا جمال طردت عنا
وقد نعموا بها حقبا طوالا	وقد خلصتها من غاصبها
ولا بنجاحهم لما تعالى	ولم تأبه بوعد أو وعيد
وما طاقوا لغضبتك احتمالا	فقد عجموك صلب العود مرا
لدحض الظلم قد عشق القتالا	وشعب النيل حر ألمي
صراخ أجوف منهم توالى	ولن يثنيه عن سبل المعالي

عبد الله محمد أبو عيد
بكلية الشريعة

بدء الشهر القمري الشرعى

مما ورد إلى قسم البحوث بمشخة الأزهر نتيجة بحث لأحد الفلكيين السوريين يقول فى خطابه :

إن الذى حملة على هذا البحث ما نشر فى الصحف بشأن توحيد الصيام والقطر والأعياد ، وما وقع فى هذا العام وفى بعض الأعوام الماضية من خلاف فى بدء الشهر القمري . . .

كما يقول : إنه قد اكتشف فى بحثه هذا أن سبب هذه الفوضى « الكسر » الذى يتبقى فى قاعدة الحساب المستعملة فى التقويم الهجرى ، إذ أنها تجعل الدور (٣٠ سنة) منها (١١ سنة) كبيسة و (١٩ سنة) بسيطة ، مقدار الجميع بالأيام الكاملة (١٠٦٣١ يوما) ويتبقى الكسر (١٤ ر ٤ دقيقة) وهو وإن بدا ضئيلا إلا أنه يبلغ يوما كاملا فى كل ثلاثة آلاف سنة ، وقد بلغ ما اجتمع منه من أول التاريخ الهجرى إلى الآن (١١ ساعة) ومنه نشأ هذا الخلاف ، ثم قال :

وبعد التدقيق وضعت قاعدة مبنية على الدورة القمرية الطبيعية يعرف بها أوائل السنين والشهور القمرية من أيام الأسبوع ، وكذا السنة الكبيسة والبسيطة ، إلى أن قال : إنه عرض هذه الطريقة على الحكام والمفتين فى سوريا والأردن ووافقوا عليها . . .

وأقول : إن كل ما تقدم مما ذكره أنى الفلكى السورى لم يكن بجديد ، بل كله يدور حول طريقة بدائية تقريبية يعرفها الفلكيون العرب وغيرهم من قبل الإسلام ومن بعده ، ولم يعتمدوا الشرعيون منهم فى معرفة بدء الشهر القمري الشرعى ، ولم تدخل فى أعمالهم الحسابية إلا للتقريب ، ولا زالت تقريبية مهما أدخل عليها من تصحيح أو تعديل ، وقد سموها من قديم « طريقة جبر الكسر » إذ أنهم بعد أن عرفوا أن متوسط مقدار الدورة القمرية (٢٩٥٣ يوما تقريبا) وأن مجموع الدورتين (٥٩٠٦ يوما) اصطالحوا من قبل الإسلام على جعل الشهر الأول من كل شهرين (٣٠ يوما) وجعل الثانى (٢٩ يوما) تاركين للكسر مدة السنة الأولى . . .

ولما كانت السنة (١٢ شهرا) بمقدار (١٢ دورة قمرية) أعنى $12 \times 29.53 = 354.367$ يوما تقريبا ، والكسر هنا فيما يبدو أقل من نصف يوم فلم يجبر إلا في السنة الثانية حيث يصير $354.367 \times 2 = 708.734$. من اليوم بخبر يوما كاملا صارت به السنة (٣٥٥ يوما) وسموها بكيسة .

ومعلوم أن المقدار (٢٩٥٣) للشهر إنما هو متوسط الدرة في (١٩ سنة) تقريبا ، وأما حقيقتها فتارة تكون أقل وتارة أكثر ، ولا يخفى أن في حالة الأقل يكون المضاف للجبر أكثر من نصف يوم ، وهو كفيل بأن ينقل أول الشهر عن الوضع الهلالى الشرعى إلى ما قبله أو ما بعده بيوم أو يومين ، هذا هو سبب التقريب في هذه الطريقة ، ولم يمكن تفاديه من أول ما وضعت إلى الآن . . .

وأما قول الأستاذ ابن خليل : إنه وضع قواعد لمعرفة الكيسة والبسيطة ، وأول السنة والشهر القمرين من أيام الأسبوع ، فن باب التفنن في الاقتباس من قواعد المتقدمين المعروفة لديهم من قديم .

مع العلم بأن بعض هؤلاء المتقدمين قد سلكوا غيرها من الطرق الدقيقة الانتاج من عهد النهضة العلمية الإسلامية البادئة بعد الـ ٢٠٠ هجرية تقريبا ، وقد بقيت هذه الطرق في بطون كتبهم التي لم يطلع عليها أنحى الفلكى السورى ابن خليل على ما يظهر .

على أن الفلكيين الغربيين بعد أن تعلموها من فلكى الإسلام حافظوا عليها إلى الآن ، وقد ترجمها عنهم بعض من تعلموا الفلك في أوروبا من أسلافنا ، وكتب الجميع بين أيدينا .

وهي قواعد فلكية تنتج الوضع الاجتماعى، وكذا الوضع الهلالى المسمى بحساب الرؤية، مبنية على قوانين جبرية وهندسية وحساب مثلثات مستوية وكروية .

على أن كل ما تقدم يسهل أمره ، إنما الذى يلفت النظر ويدهش العقل في كلام وأعمال الفلكى ابن خليل قوله في خطابه أيضا :

« وبهذه المناسبة وضعت قاعدة لتطبيق التقويمين على بعضهما ويسيران جنبا لجنب فيقع شهر المحرم بين « آذار ونيسان » ويقع شهر رمضان بين « تشرين الثانى وكانون الأول » سنويا بصفة دائمة » .

وأقول : إن الأستاذ ابن خليل وإن لم يوضح هذه القاعدة التي وضعها ، إلا أن المتأمل في جدول (الثلاثين سنة) المرافق لخطابه ، وقال إنه استخرجه لامتحان هذه القاعدة ، يجد أنه قد ضل الطريق المستقيم ، إذ أنه يحذف من التقويم القمري الهجري (سبعة أشهر) من كل (١٩ سنة) لتستمر شهور التاريخ الهجري متمشية مع شهور التاريخ الميلادي في فصولها الشمسية بصفة دائمة .

ثم ينقل اسم الشهر المحذوف إلى أيام الشهر الذي بعده ، كأن أيام الشهر المحذوف لم توجد في التاريخ الهجري أصلا ، وبذلك تتأخر أسماء الشهور إلى ما بعدها حتى يأتي الحذف الثاني وهكذا .

ولم يدرك ابن خليل أن هذا هو النسيء الذي استعمله عرب الجاهلية ، فأفسدوا التواريخ العربية بأبهام معالم المواسم الدينية التي ورثوها عن أبيهم إبراهيم عليه السلام ، فكانت ديننا آخر غير دين الله ، إذ نقلوها من أمكنتها وأيامها التي كانت معينة لها بحكم الله تعالى إلى أيام أخر عينوها بحكمهم هم ، وهو حكم لم يأذن به الله .

ولما جاء الإسلام أبطله بقوله تعالى : « إنما النسيء زيادة في الكفر » الآية ، فانه اشتمل على إنقاص أحد مسميات الأشهر مع تأخير وإنشاء اسمه إلى ما بعده زيادة على ما تضمنه من كبس شهر أى زيادته في هذه السنة إذ تكون في الواقع (١٣ شهرا) .

على أن الأستاذ ابن خليل قد تضارب أيضا في كلامه ، إذ ذكر مثالا لاستخراج أول العام الهجري الماضي سنة ١٣٧٥ من أيام الأسبوع ، مع أنه على طريقة جدولته يكون كما يأتي ١٩٥٦ - ٦٢٢ = ١٣٣٤ هجري قمرى شمسي (نسى) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا أولياء الأمور - تداركوا هذه الأمة بأنشاء مدرسة فلسكية شرعية ، أو قسم تخصص فلسكى شرعى ، يخرج فلسكيين شرعيين يرجع إليهم في مثل هذه المسألة الفلسكية الشرعية ، وإلا فمن عليه الذنب يا ترى ؟ ، وهو عظيم جدا إذ فيه إحداث لدين لم يأذن به الله . اللهم فاشهد ، فاني قد بلغت ما

محمد أبو العود البنا
مدرس الفلك بالأزهر

لغويات

المواضيع والمشاكل

ينكر نقاد العربية هذين الجمعين للوضع والمشكلة . وإنما يقال : الموضوعات والمشكلات ، ولا يجتمعان جمع التكسير . فكما لا يقال في جمع مضروب مضارب ، ولا في جمع مكربة مكارم ، لا يقال في جمع موضوع مواضيع ولا في جمع مشكلة مشاكل . ومآتى هذا أن باب جمع الوصف هو جمع التصحيح أى جمع المذكر السالم إذا كان للمذكر العاقل ، وجمع المؤنث السالم إذا كان لغيره .

ولابن هشام كلام حسن في هذا البحث أحببت أن أسوقه إليك ، وهذا في شرحه لقصيدة « بانت سعاد » عند قول كعب - رضى الله عنه - :
أمسست سعاد بأرض ما يبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل

فهو يقول : « وإنما تمتنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسألتين : إحداهما أن تكون على وزن مفعول ؛ كمضروب ، وشذّ نحو ملاعين ومشائيم . والثانية أن تكون الميم مضمومة ؛ كمكرم ومنطلق . ويستثنى من هذه مفعول ومفعول المختصان بالمؤنث ؛ كمريض ومكعب ، فيجوز تكسيروهما ؛ قال الله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل » . وقال أبو ذؤيب :

وإن حديثاً منسك لو تبدلينه جنى النحل فى ألبان عود مطافل
مطافيل أبحار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفازل

والقارئ لهذا يرى أن مفعلاً ومفعلاً اللذين يكونان للمؤنث ولا يلحقهما التاء يجتمعان جمع التكسير قياساً ، وذلك كمريض ، ومكعب ، فيقال : مراضع ومكاعب ، والمكعب : التى نهى نديها . وهذا الذى ذكره ابن هشام مأخوذ من قول سيبويه فى الكتاب ٢ / ٢١٠ : « وأما مفعول الذى يكون للمؤنث ولا تدخله التاء فإنه يكسر ، وذلك مطلق ومطافل

ومشدين ومشادن» والمطفل : الأم معها طفل . والمشدن : الظبية التي قد شدن ولدها أى قوى واستغنى عن أمه . وابن يعيش فى شرح المفصل ٥ / ٦٧ يسلك المراضع والمشادن مسلك الشذوذ كملاعين ومشائيم ، وهو نظر غير سديد .

وهنا يعن للباحث أن يسأل : ما بال الوصف الذى لا تلحقه التاء كمرضع يكسر ولا يكسر غيره . والجواب أن الذى حرم الوصف التكسير أنه لاحق بالفعل تربطه به أسرة قوية ورحم قريب ؛ إذ هو جار عليه وفرع عنه ، ولما كان الفعل لا يكسر تبعه الوصف فى هذا الحكم ، وكان سبيله جمع التصحيح فيقال فى مكرم : مكرمون ، كما يقال فى جمع الفعل : يكرمون ، ولما كان نحو مرضع لا يدخله التاء للتأنيث بعد عن الفعل وجفا عنه ، فإن من شأن الفعل أن يؤنث لتأنيث فاعله ، فالتحق نحو مرضع بالأسماء الجالدة فكسر كما تكسر .

ونستطيع أن نجد من هذا التعليل مخرجا لما نحن فيه .

فالموضوع والمشكلة التحقا بالأسماء وصارا لا يلتفت إلى أنهما مصوغان من وضع وأشكل ، وإنما الموضوع : الأمر يعرض للراء ، والمشكلة : الأمر الذى يحتوى غموضا ويستدعى حلا . وآية ذلك أنه لا يلاحظ جريانها على موصوف . فاذا قيل : موضوع فإن المتكلم لا يراعى أن الأصل : أمر موضوع ، وكذا إذا قيل : مشكلة لا يراعى المتكلم أن الأصل : حادثة مشكلة ، وهذا شأن الأسماء الجالدة ، وبذلك يكون تكسيرهما صحيحا ، فالمواضيع والمشاكل جمعان صحيحان . ومن باب المواضيع المشارع فى جمع المشروع ، والمخاصيل فى جمع المحصول . ومما يختص به بحث المشاكل أن صاحب التاج ذكر فى مستدركه : وهو يفك المشاكل : الأمور الملتبسة ، والظن به أنه نقله عن نص لغوى يوثق به .

على أن العرب جمعت الوصف المبسوء بيمين مضمومة مما ليس مختصا بالمؤنث فى ألفاظ وردت عنهم .

فقد جاء فى اللسان (نقا) : « ناقة منقية وإبل مناق » . والمنقية : ذات النقي وهو الشحم ، فالناقة المنقية هى السمينة . ويقول قيس بن الخطيم فى قصيدته المدونة فى جهرة أشعار العرب :

رجال متى يدعوا إلى الحرب يرقلوا إليها كارقال الجمال المصاعب

يرقلوا أى يسرعوا ، والإرقال : ضرب من العدو ، والمصاعب جمع مصعب ، وهو الجمل الذى لا يركب ولا يعمل ويترك للضراب والفحلة . وجاء فى جمع منتن : مناتين وأصله مناتن فزيدت الياء ، ومن هذا ماجاء فى معانى ابن قتيبة ٧٧٧ :

مناتين أبرام كأت أكفهم أكف ضباب أنشقت فى الجبائل

يهجوا قوما بالنتن والبخل ، والأبرام جمع البرم وهو الذى لا يدخل الميسر بخلا ، وأنشقت : أنشبت وأعلقت . وجاء فى البيان والتبيين ١ / ١١٥ البيت الآتى :

مهاذبة مناخبة قران منادبة كأنهم الأسود

ويبدو أن المهاذبة جمع المهذب ، والمناخبة جمع المنجب ، وهو الذى يلد نجباء ، والمنادبة جمع المنذب ، وهو البطل الذى قارع الأبطال ونازل الأعداء حتى صار فى جسده آثار الجلال ، وأصله من قولهم : أندب بظهوره وفى ظهوره إذا غادر فيه ندوبا . وقوله : قران أبان المراد به الجاحظ فقال : « يريد بقوله : قران التشابه والموافقة » وكأنه جمع قرين كسكرم وكرام .

أفعل هذا الأمر دائماً ، فعلت هذا الأمر أخيراً

لم أر الاستعمال الأول فى قديم الكلام ، والجارى على السنة القدماء أن يقال : أفعل هذا الأمر أبداً أو طول الدهر أو نحو ذلك ، وقد كنا نحفظ مما يتلى عقب إيراد بعض أبيات بردة المديح :

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

وليس هذا البيت فى البردة ، ولا أدرى فى أى عصر قيل ، ويقول الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ فى قصيدته فى القراءات المسماة حرز الأمانى والمشهورة بالشاطبية فى خطبتها :

وثلثت أن الحمد لله دائماً وما ليس مبدوء به أجذم العلا

وترى أن « دائماً » فى معنى الظرف ، وإن جعله الشارح الشيخ أبو شامة حالا ، ويبدو أن هذا الاستعمال بدأ به المناطق فى القضية الدائمة لإحدى الموجهات ، نحو كل إنسان حيوان دائماً ، وسرى منهم إلى المؤلفين والعلماء وجرى على السنة الناس .

وأما الاستعمال الثانى فهو قديم ، وفى الأساس : « وجئت أخيرا وبأخرة » ، ويقول كعب بن زهير من مقطوعة فى ديوانه :

إن عرسى قد آذنتنى أخيرا لم تعرج ولم تؤامر أميرا

فلان يعافر

يقول العامة : فلان يعافر أى يحاول أن يصل إلى بعض أمره بعلاج وتعمل ، وليس فى المعاجم هذا المعنى ، وفى تاريخ أبى الفدا ج ١ ص ٧٠ فى الكلام على أنساب اليمن أن النعمان بن يعفر لقب المعافر لقوله :

إذا أنت عافرت الأمور بقدرة بلغت معالى الأقدمين المقاول

وقال أبو الفدا عقب إنشاء البيت : « والمقاول لفظه جمع ، وهم الذين يلون الجهات الكبار من اليمن » ، وجاء البيت فى مواسم الأدب ج ٢ ص ٣٠٢ هكذا :

إذا أنت عافرت الأمور بقوة بلغت معالى الأقدمين الأكارم

ومقتضى هذا أن المعافر بضم الميم ، وهذا غير معافر بلد باليمن فانه بفتح الميم ، ويقال : رجل معافرى - بفتح الميم - للذى يمشى مع الرفق فينال فضلهم ، وكأن هذا لأن بعض أهل معافر البلد شهر بهذا فلزم الاسم من كان على شاكلته ، أو هو من المعافرة لأنه يعالج عيشه بهذا الطريق .

دبس الثوب بدبوس : خله بخلال

يستعمل الدبوس فى لسان العامة فيما يشبك به الثوب ونحوه ، ولا يعرف له هذا المعنى فى اللغة ، إنما الدبوس عمود من خشب أو حديد فى رأسه كرة من حديد يجمع به ويضرب ، ويقول صاحب القاموس فى مادة (دبس) : « وكنتور : واحد الدبابيس للمقامع ، كأنه معرب » وواحد المقامع مقمعة ، وقد صاغ الناس من الدبوس فعلا فقالوا : دبس الثوب . ويقابل الدبوس فى العربية الخلال وجمعه الأخلّة ، ويقال فيه : خل الثوب ونحوه بخلال ، وفى اللسان : « خل الكساء وغيره ، يخله خلا : جمع أطرافه بخلال ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : كان له كساء فدى ، فاذا ركب خله عليه أى جمع بين طرفيه بخلال من عود أو حديد » .

كلمة الأزهر

في المؤتمر الشعبي القبطي

الذي انعقد مساء الأربعاء ٣ / ١٠ / ١٩٥٦

ألقاها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد الطنيسي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد

باليابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه أستعين .

يا أبناء النيل: أحييكم باسم الأزهر الشريف، وأشكر لإخواننا الذين هياؤا لنا فرصة هذا المؤتمر العظيم ، الذي أوحى به الوطنية الصادقة والإخلاص الكبير لبلاذنا العزيزة . هذا المؤتمر الذي نرى فيه شيخنا بجانب قسيسنا ، وعالمنا بجانب راهبنا ، وشبابنا المسيحي بجوار شبابنا المسلم ، جميعهم يشرب من ماء النيل ويستظل بسماء مصر ويتمتع بخيراتها ، فكل عند صاحبه مكين ، تفيض قلوبهم بحب مصر، وتهفو نفوسهم إلى عزتها وكرامتها ، ويعملون جميعا كالبنين المرصوص ، لخير مصر وسعادتها وتقدمها ، في وقت ظن فيه أعداء بلادنا - وبعض الظن اثم - أن فينا من يتوانى عن أخيه في خدمة مصر، فحصر أم الجميع ، وهم بنوها المخلصون لها ، المجاهدون في تحقيق نصرها وعزها .

أيها السادة :

إن الانجليز لا يرتاحون ولا يهدأ بالهم إلا إذا اعتصروا الدول الضعيفة ، أو التي يظنونها ضعيفة ، وامتصوا دماءها . وقد ظلوا في بلادنا أكثر من سبعين عاما يأكلون خيراتها ويتمتعون بأطيب ثمراتها ويبطشون بأهلها ويستعبدون ضعفاء الإرادة منهم ، يستخرونهم ضد بلادهم بل ضد أنفسهم ، كأن بلادهم لاحق لها في أعناقهم ، ولا واجب لها عليهم . بل إن لها حقا واجبا ، ولكن النفوس الضعيفة الخوارة لا تعرف حقا ولا واجبا . وما فئق الانجليز يغدون ويروحون في جنبات الوادي فرحين مرحين ، حتى قبض الله لوادينا ذلك الفتى المؤمن بربه ، المخلص لوطنه ، البار بأتمته ، القوي بحقها ، الذائد عن

حياضها : رئيسنا المحبوب « جمال عبد الناصر » فصاح فيهم صيحة هزت قلوبهم ،
وارتعدت منها فرائصهم : أن اخرجوا من بلادنا ، لاحق لكم فيها ، وعاطونا حقنا .

فان لم تعاطوا الحق فالسيف بيننا وبينكم والسيف أجور جائر
متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم
فذلوا واستكانوا وجمعوا أمتعتهم وخرجوا بلبل ، والله الحمد .

حسبوا أن رئيسنا المحبوب قنع بهذا لبلاده ، واكتفى بهذا الكسب الذي أعجز من قبله ،
وخارت دونه عزائمهم وقواهم ، ولكن أنى للنفس الأبية والروح القوية أن ترضى
بدون الكمال .

رأى أن بلاده قد استقلت ، ولا بد للاستقلال من قوة تحميه وتدفع عنه كيد الأعداء ،
فطلب إليهم مجاملة لم أن يبيعوا له السلاح الذى يطلبه لحماية بلاده ، فكانوا كالحرباء
يلفون ويدورون وبكل لون يتلونون ، وظنوا أنهم كما كانوا من قبل إذا قالوا : « لا »
قالت الدنيا معهم : « لا » ، ولكن رئيسنا المحبوب - بما آتاه الله من حزم وعزم وبصيرة
نافذة وقوة إرادة وحكمة وسداد - استطاع أن يسلح جيشنا المظفر تسليحا عظيما أثار
إعجاب الشرق والغرب ، ووقف الإنجليز منه مشدوهين مذهولين ، حتى كانوا يقولون :
كيف يسلح « جمال عبد الناصر » جيشه بسلاح شيوعى ؟ كأن الحديد فيه شيوعى وغير
شيوعى ، ولكن من يفاجأ بما يذهله ، يقول ما لا يعقله .

وأوها لطمة قاسية شديدة ، ولكن لاخلص لهم منها ، فظنوها آخر اللطحات ، فصبروا
وما هم بصابرين . وإذا بابن مصر البار يقول على حين غفلة من الدنيا جميعا : تؤم قناة
السويس وتسلم ، فأمت القناة وسلمت .

رأى رئيسنا جمال أن قناة السويس جزء من بلادنا لا يتجزأ ، وأن إدارتها عمل من
صميم السيادة المصرية ، كما تشهد بذلك القوانين وتدل عليه كل المعاهدات التى عقدت بشأن
القناة ، ومع ذلك فدخلها الكثير لغيرنا ، وإدارتها فى يد سوانا ، وكأنها دولة فى داخل
الدولة ، فما سكن له جفن ولا استقر به مقام حتى أممها ورجعها إلى أصحابها ، فثارت
الانجليز وجرت وراءها فرنسا وأمريكا ودولا كثيرة خاضعة لسلطانها ومستجيبة لنفوذها ،
وأخذوا يأترون ثم يأترون ، وفى كل مؤتمر يفشلون ، وسيفشلون فى مؤتمرهم الثالث
لأنهم على الضلال مقيمون .

لوحوا بالقوة وأمروا السفن الحربية بالإبحار إلى البحر الأبيض المتوسط ، وأنزلوا الجيوش بمالطة وقبرص فقال لهم الرئيس : إذا دخلوا بلادنا خرجوا منها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية .

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم

* * *

إني أبيّ أبيّ ذو محافظة وابن أبيّ أبيّ من أبيين
لا يخرج القسر مني غير مأبىة ولا ألين لمن لا يبتغى ليني

فهدأوا وولوا وجههم نحو آخر ، نحو الإشاعات يشيعونها عن الرئيس المحبوب ، قالوا : إنه دكتاتور كما كان هتلر دكتاتورا ، وقد كذبوا في ذلك أقبح الكذب ، فهاهو ذا الرئيس يجتمع بزملائه رجال الثورة المخلصين يشاورهم ويشاورونه ويسمع رأيهم ويسمعون ، وهو مع ذلك يقابل - بهشاشة وبشاشة - الصغير والكبير من بنى وطنه ، هم جميعا عنده كأسنان المشط ، فهل هذه دكتاتورية ؟ أم هي السماحة واللين والخلق الطيب والذوق السليم ؟ . فسكروا وقدروا ثم فكروا وقدروا ، يبحثون عن ثغرة يدخلون منها إلى قلب أمتنا العزيزة لتأليبها على رئيسها المحبوب ، حتى ظنوا أنهم عثروا عليها فقالوا : إن جمالا لا يرضى عنه ولا عن أعماله - وبخاصة تأميم قناة السويس - إلا المسلمون ، أما غيرهم فليس راضيا عن ذلك . ولست أرى كذبا أشنع ولا أقبح من هذا الكذب ، فهاهم أولاء المسلمون والمسيحيون يجتمعون بقلوب خالصة ونفوس صافية ، في معبد من معابد المسيحيين ، يتغنون بأعمال جمال ، ويحشدون أعمال جمال ، ويشكرون جمالا على ما قدم لبلادهم من خير ونعمة . لقد أحرز جمال لأمتهم نفرا ونصرا وعزا لا يبليه مر اليا إلى الأيام ، ولا كثر السنين والأعوام . فمن ذا تطوعه نفسه من أمتة ألا يكون راضيا عنه وعن أعماله ؟ إن المسلمين والمسيحيين يد واحدة وصف واحد وراء جمال ، يشدون أزره ويقوون ساعده . وهل ننسى أن بعض الانجليز أراد أن يدس بين المسلمين والمسيحيين ، فقال للسيد واصف غالى : كيف تتفق مع قاتل أبيك ؟ فقال قولته المشهورة : « أتفق أنا وقاتل أبي على قاتل بلادى » .

فهل بعد ذلك يتسنى لمخلوق أن يقول : إن المسيحيين غير راضين ، إلا أن يكون منافقا أو كذابا . وها نحن أولاء نرى عنصري الأمة على عهدهم من الاتحاد والألفة ،

وقد جمعهم كلمة سواء، هي التواصى بالوفاء للوطن، والدفاع عن عزته وكرامته، والوقوف صفا واحدا أمام الاستعمار الغاصب، ذلك الاستعمار الذى هو حرب على الإنسانية جمعاء، لا يفرق بين أمة وأمة، وطائفة وطائفة، ولا بين أهل دين وأهل دين. فهو لا يعرف لقوم حرمة، ولا يرمى لأحد إلا ولا ذمة، فى سبيل الوصول الى مآربه وأطماعه. وأوضح شاهد على ذلك موقف الاستعمار فى فلسطين الشقيقة حين مكن للمعتدين الغرباء من البغى فى الأرض المقدسة، وإجلاء العرب من مسيحيين ومسلمين، وانتهاك حرمتهم، والتنكيل بهم، واغتصاب أرضهم وديارهم وأموالهم، وتشريدهم فى الصحارى عراة جائعين.

وهذا مثل آخر يضر به الاستعمار اليوم فى قبرص الأبية المجاهدة، التى طالبت بحريتها وحقتها فى الحياة، فبطشت بها القوة الغاشمة، واعتدت على الآمنين من أهلها، وانتهكت حرمة المعابد، واعتقلت زعماء الكنيسة وشردتهم، وعطلت إقامة الشعائر الدينية فيها. والمستعمرون مع ذلك لا يتورعون عن الادعاء بانتسابهم للمسيحية، والمسيحية منهم براء، فالمسيحية تدعو إلى المحبة والسلام، ونشر الأمن والعدالة فى الأرض.

أى دين أو أى مبدأ إنسانى يقر هؤلاء الباغين على ما يقومون به فى الأمم الضعيفة من بغى وعدوان؟ إن المسيحية لتلعنهم، والإسلام يلعنهم، وyleعنهم كل مافى الناس من مبادئ سامية ومشاعر كريمة.

إن على كل أمم الأرض، على اختلاف أديانها وأجناسها وطوائفها، وعلى جميع القوى الإنسانية، أن تقدر خطرا الاستعمار، وتتكتل لدرء كيد وعدوانه، لتستقر السكينة فى الأرض، وتحقق على ربوعها ألوية الأمن والمحبة والسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربيع النصر في مصر

أقبل الربيع في عام الفيل ، فأثار الدنيا ، وأثار الحكمة ، وزرع أصول المحبة ، وبغى الظلمة ، وصفع الشرك ، وصدع بالأمر ، بجمع الناس على التوحيد ودعم السلام .
أقبل الربيع في عام الفيل ، وفي ركابه أمل ، وفي طياته بسمه ، وفي ثناياه نهضة ، وفي حناياه حياة .

وقد انطلق الناس مؤملين الخير في موكب النور وإشراقة الكون مرجين النصر ، فقد فوح الزهر وأرسل تحياته العطرة ، ونحمت النار نار فارس ، ليعلو صوت الحق ، وتصيح بلابل الهداية بالمحبة والسلام .

ويقبل الربيع في العام السادس والسبعين بعد ثلاثمائة وألف من هجرة الحبيب محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وقد لاحت البشرية ، وسادت مصر الكبرى .

يقبل الربيع وقد عادت القناة لأصحابها ، وردت الحقوق إلى أربابها الذين شقت القناة في أرضهم بسواعد آبائهم وأجدادهم ، ومات في حفرها الكثير من شهدائهم .
يقبل الربيع وقد تمصرت إدارة القناة ، وثاب دخلها إلى أبناء الكنانة الكادحين الذين سخرُوا في الحفر ليحظى الدخيل بالثمر والدخل .

يقبل الربيع ونحن أعز نفرا وأحسن أثرا وأبعد منالا وأقوى رجالا وأمضى سلاحا وأشد كفاحا ، لا يرهبنا التهديد والوعيد ، ولا يثنتنا عن عزيمة نار أو حديد .
فليجشدوا أساطيلهم ، وليجمعوا خيلهم ورجالهم ، فأنا مستعدون لنسعد بساعة الجهاد : ساعة الجلال والاستشهاد ، فنعيد ماضينا المجيد ومجدنا التليد .
يقبل الربيع على شعب مصر شعب العزة والنصر ، وقد وعى وفهم ، وعلم من أمر المستعمرين ما علم .

يقبل الربيع على شعب لا يقعقع له بالشنان ، ولا يتوعد بالسنان ، فلتسكن الحرب إذا أرادوا ، ولن يفلت منهم أحد إن شاء الله بفضل وحدتنا وتكتلتنا .

يقبل الربيع على شعب يمضى وراء قائده ، وقد وثق فيه كل الثقة ، وادخره ليدفع البغي
ويمنع الضيم ويقض مضاجع الأعداء ، وله منا الحب والولاء ، والتضحية والوفاء .
فلنمت معا أغزة في سبيل مصر أمنا الحانية ، ليجنى أبنائها ثمارها الدانية .

يقبل الربيع على شيب وشباب ، رجال ونساء ، طلاب وموظفين ، عمال وزارعين ،
تجار وصانعين .

يقبل الربيع على هؤلاء جميعا وقد انتظموا في صفوف المحاربين الأقوياء ، لا تلين
لهم قناة ، ولا يثنى لهم عود ، ولهم من ماضيهم الحبيب وأمسهم الرهيب ويومهم القريب مدد
لا ينفد ، وصلابة لا تلين ، وعزيمة لا تستكين .

يقبل الربيع على أمة العرب وقد انصهرت في بوتقة القناة ، فتحول معدنها الطيب
إلى أصله الذهب بعد أن كادت تمزقها الأهواء

اتحاد بعد خلاف ، واجتماع بعد فرقة ، وتكتل بعد شتات ، وقرب بعد بعد ، ووصل
بعد صد .

تعبئة تعلنها أمة العرب للذود عن حياضها والدفاع عن حماها والحفاظ على رباها
والإبقاء على جناها .

تعبئة تعلنها الحكومات والشعوب ، وزحف يستمد قدسيته من الضمائر والقلوب ،
وتماسك يستند الى حق ، ووحدرة تدفعها قوة وتمنعها لغة ، ويؤلف عقدها دين .

نصر في مصر ، وفرح في دمشق ، وبشرى في الرياض ، وأمل في بغداد ، ووثبة في عمان ،
وانتفاضة في بيروت ، فلتسجل الدنيا وليسطر التاريخ .

ليت مصر قد أمتت القناة منذ أمد بعيد ، ليشهد العالم مطلع الفجر السعيد في هذا
البعث الحديد .

ألا فليعلم الغرب أن الأمة العربية قد نفضت عنها غبار الذل الى غير رجعة ، وأن
باسمها اليوم شديد ، فليهدئ من نائرتها وليثب الى رشده ، فان الناس في مصر - وفي خارج
مصر - يستعدون لساعة الصفر ، ففيها النصر ، وبعدها ينبثق الفجر بالأمل والفخر .

توفيق عاشور

مدرس بمعهد دسوق

ذكريات

بين الصفا والمروة

علوت درج الصفا ، ووليت وجهي نحو الكعبة المطهرة ، ثم أغمضت طرفي وعشت مع الماضي لحظة ، لم ينتزعني منها غير انتفاضة سرى تيارها في كل قطرة من دمي ، فهز مشاعري هذا عتيقا ، وسمعتني أصيح في ثورة عارمة : الله أكبر ، الله أكبر .

إنها هزة الرهبة التي مست الروح ، فأزالت عنها المعاني الأرضية التي كانت تعيش فيها واجتذبتها إلى الملكوت السامي ، فعاشت في جلاله لحظة تضاءلت لديها معاني الجلال الأرضي ، وخذاع السلطان الزائف .

وغرقت عيناى في عبرات أثارها الذكرى النائية ، ذكرى محمد بن عبد الله عليه صلوات الله ، وهو في وقفته هذه يهتف : الله أكبر ، الله أكبر ، فتجاوب أصداء مكة هذا الهتاف الذي يعلن - في إيمان - أن النصر للحق ، وأن الصبر سبيل الظفر ، وأن الله لن يغلبه غالب ، وأن عباده المؤمنين به المكافئين في سبيل دعوته لن يززعهم وعيد ، ولن يكبلهم عن أهدافهم تهديد ، ولو عبأت قوى الشر للكفاح كل سلاح .

وعبرت هذه الذكرى بين العبرات إلى عالمنا هذا ، فرأيت أننا أحوج ما نكون إلى صبر لا يستسلم ليأس ، وإلى إيمان بالمجتمع الإسلامي ينسينا دنيا الفردية ، وينأى بنا عن طغيان الذاتية ، ثم بعد هذا وذاك نحن أحوج ما نكون إلى كفاح عنيف نخوض أهواله متماسكين جميعا ، لاندع ثغرة بين صفوفنا يتخذ منها عدو الله سبيلا إلى تمزيق وحدتنا وتقويض كياناتنا .

ثم نزلت درج الصفا منحدرا إلى المسعى ، فذكرت أم إسماعيل في خطاها الوثيدة ، ترفع بصرها إلى السماء : تدعور بها أن يجعل لها من الضيق الذي يلم بها مخرجا ، ومن ظلمات هذا الجذب شعاعا من أمل ينير لها ولوليدها الضجيع - في كنف بيت الله - سبيل الحياة .

ثم ذكرتُها وهي تنطلق مهرولة الخطأ ساعية إلى جبل المروة لعلها ترقب من فوقه بريقاً من رحمة الله ، ثم تعود فتتدد وتمضى وقد شوى الظمأ حلقها ، ولكنها غير يائسة من ربها ، وتصعد المروة فتتلمس في الأفق البعيد شؤباً من شآبيب الرحمة ، أو طيراً في سماء هذا الجو يخفق فتحمّل أجنته إليها بشير الطمأنينة ، ونسكب الدموع ، ثم تأخذ سبيلها إلى الصفا حائرة ، ولكن حيرتها لم تفقدها الأمل ! .

ذكرتها وذكرت عندئذ كفاح المرأة في الحياة ، وذكرت صبرها على المسكاره التي قد ينوء بعينها غلاظ الأكباد من الرجال . وأى صبر أروع من صبر امرأة تعيش مع طفلها فحسب ، في هذا المنعزل الموحش المقفر من كل شيء إلا من الحشرات والهوام ، وفي سلاسل الجبال الصخرية وفي حلوكتها ما يشيع الفزع والرهبة في النفوس نهاراً ، فكيف بها في ظلمات الليل بين خفيح الأفاعى أو عويل الرياح أو عواء الذئاب ؟ ! .

إنه الصبر الذي يسكبّه الله في قلب من أراد من عباده ، ليجعل فيه راحة تستروح فيها النفوس معاني الطمأنينة والأمن .

ومضيت في المسعى بين أطيايف من الذكريات ، ذكريات بخر الإسلام وقد غمرته القلوب المؤمنة ، وكأن كل قلب شعله من النور والنار: النور الذي يهدي إلى سبيل السلام ، ويخرج من ظلمات التخبط إلى اليقين الضاحي ، والنار التي تنطلق فتدمر من أطعاهم العناد وأغراهم الصلف ، لتظهر الوجود من الخطايا التي تجسّمت فكانت شياطين بشرية .

وذكرت بين هذه القلوب قلباً رق حتى أبكته كلمة ، وصال حتى عنت له تيجان .

إنه قلب الفاتح العظيم عمر ، ذكرته وذكرت أن المسلمين يعوزهم اليوم أن يكون في كل إقليم عمر ، له درة كدرته ، وعدل كعدله ، وسهر على الشؤون كسهره ، ثم له بعد هذا عزيمة لا تعرف الخور كعزيمته ، وثقة لا يلم بها شك كثقتّه .

ذكرت عمر وألويته الظافرة تخفق من طرابلس غرباً إلى بلاد فارس شرقاً ، وليس في هذا الملك الواسع غير قلوب تجتمع وتماسكت ، حتى عز على الفتنة أن تجد بين هذا الملك سبيلاً للحياة ، لأن الإيمان جند قواه لمطاردة كل نوازع الشر .

ذكرت كل ذلك ، وذكرت حاجة المسلمين إلى تجمع وتماسك ، ثم إلى يقظة للفتن

المخالطة التي لم تنم رياحها ، والتي لم تزل تحاول بث الشقاق بين الصفوف لتقوض ما شيد
الخلاصون من وحدة .

بين هذه الذكريات والآمال والعبرات والعبر عشت ساعة أطوى الزمن ، وتنطوى
بين عيني الأجداد الإسلامية ، وأقطع المسعى ، وتتقطع فيه نفسى حسرات .
فهل آن لهذه الأجداد أن تنشر ليعود المسلمون إلى مكانهم الذى خلفوه تحت الشمس ،
وليرجع إليهم سلطانهم الذى سلبه منهم تشنتهم شيعا وتفرقتهم فرقا .

إن صيحة البعث قد انطلقت تدعو إلى لم الشتات وضم الصفوف ، وإن القافلة
ستسير - وإن كره المرجفون - وعلى رأسها أولئك الذين وهبوا أنفسهم وديانهم لخير
العروبة والإسلام والسلام ، ولن تعوقها صيحات الوعيد ، ولا حشود النار والحديد ،
لأن اليأس والاستسلام لم يعد لهما فى النفوس مكان ، وإن الإيمان بالله هو سلاح القافلة
فى الحياة ، وستمضى على بركة الله ما

محمد محمد خليفة

مبعوث الأزهر فى الرياض الثانوية

زهد محمود شكرى الألوسى

روى الأب انتاس السكرملى أنه لقي العلامة محمود شكرى الألوسى فى بغداد عقب
الاحتلال البريطانى ، فرآه يلبس حذاء من أحذية جنود الانجليز وكانت تباع رخيصة ،
وكانت بغداد فى حالة فقر وفاقه فى آخر مدة الأتراك ، واتصل خبر ذلك بالسربسى كوكس
المعتمد البريطانى فأعطى الأب انتاس السكرملى ثلاثمائة جنيه ذهباً وكلفه بأن يقدمها
هدية للألوسى . قال الأب انتاس : فلما أتيت بها رفض قبولها وقال :

— خيرلى أن أموت جوعاً من أن آخذ ما لا لم أععب فى كسبه .

قال : فالتحت عليه إلحاحاً مملاً مزعجاً ، فأبى وقال :

— لا تكثر من إلحاحك ، لئلا أطرده من بلى طردا لا عودة بعده .

قال الأب انتاس : وسعيت لتعينه قاضياً للقضاة الشرعيين فى العراق ، فاعتذر بأن
هذا مقام يحتاج إلى علوم وصفات لا أرانى متصفاً بها ، ورفض المنصب أيضاً .

تعلقات

حول التوسع في تعليم الفتيات

[وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم]

قرأنا للأستاذ الصاوى - قريبا - كلمة تحت عنوانه - ما قل ودل - لفت الأنظار فيها إلى ما بدا من تهافت الفتيات على التعليم الجامعى، ومزاحمتن للشباب فى ميدان العمل . ونبه الأستاذ الصاوى إلى أن هذا التزاحم سيفضى إلى فشو البطالة بين الشباب ، ودعا إلى وجوب النظر فى درء هذا الخطر قبل استفعاله . . الخ .

ونحن لا نرى الأستاذ الصاوى مسرفا فيما يساوره من حذر البطالة على الفتيان ، ولا فيما دعا إليه من تدارك هذه المزاخرة قبل أن يتخلف عنها ضرر يتعذر الخلاص منه . وليس معنى هذا أن نضن على الفتاة بنصيبها من العلم أو نتخذ من تعلمها وسيلة إلى المادة ، ولكن بقدر ما تدفعها الحاجة : لا بمعنى أن يكون إنهاء الفتاة تعويقا للفتى ، وإحلالا لها فى مكانه ، إذ حينما يصبح تعليم الفتاة موصدا للباب فى وجه الفتى ، يكون العلم فى ذاته خيرا جلب شرا أكثر منه ، ويكون الضرر عائدا على الفتاة نفسها ، فانه لا يمكن أن ينعكس الاتجاه ، ويشغل الفتى مكانها الذى تحت عنه ، ولا يمكن أن تعول الفتاة الموظفة زوجا عاطلا بعد أن تحتل هى مكانته فى العمل .

ولا ينتظر أن تظفر كل فتاة موظفة بزوج موظف أودى يسار ، ولا يرجى أن تستريح الموظفة إلى حياة الوحدة ، عاكفة على وظيفتها دون زوج تستريح إلى عشرته ، وتستظل به ، وتسكن إليه ، وتلقى عليه عبئها فى شئون دنياها ، كما تفرض ذلك طبيعة الحياة الجنسية والاجتماعية . وقدما صاح أناس بهذه الدعوة الناصحة التى يردها الأستاذ الصاوى فى وقتنا هذا ، وكثيرا ما رجم هؤلاء الناصحون بألفاظ الرجعية ، واستعباد المرأة ، وتعطيل الجنس اللطيف عن حظه وحقه ، وحرمان الأمة من مواهب نصف مجموعها ، وهكذا .

وحينما سبق إلى تحرير المرأة فى مصر دعاة غيورون ، لم يكن فى حسابهم أن ندفع بالمرأة إلى هذا التيار الجارف ، أما وقد توسعنا نحن فى توجيه الإناث ، وتكشفت الأيام عن خطر التوسع فى تعليم الفتيات ، كما عرض لذلك الأستاذ الصاوى ، فالأمر بحاجة إلى علاج تتحقق به الرغبات الثقافية للفتيات دون إيصاد للباب فى وجوه الفتيان .

ويبدو أن الذين ألحوا ويلحون في دفع الفتاة إلى مزاحم الرجال ، ويزينون لها أن تكون قسيمة للفتى في كل شأن من شؤنه ، حتى فيما هو من خصائصه ، لن يقدر وهذه العاقبة ، أو هم يقدرونها ، ولكنهم يستخفون بها في سبيل غايات خبيثة .
وكم قلنا وقال من هم أجهر منا صوتا : إن للفتاة جانبا فسيحا ينتظرها ، وإن لها أن تتعلم ، وإن تسلك سبيل الحياة بما لا ينزل بأنوثتها ، ولا يعرضها لما لا تستطيعه غالبا من مزاحم الرجال في مواكب العالمين خارج البيت .
غير أن أصواتنا هذه كانت في اعتبارهم صدى لدعوة الدين ، وترديدا لنداء القرآن .
وهم مشغوفون بالتوصل من حوزة الدين ومن دعوته ، وإن كانت هي الحق الذي يجب أن يتبع .

ونأمل اليوم بعد أن تكشف الصواب ، ووضع الصبح لكل ذى عينين ، وبعد أن هتف بذلك الصواب من لايتهم بالرجعية ، ولا بالكراهية لتثقيف الفتاة (كالأستاذ الصاوي) ألا يقف المغرضون أو المستهترون بالعواقب في وجه الحقائق الملموسة .
وواضح أن التعليم الذي غمروا به الفتاة هو التعليم المبدئي الذي لا يزال على اختلاف أنواعه في معرض الإصلاح والتحسين ، ولا تزال عيوبه شاغلة لأولى الأمر ومستأثرة بتفكيرهم وجهودهم .

فالفتاة سائرة مع الركب في هذا التعليم على علاقته ونقائصه ، ولم تأخذ بنصيحتها من الثقافة التي تنضجها على النحو المنشود للفتاة كأثر يتعلق بها الأمل في تكوين الأسرة وتلثة البنين والبنات .

وليس أحب إلى الفتاة من أن تكون موضع الرغبة الزوجية ، وأن تكون سكنا لزوجها ، وأن يكون الزوج سكنا لها ، كما توحى بذلك فطرة الأنوثة .

فن الخير للفتاة حقا أن يتجه العاطفون عليها وجهة جديدة . وإذا كانت أزومات العيش مبررا لدفع الفتاة إلى مزاحم الرجال ، فهناك جانب أرفق بها ، وهو جانب الزوجية وتذليل عقباتها ، ومحاربة العزوبة التي يتشبث بها كثير من الغواة بلا مبرر صحيح .

ولو أن أولى الأمر والعاطفين على الفتيات صرفوا شطرا من جهودهم إلى تنظيم الزوجية ، والإجبار عليها ، ووضعوا لها تشريعا تراعى فيه الاعتبارات الكفيلة بمستقبل الفتاة في المحيط العائلي ، وحماية الأسرة من التحلل ، لكان هذا خيرا لإصلاح في قوام المجتمع ، وكان أصدق مجهود في خدمة الأفراد والأمة . فهل من مستجيب ؟ ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

مول الأنباء :

قضيتنا . . . بين عواصم العالم

ظلت السكرة تنقل بين عواصم العالم . . . اجتماعات مختلفة في بلدان مختلفة :

١ - القاهرة : لجنة منزيس :

أنهت مقالى فى العدد الماضى قبل أن تنهى لجنة منزيس مهمتها . . . وأرسلت المقال لتحرير المجلة دون أن أنتظر ، تقديرا للوقت الذى تستغرقه فى الطبع من جهة ، وثقة منى بأن هذه اللجنة لن تأتى بجديد . . . إنها تضيع الوقت وتحاول كسب الثقة الدولية ، كما تحاول الضغط الدبلوماسى على مصر فى ظل التهديد العسكرى ، ورجع منزيس من رحلاته ، بين القاهرة ولندن ، وافتتح أعماله فى استراليا بخطاب ضد مصر !!

وكانت بريطانيا تحاول أن تسدّ (الفراغ) ببعض الخطوات المصطنعة ، حتى تفرغ من تنسيق سياستها فى (داخل) بريطانيا و (خارجها) ، وتنتهى من استعداداتها العسكرية ، وتزيد من حدة التوتر السياسى والضغط الاقتصادى بالنسبة لمصر ، وتشغل الدول العربية بعضها عن بعض بطائفة من المشاكل والمصالح والمشاكل - مثلاً هدّدت به السودان من ضغوط - وتشير الارتباكات فى القنال بقدر ما تستطيع ، وتحبك من المؤامرات ما تستطيع .

وكل ذلك يستدعى وقتا .

وهذا الوقت يقتضى شغلا .

فليكن مؤتمر لندن ، ثم وفد منزيس ، ولا بأس بشيء فى الأمم المتحدة . . وبريطانيا فى هذا كله تجتهد أن تظهر بمظهر (صانع السلام) ، ثم لها بعد ذلك - فى تمضية الوقت - مآرب أخرى . . !!

٢ - واشنطنجتن : المؤتمرات الصحفية :

واحتلت مؤتمرات أيزنهاور ودلاس مكانا بارزا . . . إنها حلقة من برنامج الدعاية الحزبية الضخمة للانتخابات الأمريكية ، وهى فى الوقت ذاته إبراز لأمريكا لتحتل وضعا دائما فى الشؤون الدولية عامة ، وفى شؤون هذا الجزء الحساس المسمى بالشرق الأوسط بصفة خاصة ، وتستهدف التصريحات الأمريكية دواما الضغط على معنيين : التدويل والسلام . . . لأن هذا ما يعنى الرأسمالى الأمريكى والناخب الأمريكى !!! وقد يبدو أن أمريكا تخذل بريطانيا وفرنسا بضغطها على (السلام) . . . وتتجافى عن الأمر الواقع فى أن التدويل يصطدم مع إرادة مصر والشعوب الحرة التى صممت على الاحتفاظ بالسيادة المصرية كاملة . . . مفردة . . . بلا شريك ، ونتيجة هذا الاصطدام شىء لا يمكن أن يكون هو السلام !!!

وهذا صحيح ، ولكن أمريكا يهمها السلام الأمريكى . . . إن المواطن فى الولايات المتحدة لن يدفع الثمن . . . ربما دفعته جنود بريطانيا وفرنسا ، ويكفى أمريكا أنها تؤيدهما (سياسيا) ، وأنها مستعدة للتصفيق لهما إذا نجحتا ، ومستعدة أن تبدأ هى (خط الرجعة) إذا فشلتا حتى لا يقلت الزمام إلى دولة (غير صديقة) مثل روسيا . . . هذا هو تحالف أمريكا مع بريطانيا وفرنسا !!!

يهدد إيدن وموليه ، ولويد وينو ، بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وينعقد مؤتمر دالاس بلندن ، فيتقدم (دالاس) بالاقترح وقد ركب جناحى ملك السلام !!!

وتأتى لجنة منزيس فتتعر، فيدلى أيزنهاور بتصريح التدويل ، ثم تفسير تصريح التدويل ، بالطريقة التى تهدئ الجميع ، وقد لا تقنع الجميع ، ولكنها ترضى الناخب الأمريكى !!!

وتجتمع بريطانيا وفرنسا ، وتقرران تشكيل (منظمة دولية) للاستيلاء على القنال وإدارته ، فتوافق أمريكا على الاشتراك معهما (ثمنا للسلام) . . . حتى تجزهما عن الحرب !!!

وقد يبدو أن رأس المال أحيانا يتطلب الحرب . . . لتصريف منتجاته وحل أزmate ، فكيف يوافق الرأسمالى الأمريكى الناخب الأمريكى على السلام ؟ ؟

أعتقد أن الاقتصاد الأمريكي لم يبلغ النقطة التي يحتاج معها للحرب . . . إنه ما زال لديه أسواق ومجالات تصريف للإنتاج المتزايد . . . إن أخطبوطا من العلاقات السياسية والنقدية والفنية يربطه بكثير من أجزاء العالم . كما أن لدى الأمريكيين حقول إنتاج في الخارج بجانب أسواق التصريف ، حتى قيل إن الرأسماليين الأمريكيين الذين يستغلون البترول في الولايات المتحدة يحسدون أولئك الذين يستغلون بترول الشرق الأوسط ، حيث اليد العاملة وتكاليف الإنتاج أقل وكل هذا لا يمس رأس المال الأمريكي للاجتماع وللإصرار على الحرب كحل اقتصادي . وبذا يتفق الرأسماليون مع رجل الشارع . ولكنهم قد يرون أن تستعمل الحرب عند غيرهم ، ويستفيدون هم اقتصاديا دون أن يماربوا . . . وعلى أية حال

أمريكا تمثل دور الغنى الذي يشعر بحاجة الغير لأمواله ، فهي تعرف أنها قد تهمها بريطانيا وفرنسا بالأناثية ، وقد تمر سياستها (بمطبات) وتناقضات ولكن أخطاءها كلها يمسحها الدولار الأمريكي الساحر !! !

لقد عقد دلاس ، مؤتمره الصحفي بعد أن أعلنت بريطانيا وفرنسا رسميا تكوين (جمعية المستفيدين بالقناة) ، فأعلن انضمام أمريكا إليهما في هذه الخطوة - رغم مقابلة سفيرنا له وإبلاغه رأينا في الجمعية المقترحة - ويقول دلاس : « إن للدول التي تستخدم القناة حقوقا نصبت عليها معاهدة سنة ١٨٨٨ ، لا يمكن إلغاؤها من جانب مصر وحدها ، ومن الطبيعي أن تعمل الدول التي تستخدم القناة متضامنة عند ما تتعرض حقوقها للخطر ، ولهذا فإننا نرى من الحكمة أن يستمر التعاون الإداري بين الدول التي تستخدم القناة ، وإننا لا نعتقد بأن حقوق تلك الدول يمكن حمايتها الحماية الكافية إذا دافعت عنها كل دولة بمفردها ، بل إننا نعتقد في الظروف الراهنة أن التعاون الفعال مع مصر لا يمكن أن يكون مجديا إلا إذا كانت الدول التي تستخدم القناة منظمة بحيث تستطيع أن تتباحث مع مصر جماعة وتتباحث معها مصر جماعة » بل وبدأت الدلائل أن الولايات المتحدة هي صاحبة المشروع نفسه ، لا مجرد مؤيد له . وقد قام دلاس بعرض تفصيلاته في مؤتمر لندن ، والولايات المتحدة مع هذا الانضمام ، حريصة على السلام وإن كانت تلوح أحيانا بوجود مراعاة العدالة الدولية أيضا ، لا السلام فحسب !! !

فدلاس يقول : « إننا نرجو أن يتم الوصول إلى إجراءات عملية في القناة موضع

التزاع للتعاون دون مساس بحقوق أحد... وإن الولايات المتحدة لا تنوى شق طريقها بالقوة عبر قناة السويس «... ولكنه مع هذا يقول : « إذا أوقفت مصر أية سفينة فإن الموقعين على اتفاقية سنة ١٨٨٨ سيكونون أحرارا فى اتخاذ الخطوات اللازمة إما عن طريق الأمم المتحدة أو بعمل آخر مناسب وفقا لما تمليه الظروف » - وقال : « إن للدول الكبرى قوة ساحقة ومصالح حيوية فى القناة ، ومع ذلك فقد تماكت شعورها تمسها مع التزاماتها وفقا لميثاق الأمم المتحدة - إن التاريخ سوف يحكم بأن ضبط الأعصاب الذى أبدته هذه الدول قد زاد من قوتها الأدبية عما نالته مصر - إن الحكومة المصرية اليوم تواجه ظروفًا اقتصادية أسوأ مما كانت عليه عند التأميم » -

وأظن أنه قد وضع أن السلام الذى يريده دلاس هو سلام الناخب الأمريكى ، ومصالح رأس المال الأمريكى فى (تجارة) السلاح للخارج أثناء الحرب ، ثم (تجارة) تعمير الخراب بعد الحرب -

ولقد سئل عن مدى تأييد أمريكا لبريطانيا إذا حاربت ، فالتوى بالسائل والسؤال ، وأحال على تصريح أيزنهاور بأن الولايات المتحدة لن تشترك فى أى عمل عسكري يتعلق بالقناة ، قائلا : إذا كان الصحفى يقصد ما إذا كانت الولايات المتحدة سوف تشترك فى الحرب فالجواب على ذلك ما ذكره الرئيس أيزنهاور هذا الأسبوع !!!

إن أمريكا لن تحارب ولكنها تسكت عن إجراءات الحرب ، وقد تؤيد المحاربين ، إن دورها دبلوماسى اقتصادى وليس عسكريا ، لأن قطرة الدم الأمريكى غالية الثمن !!!

وفى مؤتمر صحفى آخر عاد دلاس ليلوح بتنظيم المقاطعة لقناة السويس ، وقالت صحيفة (بارى برس) الفرنسية : إن دلاس ذاهب إلى لندن وفى جيبه شيك بخمسة مليون دولار للدعوة لمقاطعة القناة !!!

إنها فرصة لرأس المال الأمريكى ، وفرصة للزيت الأمريكى ، فإن « الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة على تمويل زيادة صادرات الزيت الأمريكى إلى الدول الغربية عن طريق بنك الاستيراد والتصدير الأمريكى » !!!

وهكذا تريد أمريكا استغلال أزمة القناة لتكسب نفوذا سياسيا وربحا اقتصاديا ...

هل عرفت الآن سبب التغنى بالسلام وميثاق الأمم المتحدة والاكتفاء بالإجراءات الاقتصادية - ولو إلى حين ؟ ؟ ومع ذلك فإن المجلس القومى للتجارة الأمريكية لا يستبعد القوة لمواجهة انتهاك حرمة القانون الدولى !!

وعاد دالاس - بعد أن قررت بريطانيا وفرنسا عرض الأمر على مجلس الأمن - يتسیر إلى الضغط الاقتصادى ، وإلى أن أمريكا ستجعل رسوم سفنها من حساب مصر المحمد لديها - وبذلك يقترب موقفها من موقف حليقتها !! ! بينما لوح أيزنهاور (بحل وسط) لا يجمد عند مقررات مؤتمر لندن ، وبأن المفاوضات السامية هى أحسن حل !!!

٣ - لندن : هيئة المنتفعين بالقناة :

وفاجأ إيدن العالم بخطابه فى مجلس العموم البريطانى عن تكوين هيئة المنتفعين بالقناة التى تحصل الرسوم وتعين المرشدين ، وسيركب هؤلاء المرشدون فوق السفن ويخترقون القناة ويؤدون عملهم إذا سمحت لهم مصر ولا يستعينون بمرشديها ، فإذا لم تسمح عادوا واعتبرت مصر خارقة لاتفاق القسطنطينية !!!

والسفن البريطانية والفرنسية ، وما تستطيع أن تؤثر عليه بريطانيا وفرنسا من السفن الأخرى التى تمر بالقناة ، مازالت تدفع الرسوم إلى الشركة المنحلة فى مقرها بلندن أو باريس ، وبمقتضى الاقتراح الجديد ، ستدفع الرسوم للهيئة الجديدة .

وقد دعت الحكومات البريطانية والفرنسية والأمريكية الثمانى عشرة دولة التى وافقت على مشروع دالاس للإدارة الدولية للقناة حين عرض على مؤتمر لندن من قبل ، ليتناقش الجميع فى تقرير منزيس ومذكرة مصر ، ومشروع الدول الثلاث لتكوين الهيئة المذكورة آنفا !!!

وفى خلال هذه الاجتماعات السياسية ، وقبلها وبعدها توالى الإجراءات العسكرية ... حشود انجليزية فرنسية فى قبرص ، ومناورات فى مالطة ، وتحركات على حدود السودان ، فضلاً عن تحركات إسرائيل ...

وترفع شركات التأمين البريطانية أسعارها على السفن التى تسير فى القناة . وينسحب

المرشدون الأجانب من القناة . . . وتقاطع بعض الشركات القناة وترفع الأجر !!
ويزور كريشنا منون مصر فيصرح بأن احتمال الحرب مازال قائماً ...

أية مؤتمرات في مثل هذا الجو المتوتر ؟؟

وعقد المؤتمر ... وأصررت وفود على أن الباب مازال مفتوحاً لمفاوضة مصر مثل
أسبانيا ، وأصررت وفود على وجوب اللجوء للأمم المتحدة مثل السويد والندمرك ، واشدت
الحملة على (القوة) داخل بريطانيا ، وتبرمت فرنسا بالمرونة التي صيغت بها القرارات ... فان
البيان الذي لخص أعمال المؤتمر والبيان الذي أسس القواعد التي ستقوم عليها هيئة المتفعين
بالقناة ، لم يلزما الدول الأعضاء بعدم دفع الرسوم لمصر ، وعدم الاستعانة بمرشديها ...
وإن وردت الإشارة إلى استخدام الهيئة لحصيلة الرسوم ، كما وردت الإشارة إلى التعاون
مع السلطات المصرية . وفي الوقت ذاته تقرر أن الهيئة ستقدم التسهيلات العملية الفعالة
والاقتصادية للدول الأعضاء بشأن ملاحاة سفنها في القنال ، كذلك ورد النص على اللجوء للام
المتحدة عند الاقتضاء ! وتتابع موافقات الدول ... (بالقطاعي) !!!
تحفظت الدنمرك ... والسويد ، قالتا : إنهما تنتظران موافقة البرلمان .

ثم وافق برلمان الدنمرك ... وبرلمان السويد ، وقبلت باكستان واليابان حضور المؤتمر
بدون التزامات ، وتأخرت إجابة الحبشة وإيران ، ثم وافقتا ... وأصبح المؤتمر (كامل العدد) !
وانتظر الناس موقفاً حاسماً للباكستان بعد استقالة وزارة مجد على . وأتت وزارة السيد
سهروردي ووجدت فرصة مؤاتية للبروز في المجال الدولي والعربي بتأييد مصر - لغياب
منافستها الهند عن المؤتمر - واعترض وزير الخارجية السيد مالك فيروز على هيئة المتفعين
ولكن هذا لا يعني تحولا كاملاً في سياسة الباكستان الخارجية ، إذ ما لبثت أن وردت
البرقيات بتسك الباكستان بحلف بغداد وحلف جنوب شرق آسيا !!! !

ثم انعقد مؤتمر لندن الثالث من السفراء وتألفت جمعية المتفعين من ١٥ متفعاً وتحلفت
باكستان والحبشة واليابان ، وشكلت لجان تنظيمية وفنية ومالية ، وتتابع الاجتماعات .
ديمقراطية ... في الغرب :

وفي أثناء هذه المؤامرات الاستعمارية ، لم تجد الديمقراطية الغربية تناقضاً بين (الاستعمار)
في الخارج و (الديمقراطية) في الداخل

ففى بريطانيا عقد اجتماع اتحاد النقابات السنوى ، ومؤتمر حزب العمال ، ومؤتمر حزب المحافظين ، وتناثرت الهجمات على رأس إيدن ...

وعقدت دورة استثنائية للبرلمان ، هوجمت فيها الحكومة ثم نالت الثقة .. تماما كما يحدث فى فرنسا بالنسبة لقضية الجزائر .

وأذاعت الصحف البريطانية ووكالات الأنباء البريطانية والإذاعة البريطانية نفسها هجمات البريطانيين على إيدن ... ولم تحتفظ بها سرا مكتوما !!

وفى الوقت نفسه تمسكت الدنمرك والسويد والنرويج بالرجوع للبرلمان ... إنها الديمقراطية ... تنفذ بدقة تدعو للاعجاب داخل الحدود ، وخارجها تبدو أنياب الاستعمار !! وروسيا بدورها شهدت مقابلة تيتو ونحروشتشيف حيث دارت مناقشة فيما بين الحزبين الشيوعيين بروسيا ويوغسلافيا من خلاف ، وربما تعرض الحديث لموقف تيتو وسياسة ستالين والشرق الأوسط .

وفى بولندا تدور محادثة المتهمين فى حوادث بوزنان علنية وتذيعها وكالات الأنباء .

٤ - المؤتمرات العربية :

أشرنا فى المقال الماضى إلى سفر الأمير زيد بن الحسين إلى الرياض ... وأعقب ذلك انتقال بعثة عسكرية برياسة القائد الأردنى أبى نوار إلى هناك حيث عقد اجتماع عسكرى من قادة الجيوش العربية اتفق فيه على تدعيم الحرس الوطنى الأردنى عسكريا وماليا . ونشط رئيس الديوان الأردنى فى رحلاته بين سوريا ولبنان والعراق ، وعاد وزير الخارجية الأردنية من العراق تصاحبه علامات الاستفهام عن مدى نجاحه فى مهمته بشأن معونة العراق العسكرية للأردن ضد إسرائيل ، وأشيع بأن هناك اشتراطات عراقية تمس سيادة الأردن سياسيا وعسكريا ، ونفى وزير الخارجية ذلك ، ولكن سرعان ما تلقى التكليف الملكى بالسفر إلى سوريا ولبنان ومصر والسعودية ، فزادت علامات الاستفهام ، واستدعى نورى السعيد أقطابه السياسيين ليطلعهم على ما دار بين العراق والأردن .

وتخلل هذه الاجتماعات اجتماع (على مستوى عال) بين الملكين فيصل وحسين فى الحبانية على أثر الاعتداء الاسرائيلى فى (الرهوة) و (الغرندل) وأعقبه اجتماع بين الملكين فيصل وسعود فى الدمام بجوار الخليج العربى . واجتمع الملك سعود برئيسى جمهوريتى

مصر وسوريا ، ثم استقبل رئيس وزراء الهند ، وكان اجتماع الملكين الهاشمي والسعودي خاصة بين هذه الاجتماعات ملفتا للنظر ، فهو اجتماع (مملكتين بتروليتين) بعد طول فرقة ، ونحن نرحب طبعاً باجتماع العرب على الخير .

والملك حسين قد أبدى نشاطاً في الفترة الأخيرة يسترعى النظر... فتجاوبه مع الشعب بشأن إعفاء حكومة هنزاع المجالي ورفض الأحلاف الغربية ، ثم طرد جلوب ، والمضي في إجراءات البرلمان الجديد مع قطع الوعود من جانب المسؤولين بحياذ الانتخابات ، وخروج وزارة الرفاعي مع القول بأنها لم تؤد واجبها لقضية الجزائر ، والوساطة بين القوتلي وشمعون ، والاتصال بفيصل مرة من أجل مصر بناء على رسالة من القوتلي ، ومرة ضد إسرائيل ، وأخيراً دعوة سعود للزيارة... إنها قائمة أعمال كبيرة !!! .

وحدثت اتصالات بترولية بين السعودية وسوريا ولبنان بشأن عوائد البترول الذي يمر في أنابيب عبر هذه البلاد ، كما أن هناك محاولة توحيد السياسة البترولية بين البلاد التي يستخرج منها البترول ، وهي : السعودية والعراق والكويت وإيران . وتحدثت أنباء عن بترول جديد في سوريا والأردن ، وأنابيب جديدة عبر إسرائيل وتركيا ، وهذا وقد رأت شركة النفط العراقية أن تلغى خط أنابيبها إلى طرابلس بلبنان ، ووفرت ١٢٠ من موظفيها هناك ، وأعلنت أنها ستمده إلى بانياس بسوريا ، ذلك أن الشركة واقعة في خلاف بشأن الإتاوة مع حكومة لبنان ، ولجأت لبنان إلى إخضاع الشركة لقانون الضرائب اللبناني ، وهناك خلاف آخر مع شركة البترول العربية (أرامكو) قام بالتحكيم فيه الدكتور حلمي بهجت بدوى قبيل إسناد مهمة رئاسة مجلس القناة إليه . أما نزاع العراق مع شركة البترول فقد أحيل للحاكم البريطانية ، وقبلت الحكومة ذلك وأوفدت وزير الاقتصاد بنفسه لرعاية القضية هناك !! وتتجلى أهمية البترول في اقتصاديات بعض الدول العربية الآن مما أذيع عن إيرادات سوريا من البترول المار في أراضيها والمصدر من بانياس بلغت ٦٥ مليون ليرة سورية - أي حوالى ٦٥ مليون جنيه - في المدة من أول يناير حتى آخر أغسطس من هذا العام . وهذا مبلغ لا شك ضخم بالنسبة لليزانية السورية ، وتحاول لبنان أن تعمل في تعاون مع سوريا لمواجهة شركات البترول وقد رسي إنشاء معمل تكرير حصص على شركة تشيكية ، والعراق يرصد إيرادات الأرباح لمشروعات (مجلس الإعمار) .

هذا وتجري استعدادات لإيصال خطوط حديدية بين إيران وباكستان... قيل إنها لنقل الفحم لا من أجل (استراتيجيات) حلف بغداد الذي عقد مؤتمراً للمواصلات

في كراتشي توصل الشرق بالغرب بالسكة الحديد !! كذلك تمت مناقصة الأردن لتجهيز ميناء العقبة .

وعاد للظهور مشروع سكة حديد الحجاز التي دمرت منذ الحرب العالمية الأولى والحركة العربية ، ونحن نرجو أن تيسر المواصلات العربية السبل لتواصل الأمة العربية الواحدة وكان آخر الاجتماعات العربية انعقاد مجلس الجامعة العربية لتأييد مصر في قضية القناة .

٥ — مقر الأمم المتحدة بنيويورك : مجلس الأمن .

أمام الدورة الحالية لمجلس الأمن ثم هيئة الأمم في الدورة الحالية قضايا عربية ثلاث : الاعتداءات الإسرائيلية التي احتجت بشأنها الدول المجاورة لخطوط الهدنة ، وقضية الجزائر ، علاوة طبعاً على قضية مصر .

وكان الاستهلال لهذا النشاط الدولي تصريح من دالاس بشأن خلاف الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا بشأن الاستعمار ، ووقوف أمريكا موقفاً وسطاً بين دول الاستعمار وطلاب الحرية فوراً . . . ثم تراجع الدبلوماسي الأمريكي بعد ساعتين فقال : إن الخلاف كان في الماضي . . . وتراجع سقطه أكبر من تصريجه !!

وقام بنينو الوزير الفرنسي بحملة دعاية لقضيته في أمريكا اللاتينية ، كما صرح سلوين لويد بأن بلاده حريصة على السلام ، ولكنها حريصة على احترام الاتفاقات الدولية أكثر . . . وقيل إن الدول الغربية تنتظر (الفيتو) الروسي لمشروع قراراتها بفارغ صبر ، ليكون هذا استمالة للرأى العام الأمريكي الذى يعارض كل ما هو روسى !!!

وقد بدأت الدول الغربية تقوى دعائم الاتحاد الأوروبى ، وبدأت اتصالات انجليزية فرنسية ، واتصالات ألمانية بلجيكية فرنسية ، وانهقد مجلس الاتحاد . . . إنه لابد من تماسك بعد موقف أمريكا الانفرادى الأنانى !!! كما حاول الغرب الإفادة من حلف الأطنطى في القضية .

وتتابعت الاعتداءات الإسرائيلية في رهوة والفرنندل وحوسان . . . ولما أدانت لجنة الهدنة إسرائيل أعلنت مقاطعتها للجنة للمرة الثانية ، وهدد همرشولد بطرح الأمر على

مجلس الأمن إذا لم تتوقف حوادث خرق الهدنة ، ومع ذلك تواصل كندا وفرنسا تسليح إسرائيل بالنفاثات !!!

وفي الوقت نفسه تواصل «هيئة المنتفعين بالقناة» اجتماعاتها واجتماعات لجانها الثلاث . ولا تنس خطاب متريس في البرلمان الأسترالى وتهديده باستعمال القوة ومناورات البريطانيين في العقبة !!!

وأرادت الدول العربية أن تشترك في مناقشات مجلس الأمن لأن القضية المعروضة عليه حيوية لبلادهم --- فأخمت إسرائيل لتشترك في المناقشات أيضا استنادا للقرار الصادر لصالحها بشأن استعمال قناة السويس من مجلس الأمن !!!

وأعادت شركات ملاحية تسيير سفنها في القناة بعد فشل مؤامرة سحب المرشدين ، ولكن بدأت في الوقت نفسه محاولات مصطنعة لتعطيل السفن داخل مجرى القناة --- ثم ارتفع الصراخ بأن قيود النقد المصرية تعرقل شركات الملاحة عن دفع رسوم الموانئ ونمن الوقود !!!

وهكذا --- مناورات دبلوماسية وسياسية خارج مصر ، ومؤامرات ملاحية واقتصادية في مصر ، واعتداءات إسرائيلية --- ومن الجانب الآخر صرح شبيولوف بأنه في الإمكان الوصول إلى حل يجمع بين سيادة مصر ومصالح الدول التي تستعمل القناة ، وطار كرشنا منون وزير الدولة الهندية مرة بين مصر وبريطانيا ، وفي المرة الثانية زار فيها مصر وقيل إنه سيزور لندن ونيويورك .

هكذا كانت مقدمات جلسات مجلس الأمن ---

وقدم سلوين لويد الاقتراح الانجليزى الفرنسى : تأكيد حرية الملاحة ، تسيير منظمة دولية للقناة ، اعتماد مقررات الدول الثماني عشرة ، توصية مصر بالتفاوض على أساس هذه المقررات ، توصية مصر بالتعاون مع هيئة المنتفعين بالقناة . وتبعه بينو فحاول تبرير الإجراءات العسكرية . ثم وقف دلاس في (تقل) يطلب تأجيل خطابه ويكتفى بتأييد قرار مؤتمر الثماني عشرة ، ومشروع القرار البريطانى الفرنسى ، وطلب بريطانيا جعل الجلسة سرية . واسترعى هذا الطلب دهشة المراقبين ، وعلاه مندوب الإذاعة البريطانية بأنه يعطى فرصة التراجع للجميع مع حفظ ماء الوجه !!!

وخطب محمود فوزى وقال كل شيء ... قال : ما فى صدر كل مواطن ... ما فى صدرى وما فى صدرك ، قد لا يكون لنا منطق فى العرض وفقهه للقانون وغوصه فى التاريخ وبلاغته فى البيان ، قد لا يكون لنا هدوء أعصابه وأصالة دبلوماسيته ، ولكننا وهو سواء فيما نحس ونشعر وننفعل تجاه قضية بلادنا !!!

تكلم محمود فوزى عن وضع القناة التاريخى والقانونى ... ثم عرض للتأميم وحجة مصر فى مشروعيته ... وأبان عن موقف الدول الغربية : تهديد عسكرى واقتصادى ، ومحاولة هرقلة الملاحه فى القناة ، وضغط سياسى عن طريق مؤتمر لندن ، ثم محاولة اصطفايح مجلس الأمن لتحقيق أغراضها ... ثم أعرب عن استعداد مصر لتعويض حملة الأسهم على أساس متوسط السنوات الخمس السابقة للتأميم ولقبول التحكيم فى ذلك ، وأعلن رفض مصر للتكرار السخيف للمشروع الغربى ، واقترح أن يشكل المجلس هيئة مفاوضة (معقولة) للتفاوض مع مصر لضمان حرية الملاحة للجميع . وكرر الاقتراح المصرى لعقد مؤتمر دولى واسع لتجديد اتفاقية سنة ١٨٨٨ ، وتحدث شيلوف وزير خارجية روسيا فهاجم المشروع الغربى وأبرز خطورته الدولية ، وامتنانه لكرامة مجلس الأمن بتسخيده فى إقرار مآرب بريطانيا وفرنسا ... ووافق على اقتراح مصر بتشكيل هيئة مفاوضة ، واقترح لها انجلترا وفرنسا وأمريكا وروسيا والهند ومصر ... وأضاف أعضاء لا تمسك بهم كيوغسلافيا وإيران ، أو أندونيسيا والسويد . ومن المعروف قانونا أن الاقتراح لا يملك صلاحية العرض على المجلس إلا إن تبنته إحدى الدول الأعضاء . وها هى ذى روسيا قد تبنته ، وزادته تفصيلا ، واتهم شيلوف احتكارات البترول فى أمريكا بالتفكير فى تولى إدارة القناة تحت ستار تمويل عمليات التحسين الفنية .

وتكلم مندوبو بيرو وإيران وأستراليا وكوبا والصين وبلجيكا ... كلهم يؤيدون التدويل على اختلاف فى درجة الحرارة بين المتكلمين ، وكانت حرارة مندوبى أستراليا وبلجيكا تنذر بالحمى !!!

ورأس بينو وزير خارجية فرنسا الجلسة ... ومنع مصر من التعقيب فى الجلسة التى تتكلم فيها أمريكا ويوغسلافيا ، وتفاءلنا خيرا ، إن قانون الإجراءات الجنائية يجعل المتهم آخر من يتكلم ، ومعنى قرار بينو أنه لا يضع مصر فى قفص الاتهام !!! هذا ومحور المفاوضات التى اقترحتها مصر يدور على أربعة مبادئ : حرية الملاحة ، والتعاون

بين الإدارة المصرية للقناة والدول على أساس سيادة مصر ، ونظام عادل للرسوم ، ونسبة معقولة من الدخل لأعمال التحسين .

وكشف شبيولوف عن الاستعدادات العسكرية البريطانية الغربية - التي هي مجرد إجراءات وقائية - ١٨ سربا جويا (أكثر من ١٠٠٠ طائرة) ، ١٨٥ بارجة ، فرقة مدرعة ، ٤ لواءات و ١٣ آلايا ، مجموعتان من المدفعية الثقيلة ، ووحدات أخرى ... إن هذا العتاد الحربي ... لمداعبة مصر فقط ! ! ! !

وتكلم وزير خارجية يوغسلافيا فرفض المشروع البريطاني الفرنسي ، وأيد اقتراح شبيولوف وأخيرا ... أراد دالاس أن يكون آخر من يتكلم ! ! ! !

وتكلم دالاس مستعرضا تاريخ القناة ، وتاريخ مؤتمر لندن ... وكان في خطابه (قفشات) دبلوماسية ... فاستشهد بفقرات من أقوال مندوب مصر في جلسة مجلس الأمن سنة ١٩٥٤ عند مناقشة قضية السفينة الإسرائيلية (باث جاليم) عن القناة ... وفقرات من أقوال ممثل مصر في اجتماع ميثاق سان فرنسكو ، وإصراره على أن يقرر الميثاق احترام السلام على أساس من العدالة والقانون الدولي ، لا مجرد احترام السلام فحسب كما فعل ميثاق دومبارتن أوكس من قبل ... وحاول أن يغرس سهمه بين الاقتراح الروسي والمصري ، فاعتبر الاقتراح الروسي الذي حدد الدول الأعضاء اقتراحا بتشكيل مؤتمر مؤتمر لندن لكنه مؤتمر لا يتفق أبدا بحكم تشكيله ، في حين اعتبر اقتراح مصر بالتفاوض - وهو اقتراح مرن لم يحدد الدول التي تمثل المجلس في المفاوضات - أكثر إنشائية ! ! على أن يكون أساس المفاوضات هو إبعاد القناة من أن تصبح سلاحا سياسيا لدولة واحدة ، وكرر تأييده للمشروع البريطاني الفرنسي . ونقلت وكالات الأنباء أن شبيولوف رفض الاقتراح قائلا : إن تدويل القناة ستتدخل فيه التأثيرات السياسية ولن يكون عزل السياسة عن القناة إلا عملية مصطنعة .

وبدأت الجلسات السرية ... كما بدأت الاتصالات بين وزراء خارجية مصر وبريطانيا وفرنسا بصحبة همرشلد أمين الأمم المتحدة . ونقلت وكالة أنباء الشرق الأوسط أن كرشنا منون سيطلب حضور جلسات مجلس الأمن السرية لعرض مباحثاته . وفي الوقت ذاته أذاع رويتر بياناً لمجلس الوزراء البريطاني ببقاء الاحتياطي على ماهو عليه .

وتميل تكهنات كثير من المراقبين إلى أن المجلس سيقدر تشكيل هيئة مفاوضات ، وهذا مااستكشف عنه الأيام .

محمد فقي محمد عثمان

إنشاء المجلس الأعلى للنشأة

قرار مجلس الأمن

في مسألة قناة السويس

قرر مجلس الأمن بالإجماع أن تكون المفاوضات المقبلة فيما بين مصر من جهة وإنجلترا وفرنسا من جهة أخرى في مسألة قناة السويس قائمة على المبادئ الستة الآتية :

١ — أن يكون المرور بقناة السويس حراً ومفتوحاً لجميع الدول .

٢ — احترام سيادة مصر على القناة .

٣ — عزل إدارة القناة عن سياسة أية دولة .

٤ — الاتفاق بين مصر والدول التي تستخدم القناة على طريقة تحديد الرسوم .

٥ — تخصيص نصيب عادل من الرسوم لتحسين القناة .

٦ — المشاكل التي لا يمكن حلها بين شركة القناة المؤممة والحكومة المصرية تسوى بالتحكيم بشروط معقولة وبطرق مناسبة لدفع الأموال التي يثبت استحقاقها

وهذه المبادئ هي التي تم الاتفاق عليها بين مصر والجانب الانجليزي الفرنسي في

اجتماعات سرية اشترك فيها داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة وعرضت على مجلس الأمن فوافق عليها بالإجماع . لكن الجانب الانجليزي الفرنسي - لتغطية الهزيمة التي منى بها - تقدم بمشروع قرار زعم أنه هو الطريقة لتنفيذ هذه المبادئ وهو يتضمن معاني التدويل التي تأمر الاستعمار يون عليها في مؤتمر لندن ، فرفضها الجانب المصري ، واستعمل وزير خارجية روسيا حقه في الفيتو رافضاً قبول هذا الشرط الثاني ، وبذلك تعين أن تقتصر المفاوضات المقبلة على المبادئ الستة دون الشرط الثاني المرفوض ، والمتنظر أن تجرى المفاوضات بين وزراء الخارجية للدول الثلاث في الشهر الآتي .

الوقاية من انحراف النشر

وضعت لجنة العادات والتقاليد بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل مشروعاً يهدف إلى إنشاء مكتب باسم :

« مكتب الوقاية من انحراف النشر »

وقد حفز اللجنة إلى وضع هذا المشروع ما طالما نوهنا به وأشرنا إليه وتفاقت شكوى الأمة من أضراره وسوء عاقبته ، وهو

مؤتمر مائدة مستديرة

بين مصر والسودان والحبيشة

ينتظر أن يعقد في القاهرة في الشهر الآتى مؤتمر مائدة مستديرة يحضره الرئيس جمال عبد الناصر ، وإمبراطور اثيوبيا ، ورئيس وزراء السودان ، والسيد الصديق المهدي رئيس حزب الأمة ، لوضع الخطوط الرئيسية لقيام الكتلة الإفريقية بين مصر والسودان وإثيوبيا ، والاتفاق على المسائل المشتركة وفي مقدمتها السد العالى وخزان تانا وخران الروصيرص . و ينتظر أن تكون الكتلة الإفريقية أكبر كتلة استراتيجية عسكرية بالشرق الأوسط .

الامبراطورية العربية الكبرى

في خطاب لرئيس الوزارة الفرنسية

ألقى جى مولييه رئيس الوزارة الفرنسية خطبة سياسية بمناسبة افتتاح مستعمرة سكنية جديدة في مدينة (روبيه) في فرنسا ، ومما قاله في هذه الخطبة :

« إن تأميم قناة السويس يهدد تهديدا خطرا الروابط التجارية بين أوروبا وآسيا ! وهو جزء من خطة الرئيس جمال عبدالناصر لإقامة صرح امبراطورية عربية كبرى » .

انحراف بعض الصحف والمجلات والمطبوعات إلى نشر ألوان هدامة من الأفكار والصور التي اعتبرتها الأمة عاملا من عوامل إفساد الأخلاق وإضعاف المجتمع وإشاعة الانحلال فيه والتفكك ، بينما هذه الثورة قامت لإصلاح كيان الأمة وتكوين شخصية قوية متكاملة للمجتمع المصرى والقومية العربية .

ولخصت اللجنة (انحراف النشر) في خمسة اتجاهات رئيسية هي :

- ١ — التشكيك في العقائد .
- ٢ — إثارة الغرائز الجنسية .
- ٣ — نشر الجريمة دون هدف .
- ٤ — القضاء على القيم الأخلاقية .
- ٥ — الاعتداء على كرامات الفئات والهيئات .

وأررفت اللجنة بملاحظاتها هذه نماذج لأخبار ومقالات وقصص وصور نشرتها بعض الصحف والمجلات في الأيام الأخيرة كما أشارت إلى أسماء الكتاب الذين يقدمون هذه الألوان الهدامة من الأفكار والصور الخليعة .

وثائق محاكمة العربيين

كانت وثائق محاكمة العربيين مودعة لدى مستر برودى بصفته محاميا عنهم، ثم علمت وزارة التربية والتعليم المصرية أخيرا أن هذه الوثائق موجودة تحت يد الأستاذ قرياقص ميخائيل الذى كان مديرا للمكتب جريدة المقطم بلندن، فرأت - حرصا منها على صيانتها من الضياع - أن تسعى للحصول عليها، وبالفعل تمكنت من شرائها بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه واحتفظت بها خدمة للتاريخ.

وعلم ورثة عربى بذلك فرفعوا قضية على وزارة التربية والتعليم أمام مجلس الدولة قالوا فيها إن هذه الوثائق ملك لهم آلت إليهم من مورثهم الذى كان قد أودعها لدى محاميه برودى، وإنهم أحق بثمنها إذا أرادت الوزارة الاحتفاظ بها خدمة للتاريخ، فقضى مجلس الدولة بعدم اختصاصه بنظر هذه الدعوى، لأن النزاع فيها مدنى بحت يدور حول ملكية هذه الوثائق، فالمحاكم المدنية هى المختصة بالحكم فيه.

ومحاكمة العربيين كانت قد نشرت بتوسع فى كتاب (مصر للمصريين) عند ما كانت المحاكمة قائمة، وقد صدر منه مجلدات عديدة تكاد تكون محتوياتها قريبة من الواقع.

كهربية خزان أسوان

تم حفر الأنفاق الأربعة فى مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان، ومجموع أطوالها ٣٥٠ مترا، كما تم بناء جناحى السد الجنوبى والشمالى ومداخل ومخارج الأبواب والتربينات وتركيب بعض أجزاء المحطة، وقد بلغ مجموع ما أنفق على ذلك حتى الآن ١٩ مليون جنيه من مجموع التكاليف التى قدرت بنحو ٢٧ مليونا و ٥٠٠ ألف جنيه.

وينتظر أن يدار النصف الأول من محطة توليد الكهرباء فى خزان أسوان فى مثل هذا الشهر من سنة ١٩٥٩، أى بعد ثلاث سنوات، ثم يدار النصف الآخر منها بعد ذلك بسنة، أى فى سنة ١٩٦٠.

تصويب

حدث تحريف فى الآية الواردة بصفحة ٢٩٠ سطر ١٢ إذ جاء فيها « فآمنوا بالله ورسوله » وصحتها « فآمنوا بالله ورسوله ».

الأدب والعلوم

أدب القوة

في مؤتمر أدباء العرب

انعقد المؤتمر الثاني لأدباء العرب في ضاحية بلودان من ضواحي دمشق في هذا الشهر، ومثلت فيه البلاد العربية . وفي الحفل الختامي للمؤتمر خطب رئيس الجمعية السورية السورية السيد شكرى القوتلى فقال :

« إن البلاد العربية في ظروفها التي تجتازها وإزاء المكاييد التي تحيط بها ، هي في أشد الحاجة إلى أفلامكم وأفكاركم ، لتجتمع على سواعد أبناء هذه الأمة وأسلحتهم ، فتكون جبهة الدفاع واحدة في صف واحد ، من أجل بلوغ أهدافنا المثلى . فقد عزمنا - ياصفوة رجال الفكر - على أن (تحرر) البلاد العربية و (تتوحد) ، وأن يخرج الاستعمار منها خروجا لا رجعة له ، وليس إلا باجتماع السيوف والأقلام في جهاد قومي موحد نستطيع أن نبليغ هذه الأمانى القومية في ظل (وحدة قومية كبرى) وتحت (راية العروبة) وحدها » .

عيوب التعليم الجامعى

هاجم وزير مالية الهند نريجي الجامعات في الهند الذين يعملون في السياسة والتجارة والوظائف فقال : إن السياسيين منهم عشاق سلطة وسيطرة ، والتجار منهم جشعون وطماعون ، أما الموظفون فمرتشون . وقارن وزير المالية بين خريج الجامعات ، والرجل العادى فقال : إن الأخير متواضع أمين . وأكد في نهاية حديثه أن العبرة بالأخلاق

لا بكثرة العلوم التي يتلقاها الإنسان . وعلقت جريدة (جوان تريبيون) على حديث وزير المالية فقالت : إن جامعاتنا تخرج علماء ، وأطباء ، ولكنها لا تعنى بالأخلاق ، وهذا نقص كبير في التعليم .

تمهيد

أقدم مدرسة انجليزية بمصر

كان للانجليز مدرسة في الاسكندرية أسستها الإرسالية الاسكتلندية في سنة ١٨٥٦ أى قبل الاحتلال البريطانى ، وقد تم لها في هذا العام مائة سنة كاملة ، وفي هذه المدة الطويلة كان العلم البريطانى يرفرف عليها في كل المناسبات .

متحف الفن الاسلامى

فى مصر

هو الذى كان يسمى (دار الآثار العربية) ويقوم خلف دار الكتب المصرية وكلاهما فى بناء واحد . وقد انتقل المتحف إلى هذا المكان سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) ، وكانت التحف الإسلامية تجمع وتدخر قبل ذلك ببضع سنوات فى جامع الحاكم، وكان عددها نيفا وسبعة آلاف تحفة ثم أخذت تزداد مما استخرج من أطلال القسطنطين ومدينة العسكر والقطائع ، وأضيفت إليها هبات وهدايا ومشتريات كمجموعة الدكتور على إبراهيم وهرارى وهدايا مصلحة الآثار العراقية . وتبلغ تحف المتحف الإسلامي الآن ستين ألف تحفة أهمها مجموعة المصاييح الزجاجية الموهبة بالميناء ، ومنها أعظم مجموعة فى العالم للسجاجيد الشرقية .

فى جامعة القرويين

فى جامعة القرويين (أزهر مراکش) ألفان من طلبة العلوم الإسلامية ، منهم مائة ونحسون طالبة ، وقد نالت ثلاث منهن شهادة العالمية بامتياز فى هذا العام ، واخترن للتدريس على الطالبات فى جامعة القرويين . وجامعة القرويين من حسنات المرأة المسلمة ، فقد أنشأتها فى سنة ٢٤٠ للهجرة السيدة فاطمة النهرية فهى أقدم من الأزهر بأكثر من مائة سنة .

وأخيرا رأى الذين كانوا يمدون هذه المدرسة بمساعدتهم أن يكفوا أيديهم عن مساعدتها ، فعولت على إغلاق أبوابها ، ولكن وزارة التربية والتعليم رأت أن تضمها إلى مدارسها ، واحتفل فى هذا الشهر برفع العلم المصرى عليها وكان الاحتفال بذلك فى ساحة المدرسة بهيجا ومؤثرا .

تأنيث هيئة التدريس

فى مدارس البنات

رغبة فى تأنيث كل هيئة التدريس فى مدارس البنات، وتوفيرا للعدد الكافى لذلك من المدرسات ، تسير وزارة التربية والتعليم فى سياسة التشجيع على زيادة عدد الطالبات فى القسم الخاص بهن فى كلية دار العلوم ، وقد بلغ عددهن ١٥٠ طالبة ، وسيخرج الفوج الأول منهن فى هذا العام وعدده ١٨ طالبة هن الآن فى الليسانس ، وسيدخلن فى هيئة التدريس فى الموسم الدراسى القادم .

الطلبة المغاربة فى مصر

قررت وزارة التربية والتعليم أن يكون تعليم الطلبة المراكشيين والجزائريين والتونسيين مجانا فى المدارس الخاصة . ويسرى هذا القرار على المقيدين بالمدارس قبل بدء العام الدراسى .

الكتاب

تفسير الطبرى — الجزء السابع

بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦٤٠ ص — دار المعارف بمصر
صدر هذا الجزء مبتدئاً من الآية ٩٣ من سورة آل عمران وهى قول الله عز وجل :
« كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل » وآخره الآية السابعة من سورة النساء وهى قوله
سبحانه : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » .

ويمتاز هذا الجزء بكل ما تحلت به الأجزاء الستة الماضية من عناية وتحقيق
وفهارس .. وفيه من الآثار من رقم ٧٣٩٩ إلى رقم ٨٦٥٧ وإن الذين اقتنسوا الأجزاء
الماضية يترقبون صدور الأجزاء التالية ؛ باغتراب وإهتمام ، فزجو الله التوفيق لإكمالها .

الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر

للدكتور محمد محمد حسين — الجزء الثانى — ٤٢٤ ص — مكتبة الآداب بالقاهرة

جامعة الإسكندرية أمثل جامعاتنا فى نظرتها السليمة إلى واجبها العالمى نحو وطنها
المصرى وقوميتها العربية والبحوث الإسلامية ، والدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب
العربى الحديث بجامعة الإسكندرية قد حاول محاولة موفقة أداء زكاة كرسى الأدب الذى
يشغله فى جامعة الإسكندرية بتأليف هذا الكتاب . ونحن لم نطلع على جزئه الأول ،
ولكن جزئه الثانى الذى أهدى إلينا فى هذا الشهر ملىء بمجهود حميد فيما تصدى له من
دراسة الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، من قيام الحرب العالمية الأولى إلى قيام
الجامعة العربية .

وهذا الجزء ينطوى على خمسة فصول : أولها : (١ - ٨٧) عن الخلافة الإسلامية
وقد استعرض المؤلف فيه الأحداث التى وقعت فى هذه الحقبة من هذه الناحية ، ومنها

إلغاء السكاليين الخلافة الموهبة التي كان يدعيها سلاطين آل عثمان ، كما استعرض الآثار الأدبية لمعركة الخلافة في كتب أربعة : (١) الخلافة أو الإمامة العظمى للسيد رشيد رضا . و (٢) الخلافة وسلطة الأمة لرجل كان موظفا تركيا ومن دأبه التلون بلون الدولة التركية فكتب كتابه هذا - أو كتبه له السكاليون - دفاعا عن وجهة نظرهم عندما جعلوا الخليفة أيقونة على كرسي تثبت وجودها ولا تتحرك . و (٣) النكير على منكرى النعمة لمصطفى صبرى أفندى آخر مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية ، وهو يدور على فساد دين السكاليين وعصبيتهم للجيش التركي ومحاربتهم العصبية الإسلامية . و (٤) الإسلام وأصول الحكم الذى تجاهل مؤلفه الحقائق الأولية في كيان الإسلام وأهداف رسالته ، وقد رد عليه السيد محمد الخضر حسين ، والشيخ محمد نجيب المطيعي ، وكبير علماء تونس ، بل أنكرت هيئة كبار العلماء ما فيه من مكابرة وتجاهل ، وأصدرت حكما فيه .

وعقد الفصل الثانى (ص ٨٨ - ١٧٦) للجامعة العربية ونشأة الفكرة وتطورها ، واتخاذ مصر مركزا للدعوة العربية بعد الحرب ، وصراع الجامعة العربية مع الدعوات القومية ، والعودة إلى الجامعة الإسلامية ، وتآزر الشعور الإسلامى مع العروبة . وقد لاحظنا في تحرير الحقائق عن الحركة العربية نقصا لقلّة المراجع التى فى الأيدى ، ولأن الذين يحق لهم عرض هذه الحقائق قصروا فى إصدار كتب عنها حتى الآن ، فالمؤلف معذور فيما اقتصر عليه فى هذا الباب .

وفى الفصل الثالث (١٧٧ - ٢٦٨) الكلام على القديم والحديث ، وعلى التجديد ما هو ، وكيف بدأ ؟ واهتمام باحثى الأوربيين ومستشرقهم بالاتجاهات الإسلامية ومدى تأثير الإسلام فى توجيه الحياة ومدى سيطرته عليها بعد هجوم الآراء الغربية الجديدة ، ثم الكلام على أن طه حسين وسلامه موسى هما أكثر دعاة الحديد تطرفا ، وأن أبرز المحافظين هو مصطفى صادق الرافعى ، وأن المعركة بين الحديد والقديم تشمل كل نواحي الحياة : المرأة ، القبعة ، الأزهر ، الأدب .

وتكلم المؤلف فى الفصل الرابع (ص ٢٦٩ - ٣٦١) على الدعوات الهدامة : هدم الدين وهدم قواعد الإسلام ، هدم الأخلاق ، هدم اللغة العربية .

وفى الفصل الخامس : (ص ٣٦٢ - ٤٠١) الكلام على توازن القوى السياسية والوطنية فى مصر فى الحقبة التى خصص لها الكتاب ، وفيه موضوعات مهمة جديرة بالتأمل .

ولم يتسع لنا الوقت لبدء الرأى فى كثير من الدراسات التى نشرها المؤلف عليها ،
ونعترف بأنه صرف فيها من الوقت والعناية ما هى جديرة به . وهو من الكتب الجدية التى
لا غنى لمفكر عن اقتنائها والافادة منها .

المختص لابن سيده - دراسة ، دليل

للأستاذ محمد الطالبي - ٢٠٠ ص - المكتبة الشرقية بتونس

الأستاذ المؤلف مدرس بمعهد الدراسات العليا بتونس ، وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام :
الأول دراسة عن كتاب المختص وغرض ابن سيده من تصنيفه وطرائقه فيه ،
والحديث عن مدرسى البصرة والكوفة ، وقيمة المختص وأهميته وآراء المعاصرين فيه .
والقسم الثانى موجز لمحتويات المختص وأنها تدور حول الإنسان والحيوان والطبيعة
والنبات ، وعن الإنسان فى المجتمع ؛ والتنبيه على ما يتخلل الكتاب من مسائل صرفية .
والقسم الثالث دليل أبجدي لمواد المختص يبتدئ من الإبل وتفصيل ما فى المختص من
المعانى الخاصة بها ، ثم كلمة ابن ، فـ كلمة أب ، والإباء ، والإتيان ، والآثار ، إلى
حرف الياء ، ومن كلماته اليأس واليبس واليد واليسر الخ . ولم يستقص الدليل جميع ألفاظ
المختص ، لأن ذلك يحتاج إلى عشرات أضعاف الكتاب ، وإنما أورد المعانى الجامعة
التى تتفرع عنها تلك الألفاظ . وهو عمل جيد يشكر المؤلف عليه .

الوجيز فى الميراث على المذاهب الأربعة

للأستاذ منشاوى عبود الخولى - ٩٠ ص - الطبعة الثالثة بمطابع دار الكتاب العربى

هو كما يدل عليه عنوانه مختصر جامع فى الميراث على المذاهب الأربعة ألفه فضيلة
الأستاذ الخولى وفق المنهج الجسد لل شهادة الابتدائية والثانوية مع الإشارة إلى ما يجرى
عليه العمل فى المحاكم ، وذيله يبحث فى الوصية الواجبة . وقد جعل الأحكام المتفق عليها
فى صلب الكتاب ، والمختلف فيها بالهامش ، كما وضع فى الهامش أيضا الأحكام التى
يجرى عليها العمل فى المحاكم ، ونبه الى ما يخص منهج الشهادة الثانوية ، وزاد على الطبعتين
السابقتين جدول أصحاب الفروض وجدول المحجب مع الإكثار من النماذج والتمارين .
فـرجو الله أن ينفع به الطلاب .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
٢٢٥	هذا هو الغرب	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٢٩	نفحات القرآن : تلطف القرآن	عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢٣٤	السنة : عيد الجلاء الأول - ٣ -	« طه محمد الساكت
٢٣٨	للمؤمن الحق	محمد الطنيجي مدير الوعظ والارشاد
٢٤١	يقظة العروبة	« أحمد الشراصي
٢٤٦	الاسلام والغرب	« عبد المنعم النور
٢٥٣	صفحات من البطولة في الاسلام	« محمد أبو شهبة
٢٥٦	ثورة الاسلام على الفقر - ٢ -	« محمد السيد ندا
٢٦١	بحوث في مصادر الشريعة النظرية - ٥ -	« زكي الدين شعبان
٢٦٨	الألفاظ الأوربية في اللغة العربية - ٢ -	« عمر طلعت زهران
٢٧٢	للقاطعة الأدبية	« محمود فرج العقدة
٢٨٠	عبد الرحمن بن عوف	« محمود النواوى
٢٨٩	أسباب الخلاف بين حمة الأديان	« عباس طه
٢٩٤	محمد المثل الأعلى	« محمد سماد جلال
٢٩٧	من وحي القنال	« عبد الله محمد أبو عيد
٢٩٨	بدء الشهر القمري	« محمد أبو العلا المينا
٣٠١	لغويات	« محمد على النجار
٣٠٥	كلمة الأزهر في المؤتمر الشعبي القبطي	« محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٣٠٩	ربيع النصر في مصر	« توفيق عاشور
٣١١	ذكريات بين الصفا والمروة	« محمد محمد خليفة
٣١٤	تمليقات : حول التوسع في تعليم الفتيات	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٣١٦	قضيتنا بين عواصم العالم	« محمد فتحي محمد عثمان
٣٢٨	العالم الاسلامي	المجلة
٣٣١	الادب والعلوم	»
٣٣٣	الكتب	»



مُدير المجلة
عبد الرحمن عيسى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأهرام

مجلة شهرية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بشرى النور
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

سنة	في وادي النيل
٤٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للمعلمين والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للمعلمين خارج الوادي

الناشر

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الآخر ١٣٧٦ - ٤ نوفمبر ١٩٥٦ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العملاق

بين أمسه وجمعه

لقد عرف قراؤنا من هو العملاق ، إنني تحدثت عنه وتبين حجمته ويقظته في صدر جزء رمضان من هذه المجلة لعامها الماضي .

وقد توالى الأحداث بعد ذلك منبثة بيقظته . إن المخدرات والسموم التي دسها شائثو العروبة والإسلام في أنوف العرب والمسلمين من مائتي سنة إلى الآن ، بل من ألف سنة إلى الآن ، لم تؤثر في حيوية العملاق ، إن حيويته القوية نامية معه من الأزل ، ليخفق بها فؤاده إلى الأبد . إن أسلاك البرق وموجات الأثير تحمل الآن بين عواصم الأرض وأرجائها في البر والبحر أنباء هذه اليقظة فيما بين المغرب والمشرق . والذين سهروا وسهر أبأؤهم وأجدادهم من قبلهم على تخديرنا وتضليلنا ، سيكون الآن دما على فشلهم في كل ما بذلوه من جهود ليوهنوا في قلوبنا وعقولنا رابطينا بعروبتنا وإسلامنا ، فهم يتلقون الآن أنباء هذه اليقظة آسفين متحسرين على ما أخفق من آمالهم ، وما ضاع من جهودهم ...

لقد رضى المستعمرون بتقلص ظل استعمارهم العسكري بعسد الذي أصابهم من الوهن

في الحريين العالميتين ، لكنهم كانوا يتعللون بأنهم نجحوا في تخديرنا وتضليلنا ، وأنهم خدعونا عن أنفسنا ، وأننا آمنا بهم كما آمن بهم أتاتورك والساثرون من ورائه . فلما بدأ العملاق يستيقظ تبين لهم أن العرب غير الترك ، وأن المسلمين مازالوا بخير ، وأن ما بذروه في وزارات معارفنا ، وما يكفوه من أدوات التثقيف في ربوعنا ، وما أنفقوه على مرافق التبشير والدعاية الأجنبية في أوطاننا ، قد انهار كله بين ليلة وليلة ، وأيقنوا أن العملاق سيعود لا محالة فينبأ مقعده اللائق به بين أعم الأرض .

طالب وددت لو أن جامعاتنا آمنت بعروبتها وإسلامها ، كما آمنت شعوبنا بعروبتها وإسلامها . إنها لو فعلت لاتخذت عدتها - منذ قامت الثورة - لتوسيع دراساتها العربية والإسلامية ، ولأحسن توجيه شبابنا الجامعي نحو التثقيب عن معدن العروبة وكثوز الإسلام ، حتى يرجع بهما الجليل المثقف إلى حقيقته ، وحتى يصل غده بأمره ، فيلد العملاق الأزلى ، العملاق الأبدى ، وتستقبل الإنسانية قادة الحق والخير ، حاملين الأمانة التي ادخرها لهم أسلاف العروبة والإسلام يوم حملوا لأمم الأرض لواء الحق والرحمة والخير .

كل الأمم كان لها في أدوار حياتها ، وقبل تمدنها وحضارتها ، دور بداوة . وكل الأمم كانت في دور بداوتها ذات لغة بدائية قليلة المفردات ، لانكاد تبلغ كلماتها ألف كلمة إن لم تكن أقل من ذلك . وكانت مداركها العقلية ضئيلة كضئولة لغاتها ، لأن لغة كل أمة ترجمان مداركها العقلية ، ودليل اتجاهاتها الخلقية وأهدافها الإنسانية . فالعربية - من دون لغات البشر جميعا بلا استثناء - كانت في بداوة أهلها أوسع لغات أعم الأرض قاطبة في بداوتها ، وكانت مع امتيازها بهذه السعة غنية بمعانيها الإنسانية ، بينما بعض اللغات لا يكاد يوجد فيها ما تعبر به عن أبسط الأخلاق الفطرية . خذ لذلك مثلا معنى « الوفاء » ، فإن اللغة التركية لا يوجد فيها لفظ واحد يدل عليه ، بينما هذه المادة وما يشق منها وما تدور عليه من المعاني قد شغل من لسان العرب الصفحات ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من جزئه العشرين ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يصف العربية : إنها « تثبت العقل ، وتزيد في المروءة » ، وإنما كانت تزيد في المروءة لأنها لغة أمة استغنت بالأخلاق في بداوتها عن القوانين والأنظمة المكتوبة وعن الحكومات والأحكام ، بل إن مكة أم القرى وبلد قريش لم يكن لها ملك ولا شرطة ولا محاكم ،

وإنما كانت لهم دار الندوة يتشاور فيها ذوو الحجى والتقدم إذا خربهم أمر ، وقبلما يبغي فيها أحد على أحد ، وقد وقع فيها مرة مظل من مدين قرشى على دائن يبنى فمعد شباب قریش مجلسا فى دار عبد الله بن جدعان التيمى حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر شبابه وحكموا على الماظل بأن يؤدى ما عليه لدائنه ، وقال فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الاجتماع بعشرات السنين : لو دعيت إلى مثله الآن لأجبت . فهم أمة كانت تتعامل بالمروءة ، ولذلك كانت لغتها تزيد فى المروءة كما قال عمر بن الخطاب . وإنما كانت العربية تثبت العقل أيضا لأنها لغة تترجم عن مدارك أهلها وعقولهم ، وفى ذلك يقول الفرزدق يصف الأمة التى هو منها :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

هذا الامتياز الذى امتازت به لغة العروبة فى بداوتها ماذا صنعت جامعاتنا فى دراسته ، وتنبيه الشباب الجامعى اليه ، وتوجيه جهودهم العلمية لتحليله ، والتأليف فيه ، وبناء النتائج عليه ؟

عندنا كلية اللغة العربية فى الأزهر ، وكلية دار العلوم ، وكليات الآداب فى الجامعات الثلاث . وعندنا فى بغداد جامعة وجامعيون ، وفى دمشق جامعة وجامعيون . وفى تونس جامع الزيتونة ، وفى المغرب جامع القرويين . هذه المعاهد لا يمتد نظرها فى العربية وآدابها لأبعد من زمن المعلقات وأصحابها ، أى إلى قرن واحد قبل الإسلام . ومنهم من يذكر لتلاميذه قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

فيذكرهم بأن ابن حذام كان شاعرا من شعراء العرب الأقدمين يوم كان امرؤ القيس فى عصره من الشعراء المحدثين .

ويمتد نظر بعضهم لأبعد من عصر المعلقات فيقرر أن عدى بن ربيعة التغلبي - وهو المهلهل - أول من قصد القصائد فى قتل أخيه كليب بن وائل . ويعلمو بعضهم إلى زمن العنبر بن عمرو بن تميم ، وابنى عمه سعد بن زيد مناة بن تميم ، ومالك بن زيد مناة ابن تميم فيروون لهم قطعا من الشعر صحت عنهم ، وزمنهم أقدم من زمن المعلقات بمئات من السنين . وأعرق من ذلك فى القدم قول أعصر - واسمه منبه - بن سعد بن قيس عيلان يخاطب بنته هميرة :

أعمر إن أباك شيب رأسه كر الليالى واختلاف الأعصر

وأقدم منه دويد بن زيد بن نهد القائل يوم حضرته الوفاة :
اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته

وقول زهير بن جناب الكلبي :

فما إبلى بمقتدر عليها ولا حلى الأصيل بمستعار
ستمعها الفوارس من بلى وتمنعها فوارس من صحرار
ويمنعها بنو القين بن جسر إذا أوقدت للحدثان نارى
ويمنعها بنو نهد وجرم إذا طال التجاول فى الغوار
بكل مناجد جلد قواه وأهيب عاكفون على الدوار

وقوله عند موته يوصى بنيه :

إبْنِيَّ إِنِّ أَهْلَكَ فَأَنى قد بنيت لكم بنيه
وجعلتكم أبناء سا دات زنادكم وريه
ولقد رأيت النار للس لاف توقد فى طميه
ونظقت خطبة ماجد غير الضعيف ولا العييه
والموت خير للفقى فليهاكن وبه بقيه
من أن يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشييه

وهذه القطع المأثورة مضى عليها نحو خمسة وعشرين قرناً ، لأن زهير بن جناب ودويد بن زيد بن نهد كانا بعد افتراق بنى معد من الحجاز ، ومعد كان معاصراً لبختنصر الكبير وسبيه اليهود وإجلاتهم عن فلسطين . وفى مثل عراقتها فى القدم من نثر العرب وصية نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، فقد جمع بنيه لما شعر بنو أجله فقال لهم :

« أى بنى ، أوصيكم بالعدو شراً : ضرباً أزا ، وطعننا ونخراً . كلوهم نزراً ، وانظروهم شزراً ، واطعموهم دسراً .

اقطروا الأعنة ، وطرّروا الأسنة ، وارعوا الغيث حيث كان » .

فقال له رجل من ولده — يغلب أنه حزيمة — :

— وإن كان على الصفا ؟

فأجابه نهد : وإن كان على حافة الصفا . . .

فكان بنو نهد يحفظون وصية جدهم على مر القرون .

قال هبيرة بن عمرو بن جرثومة النهدي يذكر هذه الوصية ويذكر قومه بها :

وأوصى أبونا فاتبعنا وصاته وكل امرئ موص أبوه وذاهب
فأوصى بالآلا تستباح دياركم وحاموا كما كنا عليها نضارب
إذا أوقدت نار العدو فلا يزل شهاب لكم ترمى به الحرب ثاقب
يفرج عن أبنائنا ونسائنا جلاد وطعن يردع الخيل صائب
وما زاد عنا الناس إلا سيوفنا وخطية مما يتقف زاعب
وزاعب هذا رجل من الذين كان صاحب مصنع أسلحة .

وبقيت هذه الوصية يتوارثها الخلف عن السلف أكثر من ألف سنة ، إلى أن كان زمن أمير المؤمنين على ، فقال رجل من أبناء عصره وهو عمرو بن مرة بن مالك النهدي أحد بني زوى بن مالك يثني على بني كلب بن وبرة من قضاة لأنه استنجدهم فأنجدوه - كموقف العروبة والإسلام الآن من قضيتي الجزائر وفلسطين - ولم ينههم عن نجاته وسأوس الناهين ، فقال فيهم :

رحلت إلى الكلب بحر بلادهم فلم يسمعوا في حاجتي قول قائل
وكانوا كظني إذ رحلت إليهم وما عالم بالمكرمات بكاهل
رهنت يميني في قضاة كلها فأبت حميدا فيهم غير خامل
بذلك أوصانا زوى بن مالك ونهد بن زيد في الخطوب الأوائل
فأوصى بالآلا تستباح دياركم وحاموا عليها تنطقوا في المحافل
وغالوا بأخذ المكرمات فانها تفوز غداة السبق عند التفاضل

نحن من أمة ذات تراث إنساني يجب دراسته من مختلف النواحي ، وأهم ما ينبغي دراسته وإطالة النظر فيه عراقة العروبة في القدم حتى مضى عليها من مئات القرون الوقت الكافي لنمّو لغتها هذا البناء العجيب وتشعب كلماتها بالاشتقاق الأصغر والأعظم ، مع تشعب المدارك العقلية والمعاني الإنسانية في الأمة العربية ، حتى بلغت في زمن العلاقات وعصر ظهور الإسلام هذا المبلغ من الدقة والجمال والسعة والبلاغة ، فاستحققت أن يوحى بها كتاب الله ، واستحق أهلها أن يختارهم الله لحمل رسالة خاتم أنبيائه .

إن هذه الدراسة أهم بكثير من دراسة الجيولوجيين لطبقات الأرض ، فالبشر أعظم قيمة من الأرض التي يمشون عليها ، والبشر حيوان لولا المنطق الذى امتاز به وهو اللغة ، فاللغة هى الجوهر الذى كان به الإنسان إنسانا ، وكلما كان هذا الجوهر أكرم وأعلى كان أهل العلم أجدر بالعناية به ومعرفة ما به كان أكرم وأعلى . وهى ننتظر من الفرنسيين أو الانجليز أو الأمريكين أن يقوموا عنا بدراسة تراثنا الذى نمتاز به عليهم امتيازاً قضى الله به ومضى به التاريخ فأصبح من قضايا المقطوع بها مبدئياً ، ولم يبق لاستكمال هذا الحكم التاريخى إلا استيفاء (جديثاته) وهى هى الدراسة التى ندعو إليها ، ونريد من جامعاتنا أن تستعد لها .

كلما درسنا هذه القضية ، ووقفنا على شئ من أسرارها ، وآمنا بصحة هذا الامتياز القومى الذى اختصنا الله به من دون البشر ، كان ذلك مفعرة لنا ، وتقريراً لعلو منزلتنا فى الأسرة الإنسانية ، وكان مصدر قوة لنا ، وحافزاً لعممنا على كتابة تاريخنا من جديد .

العربية أعرق لغات الأرض فى القدم ، وإن سعتها ، وكثرة مشتقاتها ، ودقتها فى التعبير ، وإحاطتها بمعانى الفطرة ، والمشاعر الإنسانية ، ورشاقة مادتها ، وبلاغتها فى أداء المعنى الكثير باللفظ القليل ، ومنطقها السليم فى إعرابها ، كل ذلك وغيره لا ريب أنه مما لم يتوفر بجملة لغة أخرى من لغات البشر فى بداوتها كما توفر للغة العربية فى بداوتها ، وقد دل على أن العربية كانت موجودة فى أطوارها الأولى قبل أدهار وأدهار من بدء وجود أى لغة أخرى من اللغات المعروفة . وإن أعداء هذه اللغة وأعداء أهلها يقفون أمام هذه الحقائق حيارى واجمين ، كوقفة أرنست رينان فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) حيث قال عن لغة العرب : « من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة السكال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . ولقد كانت هذه اللغة مجهولة من الأمم ، ولسكنها من يوم علمت ظهرت لنا فى حلال السكال ، إلى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى . ولا نعلم شيئا لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

وإنما كانت العربية لا يعرف لها أرنست رينان وغيره زمن طفولة لعراقة طفولتها

في القدم ، قبل أن توجد لغات الأمم الأخرى التي يعرف لها الناس زمن طفولة . فاللغة العبرية التي كتب بها سفر تثنية الاشتراع في زمن موسى المعاصر لزمن الفراعنة يعرف عنها علماء اللغات السامية أنها وليدة الكنعانية واللهجات الفينيقية ولهجات قبائل شرق الأردن وقرى غربى الأردن ، فالفينيقية أعرق منها في القدم ، مع أن الفينيقية نفسها وليدة اللهجات العربية في نجد وسواحل الخليج العربى في عصر هجرة الفينيقيين عن جزيرة العرب قبل نحو ستة وعشرين قرنا من ميلاد المسيح في تقدير المؤرخ باتون الأمريكى . فالفينيقية سليله لهجات عربية ، كما أن الفينيقيين أنفسهم من مهاجرة العرب إلى سواحل الشام ، وقد نقلت أدلة ذلك في رسالة « اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب » بل إن العربية ووطنها الأول هما الأم للغة الكلدانية والآشورية ولسكان العراق بعد السومريين ، وذلك قبل خمسة وخمسين قرنا ، أى في نحو سنة ٣٦٠٠ قبل المسيح .

وقد تحدثنا في جزء رجب من هذه المجلة في عامها الماضى عن معنى قول الدستور المصرى إن مصر جزء من الأمة العربية ، وضربنا بعض الأمثال على توافق العربية والمصرية القديمة .

والذى يقارن اللغات السامية - كالكلدانية والآشورية والفينيقية والعبرية - باللغة العربية يجد البون شاسعا بين كمال العربية ووضوحها ، وفقر اللغات الأخرى وغموضها ، كما اعترف بذلك أرنست رينان وغيره ، وسبب ذلك عراقية العربية وقدم تطورها حتى بلغت مرتبة الكمال والنضج عند ما كانت اللغات السامية الأخرى في أوائل مراحل التطور . وهذه العراق في الكمال ، وهذا الدور المبكر للنضج ، هو الذى ارتقى بالعروبة في درجات إنسانيتها ، وارتقى بالعربية في مستوى بلاغتها ودلالاتها على سعة المدارك ، ومماشاة المروءة في طريقها إلى أهدافها ، كما لاحظ أمير المؤمنين عمر في قوله عن العربية إنها : « تثبت العقل ، وتزيد في المروءة » .

لهذا كله ولغيره مما لا تتسع له إلا الدراسات الجامعية المتواصلة ، لهذا وذاك ، اختار الله العروبة لحمل أكل رسالاته ، وظهر الإسلام في بيئة هى اعظم بيئات الإنسانية ملاءمة لظهوره فيها ، وقد حاولت أن أشرح هذه القضية في مقال « بيئة الإسلام الأولى التى اختارها الله لمولود خاتم رسله وظهور أكل رسالاته » وذلك في جزء ربيع الأول من هذه المجلة لستها الماضية ، وهذا الموضوع أيضا كان مما يجب على جامعاتنا أن تتناوله بالدرس المستفيض ، وأن توجه الشباب الجامعى إلى بحثه من مقدماته إلى نتائجه ، فان مقدماته أمرها عظيم ، ونتائجه قد غيرت مجرى التاريخ بالفعل .

بذلك بلغت العروبة ذروة عظمتها ، وبذلك سجل التاريخ للعملاق أنه الإنسان الأعلى والمخلوق الأكل ، والذين امتعضوا من ذلك وحاولوا الوقوف في طريق التاريخ ليحولوه في غير مجرى الإسلام ، اكتسبهم الإسلام بتيار الحق الجارف فاندحروا ، ودخل خلفاؤهم في الإسلام كذبا ورياء ليكونوا طابورا خامسا بين جدران قلعتيه فيخونوه ، ويشوهوا جماله ، ويغيروا حقيقته ، فابتدعوا المذاهب المنحرفة ، وأعادوا البدع التي جاء الإسلام لإزالتها ، وسوّأوا - في ظنهم - سمعة الصحابة الأولين الذين أدّوا إلينا أمانة القرآن وحفظوا لنا سنة رسول الله ، ونشروا دعوة الإسلام في الأرض ، فاستجابت الأمم لدعوتهم وباركت جهادهم ، وكان تكوين هذا العالم الإسلامي بجهادهم وجهودهم . فالذين صنعوا هذا كله ، وحمد الله لهم إخلاصهم وعلمهم بنص كتابه ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم ، محب لهم ، حامد لطريقتهم الحسنة ، هذا الجيل المثالي الذي وصفته في إحدى مقالات هذه المجلة (جمادى الآخرة ١٣٧٣) مازال الطابور الخامس عاملا على ذمّه ، والافتراء عليه ، وتجاهل أياديه في حفظ الإسلام ، وفي تكوين هذا العالم الإسلامي .

وقد تدنست الكرة الأرضية بمئات الكتب القذرة التي تريد أن تقول للناس : إن خير أمة أخرجها الله للناس هي شر أمة وجدت في الأرض ! فالدور الذي مثله هؤلاء في المذاهب المنحرفة التي حاولوا بها تغيير دين الإسلام والنسكية للنبي صلى الله عليه وسلم بإفساد الرسالة التي جاء بها ، وتسمية الصديقين من أصحابه والابرار من أنصاره بضد ما سماهم به الله ورسوله ، هم بعملهم هذا كانوا شرا على الإسلام وأهله من المستعمرين ، وهم منذ ألف سنة يخدّرون العملاق بما يفسد عليه عروبتة وإسلامه ، وإن العروبة والإسلام ويقظة العملاق بهما في حاجة ماسة إلى الدراسات الجامعية لتحقيق رسالة الإسلام ماهي؟ وما هي أهدافها؟ وما الذي دسه الطابور الخامس لإفساد أغراضها؟ وكيف تخدّر العملاق بذلك ففقد حيويته الأولى في عصور الضعف التي مهدت الطريق للاستعمار؟ إن هذا كله في حاجة إلى دراسات جامعية تنصرف إليها مواهب أساتذتنا وشبابنا الجامعي ، ويتحرون لها المصادر السليمة اللائقة بالبحث العلمي والتحريض المخلص ، ويتبرعون لها بالوقت الكافي لها بلا انقطاع ، إلى أن يعرف هذا العملاق حقيقة نفسه ، ومصادر قوته ، والغذاء المتواصل لحيويته ، ويومئذ تبعث هذه الأمة بعثا جديدا يكون فيه المجد لها والسعادة للإنسانية إن شاء الله .

نفحات القرآن

- ٤٤ -

الوفاء في نظر الاسلام

عماد النظام الاجتماعي

(يأبى الذين آمنوا أوفوا بالعقود)

تمهيد :

١ - تجرى بين بعض الناس وبعضهم مبادلات مالية في التعامل وعقود متنوعة مشروطة أو غير مشروطة في البيع ، والإجارة ، والشركات ، والزواج ونحوها من شؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، كما تجرى بينهم كذلك معاهدات دولية في التجارة والسياسة والحروب والجوار : مما تمليه الحاجة ، ويتطلب الأمر فيه مؤازرة وتناصر لنيسير الصعوبات ، وإدراك المقاصد .

٢ - وهناك عهود بين الله وعباده تعتبر عقوداً منوطة بزمة الإنسان .

(١) بعضها تشريعات من جانب الله سبحانه ، بين الله فيها حلاله وحرامه ، وحدد فيها حدوده التي أمر الناس بالوقوف عندها ، ونهاهم عن تجاوزها ، بل نهاهم أحياناً عن القرب منها : مبالغة في صيانتها وعدم انتهاكها ، وخلق فيهم عقولاً تفتن ، وتميز الخبيث من الطيب ، وألزمهم أن يفقهوا بها ، وأن يتخيروا لأنفسهم ، ويطيعوه فيما دعاهم إليه .

فكانت هذه التشريعات - وما يقترن بها من دعوة العقول إلى تلقيها بالقبول ، وما تهيأت له العقول من إدراك وتميز وقبول - بمثابة العهد أو العقد بين الله والناس .

(ب) وبعض هذه العهود (بين الله والناس) من ناحية الإنسان نفسه : كأن يتعهد المرء بعمل طاعة من الطاعات فيما يسمى نذراً ، أو يعاهد غيره على المشاركة في عمل مبرور :

كبناء مسجد ، أو مقاتلة عدو الله ودينه ، أو نحو ذلك مما يعد طاعة دينية . . وهذه أيضا عهود ، أو عقود منوطة بذهمة الإنسان كما ألزم نفسه . . فحديثنا الآن ذو جانبين : أحدهما عقود دنيوية تكون بين بعض الناس والبعض . . وثانيهما عهود دينية وهو ما بين الله وعباده : سواء أكان من ناحية التشريع الديني ، أم كان من ناحية إلزام المرء نفسه بعمل ديني .

٣ — وما دام الدين لمصلحة الناس . . وما دام التعاقد المشروع لدنياهم مستمدا من جانب الدين وتشريعاته : فلا حرج أن نعتبر الحديث عن العقود والعهود — مهما تنوعت — سياقاً واحداً ليس فيه جانب وجانب ، إذ الدين لإصلاح الدنيا ، والدنيا لتقام الدين ، والقيام بالتزاماته .

وعلى أى نحو كان توجيه الحديث : فالله تعالى يلقى علينا أمره بالوفاء بالعقود في قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

وهذا أمر شامل لكل ما بيننا من عقود مشروعة ، وإسكل ما نلتزمه لله من عمل مبرور ، ولا تخرج منه التشريعات المدنية الوضعية التي لا تحل حراماً ولا تحرم مباحاً ، فالدين يقرها .

٤ — ومعروف أن التعاقد أو التعهد لم يقصد منه غير تحقيق مصلحة مستساغة ، وأن التخلف عن الوفاء بهذا الالتزام يهدم ثقة الناس ببعضهم ، ويهون عليهم التلاعب في تعاملهم ، ويعرض مشروعاتهم الحيوية للفشل ، ويشيع الفوضى بينهم . .

وتجارب الناس فيما وقع بينهم ، وما طرأ على تعاملهم من آثار طيبة للوفاء ، وآثار كريهة للخديعة والغدر : كل ذلك يساعد على إدراك حكمة الله في أمره هذا ، وعنايته سبحانه بجلب المصالح لهم ، ودفع الأضرار عنهم « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » .

وفي الحق : أن اضطراب المعاملات ، وتشعب الخصومات ، وزعزعة الأمن ، وأكثر ما ينتاب الأسر من تصدع ، وما ينقض النظام الفردي والجماعي ، وما تزدحم به دور القضاء ، وما تسفك بسببه الدماء ، وما تنشب من أجله الحروب : كل ذلك في واقع الحال أو في أغلب الأحوال ناجم عن التنصل من الوفاء ، والتلاعب بالعقود ، والخيس

بالعهود ، طواعية للأمانة ، أو غرورا ، أو استخفافا بالعاقبة ، أو تحملا من النظام ، وجنوحا إلى الفوضى ، وتهاوتا على المظالم والتهام الحقوق .

٥ - ولم يستقم شأن الناس فيما جرت به الحياة يوما على الغدر وعدم الوفاء ، وإن التاريخ ليحدثنا عن آثار ذلك فيما وقع بين أفراد ودول ، وفي كُتب الأدب قصص واسع ، وأمثلة كثر ، لما أحدثه إهدار الناس للوفاء بعهودهم ومعاهداتهم ، وفي حياتنا الحاضرة أوضح الشواهد لما نقوله عن الغدر بالعقود .

ولما كان الناس لا يتنبهون دائما إلى تجاربهم ، ولا يتعظون بما جرى على غيرهم ، كان للقرآن توجيهات أكيدة ، وأوامر شديدة : بالحث على الوفاء حتى مع الخصوم والأعداء المحاربين ، ذلك : لأن الوفاء - في ذاته ، وفضلا عن منافعه - خلق كريم ، وشعار للروعة والنبيل ، إذ هو صدى للضمير الحى ، ومرآة للنفس الأبية ، وتلك شمائل يوحى بها الإيمان ، ولا تستقر إلا حيث يستقر الإيمان في قلب خالص من شوائب النفاق ، وبرئ من خدع الضلالة ، وألاعيب الضالين . . وإن تكن هناك أمثلة للوفاء من غير مؤمن فهمي كشوب الرياء لا تلبث أن تشف عما تحتها ، أو هي كالشالج تحت وهج الشمس لا يعيش طويلا .

٦ - ومن أجل ذلك ترى خطاب الله لعباده في مقام الدعوة إلى الوفاء بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وفي هذا إشعار في قوة المنطق الصريح بأن الوفاء من مظاهر الإيمان ، وأن أهل الوفاء هم المؤمنون ، وأن المؤمنين حقا جدير بهم ألا يفوتهم الوفاء بما تعاقدوا عليه ، إذ المفروض أن المؤمن بربه . مؤمن بتعاليمه ، ومؤمن بشخصيته ، وأنه مستجيب لكل ما هو من مقتضيات الإيمان . . بخفاء الخطاب مطابقا لتلك الصفات . . وأما خطاب غير المؤمن والتعميم في دعوته إلى الوفاء فغير ذي جدوى .

٧ - وطبيعى أن الوفاء المطلوب لا يتعدى العقود المستساغة التي أذن بها الشرع نصا ، والتي تمشي مع ما يحدث من مصالح الناس دون مناهضة للدين ، ولا امتزاج بالباطيل . . وعلى ذلك يكون التعاقد على محرم ، أو التمهيد بمحذور ، أو التعرض لما يتناقى مع المصلحة التي توائم توجيهات الإسلام ، خارجا عن السياق الذي نحن بصددده ، وليس الوفاء به من مقاصد الأمر الذي نحن بسبيله ، بل هو من المنهيات ، وفي حيزها ، والحظر أولى به .

لذلك نرى القرآن الكريم يردد الأمر بالوفاء في صيغ عدة ، مكثفيا بالإجمال ،

ومعتمدا على أن الوفاء بالأموال الحلال هو المقصود ، وأن تخصيصه بذلك أمر مفروغ منه ، إذ لا حاجة إلى استثناء المحظورات ، فأنها بمعزل عن الطلب ، وعن الترغيب فيها ، وذلك بدهي ، فانظر مثلا إلى الآية التي معنا : والأمر فيها : « أوفوا بالعقود » وأى عقود هذه ؟؟ هي العقود التي تتعلق بها مصالح الناس ، وليس فيها منافاة لمقصد الشريعة .

ثم يفصل بعضها في ذكر ما أباح وما حرم : من بهيمة الأنعام ، وصيد الحرم للحرم وغير الحرم ، وتحريم المنخنقة ونحوها .

وفي آية أخرى يقول سبحانه : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » وأى عهد هذا ؟؟ هو ما يكون بين الناس من عقود ، وما يكون بينهم وبين الله من عهود ، فإن كلها منوط بالذمة .

ويقول : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

ويمتدح المؤمنين فيذكرهم بقوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ويقول : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » .

وهكذا ترى الكتاب العزيز حاثا في مواطن كثيرة على الوفاء ، وزاجرا : صراحة أو ضمنا عن الخديعة ، والمكر ، والغدر .

فالوفاء جميل ، والله يحب كل خلق جميل ، وهو من السكال ، والله يحب السكال ، وقد وصف نفسه تعالى بأنه لا يخلف الميعاد ، وأنه لا يخلف وعده ، وليس أحب إلى النفس المؤمنة من التخلق بأخلاق الله ، وقد حفلت الكتب بذكر الموفين بعهدهم ولو كان فيها حتفهم ، فكانت ذكرياتهم خالدة .

والخلف نقيصة خلقية في ذاته وفي نظر الإسلام بداهة ، وربما جرت هذه النقيصة إلى سوء الظن بالإسلام نفسه عند من يقيدون الإسلام بمقياس أعمالنا ، ويعتبرون أعمال المسلم وخلقه صورة لدينه ، وتفسيرا لتعاليمه .

فضلا عما يجر إليه الغدر ، والنكوص عن الوفاء : من ضعف الثقة بين الناس ، وشيوع التهمة في المتعاقدين ، وعدم الاطمئنان إلى التعاقد بينهم ، وهذه ظاهرة تهدد نظام التعامل ، وترزعزع حياة المجتمع ، وتقوض أركان الاقتصاد .

ومن كان كذلك أو سببا في شيء من ذلك فهو كما أسلفت حجة على الدين ، وهو مطعن على المسلمين .

ومن أجل هذا تنصل النبي صلى الله عليه وسلم ممن يكون في هذا الموقف وعلى تلك الشاكلة ، فقال : من أعطى الدنيا من نفسه فليس منا « يعنى من ظهر بمظهر الخسة ، وكشف عن حطة في خلقه ، فهو في غير عداد المسلمين .

وهذا ينطبق على كل متحلل من خلق الإسلام ، وناذ لمحامده : وفيها ما فيها من مياسم المجد ، وكالات الإنسانية ، وأمارات النبيل التي تعتبط بها النفس الزاكية ، وتعز بها الجباه العالية ، والإسلام دائما يطلب إلى أهله أن يكونوا مثلا كريمة . .

فليسكن الوفاء من مبادئنا ولو كان مع من لا نحب ، فإن الحق حق وإن أشاح عنه أناس وهو شريعة الله . . وإن الباطل باطل وإن انضوى إليه كثيرون ، وهو فتنة الشيطان ، ومفسدة الحياة ، ومهزلة التاريخ .

نقول هذا والعالم كله يشهد انتقاض الدول الاستعمارية على مصر لاحتفاظها بحقوق مشهود بها في عقود قائمة ، ولحرصها على الوفاء بتلك العقود مع استعدادها لـ لكل اتفاق يعطمئهم على وفائها دائما ، كما عاشت وفيه حتى مع هضم حقوقها زمنا طويلا .

ولكن الغرب يستمرئ ظلمها ، ويخيس بالمعاهدات . والله معنا ، والعصمة من الله ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة بكار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

أصدق ما وصفت به المرأة

في مسند الامام أحمد (٢ : ٤٤٩) من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تستقيم لك المرأة على خليفة واحدة ، إنما هي كالضلع : إن تقمها تكسرهما ، وإن تركها تستمتع بها وفيها عوج » .

السيرة

الاقتصاد في الموعظة

أشبه الناس بخاتم النبيين - إمام مدرسة نبوية -
الوعظ والتذكير والقصص - من القصص محمود
ومذموم - آفة الدعاة والدعوة - خير المذكرين
والواعظين - حى على الجهاد - حى على العمل .

عن أبي وائل قال : كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس ، فقال له رجل :
يا أبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، قال : أما إنه يمنعني من ذلك أنى أكره أن
أملككم ، وإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها ، مخافة السأمة علينا .
رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أبو وائل : كنية شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ، أحد سادة التابعين وكبارهم ،
أدرك زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروى عن خلفائه الأربعة وغيرهم من
كبار الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما عبد الله بن مسعود ، فقد أكثر من الرواية عنه ، حتى
قال عمرو بن مرة قلت لأبي عبيدة بن ابن مسعود : من أعلم أهل الكوفة بحديث أبيك ؟
قال شقيق : وروى عنه الجهم الغفير من التابعين ، وانفقوا على ثقته وجلالته .

* * *

أما عبد الله : فهو ابن مسعود بن غافل الهذلي ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وأمه أم عبد
من هذيل أيضا أسلمت وهاجرت فهو صحابي ابن صحابي . أسلم عبد الله قديما حين أسلم
سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، وقال لقد رأيتني سادس ستة ما على

الأرض مسلم غيرنا .. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها .. ومن أخباره بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهد فتوح الشام ، وسيره عمر إلى الكوفة وكتب إلى أهلها بعثت إليكم عماراً أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي .

لازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان حارسه وصاحب وسادته وسواكه ونعله ، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثرة دخولهم عليه ولزومهم له ، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أشبه الناس بخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، في هديه وسمته .. ثم لا عجب أن يكون إمام مدرسة من مدارس النبوة التي أخرجت أئمة علم وهدى ، ملأوا الدنيا هداية ونورا ، ممن أعز الله بهم الإسلام ، وهدى بهم إلى دار السلام .

« ومن عجيب الحكمة أنه كان سادس ستة في الإسلام أولاً ، وكان واحداً من ستة في العلم ثانياً ، وكان أستاذ أئمة ستة في الكوفة آخراً .. أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة في العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبي حنيفة تلميذ حماد ، تلميذ النخعي ، تلميذ علقمة ، تلميذ عبد الله بن مسعود » (*) .

* * *

هذه العجالة العاجلة ، من ترجمة زاهرة حافلة ، تدلنا فيما تدل على أن ابن مسعود رضوان الله عليه ، كان أئمة هادياً ، ونورا سارياً ، وبحراً فياضاً ، لا يحبس علمه ونوره على يوم الخميس من أيام الأسبوع فحسب ، وأكبر العلم أنه لو أراد ذلك لغلبه هديه ، ولتفجرت ينابيع علمه في كل يوم على الرغم منه .. وإنما هو يوم اختاره للوعظ والتذكير ، تركية للنفوس ، وتطهيراً للقلوب ، إلى بقية أيام الأسبوع الست التي كان يوالى فيها مدرسته بالتعليم والفتوى ، وبيان الأحكام واستمدادها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(*) قبسة من « تراجم إسلامية جلييلة لسكبار الصحابة والتابعين » بقلم زميلنا العالم الكاتب الأستاذ النواوي ، جعلناها مسك الختام لهذه العجالة .

والوعظ والتذكير شعبتان عظيمتان من شعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل ، وهما من وظائف الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

* * *

والوعظ والتذكير والقصص ، ثلاثهن متجاورات في الذكر والمعنى ، ولم نر من كشف اللثام عنهن إلا الإمام الخطابي في معالم السنن عند رواية أبي داود لحديث عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال » نقل هنالك أن المتكلمين على الناس ثلاثة أصناف : مذكر وواعظ وقاص :

فالمذكر الذى يذكر الناس آلاء الله ونعماءه ويبيحهم بذلك على الشكر له .

والواعظ يخوفهم بالله وينذرهم عقوبته فيردعهم بذلك عن المعاصي .

والقاص هو الذى يروى لهم أخبار الماضين ويسرد عليهم القصص ، فلا يأمن أن يزيد فيها أو ينقص ، والمذكر والواعظ مأمون عليهما هذا المعنى .

* * *

ولا يتسع المجال هنا لبيان مساوى القصاص ، وما أدخلوه فى قصصهم من أكاذيب وغرائب ، يغزون بها قلوب الدهماء ويستهوون بها أفئدتهم !! وحسبنا أن القصص المحمود ماحمده الله ورسوله ، وأن القصص المذموم ما ذمه الله ورسوله . . ولا ريب أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتابعيهم باحسان لم يصدروا - ولن يصدروا - فيما يقصون ويعظون إلا عن بينة من الله ورسوله .

أما أولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويكذبون على الله وعباده وهم يعلمون أو لا يعلمون ، فهم من الختالين الذين عناهم الحديث المروى عن أبي داود أنفاً ، وأولئك هم آفة الدعوة إلى الله ، وشر عليها فى كل زمان ومكان !!

* * *

وإذا كان عبد الله رضى الله عنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وسمتاً ، فلا بد من حكمة لإيثاره يوم الخميس بالوعظ والتذكير ، فأما رأى النبي صلى الله عليه وسلم

يؤثره ، وإما لأنه تمهيد ليوم الجمعة ، خير يوم طلعت عليه الشمس ، ادخره الله لنا
وهذا إلى . .

كان أهل هذا المجلس : مجلس الوعظ والتذكير ، ينتظرونه أحيانا ليستزيدوا من وعظه
وتذكيره ، حتى قال قائل منهم - وهو يزيد بن معاوية النخعي الكوفي التابعي العابد الثقة - :
يا أبا عبد الرحمن ، إنا نحب حديثك ونشتهي ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم ، فقال
إني أخبر بمكانكم ، وما يمنعني أن أحدثكم كل يوم كما تشتهون إلا كراهة أن أملككم ،
وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السأمة علينا .
والتخول بالموعظة والتحول والتخون بها - وبكل من الثلاثة روى الحديث - هو التعهد ،
وطلب أحوال النشاط فيها والارتياح إليها ، وذلك أدعى للانتفاع بها ، والتأثر بآثارها .

* * *

نعم كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم ديمة ، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه
صاحبه وإن قل ، وكان يكره أن يمل العبد نفسه في العبادة أو يضيئها ، فإذا أمل غيره
أو أضجره فانه - ولا ريب - أشد لذلك كراهية . .

غير أن الدوام في كل شيء بحسبه ، يختلف باختلاف مكانه من الدين وطلبه ، قولا
كان أو فعلا ، فرضا كان أو نفلا ، وللنفوس وأحوالها ، وللأوقات وتقلبها ، وللهم
واختلافها ، لكل أولئك آثار لا تنسى . . .

وخير المذكرين والواعظين من يعرف طبائع النفوس ، وأنها مجبولة على السأمة
والملال ، وحب الانتقال من حال إلى حال ، فيرشدها ويدعوها ما توسم فيها نشاطا
وإقبالا ، ويخفف عنها ويوجز ما تفرس فيها فتورا وكلالا ، ولأن يقوم عن أهل مجلسه
وهم مشتاقون ، خير من أن يدعوهم وهم سأمون .

على هذا المنهج السمع الكريم ، سار في دعوته وهديه إمام الهادين والمرشدين ،
من بعث بالحنيفية السمحة بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا .

أما بعد ، فهل كانت دعوتنا إلى القصد في القول إلهاما من العالم الخبير عز وجل ؟ !
ذلك بأنه على أثرها أغار على الكنانة عدو الله والوطن ، فأجبنا مناديه ينادى :
حي على الجهاد ، حي على العمل ما

طه محمد الساك

المؤمن الحق

ذهب جمهور المحققين من العلماء إلى أن الإيمان هو التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة : تفصيلا فيما علم تفصيلا ، وإجمالا فيما علم إجمالا ، فهو عندهم من المنقولات الشرعية عن المعنى اللغوي لسكن بحسب المتعلق فقط دون المعنى ، ولذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته » الحديث ، فلم يزد عليه الصلاة والسلام على أن جاء بالمتعلق وهو قوله بالله الخ ، وعبر بقوله أن تؤمن للإشارة إلى أن الإيمان الذي جاء به هو الإيمان الذي يعرفون معناه في لغتهم وهو التصديق وزيد عليه هذا المتعلق أو هذا القيد .

والمراد بالتصديق قبول النفس للحكم والرضى به لا مجرد الإذعان به الذي هو التصديق المنطقي فإن هذا حاصل للكفار . ألا تسمع إلى قوله تعالى في شأنهم : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وإلى قوله : « وسجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » . ولذلك عرف بعضهم الإيمان بأنه حديث النفس التابع للعرفة ، أى قول النفس : رضيت وآمنت ، بعد معرفة ما رضيت به . ولعلك عرفت ما بيناه لك أن لغة العرب تعنى من الإيمان مطلق التصديق ، أما الإسلام فتعنى به التسليم والاستسلام .

وللتصديق الذى هو الإيمان محل خاص وهو القلب بدليل قوله تعالى : « وقلبه مطمئن بالإيمان » وقوله : « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » . وأما التسليم فهو عام في القلب واللسان والجوارح ، فيكون الإسلام من حيث محله أعم من الإيمان ، والإيمان من حيث محله أشرف أنواع التسليم .

وقد ورد الشرع الشريف باستعمال الإيمان والإسلام مترادفين وباستعمالها متخالفين وباستعمالها متداخلين ، ويشهد للترادف قوله تعالى : (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وقد أجمع العلماء على أن البيت في هذه القصة واحد غير متعدد ، ويشهد له قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان » مع قوله لو قد عبد القيس كما أخرجه البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « تدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن تقيموا الصلاة ، وتؤتوا الزكاة ، وتصوموا رمضان ، وتحجوا البيت الحرام » قال الغزالي رضى الله عنه : « وعند الترادف يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا أى اللسان والجوارح »

فان كل ذلك تسليم ، ومعنى هذا أنه يبق على حاله من العموم ويتصرف في الإيمان بما يجعله عاما مثله حتى يكون مرادفا له ، فيتصرف فيه بادخال الظاهر في معناه لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة التصديق الباطن ونتيجته فكأنه منه كما يطلق اسم الشجر مثلا ويراد منه الشجر مع ثمره على سبيل التسامح ، ويشهد للتخالف قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » ويشهد له أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل لما سأله عن الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت والحساب وبالقدر خيره وشره » مع قوله عليه الصلاة والسلام له لما سأله عن الإسلام « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » إلى آخر الخصال الخمس ، وورد في الحديث عن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد : يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : « أو مسلم ؟ » فأعاد عليه فأعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل هذا يشهد للاختلاف . قال الغزالي : فيجعل الإيمان عند التخالف عبارة عن التصديق بالقلب فقط ، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا أي باللسان والجوارح فقط ، واللغة لاتأبى ذلك فان التسليم ببعض محال التسليم يطابق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان لمس غيره في بعض بدنه يسمى لامسا ويسمى ذلك ماموسا وان لم يستغرق المس جميع بدنه .

ويشهد للتداخل ما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإسلام » فقيل له : أى الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « الإيمان » فقد جعل صلى الله عليه وسلم الإيمان جزءا من الإسلام . وعلى هذا فيجعل الإسلام تسليما بالقلب واللسان والجوارح ، والإيمان التصديق بالقلب فقط ، وكل هذه الاستعمالات مما تستسيغه اللغة ولا تأباه .

قد علمت أن الإيمان عند جمهور المحققين هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم ، لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره ، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله (ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

وإلى اللقاء إن شاء الله .

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

مذاهب ومذاهب

من خصائص العقل البشرى أنه لا يفتأ يفكر ويبدع ، ومحال أن يسكن عن التفكير أو يكف عن الإبداع ، وهذه الحركة الفكرية الدائمة أساس العلوم التى تفرعت وتشعبت وملاّت الدنيا حضارة وعمرانا ، وأفاضت على البشرية رفاهية ورخاء . وتاريخ العالم سلسلة متصلة الحلقات من القواعد والنظريات العلمية التى تتدرج فى الإتقان والتجويد ويقوم بعضها على بعض ، ويكمل بعضها بعضا ، ويكون السابق منها مقدمة للتالى ، ثم تأتى النتائج الباهرة ، فتتعم الإنسانية بما فيها من خير ومتاع .

ومن يقس حال العالم اليوم بما كان عليه فى بحر التاريخ يستنب له فضل العقل البشرى ومقدار ما قطعه من أشواط وما أنفقه من مجهودات حتى وصل إلى ما هو عليه من مدنية وحضارة ، وإذا صح القياس كان مثل حال العالم اليوم وحاله قديما مثل طفل يحاول النهوض فيتعثر وينكب ثم لا يلبث أن تشتد قدماه فيعدو فى طريق الكمال بقوة ونشاط .

وفى تاريخ الفكر البشرى نظريات وقواعد علمية ومذاهب مختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية ما زال كثير منها يفيض قوة وحيوية ، ويستطيل على التاريخ بقاء وخلودا ، وما زالت يتداولها الناس ويتوارثها الخلف عن السلف تراثا كريما يحرص عليه ويباهى به ويستغله ويثمه ويضيف إليه ما عساه أن يستنبطه ويكشف عنه ، ويرى من واجبه أن يذكر بالتبجيل والتقدير أولئك الذين أورثوه علوما قامت عليها حضارة يحنى العالم ثمارها وينعم بآثارها .

وفى تاريخ الفكر كذلك قليل من المذاهب الفاسدة التى ما استهلكت حتى ماتت ، وما استقامت على التحيص وما ثبتت فاندثرت على التجربة ، وأورثت أصحابها اللعنة الدائمة والمقت الشديد ، وصارت هى وأصحابها مثلات على الضلال الفكرى والطيش العقلى ، ذلك أنها مذاهب لم تسائر الفطر ولم تستلهم الأديان ولم تساوق التقاليد الفاضلة ولا الأعراف الطيبة ، وإنما استمدت من الغرائز الحيوانية ، وقامت على البواعث الشهوية ، فنشأت على أساس غير كريم ، فلم يقر لها قوار ، ودارت عليها وعلى أصحابها دائرة البوار ، وكانت بالوثاث

العقلية أشبه منها بالمذاهب والنظريات العلمية ، وكان أصحابها بالملتانين والمخلطين أشبه منهم بأصحاب المذاهب ، واحتفظ التاريخ بها احتفاظه بالنادر البغيض والشاذ المقيت .

أما المذاهب الصحيحة في سائر نواحي الحياة سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، فهي المذاهب التي تلائم الفطر السليمة وتسكن إليها النفوس الكريمة وتقرها قواعد السلوك القويمة ، وهي جديرة بالدراسة الدائمة والتفهم الرشيد ، وأن يستوعب الناشئون والمتعلمون أكثر ما يمكن منها ، وحق على المجتمع أن يتذكر بالفخر والثناء أصحابها ويشيد بمآثرهم ومناقبهم كفاء ما أسدوه إلى المجتمع البشري من خير ورخاء .

ليست كل فكرة تستحق أن تسمى مذهبا يشغل الناس بدراسته ، ويستحق أن يسمى صاحبها مفكرا أو فيلسوفا أو صاحب رأى ، ولو صح ذلك لذهب بهذا الفخر أكثر المجانين في المستشفيات العقلية ، بل لصح أن يسمى من يخلع ثيابه ويعدو في الطريق على هيئته القبيحة صاحب مذهب أو مبدأ ، وذلك أخط درجات الوحشية .

إنما الذي يصح أن يسمى مذهبا أو طريقا ويسمى صاحبه صاحب مذهب أو رأى ، هو المذهب الذي يعود على المجتمع بالخير ولا يجافي الفضائل المتفق عليها ولا يناق العقائد المسلم بصحتها . هذه هي المذاهب الجديرة بالاعتبار ، وبقدر ما يفيد المجتمع منها تكون حياتها ومنزلتها ويكون العمل بها والحرص عليها .

والآراء التي ينعمق بها أصحابها الآن كالوجودية والإلحادية وما إليها ويحاولون عبثا نشرها بين الشباب وفي بعض معاهد العلم ، ويستعينون بعض الصحف وبعض الأشخاص على ترويجها ، ليست مذاهب أو مبادئ ، ومن الظلم للحق وللعلم أن نسميها كذلك ، وخطأ كل الخطأ أن نصف أصحابها بأنهم أصحاب مذاهب ، لأن ذلك شرف كبير وفضل وفير غيرهم أحق به منهم ، ومن الخطأ كذلك أن ننظمهم في سلك المخترعين المبتدعين وأرباب المذاهب الخالدة ، فنغصط هؤلاء حقوقهم ونحل أولئك ما ليس لهم ، والوصف الصحيح لهم واللائق بهم أن نسميهم مخترعين أو ملتانين أو حيوانيين أو ما إلى ذلك مما يعبر عن جوهر دعاوهم ، فدعاوهم في الحقيقة دعوة إلى الحيوانية في أبشع صورها ، فما بين الإنسان والحيوان في العرف العام إلا العقيدة الدينية الصحيحة والعمل بمقتضيات الفطرة والمروءة في التصون والحفاظ على الأعراض والأخلاق .

هذا هو الفاصل بين الفريقين ، فاذا بدا هؤلاء أن ينفصلوا عن إنسانيتهم بهذه المذاهب الفاجرة فلهم ما أرادوا، ولكن على أن يكون ذلك لهم وحدهم، وليس لهم أن ينشروا تلك المخازى وهذه العورات بين الشباب في المعاهد والجامعات وعلى منابر الصحف والمجلات ، لأن ذلك اعتداء على الآداب العامة ودعوة إلى التحلل الخلقي يفضى إلى انهيار الأمة بانهيار شبابها ، وقد انهارت أُمم قديمة وحديثة بمثل هذه المذاهب .

إن هذه المذاهب دعوة سافرة - مهما زيفت العبارة عنها - إلى الفساد والإباحية، وإن القائمين بها خارجون على الأديان والأخلاق والتقاليد والقوانين ، وهم مستحقون لاؤاخذة والمعاقبة ، تؤاخذهم الأديان السماوية ، والقوانين الوضعية ، مؤاخذة المجرمين الفوضويين ، وإن إرخاء العنان لهم مدعاة إلى التشكك في القيم الخلقية التي استقر بناء المجتمع عليها ، وتحد لشعور المصريين جميعا مسلمين وغير مسلمين ، فالمصريون متدينون، يجرح شعورهم ويؤلمهم أشد الألم ما يمس مكان العقيدة من نفوسهم ، وفي الدولة حكومة متدينة رشيدة تحرص على احترام الشعور الديني للوطنين كما تحرص على احترام القوانين وصيانة الآداب والأخلاق ، ولن تسمح لأصحاب هذه الدعوات أن يعبثوا بمقدساتنا الدينية ومقوماتنا الأخلاقية ، وإليها يلجأ المصريون لتضرب على أيدي هؤلاء وتقي الشباب من آثار هذه الدعوات قبل أن يستفحل خطرها ويتفاقم شرها .

وإنها المستجيبة إن شاء الله ما

أبر الوفا المراغى

يا عصبه الايمان

صوت البشير تحية استقلاله	يا عصبه الايمان كبر فيكم
قصوى كفرته وبعد مناله	هل جاءكم أن الحياة عزيزة
بسوى الجهاد الحق تحت ظلاله	ما ان تنالوها وإن قرب المدى
وثبت ثعالبه على رثاله	هذا الحمى ما باله فى عصركم
ومؤمنوه غدا على آماله	إن الشباب حماته فى يومه
محمد الهياوى	

صفحات من البطولة

في الاسلام

— ٢ —

في مقال سبق تكلمت عن البطولة في الإسلام، وقلت: إن البطولة المحمدية الفذة كانت مدرسة تخرج فيها الكثيرون من أبطال الحرب والرأى والسياسة . واليوم أتكلم عن هؤلاء الأبطال وهم صحابة الرسول الذين سطوروا لأنفسهم صحائف المجد والخلود ، وضربوا في باب البطولة الإسلامية مثلاً علياً خالداً .

وأجل ما يصادفنا من البطولة الإسلامية موقف الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، ذلك أنه لما توفي رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ارتد ناس من العرب ومنع بعضهم الزكاة ، فعزم على قتالهم جميعاً ، فقال له عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل من منع الزكاة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقهم وحسابه على الله » فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، ولو خذلتنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى . قال عمر : « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » . ثم كان من الصديق أن تقلد سيفه وخرج مجاهداً فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره . وهذا غاية الشجاعة والإقدام .

وكان مما قاله الفاروق عمر رضى الله عنه « تألف الناس وارفق بهم فأنهم بمنزلة الوحش » فقال له أبو بكر رضى الله عنه : « رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، أجبار فى الجاهلية خوارج الإسلام ؟ قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأناحى ؟ والله لأجاهدكم ما استمسك السيف فى يدى » .

ولقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم للصديق هذا الموقف الخالد ، فكان يقول عمر رضى الله عنه : « والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة فى قتال أهل الردة » وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : « لقد قفنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبى بكر ، أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض

وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبى بكر على قتالهم ثم اتفق الصحابة كلهم على قتالهم واستصوبوا ما رآه أبو بكر رضى الله عنهم جميعا . « وهكذا نجد أن الصديق أبى بكر - وهو الضعيف فى جسمه القوى فى دينه العظيم فى نفسه - وقف موقفا لم يقفه أحد من أصحاب الأجسام القوية والشجاعة المشهورة .

ولقد كانت غزوة بدر الكبرى من المشاهد المشهورة التى ضرب فيها الصحابة أروع مثل التضحية والشجاعة ، لقد كان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يقاتل اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » من إذكاء الروح المعنوية وإلهاب الحماسة ما يفوق كل دعاية ، فلا عجب أن قال عمير بن الحمام رضى الله عنه ويده تمرات يأكلها : « بخ بخ ، ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء » ثم قال : « لئن بقيت حتى أكل تمراتى هذه لإنها حياة طويلة » وقذف بالتمرات من يده ، وما زال يقاتل حتى استشهد وأرضى الله ورسوله وأرضى نفسه وعقيدته . وإن قوما يستطيل أحدهم مدة يأكل فيها تمرات تبعده عن شرف الشهادة لقوم جديرون بالنصر والظفر ، وإن قوما يحرصون على الموت فى سبيل الله أشد من حرصهم على الحياة لا بد أن تكسب لهم العزة والسلطان مهما قل عددهم وكثر عدد عدوهم .

وهذا ما كان فى هذه الغزوة فقد التقى فيها ثلثمائة وبضعة عشر رجلا - مع عوز فى السلاح والظهر - بثلاثة أضعافهم من المشركين المزودين بالعتاد والدروع المسردة والخيول المطهمة ، فاذا الغزوة تنجلي عن انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الكافرة ، وغلبة الحق على الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

وهل ينسى التاريخ بطولة السادة الأجداد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فقى الفتيان وحمزة أسد الله وسيد الشهداء والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم وغيرهم ممن لا يحصيهم العد والذين حضروا المشاهد مع رسول الله وجعلوا أنفسهم فداء له .

إن التاريخ ليذكر لهؤلاء مواقفهم الخالدة ، ويذكر أبى دجانة صاحب عصا به الموت الذى صال وجال فى أحد ، ولما انكشف المسلمون تترس على رسول الله فصار النبيل يقع فى ظهره وهو منتحن حتى كثر فيه ، ولم تشغله نفسه وجراحه عن حماية رسول الله والذود عنه .

ويذكر أبا طاححة الأنصاري الذي دافع عن رسول الله في هذه الموقعة دفاع الأبطال ، وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كلما نظر إلى القوم ماذا يفعلون يقول له : « يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تنتظر يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك » .

ويذكر أنس بن النضر رضى الله عنه الذى اندفع يقاتل بشجاعة فائقة حتى استشهد ، وقد وجدوا بجسده بضعا وسبعين ما بين ضربة بسيف أو طعنة برح أو رمية بسهم ، حتى تغيرت معالم شخصه ولم تعرفه إلا أخته ببنائه .

ويذكر جعفر بن أبي طالب وما صنع في غزوة مؤتة ، لقد كان يحمل اللواء يمينه فقطعت يمينه فتناول به يساره فقطعت أيضا ، فاحتضنه بعضديه ، ولم يزل هكذا حتى عاجلته ضربة قاتلة فاستشهد بعد أن أراضى ربه ودينه ، وكان جزاؤه من الله الرضوان الأكبر ، وأن عوضه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة أتي شاء .

ويذكر حبيب بن زيد الأنصاري وابن السيدة نسيبه بنت كعب الأنصارية ، وكان مسيلة قد ظفر به وهو مقبل من عمان إلى المدينة وأخذه أسيرا فقال له مسيلة : أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فيقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقطع منه عضوا . وكان كلما كرر عليه السؤال وأجاب بما أجاب قطع منه عضوا آخر حتى قطعه اربا اربا ومات شهيد عقيسده ، وأبت عليه بطولته أن يداهنه في موقف تجيز له التقية أن يداهن فيه ما دام قلبه مطاعنا بالإيمان .

إن التاريخ ليذكر هؤلاء ويذكر أضرابهم الذين أبلوا بلاء حسنا في حروب الردة والفتوحات الإسلامية في بلاد فارس والروم والشام والعراق وإفريقية من أمثال بطل الأبطال سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح والمثنى ابن حارثة وعكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وشرحبيل بن حسنة والقعقاع بن عمرو الذين جمعوا - إلى البطولة والشجاعة - الحنكة والدهاء والعبقرية الحربية في تسيير الجيوش وتنظيمها والوصول إلى النصر من أقرب سبله مع الحرص على الرحمة والوفاء بالعهود وعدم الإسراف في إراقة الدماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ويرحم الله الصديق حيث قال في بطل الأبطال خالد : « عظم النساء أن يلدن مثل خالد » .

إن الحديث عن مواطن البطولة الإسلامية في العصور الإسلامية المتتالية أمر يطول ، ولن ينفي بذلك إلا أسفار ضخمة . وبحسبي أن أستعرض بعض هذه المواطن تجيدا

للدكرى وتلبسا للعبرة واستحثاثا للهمم والعزائم على الائتساء، ففي موقعة اليمامة كان جيش المسلمين أربعة آلاف وكان جيش مسيلمة أربعين ألفا من ذوى الشكيمة والبأس الشديد، وقد أبلى فيها المسلمون بلاء حسنا ولا سيما القائد المظفر خالد، فقد انكسرت في يده في هذا اليوم بضعة سيوف، وكان الحرب سجالا، حتى أنزل الله نصره على المسلمين فألجأوا بنى حنيفة إلى حديقة لمسيلمة تجمعوا فيها وتحصنوا خلف أسوارها وأغلقوا أبوابها، ومعهم رئيسهم الكذاب، فماذا صنع المسلمون؟ لقد رغب أحدهم وهو البراء بن مالك - أحد شجعان الأنصار والذي لم يعرف الفرار والإحجام - إلى إخوانه أن يرفعوه فوق السور، فرفعوه في درقة فوق أسنة الرماح، وما أن علا حصن الحديقة حتى رمى بنفسه على الجوع الغفيرة، وما زال يقاتل على الباب حتى فتحه، فدخل المسلمون وأعملوا السيوف فيهم وقتل مسيلمة الكذاب، وبذلك تم النصر والمظفر للمسلمين، وإن الإنسان ليعجب مما صنع البراء، ولئن كان البراء بطلا فقد كان في بنى حنيفة أبطال، وكفى شاهدا على ما كانوا يمتازون به قوله خالد رضى الله عنه: «لقد شهدت عشرين زحفا فلم أرقو ما أصبر لوقع السيوف ولا أضرب بها ولا أثبت أقداما من بنى حنيفة يوم اليمامة» ولكن الإيمان يتغلغل في القلب فيجعل من صاحبه قوة جبارة تسخر بما في الحروب من أهوال وشدائد في سبيل المثل العليا.

وفي موقعة اليرموك كان تعداد المسلمين أربعين ألفا وكان تعداد الروم مائتين وأربعين ألفا، وقد تجلت عبقرية سيف الله المسلول خالد في هذا اليوم المشهود وتجلت بطولة المسلمين ودارت رحى الحرب الضروس بين جيشين غير متكافئين عددا وعدة، ولكن البطولة وقوة الإيمان صنعاهما، فقد حمات الروم على المسلمين حملة شديدة زحزحتهم عن أماكنهم فقال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت النبي ثم أفر اليوم^(١) ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم على الموت، وقاتلوا حتى أمحنتهم الجراح، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من برأ من جراحه. وكذلك صنع غير هؤلاء صنيعهم، فلا عجب أن انجلت هذه الملحمة الكبرى عن نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة ماحقة للروم.

وفي العصور الوسطى تألبت أوربة كلها على المسلمين لتشنى حقدا دفيناً في النفوس، وأذكى نار الحقد والضغينة القساوسة ورئيسهم بطرس الخاقند، ولكن قبض الله للإسلام البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي وأمثاله من القادة المخلصين، فقادوا المسلمين وما زالوا يجاهدون حتى رد الله كيد الصليبيين في نخورهم وهزمهم شر هزيمة، وحفظ أرض الإسلام من شرورهم وأرجاسهم.

(١) يريد ما حدث قبل إسلامه رضى الله عنه فقد أسلم بعد الفتح.

وبعد - فأيها المسلمون والعرب ، ويا سلالة أولئكم الأبطال ، أحيوا ما درس من البطولة الإسلامية ، ولقنوا العالم اليوم دروسا في العزة والكرامة وإباء الضيم والدفاع عن الأوطان وحماية الذمار ، ولا تلقوا بالا لإرجاف المرجفين وتخذيّل المخذلين ، وضعوا نصب أعينكم قول الصديق : « احرص على الموت توهب لك الحياة » . أما الجبناء الرعايد فلا ينبغي أن يكون لهم مكان في صفوف المسلمين والعرب المجاهدين ، وبحسب هؤلاء قولة البطل الهام الذي لم يهزم في جاهلية ولا إسلام : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » . وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله ، وأنا مترس بها » فاعتبروا يا أولى الأبصار ما

الدكتور

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

حفيد خليفة - يعظ خليفة

كان عبد الله بن عبد العزيز العمري (حفيد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) يسعى بين الصفا والمروة في موسم الحج ، وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ممن شهد الموسم ذاك العام ، فأقبل الرشيد بموجه يسعى ، فالتقى سليل الأمويين بعظيم العباسيين . فلما رقى هارون درجات الصفا ، هتف به ابن عمه حفيد عمر بن عبد العزيز :

- يا أمير المؤمنين ، انظر بطونك إلى البيت .

ولم يكن يومئذ بين الكعبة والمسعى تلك الجدران التي أقيمت فيما بعد . فالتفت أعظم ملوك الدنيا يومئذ إلى جهة الحرم المكي وأجاب مخاطبه قائلا : - قد فعلت . فسأله العمري : كم من الناس ترى ؟

قال الرشيد : ومن يحصيه إلا الله !

قال العمري : - اعلم يا أمير المؤمنين أن كل واحد من هؤلاء يسأل في القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك مسؤول عن الجميع ، فانظر كيف تكون ... فبكى هارون بكاء لم يبك مثله في حياته .

موجة الانحلال

والصحف الدائبة على تغذيتها

لاحظ الرأي العام الإسلامى فى مصر والأقطار الإسلامية خلال الفترة الأخيرة أن موجة من الانحلال بدأت تحتاج الأخلاق العامة ممثلة فى كثير من الصحف والمجلات المصرية .

فقد دأبت بعض الصحف على نشر صور خليعة ، ومناظر فاضحة ، وقصص مثيرة للغرائز المنحطة ، وموضوعات تدفع إلى الإلحاد والتحلل الخلقي والانحلال النفسى ، مما كان له أسوأ الأثر فى نفس كل غيور على العقائد والأخلاق .

فهذه مجلة تدعو إلى فتح بيوت الدعارة . وأخرى تدعو المرأة إلى الخطيئة بدافع الحرية ، لأن الحرية فى نظر الكاتب هى حرية الخطيئة . وثالثة تدعو إلى إنكار وجود الله والسخرية من الأديان والمتدينين . ورابعة تهزأ بمشايخ المسلمين فى شكل ريبورتاج عن الوعظ فى مسجد السيدة زينب . وخامسة تدعو إلى الهزء بمشايخ الدين الإسلامى متخذة موضوعا بعيثه (الشيخ متلوف) كهدف لملتها . وسادسة تنشر القصص الجنسية الإباحية التى تدمر أخلاق القراء فضلا عن الناشئة الصغار .

وقد ضيع الناس بالشكوى لهذا الاتجاه الساقط المشين ، فى الوقت الذى يحتاج فيه الوطن إلى التفرغ لقضايا الكبرى وتعبئة الشعور العام وتكثيل القوى المختلفة لمجابهة أعداء البلاد والنهوض بمستواها الاجتماعى والأخلاقى .

ومثل هذه التيارات المحرصة على التحلل والزيلة من أخطر عوامل الهدم والتعويق فى نهضات البلاد والشعوب ، وهى كقيلة بالقضاء على روح هذه الثورة العظمى فى يسر وسهولة ، إذ كيف ينتفع بشباب فى بناء وطنهم وهم يلقنون الفسق والانحلال والإلحاد والكفر بالمبادئ السامية عيانا بيانا على صفحات الصحف والمجلات فى كل يوم .

ونحن نؤمن بأن مقاومة هذه التيارات الخبيثة هو وحده السكفيل برفمة شأن هذه الأمة ، والمحافظة على ثورتها نصا وروحا ، فضلا عن تهيئة المواطنين للسفر فى طريق أفضل . وإن نظرة واحدة تلقى على النماذج التى التقطناها من بعض الصحف والمجلات كأمثلة لما ينشر - ليبين بجلاء الخطر الداهم الذى يهدد مجتمعنا وثورتنا ومستقبلنا من جراء انتشار هذا الاتجاه وعدم القضاء عليه .

إن نشر هذه الأشياء فوق معارضته للروح القومية ومنافاته للاداب العامة مخالف أيضا لروح القانون ونصه .

وقد ذيلنا هذا البيان ببعض الأمثلة المتعلقة بهذا الموضوع .

ولنا وطيد الأمل فى أن نجد من الشهامة والغيرة على الأعراض والأخلاق ومستقبل الأبناء والروح القوية العامة ما يعين على تحقيق هذا الأمل الذى يتطلع إليه الرأى العام الإسلامى .

وقد قرر مجلس إدارة المركز العام لجمعية الشبان المسلمين فى ٥ أكتوبر الحالى إرسال هذا الخطاب إلى الصحف والمجلات والجهات صاحبة الشأن .

بعض ما نشر فى الصحف والمجلات

ما نشر بمجلة صباح الخير :

١ - العدد الرابع فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٦ .

صورة الغلاف وهى صورة امرأة عارية الفخذين وما بينهما مثيرة للغريزة مفسدة للنشء .

٢ - العدد الخامس .

صورة فتاة بهلوانة تاعب على الحبل - بدون لباس - والجمهور يتطلع لها من أسفل مشغولا بالنظر إلى عورتها ، وزميلها يقف على الأرض حاملا لها اللباس ، ويطلب إليها أن تنزل لى ترتديه .

ما نشر بمجلة روز اليوسف :

١ - العدد ١٤٦٥ ص ١٩ - صورة للشيخ متلوف بعنوان فوائد العمامة ، وقد مثلت

الشيخ وقد جعل من شال عمامته حبلا طويلا ينتهى بحلقة ، وقد نشره ليصيد به حسناء تسير على الرصيف الآخر من الشارع .

- ٢ - العدد ١٤٦٥ بتاريخ ١٩٥٦/٧ - مقال بعنوان « الله » ينكر وجود الله ويصف المؤمنين بالغفلة والبله وعدم العقل ، ويحمل فيه كاتبه على الأديان السماوية .
- ٣ - العدد ١٤٣٤ بتاريخ ١٩٤٦/٢/٥ - مقال بعنوان « القرآن لا يحرم الزواج المدني ولا يحرم زواج المسلمة من المسيحي » يحاول فيه الكاتب أن يمسح الشريعة السمحة ويقلبها رأساً على عقب .

ما نشر بمجلة آخر ساعة :

- ١ - العدد الصادر في ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ - صورة رجل « يفاخذ » امرأة بكل وقاحة تحت عنوان رقصة جديدة .
- ٢ - نفس العدد - ريبورتاج يهزأ فيه كاتبه بمشايخ الدين الإسلامي وبالدروس الدينية وبالنبى الكريم وبناته السكرام .

ما نشر بأخبار اليوم :

- ١ - العدد الصادر في ١٩٥٦ / ٧ / ٧ - وبه مقال وقح بعنوان « افتحوا بيوت الدعارة » .
- ٢ - العدد الصادر بتاريخ ١٩٥٦ / ١٠ / ٦ - صورة في الصفحة الأخيرة تمثل رجلين وامرأة أحدهما يقول للآخر مشيراً إلى المرأة : إذا كنت تعرفها صحیح قل لى السرير بتاعها كم لوح .
- ٣ - نفس العدد - رجل وزوجته متهيآن للنوم فى السرير يقول لها : على فـكرة اسمه ايه ده بطل القفز العالى ما فاتشنى على النهارده .
- ويبدو فى الصورة رجل وقد اختبأ فوق النجفة التى بحجرة النوم مما يدل على أنه كان معها فى المخدع وقت وصول الزوج ثم اضطر إلى القفز لى ينجى فوق النجفة .
- ٤ - نفس العدد - صورة امرأة عارية الفخذين والصدر جالسة فى وضع مثير للغريزة الجنسية وهى ممثلة ويجوارها المخرج جالسا فى حالة ارتباك وكسوف - تقول له (لو كنت عارفة انك بتنكسف كده كنت قلت لك تجيب معاك مساعد المخرج) .
- ٥ - نفس العدد - صورة زوجة غانية ومعها زوجها فى حجرة النوم ، يفتح زوجها

الدولاب فيفاجأ برجل أجنبي داخل الدولاب فيقول الزوج له : « أنت هنا . أنا كان بقول الدولاب منور ليه » .

٦ - نفس العدد - امرأة جميلة تقول لخادمتها (محمود بك يمكن ييجى يزورنى النهارده اكنسى تحت السرير كويس) .

ما نشر فى جريدة الأخبار :

العدد المؤرخ ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ الصفحة الأخيرة بعنوان « يوميات الأخبار » يقول فيها الكاتب بالنص « مطلوب فتاة تحب أباهها وتستهيه ، فتاة تعيش حياتها بلا ندم ولا نخجل وتحب كل شىء جديد ، مهما كان هذا الشىء ، ولا تحبه أن ينتهى ، فهى تذكره النهايات » .

وفى نفس المقال يقول الكاتب على لسان المؤلفة التى يترجم لها « لف ذراعيه حولى وانتزعى من الزورق بقسوة وغضب وشدنى إلى صدره بقسوة فأسندت رأسى إلى كتفه ، وفى تلك اللحظة أحسست بأبنى أحبه وعند ما بحثت شفته عن شفتى أخذنا نرتجف من اللذة وكانت قبلة طويلة بلا نخجل ولا ندم » .

ويقول الكاتب فى نفس اليوميات فى معرض الحديث عن ملكة جمال لبنان : « وكيف ينظر المجتمع فى بيروت إلى المرأة التى أخطأت ، أقصد أن المجتمع المتحضر هو الذى يرى أن من حق المرأة أن تخطئ لأن الحرية هى حرية الخطأ » .

عبد القادر مختار

السكرتير العام لجمعيات الشبان المسلمين

التضحية بالنفس والمال

فى المسند للإمام أحمد (٢ : ٢٥٦) من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخري رجل مسلم . ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » .

من وحي المولد النبوى الشريف

قم فى فم الدنيا وشهد بالمولد وبذكر طه غنّ فيه وأنشد
وانظم له درر الثناء ، قلاندا زين بها جيد المنى والسودد
طاول بذكره الزمان ، وأهله واصعد بها ما فوق هام الفرقد
طوف بها الآفاق ، يعبق طيها بالمبداء الأسمى ، ونبل المقصد
هل فى البرية مثل أحمد ماجد ؟ كلا ، وإن يرق السماء بمصعد
ملك ظهور ، فى الجزيرة مرسل هو سيد ، من سيد ، من سيد !

* * *

ميلاد أحمد ، كان أول قطرة من غيث ربى للوات القفد
مولاي قدما قد وعدت به الملا ولأنت أصدق من يغى بالموعد
أنزلته ماء الحياة فحول الـ صخر الأصم إلى النضير الجيد
وبعثت فيه من الجمال طرائفا وجعلت فيه من الكريم المتلد
وأنى الورى بالمعجزات ومثلها حلف الزمان بأنه لم يشهد
هيا سلوا التاريخ أية أمة دانت لها الدنيا ، كأمة أحمد؟! !

* * *

فى أفق مكة ، قد تالق لامعا نجم صغير ، فى المدارة مبتدى
والليل ساج ، والنظام نخيم والسكون ثاو فى فراش المرقد
والنجم يكبر ، عاليا متلا لثا فيبدد الظلمات شر مبدد
حتى غدا ، والصبح أقبل مشرقا شمسا ، تضيء طريقه للهدى
عمت حرارتها النفوس فأيقظت فيها الطموح إلى المقام الأعجد

فمضت تشق إلى المجادة سبلها
صمدوا لها - والحادثات كثيرة -
مرد الزمان ، فقوموه بصارم
والعرب للدنيا أتوا بحضارة
من نبعها نهل الأنام بأسره
ومواقف في الخافقين جليلة
هذا التراث أمانة محفوظة
من رام منا أن ينال نذيقه
والحق أقوى من أساطيل الورى
في غير ما وهن وغير تردد
والعاديات أمامهم لم تصمد
والدهر لا يصنى لغير مهند
وردت بها والله أصفى مورد
وعمارة الدنيا بها لم تجحد
شهدت بها الأيام أروع مشهد
من مسها بالسوء مقطوع اليد
ريب المنون بيومه قبل الغد
والويل للباغى الأثيم المعتدى !!

* * *

زفت بميلاد النبي بشارة
خير البرية من سلالة هاشم
الله أدبه وأرشدته ، ألا
فعليه من نور المهيمن هالة
سجدت قريش للحجارة قربة
ملء العيون مهابة ورصانة
إن زار عينيه الكرى في ليلة
رقت جوانبه ، فأنه بأنس
بالخير ينبض قلبه ، وبخشية
واسى المصاب ، مخففا من بؤسه
كم سائلا أعطى ، ونفس كربة
كف تفيض ندى ، وتقطر بلسم
هذى روائعه ، وذلك هديه
ذكرى تجدد للنفوس يقينها
كبرى لمسكة ، في صباح أسعد
زين الرجال ، ونخر كل موحد
أنعم بتأديب الإله المرشد
بيضا يواكبها الجلال السرمدى
والمصطفى أبدا لها لم يسجد
وحديثه فصل الخطاب الأسد
فالقلب بين ضلوعه لم يرقد
تمضى كسهم للفؤاد مسدد
وبرأفة ، وبرحمة ، وتودد
وتعهد الفقراء ، خير تعهد
وأغاث ملهوفاً ، وأغدق من يد
يأسو الجراح ، ورافد المسترفد
ومنازه للسالك المسترشد
وتبدد الأوهام كل مبدد

حف الكمال بها وقدس سرها فتبوات في الخلد أسمى مقعد
يا دورة الدنيا ، ففى بتأدب للذكريات ، وأنت يا عليا اسجدي !

* * *

لاقى من القوم الغلاظ شدايدا متكيدا آلامها بتجلد
وهب الحياة لخير أمته ، ومن يهب الحياة لخيرها يتكبد
يلقى الأذى منهم بصبر نادر يدع المسىء لناره فى موقد
يدعو إلى الله الكريم بحكمة قوما أشد من الأصم الجلمد
زادوا أذى ، فازداد غفرانا لهم والصفح يحلو للكرم المحتد
كسروا رباعية الرسول وأهرقوا دمه فسال على الأديم الأسود !
لكنه - والظلم جاوز حده - والجرح ساخنة به ، لم تبرد
يدعو لهم رب البرية قائلا رب اهد قومي للطريق الأرشد !
بحر خضم بالمكارم زانح يلقي المكاره صافيا ، لم يزد
يأليت شعري - هل يكون المصطفى إلا ملاكا يحمل اسم محمد ؟ !

* * *

حسب ابن عبد الله مفخرة له تحريره للعالم المستعبد
فك العقول من الإسار بهمة ومضى يوجهها لأشرف مقصد
والدين يوم الفتح عز بمكة فى مشهد ، أعظم به من مشهد
وجحافل الإسلام حول نبيهم مثل الكواكب فى رحاب المسجد
وكبار مكة قد علتهم صفرة الأ موات فى هم مقيم مقعد !
والبيت ينتفض انتفاضة صائح يا دولة الشرك اذهبي وتبدي
فتهاوت الأصنام من عليائها فى حسرة من أهلها وتند
والبيت عاد مظهرا من لونة لصقت به منذ الزمان الأبعد
والعزة العليا راحت تزدهى وتروح فى كنف الرسول وتغتدى

والخلد نادى من سما عليائه يادولة الإسلام عزى واخلى
سودى على الدنيا ، وعزمك صادق فى زجر من يعصى ، وهدى الملحد
ولسان حال السكون يهتف قائلاً الله أكبر ، يا ربى الدنيا اسعدى !

* * *

يا أمة الإسلام تهبى وانفري بمحمد ، فى يوم عيد المولد
وازهى على الدنيا به ، وتهلى واستشعرى العليا ، ولا تترددى
لك فى رسول الله أعظم قدوة فخذار عن مجد الألى أن تقعدى
فالمرء إما أن يعيش لمجده أو يستريح بلحده فى المرقد !

* * *

ياسيد الرسل الكرام تحية أرجو قبول تحيتى يا سيدى
أرجو الشفاعة منك فى يوم الجزا والكرب مشدد ، ولم أتزود
إنى ضعيف ، والذنوب كثيرة وهناك سعى المرء ينفع فى الغد
عمل يجنبنى عذاب جهنم عمل الشكور الصابر المتعبد
لكن لى فى الله أى مؤمل حاشا أضام ، وخيره لم ينفد
رب كريم غافر لعباده مالى سواء ، وغيره لم أقصد !

محمود ابراهيم طبره

كلمة مجاهد

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدم
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
الحصين بن الحمام

نداء

من شيخ الأزهر وعلماؤه

في هذه الساعات التي يسجل فيها التاريخ على حكومات الاستعمار بغيها السافر ، ونبذ اليهود، وانتهاك الحدود، وإهدار المبادئ الإنسانية، وبعثها العصابات الصهيونية إلى العدوان الغادر على أرض الكنانة ، يعلن شيخ الأزهر وعلماؤه أن هذا السلوك الشائن الذي يسلكه المستعمرون، وما يفتنون فيه من الكيد لمصر، إفساد في الأرض، وإشاعة للشر، وسعى إلى إثارة حرب في بلاد العروبة والإسلام، لو استمرت نارها وامتد لظاها فسيكونون أول من تدور عليهم الدوائر .

وإن على العالم شرقيه وغربيه ، وعلى كل من له وازع من ضمير أو رادع من دين أن يعمل على رده هذا الخطر عن الإنسانية ، فإن خلافة العالم عن الله في أرضه تلمزه أن يتكاتف أمام القوى الطاغية درءا للشر، وحفظا للسلام، وحماية لحقوق الإنسان .

وليعلم الباغون أن صدد العدوان والدفاع عن النفس أمر فطرى تبعثه طبيعة السكان الحى ، وتأمر به شرائع السماء .

وان الذى يتخاذل عن صد الباغيين، ولا يقف في صف الذائدين عن حماهم، المدافعين عن أوطانهم ، مهما اختلفوا معهم في لون أو دين ، إنهم إلا خارجون على حدود الإنسانية، محادون للشرائع السماوية .

وإن على الذين أوتوا الكتاب في أمم الاستعمار ، أن يحذروا أولى الأمر في شعوبهم من مغبة العدوان الغاشم ، وأن يبدوا في نفوس أبناءهم ما تدعو إليه الأديان من مبادئ السلام ، وأن يدفعوهم إلى التعاون على إقرار الحق لأهله ، والثورة في وجه الباغيين ، فليس على وجه الأرض دين أو وضع اجتماعي يقر البغي أو يدعو إلى الضعة وعدم الرد على المعتدين . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

وإن من تعاليم الإسلام الأمر بالدفاع والتحذير من العدوان ، قال عز من قائل : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

أيها العرب ، أيها المسلمون :

إن الإسلام اليوم يدعوكم إلى الوقوف أمام طواغيت الاستعمار صفاً واحداً كما يقول الله : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » ، ويحشكم على الثبات في وجه العدو والصبر في جهاده والاستمسك بالتعاون والترابط والاعتصام بحبل الله ، قال عز من قائل : « أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ، واعلموا أن الله غالب على أمره ، ولن يمكن الأعداء ممن ملأ نفوسهم الإيمان بحقهم ، وقد ضمن لهم أنه معهم بنصره وتأييده فقال : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » .

وأتم أيها المقاتلة المجاهدون ، ثقوا بالنصر والفوز ، واطمئنوا إلى إيمانكم ، واثبتوا في جهادكم ، فإن الله تعالى يقول : « وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » . ولا ترهبنكم حشود أعدائكم فإنهم « لن يضرؤكم إلا أذى » ، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . وإن لكم أسوة حسنة في أسلافكم المجاهدين « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

أيها المصريون :

انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، فقد أصبح الجهاد الآن فرضاً عليكم جميعاً بكل ما تملكون من نفس ومال وولد ، وقد هيا الله لكم جيشاً قوياً تحت قيادة حكيمة حازمة ، فشدوا أزر جيشكم ، وادفعوا عن أنفسكم وأوطانكم ، وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ما

مـجـوـث

في مصادر الشريعة النظرية

— ٦ —

شروط العلة :

ذكر الأصوليون شروطا كثيرة للعلة أو صلها الشوكاني في كتابه « إرشاد الفحول (١) » إلى أربعة وعشرين ، وهذه الشروط بعضها اتفقت كلمة الأصوليين على اشتراطه ، وبعضها اختلفت كلمتهم فيه ، وسنقتصر هنا على أهم هذه الشروط ، وهي أربعة :

الشرط الأول : أن تكون العلة ظاهرة جلية يمكن التحقق من وجودها أو عدم وجودها ، وهذا الشرط لا خلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن العلة علامة على الحكم ومعرفة له ، فإذا لم تكن ظاهرة فلا تصالح أن تجعل علامة ولا معرفة .

ولهذا صح أن يكون الإسكار علة لتحريم الخمر وجوب الحد ، لأنه أمر ظاهر يمكن التحقق من وجوده أو عدم وجوده ، ولم يصح أن يكون التراضي بين المتبايعين علة لنقل الملكية في البدلين لأنه أمر قلبي لا سبيل إلى التحقق من وجوده أو عدم وجوده ، بل يتعين أن تكون العلة في ذلك الإيجاب والقبول اللذين هما مظنة التراضي .

الشرط الثاني : أن تكون العلة منضبطة ، والمراد بانضباطها أن تكون لها حقيقة معينة لا تختلف اختلافا بيّنا باختلاف الأفراد والأحوال ، وهذا الشرط أيضا لا اختلاف فيه بين العلماء ، وذلك لأن مبنى القياس على التسوية بين الأصل والفرع في علة الحكم ، فإذا كانت العلة من الأمور التي تختلف باختلاف الأفراد والأحوال لم يأت التساوي الذي ينبني عليه القياس .

وعلى هذا لا يصح أن تكون المشقة علة لإباحة الفطر في رمضان للمسافر والمريض ، لأن المشقة من الأمور المرنة المضطربة التي تختلف اختلافاً بينا باختلاف الأفراد والظروف والأحوال ، وإنما تكون العلة في ذلك الوصف الظاهر المنضبط الذي يكون مظنة لهذه المشقة ، وهو السفر والمرض .

الشرط الثالث : أن تكون العلة وصفاً مناسباً للحكم ، ومعنى مناسبتها للحكم أن يكون في ترتيب الحكم عليه تحقيق المصلحة للعباد أو دفع المفسدة عنهم ، وذلك كالإسكار بالنسبة لتحريم الخمر فإنه أمر مناسب لهذا الحكم ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه وتشريعُه عند وجوده ، تحقيق مصلحة للعباد ، وهي حفظ العقول ، أو دفع مفسدة عنهم ، وهي زوال العقول .

وكذلك القتل العمدان فإنه أمر مناسب للحكم ، وهو وجوب القصاص من القاتل المعتدى ، لأنه يحصل من ترتيبه عليه تحقيق منفعة للعباد ، وهي حفظ الأرواح وإخلاء العالم من الفساد ، أو دفع مفسدة عنهم ، وهي إهدار الدماء ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس .

وبناء على هذا الشرط لا يصح التعليل بالأوصاف التي لا مناسبة بينها وبين الحكم : كتعليل التحريم في الخمر يكون الخمر سائلاً أحمر أو معبأً في أوان زجاجية أو غير زجاجية ، وتعليل وجوب القطع في السرقة بكون السارق غنياً والمسروق منه فقيراً ، وتعليل وجوب القصاص في القتل العمدان بكون القاتل رجلاً أو امرأة وما أشبه ذلك من الأوصاف التي لا مناسبة بينها وبين الحكم .

الشرط الرابع : أن لا تكون العلة قاصرة على الأصل ، ومعنى هذا أن يكون الأمر الذي علل به حكم الأصل مما يمكن وجوده في غيره من المحال ، وذلك لأن ما يشرع الحكم لأجله إذا كان قاصراً على المحل الوارد فيه النص أو الإجماع لم يأت القياس ، إذ القياس لا بد فيه من اشتراك الأصل والفرع في علة الحكم ، فإذا كانت العلة لا تتعدى الأصل ولا توجد في غيره لم يتحقق القياس لانعدام العلة في الفرع . ومن أمثلة ذلك إباحة الفطر في رمضان للمسافر والمريض فإنه معلل بالسفر والمرض ومرتبطة بهما وكلاهما قاصر على الأصل لا يتعداه إلى غيره لأن السفر لا يوجد إلا في مسافر والمرض لا يتحقق

إلا في مريض، فلا يصح أن يقاس عليهما غيرهما كصاحب المهنة الشاقة : كالجبار والوقاد ونحوهما لانعدام علة الحكم فيه وهى المرض أو السفر .

هذا : وقد حكى كثير من الأصوليين اختلاف العلماء في هذا الشرط ، وأن منهم من ذهب إلى اشتراطه فمنع التعليل بالعلة القاصرة ؛ وهم جمهور الحنفية وبعض الشافعية : كأبي بكر القفال الشاشي والخليمي ، ومنهم من ذهب إلى عدم اشتراطه فأجاز التعليل بالعلة القاصرة ، وهم جمهور الشافعية وبعض الحنفية : كشيخ سمرقند وصاحب الميزان وكثير من المتأخرين كالسكال بن الهمام . وأوردوا أدلة كل من الفريقين ، وذكروا منشأ النزاع والفائدة التى تترتب على هذا الخلاف .

والحق أنه لا يوجد بين العلماء نزاع فى اشتراط هذا الشرط ما دام المقصود هو علة القياس التى هى ركنه وأساسه ، لأن علة القياس لا بد أن تكون متعديّة حتى يتحقق القياس ، وإنما النزاع بينهم فى اللفظ والتسمية ، فالحنفية يسمون التعليل بالعلة القاصرة إبداء حكمة لسرعة الإذعان وزيادة الاطمئنان بالأحكام الشرعية ، ولا يسمونه تعليلًا ، لأن التعليل عندهم مرادف للقياس ، والقياس لا يتحقق بالعلة القاصرة . والشافعية يسمونه تعليلًا بمعنى استخراج المناسب وإبداء الحكمة ؛ لأن التعليل عندهم أعم من القياس ، فهو شامل له ولاستخراج المناسب وإبداء الحكمة ، فالذى منعه الحنفية فى العلة القاصرة هو التعليل بمعنى القياس دون التعليل بمعنى إبداء الحكمة ، والذى أجاز الشافعية هو التعليل بمعنى إبداء الحكمة دون التعليل بمعنى القياس ، فلا خلاف بينهم فى المعنى ، لأن مراد المانع من التعليل بالعلة القاصرة منع القياس والتعديّة بها ، وهذا لا يخالف فيه من أجاز التعليل بها ، ومراد من أجاز التعليل بها استخراج المعنى المناسب للحكم وإبداء الحكمة فى تشريعه وهذا لا يمنعه من منع التعليل بالعلة القاصرة .

يقول السكال بن الهمام فى كتابه التحرير مع شرحه لابن أمير حاج مع شئ من التصرف : « ولا شك أن الخلاف لفظى فقيل : لأن التعليل هو القياس باصطلاح الحنفية ، وهو أعم من القياس باصطلاح الشافعية ، فالنافية لجواز التعليل بالقاصرة يريد به القياس ، وهذا لا يخالف فيه أحد إذ لا يتحقق القياس عند أحد بدون وجود العلة المتعديّة ، والمثبت لجواز التعليل بها يريد به ما لم يكن قياسا ، والظاهر أن هذا لا يخالف فيه أحد أيضا ، فلم يتوارد النفي والإثبات على محل واحد فلا خلاف فى المعنى ، ولأن الكلام

في علة القياس ، لأن الكلام في شروطه وأركانه التي منها العلة ، ولا شك أن النافي في هذا السياق لا يريد إلا علة القياس ، ولا نزاع بين الفريقين في هذا ، وإلا فلهم كثير مثله من اثبات العلة القاصرة في الحج وغير الحج كما في الرمل في الأشواط الثلاثة الأول ، وكان سببه إظهار الجلد للمشركين حيث قالوا أضناهم حتى يثرب ثم بقي الحكم بعد زوال السبب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده . لكن ربما سمي الحنفية التعليل بالقاصرة إبداء حكمة لا تعليلاً ، تميزاً بين القاصرة والمتعدية « (١) » .

مسالك العلة

المراد بمسالك العلة : الطرق والأدلة التي يتوصل بها إلى معرفة العلة ، وذلك لأن القياس لما كان لا يكتفى فيه بمجرد وجود الجامع بين الأصل والفرع ، بل لا بد فيه من دليل يدل على اعتباره ، احتاج العلماء إلى بيان مسالك العلة وطرقها الدالة عليها .

وقد اختلفوا في عدد هذه المسالك ، فبعضهم قال هي عشر ، وبعضهم زاد على ذلك ، وبعضهم نقص ، كما اختلفوا في تقديم بعضها على بعض ، فبعضهم قدم مسلك الإجماع على مسلك النص لأنه أرجح من ظواهر النصوص ، إذ هو لا يتطرق إليه احتمال النسخ ، وبعضهم قدم مسلك النص على مسلك الإجماع نظراً إلى أنه أشرف من غيره ، وهذا - كما يقول الشوكاني - مجرد اصطلاح في التأليف ولا مشاحة فيه [٢] ، وسنورد هنا أهم هذه الطرق وهي ثلاثة :

١ - النص من الكتاب أو السنة ، فإذا دل نص من الكتاب والسنة على أن وصفاً من الأوصاف علة لحكم من الأحكام ، كان ذلك الوصف علة لذلك الحكم ، ويقال للعلة الثابتة بواحد منهما علة منصوصة . ودلالة النص على أن الوصف علة قد تكون بطريق الصراحة ، وقد تكون بطريق الإيحاء أي الإشارة والتنبية .

فالدلالة على العلة بطريق الصراحة أن يدل اللفظ الوارد في النص على العلة بوضعه للغوى وأمثانها كثيرة ، منها : قول الله تعالى - بعد أن قص نبأ ولدي آدم عليه السلام -

(١) التقرير والتجريح ٣ ص ١٧٠ وانظر أيضاً نهاية السؤل مع سلم الوصول للرحوم الشيخ محمد بن حنيت المطيعي ج ٤ ص ٢٤٥ - ٢٥٣ ، ص ٢٧٦ - ٢٨١
(٢) ارشاد الفحول للشوكاني ص ١٨٤

« من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (١) » فان لفظة : « من أجل » في هذه الآية الكريمة تدل على أن العلة في هذا الوعيد الشديد هو ذلك الجرم العظيم وهو القتل العدوان الذى ارتكبه بعض أولاد آدم عليه السلام ، ومنها قوله تعالى : - فى تقسيم الفئ - « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم [٢] » فان كلمة « كى » فى هذا النص تدل على أن العلة فى تقسيم الفئ على هذا الوجه هى أن لا يكون المال متداولاً بين الأغنياء ويحرم منه الفقراء ، والمعنى جعلنا هذه الجهات مصارف للفئ حتى لا تقسمه الرؤساء والأغنياء والأقوياء بينهم دون الفقراء والضعفاء كما كان ذلك سائداً فى الجاهلية ، حيث كانوا يجمعون للرئيس نفائس الغنائم فكان يأخذ ربعها لنفسه ثم يصطفى منها بعد الربع ما يشاء حتى قال قائلهم :

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول [٣]

ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى من أجل الدافاة التى دفت فكوا وادخروا » فان كلمة « من أجل » فى الحديث الشريف تدل لغة على أن العلة التى من أجلها نهى الرسول عن ادخار لحوم الأضاحى هى التوسعة على الطائفة الفقيرة التى وفدت على المدينة حينذاك [٤] .

وقوله عليه الصلاة والسلام فى طهارة سؤر الهرة « وهو ما يبق من الماء بعد الشرب » : (لأنها من الطوافين عليكم والطوافات) (٥) فان لفظة « لأنها » فى الحديث تدل لغة على أن العلة فى طهارة الهرة هى مخالطتها للناس وعدم إمكان التجرز عنها .

(١) آية ٣٣ من سورة المائدة .

(٢) آية ٧ من سورة الحشر .

(٣) وهذا البيت لعبد الله بن عنمة الضبي يخاطب به بسطام بن قيس ، والنشيطه : ما أصاب الرئيس فى الطريق قبل أن يصل إلى مجتمع الحى ، والفضول : ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما ، انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١٦

(٤) نيل الأوطار للشوكانى ج ٥ ص ١٠٨ ، والاحكام لابن حزم ج ٨ ص ٩١ .

(٥) متقى الأخبار مع نيل الأوطار ج ١ ص ٣١ .

ودلالة النص بطريق الإيحاء أن يدل اللفظ على أن الوصف علة بقرينة من القرائن كترتيب الحكم على الوصف واقتترانه به بحيث يتبادر من هذا الاقتران أن الوصف علة للحكم الذي اقترن به . ومثال ذلك قول الله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » (١) فإن ترتيب الحكم الذي هو القطع على الوصف الذي هو السرقة بالفاء يومئ ويشير إلى أن السرقة علة لوجوب القطع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان » (٢) فإن اقتران النهى عن القضاء بالغضب فيه إشارة إلى أن العلة في هذا النهى هي الغضب ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يرث القتال » فإن ذكر القتل مع الحرمان من الميراث يفهم منه أن القتل علة للحرمان من الارث .

٢ - الإجماع : فإذا اتفق المجتهدون في عصر من العصور على أن وصفاً ما علة لحكم من الأحكام الشرعية كانت علية ذلك الوصف للحكم ثابتة بالإجماع . ومن أمثلة ذلك إجماع المجتهدين على أن الصغر علة للولاية على الصغير في ماله ، فيقاس عليها الولاية في الزواج ، وإجماعهم على أن العلة في تقديم الأخ الشقيق على الأخ لأب في الميراث هي امتزاج النسبين : النسب من جهة الأب ومن جهة الأم ، فيقاس على ذلك تقديمه عليه في ولاية التزويج .

٣ - المناسبة : والمراد بها أن يكون بين الوصف والحكم ملائمة بحيث يترتب على تشريع الحكم عند وجوده تحقيق مصلحة مقصودة للشارع من تشريع الحكم وهي جلب منفعة للعباد أو دفع مفسدة عنهم .

وهذا المسلك لا يلجأ إليه المجتهد إلا عند عدم النص والإجماع على أن الوصف علة : كأن يرد نص شرعي بحكم ولم يدل نص ولا إجماع على علته ، فيبحث المجتهد في الأصل عن الأوصاف المناسبة للحكم ، فإذا وجد وصفاً ظاهراً منضبطاً مناسباً للحكم جعله علة له ، وعمدته في ذلك المناسبة التي بين الوصف وبين الحكم .

(١) آية : ٣٨ من سورة المائدة .

(٢) المصدر السابق ج ٨ ص ٢٢٧ .

مثال هذا : ثبوت الولاية للأب في تزويج ابنته البكر الصغيرة فانه حكم شرعى ثابت بالإجماع ، ولم يدل نص ولا إجماع على علة فيه ، ويوجد في محل الحكم وصف ظاهر منضبط مناسب لهذا الحكم وهو الصغر لأنه مظنة العجز عن إدراك المصلحة ، وفي ثبوت الولاية بناء عليه دفع الضرر عن العاجز ، وهو من المصالح المقصودة للشارع ، فيكون علة لهذا الحكم لوجود المناسبة بينهما .

أقسام الوصف المناسب : وقد قسم الأصوليون الوصف المناسب بالنظر إلى شهادة الشارع له بالملاءمة وعدمها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : وصف مناسب شهد الشارع باعتباره ، ويسمى هذا عند بعض العلماء « بالمناسب المؤثر » [١] ويصح التعليل به باتفاق العلماء ، ومثاله الصغر فإنه وصف مناسب لثبوت ولاية التزويج على الصغير والصغيرة ، ولم يدل النص ولا الإجماع على أنه علة لهذا الحكم ، ولكننا وجدنا الشارع اعتبره علة في محل آخر وهو الولاية على المال ، فيكون هذا شهادة من الشارع له بالاعتبار لأن الولاية على المال وولاية التزويج من جنس واحد وهو الولاية .

القسم الثانى : وصف مناسب شهد الشرع بالغائه ويسمى هذا « بالمناسب الملغى » ولا يصح التعليل به باتفاق العلماء . ومثلا له بما روى أن بعض ملوك الأندلس أظفر في شهر رمضان بغير عذر فأفتاه يحيى بن يحيى الليثى « تلميذ الإمام مالك وفتيه الأندلس فيما بعد » : بأنه لا كفارة له إلا بصيام شهرين متتابعين ولم يفته بالتخيير بين الصوم والإعتاق كما هو مذهب إمامه مالك ، وعلل هذه الفتوى بأن الصوم فيه مشقة على ذلك الملك وهو الذى يزجره ويمنعه من العود إلى الإفطار . أما الإعتاق فهو سهل عليه وليس فيه إضرار به فلا يكون زاجرا ولا مانعا له من العود إلى الإفطار وانتهاك حرمة الصيام .

فان هذا الإمام الجليل جعل سهولة العتق على ذلك الملك وعدم إضراره به علة لعدم صحة الإعتاق منه ، وألزمه بالصيام فقط لمشقته عليه وتضرره به ، ولا شك في أن ذلك مناسب للحكم لما يترتب عليه من المصلحة وهى الزجر عن ارتكاب المعاصى والمحافظة على فرائض الله ، ولكن الشارع ألغى اعتبار ذلك فى الكفارة ، لأنه لما أوجب عتق الرقبة

ابتداء على الأعرابي الذي أفطر عمدا في رمضان ولم ينظر إلى أن العتق مما يسهل عليه أو لا يسهل ويتضرر به أو لا يتضرر ، فكأنه ألغى النظر إلى سهولة العتق وعدم سهولته وإلى التضرر به وعدمه [١] .

ويمكن التمثيل لهذا أيضا بما لو قال قائل : إن البنت تساوي الابن في الميراث وعلل هذا بتساويهما في القرابة ، فإن التساوي في القرابة وصف مناسب لهذا الحكم ، ولكن الشارع ألغى اعتباره في الميراث حيث نص على أن للذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين .

القسم الثالث : وصف مناسب لم يشهد الشارع باعتباره ولا بالغائه ويسمى هذا «بالمناسب المرسل» أو المصلحة المرسل . وفي جواز التعايل به وبناء الحكم عليه اختلاف بين الفقهاء سيأتي بيانه في الكلام على المصلحة المرسل إن شاء الله تعالى ما

زكى الدين شعبان
المدرس بحقوق عين شمس

مزقوا أعداءنا

دع سمائي فسمائي محرقة دع قنالي فياهي مغرقة
واحذر الأرض فأرضي صاعقة
هذه أرضي أنا وأبي مات هنا
وأبي قال لنا : مزقوا أعداءنا
أنا عملاق قواه كل نائر في فلسطين وفي أرض الجزائر
والملايو.. وشعوب كالنبشائر تنبت الأزهار من بين المجازر
دع سمائي فسمائي محرقة دع قنالي فياهي مغرقة
واحذر الأرض فأرضي صاعقة
كمال عبد الحليم

التصوف

بين التأييد والمعارضة

التصوف من الأمور التي جنى عليها شطط الإفراط والتفريط ، فقد غلا فيه أحباؤه ، وغلا في مهاجمته أعداؤه ، فضاغ وجه الحق في الحسب له أو عليه ؛ اللهم إلا عند الذين لا تستخفهم حماسة المحبة أو العداوة ، بل يستبينون طريق الصواب في حكمة ورشاد .

غلا أحباء التصوف في مناصرته والإشادة به ، فاعتبروه ملح الكون ، ونور القلب ، وصلاح النفس ، وطريق الهداية الحقيقية ، وسبيل الوصول إلى النور والرضوان العميم ، ووضعوا في ذلك كتباً يشتط بعضها ويشتط حتى يكون شططه كفراً صراحاً أو قريباً من ذلك ، وكتمت رفوف المكتبات الإسلامية من كتب خبيثه تحمل اسم التصوف ، وهي في الحقيقة تطوى صفحاتها على الأباطيل والأضاليل ، مما يكيد للإسلام أو يناقضه .

وغلا أعداء التصوف في مهاجمته وإنكاره ، فحسبوا عليه بأنه وثنية ومجوسية ، وأنه كفر وإشراك ، وأنه بهتان وتهاويل ، لا نصيب فيه للحقيقة أو الصواب ، وعمموا حكمهم هذا على من سلف ومن خلف ، ومن اعتدل ومن أسرف .

وهذا مهاجم للتصوف يقول فيه بالحرف الواحد : « إن التصوف أدنا وألأم يكيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ولرسله . إنه قناع المجوسى يتراءى بأنه ربانى ، بل قناع كل عدو صوفى العداوة للدين الحق . فتش تجسد فيه برهمية وبوذية وزرادشتية ومانوية وديسانية ، تجسد أفلوطينية وغنوصية ، تجسد فيه يهودية ونصرانية ، ووثنية جاهلية ، تجسد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف في جرة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذى سيضل غير المخلصين من عباده ، تجسد فيه كل هذا الكفر الشيطانى ، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مكحول الإثم متبرج الغواية متقتل الفتون ، ثم سماه للساميين (تصوف) ، وزعم لهم - وأيده في زعمه القدامى والمحدثون من الأحرار والرهبان - أنه يمثل أقدس المظاهر الروحية العليا في الإسلام » !! .

وهذا الغلو في المناصرة أو في المناهضة يذكرنا بالغلو في الحب أو البغض لأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقد أسرف قوم في حبه حتى ضلوا وأضلوا ، وأسرف قوم في بغضه حتى ضلوا وأضلوا ، وأخبرنا هوفى بعض ما ينسبونه إليه أنه يهلك فيه اثنان : أحدهما محب مسرف في حبه ، والآخر مبغض مسرف في شنآنه ؛ فكلاهما على غير صواب .

يقول الإمام على « في نهج البلاغة » :

« وسهلك فيّ فريقان : محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق ، وخير الناس فيّ حالا النبط الأوسط ، فالزموه ، والزمو السواد الأعظم ، فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب ؛ ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه [١] » !!! .

ولو أننا جانبنا الإسراف في أحكامنا وأقوالنا وأعمالنا لاستقمعنا على الطريق . . . ولو تذكرنا أن الضلال قرين الإفراط والتفريط لعرفنا سبيل الهدى . . . ولو عرفنا التوسط والاعتدال في تناول الأمور والحكم على الأشياء لأنصفنا الحق وفزنا بالحقيقة . . .

إن الحق تبارك وتعالى يحدثنا ممتنا علينا بأنه قد جعلنا أمة وسطا غير غالية ولا مسرفة ، وغير مفرطة ولا مفترطة ، فقال عز من قائل : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » . وفي قصة أهل الجنة جعل القرآن الكريم رأى الأوسط منهم هو رأى الرشيد السديد : « قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون » . وأوصى الله سبحانه بالحرص على الصلوات عامة ، ثم خص الصلاة الوسطى بوصية خاصة ، فقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ، وقال المفسرون : إنها سميت الوسطى لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرا ، ولذلك خصت بالمحافظة عليها .

وحينما كلف الله عباده بكفارة الإطعام جعلها من الطعام الوسط ، فقال تعالى : « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، بل حينما أثنى الله على الخليل المجاهدة ذكر من حسناتها أنها تتوسط الجمع ، فلا تنأى عن الحومة يمينا أو شمالا :

« فآثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » ، أى أن مادة « الوسط » ترد في القرآن الكريم في مواطن الرضا والاختيار والثناء ...

وفي الحديث كما نقل ابن الأثير في النهاية : « خير الأمور أوسطها » وقد قيل في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم إنه من أوسط قومه ، أى من أفضلهم وخيارهم ، لأن الوسط هو العدل والخيار ، وذلك لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط ، والنقص عنه تفريط وتقصير ، وكل من الإفراط والتفريط ابتعاد عن سواء السبيل ووسط الطريق ، وهو شر ومذموم ، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر ، أى التوسط بينهما .

وقد علل مجد الدين ابن الأثير أفضلية التوسط تعليلا حكيما بليغا حيث قال :

« كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، ويتجنبه بالتعوى منه والبعد عنه ، فكما ازداد منه بعدا ازداد منه تعريا ، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما ، وهو غاية البعد عنهما ، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان » .

ومن المؤسف أن الأمة التي يحدتها قرآنها المجيد هذا الحديث عن الوسط والتوسط ، ويحدتها رسولها الكريم عنهما كذلك ، ويشرح لها علماءها ما في التوسط من عدل وفضل وخيار ، هذه الأمة اليوم لا تعرف في أمورها أو أقوالها أو أعمالها هذا الاعتدال ، بل هي - إلا من رحم ربك - تميل إلى أحد الجانبين : الإفراط أو التفريط ، فتند عن الهدى والرشاد ...

يتعرض « تفسير المنار » للحديث عن قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » فيذكر أن المسلمين الحقيقيين خيار وعدول لأنهم وسط ، وليسوا من أرباب الغلو في الدين ، ولا من أرباب التعطيل ، وهم كذلك في الأخلاق والأعمال ؛ ثم يقول :

« ذلك أن الناس قبل ظهور الإسلام على قسمين : قسم تقضى عليه تقاليدته بالمادية المحضة ، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية ، كاليهود والمشركين ، وقسم تحكم عليه تقاليدته بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسدية ، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند أصحاب الرياضات .

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين : حق الروح وحق الجسد ، فهي روحانية جثمانية ، وإن شئت قلت إنه أعطاها جميع حقوق الإنسانية ، فإن الإنسان جسم وروح ، حيوان وملك ، فكأنه قال : جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقين ، وتبلغون الكمالين ، لتكونوا شهداء بالحق على الناس الجسمانيين بما فرطوا في جنب الدين ، والروحانيين إذ أفرطوا وكانوا من الغالين . تشهدون على المفرطين بالتعطيل القائلين : (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) بأنهم أخلدوا إلى البهيمية ، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية ، وتشهدون على المفرطين بالغلو في الدين القائلين : إن هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها ، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسمانية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس ، وحرمانها من جميع ما أعده الله لها في هذه الحياة .

تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال ، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية . . . تشهدون على هؤلاء وهؤلاء ، وتسبقون الأمم كلها باعتدالكم وتوسطكم في الأمور كلها . ذلك بأن ما هديتم إليه هو الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال ، لأن صاحبه يعطى كل ذي حق حقه : يؤدي حقوق ربه ، وحقوق نفسه ، وحقوق جسمه ، وحقوق ذوى القربى ، وحقوق سائر الناس » .

* * *

ليت المسرفين في مناصرة التصوف أو مناهضته يتأدبوا بهذا الأدب الإلهي لكي يستطيعوا أن يقولوا في التصوف كلمة الحق بلا مجاملة أو اعتساف .

إننا نستطيع إذا أخذنا بسنة التوسط والاعتدال أن نقول إن التصوف النقي السليم من التحريف والتزيد والادعاء قد يهدف إلى تحقيق معنى « الإحسان » الذي أشار إليه الحديث النبوي الشريف المروى في كثير من كتب الصحاح والذي قص علينا مسالة جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحينما سأله عن الإحسان أجابه الرسول قائلا : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وقد ذكرت في رسالتي « في رحاب الصوفية » عبارة شرحت بها هذا التعبير النبوي الكريم فقلت : « معناه أن الإحسان في العبادة وفي محاسبة النفس ومراقبة الله والخشية

منه والتذكر له باستمرار ، هو أن يستشعر الإنسان في نفسه حين حر كاته وسكناته وأقواله وأعماله ، كأنه يطالع وجه ربه ، ويراه أمامه ، وهورب الأرباب ، وسيد الأسياد ، ومالك الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وديان العالمين ، فلا يكون من المرء إلا كل ما يحمد ويستطاب ، لأن هاديه الأعلى معه على الدوام ، وتلك منزلة لا يبلغها إلا القلة القليلة المصطفاة من خيار العابدين المؤمنين الموقنين ، فإن وصلت إليها فقد بلغت من السكال الإنساني شأوا لا يستطيع للجميع ولا يرام ، وإن حالت حوائل ، أو قامت عوائق يملك وبين تلك الدرجة العليا ، فعندك درجة تخلفها وتتلوها ، وهي أن تعبد الله وأنت متذكر حق التذكر أنه يراك ويراقبك ، ويخصى عليك خفقات قلبك وفلتات لسانك ولحمت عينك وخطوات رجلك وحر كات يدك وسائر تصرفاتك .

ومن تنبه لذلك في عمله وقوله ، وحركته وسكونه ، خشى وخاف ، وخشع وارتدع ، لأنه يعلم أن القادر على كل شيء يرقبه ويلاحظه ، فيحيا في نفسه الحياء والتجمل من أن يرتكب محظورا ، أو أمرا منكبرا » ! . . .

وأظن أن الهدف من التصوف الصحيح الصادق المبرأ من الأباطيل والأضاليل هو تحقيق هذا « الإحسان » في نفس المسلم المؤمن ، حتى يكون وثيق الأسباب برب الأرباب . . . وأظن أيضا أن هذا التصوير للتصوف لا يغضب أنصاره ، لأن مراتب الإحسان متعاقبة في السمو والعلو إلى ما شاء الله ، ولا يغضب أعداء التصوف ، لأنه لا غلوفيه ولا جموح ، وهو في الوقت نفسه يرجع بالتصوف إلى مبدأ ديني وأصل إسلامي هو حديث الرسول .

* * *

نعم إن التصوف كان خلال تاريخنا الطويل وفي بيئاتنا المختلفة مجالا وسيعا فسيحا للادعاء والتزيد والتخريف والتخريف ، فدخلته إسرائيليات وترهات ، واستغله مجرمون خبيثاء كأسوأ ما يكون الاستغلال ، وضل به ضالون كأخفش ما يكون الضلال ، وأضل به مضلون كألغن ما يكون الإضلال ، ولكن سوء الاستغلال شيء والمبدأ في حد ذاته شيء آخر ، وواجب المصلحين في مثل هذه الحال أن يردوا الشارد ، ويصدوا الجالح ، ويؤدبوا الخرج ، ويردوا الأمور إلى نصابها .

وإن من أحوج الأمور إلى التصحيح والتقويم والغربة في تراث الأمة الإسلامية هذا التصوف الذي يعد أهله أو المنتسبون إليه بالملايين في شتى بقاع العالم الإسلامي ، وذلك لأن القائلين فيه على الحق الأصيل والمبدأ الصحيح والطريق المستقيم قليلون ، والضالون فيه أو المضلون به كثيرون ، والذين يخرجون على المبدأ قد يشوهونه في نظر الناس ، ولكنهم لا يغيرون ذاته ، ولا يبدلون جوهره ، إذ يبقى الحق حقاً دائماً .

وما أكثر الذين يشوهون سمعة الإسلام عند الذين يجهلون به سوء تصرفاتهم ، أو قبح أعمالهم ، أو مزور انتسابهم إلى الإسلام . . . ولكن دين الله يبقى هو الدين ، وشرعية السماء تظل شرعية السماء بجمالها وجلالها وكبرياؤها : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عنايتكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

* * *

هذا ولعل أكبر مسألة تثير الخلاف بين أنصار التصوف وأعدائه هي مسألة « الشريعة والحقيقة » وهل هناك خلاف بينهما ؟ . . . ومن الممكن أن نرجع في هذه المسألة إلى الحكم الوسط الفاضل ، وهو أن الحقيقة - أو ما يسميه الصوفية كذلك - يجب أن يكون مستمداً من الشريعة ، وداخلاً فيها ، وموافقاً لأصولها ، وغير خارج على قواعدها ، والصوفية الأصحاء يصرحون بذلك وينصون عليه ، وها هو ذا العلامة برهان الدين البقاعي في كتابه : « تحذير العباد من أهل العناد » يشير إلى ذلك في توسع فيقول فيما يقول : « فإن المحققين منهم والمحققين بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة ، كما نقل القاضي عياض في أوائل القسم الثاني من الشفاء فيما يجب من حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم عن الحسن رحمه الله أنه قال : إن أقواماً قالوا : يا رسول الله ! إنا نحب الله ، فأمر الله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وعنه أنه قال : عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة . . .

وعن أبي عثمان الخيري أنه قال : من أمر على نفسه السنة قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . وقال سهل بن عبد الله التستري : أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال ، وفي كتب القوم كالرسالة والعارف من ذلك شيء كثير . . . والبقاعي ناقل هذه الأقوال من أشد أعداء التصوف والمهاجمين لرجالها .

ولتذكر أخيراً أننا حيناً نتوسط ونعتدل في أمر التصوف نخدم التصوف ونخدم الناس ؛ نخدم التصوف لأننا سنجعل أمره ميسوراً واضحاً معقولاً ، لا رموز فيه ولا أحاجي ولا ألغاز ، بل فيه تلك السمات الرقيقة من الروحانية والمراقبة والحشية والخوف والاتصال الوثيق بالله باري الكون وبديع السموات والأرض ونخدم الناس ، إذ نفتح لهم باباً سهلاً للسمو بأرواحهم والعلو بأخلاقهم ، والنهوض بمستواهم الديني والنفسى فهل من نصير لدعوة التوسط والاعتدال في شأن التصوف ؟ ! .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

مجلس الأزهر الأعلى

يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة

مجلس الأزهر الأعلى المنعقد برئاسة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية السادة وكيل الأزهر ، وكلاء وزارات العدل ، والتربية والتعليم ، والأوقاف ، والمالية ، والسكرتير العام للأزهر ، والمستشار الفنى لوزارة التربية والتعليم ، والمدير العام للغة العربية سابقاً ، ومشايخ الكليات ، وجماعة كبار العلماء ، يرى من الواجب الديني والإنساني أن يستعرض في مفتتح جدول أعماله ما استفاضت به الأخبار من تلك الأحداث المنكرة ، وذلك العدوان الفاجر الذي ترتبته فرنسا مع الشعوب العربية المسلمة من أهل إفريقيا الشمالية ، ويستنكر أشد الاستنكار ما تورطت فيه من أعمال وحشية ، وتصرفات ختل وغدر ، ضد شعب الجزائر وزعمائه ، ذلك الشعب الذي نهض يطلب حقه ويدفع عن نفسه ذل الاستعمار وكابوس الاحتلال ، ويعمل على أن يكون حراً مستقلاً صاحب سيادة .

ومجلس الأزهر الأعلى يود أن ينبه إلى أنه ينبغي ألا يغيب عن بال زعماء فرنسا وتقدير رجال حكومتهم أنه لا يمكنها - بعد اليوم - أن تكسب صداقة الشعب الجزائري ومودته ، ولا أن تنتفع بموارد بلاده ، إلا إذا تركت هذا الشعب العربي الأبى يصل إلى حقه ، ويعلم استقلاله ، ويقرر دستوره ، ويحكم نفسه ، فلتختر فرنسا لنفسها ما تشاء .

الله أكبر - جاء النصر

الله أكبر ، جاء النصر ، وبجئت بشائر الفتح ، جاء الحق ، وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا .

الآن - قد تبين الأمر ، وظهر للعالم كله مبلغ بغور الفاجرين ، وعدوان أهل البغي المستعمرين ، الذين يعيشون بالسلام والأمن ، ويسعون بالفساد في الأرض ، لا يرعون في الإنسانية عهدا ولا ذمة ، ولا يباليون بتعاليم دينية ولا بأوضاع مدنية : يعتدون على الآمنين في أوطانهم ، ويدكون بالقنابل في صورة وحشية مدنهم وقراهم ومرافقهم ومنشآتهم وطرق مواصلاتهم : تخريب وتدمير ، وتحريق وتقتيل ، في أبشع ما تعرفه همجية برايرة الغزاة ، وقرصنة المتكسبين بالنهب والسلب ، وهو ما تنكره أشد الانكار جميع ديانات السماء ، وتمقته كل المقت جميع قوانين الأرض .

ان الذين عاشوا في تاريخهم القديم على النهب والغدر والقرصنة : قرصنة الأفراد والوحدات ، لا يزالون في تاريخهم الحديث يوغلون في هذا النهب وهذا الغدر ، ويتفننون في أصاليب هذه القرصنة ، ولسكنها قرصنة يتسلطون بها على الأمم والشعوب .

الآن قد ظهر للعالم كله أن عداوة بريطانيا وفرنسا لمصر لا تنقل عن عداوة إسرائيل ، بل هي أشد منها وأخس وأبغر .

ان هاتين الدولتين الغادرتين قد جهدتا منذ تأميم شركة قناة السويس في اللف والدوران ، لتلمس أسباب السيطرة على هذه القناة ، مهما كانت هذه الأسباب ظالمة كاذبة ، وتذرعان لهذه الغاية بكل وسيلة ، مهما تكن مرذولة مفضوحة في نظر كل من يستحي من رذيلة أوفضيحة .

ولما أعيتهما الحيلة للوصول إلى هذه الغاية العدوانية الفاجرة عن طريق مجلس الأمن ، أوعزتا إلى إسرائيل بالهجوم على الأراضي المصرية ، واقتحام شبه جزيرة سيناء ، وتهديد قناة السويس ، لتظاهرا بدعوى أن الملاحاة في القناة مهددة بالخطر من أثر هذا الغزو الصهيوني ، الذي هو من صنعهما وتديرهما ، ثم لم تلبتا أن حملتا على مصر بجيوشهما في البر والبحر والجو حربا ظالمة فاجرة مخربة مدمرة ، حينما رأتا أن مصر قد نهضت لدفع الصهيونيين عن أرضها ، وأنها صممت إن لم يرتدوا على أعقابهم فستسحقهم سحقا ، وتذيقهم أشد النكال .

أما بعد - فقد تبين للعالم كله أن بريطانيا وفرنسا قوم معتدون باغون أشد العدوان والبغي، وأن أهون ما لطعت به دولتهما شرف الحكم أنهما - كما قال زعيم العمال الإنجليزي - قد هبتا تعاوانا اللص وتقتلان صاحب المنزل .

ألا فليعلم العالم كله : شرقيه وغربيه أن مصر جادة في الدفاع عن أرضها، والذود عن حياضها ، وأنها لا يمكن أن تستسلم حتى آخر قطرة من دماء أبنائها ، فإن الدفاع عن الوطن من عناصر الدفاع عن العقيدة والدين .

ولتعلم دول العروبة ودول الشرق أن الاستعمار الذي تقلص ظله عن أراضيهم يريد أن يعيد فيها ذلك الظل الممقوت ، وأن هذا الاستعمار لا يفرق فيهم بين دولة ودولة ولا بين دين ودين ، فاليهبوا لنصرة اخوتهم في مصر ، وليعملوا بكل ما استطاعوا من قوة على الوقوف في وجه الاستعمار ، وسد موارد حياته ، ودرء شرور هذه الحرب الظالمة التي تدير رحاها في مصر والشرق : دولتا بريطانيا وفرنسا وجماعة الصهيونية ، والتي يعتدى فيها على كياناتهم واستقلالهم .

والله ولينا جميعا ، يمدنا بقوته ، ويؤيدنا بنصره ، وينجز لنا صادق وعده الذي كتبه في محكم قوله : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

إنه - جل شأنه - يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وهو القوى العزيز

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن تاج

الجهاد

في شريعة الاسلام - وتاريخه

حرية العقيدة في الإسلام :

لقد بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا يذكّر الناس بالحق من حيث هو حق ، ويرشدهم إلى الخير حيثما كان الخير ، ويبشرهم بما يترتب على إقامة الحق والتزام الخير من سعادة في الحياة ، وخلود في النعيم الدائم .

والدين الإسلامي هو الذي أعلن المبدأ التالي ، ولم تعلنه ديانات أخرى من ديانات البشر بهذه الصراحة والوضوح : (لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله . فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم)

و « الطاغوت » هو الطغيان . وهو في اللغة : تجاوز الحد في الشر . وفي الدين : الشرك بالله وعبادة الأوثان والملوك والرؤساء . وفي السياسة : ظلم الناس وإخراجهم من أرضهم وديارهم . وفي الحكم : العدول عن الحق ومحاباة ناس بغمط آخرين . كل هذا وأمثاله « طاغوت » . أى طغيان . والإسلام جاء لحمل الإنسانية على وضع حد له ورفعها من الأرض . والنزول على أحكام الله وسننه واتباع رسالاته .

وحق العلم - وهو من كبريات الفضائل - إذا مال صاحبه إلى الهوى وجار عن القصد كان طغيانا . وفي حديث وهب « وإن للعلم طغيانا كطغيان المال » .

وهذا الدين وحده هو الذي يقول فيه ربنا سبحانه لرسوله : (فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر . إلا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم) . ويخاطبه ربه فيقول له (أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين) ويقول له (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن) .

الإسلام : حق ، وخير :

إن كل حق في الدنيا ، مما عرفه البشر من قبل ، وما استدركه عقولهم من بعد ، متى ثبت أنه حق ، فإن الإسلام يأمر بالأخذ به ، ويحض على نصرته ، ويعدّه من صميمه . وكل خير عرفوه أو سيعرفونه ، فهو مما يحض عليه الإسلام . لأن هذا الدين جاء ليقيم الحق ، ويعم الخير ، وليسوق الإنسانية إلى العمل الصالح : « والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

ولكن هل إذا دعا الإسلام إلى هذه الفطرة الإلهية السامية بالحكمة وبالموعظة الحسنة بلا إكراه ولا عدوان ، يرضى أهل الباطل والشر من أهل الحق والخير أن يمشوا في سبيل دعوتهم بسلام ، ولا يقفون في طريقهم ليمنعوهم من المضى فيه ؟

إن تاريخ الإنسانية من أقدم عصورها إلى يوم الناس هذا لم يضمن هذا السلام لأهل الحق والخير ، ولم يحدثنا بعصر واحد استطاع فيه دعاة الحق والخير أن يمشوا في سبيلهم بسلام ، آمنين من بنى أهل البغي ، ومن عدوان المبطلين الأشرار .

وقد حدثنا التاريخ أن داعية الحق والخير صلى الله عليه وسلم لبث في وطنه وبين ظهرائي قومه ثلاثة عشر عاما وهو يحسن لهم كل حسن ويقبح لهم كل قبيح ، ويحاول النهوض بعقولهم من العبودية للخلوقات إلى عبادة الخالق وحده ، ويدعوهم إلى سبيل أنبياء الله وهداته كلهم بلا استثناء ، وقد استجاب له فئة من خيارهم معدنا وأخلاقا وعقولا ، غير أن مهمته كانت أعم من أن تقتصر على هؤلاء ، وأبعد مرمى من أن تقتصر في ذلك المحيط وقد أبى عليه ذلك المحيط أن يحل نظام الحق والخير في محل النظام المألوف لهم القائم على عكس ذلك ، ولم يكن في الطاقة ولا من صالح الدعوة الصبر عليهم أكثر مما صبر ، فأخذ يوسع دائرة الدعوة في القبائل ، وفي رجال الأوس والخزرج من أهل يثرب ، فزاد ذلك من حنق أنصار الباطل على داعية الحق ، واتتهى الأمر إلى أن يهاجر من وطنه . جاء في مسند الإمام أحمد (١ : ٢١٦ الطبعة الأولى) عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ليهلكن . فنزل قول الله عز وجل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » ، فعرف أنه سيكون قتال . قال ابن عباس : هي أول آية نزلت في الجهاد .

الجهاد لحماية الحق

فالجهاد في الإسلام شرع لدفع الظلم، ولمقاتلة من قاتل أهل الحق «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقتهموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله . فان انتهوا ، فلا عدوان إلا على الظالمين » . « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » . « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

بداية تشريع الجهاد

وأول ذكر للجهاد في الإسلام بعد مشروعيته ، ما ورد عنه في عقد البيعة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار . نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ : ٢) عن الحاكم في الاكلیل أن كعب بن مالك - أو عبد الله بن رواحة - قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند ما بايعه الأنصار :

— اشترط لربك ولنفسك ما شئت .

فقال : أشترط لربي أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً . وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فإلنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة . . .

قالوا : ربح البيع . لا نقييل ، ولا نستقيل . . .

فزل قول الله عز وجل : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بمعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

شرط الجهاد والغرض منه :

والجهاد في الإسلام لا يعد جهادا في سبيل الله إلا إذا كان لإقامة الحق . ويعبر عنه

بلسان الشرع « أن تكون كلمة الله هي العليا » وهو الذى لا يخالطه رياء ، أو طمع ، أو حب الشهرة والظهور . ورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٥) عن أبى موسى الأشعرى قال : جاء رجل (قالوا هو لاحق بن ضميرة الباهلى) إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر (أى الشهرة) ، والرجل يقاتل ليرى مكانه (أى الرياء) فمن فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو فى سبيل الله » .

وفى مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٢٤) عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الغزو غزوان : فأما من ابتغى وجه الله ، وأطاع الإمام ، وأنفق السكينة ، وياسر الشريك ، واجتنب الفساد ، فأن نومه ونبيه أحر كله . وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة ، وعصى الإمام ، وأفسد فى الأرض ، فإنه لم يرجع بالسكفاف » .

الجهاد أفضل العبادات :

والجهاد إذا كان خالصا لوجه الله ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، معدود فى شريعة الإسلام أفضل العبادات على الإطلاق . ورد فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١) عن ذكوان أن أبا هريرة قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

- دلتنى على عمل يعدل الجهاد . قال صلى الله عليه وسلم : لا أجده .

ثم وجه صلى الله عليه وسلم السؤال إلى هذا الصحابى فقال له : هل تستطيع - إذا خرج المجاهد - أن تدخل مسجدك فتقوم (أى للصلاة) فلا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟

قال : ومن يستطيع ذلك ؟ أى أن المجاهد فى عبادة متواصلة ، وله ثواب العبادة التى لا تنقطع من ساعة خروجه من بيته بنية الجهاد ، ولا يوجد عابد يستطيع أن يواصل العبادة بلا انقطاع كما يواصلها الخارج للجهاد . قال أبو هريرة فى تمام هذا الحديث : أن فارس المجاهد ليستنى فى طوله (أى يمرح فى حبله وهو يعمرى) فيسكت لصاحبه حسنة . وقال القاضى عياض : اشتمل هذا الحديث على تعظيم أمر الجهاد ، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها الجهاد كلها حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها ، وقال الإمام ابن دقيق العيد : القياس

يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل ، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلاء كلمة الله ، ففضيلته كفضيلتها .

وفي فتح الباري (٦ : ٤) عن ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير أنه لما نزل قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » قال المسلمون : لو علمنا هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزل بعد ذلك قول الله عز وجل : « تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها ، نصر من الله ، وفتح قريب » .

وروى مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير الخزرجي - وكان أول مولود للأتصار في الإسلام - أنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم (أى في المسجد ، وكان ذلك في طفولته) فقال رجل :

— ما أبالي أن أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج .

وقال آخر : ما أبالي أن أعمل بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام (أى أن ألزمه ، فيكون معموراً بي وبأمثالي) .

وقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما .

فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألتك لكم .

فسأله عمر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا يستون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ؛ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم » .

وفي مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٦) عن أبي أمامة الباهلي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سراياه ، فر رجل بغار فيه شيء من ماء (وفي رواية :

فيه نبع ماء) فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء ، ويصيب ماحوله من البقل ، ويتخلى من الدنيا (أى ينقطع للعبادة) . ثم قال : لو أنى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فإن أذن لى فعلت ، وإلا لم أفعل . فأتاه فقال : يا نبي الله ، إني مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل ، فخذتني نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية (يعنى الرهبانية والتبتل والانزواء فى الأديار) ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة (أى بالحق والخير وتعميمهما) والذى نفس محمد بيده ، لغدوة أو روحه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ولمقام أحدكم فى الصف (أى صف القتال) خير من صلاته ستين سنة » .

وفى مسند الإمام أحمد (١ : ٦١ و ٦٤ - ٦٥) عن مصعب بن ثابت عن عبد الله ابن الزبير أن أمير المؤمنين عثمان قال وهو يخطب على منبره : إني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يمننى أن أحدثكم به إلا الضن عليكم ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليها (أى بالصلاة) ويصام نهارها » .

فريضة الجهاد

فى مسند أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الجهاد عمود الإسلام ، وذروة سنامه » .

ونقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٦ : ٢٤) عن الطبرى من رواية أبى الضحى أن أول ما نزل من سورة براءة آية « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » قال : وقد فهم بعض الصحابة من هذا الأمر العموم . فلم يكونوا يتخلفون عن الغزو حتى ماتوا ، منهم أبو أيوب الأنصارى ، والمقداد بن الأسود ، ومعنى خفافا وثقالا : متأهبين وغير متأهبين ، أو رجالا وركبانا .

ولما جاء بشير بن الخصاصية السدوسى لبياع النبي صلى الله عليه وسلم اشترط عليه الشهادتين والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله . فقال بشير :

أما اثنان فلا أطيقهما : الزكاة ، وليس لى إلا عشر ذود (أى نياق) هن رسل أهلى

(أى غذاؤهم) وحمولتهم . وأما الجهاد فتقولون إن من ولى (أى انهزم) فقد باء بفضب من الله ، وأخاف إن حضرني قتال أن أكره الموت وتخشم نفسى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا صدقة ، ولا جهاد ! فبم تدخل الجنة ؟
فأذن بشير وقال : يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن .
التمرين الحربى فى السلم :

فى صحيح البخارى (٥٦ : ٧٨) عن سلمة بن الأكوع أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم وهم ينتضلون (أى يتبارون فى الرماية) فقال لهم :
- ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان (لأحد الفريقين المتناضلين) .

فلما صار النبى صلى الله عليه وسلم مع الفريق الذى انضم إليه أمسك الفريق الآخر بأيديهم وكفوا عن الرمى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما لكم لا ترمون ؟
قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ارموا وأنا معكم كلكم .
ومن استعدادهم فى السلم للحرب ما رواه ابن سعد فى الطبقات (٣ - ١ : ٢٢) عن السائب بن يزيد قال : رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب رحمه الله مسومة فى أنفاذها : « حبيس فى سبيل الله » وقال : رأيت عمر بن الخطاب يصلح أداة الإبل التى يحمل عليها فى سبيل الله : برادعها وأفتابها ، فاذا حمل الرجل على البعير جعل معه أدواته .

ومن وصايا عمر لهذه الأمة بأن يطيلوا المران على الرماية والفروسية قوله : لن تخور قوى ما دام صاحبها ينزع (أى يرمى بالقوس) وينزو (أى يثب على سروج الخيل) .
وقوله : « عليكم باتا الخيل ، فان بطونها كنز ، وظهورها حرز » .

وقوله : تمعددوا (أى كونوا أهل عفة وجلد وتقشف كبنى معد بن عدنان) ، واخشوشنوا ، واقطعوا الركب ، وانزوا على الخيل نزوا . احفوا وانتعلوا ، فانكم لا تدرن متى تكون الجفلة (أى المبادرة إلى الحرب) .

فضل الجهاد وثوابه :

فى صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ١٦) عن أبى عيس عبد الرحمن بن جبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار » .

وكان - عند ما قال ذلك - في طريقه مع أصحابه إلى الجهاد . روى ابن حبان عن جابر أن الصحابة لما سمعوا هذه الكلمة من فم الشريف توابوا عن دوابهم لتغير أقدامهم وهم في سبيل الله . قال جابر : فما رآى أكثر ما شيا من ذلك اليوم .

وفي صحيح البخارى (٥٦ : ٧) أن أبا هريرة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لولا أن رجلا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله . والذى نفسى بيده ، لوددت أنى أقتل في سبيل الله ثم أحياء ، ثم أقتل ثم أحياء ، ثم أقتل ثم أحياء ، ثم أقتل » .

وفيه (٥٦ : ١٠) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده ، لا يكلم (أى يجرح) أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .

وفي مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٥) عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة (أى قدر ما تدر لبنها لمن حلبها) وجبت له الجنة »

وفيه (١ : ٣١٩ و ٣٢٢) من حديث عطاء بن يسار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم جلوس فقال : « ألا أحذركم بخير الناس منزلا ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « رجل يمسك برأس فرس في سبيل الله حتى يموت أو يقتل » .

جهاد المسلمين الأولين :

في صحيح البخارى (ل ٥٦ : ب ١٢) عن أنس بن مالك قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال :

- اللهم إني أعترذ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعنى المشركين) .

ثم تقدم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال له :

- يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ! إني أجد ريحها من دون أحد ...

قال سعد (وهو يحدث النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر) : فما استطعت يا رسول الله ما صنع .

وقال ابن أخيه أنس بن مالك : وجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم . ووجدناه قد قتل ، ومثل به ، فما عرفه أحد إلا أخته بنتانه .

وقال أنس : كنا نرى هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » وفي صحيح البخارى (٥٦ : ١٣) عن البراء قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد (وفي صحيح مسلم أنه أنصارى من بنى النبيت) فقال : يا رسول الله أقاتل ، أو أسلم ؟ فأجابه (أسلم ، ثم قاتل) فقتل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمل قليلا وأجر كثيرا » .

وأخرج ابن إسحق في المغازى عن أبي هريرة أنه كان يسأل :

— أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ؟

ثم يقول : هو عمرو بن ثابت بن وقش أحد بنى عبد الأشهل من الأوس ، قال محمود ابن لبيد : كان يأبى الإسلام . فلما كان يوم أحد أخذ سيفه حتى أتى القوم ، فدخل في عرض المجاهدين ، فقاتل حتى وقع جريحا ، فوجده قومه فقالوا له :

ما جاء بك ؟ أشفقة على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟

قال : بل رغبة في الإسلام ، قاتلت مع رسول الله حتى أصابني ما أصابني (ثم مات) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه من أهل الجنة » .

منزلة الشهداء :

قال الله عز وجل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

وفي صحيح البخارى (٥٦ : ٦) عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يموت - له عند الله خير - يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها ،

إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة، فانه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى .
ومثله في مسند أحمد (٥ : ٣١٨) من حديث عبادة بن الصامت .

وفي فتح الباري (٦ : ٢١) عن النسائي والحاكم من حديث أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة ، فيقول الله تعالى : يا بن آدم ، كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب ، خير منزل . فيقول الله : سل وتمنه . فيقول : أسألك وأتمنى أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات ، لما رأى من فضل الشهادة » .

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود فى الشهداء : « فاطم عليهم ربك اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى »

العطف على المجاهدين والتبرع لهم :

قال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .
وفي مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٣٤) عن معاذ بن جبل قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازياً ، أو خلفه فى أهله بخير ، فإنه معنا » .

وفي صحيح البخارى (ك ٥٦ : ب ٣٧) عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين فى سبيل الله (أى شيئين من أى نوع كان مما يتفق) دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب : أى فلان لهم ! » .

وفيه (٥٦ : ٣٨) من حديث زيد بن خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا » .

وفيه (٥٦ : ٣٨) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة - غير بيوت أزواجه - إلا بيت أم سليم . فقيل له ، فقال : لى أرحمها ، قتل أخوها معى (أى مع عسكره) وأخوها هو حرام بن ماحان ، قتل فى غزوة بئر معونة .

ومن الجهاد أن تكون قلوب المتخلفين وعواطفهم مع المجاهدين . وآية ذلك أن يبذلوا مافى طاقتهم لعون المجاهدين ، ومثل هؤلاء قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى (٥٦ : ٣٥) عن أنس ، ورواه أبو داود واللفظ له ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة تبوك : « لقد تركتم فى المدينة أقواما ما سرتهم من مسير ، ولا أنفقتهم

من نفقة ، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه . قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم العذر . »

جهاد فلسطين :

(يتنبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

في مسند الإمام أحمد (٥ : ٢٦٩) عن أبي أمامة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك » .

قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟

قال : « بيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » .

وفي صحيح البخارى (٥٦ : ٩٤) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود ، حتى ينجبئ أحدهم وراء حجر فيقول الحجر : يا عبد الله ، هذا يهودى ورأى فاقتله » .

* * *

وبعد فقلما وقع جهاد فى مئات السنين الأخيرة يشبه الجهاد الأول فى كونه خالصا لله وفى سبيل الله وتجتمع فيه جميع عناصر الجهاد الشرعى كالجهاد لإلقاء من فى فلسطين من اليهود الأشرار فى البحر ، وليس عندنا أقل شك فى أن الهدف الأول لهذه الصهيونية إذا تم لها ما رسمته من خطط أن يكون رئيس هذه الدولة مسيحيا بحسب تقاليدهم ، وهو نفسه المسيح الدجال الذى أخبرنا عنه نبينا الصادق المصدوق صلوات الله عليه .

وإذا صدق المسلمون نيتهم فى جهادهم لإحباط هذه الدولة الخبيثة الشريرة أو شك أن يتم وعد الله بنصر المؤمنين .

محب الميرين الخطيب

المعركة... في بلدنا !!

ماذا أقول ؟ وقد صارت المعركة في مصر

إن شعب مصر يتبع الأنباء كما أتبعها ، وينفعل بالمشاعر التي أنفعل بها
لا ، إن شعب مصر الآن يصنع الأنباء ويخلق المشاعر !!!

شعب مصر ، بل الشعب العربي كله ، في الميدان ... في السياسة والحرب ، في العمل والإنتاج ، في الإسعاف والعلاج في كل ميدان .

كنت قد رتبت مقالاً على أن أعالج أحداث الجزائر وسنغافورة ، وپولندا والمجر !
فاذا بالمعركة هنا ... في مصر ... في داخل بلدنا !!!

هجمات إسرائيلية تتوغل في سيناء ، ومناورات سياسية في مجلس الأمن حتى يعجز
عن إيقاف العدوان ، وإنذار بريطاني فرنسي يطالب المحنن عليه بالانسحاب داخل أراضيه !
ويعطى الجاني فرصة لم يحلم بها كي يتقدم فيرسى قواعده بجانب القناة !!!

هكذا كانت المقدمات العجيبة وقاومت مصر لإسرائيل ، ورفضت إنذار
الإنجليز والفرنسيين ، فشنوا غاراتهم الجوية المتواصلة ، ونحوا هيئة الأمم المتحدة ومجلس
الأمن عن طريقهم ، وانتدبوا أنفسهم لتحقيق السلام ! بين مصر وإسرائيل ، وتأمين
قناة السويس ، إذ أن الهيئة الدولية عاجزة بطيئة

وقدّم همرشولد استقالته ، بعد أن أعلن أنه كان سيتولى قضية الشرق الأوسط بنفسه
بناء على السلطات المخولة له بمقتضى الميثاق وبمقتضى قرارات مجلس الأمن ، لولا نظر
مجلس الأمن للقضية بناء على طلب أمريكا ، وما ترتب عليه من تعجيز بريطانيا وفرنسا
بالقيتو هذا التعجيز

وخطب ايزنهاور فوصف عمل بريطانيا وفرنسا بالخطأ ، وأعلن أن أمريكا لن
تتورط في الحرب

وخطب إيدن فزعم أن بريطانيا وفرنسا إنما تريدان أن تحجزا بين الفريقين المتحاربين
لا غير !!! وأن احتلال القناة مؤقت ، وأن بريطانيا استعملت القيتو ضد المشروعين
الأمريكي والسوفييتي لأنها لا تقبل تجريم إسرائيل وحدها دون النظر إلى المقدمات

والمشيرات ، ولقد دأبت مصر على مهاجمة إسرائيل والغرب وتكلمت إسرائيل ، فادعت أنها لا شأن لها بالهجمات الانجلوفرنسية ، وأن لها نشاطها وأهدافها .. وإن كانت تؤيد هدف حماية القناة لضمان حرية الملاحة !! !

ولم يقر إيدن على حجته حزب العمال من قومه ووراءه نصف الشعب البريطاني تقريبا ، ولم يقره أيزنهاور رئيس أمريكا الحليفة ، ولم يقره معظم دول السكومنولث البريطاني ، ولم تقره معظم دول الأرض في هيئة الأمم المتحدة التي أمرت بإيقاف العدوان ، ولم يقره ناتج الوزير البريطاني نفسه فاستقال ...

ومع ذلك أصر إيدن على موقفه في مجلس العموم ، وأصر على موقفه بالنسبة لهيئة الأمم ، فقال إنه ما لم ترسل هيئة الأمم قوة بوليسية دولية لإقرار السلام في الشرق الأوسط ، وتحل أزمة القناة ، وتوافق مصر وإسرائيل على هذا كله وتوقفا لإطلاق النار ، فلن تستطيع انجلترا وفرنسا قبول قرارات هيئة الأمم وحتى تتكون القوة البوليسية الدولية فعلى مصر وإسرائيل أن تسمحوا بوجود البريطانيين والفرنسيين يتطوعون بأداء هذه الخدمة ! ووعد بالعمل على (جلاء) الصهيونيين من أراضى مصر ، بعد (احتلال) الانجلوفرنسيين للقناة !

لقد كان إيدن يخطب من قبل في مؤتمر حزب المحافظين بينما كان مجلس الأمن يوالى اجتماعاته السرية والعلمية وحينما كان همرشولد يجتمع بوزراء الخارجية المصرية والبريطانية والفرنسية ، فاذا به يعلن أثناء محاولات السلام المبذولة أن موقف بريطانيا لم يتغير ، وأنها لن تترك القناة تحت سيطرة دولة واحدة وأن حكومة مسئولة لا يمكنها أن تتعهد بالتخلي عن استعمال القوة ، وأن السلام الذى تحرص عليه بريطانيا دائما ليس هو السلام بلا ثمن !! !

ودأبت بريطانيا على إقامة العراقل في وجه الجهود السامية لحل نزاع القناة ... وجعلت المبادئ الستة ، التي أقرها مجلس الأمن (إطارا) ، وسمت ما قطع من مراحل (محادثات استكشافية) ، وتمسكت بالإشارة إلى مقررات الدول الثماني عشرة كأداة تنفيذية للمبادئ الستة ، واجتمع إيدن ولويد مع موليه وبيدو ليدعوا مصر إلى المفاوضة ، فنصوا في دعوتهم على أن (مقترحات الدول الـ ١٨ التي تتضمن الإدارة الدولية للقناة يجب

أن تكون أساس التسوية ، إلا إذا قدمت الحكومة المصرية اقتراحات أخرى لنظام يواجه المطالب ويكفل للدول المنتفعة بالقناة ضمانات لا تنقل في أثرها عما ورد في مقترحات الدول (١٨) !

واتجهت بريطانيا وفرنسا إلى جمعية المنتفعين ، والمجلس الأوربي ، وحلف الأطلسي ، للاستفادة منها لصالحهما . فأوصت اللجنة الخارجية بالمجلس الأوربي بتشكيل هيئة مراقبة تمثل الدول التي تهمها حركة المرور في القناة ، ورسمت دول المجلس سياسة أوربية موحدة لإزاء القناة تستنكر التأميم وتنادى بالتدويل ! (مع مراعاة حقوق السيادة المصرية) ! وفي مجلس الغرف التجارية الدولية أعلن لويد نيدلنجر الأمريكي أن التأميم سيكون له أثر سلبي في توظيف رؤوس الأموال الأمريكية والأوربية في البلاد المتخلفة اقتصاديا ، وصرح هيدفي ألفان سفير فرنسا في أمريكا أنه لا يستبعد أن تشق فرنسا طريقها بالقوة في القناة إذا أغلقتها مصر !!!

هذه (صحيفة السوابق) البريطانية الفرنسية قبل التدخل الحربي ... فأين إذن وجه السلام الذي يريد أن يبدو به إيدن ؟ .

لقد وضع كرشنا منون مشروعا رأى فيه - حسب وجهة نظره - أنه يعطى مصر حقها في هيئة إدارة مصرية للقناة ، مع اعترافها بجمعية المنتفعين ، وينسق المشروع العلاقات بين الطرفين بما لا يمس السيادة المصرية طبقا لتقديره ، ويورد نظاما للرسوم والتحكيم والإدارة ... فنام المشروع في أدراج المسؤولين في بريطانيا وفرنسا ، وتهكت بريطانيا بأنها لا تعرف إن كان هذا مشروع الهند أو مصر ؟ إن الاستعمار لا يريد إلا بلوغ مآربه كاملة ... ولو جرت الدماء !! .

وفي هذه الأثناء حدث حادثان مهمان في الشرق والغرب ...

وقع اعتداء قلقيلية من إسرائيل على الأردن ، وأجريت الانتخابات الأردنية ، وازداد التقارب بين الأردن وسوريا ومصر ، وأنشئت القيادة المشتركة ...

هذا في الشرق ، وفي الغرب وقفت روسيا موقفا دقيقا بالنسبة لثورة بولندا والمجر ، وقررت بريطانيا وفرنسا انتهاز الفرصة ، والعمل فورا ...

واجتمعت هيئة الأمم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، وتدارك ما فشل فيه مجلس الأمن ،

لكن بريطانيا وفرنسا لم تعباً بقرارات هيئة الأمم ومضتا في أعمالهما (البوليسية ! !) من تدمير وتحريق ، واجتمعت الهيئة مرة أخرى . . .

وقدمت كندا اقتراحا كانت قد لحت إليه في الجلسة السابقة بشأن إرسال بوليس دولي إلى الشرق الأوسط لمراقبة تنفيذ قرارات هيئة الأمم، على أن يقدم همرشلد تقريره بشأن ذلك في ظرف ٤٨ ساعة .

وتقدمت أمريكا باقتراح لإنشاء لختين لحل أزمة القناة ونزاع إسرائيل مع العرب، وقبل أن ينسى المجتمعون الغرض من الاجتماع همزت الهند الهيئة باقتراح يوصي همرشلد بمراقبة تنفيذ القرارات وتقديم تقرير في ظرف ١٢ ساعة ! ! .

وزادت الجمعية العامة مشروعها عن البوليس الدولي تحديدا ، فوات قيادته للجنرال بيرنزالسكندى كبير مراقبي الهدنة الفلسطينية ، على أن يختار قواته من غير الدول الكبرى ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن ، وذكرت كندا والنرويج وكولومبيا ، والسويد والدنمرك ، ونيوزيلندا وباكستان وسيلان ، ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا ، كدول مرشحة لعضوية القوة الدولية .

واشترطت بريطانيا وفرنسا تكوين القوة الدولية وقيامها بعملها فعلا في الشرق الأوسط لإيقاف الحرب بين مصر وإسرائيل وضمان الملاححة في القناة لتتخلى عن مهمتها العسكرية ! ! أما إسرائيل فراحست تستوضح عن مدى استمرار نشاط الفدائيين المصريين والمقاطعة الاقتصادية ، وكأنها تريد أن تلتهم الفرصة التي أتاحت لها أن تمرح على رمال الصحراء لتتخلص من اتفاقية الهدنة ، وتروح تملى اشتراطاتها الجديدة لتؤمن نفسها عسكريا واقتصاديا . . . إنها تريد أن تقبض الثمن من الدول العربية ، بعد أن قبضت الثمن من بريطانيا وفرنسا ! ! .

وهكذا قررت الجمعية العامة مرتين إيقاف القتال ، لكنه لم يقف . . .

وكان على شعب مصر أن يحمل العبء كاملا . . . وترك الشعب الوديع المسالم بذر الحب إلى بذر الحجد ، وانتقل من الحقل إلى الميدان ، ومن خضرة الزرع إلى حمرة الدم . . . كان عليه أن يدع الفأس ليحمل السلاح ، ويخلف المحراث والنورج ليقود الدبابة والمصفحة ، ويعمل على بطارية المدفع . . .

وأدى الشعب في مصر واجبه كاملا ، وأسقط جيشه طائرات وأغرق بوارج ومدمرات ، وخرب الشعب العربي أنابيب البترول ، وقطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا ، وعادت إلى الأذهان أمجاد حطين ، والمنصورة ، وعين جالوت ...

ودخلت بور سعيد التاريخ حين هب شعبها يصطاد جنود المظلات بجانب الجيش والبوليس ... إنها لعبة جديدة يمارسها المكافحون من أبناء مصر .

وتطور الموقف إزاء صمود المجاهدين ...

أعلن مندوب بريطانيا في هيئة الأمم أن أمرا صدر بإيقاف ضرب القنابل ، وادعى إيدن في مجلس العموم أنه تلقى إشارة بإيقاف إطلاق النار في بور سعيد ...

وكانت اللجنة البريطانية لتبرير توقف الضرب دعوى وقعة ، هي أن بور سعيد طلبت شروط التسليم ، ونفت مصر ذلك بقوة ...

وكان الاتحاد السوفيتي قد استنكر الاعتداء البريطاني الفرنسي الإسرائيلي ، واحتج على إقفال البحرين الأبيض والأحمر في وجه السفن ... وبعد أن أصدرت الجمعية العامة قرارها بإيقاف العدوان وانسحاب القوات الأجنبية ولم ينفذ ، طلبت روسيا التدخل المسلح عن طريق مجلس الأمن من جهة ، وعن طريق اتصال مباشر بين بولجانيين وأيزنهاور لتشارك الدولتان جويًا وبحريًا في العمل على انفاذ القرارات بالقوة في نطاق الأمم المتحدة من جهة أخرى ، ولم يحرز الطلب الروسي الاصوات الكافية لإدراجه في جدول أعمال مجلس الأمن ، كما رفضت أمريكا العمل المشترك مع روسيا قائلة إنها تعارض دخول أية قوات جديدة إلى الشرق الأوسط ، ذلك أن مثل هذا الدخول يعتبر نقضا لقرارات الأمم المتحدة بسحب القوات الأجنبية ، ويتعين على الدول الأعضاء ومنها أمريكا أن تقاوم مثل هذا النقص .

وتلقى إيدن وموليه وهن جور يون إنذارا روسيا شديد اللهجة بإيقاف الاعتداء ، كذلك استدعت روسيا سفيرها في إسرائيل ...

وصمدت بور سعيد في مقاومتها ، وناشدت مصر دول العالم العون ، وبخاصة الكتلة الإفريقية الآسيوية ...

وأمام الكفاح الوطن وتفاقم الموقف الدولي في وجه بريطانيا وفرنسا - فضلا عن المعارضة الحزبية الشعبية داخلهما - أعلنت الدولتان وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة

الثانية من صباح ٧ نوفمبر ، على أن توافق مصر وإسرائيل على السكف عن القتال دون قيد ولا شرط ، وأخطر همرشلد الدولتين بأن لديه مثل هذه الموافقة من قبل .

لكن قبول مصر لا يمكن أن يظل بدون تحفظ وقد وضع المعتدون أقدامهم على أرض مصرية في سينا وبور سعيد . . . واشترطت مصر إنفاذ قرارات الأمم المتحدة كاملة ، ومنها انسحاب القوات الأجنبية من مصر والامتناع عن إرسال العتاد الحربى ، وتوجهت الأنظار مرة أخرى لهيئة الأمم المتحدة ، لتعالج الموقف فى ضوء قراراتها السابقة ومقترحات الكتلة الاسيوية الإفريقية الجديدة ، ولتناقش تقرير همرشولد بشأن البوليس الدولى ، وتعمل على تسوية أزمة إسرائيل ومسألة القناة . .

وهكذا انتقلت القضية مؤقثا إلى السياسة والدبلوماسية . . بعد أن عرقل العملاق البور سعيدى سبيل الحرب والضرب والثار ، وفرض نفسه على التاريخ .

والسؤال الآن : هل المعتدون صادقون فى وقف القتال ، أم هم يكسبون الوقت ويقطعون الطريق على التدخل الروسى انتظارا لمغامرة جديدة ؟ ؟

وهل تفلح هيئة الأمم فى علاج مشكلات الشرق الأوسط سياسيا بنزاهة وعدالة ، دون استغلال للموقف العسكرى العدوانى للضغط على مصر والعرب ؟ ؟

لا أدرى الجواب . . . ولكن تجربة بور سعيد - على أية حال - ما زالت ماثلة أمام أصحاب العقول ما

محمد فنى عثمان

يا للعار !

القاهرة ، عاصمة العالم الإسلامى ، وأزهى خلاصة لحضارة الشرق .
القاهرة المضيافة السكرية النبيلة التى اتسع صدرها لتجارة وصناعة و (ثقافة)
بريطانيا وفرنسا .

هذه القاهرة ، تضر بها بريطانيا وفرنسا بالقنابل ، يا للعار !

يا للعار من هذه الثياب التى ترتديها من ديارهم ، وهى اليوم على أجسامنا نار ! .
يا للعار من فتح أسواقنا لتجارهم ، ويا للعار من إدماج صناعتنا بصناعاتهم ! .
يا للعار من (تعليم أولادنا) فى مدارسهم ومعاهدهم هنا فى مصر ، وهناك فى لندن وباريس .
يا للعار من دولتين تنكرتا لكل القيم الخلقية ، وكل المبادئ الإنسانية ، وكل ما يجعل المخلوق البشرى إنسانا لا حيوانا .

يا للعار ونحن نشهد نساءنا وأطفالنا ينظرون بذهول كأنهم يتساءلون كيف كنا
(نكذب عليهم) كل هذا الزمان ، و (تنغنى بحضارة الغرب) التى انقلبت إلى غربان .

أحمد الصاوى محمد فى « ما قل ودل »

إنباء العالم الإسلامي

بغى إسرائيل والمؤامرة المبيتة

وإسرائيل بأن يرحلوا عن تلك البلاد .
وكذلك فعلت انجلترا مشيرة على رعاياها
بمغادرة منطقة الشرق الأوسط .

ومعنى هذا أن أمريكا نصيرة إسرائيل
كانت تعلم أن وراء الستار أمرا مبيتا ، وقد
تكون إسرائيل أداة من أدوات هذا الأمر
المبيت ، وإلا فقد كان يجب على أمريكا
وجناحيها الانجليزى والفرنسى أن يكون
موقفهم من إسرائيل كموقفهم من الدول
العربية لو أن الدول العربية هى التى بدأت
بالتعبئة ، وأعقبت ذلك بالهجوم .

وانفضحت المؤامرة الشيطانية فى يوم
الثلاثاء ٢٠ أكتوبر باعلان مجرم الحرب
أنتونى إيدن فى مجلس العموم أن انجلترا
وفرنسا ستحتلان منطقة قناة السويس بعد
١٢ ساعة من تقديم الإنذار بذلك إذا لم تكف
مصر وإسرائيل عن القتال ، وبالطبع لم
تسكن إسرائيل لتكشف ، لأنها مدفوعة من
أنتونى إيدن للتحرش بمصر ، وأن تتحداها
لتدافع مصر عن نفسها ، فيقوم إيدن بتمثيل
دور الحماية لإسرائيل المعتدية ، وذلك بمهاجمة
مصر وإرغامها على تحويل قواتها عن
إسرائيل لمحاربة حامى إسرائيل الذى يريد

أعلنت حكومة إسرائيل فى مساء الأحد
٢٨ أكتوبر التعبئة العسكرية ، ووضعت
فصائل من قواتها على طول الحدود الفاصلة
بين إسرائيل والبلاد العربية . وزعمت أن
هذا الإجراء وقائى للمحافظة على المستعمرات
الإسرائيلية القريبة من تلك الحدود .

وقد أرسل إيزنهاور رسالته إلى بن غوريون
ينصح له فيها بأن يتجنب ما من شأنه زيادة
التوتر فى الشرق الأوسط . ولم تعبأ إسرائيل
برسالة إيزنهاور ، وأعلن راديو تل أبيب
فى اليوم التالى (الاثنين ٢٩ أكتوبر) بلاغا
حربيا لإسرائيليا بأن القوات الإسرائيلية
بدأت هجومها على مصر واحتلت ثلاث نقط
- كوم متلا ، ونخل ، ورأس النقب - وأن
إسرائيل استخدمت فى هجومها جنود المظلات .
ومنطقة كوم متلا صحراوية خالية إلا من
نقطة مراقبة الحدود ، وكذلك المنطقتان
الأخريان .

وفى نفس اليوم نصحت السفارة الأمريكية
لرعاياها بمغادرة مصر ، وطلبت الحكومة
الأمريكية إلى رعاياها فى سوريا والأردن

المسلحة والقوات المصرية المدافعة، ولكن بدلا من أن تنتكرا للمعتدى انضمتا اليه ضد المعتدى عليه !

وفى الساعة العاشرة من مساء الثلاثاء ٣٠ أكتوبر استدعى الرئيس جمال عبد الناصر السفير البريطانى فى القاهرة ، ونبهه إلى أن الإنذار الذى وجهته بريطانيا باسم فرنسا إلى الحكومة المصرية فى ذلك اليوم لا يمكن قبوله بحال ، بل تعتبره مصر اعتداء على حقوقها وكرامتها ، وامتنانا صارخا لميثاق الأمم المتحدة . وفى الوقت الذى تدافع فيه مصر عن نفسها داخل أراضيها ضد العدوان الإسرائيلى ، تحفز بريطانيا وفرنسا للعدوان على المعتدى عليه ! فصر لا يسعها إزاء أى عدوان عليها إلا أن تدافع عن حقوقها وكرامتها .

ثم استدعى الرئيس جمال عبد الناصر من السفارة الفرنسية القائم بأعمالها ، وطلب منه أن يبلغ حكومته ما تقدم .

موقف دول الحضارة

من المؤامرة المبيتة

لما قدمت بريطانيا وفرنسا لإنذارهما إلى مصر ، طلبت روسيا إلى مجلس الأمن أن يحذر الدولتين ألا تستغلا الموقف الناشئ فى مصر نتيجة للهجوم الإسرائيلى الغادر . ووقف أركادى سوبوليف مندوب روسيا

أن يحتل منطقة القنال ، كل هذا قد حققته الحوادث المتتالية ، وكانت أمريكا تتوقعه .

الطغيان البريطانى الفرنسى

فى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر سلمت الحكومة البريطانية إلى السفير المصرى بلندن إنذارا موجها إلى الحكومة المصرية :

١ - بايقاف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية فى البر والبحر والجو .

٢ - سحب جميع القوات العسكرية المصرية إلى مسافة عشرة أميال من قناة السويس (أى أن تنسحب القوات المصرية من الأرض المصرية !) .

٣ - أن تقبل مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس !

ويطلب الإنذار الإجابة عليه فى الساعة السادسة والنصف صباحا بتوقيت القاهرة يوم ٢١ أكتوبر ، فإذا لم تسلم إنجلترا وفرنسا هذه الإجابة فى الوقت المحدد فإنهما ستدخلان بالقوة ، بالقدر الذى تريانه ضروريا لضمان إجابة مطالبهما !

وقد اتخذت بريطانيا وفرنسا ذريعة لعملهما القتال الدائر داخل الأراضى المصرية بين القوات المهاجمة من قوات إسرائيل

ولا سيما بريطانيا وفرنسا ، لمتخذنا من ذلك ذريعة لاحتلال البلاد العربية ولاسيما منطقة قناة السويس . واستدعت وزارة الخارجية السوفيتية سفيرى بريطانيا وفرنسا فى موسكو لتبليغهما احتجاج روسيا على التطورات الحالية فى منطقة قناة السويس . كما أن داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة قدم استقالته احتجاجا على هذا البغى . وقال سوبولوف مندوب روسيا فى مجلس الأمن : إن بريطانيا وفرنسا باعتهما على مصر واستخدماهما القوة ضدها وضربهما البلاد المصرية بالقنابل ، تخرقان ميثاق الأمم المتحدة . وقال مندوب فرنسا ردا على اتهام فرنسا بالعدوان : إننا ننكر بشدة مثل هذه الاتهامات ، وإنما هو تدخل مؤقت للحكومتين فى وضع يسمح لهما بأعادة الأمن والسلام ! ونأمل أن يقدم المجلس تأييده وعطفه لنا نحاول أن نعمله للمحافظة على السلام ! وقال ديكسون مندوب بريطانيا : إن الغرض من هذا التدخل هو تأمين قناة السويس ! وإعادة السلام لمنطقة الشرق الأوسط !

وفى مساء الخميس أول نوفمبر اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعا عاجلا طارئاً عملاً بقرار مجلس الأمن بأغلبية (٧) أصوات بناء على اقتراح المندوب اليوغوسلافى لبحث الموقف فى الشرق الأوسط بعد الاعتداء الثلاثى الموجه لى

فى مجلس الأمن فأعلن أن المجلس يواجه موقفا فى منتهى الخطورة ، وأن إسرائيل لم يكن فى وسعها أن تتصرف بالكيفية التى تصرفت بها لو لم تنل مساعدة من الدوائر العدوانية التى تسعى إلى التماس عذر لإرسال قواتها إلى الشرق الأوسط . وحث المجلس على أن يصدر تحذيرا للدول الأخرى بعدم التدخل فقال : إن هذا التحذير يشمل بريطانيا وفرنسا بصفة خاصة . وقدم كابوت لودج مندوب الولايات المتحدة الأمريكية اقتراحا ساميا بمشروع قرار وصف بأنه فى غاية الشدة إلا أنه لا يتضمن أى استنكار للعمل الذى قامت به إسرائيل . فاقترح مندوب روسيا أن يتضمن المشروع الأمريكى لوما لإسرائيل واستنكارا لعملها ، فرفض ذلك لودج وأدرج فقرة جديدة تطالب كلامن مصر وإسرائيل بأن توقف القتال حالا . ووصف مندوب يوغسلافيا إنذار البلدين بأنه عمل من أعمال القوة أخذ من جانب واحد ، وأنه موجه فى المقام الأول ضد البلد الذى يعد ضخمة للعدوان ، وهو أمر مخالف لميثاق الأمم المتحدة . ومع ذلك عرض مشروع القرار الأمريكى لتصويت فوافق عليه (٧) أعضاء ، وامتنعت أستراليا وبلجيكا ، وقالت بريطانيا وفرنسا « فيتو » فسقط القرار وفى يوم الأربعاء أصدرت روسيا بيانا قالت فيه إن الحقائق تدل على أن غزو القوات الإسرائيلية للأراضى المصرية ليس إلا مؤامرة أحكت الدول الغربية تدبيرها ،

أمكن تسجيله فى تاريخ الأمم المتحدة حدثا يقوى مركز المنظمة ويعطى مغزى جديدا لمبادئها وأهدافها ، وإننى أشارك الجمعية العامة أملها فى أن وقف إطلاق النار وإيقاف التحركات العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط وسحب جميع القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة سينفذ فى الحال . ثم قال : إننى لا أؤمن بأن أعمال العنف - أيا كان سببها - يمكن أن تؤدى إلى التعاون ، ولست أعتقد أن الانتصارات التى تحرز بانتهاك التزامات المعاهدات يمكن أن تخلق الثقة بين الشعوب المتجاورة . ولسكنى أؤمن بأن احترام قرارات الأمم المتحدة يجلب للدول تعاضد المجتمع العالمى الذى تحتاج إليه كل دولة .

وعين همرشلد لجنة من ثلاثة أعضاء لمراقبة تنفيذ قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار فى الشرق الأوسط ، بينما كانت البرقيات تحمل أبناء استمرار الهجوم البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على مصر ، كأن الأمم المتحدة لم تقرر شيئا !

وفى يوم الاثنين ٥ نوفمبر أعلنت الحكومة السوفيتية أنها استدعت سفيرها فى تل أبيب وأندرت إسرائيل بضرورة تقدير قيمة إنذار روسيا لها . وجاء الإنذار الروسى فى رسالة بعث بها بولجانين إلى بن غوريون وقال فيها : إن إسرائيل تقوم بمغامرة جنونية بتجديدها كل دول الشرق التى تكافح الاستعمار ،

مصر ، ويعد هذا الاجتماع أخطر اجتماع واجه الأمم المتحدة بعد أن فشل مجلس الأمن فى الوصول إلى حل يحقق السلام ، فامتلات قاعة الاجتماع التى تضم ١٢٠٠ مقعد ، وامتلات مقاعد الصحافة وعددها ٢٣٤ مقعدا ، وامتلات قاعة مجلس الوصاية بأكثر من ٤٠٠ شخص ، وكان أعضاء الجمعية يمثلون ٧٢ دولة ، ودعى مندوب شيل ليرأس الجلسة ، وقدم مندوب الفلبين مشروع قرار بوقف إطلاق النار فوراً ، وانسحاب القوات البريطانية والفرنسية ، وعودة القوات المصرية والإسرائيلية إلى المواقع التى حددها اتفاق الهدنة ، ثم تكلم مندوب فرنسا معترضا ، وتكلم مندوب مصر شارحا مبينا ، وتكلم مندوب سيلان مؤيدا لمصر ، وتكلم مندوب بريطانيا بما ينتظر من ممثلى الطغيان والبغى ، وتكلم مندوب الصين ، ثم مندوب أمريكا ، ومندوب كندا - وهو وزير خارجيتها - الذى اقترح ارسال قوة بوليسية دولية مؤقتة إلى منطقة الشرق الأوسط لإقرار السلام فى تلك المنطقة ، على أن تكون تلك القوة تحت اشراف الأمم المتحدة وقوامها عشرة آلاف رجل لمراقبة الحدود بين إسرائيل والدول العربية .

وفى اليوم التالى أعلن السكرتير العام للأمم المتحدة بيانا قال فيه : إننى أرى فى قرار الأمس الذى أيده أكبر عدد من الأصوات

وامتنع ١٠ عن التصويت ولم تعارضه سوى إسرائيل . ومع ذلك لا يزال صوت البغي مرتفعاً في بورسعيد كما ترى في نهاية الفصل التالي .

مصر أمام الطاعوت المثلث

كان أول ما قامت به القوات المصرية عقب العدوان الإسرائيلي أن نقط لإنذار سلاح الحدود في كوم متلا والتد ونخل اشتبكت بقوات العدو مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر، وإلى صباح الثلاثاء لم تتمكن قوات العدو من التغلب في المناطق الثلاث ، ومع ذلك فإن تقدم قوات العدو كان في طريق خال ، ولكن السلاح الجوى المصرى قام في يومى الاثنين والثلاثاء بهجمات متوالية على إسرائيل وبكدها خسائر كثيرة في طائراتها المقاتلة ، ودمرت مطار « عكير » و « رماد داود » وأصابت عربات محملات بالجنود وعربات مصفحة ومدمرة . وفي يوم الأربعاء ليلاً قامت المدمرة المصرية « إبراهيم » بضرب ميناء حيفا وفي طريق عودتها اشتبكت مع ٣ سفن حربية تساندها ٣ طائرات ، فاستمر الاشتباك مدة ثلاث ساعات أصيبت بعدها المدمرة إبراهيم وتعطلت عن الحركة ، فقرر قائد السفينة إغراقها .

ومن مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر شرعت القاذفات النفاثة البريطانية والفرنسية بمهاجمة

فلسطين تخدم أغراض المستعمرين وتنتشر روح الكراهية بين الشعوب ، وإن تصرفاتها تهدد وجودها وكيانها . ووجهه بولجانيين إنذاراً نهائياً إلى كل من بريطانيا وفرنسا أعلن فيه تصميم الحكومة الروسية على استخدام القوة للقضاء على عدوانهما على مصر ، وقال : « إن بريطانيا وفرنسا قد تستهدفان لهجوم من دولة أقوى منهما كثيراً ، وتستطيع أن تضربهما لا بالسفن والطائرات بل بالصواريخ الموجهة . قال : وقد تعمدون استخدام الصواريخ الموجهة ضد بريطانيا عملاً همدجياً ، لسكن ما الفرق بين مثل هذا الهجوم على بريطانيا وفرنسا والهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا على مصر المسالمة ؟ ! » .

وفي يوم الأربعاء ٧ نوفمبر استأنفت الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث الموقف بالشرق الأوسط ، وبعد مناقشات وخطب قدم تقرير من ١٩ دولة يقضى بأن تسحب إسرائيل قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة ، وأن تبادر بريطانيا وفرنسا بسحب قواتهما المعتدية على مصر . وبعد مناقشات طويلة اقترح الأعضاء على مشروع إنشاء قوة دولية فوافقت عليه ٦٤ دولة وامتنعت ١٢ دولة عن التصويت . ثم اقترح على مشروع قرار الدول التسع عشرة القاضى بسحب القوات الإنجليزية الفرنسية الإسرائيلية فوراً من الأراضي المصرية فوافقت عليه ٦٥ دولة

١٠٤ من المدنيين وجرح ٤٠ في بلدتي أبو زعبل ، وأبو حماد ، ودمرت ٧ منازل وأصبحت كنيسة للأقباط كما أغرقت سفينة مصرية في القناة فعملت الملاحه فيها .

وفي صباح السبت ٣ نوفمبر حاولت قوات بحرية بريطانية وفرنسا في شمال البحر الأحمر المدفعية الساحلية وأمطرتها وابلا من نيرانها الحامية فأغرقت قطعة بحرية بريطانية منها ، وأسرت القطع الباقية بالانسحاب جنوبا بعيدا عن الشواطئ المصرية ، ولكن وحدات الاسطول المصرية خفت لمطاردتها في عرض البحر وضربت بها بشدة أثناء انسحابها ، فأسفرت المعركة عن إغراق قطعة بريطانية أخرى وحاملة جنود وإصابة قطعة ثالثة .

ومن صباح الأحد ٤ نوفمبر بدأت الصحف اليومية المصرية تصدر بأربع صفحات ، فاستراح قراؤها من اللغو والثرثرة النسائية والحديث عن الفحشاء والإجرام ، وحبذا لو استمرت كذلك بعد زوال المحنة ليستفيد الشعب من وقته الذي كان يضع سدى بما لا فائدة منه إن لم يكن مصدر ضرر وشر . وفي يوم الأحد بدأت ترد الأخبار بنسف الشعوب العربية لأنايب البرول الممتدة في سوريا وليبيا ولبنان والبلاد الأخرى ، بل وردت أخبار بنسف أنايب أرامكو .

وفي يوم الأحد أيضا حاولت ثلاث سفن من الاسطول البريطاني الاقتراب للمرة الثانية من شواطئنا على البحر الأحمر فتصدت لها قواتنا الباسلة واشتبكت معها في معركة بحرية

القاهرة والمدن المصرية وألقت قنابل محرقة وأخرى شديدة الانفجار ، ثم توالى الغارات الجوية بلا انقطاع ، وكانت المدفعية المصرية تقابلها بشدة في كل مكان ، وإلى مساء الجمعة ٢ نوفمبر كان السلاح الجوى المصرى ومدفعية مصر المضادة للطائرات قد اسقطا ٥٢ طائرة للعدو منذ بدء العمليات الحربية ، أما في إسرائيل فان مصر دمرت ربع الطائرات الإسرائيلية ، ولولا حماية مجرمى الحرب لإسرائيل لاستطاعت القوات المصرية وحدها أن تزيل إسرائيل نهائيا من فلسطين .

وفي يوم الجمعة أدى الرئيس جمال عبد الناصر الصلاة في الأزهر ، وخطب من منبره بعد الصلاة ، فقال : إن خطة الأعداء كانت تستهدف استدراج الجيش المصرى إلى صحراء سيناء لمقاتلة إسرائيل ، لتنفرد بريطانيا وفرنسا بالمواطنين في داخل مصر فلا تجد المقاومة الواجبة ، وقد انتبهنا لهذه المؤامرة الثلاثية فسحبنا قواتنا المسلحة من سيناء ، وحشدناها في القناة والدلتا لملاقاة الانجليز والفرنسيين ، وهكذا وحدنا جبهاتنا كلها في جبهة واحدة في قناة السويس لنقرر مستقبل وطننا ، وسنقاتل في كل مكان ، وسأقاتل معكم ضد أى غزو إلى آخر نقطة من الدماء ، وسنبني بلدا وتاريخا ومستقبلا . وإن مصر كانت دائما مقبرة الغزاة ومن همجية الوحش الغربى أن طائرات الطاغوت المثلث ضربت بقنابلها السكان الآمنين في دورهم وقراهم ، فاستشهد

وقبيل غروب الشمس تمكن العدو من تعزيز قواته مرة أخرى في هاتين المنطقتين فبلغ القتال ذروته ، واستطاعت قواتنا السيطرة التامة على بور سعيد عدا منطقة الجميل وجزء من بور فؤاد .

وقد أسقطت قواتنا يومئذ في بور سعيد ١٥ طائرة للعدو ، كما أسقطت في القاهرة ٨ طائرات وفي أبي زعبل ٣ وفي المأظـه ٢ وواحدة في كل من العباسية وحووان ومنشية البكرى ، كل ذلك في يوم واحد وهو يوم الاثنين .

وفي يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر أعلن داج همرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة أن بريطانيا وفرنسا وافقتا على وقف إطلاق النيران في مصر ابتداء من الساعة الثانية من صباح الأربعاء بتوقيت القاهرة ، ولكن حل الوقت المضروب والقتال ما برح مستمرا في منطقة بور سعيد التي بلغ من دناءة العدو أن قطع المياه عن أهلها .

وقد صدر البلاغ الحربى المصرى رقم ٣٣ في الساعة الثالثة والرابع من بعد ظهر يوم الأربعاء ٧ نوفمبر يقول : « بالرغم من قرار وقف إطلاق النار في الساعة الثانية من صباح أمس بتوقيت القاهرة ، فقد طوقت القوات البريطانية والفرنسية مدينة بور سعيد واستمر عدوان هذه القوات ضد قواتنا والمدنيين في مدينة بور سعيد حتى صدور هذا البلاغ » . وكانت مدفعية الأسطول البريطانى تضرب المدينة فحدثت حرائق

أسفرت عن إغراق إحدى السفن الثلاث ، وأسرعت السفينتان الأخريان بالفرار . كما اشتبكت قواتنا المسلحة مع مدمرة فرنسية قرب الشواطئ المصرية شمالى الدلتا وأغرقتها بعد أن أصابها إصابة مباشرة وعليها ٦٠٠ من رجالها غرقوا معها .

ودمر العدو في يوم الأحد كوبرى الفردان القائم على قناة السويس ، وهدم كنيسة في الإسكندرية فقتل ٣ وأصيب ١٢ بجروح مختلفة . وبلغ عدد طائرات العدو الحربية التى أسقطها السلاح المصرى ٨٧ طائرة .

وفي يوم الاثنين ٥ نوفمبر تحولت مدينة بور سعيد إلى مقبرة للجنود الغزاة ، إذ شرعت قيادة العدو البريطانية الفرنسية الإسرائيلية من الصباح الباكر في إززال قواتها من جنود المظلات في بور فؤاد ومطار الجميل والجبانة فبادرت قوات الجيش المصرى بالتعاون مع البوليس والشعب بمحصدتهم وإبادتهم عن آخرهم ، وما حلت الساعة الحادية عشرة حتى كانت قواتنا قد قضت قضاء تاما على قوات العدو في مطار الجميل وسيطرت سيطرة كاملة على مدينة بور سعيد . وقبيل الظهر بقليل أنزل العدو قوات أخرى في منطقتى بور فؤاد والجميل بعد أن أبيدت قواته السابقة ، نجفت قواتنا ملاقاتها والاشتباك معها في معارك مريرة عنيفة ، فأنزلت بها خسائر فادحة اعترف بها الجنرال كيتلى قائد قيادة العدو ، كما اعترف بعنف المعارك ، وبتصميم المصريين على الدفاع حتى النهاية .

لذلك قررت مشيخة الأزهر وقف الدراسة في الكليات والمعاهد الدينية بالقاهرة والأقاليم مؤقتا ابتداء من يوم الخميس ٢٧ من ربيع الأول ١٣٧٦ (الموافق أول نوفمبر ١٩٥٦) لإتاحة الفرصة لشباب الأزهر ورجاله في القيام بواجبهم مع جنود جيش التحرير الوطنى وإنى أنادى أبنائى الأزهرين ، بقول الله تعالى : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وقف الدراسة فى الجامعات والمدارس

قال وزير التربية والتعليم القائم بالقيادة العامة لجيش التحرير فى بيان أذاعه يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر :

« فى هذه اللحظات الحاسمة التى يجتازها الوطن ، ورغبة فى عدم حرمان الشباب الجامعى الذى تحركه أنبل المشاعر للبذل والتضحية فى سبيل الدفاع عن استقلالنا وحريتنا ، ورغبة فى أن يسهم هذا الشباب بجهوده القوى فى « التعبئة العامة » التى أعلنتها مصر لى تزدود عن عزتها وكرامتها ، فقد تقرر وقف الدراسة مؤقتا فى الجامعات المصرية والمعاهد العليا وفى المدارس الثانوية وما فى مستواها ، وبذلك تتاح لهم الفرصة للانضمام إلى قيادات جيش التحرير الوطنى ، لى ينظموا صفوفًا قوية فى المحافظة على أمانى الوطن ومستقبله » .

فى منطقة « المناخ » و « شارع عباس » . وقام الإنجليز بفتح الجمرى والعبث بمحتوياته ، وامتلات سماء بور سعيد فى مساء الأربعاء بالأدخنة السوداء المنبعثة من الحرائق ، وحاولت القوات البريطانية والفرنسية التدخل فى الحياة العادية بالمدينة فقبولت من الأهالى وقناصتهم بالشدة ، وإلى منتصف الساعة السادسة من مساء الأربعاء كانت الدلائل واضحة على استمرار القتال . وقد أخذت الهيئات والأفراد تتنافس فى التبرع لتعمير بور سعيد بالبأسلة ، فتبرعت هيئة تدريس جامعة عين شمس بخمسة عشر ألف جنيه ومثلها من بنك القاهرة ، وتبرع الأزهر بخمسة آلاف جنيه . ورغب طلاب الأزهر فى التبرع بنسبة ٢٪ من مخصصاتهم عن شهر نوفمبر وعددهم ٣٣ ألف طالب ، وتبرع مجلس نقابة المهن الزراعية بثلاثة آلاف جنيه ، والتنافس على هذا البر لا يزال فى بدايته .

الأزهر فى صفوف الجهاد

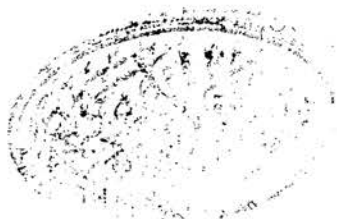
أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر القرار التالى :

« لقد أصبح الوطن الآن فى حاجة إلى جهود جميع أبنائه ، وصار الجهاد فرضا على كل وطنى فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها البلاد .

والأزهرىون أولى الناس بالاستجابة إلى نداء الوطن والإسهام فى هذا الواجب المقدس

الفهرس

صفحة	للموضوع	بـ
٣٣٧	المعلاق بين أمسه ويومه	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣٤٥	ففعات القرآن : الوفاء في نظر الاسلام . .	« عبداللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٠	السنة : الاقتصاد في الموعظة	« طه محمد السكاك
٣٥٤	المؤمن الحق	« محمد الطنيزي عضو جماعة كبار العلماء
٣٥٦	مذاهب ومذاهب	« أبو الوفاء المراغي
٣٥٩	صفحات من البطولة في الاسلام	« محمد أبو شبة
٣٦٤	موجة الانحلال ، والصحف الدائبة على تفديتها	جمعية الشبان المسلمين
٣٦٨	من وحى الولد النبوي الشريف	الأستاذ محمود إبراهيم طيرة
٣٧٢	نداء من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٧٤	بحوث في مصادر الشريعة النظرية - ٦ - . .	« زكي الدين شعبان
٣٨٢	التصوف بين التأييد والمعارضة	« أحمد الشرباصي
٣٨٨	مجلس الأزهر الأعلى يستنكر عدوان فرنسا على الجزائر الباسلة
٣٨٩	أفق أكبر - جاء النصر	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٣٩١	الجهاد في شريعة الاسلام - وتاريخه . . .	الأستاذ محب الدين الخطيب
٤٠٢	للحركة . . . في بلدنا !!	« محمد فتحي محمد عثمان
٤٠٨	العالم الاسلامي	المجلة



نداء فضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الأزهر

إلى العالم العربي والإسلامي

بمناسبة الأحداث الجارية في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وقال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

وقال عز وجل : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

هذه آيات بيّنة ، وتعاليم هداية واضحة ، يعلمنا الله بها وبكثير غيرها من آيات الكتاب العزيز ، أن الإيمان بالله أقوى رابطة ، وأعز صلة ، تربط بين الأفراد ، وتوثق أمر الجماعات ، ويعتز بها حال الأمم والشعوب . جعلها الله رابطة أخوة ، تعطف المؤمن على أخيه المؤمن ، فينصره ولا يخذله ، ويعينه ولا يعتدي عليه .

بل إن الله جلت قدرته قد أعلى منزلة هذه الرابطة ، وحكم بأنها أقوى وأسمى من رابطة الأخوة النسبية ومن كل رابطة قرابة حتى رابطة الأبوة والبنوة الحقيقية . يرشد إلى ذلك قول الله تعالى في شأن نوح عليه السلام وشأن ابنه الذي لم يؤمن بالله : « ونادى نوح ربه

بسم الله الرحمن الرحيم

فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين .

كما يرشد إليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فكل فرد من أفراد المؤمنين أينما كان وحيثما أقام منزلته من سائر المؤمنين في أى بقعة من بقاع الأرض منزلة العضو من الجسد الواحد ، يألم لما يألم له أحدهم ، ويضطرب كيانه لشكو أى عضو منهم .

وإذا كانت رابطة الإيمان بهذه المثابة من القوة والعزة والرفعة ، فلا شك أن مما يضاعف نموها ويزيدها تمكينها وقوة ، أن تنضم إليها روابط الوحدة في العروبة والقومية وما تقتضيه الواجبات الوطنية .

هذا هو الإسلام ، وهذه تعاليمه ، وعلى هذا الأساس يكون الحكم الفصل ، والوزن الحق الذى يفصل بين الأولياء والأعداء ، ويميز المخلصين عن الخونة المنافقين .

إن الذين يقاتلوننا في ديننا ، أو يقتحمون بالقوة علينا في ديارنا ، أو يعتدون على أى وطن من أوطاننا ، أو يعملون على إضعاف قوتنا وكبت نهضتنا ، هم من غير شك أعدى أعدائنا . فواجب على جميع الشعوب الذين تؤلف بينهم تلك الروابط المقدسة أن ينهضوا لدفع أولئك الأعداء الذين يؤذونهم أو يغيرون على أى ركن من أوطانهم فى أى قطر من أقطار الأرض .

ألا لمنهم أعداء ألد أعداء ، أولئك الذين بغوا علينا ، وعملوا على أن يفرقوا وحدتنا ويغلبونا على أمرنا فى أوطاننا وسائر مواطن العروبة والإسلام .

إن أولئك الأعداء يجب علينا أن نكافهم ونجالدهم ، ونقف صفوفا قوية فى سبيل عدوانهم وغزوهم ، ونقضى على كل وسيلة من وسائل خيبتهم وخداعهم ومكرهم . يجب ألا يحول دوننا أى حائل فى مقاومتهم ، وأن ندك كل عقبة تقف فى سبيل مجاهدتهم .

هذه قضية الأخوة فى الإيمان ، وقضية الوحدة فى القومية والعروبة والوطنية : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة

تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

ولا شك أيضا أن من الأعداء الذين تجب مناهضتهم والقضاء على شرورهم وآثامهم أولئك الخونة الجبناء الذين يخرجون على وحدة أمتهم ، ويبيعون بالثمن البخس عزة قوميتهم ووطنيتهم ، ويناصرون البغاة المحاربين على إخوانهم في العروبة والدين . يتلمسون في ذلك أوهى المعاذير التي لا تغنى عنهم ولا تسترغشهم وخيانتهم ، والتي لا تنجيهم ولا تنقذهم حتى من الأعداء الذين هم يناصرونهم ويمالثونهم ويلتمسون الزلفى لديهم .

هؤلاء هم ضعاف الإيمان مرضى القلوب يدخلون في زمرة من قال الله فيهم : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

أيها المسلمون ، أيها المؤمنون ، أيها العرب : إنه ليس من العيب على شعب أصيل حر ، شعب أبي عربي كشعب العراق ، أن تتحد أحزابه ، وتتكتل جماعاته ، وأن يعملوا جميعا في قوة إيمان ، وصدق عزيمة ، على ما يمكن لهم استقلالهم ، ويدراً عنهم وعن إخوانهم في مصر وغير مصر شرور الأعداء الغادرين .

إنما العيب كل العيب ، والجريمة أعظم الجريمة ، أن تلجأ جماعة من الشعب أو يلجأ أفراد منه إلى العدو الغاصب ، فيستعينوا بقوته وبأساليب مكايده على إخوانهم وأهلهم وجيرانهم ومواطنيهم ، وأن يكونوا لهذا العدو أن يدوم تسلطه عليهم وعلى موارد أرزاقهم وعلى منابع الثروة في بلادهم ، ثم يسروا له أن يحجرهم إلى أحلاف ليس فيها خيرهم ، وإنما هو يستخرهم فيها ليتقى بهم أعداءه لا أعداءهم .

إنه لا ريب أن هذا الصنيع غدر بالأمة وخيانة للأمانة ، ولا ريب أن الخائن لوطنه وأمته خارج على دينه كافر بتعاليم ملته .

إن علماء العراق - شيعة أو سنيين - لم يرتكبوا بحركتهم الوطنية جرما ، ولم يقرّفوا إثما ، ولم يبيعوا على أحد . إنهم جميعا يغارون لوطنهم ، ويدافعون عن كرامتهم وعزة عروبتهم ، وهم جميعا يحبون أعظم الحب ملكهم ، ولا يكرهون أن تكون حكومتهم منهم ومن أهل

جلدتهم ، تقوم على أمورهم بحسن الرعاية ، وتدير شؤونهم في إخلاص ووفاء بواجب الأمانة .
ثم هذا دينهم يأمرهم أن يكونوا في مواقف الشرف والكرامة خير قدوة ، وأن يكون
للناس في صنيعهم أحسن الأسوة . فخرام أن يؤخذوا في ذلك بعقوبة ، ومن الظلم الفاحش
أن يزج بهم من أجله في ظلمات السجون .

إن الانجليز الذين يقترن اسمهم بمعانى الظلم والتسلط المتعجر ، والذين عاشوا الدهور
الطوال على مادة الاستعمار والاحتلال ، وذهبوا في طرائق الشر والطغيان مذاهب كانوا فيها
مضرب الأمثال - هؤلاء الانجليز لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من التوسع الظالم والتغلب
الفاجر والتحكم في الأمم والشعوب من أهل آسيا وإفريقيا إلا من طريق الغش والدس ،
وخيانة المواثيق والعهود ، واستخدام أساليب الفتنة والتفريق بين من تجمعهم جامعة واحدة ،
وتؤلف بينهم وحدة شاملة ، هؤلاء الانجليز يفسدون بهذه الفتنة وبفنون هذه التفرقة
روابط الدين والعقيدة وروابط الجنسية والقومية ، وروابط المقدسات الوطنية ،
وحتى روابط النسب والقرابة .

إن الإنجليز لم يستفيدوا في ظلمهم وبغيهم ونشر احتلالهم واستعمارهم بفعل السلاح
الظاهر : سلاح النار والحديد بقدر ما استفادوا باستخدام ذلك السلاح الخفي الخائن الغادر ،
و « فرق تسد » هي مثلهم السيئ الذي سار في الأقطار ، وهي مركبهم الدنيء الذي
نالوا به من الأمم والشعوب على مر الدهور والأعصار .

أيها العرب ، أيها المسلمون : هذه هي الساعة الحاسمة التي تمتحن فيها قوة إيمانكم
وسلامة يقينكم وثباتكم على الحق ، فاجمعوا صفوفكم ، ووحّدوا كلمتكم ، وانبذوا العدو
الدخيل من بينكم ، وتحرروا من هذه الأغلال التي يطوق بها المستعمر رقابكم باسم الأحلاف
أو غير الأحلاف ، ولتكن نصرته العروبة والإسلام أول أهدافكم ، وليكن الله ورسوله
أحب إليكم من أنفسكم وأموالكم وأولادكم ، واحذروا الأمانى الخادعة والعهود الكاذبة ،
حتى تخرجوا من هذه المحنة أشد بأسا وأعظم قوة ، ويعود إليكم عزكم ومجدهم .

أيها المؤمنون ، أيها العرب المخلصون : إذا ثبتتم على الحق فلا غالب لكم ،
إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله ولي المتقين ٤

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

مُسْتَبْرَكُ الْمَجْلَدِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

الْعُضْوَانُ
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تأليفون ١٤٦٢

مَجْلَدُ كَلَامِ زَهْرٍ

بِمَجْلَدِ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَرْشَادِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

بِمُسْتَبْرَكِ الْخَطِيبَاتِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبِيُّ

الْأَشْرَافُ السَّنَوِيُّ

٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمربين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ لطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمربين خارج الوادي

الاسم

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٦ - ٣ ديسمبر ١٩٥٦ - المجلد التاسع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

درس

كان الخديو إسماعيل يقول : إن مصر أصبحت في عهده قطعة من أوروبا .

كان يفخر بذلك ، وكان حملة الأقلام من عملاء الغرب والدعاة لأنظمتهم وثقافته يرددون هذه الكلمة بحماسة وإعجاب ، ويعيدونها من آيات التقدم ووسائل الفلاح .

بهذا الاتجاه أقام إسماعيل في مصر محاكمه المختلطة ، والمحاكم الأهلية التي نشأت في ظلها ، وكان نظام القضاء الإسماعيلي موحى له به من الاستعماريين الفرنسيين نقلاً عن نظامهم الاستعماري في الجزائر ، كما اعترف بذلك نوبار باشا اعترافاً صريحاً في نهاية مذكرة مهمة رفعها إلى إسماعيل نفسه بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ .

وبهذا الاتجاه أيضاً « كان الخديو إسماعيل مستعداً لمنح الأجانب امتيازات جديدة ، بل منحهم نفس ما للوطنيين من حقوق ، بما فيها حق امتلاك العقار » كما قال عنه اللورد هنري بلور سفير إنجلترا في الاستانة في رسالة منه إلى وزارة الخارجية البريطانية تاريخها ١٩ يولييه سنة ١٨٦٤ ، أي في السنة الثانية لولاية إسماعيل على مصر .

وبهذا الاتجاه كانت حكومة إسماعيل - كما جاء في مذكرة نوبار باشا سالفة الذكر

المؤرخة في ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ - : « تشعر بأن التقدم لا يأتي إلا من ناحية أوروبا ، وتتطلع الى إشراك هذا العنصر الممدن في أعمالها ، وتريد أن تكل إليه كبار أعمالها ، وتود أن تستجلب رؤوس الأموال بأن تهنيئ لها استغلالا مدرا للربح ، فترى نفسها عاجزة مضطرة الى أن تترك حبل البلد على غاربه . ومن كل المشاريع التي عهد بالعمل فيها الى الأوربيين لم ينته إلا مشروع واحد هو مشروع قناة السويس (١) . أما المشروعات الأخرى فمنها ما لم يتم ، ومنها ما لم يشرع فيه قط ، وهي بحالتها الراهنة كانت وستكون مدعاة للتعويضات » . وفي هذه المذكرة يقول نوبار باشا : « إن الحكومة المصرية دفعت في أربع سنين (٢) ٧٢ مليوناً على سبيل التعويضات ، غير أنه يجب أن نضيف إلى ذلك أن هذه التعويضات التي دفعت تحت ضغط القناصل المباشرين أو غير المباشرين ، وصفها من استعملوا هذا الضغط للحصول عليها بأنها من الأعمال التي تدل على كرم لا مثيل له من جانب صاحب السمو » .

وهذا الاتجاه كذلك كان إسماعيل يغدق الهبات على بعثات التبشير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين إلى أعماق إفريقيا ، وكانت هذه الهبات الكريمة من مال مصر ومن أرض مصر ، حتى قال مسيو بوجاد قنصل فرنسا في رسالة بعث بها من القاهرة إلى وزير الخارجية الفرنسية في ٢ إبريل سنة ١٨٦٩ : « إن إسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها ٣٥٠٠ ذراع في موضع حسن جداً ، حتى إن سيادة المونسنيور سربيا قد تلقى عرضاً بشرائها بمبلغ مائة وخمسين ألف فرنك ذهباً تدفع نقداً ، إذ يعلم صاحب العرض أن هذه الأرض ستساوي عما قريب ضعفى هذا المبلغ » . قال القنصل : « وعند وصولي

(١) وقد دفعت مصر في سبيل إنشاء القناة ٣٥٤٤١٢٠ جنبها قيمة الأسهم التي اكتتب بها سعيد باشا ، و ٢٩٦٠٠٠٠٠ التعويض الذي دفع بتمتضي حكم نابليون الثالث باعتباره محكماً ، و ٤٠٠٠٠٠٠ جنبه ما دفع مقابل استرداد تفتيش الوادى ، و ١٢٠٠٠٠٠٠ ما دفع مقابل استرداد الأراضي السابق منحها للشركة على ضفتي القناة ، و ٤٠٠٠٠٠٠ ما دفع للشركة عن الأعمال في التربة المحلوة التي استردت ، و ٤٢٨٩٢٧ ما أنفقته مصر في أعمال حفر التربة المحلوة ، و ١٢٣٠٣٠٠٠ ما دفعته مصر للمقاولين الفرنسيين لانتهاء الأعمال الخاصة بالتربة المحلوة ، و ١٩٣١١٠٠٠ مصروفات مختلفة ومنها مصروفات حفلة الافتتاح ، و ١٠٥٠٠٠٠ فوائد دفعتها مصر عن هذه المبالغ الى سبتمبر سنة ١٨٧٣ (عن الملف ١٩ / ١ طابدين) .

(٢) أى منذ تولى إسماعيل في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ إلى تاريخ كتابة نوبار لهذه المذكرة في سنة ١٨٦٧

إلى مصر منح اسماعيل الراهبات إعانة (سنوية) قدرها ستة آلاف فرنك ذهباً بناءً على رجائي، ليستأجر داراً يقمن فيها مدرسة مجانية . وفي هذه الأيام الأخيرة طلبت من سموه - بمناسبة زواج كبرى كريماته - تمليك الراهبات داراً مساحتها أربعة آلاف ذراع ، وتبرع بمبلغ خمسين ألف فرنك ذهباً نقداً ، وتقدر هذه المنحة بأكثر من مائتي ألف فرنك ذهباً في جملتها ، وليست هذه المرة آخر مبرات سموه . وقبل أن تصل إلى مرسيليا سفينة المساجيرى ماريتم حاملة هذه الرسالة إلى وزير خارجية فرنسا في باريس كان قنصله في مصر ممسكاً بقلمه ليكتب له رسالة أخرى تاريخها ١٨ إبريل سنة ١٨٦٩ يقول له فيها : « يشرفني أن أبلغ سعادتك أن الوالي (إسماعيل) منح أساقفة اللاتين منحة أخرى وهي أرض مساحتها ستة آلاف ذراع في بقعة من أجمل بقاع القاهرة ، ولا شك أن رغبة سموه في أن يظهر للإمبراطورة عند مجيء جلالته إلى مصر ما يختص به الديانة الكاثوليكية من حماية ، كان لها أثرها في اتخاذ هذا القرار ، وهو قرار يستقبله القاصد الرسول ببالغ الامتنان [١] » .

كل هذه السلسلة من الأخطاء ، بل الجرائم ، التي ارتكبها اسماعيل من السنة الأولى التي تولى بها أمانة الحكم في هذا الوادي المبارك الطيب أهله ، إنما كانت نتيجة انخداعه بقشور الحضارة الغربية ، ولو أن الذين ربوه وعلموه في صغره أيام جده محمد علي لقنوه

[١] يشير قنصل فرنسا إلى الامبراطورة أوجيني التي نابت عن زوجها نابليون الثالث في حفلة افتتاح قناة السويس ، وأنشأ اسماعيل لتزولها قصر الجزيرة - جزيرة الزمالة - المطل على النيل عند كوبرى أبي الملا ، كما أنشأ لها قصر الجزيرة في مكان حديقة الحيوانات الآن ، وقد أسرف اسماعيل في الاتفاق عليها والحفاوة بها . ثم زارت مصر في شيخوختها ، فقال لها حافظ إبراهيم :

أين يوم القنال ياربة النا	ج وياشمس ذلك المهرجان
أين ذا القصر بالجزيرة تجرى	فيه أرزاقنا وتحبو الامانى
كنت بالامس جنة الحور ياتصـ	ر فأصبحت جنة الحيوان
وعوى القتب في نواحيك ياتصـ	ر وقد كنت معقلا لسان
تلك حال الايوان ياربة النا	ج فما حال صاحب الايوان
ان يكن غاب من جبينك تاج	كان بالغرب أشرف التيجان
فلقد زانك للشيب بشاج	لايدانيه في الجلال مهادنى
كنت بالامس ضيفة عند ملك	فاتزلى الآن ضيفة في خان
واعذرنا على الفصور كلانا	غيرته طواريء المحدثان

ما ينبغي للسلم أن يأخذه من حضارة الغرب وما ينبغي له أن يحذره ، لما جنى على مصر وعلى نفسه هذه الجناية التي تعالج مصر عواقبها إلى يوم الناس هذا .

أقل من الذكاء الذى كان يتحلى به الخديو إسماعيل ، وأقل من المال الذى أنفقته مصر على شق ترعة السويس ، كان يكفى لأن يكون هذا العمل لحساب مصر مباشرة من أوله إلى آخره ، وأن يكون المهندسون الذين عملوا فيه أجراء لا شأن لهم بملكية الأرض ولا بتأليف شركة لها ولا بتدخل حكوماتهم فى أمورها ، ولكن إيمان إسماعيل بالغرب ، وانخداعه برجاله ، وشغفه بالمظاهر ، وانقياده للشهوات والنزوات ، هو الذى أسقطه فى المهالك ، وهو الذى أماته مخلوعاً ذليلاً ، وهو الذى أرهق مصر بالديون التى كانت تنوء بها موارد مصر حتى تمكنت دول بيوت الربا الدائنة من أن تتدخل فى إدارة مصر ، وأن يكون لانجلترا وفرنسا وزيان فى الوزارة المصرية ، بينما كانت قناة السويس البقرة الحلوب للدولتين مدة تسعين عاماً ، وإن هذا البغى الإجرامى الواقع الآن على مصر من انجلترا وفرنسا واليهود إنما هو من نتائج إيمان الخديو إسماعيل بالغرب وحضارته الكاذبة ونظامه المبير .

إنه لدرس عبرة ، ومن أعجب ما فى هذا الدرس أن يفهم نوبار وزير إسماعيل أنهم إنما تورطوا لأن حكومة إسماعيل كانت « تشعر بأن التقدم لا يأتى إلا من ناحية أوروبا » كما قال فى مذكرته إلى إسماعيل فى ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٧ ، ولأنها كانت « تتطلع إلى إشراك هذا العنصر الممدن فى أعمالها » كما جاء فى تلك المذكرة ، وهو يقول ذلك بمرارة ، ويشكو متذمراً من أن هذه السياسة لم تنتج إلا مشروع قناة السويس المشؤوم ، وأن كل ما وضع فيه الأوربيون أيديهم من مشروعات مصر الأخرى لم يتم ، وكان مدعاة للتعويضات ، فدفعت حكومة إسماعيل فى السنوات الأربع الأولى من حكمها اثنين وسبعين مليوناً من الجنيهات تعويضات للأوربيين عن مشروعات لم يتموها ولم تنتفع بها مصر وتكبكت مع ذلك كل هذه الخسائر .

أى تقدم هذا الذى كانت تشعر حكومة إسماعيل أنه لا يأتى إلا من ناحية أوروبا ؟ ومتى كانت أوروبا تعمل فى الشرق بالاستقامة والشرف والإنصاف ؟ بل متى كان كل ما فى أوروبا يصلح لهذا الشرق العربى ويكون له فيه التقدم ؟

هذا غش أقنعوا به إسماعيل من صغره فنشأ عليه ، وحاول أن يطبقه ويعمل به

في مصر المسكينة ، وكان هو في نفسه متخلقا بالأخلاق التي تربي عليها وهو تلميذ في فرنسا ، فكان منه هذا الشهوانى البعيد عن سنن الإسلام في الاعتدال والاستقامة والعفة والحذر والتدبر ، وكان منه هذا العمل الضال في مجاهل حضارة الغرب الآثمة ، وهانحن أولاء نضرس الآن بالحصرم الذى كان يأكله إسماعيل قبل تسعين سنة ، فالله حسبه ، وهو يتولى حسابه .

وهذا الغش الذى اقتنع به إسماعيل من صغره ، كانت مدارس الاستعمار الفرنسى والبريطانى في مصر قائمة ببثه منذ تسعين سنة إلى الآن في نفوس من يقع في حبالها من تلاميذنا الذين خدع آباؤهم بالغرب وحضارته وثقافته كما خدع إسماعيل ، وكانت هذه المدارس من حبال الاستعمار في كل وطن عربى وإسلامى ، وجميع عملاء الغرب من أمثال الخديو إسماعيل إنما صنعتهم هذه المدارس الاستعمارية فكانوا بلاء على أنفسهم وعلى أوطانهم كما كان إسماعيل بلاء على نفسه وعلى وطنه . فهل آن لنا أن نضع حدا لهذا الغش ، وهل آن لنا أن نعرف طريقنا إلى الإفلات من هذه الحبال ؟

يقول الله عز وجل : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

والحرب من حيث هي حرب أمر مكروه ، ولكن هذه الحرب الباغية التي شنها على مصر هذا الطاغوت الثلاثى من الإنجليز والفرنسيين واليهود إذا كانت ستعرفنا بحقيقة أعدائنا - أعدائنا في السلاح ، أعدائنا في السياسة ، أعدائنا في الاقتصاد ، أعدائنا في التجارة ، أعدائنا في الثقافة - إذا كانت هذه الحرب الباغية ستعرفنا بأعدائنا هؤلاء فلا شك أنها تكون حينئذ من أعظم نعم الله علينا ، ومن أكبر أسباب هدايته لنا .

كم من صريع وصريرة في مصر والبلاد العربية والأوطان الإسلامية لهؤلاء الأعداء ، لا بالسلاح والسياسة والاستعمار وحسب ، بل بالمتاجر والمصارف المالية والمدارس والمحافل الماسونية وغير ذلك من المرافق الآثمة التي تجعل من المصريين والعرب والمسلمين صرعى للاستعمار .

أيها المرء العربى وأيتها المرأة المصرية . أرايتم الشمع الأحمر الذى ختمت به متاجر الأعداء ومصانعهم وشركاتهم ومصارفهم المالية ومدارسهم وأنديتهم ، ثم جعلت تحت الحراسة ، لأنها من مرافق الأمم الباغية علينا ، والتي كنا نطفئ الأنوار لتتق قذائف مجرميهم في الجو والبحر . إن هذه المرافق كانت من قبل مرافق لأعدائكم ، وهى الآن مرافق لأعدائكم ، وستبقى في المستقبل مرافق لأعدائكم ، فالقرش الذى يوضع فيها هو ثمن

وصاصة مدحرة منهم لقتل أبنائنا ، والتلميذ من أبنائنا الذى 'دخله فى مدارسهم يوشك أن يكون منه غدا مفتون جديد وأبله جديد وخائن جديد كالخديو إسماعيل يؤذى وطنه بضلاله ويورد أمته ببلابته موارد الهلكة .

كان ينبغى لكل امرأة مصرية منذ عرفت الأسواق لابتياح حاجاتها أن لا تكون دخلت متجرا من هذه المتاجر التى جعلت تحت الحراسة ، لأنها كانت ولا تزال من مرافق الأعداء . كان ينبغى لكل امرأة مصرية ولكل رجل عربى ومسلم أن يدركوا بسليقتهم القومية - من قبل أن تقع هذه الحرب الباغية - أن هذه المتاجر مرافق أعداء خدعوا الخديو إسماعيل وأعوانه عن أنفسهم قبل تسعين سنة فأخذوا منهم أرض القناة ، وأخذوا منهم النقود التى حفرت بها هذه القناة ، ومضوا يواصلون هذه السرقة فى عشرات السنين ، كما كانوا يواصلون ماثات السرقات من أمثالها فى الوطن العربى والعالم الإسلامى من ماثات السنين ، فالغفلة عنهم عيب فى ذكائنا وفطنتنا ، ومعاملتهم خيانه منا لأوطاننا وشعوبنا ، وإدخال أبنائنا فى مدارسهم جنائية منا على أبنائنا وإفساد لقوميتهم وعقائدهم الاجتماعية والأدبية والدينية .

محمد على جنى على حفيده إسماعيل وعلى الوطن المصرى بوضع حفيده بين أيدي الفرنسيين يتقفونه ويخرجونه مؤمنا بهم ، مستسلما لهم ، مستحسنا لتقاليدهم وسنتهم وأهدافهم ، جاهلا تقاليد مصر وسنن العروبة وأهداف الإسلام ، فكان منه ذلك الشهوانى الخائن لمصر بتحويلها عن الاتجاه العربى الإسلامى إلى الاتجاه الفرنسى الأجنبى . فكان من نتائج ذلك وقوع قناة السويس فريسة فى أيدي اللصوص مدة تسعين عاما ، بل كان من نتيجة ذلك عواقب هذه الجناية المستمرة إلى اليوم . وإن ماثات وألوف من المصريين فى مصر ، ومثات وألوف من العرب فى الأوطان العربية ، ومثات وألوف من المسلمين فى العالم الإسلامى لا يزالون واقعين فى مثل هذه الغلطة ، ومرتكبين لمثل هذه الجريمة ، بوضع أولادهم وأحفادهم فى مدارس الأعداء ليتقفوهم بثقافتهم ، وليخرجوهم مؤمنين بهم ، مستسلمين لهم ، مذعنين لتقاليدهم وسنتهم وأهدافهم ، جاهلين تقاليد أوطاننا وسنن عروبنا وأهداف إسلامنا . فإذا كانت حرب البغى التى شنها علينا الطاغوت المثلث من الإنجليز والفرنسيين واليهود ستوقفنا من هذه الغفلة ، فحبذا هذه الحرب وحيها الله وستكون من معالم التاريخ التى يذكرها بالخير أبنائنا وأحفادنا فيقولون : كان ذلك فى حرب البغى التى عرفنا بها أعداءنا ، ووضعنا بها حدا لغفلتنا ، فكان خلاصنا من مرافق الأعداء هو التحرير الأعظم ، وهو الخلاص الحقيقى من الاستعمار ، الاستعمار الثقافى ، والاستعمار الاقتصادى .

وأعود فأقرر هنا ما سبق لى بسطه فى مناسبات أخرى ، وهو أن العلم شىء والثقافة شىء آخر . فالعلوم التى تتوقف عليها الصناعات العليا وإنشاء السفن وشق الترع وبناء السدود وعمل الأسلحة والسيارات والطائرات إنما هى علوم عالمية اشتركت فى تكوينها وتوسيعها عبقریات العلماء فى كل الأمم ، من أقدم العصور إلى الآن ، فلولا علوم الكلدانيين والفينيقيين وقدماء المصريين لما كانت علوم اليونان والرومان والبطالسة ، ولولا علوم العرب فيما يسمونه القرون الوسطى لما كان لعمل الغرب الأسس التى أقام عليها دراساته حتى انتهت إلى ما هى عليه اليوم .

إنها علوم عالمية لا تتأثر بها أمة دون أمة ، وهى علوم القوة والجهاد والثروة والعمران ، فمن الواجب علينا تعميم تعليمها كما تتعلم علوم الشريعة والطب والآداب . أما الثقافة فكل أمة حية تحرص على أن تتقف أبناءها بثقافتها ليؤمنوا بأنفسهم ، ويعتزوا بأجسادهم ، وليكون منهم الامتداد المستمر لأسلافهم فى طريق التقدم نحو الأهداف التى رسمها لهم كيانهم الحى .

وليس معنى الخلاص من الاستعمار الثقافى أن نكون جاهلين ثقافات الأمم ، فسكما أن المستشرقين هم عيون الغرب التى يبصر بها دخائل الشرق ومكنوناته ، كذلك يجب أن يكون من رجال الشرق العربى ، وفى أهل الألفية من رجال العالم الإسلامى ، إخصائيون يتفرغون لدراسة مختلف الثقافات والتأليف فيها .

وكما لم تكن دراسة المستشرقين من الإفرنج لثقافات الشرق وعقائده مؤدية إلى انسلاخ هؤلاء عن ثقافتهم وعقائدهم ليذوبوا فى الثقافات الأجنبية عنهم والتى وقفوا حياتهم على دراساتها ، كذلك الذين يتفرغون من أفاضلنا لدراسة ثقافات الغرب وغيره من مختلف الأمم يجب أن يكون عملهم هذا لأجل المعرفة والتعريف ، ثم يكون الواحد منهم أشد الناس تمسكا بثقافته الأصيلة وقوميته وسنن أمته وأهدافها .

يقول مرشدنا الأعظم صلوات الله وسلامه عليه : أيها الناس إن لكم معالم فاتتوا إلى معالمكم . وإن أبناءنا فى موقفهم من الكتب التى تصدرها المطابع ، والصحف التى تقع فى أيديهم ، ومختلف الآراء والمبادئ والدعوات التى تطرق أذانهم ، تجعل الواحد منهم كالثائى فى صحراء لا يهتدى منها إلى طريق ، فهو يسمع الرأى وضده ، والدعوة وما

يخالفها ، ولعل دعوة السوء تجدد من الأقلام البارة الخادعة ما يجعلها في عيون الأحداث أكثر التسامح من دعوة الخير . فإن لم تكن لأبنائنا من ثقافتهم الأصيلة وتربيتهم الأدبية القومية معالم يرجعون إلينا في هذا التيه المضلل ، فياويح لنا من المستقبل ، وما أكثر ما ينتظر أن تصاب الأمة بأمثال الخديو اسماعيل في سلوكه في الحياة ، سواء كان سالكا في طريق الحياة على انفراد ، أو حاملا شيئا من أمانات أمته ووطنه وكيانه القومي .

إن حرب البغي المثلث قد لفتت أنظارنا إلى بعض النوافذ التي كان يهب علينا منها الريح السموم ، ولكن موارثنا من الشر أوسع من ذلك وأفدح . فنحن في حاجة بعد هدوء هذه العاصفة إلى أن نصفى حسابنا مع كل ماله تأثير في تكوين كياننا الثقافي ، وفي إعداد الجيل الجديد لحمل أماناتنا القومية في المستقبل القريب .

يجب أن نعرف ما الذي نأخذه عن الغرب ، وما الذي ندعه .

يجب أن نعرف ما هي الأقلام الذي تؤثر على نفوس قرائنا بالخير ، وما هي الأقلام التي تؤثر على نفوسهم بالشر .

يجب أن نعرف العناصر الصحيحة السليمة من ثقافتنا القومية وما تهدف إليه من مقاصد عالية وأغراض شريفة فنحييها ونبعث الحيوية فيها ونؤدب أبناءنا بأدبها ، وأن نعرف ما طرأ عليها من دسائس غريبة ، ودخائل شعوبية ، فنظهرها منها ونقي أجيالنا من أضرارها ومفاسدها .

يجب أن نعيد النظر في مناهجنا ونفحصها سلبا وإيجابا . لندخل فيها ما كانت تقام في وجهه السدود والقيود من ينابيع الخير ، ولنشذب منها النباتات الغريبة والبذور المؤذية .

إن ثقافتنا الأصيلة مظلومة ومجهولة منذ دهر طويل ، وقد ترك الدهر لنا منها شجرة شاخنة وكبرت ، وفيها الاستعداد العظيم لتجديد حيويتها واستئناف نمائها وازدهارها . وإن المدرس الذي تلقيناه من عصر إسماعيل إلى قيام الثورة ، يحتم علينا أن نكمل ثورتنا من ناحيتها الثقافية ، الناحية التي تستأنف منها العروبة نهضتها بالتعليم والثقيف ، فنهئ لها الجو الصالح ، لنستقبل به الجيل الصالح ، ويكون لذلك ما بعده إن شاء الله ما

حسب الدين الخطيب

نفحات القرآن

- ٤٥ -

العدل روح الحياة، وقوام المجتمع

- ١ - « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .
 ٢ - ولا يجرمكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .
 ٣ - اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » .

١ - من أبرز ما عني به القرآن توجيه المسلمين إلى الأخذ بالعدل بين أفرادهم وبين جماعاتهم ، وفيما بينهم وبين سواهم من غير المسلمين .

وتوجيهات القرآن - في كثرتها وفي قوتها - تدل على أهمية العدل في قوام الحياة الخاصة والعامة ، وتدل على أكديّة العدل في دعم الكيان القومي للشعوب ، وانتظام سياستها وسيادتها . . وإذا حسب حاسب أن اتجاه القرآن إلى ذلك مجرد دعوة أدبية ، أو هي محاولة نظرية إلى اجتذاب الناس نحو خلق طيب ، فقد غفل عن الواقع ، وتغاضى عن التجارب والأحداث . . وإنك ما تكاد تنظر في أمة ولا في شئون مجتمع إلا وجدت العدل أقوى أركانها إذا اشتد بناؤها وانهقد مجدها ، ووجدت الانحراف عن العدل معول هدمها ونذير انحلالها وطمس معالمها .

٢ - ولا تغفل : إن أمما ظالمة عاشت وتعيش في أبهة وصعود ، وسيادة وتضخم ، فإن سنة الله في ملكه منذ أبدع هذا الكون تأبى أن تكون للظلم دولة تدوم ، أو حياة تطول ، ومهما امتدت بها السنين فهي في حياة الشعوب لحظات ، وسنة الله آتية لا ريب فيها بتقويض معاقل الظلم ، وإن كانت صروحا شامخة ، أو جيوشا زاهرة .

« فكأن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » .

« ألم تركيف فعل ربك بعاد : إرم ، ذات العباد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصبت عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد » .

٣ - هذا : وللقرآن أسلوب عجب فى تربية المسامحين ، فأنت تراه يدعوهم إلى توثيق صلتهم بالله ، وتذكيرهم بما له من سلطان على عباده ، وبما عنده من مثوبة وعقاب . وتراه فى السياق نفسه يعرج بهم على شئون الدنيا ، ويوجههم إلى مسالكها المأمونة من العثار ، وإلى شرائعها الناجحة ، ويدفعهم دفعا قويا إلى أن يكونوا للدين وللدنيا جميعا .

وهو بهذا التوجيه المزدوج يبعد بنا - أولا - عن المادية المحضة التى ارتطمت فيها أم أخرى ، فذهبت شريعتها ضحية لشهواتها ، وكان تدينها زعما متلاشيا أمام جشعها . . . وكان طابعها التكالب على المادة ولو بوسائل تعافها الإنسانية النبيلة .

وبهذا التوجيه المزدوج يبعد بنا - ثانيا - عن رهبة روحية ابتدعها غيرنا فى دينهم قديما ، فكانت لزاما عليهم ، وقعدت - ظاهرا - بنفر من أتباعها عن التزود من دنياهم ، والأخذ بتصحيحهم مما أباح الله فيها من طيبات .

فلم يرض الله للمسلمين أن يتلطحوا بالمادية التى نفت أهلها سمومها فى كل بيئة شملتهم وكل جو يعيشون فيه . . . كما لم يرض لهم أن يتظاهروا برهينة تكون عقلا يكفهم عن النشاط فى الحياة الدنيا : والدين هنا وهناك ستار مهتوك ، وزعم مصطنع .

٤ - وانظر فى موضوعنا تجدد القرآن يخاطب المؤمنين فيقول « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط » . ومعنى ذلك : أن يلتزموا الوفاء بحقوق الله فى كل ما ناط بهم من عبادة وأدب ، وقصر النداء هنا على المؤمنين أشبه بما فعل أول السورة حين دعاهم إلى الوفاء بالعقود . . . وذلك : لأن الإيمان مظنة الاستجابة ، والمؤمن أولى من غيره بالتذكير والإرشاد . . . وفى إهمال غيره ونحر ، وتنديد ، وحث على المسارعة إلى الإيمان إذا عقلوا ، وأرادوا لأنفسهم خيرا .

ومع مطالبة المؤمنين بأن يكونوا قوامين لله : طواعية لأمره ، ووفاء بعهده ، فقد مزج القرآن بذلك شأننا من شؤون دينناهم ، وهو الشهادة بالقسط يعنى بالعدل التام فيما يقع بينهم من شهادات وأقضية ، وما يجرى لديهم من خصومات فى الأموال والدماء ، وكل ما يثور بسببه تنازع وخلاف .

ويبادر القرآن إلى تفهيم المؤمنين أن ذلك حق عليهم فى كل حالة ، ومع كل إنسان ، ولو كانت هناك أسباب عدائية يخشى معها الانصراف عن التزام العدل ، فإن العدالة تكليف منوط بذمة المؤمنين ، بل وغير المؤمنين وإن لم يتجه إليهم الخطاب ، والعدالة هى النقط الذى جرت عليه سنة الله فى معاملته خلقه : ألا تراه يرزق الفجار كما يرزق الأبرار ، ويلطف بالعصاة كما يلطف بالصالحين ، ذلك : لأنه عدل رحيم .

فهو يعطى الناس من عدله ورحمته ما يليق به هو ، وإن تجاوز ما يليق بهم ، والله يحب من عباده المؤمنين أن يكونوا على هذا النحو المجيد ، فلا يجعلوا العدالة مجاملة لصديق ، ولا الانحراف عنها وسيلة إلى التشفى من عدو .

وما زالت العدالة ركنا فى بناء الأمة ، وشعارا لنبلها ، ووسيلة إلى نجاحها وسيادتها على غيرها كما كان قديما .

وبعد ذلك الأمر فى جانب العدل يحىء نهى صريح عن تركه لسبب ما يكون بين الناس من خصومات « ولا يجرمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا » . وهذا النهى يعتبر توكيدا للأمر السابق .

فان من طبيعة النفوس أن تلتوى عمن يغاضبها وتقسو على من يخاشنها ، فإذا كان هناك جفوة بين إنسان وغيره ، أو بين قوم وقوم ، فربما استباح أحد الجانبين الانحراف عن الجادة المنشودة ، فلا ينطق بالصدق فى شأن غيره ، أو لا يشهد بالحق ، أو لا يحكم بالعدل . وهنا يضطرب الميزان الذى يستقيم عليه أمر الناس ، وينهار النظام الجماعى الذى يعتبر العدل أقوى أركانه ، إذ تفسد الذمم ، ويفشو سوء الظن ، وتتعطل المعاملات بين الناس عن التقدم .

ولذلك اعتبر القرآن عدم العدل خطيئة نكراء بل اعتبره إجراما . وقال فى شأنه :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » يعنى : لا يكن بغضكم لغيركم سبب لإجرامكم بعدم العدل معهم .

ثم تعود الآية بعد النهى فتؤكد الأمر الأول مرة ثالثة بطلب العدل « اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » تمسكوا بالعدل فانه جزء من التقوى الكاملة ، وهو أقرب الأجزاء إلى كمالها « واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » وهذا تأكيد رابع لما ورد الأمر به ، وفيه إشعار صريح بأن الله خبير بكل ما نعمله ، فمحاولة الانحراف عن العدل ، وتبرير الإنسان لما يبدر من مجافاته للعدالة ، غير خاف على الله .

وقد يقال : إن القرآن يطلب العدل على وجه السكال ، ويؤكد الأمر به غير مرة ، ولكنه فى آية أخرى يصرح بأن العدل غير مستطاع للانسان فى قوله تعالى :

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » فكيف يكون العدل التام غير مستطاع ثم يطلبه فى صيغ مؤكدة ؟ .

وجوابنا عن ذلك أن علاقة الزوج بزوجه علاقة معاملة وعلاقة محبة قلبية ، فاذا كان الرجل بين زوجتين فقد لزمه أن يعدل بينهما تماما فى حسن المعاملة ، وهذا أمر مقدور له .

أما المساواة بينهما فى المحبة فليست من عمله ولا مما يملك التصرف فيه ، وهو غير مؤاخذ على محبته لإحدى الزوجتين أكثر من الأخرى ، ولكنه مؤاخذ على عدم إحسانه فى معاملة إحداهما كما يحسن مع الأخرى ، وهو حينئذ يكون مال عنها كل الميل : مال فى حبه وقد غنى عنه ، ومال فى معاملته لها بالعدل وهو جريمته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى ذلك : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، يعنى فى المعاملة ، فلا تؤاخذنى فيما لا أملك : يعنى فى تفاوت المحبة بين الزوجات .

وبعد : فهذا مقام أمر الله فيه بالتقوى وبالعدل ، وذكر العدل بجانب التقوى يشهد بأن رعاية القرآن للجانب الروحى مقرونة برعايته للجانب الدنيوى ، ويشهد بأنه لا غنى للرء عن الأخذ بنصيبه من التقوى إذا استجاب ، ولا غنى للدنيا عن العدالة بين الناس ، إذا أرادوها دنيا طيبة مصنونة من الشوائب ، مكفولة البقاء فى أمن وسلام إلى ما شاء الله .

هذا وقد شهد التاريخ بأن المسلمين كانت لهم سيادة على بقاع فسيحة في جنبات الدنيا ، يوم كانت لهم عدالة مستمدة من كتابهم وهداية من جانب شريعتهم .

فلما أحاطت بهم الفتن ، وفترت فيهم الأحكام ، تبدل الوضع ، ووقف بنا المسير ، ولكن الله غيرة على دينه ، ورحمة بأهله ، فهو إذ يختبرنا ببعض بلائه يلفظ بنا في قضائه .

وإذا كانت مصر وهى وطن للإسلام ، ومعقل ضخيم من معاقله ، يساورها فى هذا الوقت شئ مما أراد الله أن يبليها به ، فإن الله سيكشف غمها ، ويشد أزرها ، ويحفظها بعونه من مكر خصومها .

فإن مصر ما ظلمت سواها ، ولا تحوشت بغيرها ، ولا بيتت كيدا لمن عداها ، ولكنها فى ظل السياسات الاستعمارية رضيت بعادات لا يرتضيها دينها ، وركنت إلى تقاليد ليست مما يلائمها .

وقد قيض الله لها أبطالاً من أبنائها يحاولون تصحيح أوضاعها ، وتطهير بيئتها ، وهم جادون فى ذلك ما استطاعوا .

ونحن نضرع إلى الله أن يكون معهم ، وأن ينجيهم كل مكروه ، ويعقد النصر بأيديهم ، وهو سبحانه يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء عن عباده . إنه سميع مجيب الدعوات .

عبد المظيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

جلوب يقول

خسرنا الشرق الأوسط

خطب الجنرال جون جلوب فى اجتماع الجمعية الملكية الامبراطورية فقال : إن بريطانيا خسرت الشرق الأوسط بأكمله . إن الشرق الأوسط حيوى لنا ، وإذا خسرناه وقفنا وظهورنا إلى الحائط فى أفريقيا ، لأنه الطريق إليها ، وبريطانيا تحتاج إليه لتجارها العابرة وللحصول على الزيت .

السيرة

حى على الجهاد

- ١ -

بين القول والعمل - من هدى النبوة -
 فضل الجهاد - تمنى الشهيد - من هو المجاهد؟ -
 فى الجهاد عز الإسلام ، ورفعته الوطن .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 دلنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده ! قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن
 تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟
 رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

حى على الجهاد ، حى على العمل .

بهاتين الكلمتين اختتمنا القول فى الحديث السابق : حديث الاقتصاد فى الوعظ ...
 وكأن ذلك - قبيل غارات العدو - إيدان أو إلهام من عالم الغيب والشهادة ، أنه قد
 جد الجدل ، فحق القصد فى القول ، والجهد فى العمل .

إن فضل القول على العمل هجنة ، وفضل العمل على القول زينة ، وما أكثر ما قلنا !
 وما أقل ما عملنا ! أفلم يأن لنا أن نغير ما بأنفسنا ، ليغير الله ما بنا ؟ ! وأن يكون فى منهاج
 حياتنا أن نقول ونعمل على سواء ؟ ! أما أن يكون من منهاجنا فضل العمل على القول ،
 فذلك من هدى الأنبياء والرسل ، ومن اهتدى بهم من الدعاة إلى الله عز وجل ---

إن خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ، لم يكن يسرد الحديث كسرودنا هذا ، وإنما

كان يحدث حديثاً بيننا فصلاً يحفظه من جلس إليه ، لوعده العاد لأحصاه ؛ وكان في الأعم الأغلب من أحواله صلوات الله عليه ، يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ، ليعامتنا - بالعمل - فضل العمل ، وليبني على خير أساس ، خير أمة أخرجت للناس ...

* * *

ولعل من حكمة الحكيم العليم ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، أن جعل لكل منا أذنين اثنتين ، ويدين اثنتين ، ولسانا واحداً في فم واحد ، ليسمع ضعف ما يتكلم ، وليعمل ضعف ما يقول . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ...

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى عمل الصالحات بعد الإيمان بالله ورسوله ، فقد وكد الدعوة إلى الجهاد توكيداً ، وحرض عليه تحريضاً ، وعده بعد أركانه الخمسة أجل الأعمال قدراً ، وأرفعها ذكراً ، وأفضلها مرتبة وشأناً « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة » .

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطمئنون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين » . هذا قبس من الذكر في فضل الجهاد والمجاهدين . .

* * *

فأما من أنزل إليه الذكر صلوات الله وسلامه عليه ، فقد بسط هذا الفضل وبيّنه أوفى بيان :

قال فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : من رضي بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا ، وجبت له الجنة ، فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها على يا رسول الله ، فأعدها عليه ثم قال : وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، قال : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، الجهاد في سبيل الله . وقال فيما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه : ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ! يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة ؛ وفي رواية : لما يرى من فضل الشهادة . . . إلى أحاديث صحيحة عجيبة في مكان الجهاد والمجاهدين ، سبقنا

بتبيينها السباق إلى الخير في هذه المجلة ، فكتب من جزئها السابق إحدى عشرة صفحة مشرقة في « الجهاد ... وتاريخه » وليست هذه أول مسابقة له في روضة السنة المطهرة .

* * *

لا عجب إذا بعد هذا الفضل الذي اختص الله به الجهاد والمجاهدين ، ألا يجد المجاهد الأكرم صلى الله عليه وسلم عملاً يعدل الجهاد في فضله ، ويساويه في منزلته ، بالغاً ما بلغ من الصالحات . . اللهم إلا اعتكافاً بالمسجد دائماً ، مع صلاة وصيام موصولين بالليل والنهار ، من غير فتور ولا إفطار . . . ومن يستطيع ذلك ؟ ! !

لأحد ؛ لأنه عمل فوق طاقة البشر . . . وما هو إلا مثل من الأمثال النبوية الرائعة لمنزلة الجهاد بين سائر الأعمال . . وأين من يشتري نفسه بعمل أى عمل كان ، ممن يبيعها وما لها راضية طيبة لدى الجلال والإكرام ؟ ! « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » .

وأهل ذلك الفوز العظيم — كما في السنة المطهرة — إنما هو من خرج من بيته ، لم يخرج به إلا إيمان بالله وتصديق بما وعد المجاهدين على لسان رسوله ، وكان جهاده لإعلاء كلمة الله ، وحماية دين الله ، روى الشيخان عن أبي موسى رضى الله عنه ، أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : الرجل يقاتل للغنم ؛ والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، وفي رواية : يقاتل شجاعة ويقا تل حمية ، وفي رواية : يقاتل غضباً ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

هذا الجهاد هو عمود الإسلام وقبته ، وسنامه وذروته ، فيه عز الإسلام والمسلمين ، ورفعة لواء الوطن خفاقاً في العالمين . . . و ثم ضروب أخرى من الجهاد ، لا بد منها ومن أسلحتها لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وموعده بيانها الجزء الآتي إن شاء الله .

* * *

أما بعد ، فإذا كنا ندعو إلى التقصد في القول ، والجد في العمل مع الإخلاص فيه ، فما أحرانا أن نستجيب لما دعونا ، وأن نلتزم ذلك في منهاج « السنة » ما استطعنا ، ضارعين إلى الله سبحانه أن يجعل ما نقول ونعمل حجة لنا لا علينا ، فانه لا حول ولا قوة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

طه محمد الساكت

سابق الروم

صهيب

سبق الحديث في هذا المكان عن سابق الحبشة « بلال » ومكانته في الإسلام ، فتناول الحديث ما عرف الناس من تقدير الإسلام للناس بأعمالهم ، ومقاومته للعصبيات الجاهلية حتى شلت ، ولم يكن لها شأن ما دام الإسلام في قوته وحيويته : فكان بلال يلى من أمور المسلمين ما لا يلى كبار الأشراف من العرب والصحابة ، وكان أسامة يقود الجيش وفيه مثل عمر بن الخطاب . ذلك أن الإسلام يقدر التقى المصلح المنتج على مقدار تقواه وإصلاحه وإنتاجه ولو كان حبشيا أو روميا أو فارسيا ، وينبذ المفسد العقيم ولو كان هاشميا عربيا ، قامت على ذلك الدلائل الواضحة ، والبراهين المشرقة ، فبينت أن الإسلام دين الخلود والمجد .

وفي هذا الحديث اليوم حديث عن أحد أولئك الذين أعزهم الإسلام بجدهم وإنتاجهم ، وبجهادهم وإخلاصهم ، لم يقدمهم نسب ولا حسب ، بل التقوى والعمل ، وهو صهيب الرومى .

وصهيب يختلف عن بلال في أمر النسب ، فقد رأيت أن بلالا من والدين حبشيين فهو أصيل في حبشته ، ولكن صهيبا - في بدء أمره ، وفي منشئه الأول - عربى من والدين عربيين ، فهو غير أصيل في روميته ، ولكنه أسرى في الروم وهو صغير ، فاشتراه عبد الله ابن جدعان صاحب حلف الفضول في الجاهلية ، ويقال إن ابن جدعان أعتقه وبعث به إلى النبي صلى الله عليه وسلم [١] .

وكان لهذا الإرسال الرومى أثره في صهيب العربى ، فقد استعجم وتكلم روميا وأوغل في ذلك حتى نسى عربيته وصار لا يحسن التعبير بها . والظاهر أنه طال مكثه في الروم

(١) ويقول ولده: إنه هرب من الروم إلى مكة فخالف ابن جدعان (المعارف ١١٤).

في تلك السن التي تنطبع فيها الصفات ، ويستمد إبانها التأثير بالبيئات ، فأخذ كثيرا من حلى الروم وأوضاعهم ، وغلبت عليه كثير من طباعهم ، وحتى تناسى الناس أنه عربي وصاروا يقولون « صهيب الرومي » ، وحتى أنكروا عليه عمر - إن صح الخبر - أن ينتسب عربيا .

روى البغوي عن يزيد بن أسلم عن أبيه قال : « خرجت مع عمر حتى دخلنا على صهيب بالعالية ، فلما رآه صهيب قال : يا ناس . يا ناس . فقال عمر : ما له يدعو الناس ؟ قلت : إنما يدعو غلامه يحنس . فقال له : يا صهيب ، ما فيك شيء أعيبه إلا ثلاث خصال ، أراك تلتسب عربيا ولسانك أعجمي ، وتكثني باسم نبي ، وتبذر مالك ، فقال : أما تبذير مالي فما أنفقته إلا في حق ، وأما كنييتي فكنايتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سبقتني صغيرا فأخذت لسانهم . وهذا وقد كنا نحرض على أن نعلم تلك الكنية التي ورد بها ذلك الخبر ، ولكن لم نعلم إلا هذه الإشارة في ذلك الخبر . (١)

وإذا فقد كان صهيب عربي الأصل ، وقالوا : إنه من أبوين عربيين ينتهي نسب أبيه إلى زيد مناة ، وينتهي نسب أمه إلى مالك بن عمرو ، وكتب الله سبحانه لصهيب كما كتب لغيره ممن وهبهم النفوس الحصية أن يكون ممن أسلم من قبل الفتح وقاتل ، بل من السابقين الأولين إلى الإسلام ، يوم كان الإسلام سبة في الجاهلين والكل جاهلون إلا من عصم الله ، وكان الإسلام حنة على الداخل فيه ، وبلاء عظيما على متعاطيه ، وكانت القوة الفاتنة في الكثرة الكثيرة ممن يعذبون المؤمنين ويفتنونهم بكل أنواع الفتنة فلا يسلم منها إلا كل معدن نفيس كريم ، كان صهيب في هذه الفئة التي وصفها الله سبحانه فقال : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقه لكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

وكان صهيب في أربعة فقط شرفهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو أشرفهم فوسمهم بسمة السباق ، ولم يسم بهذا الشرف الكريم غيرهم ، وهم : الرسول صلى الله عليه وسلم وثلاثة معه : صهيب وسلمان وبلال ، روى الحاكم والطبراني والبخاري بأسانيدهم إلى أنس رضي الله عنه ، وروى الطبراني بسنده إلى أم هانئ ، وروى ابن عدى بسنده إلى ابن عباس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) المجلة - كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا يحيى كما سيأتي في خبر هجرة صهيب .

« السابق أربعة : أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة » .

كان إسلام صهيب مع إسلام عمار في دار الأرقم بن أبي الأرقم التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم مختبأ للدعوة الأولى له ولأصحابه ، يقرون بها من الفتن في بدء الإسلام ، حتى يقبض الله سبحانه له النفوس التي أعدها لحمل هذا الدين الكريم ، يتخيرها من بين الناس تخيرا كما يتخير الثمر السليم الكريم من بين الأشجار ، فتختار أنفسها وأعزها .

وقد كان المحرمون من القوم الكافرين يتابعون النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع هؤلاء يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، وكانوا يقولون : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، ولو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقونا إليه ، ثم يهيجون عليهم السفهاء من الناس ليسخروا منهم ، وينالوا أقصى ما يمكن لهم من الأذى والشر . قال المفسرون في الآية الكريمة : « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب » إنها تشير إلى هؤلاء الفقراء المستضعفين : صهيب وعمار وبلال وخباب وأبي فكيمة وأمثالهم ، فقد كان الكفار يسخرون منهم ويقولون : لو كان محمد نبيا لاتبعه الأشراف منا .

ولعمرك أيها القارئ الكريم لقد علم المستحكون جميعا أن هؤلاء الأشراف هم البلية العظمى على الحق ، يأكلون ويتمتعون ويلهبهم الأمل ، قد طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ، فهم لذلك يتكبرون في الأرض بغير الحق ، فيصرفهم الكبر عن آيات الله : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل النى يتخذوه سبيلا » .

ولهذا قال هرقل لأبي سفيان يوم قدم إليه بالشام ليسأله عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته ليفصل في أمره في ضمن حوار له مع أبي سفيان : وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل .

على هذا كان جل المقدمين في الإسلام ، وأصحاب الخطوة الكبرى عند رسول السلام ، هم هؤلاء الفقراء كمنطق الحق والحكمة لامنطق أولئك المطبوعين من المترفين الحمل المهملين ويقولون أيضا في هذه الآية الكريمة : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين [١] » إنها أيضا تتصل بهذا المعنى وتتناول صهييا تناولا أوليا كما تتناول بلالا وعمارا وغيرهم ممن سبق التنويه بهم ، والإشادة بذكركم .

قال السكلي : قال الأشراف من قریش للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل لنا يوما ولهؤلاء الفقراء يوما ، قال : لا أفعل ، قالوا : فاجعل المجلس واحدا ، وأقبل علينا وول هؤلاء ظهرك ، فأنزل الله هذه الآية (ولا تطرد . .) والرواية عن مجاهد قالت قریش : لولا بلال وابن أم عبد - يعنى ابن مسعود - لباعناك ، فأنزل الله هذه الآية ،

وعن ابن مسعود : مر نفر من قریش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك ، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ فنزلت .

وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبى وقاص ما هو فى معنى ذلك ، وكثير غير ذلك مما يفيد أن الله يكرم هؤلاء الناس فينزل فى شأنهم القرآن يتلى على الناس ، ويغار لهم فيدافع عنهم ويدفع كل ما يوجه من نقد ضدهم . اللهم ارزقنا حب هؤلاء من حبك ، وأفض علينا فيضا مما أنعمت به عليهم ، إنه لا راد لفضلك ولا رب غيرك ، يا الله .

أيها القارئ الكريم : أترى إلى ما يكرم الله به المجاهدين فى سبيله المؤثرين لدينه ، الراضين بكل ما يصيبهم فى ذاته ؟ أفلا تستحث نفسك فتوقظها من غفلاتها . وفقنى الله وإياك .

ثم استمع إلى ذلك التبا الظريف مما يختص بصهيب وحده ، وهو ما ذكر أرباب السير والمفسرون فى حوادث الهجرة ، قالوا : هاجر صهيب إلى المدينة ليلحق بالسيد المنقذ والمعلم المصلح صلوات الله عليه ، ثم تبعه الكفار يحاولون أن يردوه إلى الكفر وهو يكره ذلك كما يكره أن يقذف فى النار ، ولكنهم لا يثنون عن وجهات الشر ومقاومة دعوة الحق ما أمكنت لهم الفرصة .

ساروا وراء صهيب بغيا وعدوا حتى أدركوه أو كادوا فنزل عن راحلته فى اعتداد المسلم العظيم ، واتجه إليهم بوجهه الكريم ثم نثر ما فى كنانته ، وأمسك بقوسه ثم قام فيهم منذرا يقول :

« يا معشر قريش : لقد علمتم والله انى لمن أركم رجلا ، وايم الله لاتصلون لى حتى أرمى بما فى كنانتي ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء . ثم افعلوا ما شئتم ، فما أبالى بكم » وأمام صيحة الحق ، وجبروت الإيمان الضخم خارت عزائم القوم ، وتراجعوا فى الحكم ، ورضوا بالأذى الهون من تافه عرض الدنيا واطمأنوا بها ، شأن من لا وجهة له ، وهو من استولى الشيطان على جنانته ، ونطق بالباطل على لسانه .

فقالوا : دلنا على بيتك وما لك بمكة ونخلى عنك ، يعنون أنهم لا يدافعون عن مبدأ وإنما يتلهون بالخسيس ، ويتشبهون عرض الدنيا فى أى لون وعلى أى وجه ، فدلهم على ذلك لأنه ما تركه وهو يفكر فيه ولا هاجر عنه وهو يتغيه . فيا لله وللايمان والكفر ، ويا لله وللرجولة والميوعة . وفى هذا نزلت الآية الكريمة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جبريل قد أخبره ونزل بالآية ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع . ثم تلا له الآية الكريمة ، فكان ذلك مما زاد إيمانه وأقر بما هو فيه عينه - أى والله ربح البيع . ربح البيع . وهكذا فليكن المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

كان صهيب من أهل بدر الذين غفر الله لهم ، وتحدثوا أنه لم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سرية ونقلوا عنه أنه قال : « لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة قط إلا كنت حاضره ، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها ، ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم ، ولا وراءهم إلا كنت وراءهم . وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى وبين العدو قط .

وبعد - فهل معنى ذلك أنه كان أشجع من على - الذى يقول : « كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحديق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم » أم لعله التضحية بالنفس فى سبيل رسول الله والتفدية له ، على أن عليه رضى الله عنه إنما قصد شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم الخارقة وإيمان أصحابه بأن الله أن يصيبه وإن يتخلى عن نصره أبدا ، مها يكن فأن ذلك كله مما نحاول به تصوير صهيب فى صورته الإسلامية ومزايه السامية التى قل أن يزاحم فيها ، على أن فيها درسا للتواكلين المتخاذلين الذين يخافون كل شىء ، فما هم من الدين فى شىء .

ثم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فيكون صهيب على صفاته الأولى لا تغيير ولا تبديل ، وعلى عهده مع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فهو على منزلته التي كانت في نفس الرسول عند أصحابه صلوات الله عليه . ويدع لنا التاريخ بخوة من حياته فلا يفصل الأمر فيها . ولكن حسبك أن تعلم أنه كان ممن يسلكون سبيل الطاعة ، ولا يعرف له نفس في خلاف أو خصومة أو شغب ، ثم تعلم أن عمر رضى الله عنه استخلفه على الصلاة فصلى بالناس بعد عمر ثلاثة أيام ، وهذا كما استخلف النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الصلاة فرضيه المسلمون خليفة ، وهذا تقدير عجيب مدهش يضع صهيبا في الصف الأول وفي أوائل الصف الأول ، فلعل الذي منع عمر أن يجعله في الستة أصحاب الشورى أنه ليس من قريش وكان الأئمة من قريش ، ثم هو إذ منع أن يوليه الخلافة فإنه ولاه أمر من تنحصر فيهم الخلافة من المسلمين ، ثم ولاه حق القتل على من شذ على الجماعة منهم ، أو خرج على الكثرة في رأيهم . وبعد - فما أنت يا صهيب !! إن الذي أنزل القرآن على نبيه في آيات كثيرة من شأنك ، لقد أنزل في قلوب أصحاب القرآن أن يقدروك حق قدرك ، وعلى مقدار ما نزل فيك من القرآن المتلو . وكل ذلك لقد كان جديرا أن يحمده في نفوسنا معنى تقدير الإسلام للناس وترتيبهم على مقدار إخلاصهم ووفائهم للحق جل شأنه ولدعوة الحق من عنده ، لا كما زعم الجاهل المتعصب حين يقول في أمر عمر :

هذا صهيب أم كل مهاجر وعلا جميع قبائل الأنصار

لم يرض منهم واحدا لصلاتنا وهم الهداة وقادة الأخيار

نعم إن عمر رضى الله عنه لم يرض منهم واحدا للصلاة وهم القادة الهداة ، لأنه رأى في صهيب ما رأى من المزايا التي يفوق بها هؤلاء ، على أنه لو قدم واحدا من أولئك القادة المصطفين لربما أطمعه ذلك في أمر الخلافة ، وقد يعزز هذا المعنى ما ورد من أن عمر رضى الله عنه لما مات وأخرجت جثته تصدى على عثمان أيهما يصلى عليه ، فقال عبد الرحمن : كلا كما يحب الإمرة ، لستما من هذا في شيء ، هذا صهيب استخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس ، فصلى عليه صهيب .

كانت وفاة صهيب سنة ثمان وثلاثين في رواية ابن قتيبة وهو ابن سبعين سنة فدفن بالبقيع وله من الأولاد حمزة وصفي وعمارة .

قال الواقدي : كان صهيب رجلا أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير ، وهو إلى القصر أقرب ، كثير شعر الرأس ، يخضب بالحناء والكتم ، وكان مزاحا ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا كل تمرًا وبك رمد ؟ فقال : يا رسول الله إني أمضغ بالناحية الأخرى . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم منه . رحم الله صهيبا ما محمود النورى

فروسية الشباب في الاسلام

لقد طبع الإسلام الشباب على حياة الفروسية وأخلاق الفتوة... والفروسية في الأصل هي المهارة في ركوب الخيل والخبرة بشئونها ، ولكن معناها العرفي اتسع حتى صار يشمل طائفة من الصفات في الجسم والعقل والنفس ، وتكلم الفروسية بأمور هي : القوة في الجسم ، والصحة في المعرفة ، والعمق في الفهم ، والرقّة في الحس ، والظهر في النفس ، والحدق في التصرف ، والاطمئنان عند الغرم ، والتواضع عند الغنم ، والثقة بالخالق ، والخدمة للمخلوق .

وقد رمز القرآن الكريم إلى أصول هذه الأمور حينما قال يصف النبي والمؤمنين معه : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

فهم أشداء أقوياء بفتوتهم وعدتهم ، يصدون الكافرين عن الضلال والطغيان ، وهم رحماء بينهم ، يعملون بمكارم الأخلاق من يستحقها ، والرحمة صفة تقتضى رقة في الحس وأدباً في النفس ، وتراهم راكعين ساجدين متعبدين ، يصقلون أرواحهم بهذه الصلاة ، وتلك المناجاة مع الله ، وهم يرجون الرضى والثواب من الخالق الوهاب ، وترى ملامح التقوى على وجوههم ، لأن طهارة الداخل تفيض أنوارها على الظاهر فيبدو حسناً رائعاً ، وهم كالزراع إذا نما ، وقوى واستوى ، وأعجب بكثرة وقوته وجمال منظره ، وهم مؤمنون محسنون ، يعملون الصالحات ، ويحتنبون السيئات ، فيحمد الناس لهم طباعهم وفعالهم ، ويمجّزهم ربهم بالخير العميم والأجر العظيم ...

فهذه الصورة التي رسمها القرآن لمحمد وصحبه تتضمن تحريضاً على العناية بتربية النفس تربية قوية فيها من مبادئ الفروسية صفات القوة والتماسك ، والرحمة والتواضع ، والثقة والإيمان ، والتزام الطهر والعمل الصالح والخلق الكريم .

وحينما قال الله لرسوله : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ، بأنهم قوم لا يفقهون » أراد من هؤلاء المؤمنين أن يحققوا في أنفسهم ما يجعلهم أهلا لتلك الغلبة الفذة والانتصار الفريد ، من التربية العسكرية ، والإقدام على التضحية ، واتقان الجهاد ، والثبات في مواطن البأس ، والتمسك بمبادئ الفروسية الإسلامية التي لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو في الوقت نفسه لا يضل ولا يطغى . . .

* * *

ولقد خص الإسلام فروسية الشباب بمزيد من عنايته ، فحث أبناءه على تعلم السباحة والرمية وركوب الخيل ، وغير ذلك من ألوان الفتوة الرياضية ، وشرع السباق في العدو ، وبين الفرسان على الخيل أو الإبل ، واشترك النبي صلوات الله عليه في هذا ، حين تكرر منه مسابقته لزوجته السيدة عائشة ، ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفصيل ، وعود صحابته التواضع عند النصر مع الاستعداد للتحدي ، فعن سلمة بن الأكوع الصحابي قال :

بينما نحن نسير ، وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبدا ، بفعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ . فقلت : أما تكرم كريما وتهاب شريفا ؟ . قال : لا ، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي ، ذرني أسابق الرجل . فقال : إن شئت . . . فسبقته إلى المدينة ! . . .

* * *

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه القدوة العليا لكل فتى فارس ، فقد كان سيد الفتيان وإمام الفرسان . كان قوى البدن ، مقتول العضل ، نشيط الحركة . يقول أبو هريرة : « ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه ، كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث » .

وكان جريئا مقداما . . . فزع أهل المدينة ليلة من صياح سمعوه ، فخرجوا يستطلعون النبا ، فإذا هم يجدون رسول الله عليه صلوات الله وراكبا جوادا عاريا لأبي طلحة ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وعرف جليلة الأمر ، ورجع يطعمهم قائلا : لن تراعوا ! . . .

وصارع أشد العرب بأسا ، كركانة بن عبد يزيد وكلدة بن أسيد ، ففاز وغلب دون

مباهاة أو نخر ، وثبت في مواطن البلاء حتى احتفى به فرسان قومه دون طغيان أو كبرياء ، وهو مع هذا - كما يقول القرآن - رءوف رحيم .

وقد علم صحابته العناية بالخيول ، لأنها من وسائل الفروسية ، وقال : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » ... والقرآن يذكر هذه العناية حين يقسم بالخيول الجارية المجاهدة ، المغيرة على باطل الكفر ، المشرية تراب الهزيمة على الشرك ، فيقول : « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لكنود » .

وعلم أتباعه حياة الإعداد والاستعداد ، والتأهب للنوازل والملمات بالسلاح والعتاد ، فقال : « تعرض أعمال بني آدم كل اثنين وكل خميس ، فمن زاد في سلاحه زيد في حسناته ، ومن نقص من سلاحه نقص من حسناته » ؛ والقرآن يذكر هذا بقوله الجليل : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . وإعداد المستطاع من القوة هو شعار الفروسان ، ومنهج السكلمة من الفتيان ...

* * *

إن الفروسية السكلمة معناها الاستقامة على طريق القوة والعدل والخير ، وهذا هو منهج الإسلام في الحياة ... يقول الله مخاطبا عباده المسلمين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ويقول لهم بعد أن يوصيهم بحامد الأعمال ومكارم الأخلاق : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ! ...

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

أحياء العلوم

ونهضاتها المختلفة في ثقافة أوروبا

مستقاة من معين الثقافة الإسلامية

لا جدال في أن الثقافة الإسلامية منبثقة عن العقيدة الإسلامية ، والعقيدة الإسلامية دين ومذهب ورأى للمسلمين الذين ظهرُوا في مطلع فجر الإسلام ، ثم صارت لهم إرثاً يتوارثه الخلف عن السلف حتى يومنا هذا وحتى يكشف القمران ، وتسكن هذه الأرض عن الدوران .

فالقرآن الكريم نهض بمستوى الإنسان إلى طور يستطيع به النظر في الكائنات والتدبر في الآيات المتلاحقة بعد الآيات ، ووجهه إلى البحث في الوجود وآفاقه والتدبر في معالم هذا الكون بشتى أطرافه ، وحث الإنسان على التفكير والتأمل والتجديد في استخلاص عبره والكشف عن مغالقه « أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى » ، « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

فالثقافة الإسلامية قبل أن تنتقل إلى أوروبا بفعل الفتوح الحربية تركت في بلاد الشرق تركزا قويا ، حتى لا يزال أثرها ماثلا فيه إلى يومنا الراهن ، فالثقافة العربية لم تقف في الشرق عند حدود بلاد العرب والشام وما جاورها من البلدان ، وإنما تجاوزتها إلى الهند والصين على يد التجار من العرب والمهاجرين من الفرس والغازين من الترك والمغول ، فالعرب نقلوا في رحلاتهم التجارية طائفة كبيرة من المعارف إلى تلك البلاد ، حتى إن دخول الشرق الأدنى والأوسط والهند وجزء من الشرق الأقصى في الإسلام أدى إلى

ثورة فكرية في الأدب والثقافة ؛ والرقى الذى طرأ بآفة على جوهر اللغة العربية فأحالها إلى لغة مكتوبة مهذبة ، مع أن الخط كان فى ندرة مدموسة ، وأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز ، ولم يكن هناك معجم عربى يضم بين دفتيه الألفاظ المتداولة ، شأن معاجم اللغة ، ولم يكن هنالك كتاب يهتدى به الحائر فى قواعد النحو والصرف ، وبالرغم من أن الفتوح الأولى للقوات الإسلامية فى الهند لم تذهب بهم بعيدا داخل البلاد الأجنبية فإن خلفاءهم فى القرن العاشر استطاعوا أن يتوغلوا بالإسلام إلى مسافات بعيدة داخل الهند ، إلى أن كان القرن الثالث عشر فرأينا أن أول ملك تبوأ عرش دهل كان ملكا مسلما . وكان الهنود قبل الإسلام وثنيين ، وكانت آدابهم خليطا من الهندوكية والبوذية ، ولما تزعج الأتراك الموجودون فى أواسط آسيا إلى الهند ونشروا الإسلام كان هؤلاء الأتراك يتكلمون التركية بينما كانت ثقافتهم فارسية ، وهى تلك الثقافة الحديثة التى ظهرت بآفة فى بخارى .

فعلى هذا القياس يكون الإسلام قد أدخل فى الهند لغتين : العربية لغة الدين ، والفارسية لغة الشعر ، إلا أن العلاقة الوثيقة بين اللغة الفارسية واللهجات السائدة فى الهند الشمالية هى السبب فى أن مسلمى الهند قد اختاروا الفارسية واسطة لآدابهم دون العربية والتركية ، واستمر الحال كذلك حتى القرن الخامس عشر إذ لم تصل اللغة الأردية وهى خليط من الهندية والفارسية إلا فى ذلك القرن . ولم يك مسلمو الهند قادرين على تذوق السمو الذى امتازت به العربية بالسرعة التى كانت عند غيرهم من الفرس ، إلا أن الإسلام صبغ العدد العظيم من الهنود بصبغة العقيدة الإسلامية .

وكان من أثر الثقافة الإسلامية عند الهنود أن هفت الأذهان إلى تدوين تاريخهم ، وكان نتيجة ذلك أن دونت أخبار جميع ملوك دهل ابتداء من القرن الثالث عشر ، بعد أن كان التاريخ يعتبر أمرا عاديا فى نظر المفكرين والفلاسفة . وهذا هو السبب فى أن التاريخ الهندى القديم قد جمع بصعوبة عظيمة ، وكان الاعتماد فى جمعه على ما عثر عليه من السكة والتماثيل دون أن يكون هناك مخلفات كتابية . يقول السير ونسون روس مدير مدرسة اللغات الشرقية بلندن : « الأثر الذى تركته اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى عقول مسلمى الهند والفرس والأتراك كان أجمل شأنا وأعظم خطرا من الأثر الذى تركته اللاتينية فى عقول الأدباء من أهل أوروبا فى القرون الوسطى » إلى أن يقول : « ومع

أن اللاتينية كانت الواسطة للكتابات الدينية والعلمية فلم تكن لها ميزة كبيرة في الثقافة حيث كان يوجد في أوروبا قبل حركة إحياء العلوم لغات كثيرة اصطبغت بصبغة البيئة التي وجدت فيها ، ولم يكن الأمر كذلك في اللغة العربية ، فان العربية قد أمدت المستنيرين في أواسط أوروبا بثقافة جديدة من كل الوجوه ، وفتحت أذهانهم إلى علوم حديثة لم يألفوها من قبل . »

وإذا اتجهنا بعد الهند صوب فارس نجد أنه بالقضاء على الديانات القديمة ، وبحلول العربية محل اللغات القديمة في المسائل الأدبية ، ثم باستبدال الثقافة الإسلامية بكل ما يرجع في أصله إلى الثقافة الآرية ، كل هذا يدفعنا إلى القول بأن العربية قد أمدت بلاد فارس بخزائن جديدة من العلم أو قل : أمدت الفرس ببعث قومي جديد مع ثقافة حديثة .

ومما يدعو إلى العجب العاجب أن الإغريق وقد حكموا الفرس نحو قرنين لم يتركوا فيها أى أثر أدبي ، كما أنهم لم يتركوا شيئاً من هذا في الهند ، كذلك لم يترك فتح الفرس لمصر أى أثر في تلك البلاد، ولكن دخول هذه البلاد تحت نفوذ المسلمين جعلهم يستسلمون طوعاً لحكمهم ولدينهم ثم لثقافتهم .

ولما كان العرب قد أسهموا في كل شأن من شئون المدنية ، فلم يمتز قرن على فتحهم حتى كانت أكثر البلاد المفتوحة على دينهم . وإن نظرت إلى اللغة رأيتهم هيئوا لغتهم لكل حديث ووسعوها — وهى البدوية الأصل والمنشأ — حتى زحمت الفارسية في فارس ، والرومانية في الشام، والقبطية في مصر ، وسارت مع الدين جنباً لجنب ، كلما سار الدين وظفر سارت اللغة وظفرت . وإن نظرت إلى النظم والتشريع وجدت أن الفقهاء في كل قطريوسعون مذاهبهم حسب الحاجة وحسب الإقليم الذى حلوا فيه ، ونشروا مع ذلك قوانين لاتزال إلى اليوم محل إعجاب المشتريين . وإن التفت إلى العلم رأيت أنهم في كل فرع من فروع العلم أخذوا بحظ وافر ، لم يمنعهم دينهم أن يأخذوا عن وثني اليونان المعقول من فلسفتهم ، ولا عن النساطرة طبعهم ، ولا عن اليهود أخبار أنبيائهم وعلمائهم ، وأبلوا في العلم بلاء لا يقل عن بلائهم في الحرب ، ثم استحدثوا من كل ذلك ثروة علمية طائلة تداولوها بالنقد والشرح، وضموا إليها ما أوحته نظريات دينهم من العلوم الإسلامية والمذاهب الدينية . ومن هنا نعلم أنه من العبث أن يحاول كاتب في التاريخ الخط من شأن

العامل الديني في التطور الاجتماعي ، وأن يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها . ومن أجل هذا كانت الثقافة الإسلامية نتيجة العقيدة الإسلامية ، فإن هي اتجهت إلى الاستغناء بالفلسفة اليونانية والآداب الفارسية والهندية ، فلأن الدين حملها على ذلك ، وطلب منها أن تزود من العلم حيث كان ولو في الصين ، وأن تأخذ الحكمة من المشركين « والحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى يجدها » .

لقد غرس الإسلام في نفوس أصحابه بذورا تأصت فيهم ، فكانوا إذا اقتبسوا من الفلسفة اليونانية أو أية ثقافة أخرى لم يكونوا مقليدين تقليدا صرفا ، إنما كانوا دائما يعملون العقل فيما نقلوا ، ويعملون العقيدة الدينية فيما قرأوا . فإذا نظرنا إلى كتب الفارابي وابن سينا وابن رشد رأيناهم لم يبقوا موقف التلميذ خصب ، بل نقدوا وزادوا ، ووفقوا بين الفلسفة والدين ، وأمدوا كل شيء أخذوه من عندهم ، فكان لثقافتهم طابع خاص وشارة تعرف بها ، حتى المنطق اليوناني الذي دانت له كل الأمم زاد الغزالي في بعض كتبه ككتاب محك النظر فصولا عن القرآن ، وابن تيمية وابن حزم وغيرهم نقدوا منطق اليونان وعدوه منطق شكل لا منطق مادة .

فدعوى أن المسلمين في ثقافتهم كانوا حافظة للثقافة اليونانية أكثر منهم مبتكرين لثقافة خاصة ، دعوى أملاها عدم الدراسة للثقافة الإسلامية دراسة وافية .

لذلك لما انتقل الإسلام إلى أوروبا بدأت الدنيا تتقلقل كأنما مر بقدمه على مركزها فضغطها فخركما ، وكانت خطواته تخط في الأرض بينما معانيه تخط في التاريخ ، وظل الإسلام ماضيا في طريقه لا ينحرف ، ومعزما لا يتحول . فقد اتصل المسلمون بالأوروبيين في الأندلس اتصالا وثيقا واتخذ علماءهم فلاسفة المسلمين أساتذة يتعلمون منهم ويدرسون عليهم ، ونشطت حركة واسعة النطاق لنقل أمهات الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ، وهي لغة الأدباء والعلماء في القرون الوسطى ، حتى إن كثيرا من مؤلفات ابن رشد المترجمة إلى اللاتينية لا نجد أصلها بالعربية ، وكان من أشهر من قام بهذه الحركة : « ريموند » الذي كان مطرانا لطليطلة من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٠ ، فقد أسست جمعية لنقل أهم الكتب الفلسفية والعلمية بالعربية إلى اللغة اللاتينية ، حتى بلغ ما ترجمه من اللغة العربية ثلاثمائة كتاب كما أحصاها الدكتور « سكلارك » في كتابه تاريخ الطب العربي . وكان أكثر ما ترجم كتب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن رشد وابن سينا والفارابي ، وكان من أثر

هذه الجمعية أن رأينا منطق أرسطو المترجم من العربية إلى اللاتينية يدرس في باريس بعد ثلاثين سنة من عمل هذه الجمعية ، وأمر لويس الحادى عشر عند ما نظم برامج التعليم سنة ١٤٧٣ بادخال فلسفة ابن رشد ضمن مناهج التدريس .

ولقد ظلت هذه الكتب المترجمة تدرس في جامعات أوروبا مدى خمسة قرون، وظلت فلسفة ابن رشد تدرس في جامعات فرنسا وإيطاليا وعلى الأخص « بادو » و « بولونيا » ابتداء من القرن الثالث عشر م

عباس طه
المحامى

نشيد الجهاد

بني النيل هيا فلبوا النداء وكونوا لمصر جنود الفداء
إذا هي نادت ورف اللواء فهبوا سراعاً لبذل الدماء
لتحيا البلاد ويعلموا البناء وتبلغ مصر عتاف السماء

* * *

وكونوا صفوفاً تصد العدا وتسقى الدخيل كؤوس الردى
وكونوا السلاح وكونوا اليسدا ليصبح واديكمو سيديدا
وكونوا لمصر السنا والهدى تنالوا المعالي والسؤدد

* * *

هلموا لنيل العلا والخلود فقد قاد مصر الأباة الأسود
وقد حطموا في البلاد القيود وثاروا بعزم وهزوا الوجود
وراحوا يعدون عند الحدود هيباً رهيباً يبيد اليهود

* * *

ويرفع للعرب أقوى عماد ويدفع عنه الأذى والفساد
ويجمع أبناءه في الجهاد فتنبو العروبة في كل واد
ويرهب سطوتها كل عاد وتبلغ أقصى المنى والمواد

محمود محمد بكر هلال

رئيس اتحاد خريجي الأزهر بمديرية سوهاج

مؤامرات اليهود الغادرة

في مقالات سابقة نشرت في هذه المجلة « الزهراء » تحدثت عن بنى إسرائيل وما امتازوا به من غلظ الطبع وقسوة القلب وشكاسة الأخلاق وانتكاس الفطرة والخروج على كل المقررات الدينية والخلقية والأدبية ، وأنهم قوم مرنوا على نقض العهود وخيانة الأمانات والتنصل مما يلتزمون به في سبيل عرض مادي زائل أو شهوة عارمة مفسدة .

ولم أكن قد تحدثت عن مؤامراتهم الغادرة التي حاكوها للإسلام ونيبه ، والعرب الحاملين لواءه ، هذه المؤامرات التي أسفوتوا فيها إسفافاً نزلوا بسببه إلى أحط الدرجات الحيوانية البهيمية .

* * *

وقد أذكرني ما قام به يهود إسرائيل اليوم من خسة وغدر وخيانة على حدود مصر - كنانة الله في أرضه - إرضاء لنزواتهم الحمقاء الطائشة ، ولأعوانهم وصانعيهم من الانجليز والفرنسيين ، ما قام به أسلافهم بالأمس من سلسلة المخازي والفضائح والمؤامرات الدينية نحو الإسلام والمسلمين والعرب ، فهي شذوثة نعرفها من أخزم ، أليس هؤلاء الكفرة الفجرة إخوان القردة والخنازير ؟ أليسوا من سلالة أولئك الغادرين من يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وغيرهم الذين لم يدعوا وسيلة من وسائل الكيد للإسلام والمسلمين إلا سلكوها ؟ لقد حاولوا ما وسعتهم الحيلة أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون الخاسئون ، وقد أمنهم نبي الإسلام على دمائهم وأموالهم وعقائدهم ، فكان جزاؤه منهم أن تألبوا عليه وألبوا غيرهم وهموا بقتله ، لولا أن الله عصمه منهم ، ولما أعبته الحيل في إصلاح حالهم وتقويم أخلاقهم المزدولة وسلبوكم الشائن الحقير لم يجد بداً من إجلالهم من الأرض التي وسعتهم قبل تشريدهم ، والتي دنسوها بأقدارهم ونذالاتهم .

* * *

لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاهد اليهود معاهدة سلم وأمان ، فلا يحاربهم

ولا يحاربونه ، ولا يعينون عليه ولا يؤذون أتباعه ، وكان ممن عاهد بنو قينقاع ، فماذا كان منهم بعد هذه المعاهدة ؟ كان من أمرهم أن امرأة من العرب قدمت بحليب لها فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجلسوا يريدونها على كشف وجهها !!! فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا منها ، فصاحت واستغاثت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ وكان يهوديا فقتله ، فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون لما حدث ، ووقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع بعد أن كشف اليهود لهم عن خبيث طويتهم ونذالة نفوسهم وتجردهم من المروءة الإنسانية ، واستبان لرسول الله أنهم قوم لا أمان لهم ، وأنهم يتحينون الفرص للوقعة بالمسلمين والنيل منهم ، فلم يجد بدا من محاربتهم بعد أن نقضوا العهد . ومع أنهم كانوا هم البادئين بنقض العهد بفعلتهم الشكراء أخبرهم بنقض العهد الذى كان بينه وبينهم تأديبا بأدب القرآن فى هذا : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين (١) » .

ثم حاصرهم هو والصحابه حتى نزلوا على حكم الله ، فاستشار الرسول كبار الصحابة فأشاروا بقتلهم ، وكان لهم حليفان : عبادة بن الصامت من خيار المسلمين ، وعبد الله ابن أبى راس المنافقين ، فأما عبادة فقد تبرأ إلى الله ورسوله من فعلهم وقال : « يا رسول الله أتولى الله ورسوله » ، وأما ابن أبى فقد سعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن فى موالى ، فأعرض عنه . ثم كرر مقالته فأعرض عنه . وما زال يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرجوه أن يعفو عنهم حتى قبل رجاء فيهم على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية والمسلمين الأموال ، ووكل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عبادة بن الصامت رضى الله عنه باجلأئهم ، وأمهلهم ثلاث ليال ، فذهبوا إلى أذرعات . وبذلك أزال الله سبحانه عن المسلمين شر شوكة من الشوكات الثلاث التى كانت فى ظهور المسلمين آنذاك .

وفى شأن ابن أبى وموالاته لهم ، وعبادة بن الصامت وبراءته منهم ، أنزل الله آيات كريمة لتكون درساً للمسلمين يعلمهم من يوالون ومن لا يوالون . فقال : « يا أيها الذين

آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فىهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » إلى قوله : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » [١] .

* * *

ولم يكن بنو النضير بأقل عداوة للإسلام والمسلمين من بنى قينقاع ، بل كانوا أشد حقدًا وأسعى منهم فى الأرض فسادا حينما هموا بازهاق النفس الزكية ، نفس النبي عليه الصلاة والسلام الذى أرسله الحق جل شأنه هداية للخلق وإصلاحا للسكون ورحمة للعالمين . ذلك أن عمرو بن أمية الضميرى قتل رجلين من بنى عامر ظنهما محاريين ولم يشعر بعهدهما الذى لهما من رسول الله ، فقال له الرسول : « لقد قتلت رجلين ، لأدينهما » ثم خرج إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، وكان بين بنى عامر وبين بنى النضير حلف وعهد ، فلما أتاهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قالوا له : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت . ثم خلا الشياطين بعضهم إلى بعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة ، وكان رسول الله قاعدا إلى جنب جدار من بيوتهم ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك الشقى عمرو بن جحاش بن كعب . فقال : أنا لذلك ! فصعد ليلقى الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى . فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة ، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه . فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله حتى انتهوا إليه فأخبرهم بما كانت يهود اعترمت القدوم عليه ، فبعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه محمد بن مسلمة أحد الصحابة الأجلاء يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصرة .

وقد ذكر الله سبحانه هذا فى قوله : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ، وإن

قوتلتم لنصركم ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون (١) » وقد اغتر اليهود بوعد المنافقين الكاذب ، وأعلموا الرسول أنهم لا يخرجون ، وناذوه بنقض العهد ، فلم يجد الرسول الكريم مناصا من محاربتهم وتأديبهم ، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وأمر أصحابه بالتهيب للمسير إليهم ، فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال فتحصنوا في الحصون وتبينوا كذب وعود المنافقين الذين كانوا وإياهم كالشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني برىء منك . وقذف الله في قلوب بني النضير الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) . فقبل منهم الرسول وترفق بهم وأمهلهم في الجلاء ثلاث ليال ، فسار بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى أذرعات ، وبذلك أراح الله المسلمين من شر مستطير وقاهم شر الغدر والخيانة من هؤلاء الخبثاء المناكيد . ولو أن هؤلاء الأشرار نجحوا في مكيدتهم لقضوا على الإسلام في مهده ، وأى خسارة كانت سيمنى بها العالم لو لم يستضئ بنور الإسلام وتعاليمه ؟ ؟

وها هم اليهود الأذال اليوم يعيدون سيرتهم الأولى ، ويمالئون الانجليز والفرنسيين ، ويطعنون جنود الكفانة من ظهورهم وهم يواجهون الأعداء ، ويحاولون أن ينالوا من زعماء المسلمين والعرب الذين وحدوا الأمة العربية وكتلوها وفوتوا عليهم مآربهم وأغراضهم الدينية . وقد كان ربك لهم بالمرصاد فرد كيدهم في نحرهم ، وفوت عليهم ما يبتغون ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

فهل يعيد التاريخ سيرته ، ويقذف المسلمون والعرب برذالة البشر وحثالة الشعوب يهود إسرائيل في أعماق البحر ، وتعود الأرض المباركة إلى أربابها وأصحابها ؟ ذلك ما نرجو ، وما ذلك على الله بعزيز .

وبحسبنا هذا اليوم . أما بقية الحديث عن وإمرات اليهود وما جرته عليهم من بلاء وتشريد ففي مقال آت إن شاء الله ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

لغويات

لتعن بأمر فلان

قد يحتاج إلى الأمر من عنى ونحوه مما يأتي مبنيًا للمفعول ولا يعرف فيه البناء للفاعل ، وقد يخفى هذا على بعض الخاصة ، وقد وقع في الخطأ فيه علامة قديم من رواة اللغة العربية يعد جبلا من جبال العلم وعلماء من أعلامه هو أبو عبيدة معمر بن المنثري المتوفى سنة ٢٠٩ صاحب مجاز القرآن والنقائض بين جرير والفرزدق وغير ذلك من أمهات كتب اللغة والرواية . حدث أبو عثمان المازني قال (١) : كنت عند أبي عبيدة فسأله رجل فقال له : كيف تقول : عنيت بالأمر ؟ فقال : كما قلت : عنيت بالأمر . قال : فكيف أمر منه ؟ قال المازني : فغلط وقال : اعن بالأمر . فأومأت إلى الرجل : أن ليس الأمر كما قال ، فرأى أبو عبيدة فأمهلت قليلا فقال : ما تصنع عندي ؟ قلت : ما يصنع غيري . قال : لست كغيرك ، لا تجلس إلي . قلت : ولم ؟ قال : لأنني رأيتك مع إنسان خوزي [٢] سرق مني قطيفة . قال : فانصرفت وتحمأت عليه باخوانه . فلما جئته قال لي : أدب نفسك أولا ، ثم تعلم الأدب .

وتذكر رواية أخرى أن المازني لما خلا بالسائل قال له : إنما يقال لتعن بحاجتي ، ويقول المبرد : الأمر من هذا باللام لا يجوز غيره ، لأنك تأمر غير من بحضرتك كأنه : ليفعل هذا ، يريد المبرد أن صيغة الأمر إنما يتوجه للفاعل ، وعنى في صورة المبني للمفعول المحذوف فاعله ، فالأمر إنما يتوجه إلى الفاعل المحذوف ، والفاعل هنا يعوزنا ،

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت ١٠٩/٧ طبعة الحلبي واللسان في (عنا) .

(٢) منسوب إلى الخوز ، وهم أهل خوزستان في بلاد إيران . ويقول ياقوت في معجمه : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » يريد أبو عبيدة أن المازني يصاحب سقاط الناس فليس أهلا أن يفيدته علما .

فوجب الأمر بغير صيغة الأمر وهو الأمر باللام ، وهي قد تدخل على غير الفاعل ، كما تقول : ليخرج فلان تأمر بذلك خادمك أو عونك . ولا يفوتني هنا أن يتنبه القارئ إلى حسن تأديب أبي عبيدة تلميذه المازني ، وأن الأدب أدبان أدب النفس وأدب الدرس ، وأن الأول أولى بالتقدمة والاعتداد من الثاني ، وأن هذا لا يغض شيئاً من أبي عبيدة .

وقد دعاني إلى هذا البحث أن هذا الخطأ لا يزال يقع فيه بعض المثقفين . فقد جاء في مجلة الكتاب (شهر نوفمبر ١٩٤٧) الشعر الآتي للأستاذ أنور العطار من أدباء دمشق .

يا قلب هذا الهوى فغن وهذه سدرة التمني
فاصطح ملياً بألف لحن وجن في فرحة اللقاء

وقد ورد هذا في قصيدته : « البصرة بندقية العرب » فاستعمل جن في الأمر بالجنون ، وصوابه على ما علمت : لتجن .

من جديد

أنكر بعض الأدباء هذا الأسلوب إذ لم يرد في الكلام القديم . ولا يضيره ذلك إذ لا يصدم قاعدة من قواعد اللغة . فتقول : أزرع القطن من جديد أي من زمن جديد ، ومن فيه للابتداء في الزمان ؛ كما في قوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » وقد تكون من بمعنى في أي في زمن جديد . ويقول (١) ابن رشيق القيرواني صاحب العمدة :

قد حنكت مني التجا رب كل شيء غير جودى
أبدا أقول لئن كسبت لأقبضن بيدي شديد
حتى إذا أثريت عدت إلى السباحة من جديد

وقوله : بيدي شديد أي شحيح بخيل .

(١) معجم الأدباء ١١٦/٨ طبعة الحلبي .

عمل مستديم

يستعمل العامة المستديم في معنى الدائم ، فيقولون : عمل مستديم ، ويقولون : عاهة مستديمة أى دائمة . فتراهم يأخذون هذا الوصف من استدام في معنى دام ، واستدام هذا كدام لازم غير متعد ، واستدام من الدوام يأتي في اللغة متعديا ، وهو يحيى لمعنيين . يقال : استدام الشيء أى طلب دوامه ، ويقال : استدام الأمر أى ترفق فيه وتمهل ولم يعجل به ، ومن هذا قول قيس بن زهير :

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم

فقوله : استدمه أى ترفق به وتأث فيه ، وضرب مثلا بالعصا إذا قومت بتصلبتها في النار أى إدارتها فيها حتى تلين فيقومها ويزيل عوجها المثقف ، فن استدامها وترفق بها أحسن تقويمها ، ومن تولى هذا الأمر عن غشمة وعجرفة لم يحسن تقويمها ، ومعنى البيت : ما قام بحاجتك مثل من يعنى بها ويحب قضاءها ، ويقال في هذا المعنى : استدمت غريمي أى رفقت به .

وقد يأتي استدام متعديا لمفعولين ، فيقال : أستديم الله عزك : أى أسأله أن يديم عزك ، ويأتي استدام لازما في قولهم : استدام الرجل أى أخذه الدوام وهو دوار الرأس واضطرابه ، وهو ليس من معنى الدوام .

وجاء في خطبة القاموس : « هذا وإنى قد نبغت في هذا الفن قديما ، وصبغت به أديما ، ولم أزل في خدمته مستديما » فقال الشارح الزبيدي : « أى دائما متأنيا فيه » وهذا التفسير يشعر بأن مستديما من استدام اللازم إذ فسره بالدائم ، وقد علمت أن هذا لم يأت في اللغة ، ويمكن تخريج عبارة القاموس على حذف المفعول أى مستديما لهذا الفن - والمراد فن اللغة - أى متمهلا فيه ، وهذا فيه معنى الدوام ، أو على تنزيله منزلة اللازم أى ذا استدامة وترفق ، ويمكن ارتكاب هذا التخريج في قولهم : عاهة مستديمة على ضرب من التجوز ، والمراد : عاهة ذات استدامة أى تمهل ويطء في الزوال ، وهو تأويل بعيد ، ومن الجلى أنه لا يقال : استدام العمل أى دام ، والتجوز هنا أبعد .

القرقوشة

تقال القرقوشة في لسان العامة لضرب من الخبز يعجن بالسمن ، وهى تتصل بمادة فعل عندهم هو القرقوشة أى أكل شيء يابس يحدث صوتا ، ولم يرد هذا في اللغة .

ويقال للقرقوشة أو القراقيش جمعها المنين بكسر الميم ، وكأن أصلها المنين بفتح الميم وهو فعيل من المنّ أى القطع ، فى معنى مفعول أى مقطوع لأنه يقطع ويقترص . ويهمنى فى هذا المقام أن أذكر أن هذه اللفظة نالت حظا من القدم ، فقد قال الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٨٤٣ :

خليلى- قد جمعنا جميعا فبادرا لبيت فلان مسرعين وسيرا
وإن تجدا قرقوشة فاجريا بها لنحوى وإن كان العجين فطيرا

وقد نحا نحو التورية فى قوله : (فطيرا) يجوز أن يريد الفطير ، وأن يريد طيرا من الطيران أدخل عليها فاء الجزاء . وقد ورد هذان البيتان فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى ٣ / ١٩١

الشاة فى لعب الشطرنج

الشاة فى لعب الشطرنج لفظ فارسىّ معناه السلطان ، وهو فى البعد عن شاة الغنم كما يبعد الإنسان عن الحيوان . وقد ظنّ ابن اللبانة من شعراء الأندلس أنه الشاة . فقال فى قصيدته فى نكبة آل عباد :

والدهر فى صبغة الحرباء منغمس ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده وربما قمرت بالبيدق الشاة
ويقول بدر الدين بن الصاحب :

لعبت بالشطرنج فى غاية تفصر الأوصاف عن حدّها
إن صاح فى الأقران لى بيدق تموت منه الشاة فى جلدّها

والبيدق فى اصطلاح هذا اللعب هو الجندى . وقد ورد البيتان الأخيران فى مطالع البدور ١ / ٧٩ ٤

أسباب النصر

لا نلوم المستبِد إذا استبِد فشانه أن يستبِد وشأننا أن نستعِد

لقد أحسنت حكومة الثورة صنعا إذ دعت إلى الإعداد والاستعداد ، وألفت من الشباب كتائب ومنظمات ، وفردا لحرس الوطنى ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك فدعت جميع المواطنين على اختلاف طوائفهم إلى التدريب على حمل السلاح ، ولقد نفذوا ذلك سراعا .

نفذه شيخ الأزهر ووكيله وسكرتيه ، نفذه العلماء على اختلاف أسنانهم (الشباب منهم والشيب) ، نفذه طلاب المعاهد الدينية والكتليات الأزهرية والجامعات المصرية وجميع مدارس الجمهورية وتجارها وموظفيها ، فنفذوا بذلك أمرا قرآنيا كريما وإرشادا إسلاميا حكيما ، ذلك قول الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

عز على أعداء الإنسانية والسلام والإسلام من الانجليز والفرنسيين أن يتمتع الشعب المصرى بكامل حريته ، وأن يهيمن على قناته ، وأن يكون له الصوت المسموع فى العالم كله ، على لسان باعث نهضته وقائد حريته : البطل المغوار والرئيس المفدى جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، فأعلنوها حربا شعواء على مصر والمصريين ، بغيا وعدوانا بلا أى مبرر ، والحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

دخلت مصر فى هذه المعركة الدامية بقلوب فتية قوية ، ويقين لا يعرف التردد ، وإيمان لا يتطرق إليه الشك والخور . وقفوا للعدو بالمرصاد ، فأسقطوا طائراته ، ونكلوا بجنوده ، ودمروا من سفنه ومدمراته ما قهرهم ورد كيدهم فى نحورهم « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

أى وربى انتصر الحق ، أى وربى انهزم العدو ، أى وربى تسكلم المدفع ، أى وربى نظمت الدبابة ، أى وربى قالت الأسلحة : ألا سحقا وبعدا للقوم الظالمين .

فيا شعب مصر: ألا رجوعا إلى الله، وتوبة إليه، وندماً على مافات، وعزماً على الصالحات .
 فالدهر يجحد بفعل الجحد ، فليس يليق بك اللعب . كرموا القرآن في ندواتكم ،
 واقرؤوه على قلوبكم في صباحكم ومساءلكم ، واستمدوا من قوته لعزائمكم ، وغذوا بالسنة
 المطهرة أرواحكم ، وطهروا من البدع بيوتكم ومتاجركم ، فقد آن للمرأة من نساءنا أن
 تكون كأسماء ذات النطاقين التي كانت ليللة الهجرة ذات الرأي المسموع والحديث
 المرفوع ، آن للمرأة من نساءنا أن تكون تكديجة في وفائها ، وعائشة في علمها وحكمتها ،
 وأم سلمة في صبرها ، ونسبية بنت كعب في غزوة أحد في جدها وجهادها ، وغيرها وغيرها
 كثير، لقد كن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه السكرام البررة ، يضمذن الجرحى
 ويمحن الطعام إلى الجياع والماء إلى الظمأى ، فنشأن بذلك جيلاً هو خير الأجيال، وأمة من
 أفضل الأمم ، وفي عصرنا قيل :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

إليك يا جيش مصر قلبي وروحي ، أفتديك بمالى ونفسي ، وأقدم إليك أولادى عدة
 للوطن وذخراً للمستقبل .

أيها الجنود :

عليكم من الله رحمت وتجليات ، ولكم منى تحيات وتسليمات . أحكمت الضربة
 فقصصتم ظهور الأعداء ، وتبوأتم بين أقرانكم مكانة السماء . فمن استشهد منكم
 فالجنة تنتظره، ومن رجع إلينا سالماً ظافراً فالوطن يفتديه ، وإن الجنة تحت ظلال السيوف .
 « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما
 آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم
 ولا هم يحزنون » .

عبد العزيز عبد المريم

مدرس بمعهد البحوث الإسلامية بالأزهر

خطر المستشرقين !!

قال الأستاذ عباس محمود العقاد في جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٧٦هـ :

« ولكنهم - المستشرقين - في أصل صناعتهم حفاظ مسجلون ، يغلب على الجحلة منهم ضعف الملكة الأدبية ، ومن كان منهم ألمانيا أو فرنسا أو انجلترا ، تسأله عن أدباء قومه فلا تسمع منه رأياً يعول عليه ، فليس من المعقول أن يعول عليه في نقد البحترى والمتنبي والمعزى لمجرد علمه بالعربية . »

وقد وضع عالم من أكبر علمائهم معجماً تاريخياً قال فيه : إن « أخذ » تأتي بمعنى نام ، لأن القرآن الكريم يقول : « لا تأخذ سنة ولا نوم » ، وقس على ذلك علمهم بمعاني البلاغة والأدب ، فإنه في الغالب علم معجمي يضع الكلمة أمام الكلمة ولا ينفذ منها إلى اللباب . »

وقد اغتبطت بهذه الكلمة على قصرها من كاتب مشهور كالأستاذ العقاد ، فهي تقف أمام هتاف رنان يحار به في كل مناسبة أذنان الغرب وعملاؤه فيفردون كتباً خاصة بفضائل المستشرقين ، ويعتدون ما أثرهم البيض على اللغة والأدب والدين ، فإذا عارضتهم القول بحججك القوية ، وبرهانك الأكيد ، ملا الهراء التافه مسمك ، ورميت بالتعصب الحقير !!

تقول لهؤلاء الدعاة المخلصين : إن جميع المستشرقين في أوروبا يتبعون وزارتي الخارجية والمستعمرات ، فهمتهم - في نصف منها - سياسية لا ثقافية ، وبعضهم في نشأته الأصلية قسيس ديني يعمد مباشرة إلى خدمة دينه بالشك والتحريف في نصوص الإسلام ، فهمتهم - في النصف الثاني منها - تبشيرية تعصبية !! ثم تستدل بأسماء ووقائع فلا تجد أذناً تسمع أو عاقلاً يطيع .

بل إن الدهشة تبلغ بك مداها حين تجد بعض أساتذة الجامعة يؤلفون كتابا في الأدب، ويتحدثون عن المستشرقين فلا يكتفون بإعلان حيادهم المزعوم في أبحاثهم الدينية ، بل يدعون أنهم يخدمون الإسلام بنشر تعاليمه في الغرب وإظهار كنوزه للغافلين ، ومعنى هذا في منطق أساتذة الجامعة أن هؤلاء القسس يعملون جاهدين على نشر تعاليم الإسلام ، ويعقون مراجعهم التي سخرتهم للارجاف والوقيعه والتشكيك ، وقرأ معي ما ذكره مؤلفو كتاب الأدب الجديد ، وهو كتاب مدرسي يتناوله آلاف الناشئين ، فستجده يقول في ص ١٥٦ : « وكان غلاة المستعمرين يصوّرون الدين الإسلامي والرجل الشرقى في أشنع الصور ، تحقيقا لمآربهم ، فسعى المستشرقون إلى ترجمة القرآن الكريم وتفسيره وكتب السنة وعلم الكلام والفقه والتصوف والأخلاق الدينية ، فعرف الغربيون حسناتنا ، ووقفوا على خير ما عندنا في العلم والدين والأخلاق » أى والله : لقد وقف الغربيون على خير ما عندنا في العلم والدين والأخلاق حين ترجم هؤلاء القساوسة كتبنا المقدسة فخرّفوا الكلم عن مواضعه ، وباءوا بخزى من الله كبير .

وأنت حين تستعرض مواكب هؤلاء المعاميد المتيمين بأساتذة الاستشراق تجدهم أنماطا متباعدة ، ففريق حذر مترث يسلك في بحوثه الأدبية منهج الاستشراق وطريقته ، ثم يتختم مؤلفاته بنصوص أساتذته ، كأدلة ثابتة لا يأتينا الباطل عن شمال أويمين ، بل إن النص المختار قد يكون في أصله من كتاب عربى كالأغانى ، فلا يقبل صاحبنا أن يرجع إلى المصدر الأصلي وإنما ينقل ترجمته المحرفة عن أساتذه المستشرق ، ويباهى بذكر الصحيفة والسطر !! وكأن ترجمة النص إلى غير العربية قد أضفت عليه أشعة جاذبة خالبة ، صار بها موضع الاختيار والترجيح !! ويكفى أن تعلم أن أحد هؤلاء قد رفض تصديق القرآن الكريم فيما ذكره عن إبراهيم وذلك لشيء واحد ، ليؤمن بقرينة ساقها مستشرق أثيم !!

وفريق آخر من هؤلاء الدعاة لا يسلك مسلك التريث ، بل يندفع في استهتار عقلى مضحك ، فيسوق أدلة مأفونة تنطق بهرائها الزائف ، ولا يعنيه بعد ذلك أن يقابلها القراء بالعبث والاستخفاف ، فالدكتور زكى مبارك مثلاً يقول في مجلته « المعرفة » ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ :

« إن المستشرقين رجال أقوياء نبتوا في أُمم قوية ، ومصاحبتهم نافعة جدا لمن يريد

الاستفادة من عشرة الأقوياء ، فإن القوة تعدى كما يعدى الضعف ، والصاحب القوى أنفع من الصاحب الضعيف » . فإذا لفته عالم غيور كالدكتور حسين الهراوى إلى مكائدهم الاستعمارية ترك الدكتور مبارك هدوءه واندفع يقول فى تحييد الاستعمار بالعدد السابق من المعرفة :

« وأصرح بأنه لا عار على المستشرقين فى أن يكونوا طلائع لأممهم فى الشرق ، لأن العالم كله ميدان صالح لطلاب المجد والملك من جميع الأجناس !! » .

والاستعمار شريعة إنسانية !! يفرضها القوى على الضعيف ، فمن آذاه ذلك فليتسلح بسلاح القوة ، ولينافس الأقوياء كيف يشاء ، وليعلم قومى - إن سرهم أن يعلموا - أنه ليس فى الدنيا حق وباطل ولكن فيها ضعف وقوة ، والذئب لا يظلم الحمل حين يفترسه ، كما لا نظلم الحمل حين تشويه على السفود ! » .

فأى هيام جنونى دفع بالكاتب إلى تأييد الاستعمار ، وليت شعرى أهو هيام فقط ؟ أم خبل مأفون (١) !! .

على أننا حين ننظر إلى الحقل الذى يعمل فيه الاستشراق نجده ينتج نباتين مختلفين لونا وحجما ، ومتفقين طعما وأثرا !! فالمستشرق إذا بحث فى الدين الإسلامى وما يتعلق به من آثار الدعوة المحمدية وتاريخ أبطالها الميامين ، فهو يهدف - غالبا - إلى ما يهدف إليه زميله حين يبحث فى الأدب العربى وينشر آثاره مبوبة مفهرسة !! فكلما الحقلين ميدان فسيح للإرجاف والتشكيك ! وقد يدعى قوم أن أبحاث الأدب العربى بمنجاة عن الإرجاف ، وهذا ما يكذبه واقع الاستشراق الأليم ، وسنلقى نظرة موجزة على الناحيتين لئلا نرى مدى ما ذهب إليه البحث الغربى فى تشويه الحقائق ، واختلاق الأكاذيب !! .

إن سيرة الرسول كما تناولتها أقلام المستشرقين قد أحيطت بأرجاف هائل يستمد عناصره من الإسرائيليات القديمة ، فقد عثر على هؤلاء الكذبة أن يعترفوا بنبوة محمد ، فاندفعوا إلى الأساطير الواهية يصلون منها ما انقطع ، ويزيدون فيها ما نقص ، ثم يبنون أدلتهم الخادعة على هذا الوهن المتهاافت من اختلاق الرواة وأكاذيب المغرضين ، فالمستشرق لا يكتب عن سيرة الرسول إلا ليتحدث عن أسطورة الغرائق ، وزواج محمد بزینب ، وتعدد زوجات نبي الإسلام ، وما شابه ذلك مما يتجافى فيه الواضعون عن الإنصاف ، وإذا كان هؤلاء

لا يعترفون بنبوّة محمد ، فمحال أن ينصفوا نبيّا يكذبونه ، ويحاربون مبادئه ، وقد يتصنع بعضهم الإنصاف الكاذب - كما فعل وشنجتون ارفنج - فيزعم أنه لا يكذب محمداً في حقيقة نفسه ، ولكنه يؤكد أنه كان مخدوعاً وأهما يعتقد أنه نبي وهو غير نبي !! . والطفل الصغير يعلم أن الواهم المخدوع لا يقيم للإنسانية عدل نظام وأكله ، ولا يؤلف قلوباً ، ولا يجمع أمة مشتتة ، ولا ينتقل من حرب ظافرة إلى أختها ، ولا يتكلم عن حقائق غيبية بلسان عربي مبين !! ولكن ارفنج ينهر بآثار محمد صلى الله عليه وسلم وقوة رسالته ثم يقىء إلى عصبية الدينية فيحاول التفسير الملائم لأغراضه غير مبال بما يقع فيه من تناقض أليم !! ولو كان هؤلاء يقولون باستحالة النبوة أصلاً ، لوجد لهم بعض العذر فيما يقولون ، ولكن كيف يؤمنون بنبوّة عيسى وموسى ، ويكفرون بنبوّة محمد ، والسبيل في النبوات الثلاث هي السبيل ؟ !

وبتأثير هذا الحقد المشتعل على صاحب الرسالة الإسلامية ، يتجاهل العالم منهم معارفه ومعلوماته ليصوغ فرية كاذبة تشين الرسول ، فمستشرق يهودى متنصر كرجليوث - وقد زعم أنه أفنى عمره المديد في دراسة الأدب العربى - يجترئ به حقه فيزعم أن محمداً لم يعرف والده !! إذ أن عبد الله اسم يضاف إلى مجهول النسب !! يقول مرجليوث هذا ، وهو يعرف اهتمام العرب بالأنساب ، ويعرف عناية قريش بأبنائها وآبائها !! فكيف فات هؤلاء النساء الوعاة أن يجهلوا نسبة محمد لبنى هاشم !! وقد عرفوا أنساب الخيل من الحيوان ؟ ! أفئذئتم هذا الآفك المتخرض على قضية يعالجها ، وهو يسمح لقلمه أن يفتري عامداً بما ينكره اطلاعه !! هذا المستشرق الآفك يحتل من التقدير لدينا مكانة تصل به إلى التقديس ، فأنت مثلاً ترى صورته تملأ صحيفة كبيرة في مقدمة طبعتنا لمعجم الأدباء ثم يلحق بها ترجمة مسهبه لحياته وخدماته للعربية ! وقد حشدت ثناء وتجييداً ، وإذا تم هذا لمرجليوث في معجم الأدباء : فإذا أبقيناه لياقوت ؟ !!

لقد كشف الأستاذ الهندى « خ كمال الدين » في كتابه « المثل الأعلى للأنبياء » خديعة كبرى يدلف إليها مرجليوث وأشباهه في اختلاق ما شتمهم الفاضحة ، فأحدهم يخلق فرية كاذبة ، ثم يحيطها بالشك ولا يجروء على الجزم بها وهى مختلفة ، فيجئ آخر ويمسك بتلابيبها كحقيقة مسلمة أكدتها سابقه !! وإليك المثال : لقد زعم الدكتور « منجانا » أنه عثر على ترجمة سريانية قديمة للقرآن بها اختلافات ذات بال ، تم قال إنه لا يجوز بقدمها ولا يعرف مبلغها من الصحة ، فجاء مرجليوث وتلقف هذه الفرية ليضيف إليها

أن الدكتور منجانا يجزم بقدمها جزماً أكيدا لا يقبل الشك !! ! فقد أصبحت حقيقة مسلمة !! ! مع أن صاحبها الأول قد تخلى عنها ، وقطع الأمل من فائدها ، ولكن دعه ، فهو يعلم أن وراءه من يجعل الخطأ صواباً ، والوهم حقيقة !! !

هذه مثل مما يهرف به المستشرقون عن نبي الإسلام ، ومصادر تعاليمه ، فإذا تركت ذلك إلى الأدب ظننت بعض الإنصاف لا كله !! ! على أيسر تقدير ، وبخاصة حين تسمع أديبا كبيرا كالأستاذ محمد كرد على يقول نقلا عن مجلة المعرفة ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ : ما برح العارفون منا يقدرون عمل المستشرقين حق قدره ، ويعجبون به ويحذونه ، قال لي أستاذي علامة الشام طاهر الجزائري : أليس من الغريب أن يكون تفسير القاضي البيضاوي المطبوع في ألمانيا أصح من المطبوع بالامستانة ، وهذا من عجيب تدقيق علماء المشرقيات وسلامة نظرهم ، على حين لم نحصر في كل عصر على شيء آخر حرصنا على علوم الدين ومقوماته ، وأغفلنا ما عداها من العلوم إلا قليلا ، ولولا عناية المستشرقين بآثارنا ، ما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها . ثم ذكر عدة كتب وقال : ولو جئنا نعد حسنات ودواوين الشعر وكتب الأدب والعلم التي أحيوها لطلال بنا المطال » .

وقد كرر الأستاذ كرد على هذا المعنى في مجلة الرسالة : العدد ١٠٨ بالسنة الثالثة ، وأخذ يردده في محاضراته ، ولا ندرى بماذا يجيب علينا ، إذا قلنا له إن أكثر ما نشره المستشرقون من الكتب الأدبية ، يتجه إلى ناحية الترف والملاذ والشهوة مما لا تخفى بواعثه في انحلال المجتمع العربي على أستاذنا الكبير ، ثم ماذا يصنع الأستاذ محمد كرد على إذا قدمنا إليه نموذجا من هذا النشر الأمين !! ! فيما صنعه الدكتور جفري بما سماه مصحف أبي داود ، فقد غير العناوين ، وحذف العبارات ، واختصر الجمل من الأصل مرات ، وزاد عليها من اختلاقه مرات ، كل ذلك ليثبت اختلافا مزعوما فيما سماه مصحف ابن مسعود ومصحف غيره من الصحابة ، ثم ليتمى بالشك في التواتر المقطوع به عن القرآن الكريم ، فهل الحذف والتغيير والزيادة جهد أمين !! ! وإذا كنا قد لمسنا ذلك في بعض الكتب المتداولة أفلا نعلم أن ما جاز على أحد المثليين جاز على الآخر ؟ أم نحسن الظن بأناس يؤجرون من دور التبشير ووزارات الاستعمار معا في وقت واحد !! ! إن من العجيب أن ترى عشاق المستعمرين يعترفون بمآربهم ثم يباركونها هاتفين ، فالدكتور الوجودي عبد الرحمن بدوي مثلا يقول في مجلة الثقافة ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ ص ٣٤ ، عن مجلة المشرقيات التي يصدرها أساتذة (المعهد البابوي للكتاب المقدس)

« ولو أن الذى يشرف عليها معهد مسيحى إلا أن أبحاثها علمية خالصة يراد بها وجه العلم الصحيح ، والحقيقة وحدها » فالدكتور الجامعى يؤكد أن المعهد البابوى للكتاب المقدس ينشر أبحاثه الإسلامية بحثا منصفا يراد به وجه الحق ، فإن الكتاب المقدس إذن يا دكتور ؟ وهل تحول المعهد البابوى إلى أزهر شريف !!

قد يقال : إن فهم من كتب تاريخ الأدب العربى من جاهليته الغابرة إلى عصره الحديث ، ونحن نعلم أن تاريخ الأدب العربى لا يكتب على وجهه الصحيح إلا بعد دراسة نصوصه الثرية والشعرية دراسة صحيحة ، يصحها الذوق والاستشفاف ، والمستشرق الأعجمى مهما بلغ اطلاعه لا يتذوق الأدب العربى كما يتذوقه أبناءه ، فكيف يوازن بين الشعراء ، وبماذا يفضل المتنبي على البحتري مثلا ! وكيف يحكم على عصر بالانتعاش ، وعلى عصر آخر بالجدب والمحول ، وفقد الشيء لا يعطيه ؟ إن تاريخ الأدب العربى لم يكسب من أبحاث المستشرقين غير أن سبب محاسنه ، واختلقت مثالبه ، فكل تجديد مبتكر فهو عندهم فارسى أو هندى أو يونانى ، وكل شاعر عربى مجيد فهو عندهم متأثر بثقافة أجنبية خلعت عليه النبوغ ولو كان بدويا لا يقرأ ولا يكتب ، وكل كاتب بارع فهو عيال على الآداب المجاورة ، فزهد أبى العتاهية ، ودقة الجاحظ ، وعمق أبى حيان التوحيدي ، وتصوف الحسن البصرى ، كل أولئك أجنبي دخيل فضحت به ثقافة تباعد كثيرا عن الإسلام !!

والمدحش أن هذه الادعاءات المفرضة لا تعدم عندهم دليلا فرضيا تستند إليه ، ويظل كتابنا المسلمون يلوكونها معجبين !! واقرا إن شئت بخر الإسلام وضحا لتجد روح الاستشراق صارخه نائحة ! حتى إن رجلا بدويا كأبى ذر الغفارى رضى الله عنه ينشأ بالصحراء ، وتناهى به أميته عن الثقافات المجاورة مما لا يظن معه تلقيح واقتباس !! رجل كأبى ذر يكون فى منطق الأستاذ أحمد أمين - والأستاذ العبادى أيضا - متأثرا بالمذاهب الفارسية التى تدعو إلى الاشتراكية فى الأموال ! فأى كتاب درس أبو ذر ، وعلى يد أى فارسى تعلم ؟ علم ذلك كله لدى الأستاذ أحمد أمين ومن شابعهم من أساتذته المستشرقين . !! إن مركب النقص فى نفوسنا المستعمرة يصور لنا هؤلاء الأعاجم تصويرا عاليا ، فهم مصيبون إذا أخطأوا ، وهم ذواقون إذا حكموا ، وهم بعد أبناء أم قوية ، كما يقول : زكى مبارك ، فليفعلوا ما يشاءون .

نحن نعلم أن بعض هؤلاء المستعمرين قد قاموا بنشاط ملحوظ ، فى نشر الآثار

الأدبية ، ولكن خدمة البحث المجرد ، لا تسكن من وراء هذا النشاط ، فقد يكون تجارة رابحة تدر الثراء ، وقد يكون تخديرا ينيم العيون فتقع في فخ قاتل مخدوعة بالطبع الصقيل والفهارس الكثيرة ، والتزيد باختلاق النصوص !! ونحن لانرض قراءة ما ينشرون على الإطلاق ، بل ندعو إلى التبصر واليقظة والنقد والتمحيص ، فقد تجد كاتباً يشد في صوابه ، وحوله عشرات يتعمدون الخطأ والتشويه ، وهؤلاء يدفعوننا إلى الريبة والتوجس ! وإذا كان لك صديق أو عشرة أصدقاء في بلدة يسكنها آلاف الأعداء ، أفسير إلى صديقك ، وقد تركت الحيلة الحاذرة ، ونامت عنك العيون والأرصاد ! ! ألا هل بلغت ! ! ! .

محمد رجب البيومي

(المجلة) لا ريب أن المستشرقين عيون الغرب في الشرق ، ولا ريب أن الاستشراق إنما قام لتعريف الدول الغربية بالنواحي التي لا يستطيع أن يعرفها رجال الاستعلامات في وزارات الاستعمار من عقائد الشرقيين وآدابهم والثقافات التي يتأثرون بها . غير أن المستشرقين يتفاوتون في نشاطهم العلمي بحسب تفاوتهم في نشأتهم وأخلاقهم وتربيتهم ، فمنهم القسيسون كالآب لا منس اليسوعي وأضرابه ، ومنهم من يعتز بأصله الذي يرجع إلى الحروب الصليبية كالأمير كايتاني ، ومنهم من يحارب الإسلام بعواطفه اليهودية كالمتنصر مرجليوث . وليسوا جميعاً في هذا المستوى ، لأن الله خلق البشر في منازل متفاوتة . وقد امتازوا غالباً بالصبر والجلد في البحث والدرس ، ولو كان لنا مثل ذلك في بحوثنا العلمية لزم على أيدينا البعث القومي من طريق العلم . وما نقله السيد محمد كرد علي عن شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله بشأن عنايتهم بطبع بعض الكتب ومنها تفسير البيضاوي فإن الشيخ طاهراً كان يعني عليهم أيضاً ما أفسدوه من كتبنا كالذي طبع كتاب أبي ذر الخشن في شرح السيرة النبوية فقد كان الشيخ طاهر يقول عنه : إنه كان يصححه وهو سكران ، وكان يقول مثل ذلك عن جهل مرجليوث في نشرته الأولى لمعجم الأدباء . ومعنى هذا أن المستشرقين وإن تساوا في أنهم عيون الغرب في الشرق فانهم متفاوتون في كفايتهم وتربيتهم وثمرات أعمالهم ، وكل يعمل على شاكلته .

الإمام البخارى

استنباطه للمعاني والأحكام المتعددة من الحديث الواحد

أبو برزة الأسلمى :

٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٣ — باب وقت العصر .

حدثنا محمد بن مقاتل قال : أخبرنى عبد الله قال : أخبرنا عوف عن سيار بن سلامة قال : دخلت أنا وأبى على أبى برزة الأسلمى . فقال له أبى : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى المكتوبة ؟ فقال : كان يصلى الهجير ، التى تدعونها الأولى حين تدحض الشمس . ويصلى العصر ، ثم يرجع أحدنا إلى رحله فى أقصى المدينة والشمس حية . ونسيت ما قال فى المغرب . وكان يستحب أن يؤخر العشاء التى تدعونها العتمة ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ، وكان ينفث من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جلسه ، ويقرأ بالسيتين والمائة . أخرج باقى طريقه :

فى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١١ — باب وقت الظهر عند الزوال .
وفى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٣ — باب ما يكره من النوم قبل العشاء .
وفى : ٩ — كتاب مواقيت الصلاة ، ١٩ — باب ما يكره من السمر بعد العشاء .
وفى : ١٠ — كتاب الأذان ، ١٠٤ — باب القراءة فى الفجر .

* * *

٢١ — كتاب العمل فى الصلاة ، ١١ — باب إذا انفلتت الدابة فى الصلاة .

حدثنا آدم . حدثنا شعبة . حدثنا الأزرق بن قيس قال : كنا بالأهواز نقاتل الحروية ، فبينما أنا على جرف نهر إذا رجل يصلى ، وإذا لحام دابته بيده ، فجعلت الدابة تنازعه وجعل يتبعها (قال شعبة : هو أبو برزة الأسلمى) فجعل رجل من الخوارج يقول : اللهم افعل بهذا الشيخ . فلما انصرف الشيخ قال : إني سمعت قولكم ، وإني

غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات أو سبع غزوات أو ثمان ، وشهدت تيسيره . وإني إن كنت أن أرجع مع دابتي أحب إليّ من أن أدعها ترجع إلى مالفها فيشق عليّ .

أخرج الطريق الأخرى في : ٧٨ - كتاب الأدب ، ٨٠ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا » .

أبو بكر الصديق :

٦٥ - كتاب التفسير ، ٩ - سورة براءة ، ٢ - باب فسيحوا في الأرض أربعة أشهر حدثنا سعيد بن عفير . قال : حدثني الليث قال : حدثني عقيل عن ابن شهاب . وأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بعثني أبو بكر في تلك الحجة ، في مؤذنين بعثهم يوم النحر ، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

قال عبيد بن عبد الرحمن : ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب ، وأمره أن يؤذن ببراءة .

قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر في أهل منى ، ببراءة ، أنه لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

باقى طريقه في : ٨ - كتاب الصلاة ، ١٠ - باب ما يستمر من العورة .

وفى : ٢٥ - كتاب الحج ، ٦٧ - باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك

وفى : ٥٨ - كتاب الجزية ، ١٦ - باب كيف ينبذ إلى أهل العهد .

وفى : ٦٤ - كتاب المغازى ، ٦٦ - باب حج أبى بكر بالناس في سنة تسع .

وفى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٩ - سورة براءة ، ٣ - باب وأذان من الله .

وفى : ٦٥ - كتاب التفسير ، ٩ - سورة براءة ، ٤ - باب إلا الذين عاهدتم .

* * *

١٠ - كتاب الأذان ، ١٤٩ - باب الدعاء قبل السلام .

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

عليه دعاء أدعوه به في صلاتي . قال « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » .
 باقى طريقه فى : ٨٠ - كتاب الدعوات ، ١٧ - باب الدعاء فى الصلاة .
 وفى : ٩٧ - كتاب التوحيد ، ٩ - باب وكان الله سميعا بصيرا .

* * *

٦٢ - كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ٥ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذنا خليلا .

حدثنا اسماعيل بن عبد الله . حدثنا سليمان بن بلال عن هشام بن عروة عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح (قال اسماعيل : يعنى بالعالية) فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم .

جاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله . قال : بأبى أنت وأمى ، طبت حيا وميتا ، والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا . ثم خرج فقال : أيها الخالف ، على رسلك .

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر . فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال : إنك ميت وإنهم ميتون .

وقال : وما محمدا إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين .

قال : فنشج الناس ييكون . قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا أمير ومنكم أمير . فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر .

وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيات كلاما قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر . ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس . فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم

الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله ، لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولا كننا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا . فبايعوا عمر أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد بن عباد ، فقال عمر : قتله الله .

وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عبد الرحمن بن القاسم أخبرني القاسم أن عائشة رضى الله عنها قالت : شخص بصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « في الرفيق الأعلى » ثلاثا ، وقص الحديث .

قالت : فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها ، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى ، وعرفهم الحق الذى عليهم ، وخرجوا به يتلون « وما مجد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى - الشاكرين » باقى طريقه فى : ٢٣ - كتاب الجنائز ، ٣ - باب الدخول على الميت

وفى ٦٤ - كتاب المغازى ، ٨٣ - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته
وفى ٧٦ - كتاب الطب ، ٢١ - باب اللدود

* * *

٢٤ - كتاب الزكاة ، ١ - باب وجوب الزكاة .

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع . أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهرى . حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضى الله عنه ، وكفر من كفر من العرب . فقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟

فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضى الله عنه : فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق .

باقى طريقه فى : ٢٤ — كتاب الزكاة ، ٤٠ — باب أخذ العناق فى الصدقة .

وفى : ٨٨ — كتاب استنابة المرتدين ، ٣ — باب قتل من أبى قبول الفرائض
وما نسبوا إلى الردة .

وفى : ٩٦ — كتاب الاعتصام ، ٢ — باب الاقتداء بسنن رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

* * *

٢٤ — كتاب الزكاة ، ٣٨ — باب زكاة الغنم .

حدثنا محمد بن عبد الله بن المنفى الانصارى قال : حدثنى أبى قال : حدثنى ثمامة
ابن عبد الله بن أنس أن أنسا حدثه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له هذا الكتاب
لما وجهه إلى البحرين :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله . فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها .
ومن سئل فوقها فلا يعط : فى أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم من كل خمس
شاة . فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى . فإذا بلغت
ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى . فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين
ففيها حقة طروقة الجمل . فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة . فإذا
بلغت يعنى ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون . فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى
عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل . فإذا زادت على عشرين ومائة ، ففي كل أربعين
بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة .

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها . فإذا بلغت
خمسا من الإبل ففيها شاة . وفى صدقة الغنم فى سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين
ومائة شاة .

فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين ، شاتان .

فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ، ففيها ثلاث شياه .

فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة .

فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة ، فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها .

وفي الرقة ربع العشر ، فان لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها .

باقى طريقه فى : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٣٣ - باب العرض فى الزكاة .

وفى : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٣٤ - باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع .

وفى : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٣٥ - باب ما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية .

وفى : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٣٧ - باب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض وليست عنده .

وفى : ٢٤ - كتاب الزكاة ، ٣٩ - باب لا تؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس ، إلا ما شاء المصدق .

وفى : ٤٧ - كتاب الشركة ، ٢ - باب ما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية فى الصدقة .

وفى : ٥٧ - كتاب فرض الخمس ، ٥ - باب ما ذكر فى درع النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك .

وفى : ٧٧ - كتاب اللباس ، ٥٥ - باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر .

وفى : ٩٠ - كتاب الحيل ، ٣ - باب فى الزكاة وأنه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة .

ذيل طبقات الشعراني

للسيد عبد الوهاب الشعراني مقام معروف بين العلماء والصوفية ، إلا أن صفة التصوف زاحمت فيه صفة العلم فعرف بالصوفي دون العالم ، وربما تبادر إلى أذهان بعض الناس أنه صوفي فقط له كرامات الصوفية وشطحات الصوفية ، وليس له في صفوف العلماء مكان ، وذلك خطأ ، فالدارس لتاريخه يرى أنه من جلة العلماء ، له في العلم جولات موفقة ومؤلفات موفقة ، له في العقائد والأصول والفقه والتاريخ والتصوف وغيرها ، وقد بلغ بعضهم بمؤلفاته ثلثمائة مؤلف ، وقد كان من شيوخه السيوطي ، وزكريا الأنصاري وغيرهما . قال ابن العماد في شذرات الذهب : « حبيب إليه الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله ، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونة النقلة ، بل هو فقيه النظر ، صوفي الخبر ، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف ، وكان ينهى عن الخط من الفلاسفة وتنقيصهم ، وينفر من يذمهم ، ويقول : « هؤلاء علماء » .

ولقد خدم الشعراني تاريخ التصوف خدمة لا ينافسها فيها غيره ، خدمه بطبقاته الكبرى والصغرى ، وخدم تاريخ العلماء بجانب ذلك خدمة لا تقدر ، فطبقاته - إلى أنها تراجم لرجال الصوفية - هي تاريخ لكثير من العلماء في القرن العاشر ، فأكثر المتصوفين في ذلك القرن جمعوا إلى فضيلة التصوف الصادق فضيلة العلم النافع ، فهم في النهار بين الإفتاء والدرس والإرشاد والوعظ ، وفي الليل بين التعبد والتهجد والتذكر والتفكير .

وقد اشتهرت طبقات الشعراني الكبرى المسماة « لوائح الأنوار » ، في طبقات السادة الأخيار « وطار ذكرها في الآفاق كل مطار » ، وهي من أشهر المراجع في التصوف والصوفية ، ولكن الذي لم يعرف لكثير من العلماء هو كتاب « ذيل الطبقات » الذي أكل فيه ما فاتته في كتاب الطبقات الوسطى المسماة « لوائح الأنوار القدسية » ، في مناقب العلماء والصوفية « من شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم وأفاد منهم ومن صاحبه من

غيرهم ممن لم يقرأ عليهم ولكنهم أفاد من صحبتهم ، وقد ترجم فيها لأكثر من مائة من علماء المذاهب الأربعة المعروفة .

ومن طريف ما يذكر للشعراني مما يدل على فضله وأمانته ونبله ، إنصافه لأقرانه من العلماء والصوفية — ممن آذوه وبالغوا في إيذائه — فيما كتب عنهم ، ولعلها منقبة لا يتحلى بها كثير من العلماء . ويقول في ذلك : « وإنما ذكرت مناقب أقراني من الأحياء الذين آذوني وبالغوا في ذلك حتى ظهر حالهم للناس ، بياناً لما أعطاني الله تعالى من الاحتمال وعدم الحقد والحسد على الإخوان ، فإن غالب الناس لا يقدر على النطق بشيء من مناقب أعدائه ، بل ربما لا يرى لهم قط محاسن حتى يذكرها ، فقصدت بذلك فتح باب الاقتداء في ذلك للإخوان فيذكروا مناقب أعدائهم ومن آذاهم ولا يصددهم ذلك عن إعطائهم حقوقهم ، فعليكم أيها الإخوان بالاقتداء في فعل ذلك إكراماً للخلق من حيث كونهم عبيد الله تعالى ، ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد أحداً سبقني إلى نحو ذلك ، والحمد لله رب العالمين » .

وقد جرى الشعراني في تصنيف الذيل على ما جرى عليه في الأصل فسرده فيه ما علم من كرامات المترجم لهم وما رآه منها ، كما ذكر ما علم من شئوهم العلمية في التدريس والتأليف ووفى كلا حقه ، فترجم للسيوطي وزكريا الأنصاري — وهما من شيوخه — ترجمة مستفيضة قد لا توجد في غيره ، ووفى غيرهما من شيوخه ما يستحقون .

وقد كرر بعض التراجم في الأصل والذيل مع اختلاف يسير في المعلومات والتعابير ، وفرغ من تأليف الذيل سنة ٩٦١ هـ ، كما قال في آخره : وليكن ذلك آخر كتابنا المسحى بلوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة . فالكتاب ذيل للطبقات الوسطى لا للطبقات الكبرى كما ذكر بعض الكتاتين . وهو مرجع مهم جداً لعلماء النصف الأول من القرن العاشر ، وبه ترجمات ربما لا توجد في غيره من مراجع التاريخ ، ولذلك نرى أن يعني به العلماء ويعملوا على إحيائه بطبعه وتداوله لتسجل به موسوعة الشعراني التاريخية في العلماء والصوفية .

وقد وقعت على نسختين منه : إحداها بالمكتبة الأزهرية ، والأخرى بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ونسخة المكتبة الأزهرية نسخة جيدة الخط كتبت كلها سنة ١٠١٩ بخط عثمان أحمد الدميري ، أي بعد المؤلف بقليل . فقد توفي الشعراني سنة ٩٧٣ ، لذلك

سلمت من تداول الذساح وتحريفاتهم ، وعلى هامشها تعليقات قليلة لبعض القراء ، وعنوان الكتاب بخط مغاير لخط النسخة ؛ وعدد أوراقها ٩١ ورقة وعدد سطورها ١٥ سطرا . أما نسخة التيمورية فلم يستين بها تاريخ كتابتها ، إلا أن حالة الخط والورق تدل على أنها أحدث كتابة من النسخة الأزهرية ، وقد ذكر في عنوانها أنها ذيل الطبقات الكبرى ، وهو خطأ لأنه قال في آخر هذا الذيل : وليكن ذلك آخر كتابنا المسمى : « لوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية » وكتابه هذا هو الطبقات الوسطى ، أما الطبقات الكبرى فاسمه : « لوائح الأنوار في مناقب السادة الأخيار » كما أسلفنا .

وقد انتهى الشعراني في الطبقات الوسطى إلى سنة ٩٦٨ هـ إذ قال في الخطبة : ابتدأت بذكر الإمام أبي بكر الصديق واختتمت برجال سنة ثمان وستين من القرن العاشر ، وقال في آخرها : وليكن ذلك آخر ما التزمنا ذكره في طبقاتنا من الصحابة والتابعين والأئمة والمجاهدين من العلماء العاملين في عصرنا هذا وهو سنة خمس وستين وتسعمائة . ! !

وقال في آخر الذيل : وليكن ذلك آخر كتابنا المسمى بلوائح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية إلى عصرنا هذا وهو سنة إحدى وستين وتسعمائة ، وعلى هذا فالذيل استدراك لمافات في الأصل من رجال الفترة التي أرخ لها ، وليس زيادة في رجال ما بعد هذه الفترة ما

أبرار الوفا المرافق

الصلاة والجهاد

أذاع الصاغ أركان الحرب السيد كمال الدين حسين قائد جيش التحرير ووزير التربية والتعليم بياناً قال فيه :

« على جميع القادة من جميع المستويات أن ييسروا لجنودهم القيام بصلاتهم ، وأن يكونوا مثلاً لهم في ذلك ، وأن يؤمهم في الصلاة كما يقودونهم في المعركة ، فيكسبوا بذلك رضا الله ، وحب وإخلاص جنودهم ، وأخيراً النصر » .

الندم والتوبة

وأثرهما في تقويم السلوك وتهذيب النفوس

التوبة أول منازل السالكين ، وأصل مقامات الطالبين . ولها الأثر البالغ في علاقة الإنسان بربه ، وفي علاقته بأخيه الإنسان .

كما أن لها الأثر الخطير في تهذيب النفوس ، وتقويم المعوج من الأخلاق والسلوك .
الذنوب :

وإذا كانت التوبة إنما تكون من ذنب ارتكبه الإنسان مع ربه ، أو سيئة اقترفها مع أخيه الإنسان ، لذا كان من الحسن أن نقدم بين يدي كلامنا عن التوبة كلمة عن الذنوب . وكلامنا عليها يدور حول ناحيتين : الأولى : معنى الذنب ، الثانية : تقسيم الذنوب .
معنى الذنب :

الذنب مخالفة أمر الله في فعل أو ترك ؛ فإذا فعل الإنسان ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر الله به فقد أذنب .

فمن شرب الخمر فقد أذنب ؛ لأن الله تعالى نهاها عن شربها فقال جل وعز : « يا أيها الذين آمنوا إنا أنعمنا عليكم بالميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

ومن أفطر في رمضان بغير عذر فقد أذنب ؛ لأن الله تعالى أمرنا بصيامه ، فقال جل شأنه : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

تقسيم الذنوب :

تنقسم الذنوب إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة نكتفي منها بثلاثة أقسام :

الأول : ذنوب ترجع إلى صفات الإنسان وأخلاقه .

الثاني : ذنوب ترجع إلى علاقة الإنسان بربه وبأخيه الإنسان .

الثالث : ذنوب ترجع إلى كونها صغائر أو كبائر .

والقسم الأول وهو الذنوب التي ترجع إلى صفات الإنسان وأخلاقه ينقسم إلى أربعة أقسام :

- ١ - صفات بهيمية أو حيوانية مثل الشره والحرص على الشهوات .
- ٢ - صفات سبعية مثل الغضب وحب الانتقام .
- ٣ - صفات شيطانية مثل الخداع والبغى .
- ٤ - صفات ربوبية مثل الكبر والعز .

وهذه الأقسام الأربعة تضبط مآثرات الذنوب عند الإنسان ضبطاً محكماً ، وتدرج معه تبعا لفطرته وغلوائه ، فتظهر الغرائز البهيمية أولا ، ثم الصفات السبعية ، ثم إذا اجتمعا استعمالا العقل في الخداع والمكر وهى الصفة الشيطانية ، وبالعقل تتفوق الصفة الرابعة وهى الربوبية .

ومن هذه المثيرات التى هى منابع للذنوب تتفجر على الجوارح كالقلب واللسان والسمع والبصر وما إليها .

والقسم الثانى وهو الذنوب التى ترجع إلى علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه الإنسان ، فإن تعلقت بحق الله ولم تكن شركا وكفرا كتأخير الصلاة عن وقتها كسلا فالمغفرة فيها مرجوة ، قال تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . وإن تعلقت بحق العبد كقتل النفس التى حرم الله قتلها وغضب المال والقدح فى الأعراس فالأمر فيها أعظم وأغلظ ، إذ العقو موقوف على رضا العبد وقليل ما يرضى ، وقد جاء فى الخبر : « الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان لا يترك ، فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى . وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى . وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد » (١) .

وفى الحق ان مظالم العباد من الذنوب التى لا تترك ، بل هى من الذنوب التى تدنى المذنب من النار ، فقد ذكر أبو بكر الوراق عن أبى حنيفة رحمه الله أنه قال : « أكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت ، ثم قال أبو بكر فنظرنا فى الذنوب التى تنزع الإيمان فلم نجد شيئا أسرع نزعاً للإيمان من ظلم العباد » (٢) .

[١] إحياء علوم الدين للغزالي باب التوبة ، الارشاد للجوينى باب التوبة .

[٢] تفسير القرطبي ٤ - ٤ .

والقسم الثالث : الذنوب التي توصف بأنها صغائر أو كبائر ، ولأن تحديد معنى الكبيرة والصغيرة مثار خلاف بين العلماء فأنا نرى أن نلم بأرائهم موجزين الكلام فيها .

والعلماء في ذلك على رأيين :

١ - رأى المنكرين لأن من الذنوب صغائر أو بعبارة أخرى : الذنوب كلها كبائر .

٢ - رأى المعترفین بأن من الذنوب صغائر وكبائر .

وحجة أصحاب الرأي الأول في مدعاهم أن الذنب مخالفة أمر الله تعالى ، وكل مخالفة لأمر الله فهي كبيرة .

ولسكنه رأى لا يقام له وزن ولا يعتد به ؛ لأنه يتنافى مع العقل ويتجافى عن صريح السنة والقرآن ؛ فالله تعالى يقول : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » . ويقول عز شأنه : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم » . ويقول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « الصلوات الخمس والجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » (١) .

فالقرآن والسنة صريحان في أن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر ، والآثار الواردة في ذلك كثيرة مشهورة .

والعقل يعترف بأن بعض الذنوب قد يكون كبيرة ، إن صدر من فلان الذي يقتدى الناس به وينتهون عند رأيه ، وقد يكون صغيرة نسبيا إذا صدر من فلان الذي يعد من دهماء الناس وعامتهم ، ومن لا يؤخذ برأيه ولا يعتد بفعله .

فالذنب إذن قد يكون بعضه من الأمور النسبية يوصف تارة بأنه كبيرة وأخرى بأنه صغيرة ، وليس بنسبة واحدة عند جميع الناس ولا من جميع الناس ، فالعقل والنقل يؤازر كل منهما الآخر في الاعتراف بأن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر .

والذين يعترفون بأن من الذنوب صغائر وكبائر اختلفوا فيما بينهم على ثلاث طوائف :

(١) طائفة ترى تحديدها بالعد (وهم أهل الآثار) .

(ب) طائفة ترى ضبطها بأمر كلى .

(ج) طائفة ترى عدم ضبطها لا بالعد ولا بأمر كلى .

(١) والطائفة الأولى تبني رأيها على ما روى في ذلك من الآثار عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد روى عن ابن عمر أن السكائر تسع وهي : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وقذف المحصنة ، والزنا ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، والإلحاد في الحرم . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنها عشر بزيادة أكل الربا . وفي رواية لعلّ كرم الله وجهه أنها اثنتا عشرة بزيادة السرقة وشرب الخمر على العشرة السابقة .

(ب) والطائفة الثانية اختلفوا فيما بينهم أيضا .

١ - فقالت فرقة منهم : إن السكيرة ما وردت بها الآثار السابقة وما يكون على مثالها مما تكون مفسدته مثل مفسدة شيء منها أو أربى كشهادة الزور مثلا ، إذ قد يترتب عليها من المفاسد والإضرار بالغير أكثر مما يترتب على بعض السكائر التي وردت في هذه الآثار السابقة .

٢ - وقالت فرقة أخرى : إن السكيرة هي كل ما أوعده الله عليه بالنار كالقتل في قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها » .

٣ - وقالت فرقة ثالثة : كل ما يجب به الحد في الدنيا فهو كبيرة كالزنا في قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » .

وهذا الرأي رجه الإمام الغزالي إذ يقول : وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة « [١]

(ج) ١ - وأما الطائفة الثالثة فمنها من يرى أن كل معصية أصر عليها العبد فهي كبيرة وكل ما استغفر عنها فهي صغيرة .

فالصغيرة بالإصرار عليها تصير كبيرة ، والكبيرة بالاستغفار عنها تصير صغيرة .

وعلى هذا القول فكل ذنب صالح لأن يكون صغيرة أو كبيرة تبعا للأصرار عليه أو عدمه

٢ - ومنها من يرى أن الذنب من الأمور الهيكلية النسبية ، فهو لا يعرف لذاته ،

فكل معصية يمكن أن توصف بأنها كبيرة بالإضافة إلى معصية أخرى دونها وبأنها صغيرة بالقياس إلى ما فوقها . فقطع يد السارق مثلاً كبيرة بالإضافة إلى ضربه ؛ صغيرة بالقياس إلى قتله .

وهذا الرأي رجه صاحب الكفاية إذ يقول :

الحق أنهما (أى الصغيرة والكبيرة) اسمان اضافيان لا يعبران بذاتهما ، فكل معصية إذا أضيفت إلى ما فوقهم فهي صغيرة وإن أضيفت إلى ما تحتها فهي كبيرة .

وعلى هذا فكل ذنب صالح لأن يكون صغيرة أو كبيرة بالإضافة والاعتبار .

هذا موجز آراء العلماء فى هذه المسألة . ولعل رأى الذى يضبطها بأنها كل ما توعده عليه الشرع بخصوصه هو أرجح الآراء .

ومع ذلك فانا لا نستطيع أن نجحد أن هناك ذنوباً لا مجال للتردد فى أنها كبائر باتفاق وفى كل الحالات ومن جميع الناس ، كالقتل العمد وعقوق الوالدين .

هذا ، والبحث فى الذنوب من حيث كونها صغائر أو كبائر يثير فى نفوسنا أن نسأل : هل صغائر الذنوب تعظم فتصير كبائر ؟

والجواب نعم ، فصغائر الذنوب لا تظل صغائر دائماً وفى كل الحالات ولا يمكنها قد تعظم فتصير كبائر .

ويكون ذلك بأمر منها :

١ - الإصرار عليها والمداومة على ارتكابها ؛ ومن ثم قيل : لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار .

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقي
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى [١]

٢ - السرور بها واعتداد التمكن منها نعمة ، قال بعض الأولياء :

يدل بالطاعة العاصى وينسى جميع المعاصى [٢]

[١] تفسير القرطبي ج ١ ص ١٦٢ ، أدب الدنيا والدين ٨٠ .

[٢] أدب الدنيا والدين ص ٧٩ .

٣ — التهاون بستر الله وحلمه وإمهاله قال تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

٤ — أن يكون المذنب ممن يقتدى به وينتهى الناس عند رأيه ؛ فقد ورد أن : « من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » . وقال تعالى : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » ؛ فخطيئة العالم والقذوة بلباء مشهورة ، إذ لو كان ذنبه مقصورا عليه وحده لكان الخطب وسهل الأمر ، ولكن جرمه عظيم باتباع الناس له واقتدائهم بفعله ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : « ويل للعالم من الأتباع ، يزل زلة فيرجع عنها ، ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ، فطوبى لمن إذا مات مات ذنوبه معه » .

ولما كانت التوبة ندما يعقبه العزم على عمل وإصلاح ما فسد ، وكان الندم على الذنب أساسا لقبول التوبة منه ، كان حقا علينا أن نقدم بين يدي بحثنا عن التوبة كلمة عن الندم سنأتى عليها في جزء آخر من هذه المجلة ما

أبو زيد سلمي

الأستاذ بكلية أصول الدين

الفرنسيون

كما وصفهم الماريشال بيتان

قال القائد الفرنسي الماريشال بيتان في نداء الهدنة يوم انحنى الفرنسيون يلعقون أقدام الجيش الألماني و يقبلونها :

« زنوا أخطاءكم فهي ثقيلة الموازين ، إنكم لم تريدوا نسلا حلالا ، وتنكروا للقيم الخلقية ، ونبتدتم المبادئ الروحية ، وجريتم وراء الشهوات تفرغون في حماة الزنا والخنا والفجور . فانظروا إلى أين قادتمكم كل هذه الخطايا والدنايا . . . » .

دور الأزهر في الكفاح

في الوقت الحاضر

من مبادئ الدين التي يؤمن بها المسلمون ، ويعنى بها الأزهريون ، العمل في سبيل عزة الوطن الإسلامي واستقلاله وعدم تحكم المستعمرين فيه . والأزهر بهذه التربية التي نشأ عليها طلابه ، وتوارثتها الأجيال من قديم الزمان ، يترقب كل فرصة ليظهر فيها آثار هذه التربية ، ويتوق إلى كل موقف يحقق فيه هذا الهدف الكريم .

ولقد كان تاريخه سلسلة متصلة الحلقات من المواقف الرائعة لصدد كل طغيان ، ومقاومة كل فساد، وكان نفوذه الروحي قوة جبارة جعلت الشعب يتخذ منه قائده ، ويعلق عليه كل آماله .

ومن أبرز هذه المواقف موقفه في عهد الثورة الحديدية المباركة ، التي كان من أول المبادرين إلى تأييدها ، ومبايعة قادتها على الوقوف معهم صفا واحدا في سبيل القضاء على الفساد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، وفي سبيل التخلص من الاستعمار ، وهما كل قواه للسير في ركب الحضارة الحديدية ، مدفوعا بوازع من الإيمان الحق ومبادئ الثورة وبوحي من النفوس التواقفة إلى حياة حرة كريمة ، فكان شيوخه وطلابه من ألمع الشخصيات البارزة في هيئات التحرير والمنظمات التي تعمل لتحقيق مبادئ الثورة ، وكانوا في طليعة المسهمين في تسليح الجيش ، بل قاموا بالتدرب على حمل السلاح استعدادا لمواجهة الطوارئ، حتى يكون كل فرد من أفراد قوة عظيمة في الإيمان والخلق والثقافة والسلاح... وأظهر مهارتهم في هذه الناحية ما تنطوى عليه نفوسهم من حب لمنازلة العدو بإيمان وقوة.

وعند ما دقت ساعة الخطر منذرة بتأمر الطفغة المستعمرين على النيل من كرامتنا واستقلالنا ، أعلن الأزهر التعبئة العامة لجميع جهوده ، وقدم كل إمكانياته قربانا في سبيل الاحتفاظ بالحرية والاستقلال ، فبادر بأجازه الطلاب ليتمكن الجميع من القيام بالواجب الذي ينتظرهم وينتظرونه .

وحملت كتائب الأزهر أسلحتها متوجهة إلى ميدان القتال ، مستمدين من توجيه شيخهم الجليل إيمانا وقوة وعزيمة . وفتح مبانیه لتجتمع المجاهدين وتوجيههم إلى

الميادين ، كما جعل مستشفى الخصاص مستشفى عاما لجميع المجاهدين من قوات التحرير ، وأعد المذشورات الكثيرة لتقوم بدورها في المقاومة الشعبية ، واذاعها مندوبوه على الشعب يدعونه إلى التكتل والبذل والوقوف صفا واحدا أمام طغيان المستعمر ، وتحذيره من الإرجاف بالآمنين ، وتصديق الإشاعات ، وأهابوا بالتجار ومن في أيديهم مصالح الجمهور ألا ينهزوا هذه الفرصة للمنافع الشخصية ، وبث وعاظه وجميع علمائه في المساجد والمجتمعات لتوجيه الشعب ، ومساندته في كفاحه ، وأصدر أوامره إلى جميع فروعه في كافة أنحاء القطر بالقيام بالواجب في هذه الأوقات العصيبة ، فكان كل فرع من فروعه خلية طبية صالحة كلها قوة وحيوية ، وميدانا كله كفاح متواصل ، متعاوننا مع السلطات في ايواء المهاجرين ومعونتهم وتقوية روح الشعب ، وتشجيعه بكل الوسائل الممكنة ، ولقد وردت إلى الإدارة تقارير عن هذه الجهود الطبية التي قامت بها المعاهد الدينية شيوخا وموظفين وطلابا في كل ميدان يمكنهم أن يؤدوا فيه واجبهم .

بل إن الأزهر قد امتد نشاطه إلى خارج القطر فوجه نداءه إلى مبعوثيه في الأقطار العربية والإسلامية ، للقيام بواجبهم نحو الوطن العربي الكبير ، فكان لجهادهم أثره البارز في المناطق التي يعملون بها ، ووردت منهم التبرعات التي تبلغ عشرات الألوف من الجنيهات .

وهذا كله تحت قيادة شيخهم الخليل الذي كان يشرف على هذه الجهود ويوجهها . وإلى جانب ذلك كان يتصل بالمسؤولين في المنظمات الدولية ، وبالشخصيات التي لها أثرها في البلاد المحبة للسلام ، يدعوهم إلى العمل على حماية الإنسانية من خطر تجار الحروب ، ويشكر كل من وقف بجانب مصر يؤيدها في كفاحها المجيد .

وليس هذا بجديد على الأزهر ، فهو من قديم الزمان كان شوكة تقض مضاجع المستعمرين ، وكان معقلا للثورات الوطنية في سبيل الحرية والاستقلال ، وقد اختاره قائد الثورة الرئيس البطل « جمال عبد الناصر » ليكون منبرا يذيع منه الخطب السياسية الصريحة الرائعة التي تكشف حقيقة الموقف الحاضر في مصر والشرق ، وما يذره الغربيون وصنائعهم من مكائد للقضاء على مقومات الأخلاق وحياة الحرية للشعوب التي تريد أن تضع لها تاريخا جديدا ملؤه الكرامة والعزة والسيادة . وكان هذا الصنيع دليلا واضحا على ما للأزهر من مكانة مرموقة في كل كفاح ، وكل حركة ترمي إلى الصالح العام ، منفذا بذلك تعاليم الإسلام الذي جاء لصالح الدين والدنيا ، ولإقرار السلام والأمن في ربوع الأرض ما

نشاط الأزهر

في مكافحة الطغيان

ننشر فيما يلي طائفة من البرقيات والقرارات التي صدرت عن الأزهر في الجهاد القائم لمكافحة حرب الطغيان :

السيد رئيس جمهورية مصر

السلام عليكم ورحمة الله وبعد :

فانه لما كان من واجب كل وطني العمل على تمكين دعائم العزة والحرية لوطنه ، والدود عن حياضه واستقلاله ، وإعداد ما يستطيع من قوة ، وبذل ما يملكه من نفس ومال . فان الأزهر يسعده أن يتقدم بالشيك رقم ٨٦٠٧٢٩ على البنك الأهلي المصري بالقاهرة بمبلغ ٥١٧٠ جنيها (خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها) كدفعة أولى اسهاما في مساعدة قوات الدفاع ، وإعانة المنكوبين من أسر الشهداء .

نسأل الله أن يحى البلاد ويصون الوطن ، وأن يكتب لسيادتكم ورجال جيشنا بالاسل وشعبنا العظيم دوام النصر والتأييد . انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الجامع الأزهر

(عبد الرحمن تاج)

نداء

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى جنود الحرس الوطني عند زيارته لمعسكر الأزهر بالدراسة في ٦ / ١١ / ١٩٥٦ لتوديع الكتائب عند سفرها إلى ميدان المعركة

أيها المصريون :

اثبتوا في جهادكم ، وكونوا أشداء في حربكم ، واقتحموا هذه المعارك بقوة عزم وإيمان ، واذكروا الله كثيرا ، يثبت أقدامكم ، وينصركم على أعدائكم .

أيها المؤمنون المجاهدون :

أنتم على الحق وأعداؤكم على الباطل ، وأنتم بالحق مؤمنون ، وهم للحق كارهون

جاحدون ، فأنتم تدافعون عن دياركم ووطنكم ، وهم معتدون باغون عليكم ، فثقوا بعدالة الله ، وأيقنوا بنصر الله ، فالله يغار على عباده المؤمنين ، وقد كتب التأييد والنصر والعزة للمجاهدين الصابرين .

أيها الأبطال في الميدان :

إنى أدعوا لكم فى سرى وعلانيتى ، وأضرع إلى الله فى صلواتى وخلواتى ، أن يشد عزمكم ، ويربط على قلوبكم ، ويصرف عنكم كيد أعدائكم ، ويفتت قواهم ، ويمزق شملهم ، ويجعل الدائرة عليهم .

إنى أهنتكم بما أحرزتم حتى الساعة من فوز ونصر ، بفضل الشجاعة والصبر ، فاستحضروا دائماً - فى كفاحكم وجلادكم ، فى هجومكم ودفاعكم - قوة الله ، واستمدوا دائماً من عون الله ، يمدكم بالنصر العزيز ، والفتح المبين ، فاثقلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين .

شكر رئيس وزراء الهند

السيد سفير الهند القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن تباغوا البانديت نهرو رئيس وزراء الهند بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحريات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار، ويناشدونه العمل الحاسم على لإنجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر، ورد إسرائيل وراء خطوط الهدنة، حقناً للدماء، وتوطيداً للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس حكومة الباكستان

السيد سفير الباكستان القاهرة

شيخ الأزهر وعلماؤه يرجون أن ترفعوا إلى السيد الجنرال ميرزا رئيس حكومة الباكستان بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ

الشرف الدولى وحرىات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر ، ورد إسرائيل وراء خطوط الهدنة ، حقناً للدماء ، وتوطيداً للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس جمهورية أندونيسيا

السيد سفير جمهورية أندونيسيا

شيخ الأزهر وعلمائه يرجون أن ترفعوا إلى السيد أحمد سوكانو رئيس جمهورية أندونيسيا بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحرىات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقناً للدماء ، وتوطيداً للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس حكومة سيلان

السيد بندراناكى رئيس حكومة سيلان كولمبو

شيخ الأزهر وعلمائه يشكرونكم على وقوفكم بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولى وحرىات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونكم العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقناً للدماء ، وتوطيداً للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر حكومة الاتحاد السوفيتي

السيد سفير الاتحاد السوفيتي القاهرة

شيخ الأزهر وعلمائؤه يرجون تبليغ حكومتكم بالغ الشكر على وقوفها بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولي وحریات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

شكر رئيس الولايات المتحدة

السيد سفير أمريكا القاهرة

شيخ الأزهر وعلمائؤه يرجون أن ترفعوا إلى السيد ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولي وحریات الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على انجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقناً للدماء ، وتوطيداً للسلام .

شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

زيارة مستشار السفارة الأمريكية

حضر مستشار السفارة الأمريكية المستر باركر هارت لزيارة فضيلة الأستاذ الأكبر حوالى الساعة الثانية عشرة يوم ١٩ / ١١ / ١٩٥٦ واستمرت المقابلة نصف ساعة تقريباً . وذكر الزائر أنه حضر لإبلاغ فضيلته أن الرئيس ايزنهاور تلقى برقيته ويشكره كثيراً عليها .

وأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر : اننا ننتظر أن تثمر جهود الرئيس ايزنهاور في إقرار الأمن والسلام ، وأن يوفق في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، لأن الإنسانية في حاجة إلى التعاون المثمر ، أما التدمير والتخريب فهو متناف للإنسانية ، وهو من الطبيعة الوحشية .

وقال الزائر : إنه يعتقد أن الرئيس ايزنهاور يعمل في هذا الطريق دائما ، وإن العالم أجمع قد استنكر هذا العدوان الذي قامت به إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، وحكم عليه بأنه خطأ من جميع النواحي الأدبية والحلقية والسياسية ، وأنه إن كانت تربطنا روابط الجنس بالشعب الانجليزي إلا أننا نستنكر هذا العمل ، كما تستنكر مصر عملا خاطئا تقوم به إحدى الدول العربية ، وأمريكا تحرص على أن ترد الانجليز عن هذا العمل .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا نعرف أن نفوذ الرئيس ايزنهاور واسع على الدول المعتدية ، ونأمل أن يؤدي هذا النفوذ إلى وقف عدوانها وسحب القوات المعتدية فورا ، ونحن نعرف أن هذه الدول حليفة لأمريكا ، ولسكنها سلكت طريق الشر والعدوان ، وتعكير الأمن والسلام ، ووقفت ضد المبادئ الإنسانية ، وقد أعلنت أمريكا في هذا الموقف أنها اختارت نصرة المبادئ لانصرة الحلفاء . ونحن نحب السلام ونحب كل شعب وكل أمة تعاوننا على إقرار السلام ، ولكن حينما يعتدى علينا فإن ديننا يأمرنا بمقاومة العدوان وحرب المعتدين بكل ما أوتينا من قوة ، ويعلمنا أن من يموت في سبيل ذلك فإنه سيحيا حياة أرقى وأفضل من هذه الحياة ، ونحن جميعا جنود في هذه المعركة : الشيوخ والشبان ، وقد تدرب رجال الأزهر واستعدوا للقتال جنبا إلى جنب مع جميع أفراد الشعب ، استجابة لأوامر الدين ، ولا تطمع إنجلترا في أننا سنسمح لها باحتلال بلادنا مرة أخرى ، وقد كانت مقاومة أبناء بورسعيد مثالا لمقاومة أبناء هذا الشعب في كل مكان . فنحن قوم مسالمون ، ولكن إذا اعتدى علينا فأنا نحارب بكل ما نستطيع ، ومن يتأخر عن ذلك فهو خارج عن الدين .

وهنا أكد الزائر لفضيلته أن أمريكا جادة في العمل على منع العدوان وإقرار السلام ، وعودة أرض مصر إليها وانسحاب القوات المعتدية .

شكر جلالة شاه إيران

السيد سفير إيران القاهرة

شيخ الأزهر وعلمائه يرجون أن ترفعوا إلى جلالة الشاه بالغ الشكر على وقوفه بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولي وحرية الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونه العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فورا من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام . شيخ الأزهر (عبد الرحمن تاج)

جواب جلالة شاه إيران

أرسل صاحب الجلالة امبراطور إيران البرقية الآتية إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ردا على برقية فضيلته السابق لإرسالها إلى جلالته :

فضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

كان من بواعث الشكر والسرور وصول برقية فضيلتكم ، عند ما حل الهجوم وسفك الدماء محل السلم والهدوء في مصر العزيزة الشقيقة ، نظرت إيران حكومة وشعبا بعين العطف إلى هذه الحادثة المؤسفة ، وقد قامت حكومتنا باتخاذ الإجراءات في الأوساط الدولية وفي إيران لاستنكار القوة والعدوان ، ولم تتوان في بذل جميع جهودها لحل السلم والهدوء في مصر .

وكان قرارنا القاطع هو جلاء القوات المحتلة وانسحاب إسرائيل إلى خطوط الهدنة ، ويسرنا أنه قد تم التوفيق على اتخاذ إجراء جماعي على أثر انعقاد مؤتمر رؤساء وزراء الدول الإسلامية الأربع في طهران لأجل هذا الغرض .

ونرجو أن يتم بعون الله تعالى زوال هذه الحادثة قريبا بتدخل هيئة الأمم المتحدة ، ويسود الهدوء الكامل مصر الشقيقة .

شكر سكرتير هيئة الأمم المتحدة

السيد همرشيلد سكرتير هيئة الأمم المتحدة بنيويورك

شيخ الأزهر وعلمائه يشكرونكم على وقوفكم بجانب الحق ، والاستجابة لنصرة العدالة ، والدفاع عن مبادئ الشرف الدولي وحرية الشعوب ، واستنكار الغزو والاستعمار ، ويناشدونكم العمل الحاسم على إنجاز سحب قوات العدو فوراً من مصر ، ورد إسرائيل وراء خط الهدنة ، حقنا للدماء ، وتوطيدا للسلام .

شيخ الأزهر

(عبد الرحمن تاج)

جواب السكرتير العام

للأمم المتحدة

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج

الجامع الأزهر - القاهرة

في هذا الوقت الذي تمر فيه الأمم المتحدة بدور التجربة والابتلاء يسر هؤلاء الذين يبذلون أعظم الجهود في حفظ السلام ويقوى قلوبهم: أن يعلموا بتأييد الرأى العام القوى لهيئة الأمم المتحدة وللبادئ الإنسانية التي يقوم عليها ميثاقها .

ولو أن السكرتير العام يأسف لعدم استطاعته الإجابة شخصيا على كل الرسائل والبرقيات التي تلقاها فإنه يسره التعبير عن تقديره العظيم لكل رسالة ثقة وتشجيع .

تهنئة إلى الرئيس

بسالة الجيش ، وحزم القيادة ، وبطولة بورسعيد

السيد رئيس جمهورية مصر .

بسالة الجيش وحزم القيادة وقوة الشعب رفعت رأس مصر عاليا في آفاق الدنيا ، وأرغمت الأعداء على وقف القتال ، وإنها خطوة في سبيل النصر تتلوها خطوات ، فنهشكم ونهني شعب مصر ، ونفتخر بأبناء بورسعيد الأبطال ، كما نعتز بأن البلاد كلها في يقظة تامة وحذر بالغ واستعداد للقاء الأعداء ، إن هم نقضوا عهدهم وعادوا لخطة مكر أو خداع .

والله يرعى مصر ، ويرعاهم للوطن وأمم العروبة والإسلام . شيخ الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

برقية جماعة علماء الباكستان

فضيلة شيخ الأزهر بالقاهرة

جماعة علماء الباكستان باسم الشعب الباكستاني تستنكر العدوان الوحشي على مصر ، وتعرب عن تأييدها القلبي للشعب المصري .

البدايوني

رئيس جمعية علماء الباكستان

برقية الرابطة الإسلامية بباكستان

فضيلة رئيس ديعة كبار العلماء بالقاهرة
 تسامنا برقيتكم ، يبذل الباكستانيون غاية جهدهم لتأييد قضية مصر ، وهم يعتبرون
 الاعتداء على مصر اعتداء على العالم الإسلامي . نقوا أننا لن نذخر أى جهد .
 رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان
 كراتشي

برقية السكرتير العام

للأمم المتحدة

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أتشرف بأبلاغكم باسم السكرتير العام للأمم المتحدة - بتسلم صورة القرار الذى
 أصدره المجلس الأعلى للأزهر فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٦ المحولة إلى مركز الأمم المتحدة
 بواسطة مدير مكتب الأمم المتحدة للأنباء بالشرق الأوسط .

ويسرنى أن أخبركم أنه أخذ بيان بمحتويات هذا القرار الذى سيوضع تحت تصرف
 الدول الأعضاء للاطلاع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

إمضاء

نائب السكرتير للشئون السياسية ومجلس الأمن

مَحْـوْث

في مصادر الشريعة النظرية

— ٧ —

أهمية مسلك المناسبة : ومسلك المناسبة أهم المسالك المعرفة للعلية ، وهو العمدة في إثبات علل الأقيسة ، ومن يتبع الأقيسة المذكورة في كتب الفقه ، وينعم النظر في علمها يجد أكثرها ثابتا بطريق المناسبة ، وقل أن يجد علة في تلك الأقيسة دل على ثبوتها النص أو الإجماع .

كما يجد أن هذا المسلك كان سببا كبيرا من أسباب الاختلاف الحاصل بين الأئمة في استنباط الأحكام بطريق القياس ، فكثيرا ما يتفقون على الحكم ، ولكنهم يختلفون في تعيين الوصف المناسب لذلك الحكم ، فيرى بعضهم أن المناسب له وصف معين ، ويرى غيره أن المناسب له وصف آخر ، فيحصل الخلاف بينهم في الاستنباط تبعا لذلك ، وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

المثال الأول : أن الأئمة الأربعة اتفقوا على تحريم الربا في الأصناف الستة التي ورد بها الحديث الشريف ، وهي : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ، وأن هذا التحريم معقول المعنى وليس من الأحكام التعبدية ، ولكنهم اختلفوا في تعيين الوصف المناسب لهذا الحكم ، فالحنفية رأوا : أنه الكيل أو الوزن ، والمالكية رأوا : أنه الثمنية في الذهب والفضة ، واللافتيات والادخار في الأصناف الأربعة ، والشافعية رأوا : أنه الثمنية في الذهب والفضة ، والطعم في الأصناف الأربعة ، ومن هنا جاء اختلافهم في الأموال التي يحرم الربا فيها بالقياس على هذه الأصناف . فالحنفية رأوا أنها كل ما يكال أو يوزن كالحديد والنحاس والقطن ونحوها من غير نظر إلى وصف الطعم أو الادخار ، والمالكية رأوا أنها كل ما يقتات به الناس ويدخرونه كالذرة والأرز والعدس ونحوها من غير نظر إلى الكيل أو الوزن أو الطعم ، والشافعية رأوا أنها المطعومات كالقول والأرز والتفاح والكثير والخيار ونحوها من غير نظر إلى الكيل أو الوزن أو الادخار .

المثال الثاني : أن الحنفية والشافعية اتفقوا على ثبوت ولاية التزويج للأب على ابنته البكر الصغيرة ، لكنهم اختلفوا في الوصف المناسب لهذا الحكم . فالحنفية رأوا : أنه

الصغير ، والشافعية رأوا : أنه البسكرة ، ومن هنا جاء اختلافهم فيمن تثبت عليه ولاية التزويج بالقياس على ذلك .

فقال الحنفية : تثبت على الثيب الصغيرة لوجود الصغير الذى هو العلة في ثبوت الولاية على البكر الصغيرة ، ولا تثبت على البكر الكبيرة لانتفاء العلة ، وهى الصغير .
وقال الشافعية : تثبت على البكر الكبيرة لوجود البسكرة التى هى العلة في ثبوت الولاية على البكر الصغيرة ، ولا تثبت على الثيب الصغيرة لانتقاء العلة ، وهى البسكرة .

المثال الثالث : أن الفقهاء اتفقوا على ثبوت الشفعة في العقار ، وأن هذا الحكم ليس من الأحكام التعبدية ، ولكنهم اختلفوا في المعنى المناسب لهذا الحكم ، فقال علماء الحنفية ومن وافقهم : إن المعنى المناسب هو الضرر الذى يحتمل حصوله من الدخيل كالأذى وسوء المعاملة ، وقال الشافعية ومن وافقهم : إن المعنى المناسب ضرر خاص ، وهو الضرر الذى ينشأ عن قسمة العقار بين الشريك القديم والشريك الجديد ، ولهذا اتفقوا جميعا على ثبوت الشفعة في العقار الذى يحتمل القسمة ، وعلى ثبوتها للشريك في نفس العقار ، وذلك لتحقيق المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو احتمال حصول الضرر من الدخيل عند الحنفية ومن وافقهم ، واحتمال حصول الضرر الناشئ عن القسمة عند الشافعية ومن وافقهم ، واختلفوا في أمرين :

أحدهما : ثبوت الشفعة في العقار الذى لا يحتمل القسمة كالدار الصغيرة والحمام والبئر ونحوها . فقال الحنفية ومن وافقهم : إن الشفعة فيه أيضا كما تثبت في العقار الذى يحتمل القسمة لتحقيق المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو احتمال الضرر من المشتري الأجنبي ، وقال الشافعية ومن وافقهم : إن الشفعة لا تثبت فيه لانتفاء المعنى المناسب لتشريع الشفعة ، وهو الضرر الحاصل من القسمة ، إذ العقار غير قابل لها .

وثانيهما : ثبوت الشفعة للشريك في حق من حقوق العقار كالطريق والشرب الخاضعين ، ولجار الملاصق الذى لا يكون شريكا ، فقال الحنفية ومن معهم : تثبت لهما الشفعة لوجود المعنى المناسب لتشريع الشفعة بالنسبة لـ كل منهما ، وهو احتمال حصول الضرر من الدخيل ، وقال الشافعية ومن معهم : لا تثبت الشفعة لواحد منهما ، لانتفاء المعنى المناسب لتشريع الشفعة بالنسبة لـ كل منهما ، وهو ضرر القسمة ، لأنه لا شركة لواحد منهما في نفس العقار حتى يحتاج إلى القسمة .

٢ - الاستحسان

وسنجعل الكلام على الاستحسان في المواضيع الآتية : تعريفه ، أنواعه وأمثلة كل نوع منها ، حججه .

تعريف الاستحسان

تمهيد :

كلمة الاستحسان اشتهرت عن الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وأطلقوها في كثير من المسائل الفقهية المنقولة عنهم على وجه يفهم منه أن الاستحسان دليل من الأدلة التي يعتمد عليها في استنباط الأحكام الشرعية ، وكثيرا ما يرد ذكره عنهم مقرونا بكلمة القياس فيقولون : القياس في هذه المسألة يقتضي كذا ، والاستحسان يقتضي كذا ، أو القياس يقتضي كذا ، ولكننا نستحسن كذا ، أو الاستحسان يقتض كذا ، والقياس يقتضي كذا ، وبالقياس نأخذ ... إلى غير ذلك من العبارات المختلفة المنقولة عنهم [١] .

ومع ورود الاستحسان كثيرا في كلام هؤلاء الأئمة لم ينقل عنهم تحديد هذا الاستحسان وبيان المقصود منه ، كما لم ينقل عنهم بيان المراد من القياس المقابل لهذا الاستحسان ، أهو القياس الاصطلاحي المعروف في أصول الفقه الذي هو إلحاق فرع بأصل في حكمه لاشتراكهما في علة الحكم ، أو هو الدليل العام أو القاعدة المقررة .

ومن هنا أنكر بعض العلماء على أئمة الحنفية هذا الاستحسان ، وشنعوا عليهم في ذلك ظنا منهم أن الاستحسان من قبيل الرجوع إلى الرأي والتشهي من غير دليل شرعي ، وقال في هذا الإمام الشافعي قولته المشهورة عنه : « من استحسَن فقد شرع » [٢] ، يعني أن من أثبت حكما بالاستحسان فقد وضع شرعا من قبل نفسه ، وليس ذلك له لأنه كفر أو كبيرة [٣] . ولما وجد كبار الأصوليين من الحنفية هذه الطعنات الموجهة إلى أئمة المذهب قاموا بواجب الدفاع عنهم فبينوا حقيقة الاستحسان الذي قال به أئمتهم ، وأثبتوا أنه دليل

[١] انظر أصول السرخسي ٢ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

[٢] اشتهرت هذه العبارة عن الإمام الشافعي ، ونقلها الفزالي في كتابه « المنخول » وغيره ، ويقول ابن السبكي في الأشباه والنظائر : إنه لم يجد هذه العبارة في كلامه نصا ، ولكنه وجد في الأم ما يفيد هذا المعنى فقد جاء فيه « ان من قال بالاستحسان فقد قال قولاً تظيما ووضع نفسه في رأيه واستحسنه على غير كتاب ولا سنة موضعها في أن يتبع رأيه ... الخ » انظر حاشية العطار على جمع الجوامع ٢ ص ٣٦٠ .

[٣] شرح الجلال المحلى وحاشية العطار عليه ٢ ص ٣٦٠ ، والتلويح على التوضيح ٢ ص ٣ .

من الأدلة المتفق عليها بين الجمهور، وليس تشريعا بالهوى والتشهى ، كما فهم المنكرون (١) .
غير أن هؤلاء الأصوليين لم تتفق كلمتهم على تعريف واحد للاستحسان ، بل كانت لهم تعريفات كثيرة متباينة ، فمنهم من عرفه بأنه دليل ينقدح في نفس المجتهد يعسر عليه التعبير عنه (٢) ومنهم من عرفه بأنه العدول عن موجب قياس إلى قياس أقوى منه (٣) ومنهم من عرفه بأنه قياس خفى لا يتبادر إلى الأفهام في مقابل قياس جلي (٤) ومنهم من عرفه بأنه العدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه لوجه هو أقوى يقتضى العدول (٥) ، ومنهم من عرفه بأنه كل دليل شرعى في مقابلة قياس جلي سواء أ كان نصا أم إجماعا أم ضرورة أم قياسا خفيا ، إلا أن هذه التعريفات لم تسلم من النقد ، لأن بعضها مبهم لا يدرى المراد منه ، وبعضها لا ينطبق على الاستحسان في جميع صورته ، وبعضها يشتمل على ما لا يسمى استحسانا عندهم ، وبيان ذلك كما يلي :

أما التعريف الأول فقد قال فيه الغزالي في كتابه « المنخول » كما نقله عنه العطار في حاشيته على شرح الجلال المحلى (٦) « إن معانى الشرع إذا لاحت في العقول انطلقت الألسن بالتعبير عنها ، فلا عبارة عنه لا يعقل » وقال في المستصفى [٧] : « إن هذا هوس لأن ما لا يقدر على التعبير عنه لا يدرى أنه وهم وخيال أو تحقيق ، ولا بد من ظهوره ليعتبر بأدلة الشريعة لتصحيح الأدلة أو تزيفه . أما الحكم بما لا يدرى ما هو فن أين يعلم جوازه ؟ أبضرة العقل أو نظره أو بسمع متواتر أو آحاد ؟ ولا وجه لدعوى شيء من ذلك » .

وأما التعريف الثانى فإنه يلاحظ عليه « أولا » أنه لا يشمل الاستحسان الثابت بدليل آخر غير القياس كالاستحسان الثابت بالنص أو الإجماع أو الضرورة وغيرها على ما سيأتى في الكلام على أنواع الاستحسان ، « وثانيا » أنه يلزم على هذا التعريف أن

[١] راجع كشف الأسرار لمبد العزى البغارى - ٤ ص ١١٢٣ .

[٢] انظر مختصر المنهى لابن الحاجب - ٢ ص ٢٨٨ ، والتمويلج - ٢ ص ٣ ، وجمع الجوامع لابن السبكي - ٢ ص ٣٦٠ .

[٣] كشف الأسرار - ٤ ص ١١٢٣ والمرجعين السابقين .

[٤] كشف الأسرار - ٤ ص ١١٢٣ ، والتحرير مع شرح التقرير والتعجير - ٣ ص ٢٢٢ ومسلم

الثبوت - ٢ ص ٣٢٠ .

[٥] كشف الأسرار - ٤ ص ١٢٣ والأحكام للآمدى - ٣ ص ١٣٧ ومختصر ابن الحاجب - ٢ ص ٢٨٨ .

[٦] [٧] - ١ ص ٢٨١ .

[٦] - ٢ ص ٣٦٠ .

علماء الحنفية يتركون الدليل القوي ويعملون بالضعيف حينما يقولون في بعض المواضع : القياس كذا ، والاستحسان كذا ، وبالقياس نأخذ ، وذلك كما في سجدة التلاوة في الصلاة ، فقد سئل الإمام محمد بن الحسن عن الرجل يقرأ آية السجدة في الصلاة فيركع عنها ، هل تجزئه ؟ فقال : أما في القياس فالركوع في ذلك والسجود سواء ، لأن كل ذلك صلاة ، وأما في الاستحسان فينبغي له أن يسجد ، وبالقياس نأخذ [١] .

وأما التعريف الثالث ، فيلاحظ عليه « أولا » أنه لا يشمل جميع أنواع الاستحسان كما في التعريف الثاني « وثانيا » أنه جعل القياس المقابل للاستحسان هو القياس الاصطلاحي المعروف في أصول الفقه ، وهذا مخالف للواقع ، فقد يكون المراد به القياس بهذا المعنى ، وقد يكون المراد به الدليل العام أو القاعدة المأخوذة من مجموع الأدلة الواردة في شيء واحد .

وأما التعريف الرابع ، فيلاحظ عليه « أولا » أنه لم يبين نوع الدليل المفتضى للعدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر ، وهو إيهام ينبغى أن تخلو التعريفات منه ، « وثانيا » أنه يلزم عليه أن يكون العدول عن العام إلى الخاص ، وعن المنسوخ إلى الناسخ استحسانا ، وليس كذلك « وثالثا » أنه يلزم عليه أن علماء الحنفية يتركون العمل بالدليل القوي ويعملون بالدليل الضعيف حينما يأخذون بالقياس في بعض المواضع ويتركون الاستحسان ، كما في مسألة سجود التلاوة في الصلاة التي أسلفنا بيانها .

وأما التعريف الخامس فهو وإن بين الدليل المستحسن به ولكنه حصر هذا الدليل في أربعة ، وهى النص والاجماع والضرورة والقياس الخفى ، وهو غير صحيح ، لأن الاستحسان كما يكون بهذه الأدلة الأربعة يكون بغيرها كالعرف والمصلحة ، كما يؤخذ من الفروع الفقهية المنقولة عن علماء المذهب الحنفى على ما سيأتى بيانه في أنواع الاستحسان ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا التعريف جعل القياس المقابل للاستحسان هو القياس الاصطلاحي المعروف في أصول الفقه ، وهذا مخالف للواقع كما تقدم .

وهناك تعريفات أخرى للاستحسان ولكنها أيضا لا تخلو من الإيهام أو القصور ، وأحسن ما يقال في تعريفه في رأينا هو ما يأتى :

التعريف المختار للاستحسان :

الاستحسان يطلق على أمرين : « أحدهما » القياس الذى خفيت علته لدقتها وبعدها عن ذهن الواقع فى مقابلة قياس ظهرت علته لتبادرها إلى ذهن أولا .

« وثانيهما » استثناء مسألة جزئية من أصل كلى لدليل خاص يقتضى ذلك الاستثناء ، سواء أكان هذا الدليل نصا أم لإجماعا أم ضرورة أم عرفا أم مصلحة أم غيرها .

وبيان ذلك : أن بعض المسائل التى لم يرد بها نص أو إجماع يكون لها شبه بأصلين ثبت لكل منهما حكم شرعى ، وأحد الشبهين قريب يتبادر إلى الأذهان ، والآخر بعيد بالنسبة إلى الشبه الأول فيجتمع فيها قياسان متعارضان : أحدهما ظاهر جلى ، والآخر خفى ، فيسمى علماء الحنفية القياس الخفى استحسانا والحكم الثابت به حكما مستحسنا ثابتا على خلاف القياس أى القياس الأصولى المعروف [١] .

وأن بعض المسائل قد يتناولها دليل من أدلة الشرع العامة ، أو قاعدة من القواعد المأخوذة من مجموع الأدلة الواردة فى موضوع واحد ، ولكن يوجد فيها دليل معين من نص أو إجماع أو ضرورة أو غيرها يقتضى استثناءها وخروجها من الحكم الكلى الثابت لنظائرها بمقتضى الدليل العام أو القاعدة المقررة ، فيسمى علماء الحنفية هذا العمل استحسانا ، ويسمون الحكم الثابت به حكما مستحسنا ثابتا على خلاف القياس أى الدليل الشرعى العام أو القاعدة المقررة عندهم .

هذا هو معنى الاستحسان عند فقهاء الحنفية كما يؤخذ من مسائلهم الفقهية التى صرحوا فيها بكلمتى الاستحسان والقياس ، فإن من يتبع تلك المسائل يجدها لا تعدو واحدة من هاتين : مسألة وجد فيها قياسان متعارضان ، أحدهما ظاهر جلى ، والآخر خفى . ومسألة استثنيت من حكم كلى لدليل خاص يقتضى ذلك الاستحسان ما (يتبع)

زكى الدين شعبان

المدرس بكلية حقوق عين شمس

[١] وقد بين عبد العزيز البخارى فى كتابه « كشف الأسرار » ص ٤٣٣ ١١٢٣ السبب فى تسمية القياس الخفى استحسانا فقال : « وإنما سمي القياس الخفى بالاستحسان لانه فى الأكثر والأغلب يكون أقوى من القياس الظاهر فيكون الأخذ به مستحسنا » .

تعلّيقاً

شهد الانجليز والفرنسيون على أنفسهم بالوحشية

وشهد العالم كله على هذين الخصمين بالخصاسة ، والإجرام ، والتبجح في وجه الدول عامة ، فهل نسمع بعد اليوم أن حضارة الانجليز والفرنسيين أغنتهم عن أدب الإنسانية ، أو عن يقظة الضمير ، أو عن تقدير العدالة الاجتماعية في معاملة مصر ؟ ؟
بيننا أفراد خدعتهم مفاتن الغرب الهائلة ، فطوعت لهم أنفسهم أن يمتدحوا الغرب في كل شيء .

وكان في مصر احتلال ، وكانت لهذا الاحتلال مآس وأضرار ، ولكن عشاق الغرب نسوا كل ذلك ، وأسرفوا في تمجيد الغرب على علاته ، حتى كدنا نراهم يضعون أهل الغرب في مصاف الملائكة الأطهار من رجس الأرض ، ومن خبث الشياطين .

دعيت يوماً إلى حضور ندوة أدبية ، لسماع مناظرة حول الشرق والغرب . . . وكانت شخصيات المتناظرين أدعى إلى الحرص على المبادرة ، حبا فيما نسمع منهم ، وكان في مقدمة الناهضين إلى الحديث دكتور ترأس جامعه القاهرة فترة من الزمن . . .

قام دكتورنا أحمد زكي ينثر علينا مدائح الغرب ، ويشيد بفضله على الدنيا ، ويعجب في إيمان أكيد من تفوق الغرب على الشرق في علمه وخلقه ، وفي كل شأن من شئون الحياة قديماً وحديثاً . . . وانهت به فتنته الجاحمة الى الدعوة الملحة لمحاكاة الغرب في كل ما يكون منه دون استثناء .

ثم انحرف دكتورنا في حديثه بخاة ، فدعا إلى التخلص من دعوة الأزهر أو الإعراض عنها . .

والأزهر - كما يعرف الدكتور أحمد زكي مذ كان مدرسا فيه - لا يدعو لغير الدين ،

والاعتزاز بمجدنا العربي الإسلامي، والتوجيه إلى الاحتفاظ بشخصيتنا الإسلامية العربية ،
ومع أن الدكتور زكي كان شرقيا في سمته ، وفي لغته ، فلم يكن شرقيا ولا إسلاميا في
فكرته ، ودعوته ، ولا موفقا في شيء مما عرض له .

وأحسن الله جزاء الأستاذين : الدكتور إبراهيم سلامة ، والدكتور مصطفى الحفناوى .
فقد رجعا بالدكتور زكي إلى صوابه ، وصححا له انحرافه في كل ما تحدث به ، وهدأت
خواطر السامعين بصدق ما قالوا عن الشرق في قديمه وحديثه ، وقبع الدكتور زكي
في مكانه يسمع ويوافق . .

وقد ضرب الأستاذ الحفناوى خير الأمثلة على نهوض الشرق منذ كان الغرب كله
يتخبط في جهالته ، وكانت الدنيا مشرقة بنور الإسلام ومعارف الإسلام .
وذكرنا بحق الغرب الذى أشعل الحروب الصليبية على المسلمين ، وانهارت فيها
دماء البشر نحو قرنين من الزمن ، حتى أخذ جذوتها صلاح الدين الأيوبي ببسالة الشرق
وعدالة الإسلام .

وها هو الغرب يستأنف وحشيته حقدا على مصر أو تشكيلا بالشرق في شخصها .
فكادت مصر تنهض من عثارها ، وتستأنف خطاها ، حتى تصدت لها دولتان ،
مع ثالثة مزعومة .

هاجموا مصر وحدها ، واعتدوا على حماها ، غير مستجيبين لضمير ، ولا مشفقين
بالإنسانية .

فهل نسمع من مفتون بعد اليوم أن حضارة الغرب أغنت الإنجليز ومن إليهم عن
أدب الإنسانية ، ورعاية العدالة الاجتماعية في معاملة مصر ؟ ؟

وما دامت مصر غير عادية على سواها ، ولا مسيئة في سياستها ، فإن الله معها اليوم كما
كان معها في الحروب الصليبية وغيرها .

وعما قليل ستعرف أعلام النصر في أيدي أبطالها ، وعلى جنبات النيل ومشارف
الوادي كله . والله مع الصابرين .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

الفتاوى

حكم تبني أيتام بور سعيد الباسلة

تقدم للوزارة الكثير من أبناء الأمة يطلبون تبني الأطفال من أيتام مدينة بور سعيد، كما تقدم البعض يطلبون تسلم هؤلاء الأطفال لتربيتهم والصرف عليهم .
وبناء على توجيه السيد الوزير ، نرجو التكرم بالأمر بموافاتنا ببحث كامل عن هذا الموضوع ليقسنى البت في الطلبات المقدمة .

مدير مكتب وزير الشؤون الاجتماعية والعمل

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد - فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد أن التبني بمعنى جعل الطفل ابناً يتبناه ، بحيث يترتب على تبنيه الميراث ونحوه من أحكام النسب ، باطل في الإسلام ، سواء أكان الطفل معروف النسب أم مجهول ، لقوله تعالى : « وما جعل أدياءكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعوهم لأبائهم هو أقصط عند الله » ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » ولا خلاف بين الأئمة في هذا الحكم ، وبه بطل ما كان معروفاً في الجاهلية وصدر الإسلام من التبني .

أما التبني بمعنى كفالة الطفل الذي فقد من كان يعوله لتربيته والقيام بشئونه دون إلحاقه في النسب بمن يتولاه ، فلا خلاف في أنه مطلوب شرعاً ؛ لما فيه من إحيائه وإغاثته ، كما في حوادث بور سعيد التي فقد فيها هؤلاء الأولاد آباءهم ومن يعولهم من المسلمين . بل إن ذلك واجب على القادرين الأمراء من المسلمين ، ولأن قام بذلك ثواب عظيم يعادل ثواب المجاهدين ، كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري ومسلم : « من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا » ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا » .
غير أنه يجب ألا يسلم هؤلاء الأطفال إلا لمن عرف بالقدرة والأمانة من المسلمين ، فلا يسلمون لعاجز ولا لغير أمين ولا لغير مسلم سواء عرف كون الطفل من أبوين مسلمين أم لم يعرف ذلك ، لأن مجهول النسب مسلم حكماً لوجوده في دار الإسلام .

رئيس لجنة الفتوى

وبهذا علم الجواب والله أعلم

- ١ -

مصر والاسلام

فى سنة ١٨ هجرية اهتزت أرض مصر الشرقية بحاهدين من طراز ممتاز يتقدمون رجالا وفرسانا وهم يكبرون فى الصباح والمساء ، وينادون بتوحيد الله ، وبأن الملك لله يورثه من يشاء من عباده ، وأن العاقبة للمتقين . جاءوا لينشروا دين الإنسانية ، دين السلام والأخوة ، وليؤدوا رسالة حملهم إياها الإسلام حين قال : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

وكان لهم من حسن فعالهم وطيب سيرتهم ما سهل لهم السبيل ، ومهد لهم الطريق لنشر هذه المبادئ ، والقضاء على طغيان الجاهلية . ولأن الله يريد بالمصريين خيرا دخل دعاة الإسلام مصر ، وانتهت موجة الفتح ، واستقرت الأمور ، وذهب الحكام الظالمون إلى حيث يلقي الظالمون مصيرهم .

وهاجر حملة رسالة الإسلام إلى مصر واتخذوها وطنًا لهم ، واتصلوا بأهلها بالزواج والمصاهرة ، حتى صارت مصر عربية لحما ودما . ومنذ ذلك اليوم صارت مصر أمة عربية ثقافة وجنسا ، وأخذ أهلها يدخلون فى دين الله أفواجا . . . ومع ذلك لم يكن أحد يظن أن هذا البلد سيكون له أثر كبير فى تاريخ الإسلام ، وأنه سيتلقف الزعامة لنشر هذا الدين والذيادة عن حياض الإسلام وأممه على مدى القرون .

والناظر لتاريخ الإسلام يرى أنه اصطدم بقوتين جبارتين فى ابتداء مده وقد تغلب عليهما : أما الأولى فهى القوة الشرقية ممثلة فى الدولة الفارسية ، وأما الثانية فهى القوة الغربية ممثلة فى الدولة الرومانية والبرنطية ، ولقد قامت مصر بعد ذلك تصد طغيانا آخر من الشرق ومن الغرب .

أما الهجوم الشرقى على أرض الإسلام الذى تلا حركة التحرير الإسلامى فكان بقوة التعار الجارفة العاتية التى استطاعت أن تنال العروش والممالك ، وأن تقوض عرش الخلافة من بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وتعميث فى الأرض فسادا ، وتنشر الذعر والخوف فى كل مكان تطأه أقدامها ، بعد قتل المقاومين ونهب بلادهم وهناك أعراضهم . واستمر سيلهم فى اندفاعه إلى أن اصطدم بصخرة عاتية فتحطم عليها ، ورجع على أعقابها يلعق فى دمائه ، ويحكى أحاديث

الهزيمة المنكرة التي منى بها ، أمام أسود مصر في « عين جالوت » حين هب هذا الشعب الأبي يحمي حماه ويذود عن عرينه ، مستلهما من الله النصر والمعونة وتبثت الأقدام ، فكان له ما أراد ، وانتصر على الطغاة ، وردهم على أعقابهم خاسرين .

وأما الهجوم الغربي الثاني على أرض الإسلام فكان بطغيان أوروبا جميعا ، يسوقها في ذلك أمل التملك ، وفرض سيادة التعصب الديني على قوم هداهم الله . ولقد اندفع تيارهم بقوة وعنف ، حتى استطاع أن يصنع بحيرة في الشام تشتمل على عدة ولايات من أرض الإسلام يحكمها حكام غربيون ، وأخذوا يثبتون أقدامهم وينتفون دولتهم ، وهم يظنون أنهم قد بلغوا غايتهم بتأسيس دولة في قلب بلاد الإسلام وبين ظهراني أهلها .

ولكن مصر وأبناء مصر أثبتت لهم أنه لا سبيل إلى إيجاد دولة أو ولاية في أرض الإسلام وبين أحضانها ، فهضمت وثمرت عن سواعدها ، واستلهمت ربها وطلبت منه المعونة ، فجاءتها قوة السماء من جديد حتى استطاعت أن ترد الطغاة على أعقابهم وعلى رأسهم أحد جدود « إيدن » ريكارد دوس وجد « ينو » ملك فرنسا . عادا وقد تكفل رأساهما بالهزيمة والعار ، وعلم من علم يومئذ أنه لا سبيل إلى بناء دولة أجنبية في أرض الإسلام بعد أن أزيلت إماراتهم بعد مائة عام من تأسيسها .

ولكن الغرب ينسى ، ويأبى إلا أن يتلقى درسا عقب درس ، وهزيمة إثر هزيمة . والتاريخ يعيد نفسه .

لذلك ترى الغرب اليوم يجمع قواته ويحشد جنوده ليضرب قلب الإسلام مصر . ومصر اليوم تحذأ أضراسها وتكشر عن أنيابها وتسدد حراها لتضعها في حلق الغرب من جديد ، ولتذيق الأحقاد ما ذاقه الأجداد من الهزيمة والعار والخزي والشتار .

وإني اليوم لأذكر أحقاد المجاهدين المناضلين بأن آباءنا وأجدادنا إنما انتصروا على القوتين الشرقية والغربية في الماضي بالروح الإلهي الذي جاءهم مع رجال على خيولهم وآخرين على أقدامهم يكبرون في الصباح والمساء ، ويذكرون الله آناء الليل وأطراف النهار ، ويستلهمون المدد من السماء ، فلكي تكون العاقبة كما مرت في الحادثتين السابقتين ، نرجو أن تعود مصر مسالمة كما كانت ، ومؤمنة كما كانت . وعند ذلك انتظروا الفوز المؤكد ، والنصر المحقق ، وما النصر إلا من عند الله ، ولنصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز .

محمد محمد شتا زيتونه

كلية اللغة العربية - السنة الثانية

- ٢ -

من روائع البطولة وآيات الفداء في تاريخ الاسلام

إن تاريخ الإسلام المجيد ليحوى بين دفتيه ، ويضم بين جوانبه ، مثلاً حيّة ،
ونماذج رائعة ، وآيات بينات ، تدل على شجاعة حقّة ، وبطولة فذة ، وجهاد حميد ،
وفداء مجيد ، لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وشروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله ،
وانصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، حتى أنجز الله لهم وعده ، واستخلفهم في الأرض ، ويمكن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، جزاء وفاقاً لما بذلوا من نفس ، وما أنفقوا من مال ،
وما قدموا من ولد . وكيف لا يكون هذا جزاءهم عند الله ، وهم الذين كانوا يسارعون
إلى القتال - إذا أذن مؤذن بالجهاد - وقد شدوا مآزرهم ، وشمروا عن سوقهم ، وتحصنوا
بدروعهم ، وشمروا سيوفهم ، وكل منهم يردد قوله تعالى : « وعجلت إليك رب لترضى » !
وقول الشاعر :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعى

فمن كهولاء الأبرار الذين استشارهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ماذا يفعل ؟
وقد جاء المشركون بخيلهم ورجلهم يبتغون النبل من الإسلام . فقالوا : يا رسول الله ،
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، إنا نصبر
عند الحرب ، صدق عند اللقاء . ومن كذلك الصحابي الجليل عمرو بن الجوح الذي لم
يكتف بتقديم أبناء أربعة للقتال بل أصر على أن يقاتل هو الآخر ، واسكنه أعرج ولهذا
منعه أولاده ، إذ هم قد كفوه مؤنة الجهاد ، فيذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو
أولاده مؤكداً عزمه على القتال حتى ينال فضل الشهادة ويطأ بعرجته الجنة ، وقد كان له
ما أراد . وأبو دجانة الذي ضرب أروع مثل في التضحية حيث اتخذ من نفسه درعاً
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انكشف جيش المسابين يوم أحد ، والنبل يقع على ظهره ،

وهو لا يتحرك ولا يتزحزح ، يخشى أن يصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنها ذروة الإخلاص ، وقوة التقانى ، وآية المحبة المنبعثة من قلب الجندى لقائده ، بل الصحابى لرسوله .

والقدائى الأول عبدالله بن عتيك الأنصارى الذى ذهب مع رفاق له من خيار الصحابة إلى مبعث الغدر ، ومستقر المكيذة ، وناث سموم العدا ، وموقد نار الحرب ضد الإسلام ورسوله ، ومؤلب الأحزاب عليهما ، ألا وهو ابن أبى الحقيق اليهودى ، ذهبوا إليه فى حصنه بخير ، وقد حملوا أرواحهم على أكتفهم باذلين لها لإراحة الإسلام من أفعى حقود ، وصل خبيث ، وعادوا ظافرين بعد أن قتلوه فى مهده . وجيش العسرة الذى جمعه الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو تبوك فى أحلك الأوقات ، وأخرج الظروف ، فالمدينة فى فقر مدقع ، وحر شديد ، وجهد جهديد ، ومع هذا سارع خيرة الصحابة بتقديم أموالهم ، فتبرع عثمان بمال عظيم ، وتبرع عمر بنصف ماله ، وتبرع أبو بكر بماله كله ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : « وماذا تركت لأهلك ؟ » فيقول : تركت لها الله ورسوله . وفى هذه الغزوة يبكى قوم من الصحابة ، ويذرفون الدمع الثخين أن عجزوا عن أدوات القتال فاضطروا إلى القعود ، خرموا فضل الجهاد والاستشهاد . وغير ذلك من الأمثلة كثير ، ولا عجب فقد سمعوا كلمة البطولة من قائدهم حيث قال : « ولولا أن شق على أمتى ما جلست خلف سرية ، ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيى ، ثم أقتل ثم أحيى ، ثم أقتل ! ! »

فهذه التضحية أسسوا دولة الإسلام ، وبهذه البطولة أقاموا صرحه التليد ، ورفرفت رايته على ما بين المحيط الأطلسى غربا وأقصى آسيا شرقا . ونحن الآن - وقد ناصبتنا الدول الاستعمارية العدا ، وتألبت علينا ، تحاول البغى ، وتريد العدوان ، لأننا استخدمنا حقنا لنا فى الحياة كما يفعل الأحياء ، وتصرفنا فيما نملك ، كما يتصرف الملاك - يجب علينا أن نتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا ، وجهاده سراجا ومنهاجا ، وبطولة أصحابه هاديا ومنارا ، حتى نسعد كما سعدوا ، ونفوز كما فازوا « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » « وإن جندنا لهم الغالبون » .

السير رزق الطويل

كلية اللغة العربية - السنة الثانية

الكتيب

عمدة التفسير، عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر - الجزء الأول ، ٢٩١ ص - دار المعارف بمصر ما كادت تنتشر الطبعة الثانية من تفسير الحافظ ابن كثير (٧٧٤ - ٧٠٠) من مطبعة المنار سنة ١٣٤٣ - ١٣٤٧ حتى ذاعت نسخته في الأقطار الإسلامية ، وعرف الخالص والعام أهميته ، ثم تداول المطابع في مصر طبعه طبعات تجارية فانتفع الناس به ما شاء الله أن ينتفعوا . لكنهم كانوا يتألمون لكثرة ما في طبعاته كلها من أخطاء كانت تزداد كلما ازداد هذا التفسير انتشارا بتعدد طبعاته .

وقد تصدى الآن لتصحيحه وتنقيحه وتحقيقه الأستاذ العلامة الشيخ أحمد شاكر في طبعة مختصرة حافظ فيها كل المحافظة على الميزة التي انفرد بها تفسير ابن كثير وهي تفسير القرآن بالقرآن ، وجمع الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية المفسرة أو تؤيده وتقويه ، وحافظ على آراء المؤلف وترجيحاته في تفسير الآيات ، واختار من الأحاديث التي يذكرها أصحابها وأقواها إسنادا ، واكتفى من سند الحديث بتسمية راويه من الصحابة أو من التابعين إن كان الحديث مرسلا ، وحذف كل حديث ضعيف أو معلول إلا أن يكون إثباته في موضعه ضرورة علمية ، وحذف المسكر من أقوال الصحابة والتابعين في التفسير اكتفاء ببعضها ، لأنها كثيرا ما تتقارب معنى وإن اختلفت لفظا ، ونفى من المختصر كل الأخبار الإسرائيلية وما أشبهها ، وكان المؤلف يوردها ليبين خطئها وضررها ، وحذف أكثر ما أطال به المؤلف من البحوث الكلامية والفروع الفقهية والمناقشات اللغوية واللفظية مما لا يتصل بتفسير الآية اتصالا وثيقا .

وقد اعتمد الأستاذ الشيخ أحمد شاكر في تصحيح المختصر الجديد على أصل قديم لتفسير الحافظ ابن كثير في المكتبة الأزهرية رقم ١٦٨ تفسير في سبعة مجلدات كتبت سنة ٨٢٥ في دمشق بالمدرسة الشميساطية المجاورة للباب الشمالي من مسجد بني أمية ، وهي المدرسة التي بنيت على أرض المنزل الذي كان يسكنه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز للحافظة على بركة الذكرى لهذا الخليفة الصالح ، وقد كتبت النسخة في هذا المكان لقاضي القضاة نجم الدين بن حجي السعدى برسم خزانته .

والجزء الأول من مختصر الشيخ أحمد شاكر لتفسير ابن كثير ينتهى بالآية ١٦٧ من سورة البقرة ، وستكون بداية الجزء الثانى آية « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » .

أصداء الدين — فى الشعر الحديث

للاستاذ سعد الدين محمد الجيزاوى — الجزء الأول ٤٢٧ ص — مكتبة نهضة مصر
هذا الكتاب موضوع رسالة جامعية لدرجة الماجستير ، وقد استغرق تأليفه ست سنوات متواليات ، وحصل على تقدير جيد جدا من اللجنة المؤلفة فى أوائل هذه السنة برعاية الأستاذ عمر الدسوقي وعضوية الاستاذين على الجندى والدكتور أحمد الحوفى ، وقد كتب كلمة التصدير لهذا الكتاب الأستاذ عمر الدسوقي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، وسيكون الكتاب فى جزئين ألم الأول منهما — وهو الذى نتحدث عنه — بالكلام على أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث من مطلع العصر الحديث إلى ثورة سنة ١٩١٩

وفى التمهيد لهذا الجزء الأول تكلم المؤلف على الدين والأدب وما بين الدين والأدب . ثم عقد بابا للفترة الأولى من الحملة الفرنسية إلى نهاية الثورة العربية ، فتحدث عن حالة الثقافة العامة ، والدعوة السلفية فى نجد وصداها فى مصر ، والجهود الأولى لجمال الدين ومحمد عبده ، كما تكلم على مركز الخلافة العثمانية وعلاقة مصر به والعامل الدينى فى الثورة العربية . وتكلم فى الباب الثانى على الفترة من الثورة العربية إلى ثورة سنة ١٩١٩ ، فذكر الحالة السياسية العامة بإيجاز ، والعامل الدينى فى هذه الفترة ، ومحاربة الاستعمار للوعى الإسلامى ، وأثر مجلة العروة الوثقى فى مقاومة الاستعمار ، وعمل دانلوب فى مناهج الدراسة المصرية ، وصدى الحركة القومية ، وتحدث عن مركز الخلافة الإسلامية ، ورأى محمد عبده ومصطفى كامل ، ومحاولات كرومر لقطع الصلة الدينية ، وما انتهت به الحرب العالمية الأولى من إلغاء سيادة تركيا ، وعقد فصلا للغارة التبشيرية الاستعمارية على الإسلام والعالم الإسلامى ، ومطاعن هانوتو وكرومر ومغاضر دعاة الثقافات الأجنبية . وفصلا لصدى دعوة محمد عبده والصحافة الإسلامية والجمعيات الدينية ، والمعركة بين السفور والحجاب ، وموقف الشعراء من الشعور الدينى الخ .

وهو كتاب قيم بذل مؤلفه فى جمع مواد وتنظيمها والاعتبار بها جهودا موفقة . فنرجو له العون من الله على اصدار جزئه التالى .

إنهاء العُملاء في الأردن

بريطانيا والأردن

أعلن رئيس الوزارة الأردنية أن حكومته قررت تنفيذ القرار الإجماعي الصادر من مجلس نواب الأردن بإلغاء المعاهدة المعلقة في سنة ١٩٤٨ بين الأردن وبريطانيا ، ومطالبة الحكومة البريطانية بسحب قواتها وإخلاء قواعدها العسكرية في الأردن . وفي الوقت نفسه أعلن الرئيس الأردني أن حكومته قررت أن تقبل - من حيث المبدأ - المعونة العربية لكي تحل محل المعونة البريطانية التي كانت تقدم إلى الأردن طبقاً للمعاهدة الملغاة وقدرها اثنا عشر مليوناً ونصف مليون من الجنيهات .

اليهود في مصر

الذين لا جنسية لهم

قال السيد علي صبري مدير مكتب الرئيس للشؤون السياسية : إن في مصر ثلاثين ألف يهودي لا جنسية لهم ، ولم تطلب الحكومة المصرية من أحد مغادرة مصر ، ولكنها تركت لهم حرية البقاء أو الرحيل ، ولم تبعد غير الخطرين الذين يتعاونون مع الأعداء ولا تزيد نسبة هؤلاء على ثلاثة في الألف .

استخدام الأجانب

في مصر

تعني الجهات المسئولة في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل يبحث تشريع جديد خاص باستخدام الأجانب في مصر ، بعد أن ثبت بالتجربة أن القانون المعمول به إلى الآن في هذه الناحية لا يحقق الأغراض التي صدر من أجلها ، لأنه وضع في عهود كان الاستعمار فيها يسيطر على كل شيء ، فصدر وفيه كثير من الثغرات التي تتنافى مع السيادة الكاملة .

طرد دبلوماسي بريطاني

من ليبيا

غادر طرابلس الغرب مطرودا المستر جريشوركس سكرتير الشؤون الشرقية بالسفارة البريطانية عائداً إلى بريطانيا بناء على طلب الحكومة الليبية لاتهامه بأعمال التحريض والفتن والاضطراب ، وهو من المتخصصين بالشؤون الليبية منذ ١٦ عاماً .

لقب « ملكة ليبيا »

أصدر الملك إدريس الأول أمره بإلغاء لقب « ملكة ليبيا » وإطلاق لقب

قرارات

ملوك العرب ورؤسائهم

« زوجة الملك » بدلا منه ، لأن نظام الإسلام لا وجود فيه للملكات من النساء .

وحدات الازهر الطبية

قرر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن تكون الوحدات الطبية بالأزهر وأطبائها وممرضوها وموظفوها في خدمة المواطنين ليلا ونهارا ، مادامت الظروف الحاضرة قائمة ، وقد كان لهذه الوحدات الطبية جهود مشكورة قد نذكرها في الجزء الآتى .

التعاون العربى

قال الرئيس جمال عبد الناصر في جواب له على سؤال وجهه إليه ويلتون وين مراسل الأسوشيتد پريس في القاهرة يوم ٢١ نوفمبر : « إن شعوب أوروبا تعمل في سبيل الوحدة الأوروبية ، كما أن إحدى وعشرين دولة مستقلة في الأمريكتين الشمالية والجنوبية قد ارتبطت في اتحاد أمريكى ، كذلك تعمل الدول العربية على تحقيق مثل أعلى للتعاون المتشعر ، غير أن كل دولة عربية تحتفظ بكيانها وشخصيتها بمثل الطريقة التي تعمل بها مصر . أما فكرة الإمبراطورية العربية فهي قصة خيالية أجنبية ، وهى من قبيل الدعاية الأجنبية التي تقوم على الجهل أو ما هو أسوأ من الجهل » .

في العاشر والحادى عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٧٦ هـ (١٣ - ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٥٦ م) اجتمع في بيروت بدعوة من رئيس الجمهورية اللبنانية : الملك حسين ملك المملكة الأردنية ، والملك سعود ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية ، والسيد عبد الفتاح المغربى رئيس مجلس السيادة بالسودان ، والسيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، والملك فيصل ملك المملكة العراقية ، والسيد كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية ، والسيد مصطفى ابن حليم رئيس مجلس وزراء ليبيا نيابة عن مليكها ، والسيد عبد الحميد غالب سفير مصر في بيروت نيابة عن رئيس الجمهورية المصرية ، والأمير سيف الإسلام محمد البدر ولى عهد المملكة اليمنية نيابة عن مليكها — وذلك لدرس الموقف الناجم عن العدوان الذى أقدمت عليه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر وقطاع غزة ، ولاتفاق على ما يجب عمله لمناصرة مصر في دفاعها المجيد عن سلامة أراضيها وسيادتها ، معتبرين أن هذا العدوان على مصر هو عدوان على البلاد العربية جميعها يقتضى توحيد السياسة والجهود حرصا على المصلحة العربية المشتركة .

وقد استعرض المجتمعون بارتياح التدابير

إمكانياتها وفقا لالتزاماتها ، وبمقتضى المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك العربى .

٢ - الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التى رافقت الاعتداء على مصر واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها ، والعمل على حلها حلا يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها ، وذلك فى نطاق الأمم المتحدة ، وبمفاوضة تجرى بين الفرقاء المعنيين ، بعيدا عن أى مظهر من مظاهر الضغط والتدخل والإكراه ، على أساس معاهدة ١٨٨٨ والمبادئ الستة التى أقرها مجلس الأمن فى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ .

٣ - تأييد مطالب الشعب الجزائرى فى نضاله ، حتى يحقق أمانيه القومية فى الاستقلال والسيادة .

وإن المجتمعين ليتوجهون بتحية الأخوة الصادقة والتقدير والإعجاب إلى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر ، وإلى القوات المصرية المسلحة ، وإلى شعب مصر ، مكبرين وطنيتهم ونضالهم فى الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها ، وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها .

ثمن البنى

قالت جريدة (إيكو) الفرنسية : إن ميزانية الحرب بلغت هذا العام ١٢٨٤ مليون جنيه استرلينى نتيجة للحرب فى الجزائر .

التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى القرارات الصادرة بأغلبية ساحقة فى الثانى والرابع والسابع من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وقدروا بمجهود الدول المحبة للسلام التى ساهمت فى إصدار القرارات المذكورة الفاضية بوقف القتال وسحب القوات المعتدية فوراً من الأراضى المصرية والعودة إلى ما وراء خطوط الهدنة . وقد اجتمع رأى على ما يلى :

١ - ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورة ، وإذا رفضت بريطانيا وفرنسا الامتثال لقرارات الأمم المتحدة ، وامتنعتا عن سحب قواتهما من الأراضى المصرية فوراً وبدون أى قيد ولا شرط ، وكذلك إذا خالفت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة وامتنعت عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد ولا شرط ، وإذا تسبب عن موقف أى من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل تأزم جديد من شأنه أن يؤدى إلى استئناف الأعمال العسكرية ، اعتبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مسئولة بالتضامن عن استمرار الاعتداء ، وحينئذ تباشر كل من الدول الممتثلة فى هذا المؤتمر فوراً فيما خصها ، وعملاً بحق الدفاع المشروع عن النفس ، تطبيق أحكام المادة ٤١ من ميثاق الأمم المتحدة ، واتخاذ التدابير الفعالة التى تسمح بها أقصى

عام ١٩٤٢ ، وكانت المملكة الليبية تطالب فرنسا بالهلاء عن فزان عملا بمعاودة معقودة بين الدولتين .

وفي يوم ٢٢ نوفمبر وافقت الجمعية الوطنية (البرلمان الفرنسى) بأغلبية ٤١١ صوتا ضد ١٢٠ على التصديق على المعاهدة التى تقضى بانسحاب القوات الفرنسية من منطقة فزان يوم الجمعة ٣٠ نوفمبر (٢٧ ربيع الآخر) ، كما وافقت بأغلبية ٤٣٣ صوتا ضد ١٥٠ على تعديل يقضى بوجوب تسوية مشكلة الحدود الليبية الجزائرية نهائيا قبل التصديق الرسمى على المعاهدة .

وقال رئيس لجنة الشؤون الخارجية الفرنسية : إن الاستقلال الليبى لا يمكن أن يكون مصحوبا باحتلال ، ولذلك فمن الواجب أن تتجنب المخاطرة بأن يديننا مجلس الأمن بالاعتداء على استقلال ليبيا .

الخراب والعمران

فى بور سعيد

قالت قيادة الأعداء فى قبرص : إن الطيران التابع لها قام فى يوم واحد بـ ٧٣ طلعة طيران فوق بور سعيد ، وطلعة الطيران الواحدة تتألف فى العادة من ثلاث طائرات فعدد الطائرات التى حلقت فوق بور سعيد تصب عليها نيران الحقد والغضب كانت

وإن القوات الفرنسية المعتدية على مصر تتكلف مليون جنيه يوميا ، وإن توقف ورود البترول ظهرت آثاره بارتفاع أسعار المواد البترولية المستوردة من الشرق .

قرار آخر

الجمعية الأمم المتحدة

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى يوم السبت ٢٤ نوفمبر بعد جلستين طويلتين على مشروع القرار الاسوى الافريقى القاضى بسحب القوات المعتدية من الأراضى المصرية فورا بأغلبية ٦٣ صوتا ضد خمسة أصوات وامتنعت عشر دول عن التصويت .

والدول الخمس التى خرجت على إجماع سائر الدول هى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأستراليا ونيوزلندا ، والدول العشر التى امتنعت عن التصويت هى بلجيكا وكندا والصين الوطنية وكوبا وسان دومينيك ولكسمبرج وإيطاليا وهولندا والبرتغال وجنوب أفريقيا .

سحب قوات فرنسا

من فزان

كانت فرنسا تحتل قواعد منطقة فزان حيث تلتقى حدود ليبيا غربا بالصحرَاء الكبرى فى جنوب تونس والجزائر ، منذ شاركت القوات الفرنسية فى محاربة الإيطاليين

ابقوا فوق قمة الجبل التي صعدتم إليها . إننى أعتقد أن الشعب المصرى استطاع أن يصعد قمة الجبل ، لقد كان يكفينى أن أنظر إلى الشعب المصرى ، وأرى كيف كان يتصرف خلال الأيام العصيبة لأدرك أن هذا الشعب ارتفع إلى ذروة الموقف . إننى أعتقد أن الشعوب الأصيلة تصعد فى الأزمات إلى قمم الجبال ، إنها تدرك مسؤولياتها ، وترتفع إلى القمة التي يمكنها أن ترى منها الصورة كلها وتكشف جميع نواحيها ، ثم تتصرف على ضوء ما ترى ، ويكون تصرفها فى كل الأحيان رشيدا حكيما . »

إيدن وجمال عبد الناصر

قالت مجلة (تايم) الأمريكية : « الكارثة أن إيدن لم يكن يتحرك أمام عينيه إلا شبح واحد هو جمال عبد الناصر . أصبح إيدن بعدائه للرئيس المصرى وكأنه ثور المصارعة إذا رأى اللون الأحمر ، وكأن جمال عبد الناصر بالنسبة لإيدن هو اللون الأحمر الذى يثير أعصابه ، ويدفع نار الهياج فى خياشيمه » .

معهد دينى فى بور سعيد

اقترحت مشيخة الأزهر - لمناسبة تجديد بناء بور سعيد - أن يقام فيها معهد دينى جديد يتسع لألفين من الطلاب فى القسمين

فى يوم واحد ١٤١٩ طائفة . قال قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وزير الشؤون البلدية والقروية : وأنا أعرف أن الطائفة تحمل فى العادة قبيلتين وزن كل منهما ربع طن ، وتحمل معها اثنى عشر صاروخا . فأعداء الحضارة والحق والسلام ألقوا على بور سعيد فى يوم واحد أكثر من سبعة طن من القنابل وسبعة عشر ألف صاروخ وترتب على ذلك أن ٤٥ ألف شخص من أهالى بور سعيد فقدوا مساكنهم . قال وزير الشؤون البلدية والقروية : ولقد اتخذنا هذا الرقم أساسا لرسم خطة التعمير ، وسنبنى مائة وعشرين عمارة كبيرة فى كل عمارة ٢٥ شقة ، وفى الدقيقة الأولى بعد الانسحاب نبدأ العمل ، وستتكلف هذه العمارات ما يقرب من مليونين من الجنيهات ، ولقد قاربت تبرعات الشعب لبور سعيد أن تصل إلى هذا المبلغ فعلا ، والمدة اللازمة لإنجاز العمل ثمانية شهور ، والوزير البغدادى مصمم على أن يتم بناء بور سعيد فى أربعة شهور .

مصر بلغت القمة

قال السفير الأمريكى راي موند هيرلمندوب (أخبار اليوم) :

« لو سمحت لنفسى أن أقول شيئا كصديق لمصر رآها فى أزمة من أخطر أزماتها ، وأعجب بتصرفها خلال هذه الأزمة ، لقلت :

هذا وقد وضعت سوريا يدها على كميات عظيمة من الأسلحة الحربية ترد من العراق إلى قبائل بدوية في داخل الحدود السورية، واكتشفت أسرار مؤامرة قبض بسببها على بعض الخونة الذين يلعبون بالنار، والتحقيق لا يزال جاريا معهم . وسيعدرئيس الوزارة السورية بيانا عن هذه المؤامرة .

نداء

إلى الشعوب العربية

وجه الأمين العام للجامعة الدول العربية
نداء إلى الشعوب العربية قال فيه :

« تخوض القومية العربية اليوم معركة رهيبة يتوقف عليها مصير الأمة العربية ومستقبل أجيالنا القادمة ، فقد قدر علينا أن نكابد آثار ماض مظلم ، ونأسو جراحا عميقة في جسم الوطن الذي اجتمعت على تمزيقه الأنانية والاستعمار وقوى الشر والطغيان .

كلفنا فرادى كفاحا مضنيا للظفر بحقنا الطبيعي في الحياة الحرة الكريمة ، وشرعنا نحطم الأسوار العالية التي أقامها الطغيان سدودا منيعة تحول دون التقائنا ، حتى قدر لنا أن ندرك بعض أهدافنا يوم أقمنا أساس الوحدة والجامعة العربية لأحمد عشر عاما خلت .

الابتدائي والثانوي ، وأن يقام على الأرض الفضاء الواقعة بجوار المسجد العباسي . وقد قرر السيد عبد اللطيف البغدادي دراسة هذا الاقتراح تمهيدا لتنفيذه فورا .

وسيوفر هذا المعهد المشقة التي يتكبدها طلبة العلوم الإسلامية من أبناء منطقة القناة وسيناء للوصول إلى أقرب المعاهد إليهم في الزقازيق ودمياط ، كما يشجع الكثيرين على التفقه في دينهم والاضطلاع بثقافته وعلومه وتهذيبه .

التأمر على سوريا

يظهر أن الذين تأمروا على مصر وباءت مؤامرتهم بالخزي والفشل أخذوا يحكيون مؤامرة جديدة تشترك فيها تركيا وإسرائيل والعراق للبغي على سوريا . وقد أبلغ وزير الخارجية السورية الأمين العام للأمم المتحدة أن التهديدات الموجهة ضد سلامة سوريا واستقلالها لا تزال مستمرة ، ولا تزال القوات الإسرائيلية محتشدة على طول خط الهدنة السورية الأردنية الإسرائيلية ، وأن التصريحات الصادرة عن رجال الدولة الأتراك تشكل تهديدا مباشرا وسافرا لسلامة سوريا . وإن الأخبار التي نشرتها وكالات الأنباء تثبت أن المسؤولين البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين والأتراك وغيرهم يهيئون اعتداء مسلحا على سوريا .

وما ان هممنا بارساء دعائم وحدتنا حتى فاجأتنا قوى الشر التي اجتمعت منذ القدم على تحطيم وحدتنا لنظل أبدا ضاعفا فيتمكنوا من رقابنا ؛ ونظل أبدا خاضعين لسلطانهم في أرضنا التي أحكموا أنفسهم عليها . هكذا امتحنت وحدتنا قبل عامين على مولدها ، وانجلى المعركة عن نسكة فلسطين .

غير أن هذه النسكة قد دفعت تطور وحدتنا ، وكأن أنهار الدماء التي أرقناها قد عجلت بيعث قوميتنا ، فشرعت تنمو وتضعد في آفاقنا ممتدة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فاذا الدول العربية تنمو وتزداد ، وإذا مكاتنا في الأمم المتحدة تقوى وتعتز ، وإذا صوت العروبة يدوى في مياه الخليج العربي فتردد أصداؤه أمواج الأطلسي ، وإذا الجيوش العربية تنطلق من عقالها تنشد الهدف الأكبر : أمة عربية واحدة .

إن زحف هذه القومية العربية أفاق الدول الاستعمارية ، فعبأت جهودها وحشدت

لقد عجز العدو عن تحطيم قوميتنا بالقوة فشرع يشهر سلاح المؤامرات . فلنثبت اليوم للعالم أجمع أن قوميتنا أشد صلابة أمام المؤامرات التي سستحطم حتما على صخرة وحدتنا . ولنسأل الله - حكما ومحكمين - أن يهدينا سواء السبيل ، فنخرج من هذه المعركة منتصرين ، وتنفسح باذن الله آفاق قوميتنا العربية في أرجاء الوطن الكبير حتى تبلغ الهدف الأقصى : أمة عربية واحدة . والله مع المؤمنين المكافئين المتضامنين .

تصويب

وقع في بعض نسخ الجزء الماضي تحريف بالآية الواردة بالسطر الخامس من صفحة ٣٩٣ ، إذ جاء فيها : « فان قاتلوكم فقاتلوهم » والصواب : « فان قاتلوكم فاقتلوهم » .

الأدب والعلوم

أزهر الهند

دار العلوم — ديو بند

إن المعهد الإسلامي في الهند الذي يعتبر بمقام الأزهر هناك هو معهد (ديو بند) ، تأسس سنة ١٢٨٦ هـ بمساعي الشيخين الجليلين محمد قاسم النانوتوى ورشيد أحمد الكنكوهى رحمهما الله ، ويقوم برياسته الآن العلامة الكبير السيد حسين أحمد المدنى ، ويبلغ عدد طلبة العلوم الإسلامية في هذا المعهد ألفا وخمسمائة طالب ، ويتخرج منه في كل عام أكثر من مائتين ، ويقوم المعهد بالانفاق على ثمانمائة طالب في طعامهم وكسوتهم وسائر حوائجهم ، وتقدم الكتب المدرسية للطلبة وتخصص لسكنائهم الأماكن اللازمة في زمن الدراسة ، وقد تخرج في معهد ديو بند في التسعين السنة الماضية ملايين من علماء المسلمين الذين خدموا الإسلام في الديار الهندية وخارجها ، وفي دهلي عاصمة الهند وضواحيها أكثر من مائة مدرسة إسلامية يتفق عليها من تبرعات المسلمين ويقوم بالتعليم فيها علماء من خريجي معهد ديو بند ، وهذه المعلومات مستقاة من نشرة عن شئون

مسلمى الهند أهديت إلينا في هذا الشهر وهى بقلم المولوى الأستاذ عبد الحميد النعمانى

الدين مادة أساسية

في مدارس السودان

قررت وزارة المعارف السودانية جعل تعليم الدين مادة أساسية في مدارسها ابتداء من العام الدراسى الجديد الذى يبدأ في يوليه القادم

بعثات مصر التعليمية

في الخارج

يطلب العلم من المصريين في فرنسا ٥٥٠ طالبا ، وفي إنجلترا ٤٠٠ ، وفي أمريكا ٢٥٠ ، وفي النمسا ٢٥٠ ، وفي سويسرا ١٢٠ ، وفي ألمانيا ٢٥٠ ، وفي إيطاليا ٥٠ ، وفي أسبانيا ١٥ ، وفي السويد ١٠ ، وفي هولندا ١٠ ، وفي الهند ٤ ، وفي الدانمرك اثنان ، وفي إيران واحد ، ولنا في روسيا عدد من الطلاب يدرسون العلوم الذرية

مدارس تحفيظ القرآن

أمر وزير التربية والتعليم بعدم تعرض الوزارة لمدارس تحفيظ القرآن وأن لا يطبق عليها قانون التعليم الحر

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
٤١٧	درس	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٢٥	نفحات القرآن : العدل روح الحياة	عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٣٠	السنة حى على الجهاد	« طه محمد الساكت
٤٣٣	سابق الروم : صهيب	« محمود النواوى
٤٣٩	فروسية الشباب فى الاسلام	« أحمد الشرباصى
٤٤٢	إحياء العلوم ونهضاتها	« عباس طه
٤٤٦	نشيد الجهاد	« محمود محمد بكر هلال
٤٤٧	مؤامرات اليهود الفادرة	« محمد أبو شعبة
٤٥١	لفـويات	« محمد على النجار
٤٥٥	أسباب النصر	« عبد العزيز عبد الهادى
٤٥٧	خطر المستشرقين	« محمد رجب البيومى
٤٦٤	الامام البغارى : استنباطه الأحكام للمتددة من الحديث الواحد	« محمد فؤاد عبد الباقي
٤٧٠	ذيل طبقات الشمرانى	« أبو الوفا المراغى
٤٧٣	الندم والتوبة	« أبو زيد شلبى
٤٧٩	دور الأزهر فى الكفاح	«
٤٨١	نشاط الأزهر فى مكافحة الطفيلان	«
٤٨٩	بحوث فى مصادر الشريعة النظرية - ٧ -	« زكى الدين شعبان
٤٩٥	تعليقات : شهد الانجليز على أنفسهم بالوحشية	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٤٩٧	الفتاوى : حكم تبني أيتام بورسميد الباسلة	لجنة الفتوى
٤٩٨	ركن الحرس { مصر والاسلام	« محمد محمد شتا زيتون
٥٠٠	الوطنى بالأزهر { من روائع البطولة	« السيد رزق الطويل
٥٠٢	المكتب	المجلة
٥٠٤	العالم الاسلامى	»
٥١١	الأدب والعلوم	»



فضيلة الامتداذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
يستقبل نيافة قائم مقام بطريرك الأقباط الأرثوذكس

١٢

٢٢٢٢٢٢

٢٢٢٢٢٢

دریا



زيارة فضيلة الاستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر

والسادة العلماء لنيافة قائم مقام بطريرك الأقباط الأرثوذكس

بمناسبة تنصيبه بدار البطريركية

في الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم الاثنين ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ (١٠ من ديسمبر سنة ١٩٥٦) توجه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ومعه أصحاب الفضيلة وكيل الجامع الأزهر وسكرتيره العام ومدير التفتيش ومدير الوعظ والإرشاد وكبار علماء الأزهر إلى دار البطريركية للأقباط الأرثوذكس لتحية وتهنئة نيافة قائم مقام البطريرك الأنبا اثناسيوس ، وقد استقبلهم في مدخل القصر أصحاب النيافة المطارنة وأعضاء المجلس الملى العام وعلى رأسهم السيد اسكندر دميان وكيل المجلس ، وبعد تبادل التحية وعبارات الترحيب بين فضيلة الأستاذ الأكبر ونيافة قائم مقام البطريرك نوه فضيلة الأستاذ الأكبر بالاتحاد بين جميع عناصر الأمة ، وأشاد بمعاني الوحدة بين المسلمين والأقباط التي تجلت في جميع مراحل الكفاح التي مر بها الوطن ضد المستعمر الغاصب ، وحمد الله تعالى فضله الكبير لنجاة مصر مما يدره لها الحاقدون على نهضتها الحديثة في ظل زعيمها وقائد ثورتها البطل : « جمال عبد الناصر » .

ثم ألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب مفتش عام الوعظ كلمة حيا فيها هذه المناسبة ، وهنأ نيافة الأنبا اثناسيوس قائم مقام البطريرك باختياره لهذا المنصب ، وأشاد بوحدة عنصرى الأمة وترابطهما وتضامهما في الكفاح الوطنى قديما وحديثا ، ودعا للسيد الرئيس جمال عبد الناصر قائد النهضة ورائد العروبة بالنصر والتأييد .

ثم أعقبه فضيلة الشيخ محمود طيرة نائب مدير الوعظ والإرشاد ، فألقى كلمة تهنئة أعقبها بقصيدة وطنية عامرة حيا فيها تضامن العنصرين وعملهما معا لرفعة الوطن ومجده .

ثم ألقى نيافة القمص أرسانيوس زكى كاهن كنيسة الملاك بشبرا كلمة شكر فيها

زيارة فضيلة الأستاذ الأكبر

فضيلة الأستاذ الأكبر على كريم زيارته ورقب ق تهنئته ، وأعلن - فى سرور - أن هذا اليوم يعتبر عيداً وطنياً رائعاً ، ونوه بالروابط القوية بين المسلمين والأقباط ، واستشهد على ذلك بما جاء فى الكتب السماوية من روابط الرحمة والمودة بينهما .

ثم تحدث بعد ذلك الأستاذ اسكندر دميان وكيل المجلس الملى العام ، وشرح قضية العنصرية التى يثيرها دائماً المستعمرون والدساسون وأعداء الوطن ، وبين أن هدفهم لم يتحقق ولن يتحقق ، لأن الذى يستفيد من ذلك دائماً هم أعداء البلاد الذين لا يفرقون فى السكيد بين مسلم وقبطى ، سواء فى دسهم أو فى اعتدائهم الأثيم على البلاد . ثم تكلم القمص يوسف هاويل كاهن كنيسة العذراء فى هذا المعنى .

ثم ختم نيافة الأنبا اثناسيوس هذا المؤتمر الرائع بكلمة طيبة ، كرر فيها الشكر والترحيب بفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والسادة العلماء الأفاضل ، ودعا للوطن بالعزة والرفعة تحت راية البطل : الرئيس جمال عبد الناصر .

فضيلة الاستاذ الاكبر

شيخ الجامع الأزهر

يستقبل قائمقام بطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس

في منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح يوم الخميس ١١ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ الموافق ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر في مكتبه نيافة الأنبا اثناسيوس قائمقام بطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس الذي حضر لشكر فضيلته على تهنئة نيافته بتنصيبه قائمقام البطريرك ، وقد غص المكتب بكثير من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء والوعاظ، وعلى رأسهم فضيلة وكيل الأزهر والسكرتير العام ومدير التفتيش ومدير الوعظ وشيوخ السكليات والمعاهد . كما حضر عدد كبير من المطارنة ورجال الدين المسيحي وأعضاء المجلس الملي ، وحضر مندوبو الصحف والوكالات والإذاعة، وبعد تبادل التحية سجل مندوب الإذاعة هذه الكلمة التي ارتجلها فضيلة الأستاذ الأكبر :

كلمة فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر

إنها زيارة كريمة جميلة ، جاءت في يوم مبارك عظيم ، هذه الزيارة التي سرنا بها صاحب النيافة الأنبا اثناسيوس واخواننا المطارنة وكبار رجال الكنيسة المرقسية . نعم هي زيارة كريمة وعزيزة ، تسرنا وتملاً بالغبطة نفوسنا ، ويسر بها كل محب للوفاق والوئام ، وكل حريص على أن تنبث بين الأفراد والجماعات روح المحبة والألفة والسلام .

إن تبادل الزيارات بين الأزهر والكنيسة ، بين رجال الدين الإسلامي ورجال الدين المسيحي ، ليعد بحق بشارة طيبة ، وأسوة لأبناء الأمة صالحة ، وعلامة قوية على تمسك روح الألفة والمحبة من قلوب المصريين الذين ينتسبون إلى الإسلام أو المسيحية .

فضيلة الأستاذ الأكبر

وإن الرابطة التي تربط بين جميع المصريين ، أقباطا ومسلمين ، ليست رابطة معاهدات أو اتفاقيات ، وليست مبنية على مخالقات أو عقود شركات أو جمعيات ، وإنما هي وحدة في الإيمان بالحق ، والاعتزاز بالحق ، وفي الشعور بالعزة القومية ، والرابطة الوطنية . هي وحدة اختلاط وامتزاج في جميع مقومات الكرامة الإنسانية وجميع عناصر الحياة المصرية . لا بل هي أعز من ذلك وأكرم ، وأقوى وأقوم ، هي امتزاج حقيقي أكيد ، امتزاج كامتزاج الروح بالجسد ، هي امتزاج الدم بالدم ، يرجع عهده إلى أول الإسلام ، ويشهد بذلك إبراهيم وليد مارية من نبي الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

إن الشجرة الطيبة ، شجرة المحبة والألفة والمودة ، التي تربط بيننا ، والتي تأصلت جذورها ، ونمت على مر الأيام فروعها ، وآتت وما تزال تؤتي طيب ثمراتها ، هذه الشجرة يجب أن نتعاهد بها ، وأن نعمل دائماً على أن تزيد في نموها ، لتضاعف لنا ثمراتها .

وإن أحسن ما نتعاهد به هذه الشجرة ، أن تجرى وأن تسكثر بيننا هذه الزيارات المحبوبة ، التي نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعلها فاتحة من فواتح الخير والبر والعون الذي أكرمنا به في هذا العهد السعيد ، عهد الثورة المباركة ، والنهضة الحقة الشاملة ، التي اكتمل فيها الوعي ونشطت الهمة ، والتهبت فيها بصادق الوطنية العزائم .

إننا باتحادنا وصدق نياتنا واجتماع كلمتنا وإخلاص زعمائنا وقادة نهضتنا ، وبالبطولة والفدائية ، وبروح الإيمان القوية التي انطلقت بها عزمات زعيمنا ورئيس جمهوريتنا الرئيس جمال عبد الناصر ، للعمل لصالح مصر ولسيادة مصر - إننا بهذا كله قد فزنا وانتصرنا وقهرنا عدونا وطردهناه من ديارنا وعصمتنا وطننا من الأجنبية الممقوتة .

نسأل الله تعالى أن يديم علينا هذه القوة ، وأن يكرمنا دائماً بالعون والتأييد ، إنه ولي التوفيق .

مُدرِّسُ المَجْلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْسَى

العنوان
إدارة الجوامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجْلَةُ الْأَزْهَرِ

مَجْلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ بِمُؤَسَّسَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

بِإِثْنِ الْخَطِّ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الاشتراك السنوي

٤٠٠	في وادي النيل
٢٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	لأعضاء والمدرسين بالأزهر
٥٠٠	خارج البلاد
٣٠٠	للطلبة خارج البلاد
٤٠٠	لأعضاء والمدرسين خارج البلاد

الجزء السادس - القاهرة في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٦ - ٢ يناير ١٩٥٧ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والآن ...

أكتب هذه السطور وأهداؤها الغادرون يتسللون لواذا من أرض الوطن ، وقد باءوا بالفشل والخزى وفادح الخسائر : في دمائهم وعتادهم ، وفي أساطيلهم الجوية والبحرية ، وفي أموالهم ومصالحهم وأزمات تموينهم ، وفيما هو أفدح من ذلك وأفدح وهو الخذلان الذي حاق بهم في سمعتهم وكرامتهم للمرة الأولى منذ عصور .

لقد آبوا خزايا ومقبوحين ، حتى في أنظار بنى قومهم من المثقفين وأصحاب المصالح وجمهير العوام .

لقد دمعهم بضع وستون دولة - لأول مرة في تاريخ الأواصر السياسية بين الأمم - بأنهم أشرار ، وأنهم اندفعوا في هذا البغي بروح القرصنة وشريعة الغاب ، وأنهم كانوا وحوشا في ثوبي زور من دعوى الحضارة والتهديب !

لقد كانوا بسلوكهم - كما كنا بسلوكنا - السبب الأول لهذه السابقة التي لا سابقة لها ، وهي نقطة الضمير العالمي في بضع وستين دولة . فتهاافت المتطوعون على دور السفارات والقنصليات المصرية في مختلف أقطار الأرض يعرضون أنفسهم للدفاع عن مصر تحت

رايات الجيش المصرى ، وحملت طائرات الأمم المتحدة الوحدات العسكرية من الهنود واليوغوسلافين والأندونيسيين والسويديين والنرويجيين والدينمركيين والفنلنديين وسائر الأمم ، لتزج قوات الشر والبغى عن أرض مصر باسم الأمم المتحدة وتحت رايتها ، وتضطرها للعودة إلى وراء ، إلى البلاد التى جاءت منها خائبة خاسرة ذميمة .
إن هذا كسب عظيم لمصر لا نظيره .

إن هذا فوز كبير لهذا الشعب العربى ، وللامة العربية كلها ، لا عهد لامة أخرى بمثله .

وهناك كسب آخر أكبر منه وأعظم ، يوشك أن نستقبله ونتمتع به بعد هذه المحنة ، فتتحول إن شاء الله إلى منحة ، وإن لذلك ما بعده بحول الله وقوته .

لما كنا نعيش فى دوى القذائف وقصف المدافع أيام الغارات الغادرة ولياليها ، كنت أشيم من وميض النيران المنطلقة مخايل حياة جديدة تلوح لنا تبا شيرها .

كنت استنشئ من ريح البارود أريجاً طيباً يتضوع من بعيد إلى قريب ، تهب علينا نسائمة ، حتى كأننا نستقبل رياضاً من فراديس الجنة تدنونا ، أو نحن الذين ندنو منها .

كنت أتوسم ليالى الظلام كأنها الحد الفاصل بين بقايا عهد يسرت لنا سنوات الثورة الخروج منه ، وكان عهداً بالياً عشنا فيه عيشة الذئاب بالخلل والمكر والرياء والقطيعة ، لنستقبل بعده عهداً آخر جديداً نتعامل فيه بالتعاون والصدق والأمانة وتبادل المودة والبر .

كنا فى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والحزبية إلى عهد قريب كما كانت الأوس والخزرج - وشراً مما كانت عليه الأوس والخزرج - لما كان كيد إسرائيل الاقتصادى والاجتماعى والخلقى يعبث بهما ، ويؤثر بينهما حروب بعث ، وأخلاق التناذب والتناز .

لست أدري كم من علمائنا وطلابنا يلاحظون عند حفظ القرآن وتلاوته ومذاكرته أن السور والآيات المكية قلما يرد فيها التعريض بالنفاق والشكوى منه ، لأن مكة بلد عربى محض لا يعرف النفاق ، وقد نشأ أهله على أن يكون الرجل صديقاً للرجل صداقة مخلصه ، أو عدواً عداوة صريحة واضحة . أما السور والآيات المدنية فهى التى يكثُر فيها التعريض بالنفاق والشكوى منه ، لمكان اليهود من ذلك المجتمع ، ولتغلغلهم فى حياته الاقتصادية

والاجتماعية والخلقية كالذى أشرت إليه آنفا ، حتى لقد طمع شأس بن قيس اليهودى أن يحدد هذا الشر فى أنصار الإسلام فى صدر الإسلام ، لولا أن تدارك الله أنصاره بيقظة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وفى ذلك نزلت الآيتان (١٠٠ - ١٠١) من سورة آل عمران : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

ولما كانت الأوس والخزرج مع اليهود قبل الإسلام ، كننا نحن كذلك معهم ومع أعوانهم وأنصارهم قبل هذه الثورة ، فكان من تأثيرهم فى حياتنا الاقتصادية أن أراد محمد طلعت حرب رحمه الله تلبية اقتراح لبعض رجال المال والاقتصاد فى فلسطين العربية أن ينشئوا فرعا لبنك مصر فى القدس يشترك فيه الفريقان ، فلما عرض الأمر على مجلس إدارة بنك مصر عارضه الأعضاء اليهود الذين كانوا يومئذ فى مجلس الإدارة ، وهددوا بسحب أموالهم من البنك ، فسكت محمد طلعت حرب على مضض ، وفاز اليهود بتغليب هواهم المالى والسياسى على مصر فيما كانت تراه من مصلحتها المالية والقومية .

وجاء زمان كانت فيه صحفنا اليومية تحاذر كثيرا وتحاسب طويلا فيما تكتبه وتشره فى مصلحة عرب فلسطين ، بل فى مصلحة العروبة كلها وحقوق الإسلام ، خشية أن تخسر نصيبا من إعلاناتها الدسمة التى تغذى حياتها . بل كان كثير من صحفنا تتولى قسم الإعلانات فيه مؤسسة معروفة بأنها من صنع اليهود ومن مرافقهم فى قلب هذا الوطن العربى .

وطالما تبجح اليهود فى مجالسهم بأن رجلا منهم وزوجته بلغ من نفوذهما فى القصر أيام العهد البائد أن كانا واسطة زواج معروف بين القصر المصرى والقصر الطهرانى .

ولا أتعرض هنا للدور الذى كان يلعبه اليهود وأذنانهم فى المحافل الماسونية التى كانت منتشرة فى مصر أيام كرومر وقبله وبعده ، وحسبك أن تعلم أن موظفا صغيرا فى المحكمة المختلطة لا ثقافة له ولا تهذيب كان يدل برتبته العالمية فى الماسونية على أصحاب الرتب الصغيرة فيها من عظماء أهل الفضل والمكانة فى الدولة والوطن .

ذلك عهد كانت له أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتقليدية . وكانت أنظمتها تلك كالحرباء فى قلبها وتطورها بحسب الظروف ، غير أنها مهما تطورت وتقلب ، فأنما كانت ترمى دائما إلى سلخ مصر عن معريتها ، وسلخ العرب عن عروبتهم .

وكانت لتلك الأنظمة مرافقها الثقافية والفكرية التي تعمل على تكوين الجيل بعد الجيل على الإيمان بالغرب ، وأن ما يأتي منه هو الأصلح ، وهو الأجل ، وهو الذى ينبغى لمصر أن تأخذ به مهما خالف فطرتها وناقض مصلحتها وتعارض مع مصريتها وعروبتها .

إن هذا المرض انتشر فى مصر وتغلغل وألفه الكثيرون فتنكروا لكيانهم وكفروا بأنفسهم ، إلى أن قامت الثورة ، ولم تكن ثورة على فساد القصر فحسب ، ولا على الاستبداد الأقطاعى وحسب ، ولا على سوء استعمال الوظائف الحكومية وحسب ، بل هى ثورة على الأوضاع المتتوية كلها ، وعلى نتائجها فى نفوس الناس ومعاملاتهم ، وعلى الاضطراب الظالم فى توزيع النشاط على المواهب والقوى . ثم بعد ذلك وقبل ذلك فى استئثار ثقة مصر بمصريتها وعروبتها ، وإيمانها بنفسها ، وتعاونها الشريف مع من يشاركونها فى عروبتها ، ومن يشاركونها فى إسلامها ، ومن يشاركونها فى شرقيتها ، ومن يشاركونها فى إنسانيتها . ثم بعد ذلك وقبل ذلك فى حسن توجيه مصر نحو سعادتها بالفضائل والأخلاق واستثمار القوى الضائعة والمعطلة ليتحقق البعث المرتبى .

إن الثورة تهدف إلى هذا كله ، إلى تكوين مصر تكويناً جديداً تؤمن فيه بنفسها وترجع به إلى مصريتها وعروبتها وأخلاقيها ، وهذا مخالف - على طرفى نقيض - للأنظمة التى رسمها الاستعمار البريطانى لمصر ، وغذاها التغلغل الثقافى الفرنسى فى مصر ، ومثل دوره فى ذلك العنصر الثالث من عناصر الغدر الثلاثة التى تأمرت على مصر فى الأحداث التى كنا جميعاً من شهودها فى الشهرين الأخيرين .

ولكن هل كانت مؤامرة الطاغوت المثلث خيراً لمصر أو شراً ؟

هل كانت محنة شيطانية على مصر ، أم كانت منحة إلهية ؟

أنا كنت أرى - ونحن تحت قبة من القنابل والقذائف - أننا نستقبل تباشير الخير ، وأن لله فى هذا حكمة أظهر من أن تخفى على حكيم .

لقد عرفنا بهذا الحادث الجلل من هم أعداؤنا ، ومن هم أصدقاؤنا ، وهذا كسب باق دائم . والخطب الجلل الذى مرّ بنا أصبح اليوم فى خبر كان ، والكسب الدائم أغلى من ثمنه الزائل .

وعرفنا به فساد الأنظمة التي أغرانا بها الاستعمار البريطاني ، والثقافة الفرنسية المتغلغلة في كيانتا ، كما عرفنا لؤم العنصر الثالث من عناصر الغدر المثلث . فلم يبق بعد ذلك حذر لغافل منا أو مخدوع . وقد آن لنا أن نبني كيانتا الحديد بعد الآن على هذه الحقائق والاعتبار بها .

في اعتقادي أن كل ثمن دفعناه في هذا الحادث التاريخي يعد رخيصا في مقابل ما توصلنا إليه من يقظة وكسب ، وقد كان الغدر الإجرامي الذي قام به الطاغوت المثلث ، أكبر برهان للثورة على سلامة خططها وصحة أهدافها .

وبعد فاننا مقبلون منذ اليوم على عهد جديد نخلع فيه عن رجالنا ونسائنا ذلك الرداء الأجنبي عنا الذي تعاون أعداؤنا الثلاثة من مائة سنة إلى الآن على إقناعنا بأنه اللائق بنا ، ونعود إلى كيانتا القوي فنؤمن به ، ونتحري إحياء سجاياه ، والتخلق بأخلاقه وفضائله ، والسير في طريق قافلتنا الأولى نحو أهدافها الشريفة .

وهذه المهمة أكبر من أن تضطلع بها الحكومة وحدها ، وأوسع نطاقا من أن يحيط بها موظفون مختصون ، أوبحان رسمية يناط بها دراسة ذلك وتحقيقه .

إن هذه المهمة تقع على عواتقنا جميعا أفرادا وجماعات . فاصلاح المجتمع نتيجة لصلاح أفراده ، والبناء السليم يبنى من مواد سليمة ، والوطن ينادى الآن أبناءه بأن قوته من قوتهم ، وصلاحه من صلاحهم ، وسلامته من سلامتهم . فلندع ما كنا فيه من سفاسف ولهو وتبذير في الوقت والجهد والنقود والمواهب ، وليعلم كل من لم يكن يعلم أن صحته أمانة الله في يده فيجب عليه أن يحوطها بجميع أسباب القوة والعافية ، وأن أولاده أمانة الله تحت يده فليراقب الله في تكوين رجولتهم وتنمية مواهبهم وإيقاظ الفضائل فيهم وتعويدهم مواصلة العمل للخير والمحبة للحق والانتصار لها ومحبة أهلها ، وأن نقوده أمانة الله في يده له منها ما ينفق منه على نفسه وذويه بالمعروف ، وما زاد عن ذلك فهو لله قد أتمنه عليه ليتصرف فيه بما يضمن العزة لأئمة والغنى لوطنه والتقدم لصناعاته ومرافقه والسعادة للأقرب فالأقرب إليه ، وأعظم أمانات الله تحت يد المسلم أخلاقه وأخلاق زوجه وبنيه ومن له الولاية عليهم . فأخلاق الأمة من أكبر دعائم قوتها ، وهي مجموع أخلاق الأفراد ، وإذا أحسن كل راعي أسرة رعاية أخلاق أسرته كان للأمة من مجموع ذلك قوة من الله لا تقهر ، وسلاح في معركة النهضة والبعث لا تفله الأسلحة .

هى مهمة ثقيلة حقاً ، ولا ينهض بها إلا رجال يشعر الواحد منهم بأنه يحمل إلى نفسه وإلى بيته وإلى بيئته رسالة من رسالات الله يجب عليه أن يؤديها بلذة ومثابرة وصبر . وإن أقدار الرجال تقدر بأقدار رسالاتهم ، وتعلو منازلهم عند الله والناس - ولو بعد حين - كلما كانت أهدافهم أبعد ، ومجال جهادهم أوسع ، ورسالتهم أسمى وأطهر .

نحن ندعو الله آناء الليل وأطراف النهار بهذه الدعوة العظيمة «اهدنا الصراط المستقيم» . و « الصراط المستقيم » نعرفه جميعاً ، عامتنا وخاصتنا ، فى كل كلمة تنطق بها ألسنتنا ، وفى كل شهادة نشهد بها فى مجامعنا ومحاكمنا ، وفى كل تصرف نتصرف فيه بأموالنا وجهودنا وأعمالنا واتجاهاتنا ، فلو تحررنا فى كل ذلك التزام « الصراط المستقيم » لاستقام لنا الأمر ، وتمت لنا السعادة ، وكنا خلفاء الله فى الأرض .

ونحن معاشر أبناء هذا المعهد الإسلامى الخالد ، الجامع الأزهر المعمور ، قد آن لنا أن نقنع الإنسانية بما فى معارفنا من الخير لها ، وأن العمل بما ندعو إليه هو جوهر الدعوة ، وهو ثمرتها ، وهو الغرض الأول والأخير منها . إن الآذان مفتحة كلها الآن لتسمع وتبى وتمتحن وتحكم ، والعقول مفتحة كلها لتلقى الطيب والاعتراف بأنه طيب ، والقلوب مفتحة كلها لمحبهته كما تحب القلوب كل طيب . فلنخاطب الناس بألسنتها ، ولنواجه العقول والقلوب بما هو مقبول عندها من أسباب الصلاح والاستقامة وإيثار النافع والباقي على كل ما يضر ويضمحل .

نحن الآن فى دور انتقال من عهد كثر فيه الشر ، وارتفع فيه صوت الشيطان ، وضلت فيه النفوس عن طريق سعادتها . فليصلح كل منا قلبه لتستقبله القلوب بالحببة والتعاون والارتياح . والذى مكن الله له منبر تدرس فى مدرسة أو معهد يجب أن يخاطب قلوب أبنائه فى الفصل من قلب يعبد الله باسمائهم إلى الحق والخير ، وإعدادهم للقيادة الصالحة فى مستقبل الجليل . فالمهمة أكبر من أن يتقاعس عنها جندى من جنود البعث ، وأخطر من أن نعطل فيها قوة لها أى أثر فى تجديد كياناتنا لمواجهة مطالب السؤدد والسعادة والمجد ، والله ولى العالمين .

نفاية القرآن

- ٤٦ -

جلاء المحزنة

نعمة تقتضى شكر الله والتمسك بدينه ، فهل نحن فاعلون ??

- ١ - « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم .
٢ - واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

١ - فى الأحداث السكرية تعريف للانسان بمواطن الضعف من نفسه ، وتجديد لعزيمته ، وتوثيق لصلته بربه .

وفى ذكريات الأحداث بعد مضيتها تنشيط الحاضرين إلى القدوة بالطيبين من السلف ، ونهوض بالقيم الخلقية أمام الخلف .

وبهذا كله تظل المثالية السكرية تراثا يسير الزمن ، ويستقبل الأجيال ... وتظل الإنسانية فى كمال متجدد ، وسير متصل .

وذلك هو النمط الذى يعرضه القرآن على مسامع الناس فيما يحكيه من قصص الأولين ، وهو المنهج الذى يربى عليه المسلمين: لو أصاخوا إليه ، وأقبلوا عليه ، وآثروا به أنفسهم ، واستغنوا به عن تقاليد رخيصة تهبط بهم عن مستواهم المنشود ، وترجهم فى تيار ليس للانسانية منه نصيب ، ولا هو من مجد الحياة فى شئ .

٢ - ولدينا آية تذكر المؤمنين بحادث جليل كان وشيك الوقوع بهم فى شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وتذكر بأن الله وقاهم ذلك الحادث ، وهذه نعمة جديرة أن يقدرها المؤمنون قدرها ، ويعطوها من الشكر حقها .

إذ هم قوم أن يسيطوا أيديهم بالسوء إلى محمد - صلوات الله عليه - فكف الله أيدي السوء عن محمد ، ونجى الإسلام والمسلمين في شخصه الكريم .

وهذا نبا يتمثل في محاولة رجل أن يقتل محمدا بالسيف على انفراد ، وحينما قام شاهرا سيفه قال : من يمنعك مني الآن يا محمد ؟ فأجابه النبي : الله !! فسقط السيف من يد الطاغية ، فتناوله النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال له : ومن يمنعك مني الآن ؟؟ فقال الرجل : كن خير آخذ ؛ فعفا عنه النبي ، وتعهد الرجل ألا يتعرض للنبي بعد ذلك ، ثم عاد إلى قومه وقال لهم : جئتمكم من عند خير الناس .

وكذلك حدث مرة ثانية أن ذهب الرسول في نفر من صحبه إلى بني النضير في حاجة ليقضيها منهم ، وكانت بينهم وبينه معاهدة على الأمان ، ولكنهم تخينوا فرصة وجوده عندهم ، وهما أن يلقوا عليه صخرة تقتله ، فأعلمه الله بذلك ، وأحبط مكيدهم .

وبعد زمن هذين الحادتين نزلت الآية في الامتنان على المؤمنين بنجاة محمد نبينهم ، وفي تذكيرهم بأن نجاته نعمة تشملهم جميعا ، لأن كارثة تنال النبي في شخصه إنما تصيب الإسلام وأهله في كيانه ، وتعصف بجماعتهم ، وتشتت الأعداء فيهم ، بعد أن نهضت الدعوة ، وبدأت طلائع الإسلام تجتاح الكفر والكافرين .

فنجاة محمد صلى الله عليه وسلم نعمة يدركها العارفون لقيمة النصر على العدو والإفلات من يده ، فما بالك بحمد وصحبه وهم جنود الله يقاومون أعداءه ، ويتحدونهم بالدعوة الجديدة ، ثم هم عرب يأبون شماتة العدو ، ويبذلون الأرواح في الذود عن رسالتهم ، ويعتزون بأن الله حاميتهم ، وناصرهم على من يناوئهم ، أو يصددهم عن مواصلة جهادهم في الله تعالى .

٣ - ثم تعود الآية بعد تذكير المؤمنين بكف أيدي الطغاة عن محمد ، وبكف بأس الكفار عن جماعة المسلمين في مواقف تشبه ما تقدم ، فتأمر بالتقوى ، وتنشد في المسلمين حسن التوكل على الله - واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون -

ومعلوم أن التقوى هي السبب الذي يصل الناس برهيم ، وهي خير وشيعة يرتبط بها عباده فيما بينهم : إذ هي طهارة القلب من شوائب الضلال ، وسمو النفس عن الشرور ،

والقيام بحقوق الله وعباده . . فإذا كانوا على تقوى تعمر قلوبهم ، وتجمع شملهم ، عرفوا أن يحتموا بالله ، وأن ينهضوا إلى دعوة الله ، وأن يحسنوا توكلهم على الله .

وفي حضهم على التقوى وحسن التوكل تطمين لهم ، ووعد صادق بنصرتهم على عدوهم ، وفي هذا التذكير بكف الأيدي المبسوطة بالأذى ، مع الحض على التقوى وحسن التوكل ، توجيه لنا في حاضرنا وإن بعدنا من الأجيال إلى التسكاتف ، واعتبار المساكين وحدة يصيب مجموعها ما يصيب بعضهم ، وخاصة إذا كانت الإساءة موجهة إلى أصحاب الشخصية في الأمة أو إلى القائمين بالأمر فيها : ففي سلامة هؤلاء سلامة المجموع ، وسلامة الوطن من العادين على أرضه ، أو على حقوقه وسيادته .

٤ — وهذه الآية ونحوها من الآيات التي تبصرنا بما ينبغي الأخذ به ، وبما ينبغي الانصراف عنه ، تعتبر موثقا وعهدا من الله ، ومن الحق في ذمة المسلم أن يفي بالعهد على أتم وجوهه ، وألا يكون كبنى إسرائيل : نقضوا عهود الله ، وما أكثر ما نقضوا ، فحقت عليهم لعنة الله ، وتركزت فيهم الشرور ، ووصفهم الله بكل نقيصة مرذولة ، ورماهم بالخيانة أبدا ، فقال بعد كثير من الطعن عليهم : «ولا تزال تطلع على خائنة منهم» ، والأمثال حاضرة في مسالكهم وفي مخازيهم وسفاسفهم ، ومهما اعتزوا بمن يشايعهم فسيحقيق المكر السيئ بأهله كما أوعده الله في كتابه ، وسيعيشون بين المخاوف والقلق وإن زعموا غير ذلك .

٥ — هذا وقد نزلت بمصر محنة بغیضة ، ففزعت الأنفس إلى رهبا بالضراعة : أن يلطف بنا في قضائه ، وقد تلطف سبحانه ، فكان نصره لمصر فوق مارجونا ، وخرجت من المحنة عالية الرأس ، وضاعة الجبين .

فهل لنا أن نذكر نعمة الله علينا ، إذ هم أقوام أن يبسطوا — بل بسطوا بالفعل — أيديهم بالأذى إلينا ، فكف الله أيديهم عنا ، ودحرهم بالخزي والمهانة ، وردهم على أعقابهم خاسرين ؟ .

هل لشعبنا وقادتنا أن نتعاقد على الوفاء لله ، ونرجع إلى دينه ، وننبذ تقاليد رمتنا بها المدنية الداعرة ؟ ؟ وهل لتلك الأقلام الجائعة في التشكيك وإنكار الألوهية أن ترتد إلى الصواب ، وتقلع عن إسفافها في المحجون لتسلم الأمة من غوائل الإلحاد ؟ ؟

ومن لى بتبليغ شكوانا من هذه الشرذمة إلى من يملك الضرب على أيديهم ؟ ؟

إن مصر وطن إسلامي عريق ، وهى مهد الثقافات الإسلامية ، وهى البلد الأوحد فى الحفاظ على القرآن الكريم ، ثم هى البلد الذى يتمثل فيه الطابع العربى المصقول فى لغته ، وفى تقاليده الأصيلة ، وفى وفائه ونجده ، وفى كل ما يتصل بالعروبة الخالصة من شوائب الدخل .

فإذا كان الاستعمار قد لوث تلك الخصائص بزيغه ، وانتقص منها بأباطيله ، واجتذب نفرا منا إلى ناحيته وإلى إباحيته : فقد آن لمصر أن تنبذ آثار الاستعمار كما نبذت سياسته ، وأن تتبدى من جديد للعالم فى روائها العربى الإسلامى ، وأن تبهر العالم كله بانسلاخها من تلك المهازل التى لا تلائم بيئتها ، ولا تتصل بمقوماتها ، ولا تتشى مع وجهتها فيما هى بسبيله من استئناف حياتها الماجدة .

على رأس مصر اليوم رجل صحيح التفكير ، صادق الأحداث ، عظيم الطموح بشعبه ولشعبه ، رجل ادخرته الأقدار ليعود بمصر إلى مكانتها من المجد والسيادة .

ومع هذا الزعيم نخبة كريمة ، تجاريه فى شوطه ، وتوازره فى جهوده ، خليق بهؤلاء الأبطال - وقد آمن بهم الشعب إيمانا حقا ، وآمنت الدنيا بأن مصر على حق فى إيمانها بزعمائها - أن يستخلصوا وطنهم وشعبهم من سطوة الإلحاد ، وألاعيب الزنادقة ، وأن يحطموا دعاة الميوعة ، وأعوان الفساد ، لتكون مصر كما يليق بها ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء - ومدير التفتيش بالأزهر

أعداء الحقيقة

إذا زهدك رجل فى طلب الحقيقة ، بحجة أن الحقيقة لا تدرك كاملة ، فاتهم هذا الرجل واحذره ، فانه عدوك وللحقيقة ، وإنما حمله على تزهدك فيها أنه قد أضلها ، وكلما شعر بضلاله كان حريصا على استمالة غيره إلى هذه الحياة الضالة .

تولستوى

الصلوة

الصلوة سلاح النصر [١]

مكان الصلاة في الإسلام - الصلاة في الميدان -
نسمة زكية - نداء ملهم - مبدأ صلاتنا بالله -
أول المسؤولين عن الصلاة - إعاذة وضراعة .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فوازينا العدو فصاففنا لهم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا ، فقامت طائفة معه تصلي وأقبلت طائفة على العدو ، وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجد سجدتين ، ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل ، فجاءوا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم ، فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين .

* * *

وعدنا أن نتحدث في هذا الجزء عن صنوف الجهاد وأسلحته ، بعد أن أئمتنا في الجزء الماضي بشيء من فضيلة الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته . . . ثم دعت دواع كريمة إلى تقديم هذا الحديث بين يدي الوفاء بالوعد .

إنه حديث الصلاة في الحرب ، والقتال سجال ، بين جند الرحمن ، وأولياء الشيطان ، ولا وزن عند الله لجهاد أى جهاد ، ما لم يكن بين المجاهد ومن يجاهد في سبيله صلة . . . وأى صلة أعظم من الصلاة ؟ إن الصلاة عماد الدين ، وملاك التقوى : في الحضر والسفر ، والسلم والحرب ، والأمن والخوف ، والنضال والقتال ، فهى قاعدة كل جهاد ،

[*] عنوان بيان أذاعه وزير التربية والتعليم وقائد جيش التحرير ، لمناسبة جهاد العدو . . . وقد وقع البيان من أئمتنا المجاهدة موقعا حسنا . . . وليس اقتباس العنوان ومعظم البيان في أثناء الشرح إلا أثرأ من آثار وقعه الحسن ...

وأساس كل دفاع ، لا يرفع الله لتاركها عملا ، ولا يتقبل الله منه قربة « إنما يتقبل الله من المتقين » .

وفي الصلاة بعد ذلك قوة للضعفاء ، ومعونة للأقوياء ، وإماتة بالغیظ للأعداء ، ومن أجل ذلك كانت من الإسلام عماده الأول ، وركنه الأجل ، بعد الإيمان بالله ورسوله ، ومن أجل ذلك كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ، كتبها الله عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، ويسرها لهم تيسيرا لا عسرفيه ولا حرج ، من لم يستطع أن يصلحها قائما صلاها قاعدا ، فمن لم يستطع فعلى جنب ، فمن لم يستطع فليومئ بها إيماء ، لئلا يكون لسكان من كان بعد هذا التيسير حجة ولا معذرة .

والمجاهدون في سبيل الله أولى بالصلاة وأحق بها ، لأنها سلاحهم الروحي ، الذي إذا حالف سلاحهم المادي ، كانوا من جند الله حقا : « وإن جندنا لهم الغالبون » .

* * *

عرف ذلك أعداء الإسلام وأحلاف الشيطان قديما وحديثا ، فصعدونا عن كتابنا وصلاتنا ، لنكون مثلهم . . ثم تكون لهم الغلبة علينا بكثرة العدد والعدد حيث لا طاقة لنا بهم ولا قوة !!

* * *

لكن نسمة من نسيمات العزيز الرحيم هبت علينا في هذه الأيام العصيبة طيبة زكية ، فذكرت نفوسا كانت غاوية ، وهزت قلوبا كانت قاسية ، وأهابت بوزرائنا وقادتنا وأولى الأمر منا أن ينادوا : الصلاة سلاح النصر : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » معلنين في ندائهم القوى الملهم أن نصرنا لله إنما يبدأ بصلتنا الخالصة المؤمنة به ، وأن هذه الصلة إنما تبدأ بالصلاة ، وأن واجب الإعداد لن يقتصر على حفر الخنادق وتجهيز المواقع الدفاعية ، واسكنه يجب أن يمتد فيشمل تجهيز النفوس والقلوب وتطهيرها لتدعم صلتها بالله عز وجل ، وأن على جميع القادة أن ييسروا لجنودهم القيام بصلاتهم ، وأن يكونوا لهم أئمة ومثلا ، يؤمنهم في الصلاة كما يقودونهم إلى المعركة . .

* * *

يذكرنا هذا النداء الموفق بصلاة القائد الأول صلى الله عليه وسلم بالجيش . . ثم بصلاة القادة من بعده في معارك الحق والظفر والنصر ، إلى أن خلقت من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا ، فحسروهما جميعا !!!

وقد صلى النبي صلى الله عليه هذه الصلاة في مواطن مختلفة ، على صفات شتى ، يتحرى في كل موطن ما هو أحوط للصلاة ، وأحفظ للجيش ، وأبلغ في الحذر والحراسة .

وفي هذه الغزوة التي غزاها صلوات الله وسلامه عليه قبل نجد صلى العصر صلاة قصر وخوف ، ففرق الجيش طائفتين ، صلى بالأولى ركعة على حين كانت الأخرى موازية للعدو ، ثم انصرفت التي صلت خلفه ركعة وهي في صلاتها ، مكان الطائفة التي لم تصل ، وجاءت هذه مكانها ، فصلى بها النبي صلى الله عليه وسلم ركعته التالية ، حتى إذا سلم قامت كل طائفة فقضت لنفسها ركعتها الثانية ، متعاقبتين أو مجتمعتين ، مع أخذ كل منهما حذرهما وأسلحتهما وهي في صلاتها ، اتقاء غدر العدو . . .

وتسمى هذه الغزوة « ذات الرقاع » لما لقوا فيها من بالغ المشقة والجهد ، حتى كان أبو موسى الأشعري وخمسة معه يعتقبون بعيرا واحدا ! قال أبو موسى : فنقبت أقدامنا - رقت من الحفاء - ونقبت قدماى وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق !!

وسار صلوات الله عليه في بضع مئين من أصحابه ، حتى نزل نخلا ، على يومين من المدينة ، يريد جموعا كان بلغه أنها اجتمعت لمحاربتة ، فلما بلغهم نبأ مقدمه ألقى الله في قلوبهم الرعب ، تخافوا وتفرقوا في رؤوس الجبال . . ثم اجتمع جمع منهم فأخاف بعضهم بعضا ، فانصرفوا بعد أن تواقفوا من غير حرب . . وإنما كانت صلاة الخوف حذرا من العدو . .

وخروج أبي موسى في هذه الغزوة وأبى هريرة مما استدل به البخارى وصاحب الهدى على أنها كانت في السنة السابعة بعد خيبر ، لأنهما لم يقدما على النبي صلى الله عليه وسلم إلا في أواخر خيبر . .

* * *

وأول صلاة صلاها للخوف صلوات الله وسلامه عليه ، كانت بعسفان ، بعد مرحلتين من المدينة إلى مكة . . وكانت في عمرة الحديبية سنة ست . . وذلك أنه لما صلى بأصحابه الظهر استقبلهم المشركون عليهم خالد بن الوليد ، فندموا أن لم يصيبوا من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه غرة ! وقالوا لقد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ! ثم قالوا يأتى عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أنبائهم وأنفسهم ، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه صلاة الخوف ، فصلاها بهم صلاة العصر . .

وقد وقعت هذه الصلاة من قلب سيف الله خالد موقعا لم يزل أثره فيه حتى شرح الله صدره للإسلام بعدها بعام أو عامين . .

* * *

وليس يعنيننا هنا أن نفصل كيفيات هذه الصلاة؛ فإن لهذا التفصيل موضعه من كتب الحديث والفقه . . وإنما الذى يعنيننا ويعنى قادتنا وأولى الأمر منا أن ننوه بالصلاة « سلاح النصر » تنويه الله بها ، ونعظمها تعظيم الله إياها ، فى السلم والحرب ، والفرج والكرب ، فى كل بيت ومعهد ، وفى كل متجر ومصنع ، وفى كل مجتمع وناد ، غير ناسين فضل الجماعة فيها ، ودعوة الله إليها ، لما لها فى الأمة عامة وجيشها خاصة من عظيم الأثر ، وشدة الأزر ، ولا سيما فى ساحة النضال ، وميدان القتال ، وأخرج مويغات الفصل .

يعنيننا هنا ويعنى أولى الأمر منا أن يعلموا أنهم أول المسئولين عن الصلاة ، صلاة الأمن وصلاة الخوف ، فى كل رقعة من الأرض مكنهم الله فيها ، وفى كل نفس ولاهم الله أمرها ، وفرض عليها أن تطيعهم ، وتخلص لهم من بعد طاعة الله وطاعة رسوله . .

لقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندى الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة .

* * *

إن الصلاة ليعود فضلها وعظيم آثارها : من الموالاة والطاعة والمحبة والإخلاص سرا وعلنا - أول ما يعود - إلى من دعا إليها وأمر بها ، وأخذ الناس بالحزم والعزم فيها ، وكان مثلا كريما لمن يأمرهم بها ويحضهم عليها .

وإننا لنعيد بالله قادتنا وأولى الأمر منا أن يكونوا من خلف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون . . . ونضرع إليه سبحانه أن يسددهم ، ويؤيدهم ، وأن يمن عليهم بطاعتنا لهم فى طاعته ، ومحبتنا إياهم فى محبته ، حتى نصلى عليهم ويصلوا علينا « وما ذلك على الله بعزيز » ٤

مسئولية المؤرخ

العلم أمانة ، تلك قضية جرت بها ألسنة أسلافنا من العلماء رضى الله عنهم ، إجلالا لمسكينة العلم ، وتحريزا من الخوض فيه أو تزيفه . والأمانة مما أمر الله برعايتها والحفاظ عليها وأدائها كاملة ، وكانت سيرة السابقين من علماء المسلمين في الميدان العلمى مفخرة من مفاخر التاريخ فى الأمانة العلمية ، يزهى بها العلم ويزدهى بها العلماء المنصفون ، وإنها لعمر الحق دستور علمى خضعوا لقواعده ، فبرئت نفوسهم وبرئت أعمالهم من شبهات التدليس والكذب والسرقة ، وقد دفعتهم تلك الأمانة أن يضعوا لها البراج ويؤلفوا فيها الكتب ويصطنعوا لها القواعد ، ليسلم لهم شرفهم وتسلم مؤلفاتهم من آفات الادعاء والتزيف . وقد كان العالم يدفعه شرفه العلمى وحفاظه عليه أن يرحل الأيام والأسابيع لطلب الثبوت من كلمة أو حديث لم يستوثق منهما : « ولئن كانت الأمانة فى أولها ديناً يدين به العالم فقد كانت فيما بعد ديناً وشرفاً علمياً يشين العالم أن يعمرى منه » .

والعلم أيا كان نوعه أمانة ، وليس هناك فرق فى الشرف العلمى بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، وإن كان هناك أكبر الفرق بينهما فى التقدير الدينى ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس الكذب على كالكذب على أحد ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . والحديث فى العلم والتأليف فيه أمانة كذلك لا يخفى العالم من مسؤولية الثبوت منه والمؤاخذه عليه ألا يكون من علوم الدين ، وإذا كان ذلك الشأن فى العلوم عامة فالأمر فى علم التاريخ أشد وأولى ، ذلك أن المعلومات التاريخية هى من قبيل الشهادات ، ومسئولية الشهادة أمام الله وأمام الناس وأمام الضمير الإنسانى مسؤولية عظمى ، وكل تزيف فى التاريخ لأى دافع من الدوافع تزوير يؤاخذ به الله إن لم يؤاخذ به القانون . وفى كتابة التاريخ مسؤولية دينية وأدبية ، ولسكننا نرى كثيرا ممن يتصدون للكتابة فيه يستهينون بهذه المسؤوليات ، ويتناولون الحوادث والأشخاص حسبا تمليه العواطف والأهواء ، وحسبا تمليه الظروف والملابسات ، لا يراعون للحق ولا للواقع حرمة ولا كرامة ، ولا يبالون عقاب الله أو ملامة الناس . وإذا عوتبوا فى ذلك كان من أيسر الأعذار عندهم وأهونها لديهم أن يقولوا : إن التاريخ كلام لا يحرم حلالا ولا يحل

حراما . وهم في ذلك مخطئون أشد الخطأ ، فكلنا نعرف أن التاريخ صلة بين الماضي والمستقبل ، وأن المؤرخين رسل الثقافة بين الأجيال الماضية والأجيال المستقبلية ، ومن حق تلك الثقافة على المؤرخين أن ينقلوها صحيحة لا زيف فيها ، ومن حق الأجيال المقبلة أن ننقل إليهم صور حياتنا سليمة من التزيد والتدليس ، وإن التسمح في الحقائق التاريخية جريمة لا شك فيها ، ذلك أنها تزعزع الثقة بالمعلومات التاريخية في نفوس العلماء حين تواتيهم الفرصة للمقارنة والموازنة والوقوف على التاريخ الصحيح ، وإنها لحنة علمية أن يرعى الكتاتيون لأفلامهم العنان في الحوادث والأشخاص ، ولا يتحرون الدقة في الحقائق والعبارات جريا وراء العواطف والشهوات ، والحوادث في نظرهم تتلون باختلاف الظروف والمناسبات ، والشهادات في الأشخاص تخضع لصلوات المودة والصدقة لا لحكم الحق والصدق . فإذا نظم أديب شيئا من النظم فهو الشاعر الكبير ، وإذا كتب كلمة فهو الكتائب القدير ، وإذا رقع كتابا فهو العالم النحرير ، وما إلى ذلك من الألقاب التي تخلع على الأشخاص من غير حساب .

إن ذلك غمط للحق والواقع ، وليس من دأب الأئمة من العلماء ، لذلك كان كثير من أسلافنا يتحاماهم تحرجا من الإثم الديني والأدبي ، وكان للحقائق وللأشخاص معايير أكثرها دقيق ، ولهم في الحقائق التاريخية عبارات رائعة ، فكانوا يقولون عن فلان من العلماء : « إنه يحسن كذا » ويقولون عن آخر : « إن له مشاركة في علوم كذا » ويتحاشون أن يقولوا : « إنه عالم بكذا » ، « أو محقق في كذا » ونحو ذلك مما يشعر بطول الباع في المعارف والعلوم وليس من الحقيقة في شيء .

نعم إن المؤرخ قد تضطوره الظروف من الرغبة أو الرهبة إلى أن ينحو في تدوين الوقائع منحى يخالف بعض الواقع ، وربما يخالف ما يعتقده هو نفسه ، أو يضيف إلى ما يكتب شيئا من الزينة والزخرف ليكون مقبولا لدى من بيدهم الأمر ، وهنا تبرز شخصية المؤرخ وزاهته وشجاعته وقدرته على ضبط عواطفه في عمله التاريخي ، فإن استطاع أن يتحرر من بواعث الهوى ورضخ سلطان الحق وجرى في ذكر الحوادث على ما هي عليه في الواقع كان منصفاً وأميناً جريا بصفة العلم وتقدير العلماء ، وإذا وقع تحت ضغط الظروف فيما يكتب ولم يتهيب سلطان الحق وكرامة العلم فهو المدلس الكذاب ، وستضعه موازين النقد الصحيح في مكانه من صفوف العلماء . ولقد زادت مهمة المؤرخ صعوبة في هذا العصر بما ابتكر

من وسائل الدعاية وما استنبط من أساليب الترويح التي تخلم على الحقائق ألوانا براقة تعنت المؤرخين في نخلها وتصفيتها وتحريرها خالصة من شوائب التلبس والتدليس .

وإذا كان تحرى الدقة والصواب في العمل التاريخي فضيلة محدودة من كل من يتصدى لكتابة التاريخ ، فإنها ضرورة لازمة وواجب علمي على من يندب نفسه لهذا العمل من رجال الجامعات التي هي موضع الثقة في نفوس الناس ، والتي يتمتع جماعات العلماء فيها بنصيب من الحرية يفاخرون به ويحرصون عليه ، إلا أننا مع الأسف الشديد نجد كثيرا من رجال التاريخ في هذا العصر ممن ينتسبون إلى الجمادات والهيئات العلمية يقعون تحت سلطان العاطفة والرغبة فيما يكتبون ، فتجىء كتاباتهم أو مؤلفاتهم بعيدة عن الحق والصدق ، باعثة على الانكار والاستخفاف .

هذا - وإن تاريخنا القومي الحديث تاريخ خصب مليء بالمفاخر والمناقب ، وفي حاجة إلى تعبئة الأقلام القوية التزينة لتسجيله وإعداده كتراث ننقله إلى الأجيال القادمة آية من آيات جهادنا الوطني في تحرير بلادنا من آثار الاستعمار البغيض ، وآثار التبعية الذليلة التي عوقتنا عن المضي في ركاب الأمم الناهضة أزمانا طويلة ما

أبر الوفا المراغى

مزمار الفن والمدفع

قالوا أتى الليث حلاق يعلمه	قص الأظافر تجميلا كما ابتدعوا
يا ليث قلها لذا الحلاق زججرة :	إن المخالب في كفى هي الشجع
يا ليث قلها لذا الحلاق همهمة :	زدنى مقصك ظفرا منه أتنفع
يا ليث قلها لذا الحلاق دمدمة :	الظفر لليث بالدنيا وما تسع
لو كل مزمار فن عندنا خنت	لنا به مدفع فنانه بشع
إذن لسكانت لنا بين الورى لغة	متى تقل قولها في العالم اقتنعوا
	مصطفى صادق الرافعي

مؤامرات اليهود الغادرة

- ٢ -

« أئتمار يهود بنى قريظة والمشركين بالمسلمين فى الخندق » :

لم يرض بنو النضير بما طلبوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجلاء عن المدينة وعفوه عنهم ، بل أخذوا فى تأليب قريش وتحريضهم على قتال النبي وأصحابه ، فذهب وفد منهم إلى مكة وما زالوا بهم حتى أغروهم بغزو المدينة ، وفى سبيل هذه الغاية خالفوا الشرائع السماوية كلها ، ففضلوا عباد الأوثان على أهل التوحيد ، ذلك أن قريشا قالت لم : إنكم أهل الكتاب وأصحاب العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومجد ، أفديننا خير أم دينه ؟ فقالت اليهود : بل دينكم خير من دينه وأولى بالحق منه !

وهكذا نجح يهود فى سبيل الغاية الوضيعة ، لا يعبأون بمقررات الشرائع والحق والشرف والفضيلة . وهذا ديدنهم فى كل عصر ، وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه القصة بقوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » [١] .

وكذلك ألبوا سائر قبائل العرب على المسلمين ، وما زالوا يجوبون الجزيرة حتى تجمع نحو عشرة آلاف مقاتل وقصدوا إلى المدينة كي يفتضوها عنوة ، فكان ما كان من خروج المسلمين للقائهم وحفرهم الخندق فى الناحية غير الحصينة من المدينة وتحصنهم وراءه .

ولم يكتف رؤساء بنى النضير بتأليب العرب فعمدوا إلى بنى قريظة — والمشركون يحاصرون المدينة — وسعوا إليهم أن ينتقضوا ما بينهم وبين النبي وصحبه من عهد ، فذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القرظى صاحب عهدهم وعقدتهم فدعاه إلى نقض العهد ، فأبى أول الأمر وقال : « دعنى وما أنا عليه ، فأنى لم أر من مجد إلا وفاء وصدقا »

ولم يزل حيي به حتى تحركت في نفسه يهوديته الحاقدة وطبيعته الغادرة الناكثة ، فاستجاب لله ونقض ما بينه وبين المسلمين من عهود .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله أرسل إليهم نفرا فيهم سعد بن معاذ وسعد بن عباد سيدا الأوس والخزرج كي يستوضحوا الخبر ، وقال لهم : « انظروا فان كان حقا ما بلغنا عنهم فالحنا إلى الحنا أعرفه ولا نفتقوا في أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . فذهب الوفد إليهم فوجدوا منهم غدرا ونقضا للعهد وسفاها على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى أدى الأمر إلى أن تشاتموا هم والسعدان . فلما أقبل السعدان إلى رسول الله لحنا له ، ففهم وقال : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ، وظهر عليه من التأثير ما جعل المسلمين يدركون ما فعلته بنو قريظة .

واشتد الأمر على المسلمين ، فهاهم المشركون من فوقهم ، واليهود من أسفلهم ، وخافوا على نساءهم وذرائعهم من غدر اليهود ، واشتد الكرب بهم حتى ظن الضعفاء والمنافقون بالله الظنون السيئة . ولن تجد أدق في تصوير ما نزل بالمسلمين من أهوال وخوف في هذا الموقف من قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحاً وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا » [١] ولكن الله الذي تكفل بالنصر لعباده المتقين تداركهم برحمته ، فسعى نعيم بن مسعود الأشجعي - بمشورة النبي صلى الله عليه وسلم - في التخاذل بين المشركين واليهود ، ونجح أيمانا نجاح ، وأرسل الله على المشركين ريحه وجنوده ، فامتلات قلوبهم رعبا وخوفا ، فعادوا بليل ورضوا عن الغنيمة بالإياب .

ورجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصحبه إلى المدينة ووضع سلاحه ، بقاء إليه جبريل فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال جبريل : ما وضعنا السلاح ، وما رجعت إلا من طلب القوم ، وإن الله يأمرك بالمشير إلى بنى قريظة فاني عامد إليهم فززل بهم . فأمر رسول الله مناديا ينادي في الناس « لا يصليين أحد العصر إلا في بنى قريظة » فأسرع المسلمون إليها يتبعهم رسولهم ولواؤه معقود

لابن عمه على بن أبي طالب رضى الله عنه . فلما عين بنو قريظة جيش المسلمين ، امتلأت قلوبهم رعبا وتحصنوا ب حصونهم ، وحاصروهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة ، فلما لم يروا فائدة . من تحصنهم واشتد بهم الأمر عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم معاملة بنى النضير ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، ففعلوا ، فأمر برجالهم فـكتفوا ، ثم سعى إلى رسول الله رجال من الأوس راجين أن يعاملهم معاملة بنى قينقاع حلفاء إخوانهم الخزرج ، فقال لهم السيد الحكيم : « ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » فقالوا : بلى . فاختاروا سعد بن معاذ ، وكان في خيمة في المسجد معدة لمعالجة الجرحى من سهم أصيب به في الخندق ، فأرسل رسول الله في طلبه ، فجاء راكبا ، فأنف حولہ جماعة من الأوس قائلين له : أحسن في مواليك ، ألا ترى ما فعل ابن أبي في مواليه ؟ فقال لهم : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . ثم قال : « فاني أحكم فيهم أن تقتلوا الرجال ، وتسبوا النساء والذرية » فقال له رسول الله : « لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبع سموات » فنفذ فيهم الحكم ، ولم يلبث سعد أن انفجر جرحه ، فمات شهيدا بعد أن أرضى الله ورسوله . وبذلك تخلص المسلمون بالمدينة من آخر شوكة غادرة كانت تقض مضاجعهم وتسلبهم السلام والأمان ، ولا تفتأ تحيى لهم المؤامرات تلو المؤامرات ، وأصبحت المدينة كلها - ما عدا المتناقين - على قلب رجل واحد ، وموئل الإسلام وحصنه الحصين .

وقبل أن يستعظم أحد حكم سعد عليهم وقسوته ، عليه أن يتدبر - فيما لو نجح المشركون في عبور الخندق والتقاءهم بجيش المسلمين وجها لوجه ، ونفذ بنو قريظة خطتهم التي كانوا على وشك القيام بها ، بمهاجمة المسلمين من ظهورهم وفي أهليهم وذرائعهم - ماذا يكون الحال ؟ وإلى أى مدى ستكون الكارثة ؟ . لا شك أن الكارثة ستكون بالنسبة لمن اقتنع منهم من بنى قريظة أضعافا مضاعفة من رجال المسلمين ونسائهم وأولادهم .

التخلص من يهود خيبر :

ولئن كانت المدينة قد تطهرت من اليهود ومكايدهم فما هى خيبر وهى على مقربة منها لا تزال حصنا حصينا لليهود من أهلها ومن نزح إليها من يهود بنى النضير ، وإن نس لانس ما فعله زعماء بنى النضير الذين اتخذوا خيبر لهم مقاما من تأليب قبائل العرب وبنى قريظة على المسلمين ، وهكذا نجد أن خيبر أصبحت مركزا لتجمعات اليهود ونقطة ارتكاز

يقومون منها بما يريدون من حيل ومكايد وغدر ، بل وينتقضون منها على المسلمين إذا منحت لهم الفرصة . وما كان لرسول الله وهو السياسي المحنك ليدع هؤلاء الأعداء الذين يتربصون به وبالمسلمين الدوائر ، لهذا لم يكدرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية حتى أمر بالتجهز للخروج إلى خيبر على أن لا يغزو معه إلا من شهد الحديبية . وسار الجيش إلى خيبر وعدته ألف وستائة . فما راع يهود خيبر - وقد خرجوا مصبحين يحملون مساحيقهم ومكاتلهم - إلا جند الله يرفعون أصواتهم بالتهليل والتكبير ، فولوا الأدبار يتصايحون : هذا مجد والخميس معه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قولهم : « الله أكبر ، ضربت خيبر . إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » وكانت لهم حصون منيعة فتحصنوا فيها ، وحاصرهم رسول الله والمؤمنون يحسدوهم إعزاز دين الله وتطهير بلاد العرب من رجس إخوان القردة والخنازير ، واستمات الخيبريون في الدفاع لما يعلمون أن في هزيمتهم القضاء الأخير على بني إسرائيل في بلاد العرب . وشدد المسلمون عليهم الحصار ، وأظهروا من ضروب الشجاعة والاستبسال في سبيل الحق ما حفظه التاريخ لهم . فلم تلبث الحصون أن تهاوت حصنا بعد حصن حتى استولى على اليهود اليأس ، فطلبوا من النبي الصباح على أن يحقن دماءهم ، فقبل الرؤوف الرحيم . وصارت أرضهم لله ولرسوله وللمسلمين . فلما أراد النبي إجلأهم سألوهم أن يقرهم على أن يعملوا في الأرض ولهم نصف الثمر ، فقال لهم : « نفرمكم على ذلك ما شئنا » . وبخضوع يهود خيبر انهار كيان اليهود وقوتهم في الجزيرة العربية ، ولم يعد لهم خطر يذكر ، وأراح الله المسلمين من شرورهم وغدراتهم .

قصة الشاة المسمومة :

ومع هذه المساهلة في الصلح والإحسان إليهم باجابتهم إلى ما طلبوا ، ما زالت نفوسهم مملوءة بالحقد والبغضاء للنبي والمسلمين . وليس أدل على هذا من أن النبي لما صالحهم واطمان أهدت إليه زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية ، وقد سألت أى عضو أحب إلى نبيهم ؟ فقليل لها : الذراع ، فأكثر فيه من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها فوضعتها بين يديه ، فتناول الذراع فلاك منها قطعة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد أخذ منها قطعة ، فأما بشر فأسأغها ، وأما رسول الله فلفظها ثم قال : « إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم » . ثم دعا بها فاعترفت فقال : ما حملك

على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان كذابا استرحنا منه ، وإن كان نبيا فسيخبر ، فتجاوز عنها ، ومات بشر من أكلته هذه . فيقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قتلها به قصاصا . وهكذا نجى الله نبيه من غدر هذه اليهودية كما نجاه من غدرهم وهمهم بقتله من قبل ، ولم يزل أثر هذا السم يعاود النبي صلى الله عليه وسلم كل عام حتى توفاه الله .

يهود فذك وتيماء ووادي القرى :

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود فذك من يطلب إليهم الانقياد والطاعة ، فصالحوا رسول الله على أن يحقن دماءهم ويتركوا أموالهم ، فكانت فذك لرسول الله خاصة ، لأنها فيء أخذ بلا إيجاف خيل ولا ركاب ، فكان ينفق منها على نفسه وعلى من يمون ، ثم عاملهم على العمل في الأرض بنصف ما يخرج منها ، ولما بلغ يهود تيماء ما انتهى إليه أمر أهل خيبر صالحوا على دفع الجزية ومكثوا في بلادهم آمنين . ثم دعا رسول الله يهود وادي القرى إلى الاستسلام والطاعة ، فأبوا وقاتلوا ، فقاتلهم . وسرعان ما استسلموا وصالحوا على ما صالح عليه أهل خيبر ، فتركت لهم الأرض يزرعونها بشطر ما يخرج منها . وبهذا النصر المتتابع دان اليهود كلهم لسلطان الإسلام ، وانتهى ما كان لهم من سلطان وكيان ولم تقم لهم قائمة بعد . وبهذا أصبحت الدولة الإسلامية الناشئة بأمن من ناحية الشمال إلى بلاد الشام .

ولم يزل يهود خيبر يعملون في أرضها على نصف ما يخرج منها حياة رسول الله ومدة خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر ، حتى أجلاهم عمر إلى بلاد الشام بعد أن أعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر والمالا وإبلا وعروضا ، وذلك (١) لما قاموا به من الغدر والإفساد ، فقد كان لابنه عبد الله مال بها وكان يختلف إليها ، فعدوا عليه من الليل وألقوه من فوق السطح وهو نائم ففدعت يدها ورجلاه ، (٢) ولما ثبت عنده من قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يبيع بحزيرة العرب دينان » ولا سيما وقد كان لإبقاء رسول الله لهم مشروطا بمشيئة المسلمين ، (٣) ولما رواه عمر بن شعبة في أخبار المدينة قال : « لما كثرت العيال أي الخدم في أيدي المسلمين وقوا على العمل في الأرض أجلاهم عمر » فلهذه الأسباب مجتمعة كان الإجماع [١] . ونعما فعل الملمهم المحدث ، فان المجاز قطب الإسلام الذي تدور عليه رحاه وقلبه النابض ، فكان من الحكمة أن يبقى القطب قويا متماسكا والقلب سليما من كل

عوامل التحلل والفساد والضعف، كي تبقى الأطراف سليمة قوية تؤدي وظيفتها المطلوبة منها ، واليهود كانوا - وما زالوا - أداة هدم وإفساد .

هذا وقد طقنا بك - أيها القارئ الفطن - وجهبك في تناولنا الحديث عن بني إسرائيل من لدن نشأتهم إلى يومنا هذا ، فتكشف لنا بالأسانيد التاريخية الثابتة والوقائع الصحيحة التي لا مرء فيها أن اليهود في عصرهم المتعاقبة أساءوا إلى الله عز شأنه وإلى أنبيائه ورسله وإلى البشر قاطبة ، وأنهم لم يسلم من شرورهم وعنهم وإيذائهم أنبياء الله ، ولا سميا موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ولا أتباع عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأنهم أهل غدر وخيانة ونذالة ، لا يزيدهم الاحسان إليهم إلا إساءة للحسن ، ولا الإغرام عليهم إلا كفرا وجحودا ، وأنهم لا يقيمون للقرارات الشرعية ولا الأخلاقية ولا القانونية ولا العرفية وزنا ، وجل همهم الوصول إلى أغراضهم الدنيئة بالوسائل الخسيسة ، وأنهم عندهم شهوة عارمة إلى إراقة الدماء وانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال ، حتى وصلت بهم العرامة أن قتلوا الكثيرين من أنبيائهم وولغوا في دمائهم الزكية ، وأنهم مساعرو حرب وأخذان فتنه وأهل شقاق ونفاق ، كلما وجدوا فتنه أوضعوا فيها ، وسرعان ما يطفئها الله سبحانه .

وبعد - فهل يعيد التاريخ سيرته الأولى ويقيض الله سبحانه لليهود - إخوان القردة والخنازير - من يجليهم عن الأرض الطيبة التي باركها الله وهي أرض فلسطين ، ليعود إليها أهلها المشردون في الصحراء ، كما أجلى أسلافهم من قبل من الأرض الطاهرة أرض الحجاز ؟؟ إن هذا ليس بعزيز على شعوب العرب وقادتهم ، إذا أخلصوا لله وأجمعوا العزم واستمروا على ما أظهروه من تكتل ووحدنة تكسرت على صخرتها الصماء قرون المستعمرين الأرجاس من الانجليز والفرنسيين وصنائعهم اليهود الأوغاد . ولعل فيما فعلوه في هذه الأيام من غدر وتنكيل وتقتيل وتخريب استعجالا لنهاية حياتهم في الأرض الطاهرة ، كما استعجل يهود خيبر إجلاءهم من أرض الحجاز بفعلهم المنسكرة .

فاللهم أعن جنودك ، وحقق وعدك الذي وعدت به في كتابك الصادق على لسان نبيك الصادق ، حيث قلت : « وإذ تأذن ربك لبيعن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم » صدق الله العظيم .

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

كيف يسود السلام العام؟

أيمكن أن يسود السلام العام ، وكيف يسود ، ومن ذا يكفله ؟ . تلك هى الأسئلة التى تجرى اليوم على كل لسان ، ويختلج بها كل جنان ، وقد أصبحت داخلية فى أفق تفكير المفكرين بين المصلحين والفلاسفة والسالميين ، الراغبين فى تنظيم أمور الحياة على وجه لا يحدث بعده على مسرح العالم ما جرى أمس من الشدائد والأحوال والآلام والعذاب والقتل والفك والتخريب والتدمير . نعم بعد أن أصبح هؤلاء جمهورا عظيما لم تشهد الإنسانية ضريبه فى جميع ماضيها الحربى المخيف . ولئن كان هذا الجمهور العظيم وهو يكاد يكون السواد الأعظم من أمم العالم كلها يريد أن يستتب السلام فى الأرض آخر الدهر ويستقيم ، إلا أن الرغبة شئ وتحقيق الرغبة شئ آخر ، فان تحقيقا كهذا لرغبة كهذه يتطلب إرادة عامة تشمل كل إنسان فى العالم وتعم ، إذا كان يراد أن يسود السلام فى الإنسانية إلى الأبد، إذ لو كان الراغبون فى السلم ٩٩ فى المائة فاعلم أن الرجل الواحد الخارج عن هذه الرغبة سيتابع ولا ريب تسليحه واستعداده فيشعل بعد ذلك جذوة الحرب ويشير سعيها ، والناس يعلمون أن النسبة الرهيبة كانت نتاج تسليح عام مستمر ، لبث يجرى مطردا على نظام دقيق ممهد عجيب ومهارة عظيمة ودأب كبير طويل مدة اثنى عشر حولا أو يزيد ، وإذن لا يمكن أن نرتقب سلاما عاما إلا باضراب عن التسليح يكون أشد من ذلك التسليح مهارة ودأبا ودقة ونظاما ، فإلى إذن الوسائل التى تمكننا من نشر السلام العام فى ربوع الأرض ، وإغلاق سجل الحرب إلى الأبد ؟؟ .

وقبل أن نجيب على هذا السؤال يجب أن نشرح للقراء العوامل النفسية الغريبة التى تثير الحرب عادة ، والعوامل النفسية التى تجنح بالناس إلى السلم والرغبة فى تسويدها . يقول الأستاذ ويلز وهو من أكبر كتاب الإنكليز وأعمقهم تفكيراً وأصفاهم ذهناً ومن أكبر الاشتراكيين العصريين :

« إن فى كل إنسان منا روحا من الاحتجاج والاستنكار للحرب ، وأكثرنا على وجه من الإجمال يريد السلم ، ويطلب إبطال الحروب ، ولكن ليس فينا فرد واحد قد خلا من

نزعة حربية مخفية في تضاعيف نفسه محتجبة في أعماق وجدانه : نزعة حربية غريبة تثب لصرخات الحرب وتجيئ لأصوات القنبلة وزجرة المدفع ، إذ لا ريب في أن كلامنا يحس بأثر من الإعجاب والإجلال إذ يقرأ في الصحف نبأ موقعة حربية أو إغراق طراد أو نسف باخرة لأن هناك مظهرا جميلا من العظمة ، ومعنى حلوا من الجلال في كثير من خشونات الحرب ورهبة أحداثها ووقائعها ، يثير في قلب كل منا نوعا من الحمية وضربا من السمو والقوة ، نعم إن في أنشاء جوانحنا هذه النزعة التخريبية المدمرة ، فلا داعي إلى إنكارها ، لأن أول وسيلة يمكن أن نستعين بها على نشر السلام هو أن نعمل على ضبط هذه النزعة وقهرها ، ولا سبيل إلى ضبطها إلا بتذكير الإنسانية جمعاء بالوجه الآخر المخوف من حقائق الحرب وأمورها ، على أن الذين يسفّهون الحرب ويكرهونها ويرمونها بكل نكراء من القول هم الذين يريدون أن ينهوا عصرها ويختتموا عهدها ، ولكن هناك كثير من كبرت عندهم هذه النزعة واشتد أثرها ، وهم وحدهم الذين يقفون في طريقنا إلى السلام العام . على أننا يجب أن نتذكر أن القوى التي تعمل لصالح أمر من الأمور هي دائما أشد تماسكا وارتباطا وتأثيرا من القوى التي تعمل على مقاومته ، وهذا ينطبق على حالنا نحن رسل السلام ومقاومتنا لرسل الحرب ودعاتها وأبواقها ، فنحن القائمين في وجه الحرب الراغبين في قتل روحها لم نقم في وجهها إلا لعدة أسباب وأدلة وبراهين ، ذلك أن هناك فروعا من الحياة غير الحرب تؤثر ، ووجوها من العيش نحب ، وهذه الحرب تقتل رغائبنا وتعيق آمالنا وأمانينا ، منا من يريد أن يتوفر على الفن - الشعر والموسيقى والتصوير والنقش - والفلسفة والكتابة والتأليف ، ومنا من يريد أن يخلد إلى حرفته في المصنع وصناعته في المعمل ، ومنا من يريد أن ينزوي إلى التفكير العلمي والاختراع والابتداع ، ومنا من يريد الفرح والبهجة ، ولذلك قد اجتمعنا كلنا على أن نفكر في غير الحرب ونخلد إلى مطالبنا ووجوه عيشنا ، غافلين عن الحرب منشغلين ، وبدنا نحن كذلك إذ هناك فئة قد أثرت أن تخلص إلى العمل للحرب ، كما أثر بعضنا الإخلاق إلى الفنون ، ومن ذلك أصبح نشوب الحرب من جراء إهمالنا محتملا ممكنا ، لأن هذه الفئة لا تفكر تعد الأهبة وتمهد السبل وتضع الخطط لإضرار نيران الحروب ، كما لا يفتأ أرباب الفنون منا يتقنون فنونهم وينفجحون في أساليبها ويهذبون وجوهها ، وإذا بنا على غرة قد تنهبنا إلى أن الحرب قد قامت على قدم وساق ، وعلى هذا لن تنتهي الحروب ما لم نفكر نحن طلاب السلام في تأسيس نظام تام نستطيع به مراقبة مثبتي الحروب وخالقيها ، وما لم نكن منهم بمثابة الشرطة من المجرمين واللصوص والجانين .

ولقد استجابت الشعوب إلى هذه العرخة المدوية التي كان الأستاذ ويلز ينشرها في أوروبا قبل الحرب العالمية وفي خلالها ، فتضافرت الدول على إنشاء هيئة تكون حائلا بين نشوب الحرب ، ونجحت هذه الدول في وضع ميثاق هيئة الأمم المتحدة في يناير سنة ١٩٤٢ وقد جاء في الميثاق في شأن العضوية في هيئة الأمم المتحدة حكم المادة الرابعة ونصه كما يلي :

« العضوية في الأمم المتحدة مباحة لجميع الدول الأخرى المحبة للسلام والتي تتحمل الالتزامات التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة ، والتي ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات رغبة فيه . » وسارت الدول خطوة أخرى فأنشأت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ يناير سنة ١٩٤٥ من خمسين دولة وهي إحدى فروع هيئة الأمم المتحدة ووضعت لها وظائف عدة أهمها حفظ السلم والأمن الدولي ، واختصاص الجمعية في هذا الشأن اختصاص شامل جامع وقد نص الميثاق عليه في مواد متعددة ، فالجمعية العامة :

(أ) أن تناقش أية مسألة أو أمر يدخل في نطاق الميثاق وفقا للمادة العاشرة ، ويندرج في هذا دون شك كل المسائل المتصلة بالسلم والأمن الدولي .

(ب) ولها أن توصي باتخاذ التدابير لتسوية أى موقف أيا كان مذهبوه تسوية سلمية إذا رأت أن هذا الموقف يضر بالفاهية العامة أو يعكر صفو العلاقات الودية بين الأمم (مادة ١٤ من الميثاق) .

(ج) للجمعية العامة أن تنظر في المبادئ العامة في شأن الأمن الدولي ، ويدخل في ذلك المبادئ المتعلقة بنزع السلاح وتنظيم التسليح وفقا للفقرة الأولى من المادة ١١ من الميثاق .

(د) للجمعية أن تناقش بناء على طلب أى عضو أو دولة طرف في النزاع أو بناء على طلب مجلس الأمن أية مسألة تكون لها صلة بحفظ السلم والأمن الدولي وفقا للفقرة الثانية من المادة ١١ من الميثاق .

(هـ) للجمعية أن تسترعى نظر مجلس الأمن إلى الأحوال التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدولي للخطر وفقا للفقرة الثالثة للمادة ١١ من الميثاق .

(و) للجمعية - إذا نهى أى عضو أو دولة طرف في نزاع - أن تنظر في أى نزاع أو موقف يكون من شأنه إذا استمر أن يعرض للخطر حفظ السلم أو الأمن الدولي وفقا

للمادة ٣٥ من الميثاق ، ولم تسكتف الدول المحبة للسلام بالجمعية العامة للأمم المتحدة التي تعقد في شهر سبتمبر من كل عام دورتها ، بل أنشأت بجوارها مجلس الأمن وهو هيئة من هيئات التمثيل الجماعي عهدت إليه دول الأمم المتحدة بالتبعات الرئيسية في حفظ السلم والأمن الدولي ، وتعهدت الدول فيما بينها بقبول قراراتها وتنفيذها في حسن نية ، على اعتبار أنها قرارات صادرة من هيئة تقوم بتمثيل أعضاء الأمم المتحدة تمثيلا جماعيا وذلك وفقا لأحكام المادتين ٢٤ و ٢٥ من الميثاق .

ويتألف مجلس الأمن من فريقين من الأعضاء : فريق الأعضاء المعينين ، وفريق الأعضاء المنتخبين . فأما الفريق الأول فيتكون من خمسة أعضاء هم : جمهورية الصين ، وفرنسا ، وروسيا ، وانجلترا ، وأمريكا . وتشغل هذه الدول مراكزها على سبيل الدوام نظرا لعظمة طاقتها الصناعية ومقدار مواردها من المواد الأولية وعدد سكانها ، وهي العوامل التي دلت الحرب العالمية الثانية على أن لها أكبر شأن في تمكينها من صد طغيان الدول المعتدية .

أما الفريق الثاني من الأعضاء فهو فريق الدول المنتخبة وهو يتألف من ست دول تشغل مراكزها لمدة عامين في مجلس الأمن ، ولا يجوز إعادة انتخاب العضو الذي انتهت مدته على الفور ، بل يجب أن يظل خارج المجلس سنتين على الأقل ، ويجب أن يراعى في انتخاب أعضاء هذا الفريق مساهمة أعضاء الأمم المتحدة في حفظ السلم والأمن الدولي وفي مقاصد الهيئة الأخرى ، كما يراعى أيضا التوزيع الجغرافي العادل . ويجرى التقليد في شأن هذا التوزيع الجغرافي على أن تمثل دول أمريكا الوسطى والجنوبية في مجلس الأمن بدولتين ، وعلى أن تمثل دول أوروبا الغربية بدولة واحدة ، ودول أوروبا الشرقية بدولة واحدة ، ودول الشرق الأوسط بدولة واحدة ، ودول الكومنولث بدولة واحدة ، وتقوم الجمعية العامة بانتخاب الأعضاء المؤقتين وفقا للميثاق . والقرارات التي يصدرها مجلس الأمن تنسب إلى جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة سواء كانت ممثلة في المجلس أو لم تكن ممثلة فيه . وللمجلس الأمن أن يقوم بحل المنازعات بالطرق السلمية وفقا للمادة ٣٦ فقرة أولى من الميثاق بين الدول المتنازعة ، وإلا فأن له وظيفة أخرى عند التهديد بوقوع عدوان .

فقد خول نص المادة ٣٩ من الميثاق مجلس الأمن سلطة واسعة ، إذ ترك للمجلس

حرية كبيرة في تقدير ما إذا وقع تهديد للسلم أو إخلال به في أرجاء المعمورة أو كان ما وقع يعد عملاً من أعمال العدوان ، فإذا ما قرر المجلس ذلك أصبحت له الحرية المطلقة في أن يختار التدابير الملائم ، فاما أن يقدم توصيات إلى أطراف النزاع ، وإما أن يعتمد على تطبيق الجزاءات ، وإما أن يأخذ الأمرين معا . والتدابير التي قد يتخذها مجلس الأمن لمواجهة حالات التهديد بالسلم أو وقوع العدوان إما أن تكون من التدابير الوقائية وإما أن تكون تطبيق الجزاءات غير العسكرية ، وإما أن تكون تطبيق الجزاءات العسكرية .

(١) التدابير الوقائية : هي التي ذكرتها (المادة ٤٠) من الميثاق ونصها :

منعاً لتفاقم الموقف ، لمجلس الأمن قبل أن يقدم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في (المادة ٣٩) أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً أو مستحسنًا من تدابير مؤقتة .

(ب) الجزاءات غير العسكرية : فقد ورد ذكرها في (المادة ٤١) من الميثاق .

وهي تقضى بأن لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته ، ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والبرقية واللاسلكية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية وقفا جزئياً أو كلياً وقطع العلاقات الدبلوماسية .

(ج) التدابير العسكرية : نصت عليها (المادة ٤٢) من الميثاق .

« إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في (المادة ٤١) لا تنفي بالغرض أو أنه ثبت أنها لم تف به ، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ الأمن والسلم الدولي أو إعادته إلى نصابه » .

وقد نصت المادة ٤٣ من الميثاق على أنه في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن - بناء على طلبه وطبقاً لاتفاقات خاصة - ما يلزم من القوات المسلحة والتسهيلات اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي . وقد عهدت (المادة ١٠٦) من الميثاق إلى الدول الخمس العظمى القيام بالنيابة عن الهيئة بالأعمال المشتركة التي قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولي .

ومع ذلك كله فالسلام لا يزال معلقاً بميزان القدر ، على حين أن دولاً لا تزال مقيمة في الأرض تحب أن تبسط وجودها ونفوذها على دول ضعيفة لها فيها مطمع استراتيجي أو سياسي أو اقتصادي .

والسلام كلمة عذبة سائغة جارية على كل لسان ، ولكنها لا تزال كلمة جوفاء ، وما أصدق قول القائل :

قالوا السلام فبتنا واثقين به أين السلام وأركان السلام دم
مزلق ومهاو ليس يدركها سير ولم ترس في أغوارها قدم
شر الليالي ليال بات ساهرها يرعى المني والمني في مثلها حلم

لكن تبقى نظرية أخرى وهي ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، أو تحكم القوى في أخيه الضعيف : يستئذله ويستعبده ويصيره في يده آلة صماء ، يملئ عليه ما يشاء ويديره بأمراته كما يشاء طبقاً لقاعدة تنازع البقاء . تلك النظرية من أجلها قامت شريرة الحرب ليتهاضم الضعيف من القوى حتى يأمن على وطنه وأبناء جلدته ومقدراته في بلاده التي هي مستودع آماله وأحفاده من بعده .

من أجل ذلك قامت شريرة الحرب قِياماً موقوتاً بما يحيط به من ظروف ومقدمات ، وما تملأه الأحداث والعبر وما تجلبه تلك الحرب من المصائب والويلات .

وحارب إذا أوتيت يوماً ظلامه شبا الحرب خير من قبول المظالم
ورحم الله شوق إذ يقول :

وقى الأرض شر مقاديره لطيف السماء ورحمائها
ونجى الكتانة من فتنة تهدت النيل نيرانها
وعند الذي قهر القيصرين مصير الأمور وأحيائها

عباس طه

المحامي

بيان من علماء الازهر الشريف

إلى الشعوب العربية والعالم الاسلامى

فى شأن الأحداث الجارية فى العراق

إن للشعب العراقى تاريخاً مجيداً سجل له أعظم الآثار فى خدمة علوم اللغة والدين ، ونشر الحضارة والعمران ، ولا سيما أيام كانت بغداد مركز النهضة الأدبية والثقافة العربية وعنوان العزة القومية وحضارة الإسلام ، تتجمع حولها شعوب العرب والمسلمين من جميع الأقطار .

والشعب العراقى جزء متمم للأمة العربية ، وعنصر من عناصر كيانها القومى ، وحدث بينه وبين سائر الشعوب العربية روابط الدين واللغة والثقافة والتاريخ والجوار فى بقعة من أرض الله تمتد من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، فجعلت من هذه الشعوب جميعها أمة واحدة ، متماسكة متضامنة ، تشعر بشعور واحد ، وترمى إلى غرض واحد ، وتجمعها آمال واحدة ، وآلام واحدة ، إذا شكوا عضو منها تداعى له سائر الأعضاء .

ولقد تواترت أنباء عن وقوع أحداث فواجع للشعب العراقى الشقيق ، على أثر قيامه بمظاهرات يستنكر فيها العدوان الغادر على شعب مصر الآمن ، ومهما تكن هذه الأحداث مبالغاً فى تصويرها فإن القليل منها يؤلمنا معشر المصريين أشد الألم ، ويحز فى نفوسنا الأسى المرير من أن يقتل المسلم أخاه المسلم ، كما يؤلمنا ويؤسفنا أن تاجأ حكومة عربية إلى الأعداء قدستعابهم على شعب شقيق كشعب سوريا العظيم .

إن الله الذى ربط بيننا برباط الأخوة فى الدين ، هو الذى جعلنا أمة واحدة تعبد ربا واحداً كما قال تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » وهو الذى جعل سبيل المسلمين سبيلاً واحداً ، من حاد عنها فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » ، وإن الله الذى أتم علينا نعمته ، ورضى لنا الإسلام ديناً ، أراد منا أن نكون إخواناً متحابين ، وأن يكون بعضنا أولياء بعض ، نتكافل فى الشدة والرخاء ، ونتضامن فى السراء والضراء ، ونتعاون على البر والتقوى ،

ولا نتعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

ولقد نهانا الله عز شأنه أن نتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ، ونبه على أن من يوالى الأعداء فقد حاد الله ورسوله وخرج على تعاليم الإسلام : « يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

كما حذرنا جل شأنه مكر الأعداء وخداعهم ، وبصرنا بأنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا يراعون لعهدهم حرمة ، ولا يقيمون لمواثيقهم وزنا ، إنما عهدهم وميثاقهم الاستغلال والاستعمار ، فإذا لم يكن استغلال واستعمار فلا عهد ولا ميثاق ، هكذا علمتنا التجارب وشهدت وقائع التاريخ .

وما حلف بغداد إلا حلف للضرار أسسه الاستعمار على الخديعة والغش وألبسه ثوب التعاون والإصلاح ، لإيذاء المسلمين وتضليلهم وتفريق وحدتهم : كمسجد الضرار الذى أقامه أعداء الدين باسم الإسلام ، وجعلوه مركزا للتآمر عليه والسيكدة له ، فأرشد الله المسلمين إلى خطره ، وحذره منه ، وصوره القرآن أصدق تصوير فى قوله : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ، أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ، لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم » .

يا أبناء العراق الأبحاد :

إن لكم إخوانا لاجئين من أهالى فلسطين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وشردوا فى بقاع الأرض ومناهات الوديان ، بلا مأوى ولا مال ولا مرتزق ، فلا تنسوهم ولا تصالحوا اليسد التى أخرجتهم ولا اليد التى ظاهرت على إخراجهم بالإثم والعدوان .

كما أن لكم إخوانا بالجزائر شنت عليهم فرنسا حربا عدوانية ، ظالمة مدمرة ، خربت ديارهم ويقت أطفالهم من غير ذنب جنوه إلا أنهم يطالبون بحق الحرية في بلادهم ، فلا تنسوهم ولا تصالحوا اليد المملوثة بدمائهم ، وإن هذا هو أقل واجب عليكم نحو إخوانكم في العروبة والدين .

إن أعداءكم الذين أخرجوا إخوانكم من ديارهم ، وظاهروا على إخراجهم ، هم الذين يوقدون نار الفتنة بينكم وبين شعب سوريا العربي الشقيق ، وهم الذين يسعون بافساد ذات البين بين الأخوين ، فاحذروا فتنة الاستعماريين تجار الحروب الذين لجأوا إلى سلاح الدس والوقعة ، بعد أن فشلوا في استعمال القوة والحرب السافرة ، وبعد أن ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا .

إننا - معشر العرب - تجمع بيننا أواصر قوية توحد جهودنا ، وتحدد أهدافنا ، وترسم خطتنا السياسية المركزة في مبدأ واحد يعبر عنه بكلمة واحدة هي « الحياد المساح » . نحن نحب السلم بحمادنا ، وندفع العدوان بسلاحنا ، أساس ديننا أن نسالم من سالمنا ، فإذا بغى علينا باغ كان القتال أحب شيء إلى نفوسنا .
يا أبناء العراق :

إن يكن قد أصابكم في محنتكم ضر أو نالكم سوء فلا تحزنوا لما أصابكم في سبيل الله ، واصبروا إن الله يحب الصابرين ، ومستجري المقادير اغايتها ، وسينكشف الغطاء عن المخدوعين المغرورين بيهود الإنجليز ووعودهم ، وسيريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وإن غدا لناظره قريب .

وإننا - جماعة العلماء بمصر - نعلن بالغ استنكارنا لهذه الأحداث الأليمة الجارية في أرض العراق ، ولما أصاب إخواننا العلماء والزعماء وسائر أبنائنا الأبرياء من السجن والتشريد وإراقة الدماء ، ونهيب بأولياء الأمور في العراق - باسم الأرحام وبحق الروابط التي تجمع بيننا - أن يعملوا على درء هذه الحنة ومحو آثارها ، جمعا للكلمة ، وتوحيداً للصنف أمام عدونا المشترك الذي سفر كيده وخاب سعيه .

نسأل الله أن يؤلف بيننا ، ويقوى وحدتنا ، وأن ينقذ عن بلادنا الدخلاء ، وينصرنا على الأعداء ، ويؤيد زعماءنا ويوقفهم دائماً للسداد ، في العمل لمجد العروبة وعزة الإسلام ، إنه وحده ولي التوفيق ، والهادي إلى سواء السبيل ما

الندم والتوبة

— ٢ —

إذا أقدم المرء على خطيئة أو ارتكب جريمة ففكر فيها فشعر بالأسى لنفسه لتلك الجريمة ، وبوخز الضمير لما ترتب على هذه الخطيئة من نتائج وآثار ، فذلك الألم النفسى هو الندم أو تأنيب الضمير كما يسميه المحدثون من علماء الأخلاق .

فإن انتقل المذنب خطوة أخرى بأن حمله ذلك التآنيب على إصلاح نفسه والابتعاد عن مثل تلك الخطيئة وما شابهها فى المستقبل فقد أخذت التوبة تدب فى نفسه . فالندم الحقيقى هو أساس التوبة المقبولة .

وإذا صدر الندم بعد تدبر للمذنب ومعرفة بالخطيئة واعتراف بها فإنه حينئذ يكون الخطوة الحقيقية للتوبة المقبولة .

ولعمري إذا لم يعترف الإنسان بذنبه لا يمكن أن يندم ندما صحيحا ، وإذا لم يندم لا يمكن أن يتوب ، وعم يتوب إذا لم يعترف بأنه قد ارتكب إثما . ولعل مغالطة الإيمان بنفسه فى أنه قد ارتكب إثما وتلكؤه فى الاعتراف بخطيئته مما يفسر لنا أن توبة كثير من الناس لا تبلغ غايتها ولا تؤتى ثمرتها . وفى الحق إن الاعتراف بغير توبة أفضل من التوبة بغير اعتراف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الندم توبة » (١) .

وفى قصة آدم ونحروجه من الجنة بذنبه « . . . يا آدم ، أنين المذنبين أحب إلينا من تسبيح المذلين » [٢] .

وروى عن بعض السلف أنه قال : « ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدلل على ربه » ، وبالك نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه » [٣] .

[١] أخرجه ابن ماجه فى الزهد ، والطبرانى فى معجمه الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية .

[٢] أدب الدنيا والدين ص ٨١

[٣] مدارج السالكين لابن القيم ص ١٦٧ . وقريب منه فى تفسير الآلوسى عند قوله تعالى :

« تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم » .

ويعزى للخليفة المأمون أنه قال : « الاعتراف نصف التوبة » [١] .

وفلاسفة الغرب يقولون في أمثالهم : « الاعتراف نصف الموقعة » يعنون الموقعة النفسية التي تنشب بين المرء ونفسه في محاولة إصلاحها .

علامة الندم :

وكلما طال الحسرة والحزن وكثر التفكير في الذنب والخوف من الله تعالى كان ذلك علامة الندم الصحيح ، وكلما كان تألمه أشد كان تكفير الذنوب به أرجى ، فإذا تمكنت مرارة الذنوب في القلب بدل حلاوتها فاستبدل بالميل إلى الذنوب كراهية وبالرغبة فيها رغبة عنها ، فقد وجد الندم الصحيح الموصل للتوبة المقبولة .

ولا يجوز أن يكون ترك المعصية من غير ندم عليها سبيلا موصلا للتوبة « فإن الماجن إذا مل مجونه واستروح الى بعض المباحات غير نادم على فارط الزلات وكان على عزم معاودتها فهذا يسمى تاركا للزلة ولا يسمى تائبا عنها » [٢] .

المبادرة إلى الندم واجبة :

والنتدم على ما فرط والتحسر عليه أمر واجب دعاء لىه العقل وأمر به الشرع ؛ فالعاقل إذا فرط فى أمر أو فعل ما لا ينبغى - تحت تأثير حالة ما - فسرعان ما يبادر بتدارك ما فات وتلافى ما فرط ، والله تعالى يقول : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

أما أولئك الذين لا يندمون أو يسوفون ويصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لا يشعرون ، فانهم قوم ألغوا عقولهم وأبوا أن يأخذوا نصيبهم من رحمة الله وغفرانه .

على أن بعض الناس قد يقل الإحساس عندهم أو يتبدل شعورهم بالألم والندم من كثرة ما اقترفوا من ذنوب واجتروا من آثام ، مثل أولئك الذين اعتادوا الإجماع ففهم لا يبالون بما يقتربون ولا يكثرئون بما يجتريون .

[١] أدب الدنيا والدين ص ٨١ .

[٢] الارشاد للإمام الجوينى .

وهؤلاء قلبا يندمون ، وبالتالي قلبا يفسكرون في التوبة . وأمثال أولئك هم الذين عناهم الشاعر الحكيم حين قال :

أبني لمن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر (١)

أثر الندم في تقويم السلوك :

وللندم الصحيح أثر عظيم في تغيير سلوك الإنسان من سيئ إلى حسن ، ذلك أنه يعظم الخطيئة لدى فاعلها ويعرض ما ترتب عليها من مغبات وآثام ، ويصور ما سيترب عليها من أسوأ الآثار ، وكثيرا ما يرتبك حاله وتضطرب أعصابه وينقبض صدره ، فلا يرى ملطفًا لحالته إلا أن يتوب ؛ فالندم الصحيح مانع من مقارفة الذنب والإقدام عليه مرة أخرى (٢) وربما حمله ندمه على ذنبه هذا على ترك ذنب آخر يفعله .

وإذا سلك هذا المسلك المرضى فقد قوى الأمل في إصلاحه ، وغدا بغيضا لديه اقراراف الذنوب والانحراف عن الجادة والصرط المستقيم ، وبذلك يصل إلى حيث يريد أن يرى نفسه . قال تعالى : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » .

الندم قد لا يجدى إجداء عمليا :

على أن الندم أحيانا قد لا يجدى إجداء عمليا من حيث الأمر الذي وقع والذي من أجله يندم النادم ؛ فإذا يجدى ندم القاتل بالنسبة إلى المقتول ؟ أيستطيع أن يعيد إليه حياته ؟ كلا ليس هناك سبيل إلى تدارك الماضي وإصلاحه . ولكن هذا لا يمنع الجاني من أن يندم ، وأن يكون ندمه عميقا يتسكفا مع فداحة الخطيئة التي أخطأها .

نعم لا يستطيع القاتل أن يعيد إلى القتيل حياته ولا أن يعوضه من تلك الحياة شيئا كائنا ما كان ، فهذا سبيل قد أوصد بابه في وجهه تمام الإيصاد ؛ فقد سبق السيف العزل .

(١) أدب الدنيا والدين ص ٨٦ .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٤ .

ولكن هذه الاستحالة نفسها قد تكون من أكبر الدواعي لشدة الألم وعمق الندم، فإذا انبثق في نفسه نور الهدى واشتعلت نار العزيمة - عزيمة أن يغير من تلك النفس الشريرة - وأن يعترف بحق الحياة لغيره ، وألا يسلك في المستقبل مسلكا يكون من شأنه أن يوقعه ثانية فيما وقع فيه أولا، فهو تائب من غير شك على شرط ألا يعود، أو بالأحرى على شرط ألا يكون في نيته أن يعود ، وإلا كان هازئا مستهزئا . قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفور رحيما » .

ويصون توبته ويتـرك غير ذلك لا يصونه
واحق ما صان الفتى ورعى أمانته ودينه

قد يحدث الندم حتى مع عدم تحقق الجريمة فعلا :

ولقد يحدث الندم الموصل للتوبة حتى مع عدم تحقق الجريمة فعلا ؛ هب شخصا كان قد اعتزم أن يفعل ما يضر بالعامه ويغضب الله تعالى: كأن يقتل أو يسرق أو يشهد شهادة زور ليلقي بها متهما بريئا في أعماق السجون ، وهبه مرض يوم اعتزم رغبته الخاطئة الآثمة فلم يستطع تنفيذها ، ثم فسكر في الأمر مليا فأدرك خطورة الموقف وفضاعة الجريمة التي كان سينزلها بانسان مظلوم غافل، ومقدار النعمة التي كان سيستنزها من الله بعمله هذا، فحمد الله على ذلك المرض الذي عاقه من القيام بذلك العمل الذميمة ، وشكر ذلك الظرف الذي جعل تنفيذ جريمته غير ممكن ، والذي نجاه من هوة سحيقة كان على وشك أن يهوى إليها .

إذا اتعظ بكل ذلك فأقام حول أفكاره سورا منيعا يمنع سيئ الرغبات أن تتسرب إليها وألجم شهواته وكبح جماحها وأصبح لا يرحب بفكرة لا يقرها ضميره ولا يرضاها دينه، إذا فعل ذلك فقد تاب ذلك الشخص وأتاب (١) ما

« يتبع »

أبو زبير سلمي

الأستاذ بكلية أصول الدين

تصحيح خطأ مشهور :

الرسول وانشاد الشعر

كثيرا ما يتناقل المؤلفون آراء واهنة ، يخلع عليها القدم والتكرار رسوخا تتأصل به فلا تميد ، والأديب الناشئ من الشدة يطالعها في فخر حياته الأدبية مترددا بين التصديق والتكذيب لظهور ضعفها المتهافت ، ثم لا يزال يراها تنتقل بعد في شتى الكتب والصفحات ، فيميل بها إلى التسليم حين تصبح بتكرارها المتكاثر حكما مبرما لا يقبل النقض والتفنيد ، وإذ ذاك تتلمس العلل المريضة لتأييدها وتدعيمها ، ولو نظر إليها نظرة فاحصة لأمكن استشفاف زيفها الشائن واختلاقتها المريب .

لقد قرأت في مطلع حياتي الأدبية أنباء تجزم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم وزن الشعر حين ينشده ، فإذا أنشد مثلا قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
أنشده هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار
وإذا أنشد قول العباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
أنشده هكذا :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

وكنت حين أقرأ ذلك أقول في نفسي : يا سبحان الله ! أليكون أفصح خلق الله لسانا وأنصعهم بيانا وأكلهم حديثا غير قادر على الإلقاء بيت من الشعر ! ! لأن الله عز وجل يقول « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ! ! وهل نفى التعليم ينصب على الإلقاء كما ينصب على التأليف ؟ ؟ فيكون إنشاد الشعر الصحيح سبيلا إلى معرفة نظمه وتكوينه ! ! وهل

كان كل راو للشعر لم بصحة أوزانه وقوافيه شاعرا ينظم القصائد ويصوغ الأبيات !!؟
 أسئلة تتردد على لساني وتزاحم في خاطري فأميل إلى اتهام الروايات السابقة متعللا بما
 يقع فيه الكثيرون من تساهل في النقل ، وسرد للخبر دون تمحيص ، وهأنذا أجد الأعوام
 تمر ، وما تزال الكتب الحديثة تنقل عن الكتب القديمة هراءها الزائف مما لا يركن
 إليه عقل ، أو يتقبله صواب ، والأنكى من ذلك أن يتخذ هذا الحصر الشائن دليلا على
 نبوة رسول معجزته الفصاحة والبيان ، وحجته المنطق واللسان !! هذا الإجماع السكاثر
 من القدامى والمحدثين على قبول ذلك ، جعلني أناقش المسألة من جديد ، فعسى أن ينتهى
 بنا النقاش إلى رأى مريح !!

وواضح أننا نتكلم عن الإنشاد لا الإنشاء ، فنحن معترفون أن الرسول لم ينظم بلينا
 واحدا مصداقا لقول الله ، وموافقون تمام الموافقة على أن ما ورد من مثل قوله :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله :

هل أنت إلا إصبع دमित وفي سبيل الله ما لقيت

فانما جرى ذلك على لسانه عفوا بادئا من غير ارتصاد لنظمه ، أو احتشاد لصوغه ،
 ونظيره في ذلك ما جاء بالقرآن الكريم من بعض الآيات التي يمكن أن تنسب إلى بحر
 من البحور ، دون أن تساق مساق الشعر بحال ، فهي في موقعها من الكتاب نثر صريح
 لا يأتيه الشعر من قريب أو بعيد ، ذلك ما نحرص على تأكيده كيلا يلتبس الأمر بين
 الإنشاء والإنشاد أو بين التأليف والإلقاء في مجال التمهيص .

نحن نعلم أن الرسول قد انصرف عن النظم كيلا يظن ظان أن كتاب الله شعر يتدفق
 على لسان شاعر ، فشاء الله أن يكون رسوله هاديا بخطبه ، وداعية إلى الله بحديثه ، فهو
 لا ينظم ولا ينمق قافية ، إذ أن صاحب الدعوة في حاجة إلى توضيح مذهبه ، وإرشاد
 قومه ، ومناقشة خصومه ، ببيان واضح ، لا يحنج به الشعر عن الدقة والتحديد إلى المبالغة
 والإغراق ، ولا يميل به عن الواقع المشاهد إلى الخيال الشارد البعيد ، فإذا كان في كلامه
 تأثير أتخاذ فهو تأثير الحسق الأبلج والمنطق السديد ، واللفظ البليغ ، لا تأثير القافية
 الخلابة ، والبحر الصادح ، ولا نغنى بذلك أن نثر محمد صلى الله عليه وسلم بعيد عن التأثير

الوجداني والإيقاع الموسيقي ، بل نقول إن الشعر ميدان ذلك وموضوعه ، فصاحبه غير مطالب بدقة أمينة أو تحديد أكيد ، تلك مشيئة الله في بعد مجد صلى الله عليه وسلم عن نغم القصائد ورنين الأوزان ، ولكن ما مشيئته في أن يكون رسوله غير قادر على إنشاد بيت من الشعر قاله شاعر سواه ؟ ! . لنسمع ما يقوله الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في تعاليل ذلك نقلا عن تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ٣٢٦ :

« والذي عندنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده إلا لأنه منع من إنشائه ، فلو استقام له وزن بيت واحد لغلبت عليه فطرته القوية ، فمر في الإنشاد وخرج بذلك لا محالة إلى القول والاتساع ، وإلى أن يكون شاعرا ، ولو كان شاعرا لذهب مذاهب العرب التي تبعث عليها طبيعة أرضهم . . . ثم لا يكون من جملته إلا أن ينصرف عن الدعوة وعما هو أزركى بالنبوة ، وأشبه بفضائل القرآن . . . لأنه تعالى يعلم من غيب المصلحة لعباده أنه صلى الله عليه وسلم لو أقام وزن بيت لأمال به عمود الدين ، ثم لتصدع له الأساس الاجتماعي العظيم الذي جاء به القرآن » .

وكلام الأستاذ الرافعي - رحمه الله - هو لباب ما يقوله رفقاؤه ممن يذهبون إلى عدم استقامة الإنشاد على لسان الرسول ، وقد حرصنا أن ننقل عنه دون غيره ، لأنه أفصح بيانا وأحدث زمنا من سواه . ونحن نعجب كل العجب لقوله إن إلقاء بيت صحيح أدعى إلى نظم مثله ، لأننا نرى من كبار أساتذة الأدب في أرقى كلياته ومعااهده ، من يندشون آلاف الأبيات الصحيحة - فضلا عن حفظها - ثم لا يستطيعون أن ينظموا بيتا واحدا من القريض ، فكيف يكون إنشاد البيت الصحيح مدعاة النظم الصحيح ، وكيف يقول السكاتب البليغ إن الرسول لو أقام وزن بيت لأمال به عمود الدين ، إذ ينصرف إلى الشعر تاركا ماعده ، وهذا عمر بن الخطاب - بله رسول الله - قد أكثر من رواية الشعر ونقده والحكم على قائله ، فما شغله ذلك عن إقامة دولة إسلامية ، ذات أعجاد باهرة وفتوح عظيمة ؟ ! ألا تعجب لرسول الله أن تحضر مجلسه وفود العرب من شتى القبائل ، ونازح الأصقاع ، فيحدثها أفصح حديث وأشهاد ، ثم يستشهد ببيت مشهور لطرفة ، فيخرج على لسانه مختل الأجزاء ، مضطرب الألفاظ ، وهل سيصدق هؤلاء - وفيهم أعداؤه - أنه يكسر البيت كيلا يقدر على نظم مثله فيصير شاعرا ! وهم يرون خطباءهم في الجاهلية والإسلام يرمون بالخطب الطوال ، ويستشهدون بأبيات تؤكد معانيهم وأغراضهم ، فلا يلحقهم هذا الاستشهاد الصحيح بطائفة الشعراء !

على أن كتب السيرة تجمع على أن رسول الله قد أنشد أبياتا صحيحة متوالية من الرجز لعبد الله بن رواحة يوم الخندق !! فماذا يصنع المنكرون في هذا الإجماع ؟ لنسمع الأستاذ الرافعي يقول في كتابه السالف ص ٣٢٤ :

« إن الرجز في أصله ليس بشعر، وإنما هو وزن كأوزان السجع، وهو يتفق للصبيان والضعفاء من العرب، يترجزون به في أعمالهم وفي لعبهم وفي سوقهم ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء » ونحن نعلم أن جمهور الأدباء قد جعلوا الرجز شعرا، فإذا مال الأستاذ الرافعي إلى عدّه من غير الشعر، فلنأخذ من قوله حجة عليه، ولنقل له : إن الرسول قد أنشد رجز ابن رواحة إنشادا صحيحا أكثر من مرة، فلماذا لم يكن إنشاد الرجز سبيلا إلى نظمه حتى يتخوف من إنشاد الشعر الصحيح ؟! ولماذا لم يقل أعداؤه من كفار العرب إنه صار رجازا لأنه أنشد أبياتا صحيحة من الرجز دون كسر واعوجاج ؟ لقد روى البخاري ومسلم أبيات ابن رواحة ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية ٤ : ٩٦ فهل نجد بعد ذلك مبررا لنقيض ذلك في الأبيات من الشعر دون أن نعرف لذلك مقنعا يرضى الأفهام ؟ !

ولقد وقع هؤلاء المنكرون في مأزق حرج، حين وجدوا الرسول يقول : « أصدق كلمة قالها ليبد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » فهبوا ينتحلون المبررات ويزعمون أن ذلك ليس بشعر !! لماذا ؟ لأن مجدا صلى الله عليه وسلم لم يكمل البيت ! وإذن فقد تحول الشطر المظلوم من الشعر إلى التردد دون إبطاء وإمهال ! مع أن من يسمعه منفصلا عن عجزه يعلم أنه كلام تام مفيد من بيت مشهور !! فهو شعر لا محالة ! ونحن نستشهد في مقالاتنا وخطبنا بأشطار من الأبيات تجرى مجرى الأمثال، بل نستشهد أحيانا ببعض الشطر لا كله، فلا يمنع ذلك أحدا من أن يقول إنه استشهد بالشعر !! وهبني قلت في بعض الحديث عن الفضائل (وإنما الأهم الأخلاق) أفلا يطير ذهن القارئ إلى شوقي مدركا أني استأنست بشعره !! إنما يكون الشطر الواحد غير شعر إذا أنشأه المتكلم إنشاء في حديثه عن غير قصد، بجرى على لسانه موزونا كما يتأتى الوزن في بعض آيات القرآن !! هنا نقول بحق : هذا ليس بشعر ! لا أن نقول ذلك عن شطر طائر الصيت تتناقله الألسن عن شاعر مشهور كليد ! .

ومن العجيب أن كتب السيرة قد أجمعت على حب الرسول للشعر النبيل وتعظيمه إياه، فقد قال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة ! ولعمري لو عكس الرسول السياق فقال : إن من البيان لحكمة وإن من الشعر لسحرا،

لغلب على هؤلاء المنكرين تعسفهم ، وقالوا إن الشعر سحر ، والسحر حرام ، فلا ينشده الرسول ، ولكن الحمد لله ، فقد جعل محمد صلى الله عليه وسلم منه حكمة بالغة تقابل بالإذعان ، ومن ذا ينكر أنه صلى الله عليه وسلم نصب لحسان بن ثابت منبرا بالمدينة يترنم عليه بتمجيد الدعوة الإسلامية وذم أعدائها من المشركين ، ثم قال له : « قل وروح القدس معك ، فإن شعرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام » !! وكان من شعرائه غير حسان : كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، والنابغة الجعدي ، بل إن كعب بن زهير حين ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، لم يجد غير الشعر قلادة رائعة يتقدم بها إلى الرسول فعفا عنه ورد عليه أمه ، وأهداه حباه ، كما أنشدته قتيبة بنت الحارث أبياتها في النضر ، فتأثر كثيرا بما سمع ، وقال : لو سمعت هذا الشعر قبل مصرعه لعفوت عنه !! أفلا يستقيم على لسانه بعد ذلك كله شعر يتغلغل في أعماقه ، وينساب في جوارحه ، فيرده إلى الرضا بعد الغضب ! والصفح بعد العقاب !! مع أن من كره شيئا عاداه !!

وقد اتخذ بعض الكتاب من انصراف الرسول عن الشعر دليلا على ضعفه وهوانه ، ووقفوا عند قول الله : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » كما يقف غيرهم عند قوله : « لا تقربوا الصلاة » ، فذكروا شيئا ونسوا أشياء ، ثم اندفعوا يشنون حربا طاحنة على هذا الفن الجميل ، ومضى صاحب العمدة يناقشهم القول ، ويفحهم بالحجة إذ يقول : « لو كان في امتناع الرسول عن الشعر غض منه لسكانت أميته غضا من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد » ورحم الله ابن رشيقي فقد أجهد نفسه في الصفحات الأولى من كتابه لإجهاذا يعرفه أصحاب الفضل لذويه ! كما حاول أن يعقب على ما روى أبو هريرة عن رسول الله أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خيرا له من أن يمتلئ شعرا » فقال في تعقيبه : « هذا فمن غلب عليه الشعر وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن » اهـ ، ولو تأخر زمن الكاتب إلى هذا القرن ، لطالعت مخطوطا طبع للزركشي تحت عنوان : (الإجابة ، لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) يعرف أن عائشة قالت : لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ودما خيرا له من أن يمتلئ شعرا هجيت به » فكان أبا هريرة رضي الله عنه لم يحفظ بقية الحديث .

وبعد ، أفترانا في حاجة إلى الدفاع عن فصاحة الرسول حتى نضطر إلى تحجير هذا المقال ، أم أننا نجول في غير مجال ؟

وأسمه — راه!

أى نغار فقد الأزهر وأى خطب جلب الأسمر ؟
 الشاعر المبدع ؛ والكاتب المـ - تع ؛ والأروع الأزهر [١]
 مضت به فاجعة بخاة فاضطرب المحراب والمنسبر
 دين الهدى قد مات حسانه فمن له : ينشر أو ينصر ؟ !

* * *

يا بلبلًا فارق أعواده وراح منه روضه يصفر
 ومطربًا ، فى حر إبداعه تحطم الأوتار والمزهر [٢]
 وطاقة ، من طرف نسقت بين الثرى ، فى قسوة ، تنثر [٣]
 وعبقريا ، عز أمثاله لم يحمه من حتفه عبقر
 آه على تلك الحلى كلها فى حفرة موحشة تقبر !

* * *

أف لهذا العيش ، يلهو بنا والشر فى أفعاله ، مضمر
 يروق منه مظهر خادع وينثى يصدمنا مخبر
 عرفته يختال ؛ فى وجهه بدر ؛ وفى أثوابه قسور !
 فكل شئ حوله باسم وكل عود مسه أخضر
 يستنزل الدهر على حكمه ويقهر الدهر ، ولا يقهر

[١] الأروع من الرجال : الذى يعجبك حسنه . والأزهر : الأبيض المشرق الوجه .

[٢] المزهر : العود .

[٣] الطاقة : ما يسمى فى اللغة الدارجة : البافة أو الصحبة .

ثم ذوى ؛ فالشمس مغبرة والعيش مر ، والصفاء أكرر
آمنت بالله وآياته فى كل ما يخفى وما يظهر !

* * *

يا صاحبي ؛ معذرة ؛ إننى غادرنى خطبك لا أشعر !
ذكرنى فقدك أيامنا تلك اللواتى بالصفاء تنخر
رعى الرفاق الغر روض المنى فيها ؛ وحياتها الصبا الأنضر
يدور فيما بيننا عندها ما يسكر الروح ، وما يسحر
حال حماها ، وانقضى أمرها إلا حديثاً قلماً يذكر

* * *

لا تأس ؛ هذا عالم محدث مبالغ فى التيه ، مستكبر
ضاق ؛ فلم يبق لنا موضع فيه ؛ ولم يبق لنا معشر
أحيائنا فيه كأمواتنا ليس لهم فى الفن ما يؤثر
« سلامة » يحقر آدابنا ولا ينى من شعرنا يسخر [١]
هذا الغليظ الأعجمى الذى بكل عرف فاضل يكفر
أليس فى الموت لنا راحة من موقف فى الهون يستنكر
ينالنا البغى ، ولا دافع ويشتفى منا ولا نثار ؟ !

* * *

نم هائلاً ، إنا على موعد يطول من بعدك أو يقصر
لا يبعدك الله من راحل بالظرف والإحسان يأسمر !

عبد الجواد رمضان

[١] هو : سلامة موسى ، الكاتب المعروف ، احدى اعتاد الطعن فى الأدب العربى ، قديمه وحديثه ، فى مناسبة وفى غير مناسبة .

التاريخ السياسى للدولة العربية

هذا عنوان كتاب جديد للدكتور عبد المنعم ماجد ، مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بجامعة عين شمس . وقد رأينا أن نكتب عن هذا الكتاب لأنه يثير فى نفس قارئه مسائل حيوية تهم البحث والتاريخ على السواء .

والمؤكد أن كتابة التاريخ فن إلى جانب أن التاريخ ذاته علم . وإذا كانت المادة العلمية لازمة لكتابة تاريخ دقيق ، فإن العقل الهاضم والروح المتمثل لازمان لصحة هذه المادة .

والتاريخ السياسى للدولة العربية ليس موضوعا جديدا فى التاريخ بطرقه الدكتور ماجد لأول مرة ، وهو نفسه يعترف بذلك ؛ فقد كتب هذا التاريخ مرات ومرات . كتبه المؤرخون القدماء ، وكتبه المحدثون ، الشرقيون منهم والمستشرقون ؛ فما الذى حمل المؤلف إذن على تأليف هذا الكتاب ؟ إنه يقول : إننا « نقتصنا عرض دقيق لتاريخ الدولة العربية على أساس منهجى صحيح ، فضلا عن أننا - أى المؤلف - وضعنا نصب أعيننا الاعتماد على مصادره الأولى من وثائق وآثار ونقوش ومسكوكات ، وهى مصادر لم تستغل فى البحث التاريخى الإسلامى إلا منذ عهد قريب » . وهذا القول يلخص لنا فى وضوح الدافع لكتابة هذا التاريخ فى سببين : استخدام منهج ، ومادة طريفة .

والواقع أن كل التأليف لا يخرج عن أن يكون منهجا ومادة . وفى كتابة التاريخ يكون المنهج روحا والمادة وقائع وحقائق . والتكامل الحيوى يقتضى امتزاج الروح والمادة . فالى أى حد تحقق هذا التكامل فى هذا الكتاب ؟ وهل يمكن أن نعدّه إضافة لكتابة التاريخ الإسلامى كتنا نحتاج إليها ؟

أما فيما يختص بالشطر الأول من هذا التساؤل فنستطيع أن نقول : إن المادة فى هذا الكتاب وفيرة وفيرة إلى الحد الذى كادت تطغى فيه - إن لم تكن قد طغت فى الواقع - على المنهج بشكل ملموس ؛ فأنت حين تقرأ الكتاب لا تملك إلا أن تحس

بالمجهود الضخم الذى بذله المؤلف فى جمع مادته . ويدلك على ذلك أنه يندر أن يمر بك مطر من هذا الكتاب دون أن يكون المؤلف قد رجع فيه إلى مرجع ، وأحيانا إلى أكثر من مرجع . وكثير من صفحات هذا الكتاب يبلغ عدد المراجع المثبتة فى هامشها أربعة عشر مرجعا . فالكتاب على هذا النحو مشحون بالمادة ، مشحون بالإحالات . وقد يتساءل البعض هنا : هل هذا محمود فى التأليف ؟ وما جدواه ؟ . أما أنه محمود أو غير محمود فهذه مسألة تتوقف على مدى الضرورة الملحة لهذه الشحنة الهائلة من المراجع التى تكتظ بها كل صفحة . أهذه الإحالات فى هوامش الصفحات تشير إلى ورود مادة جديدة فى صلب الكتاب ؟ أهذه المادة من الأهمية بحيث ينبغى النص على مصدرها ؟

إننا إنمّا ننص فى الهوامش على مراجعنا فى البحث فى حالات معروفة لا بأس من النص عليها هنا وهى :

أولا : عند العثور على مادة جديدة لم يقع عليها السابقون فى بحث الموضوع المطروح .

ثانيا : عند إيراد رأى جديد له طرافته لأحد الباحثين فى الموضوع .

ثالثا : عند إيراد رأى مخالف لرأينا أو ليست له وجاهته على وجه العموم .

رابعا : عند إيراد آراء الطرفين المتنازعين حول الموضوع ، إذا كان فيه تنازع واختلاف فى وجهات النظر .

خامسا : عند إيراد رأى أو الاستعانة بمادة لتعزيز حجتنا .

وسأضع الآن بين يدى القارئ نموذجاً من هذا الكتاب ليجيب معى عن تلك الأسئلة ، ولنرى معا أكان النص على المراجع ضرورة من الضرورات الخمس التى أوصفناها . يقول المؤلف : « . . . كان على البدو أن يخضعوا لواحد منهم يرشحونه للرياسة ، تكون مهمته الأصلية الإبقاء على وحدة جماعتهم ، ويسمونه لذلك (سيد) (١) أو (رئيس) (٢) أو (شيخ) (٣) أو (أمير) (٤) ، فكانوا يختارونه بما وقر فى نفوسهم نحوه من قوة شخصيته وتجربته (٥) ، أو من شجاعته (٦) فى الدفاع عن جماعته ، أو حتى لغناه ، حين لا يكون أحد آخر أغنى منه (٧) ، ومهما يكن سبب اختياره فإنه كان يجب أن يتصف بصفات منها شيمة (الحلم) (٨) التى تجعله يتكلم بتؤدة وهو يسمح بلحيته الطويلة التى أصبحت تدل على سيد العرب (٩) ، وكذلك كان (الكرم) (١٠) من أهم الصفات المطلوبة فى رئيس الجماعة . . . » الخ .

هذه الأسطر القليلة بهذه المراجع الكثيرة قد شغلت الصفحة الثامنة والأربعين وجزءاً من الصفحة السابقة عليها . ولم أشأ أن أنقل هنا هوامش الصفحة العشرة لأنها تشغل ثلاثة أرباعها ، والواقع أنه ليس مجرد الاقتصاد في المكان هو ما يمنعني من نقلها ، بل إنني أهدف من ذلك إلى عرض التجربة على القارئ أيضاً ، وهى أن يسأل نفسه أكان يحتاج بحق إلى أى مرجع لأى حقيقة أو واقعة تضمنتها هذه الصفحة ؟ أيريد مرجعاً على أن شيخ القبيلة كان يسمى « شيخ القبيلة » ؟ أم يريد مرجعاً يصف هذا الشيخ (بالحلم) ، ومرجعاً يصفه (بالشجاعة) ، وآخر يتحدث عن لحيته الطويلة ! . لست أظن أن بالقارئ حاجة إلى شيء من ذلك ، وكل الذى حدث أن المؤلف الفاضل قرأ قراءات متفرقة كثيرة فى مصادر التاريخ الإسلامى ، وهو يريد أن يدل القارئ على هذه القراءات والمجهود الذى بذل فيها . وهذا ما أتصوره ، وإن كان المؤلف نفسه قد أطلعنى على وجهة نظره فى ذلك فقال : إن القارئ قد لا يحتاج إلى هذه المراجع حقاً ، ولكن الباحث يحتاج إليها . وما زلت فى الواقع غير مقتنع بأن أحداً من الباحثين فى التاريخ الإسلامى يحتاج إلى من يدلّه على مراجع تحدّثه عن شجاعة شيخ القبيلة وحلمه . حقاً إن المؤلف قد قرأ كثيراً ونقل كثيراً ، ولكن هناك حقيقة تأليفية هامة لا أحسبها تغيب عنه وهى : أنه ليس كل ما نقرؤه نثبته ، وليس كل ما نثبته نستخدمه فى تأليفنا .

وعلى هذا النحو اكتنظ الكتاب بالمادة ، ولكن ألم يكن ذلك على حساب المنهج ؟ فقارئ الكتاب يفتقد فيه روح التأليف ، يفتقد التمثيل والضمم والصياغة المحررة لتلك المادة . فليس المنهج أن نكثر ما أمكن من ذكر المراجع لما يستحق وما لا يستحق ، على زعم أن الأمانة العلمية والدقة تستدعى ذلك . وأقول : إن المنهج - قبل كل شيء - نظام فى التفكير قبل أن يكون نظاماً فى التحرير . ومنهج هذا الكتاب الذى نحن بسبيله غير واضح ، وإن كانت تغلب عليه النزعة السردية التقريرية . فقد شغل إذن بالمادة ولم يحفل كثيراً بتوجيه هذه المادة . ولعله من أجل ذلك أن نجد الثلث الأول من الكتاب ، الخاص بالعصر الجاهلى ، لا يتناول من قريب أو بعيد الحياة السياسية للعرب فى ذلك العهد ، ولكنه يتكلم عما يمكن أن نسميه التاريخ الحضارى Kulturgeschichte لهم ، وهذا ليس هدف الكتاب .

ومن أهم آثار طغيان المادة على المنهج أننا نادراً ما نصادف الروح النقدية الذى

يجب أن يتسلح به كاتب التاريخ . وهناك أحداث كبيرة وخطيرة فى حياة العرب كانت فى حاجة لهذا الروح : فظهور الإسلام واقعة دينية كبيرة فى حياتهم ، ولكنها كذلك واقعة سياسية خطيرة تحتاج إلى تفسير . وكذلك تعد حوادث الردة ظاهرة تحتاج إلى أضواء جديدة من التفسير . ومثلها ظاهرة الفتوح الإسلامية ؛ ففيها أكثر من رأى ؛ أكان الفتح بدافع دينى أم قومى أم اقتصادى . وفى الوقت الذى نجد فيه المؤلف يقول عن انتصار الدعوة الإسلامية على الشعور القبلى بعد أن قمع المرتدون : « هذه القوة العربية التى أوجدها ووحدها تصميم أبى بكر سرعان ما انتشرت على الأرض ، واستطاعت فى سرعة البرق الخاطف الإطباق على البيزنطيين والفرس ، وهما أكبر دول العالم آنئذ ، بسرعة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً . . . » ص ١٦١ - إذا به يعود ليقول : « ولكننا لا نوافق بعض المستشرقين فى قولهم : إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحساس الدينى ، وإن الحروب التى قاموا بها تعتبر حروباً دينية . . . » ص ١٦٣ . وقد استند فى رأيه الأخير إلى حرية العقيدة التى دعا إليها الإسلام نفسه ، فضلاً عن عدم تغلغل الحافز الدينى فى نفوس الأعراب أنفسهم .

ثم يعود المؤلف ليثبت ما سبق أن نقضه فيقول : « أكبر الظن أن الدافع إلى هذه الفتوح يرجع على الخصوص إلى ارتفاع معنويات العرب بالدين الجديد » ص ١٦٦ . فالفتوح الإسلامية إذن كانت متأثرة بالدين الجديد مرة ، ثم غير متأثرة مرة أخرى ، ثم تعود لتكون متأثرة من جديد ، وهكذا . فعلى أى رأى ترى يستقر المؤلف ؟ .

وإذا كنت قد تحدثت عن منهج الكتاب ومادته فإنه يذنب ألا يفوتنى هنا أن أشير إلى الصياغة والتعبير . والواقع أن صياغة الكتاب بسيطة سهلة ، ولكن التعبير فيها يلتوى فى بعض الأحيان حتى ليحجب المعنى . ويكفى غرضنا هنا الإشارة إلى بعض هذه التعبيرات .

فى ص ٨٩ يقول المؤلف عن واحد من ملوك الفرس الذين خربوا الحيرة : « . . . نذكر منهم على الخصوص شهبور بن هرمز (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، ويسميه اليونان Saqor الذى بسبب كثرة ما قتل من العرب عرف بذى الأكتاف » .

وفى ص ١٦١ يقول : « . . . إن جيران العرب الأقوياء من بيزنطيين - وهم ورثة

الرومان - في شمال الجزيرة العربية ، والفرس في شرقها ، كانا قادرين في أيام قوتها
أن يحجزا العرب ... » .

وفي ص ١٢٥ : « ... إن الإسلام قد أوجد صورة غير منسكورة من دين جديد
مطبوع بالطابع العربي ، سرعان ما احتل مكانته المرموقة بين الأديان الأخرى .
وقد كان النبي هو أول نمط من معتنقيه الذي نجد له مثيلا بعد ثلاثة عشر قرنا من
ظهور الإسلام » .

وبعد ، فإن كتابة التاريخ الإسلامي - رغم كثرة ما كتب عنه في العربية وغيرها
من اللغات - تعد عملا شاقا أمام الباحث الذي يتطلع إلى إلقاء الأضواء الجديدة على هذا
التاريخ . وما من شك في أن المؤلف الفاضل قد كابد الكثير من المشقات في سبيل إلقاء
هذه الأضواء على موضوع لم يترك فيه الباحثون ثغرة لباحث ما

عز الدين اسماعيل

(المجلة) نشارك الأستاذ الفاضل كاتب المقال فيما يتحدث به عن منهج الكتاب ،
وإغراقه بالإحالات فيما لا داعي إليه ولا حاجة فيه إلى ذكر المرجع والشاهد . ولكن
عيب الكتاب الأكبر - خصوصا فيما يتعلق بالصحابة - التنسك إلى المصادر السليمة
الصحيحة لأخبار صدر الإسلام وفي طليعتها كتب السنة كصحيح البخاري ومسلم ،
والرجوع إلى المراجع الضعيفة بل المريبة ككتب الباطنية ومنها الدعائم ، وكتب الشعوبيين
كالنوبختي وأضرابه ، والكتب اللقيطة المكذوبة على المنسوبة إليهم كالإمامة والسياسة .
وأعجب من ذلك تحدّثه عن الإسلام كأنه أجنبي عنه ، ويا ليتته تحدّث عنه كأجنبي يحترم
عظمة الحق ، ولو كان كذلك لما صدر عنه ما جاء في ص ١٢٥ وهو قوله بالحرف :
« وقد كان النبي هو أول نمط من معتنقيه (أى من معتنقى الإسلام) الذي نجد له مثيلا
بعد ثلاثة عشر قرنا من ظهور الإسلام » . ويا لله العجب ، من هو هذا المثليل لحامل
أكل رسالات الله الذي اكتشفه الدكتور عبد المنعم ماجد بعد ثلاثة عشر قرنا من ظهور
الإسلام ؟ هل هو الباب الجاهل المأفون ، أم البهاء الدجال ؟ وعلى احتمال أن يكون
صواب العبارة « الذي لم نجد له مثيلا » وسقطت « لم » من الطبع ، رجعنا إلى جدول
تصويب الخطأ فلم نر المؤلف يعتبر هذه الجملة الواردة في كتابه إلا صوابا . وعلى كل حال
فالكاتب أشبه بالخصي في المعدة ، لم يهضمه مؤلفه ، فأحرى أن لا يسيغه قارئه .

المؤمن الحق

المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وآمن بالقدر خيره وشره ، ونعني بالإيمان بالله التصديق بوجوده سبحانه على ما هو عليه في الواقع مما يدل عليه العقل والنقل : من تعاليه وتنزيهه عن سمات النقص ، واتصافه بجميع صفات الكمال الإلهي ، من عدم افتتاح وجوده وانتهائه ، فان الوجود الحق الذي يستأهل أن يسمى وجودا ولا يستأهل غيره من أنواع الوجود أن يسمى وجودا بالنسبة إليه . . .

إن الوجود الحق هو الوجود الذاتي الدائم في ذاته الذي لا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء ، ولذلك لا يقاس بالزمان ، ولا يقدر بتعاقب الليالي والأيام ، فهو بذلك مخالف لسائر الوجودات ، لا يجمعها معه نوع بل ولا جنس ، وإنما هي عبارات وألفاظ تلاقت ، والمعاني متباينة تمام المباينة ، وإذا كان هذا الوجود مخالفا لسائر الوجودات كان الموجود به مخالفا حتما لسائر الموجودات ، ومباينا لها في سائر الصفات ، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو القادر المقتدر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو الذي يتبع كل شيء إرادته ، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل ، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو الذي يسمع الجواهر والأجسام ويبصر الخفى من الكلام ، وهو رب كل شيء ، وغيره ليس له من هذه الكمالات شيء ، اللهم إلا اسمها ، واسمها لا يغني عن الحق شيئا ، فمن صدق به هكذا كان مؤمنا به سبحانه ، ومن جحد من ذلك شيئا : كمن أنكر الوحدة مثلا كان غير مؤمن به وإن اعترف بالوجود وأقر بالقدره ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » فانهم كانوا يعترفون بوجود الله سبحانه وأنه الخالق كما قال الله سبحانه : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ومع ذلك ينسبون إليه الولد ، كما قال بعد هذه الآية آيات ذكرت للاستدلال على وجوده وقدرته وعلمه : « وجعلوا له من عباده جزءا » أي ولدا إذ الولد جزء أبيه « إن الإنسان لكفور مبين » أي مجحود للنعمة ، والكفور أصل الكفران ،

فقد حكم بكفرهم وهم معترفون بالوجود والخلق، لأن هذا وحده لا يكفي في أنهم مؤمنون، وإنما يكفي أن يصدقوا بوجوده على ما هو عليه في الواقع ونفس الأمر .

ونعني بالإيمان بالملائكة التصديق بأنهم كما قال الله : « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، بل هم صنف من المخلوقات ترتفع عنهم هاتان الصفتان ويكفر من يجعلهم إنانا ، كما قال الله تعالى ناعيا على الكفار هذه العقيدة حيث يقول : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا » وقال : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وهم خزاعة وكنانة ، كانوا يقولون : الملائكة بنات الله ولهم البنون ، ألا ساء ما كانوا يصنعون . ثم إن الملائكة لا يخالفون أمر الله أبدا ولا يعصونه في شيء لأنهم معصومون .

أما إبليس عليه اللعنة فلم يكن من الملائكة بل كما قال الله تعالى : « كان من الجن ففسق عن أمر ربه » واستثنائه من الملائكة المفيد بظاهره أنه منهم لم يكن لأنه منهم حقيقة ، بل لأنه كان منغمسا فيهم مغمورا بالعبادة فيما بينهم ، فغلبوا عليه لما له من صفة تشبه صفتهم ، واستثنى هو منهم وإن كان من الجن ، ولذلك وقعت منه المعصية ، بل أكبر المعاصي على الإطلاق ، حيث أبى واستكبر لما أمره ربه بالسجود لآدم فكان من الكافرين .

ثم هم بعد ذلك طوائف كثيرة أقسم الله في الكتاب الكريم بكثير منها كقوله : « والصفات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا » وقوله : « والمرسلات عرفا ، فالعاصفات عصفا ، والناشرات نشرا ، فالفارقات فرقا ، فالملقىات ذكرا » وقوله : « والنازعات غرقا ، والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا » قال في (روح المعاني) بعد أن حكى خلافا في حقيقة الملائكة : « وهي عندنا منقسمة إلى قسمين : قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق سبحانه والتزهد عن الاشتغال بغيره يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلويون والملائكة المقربون ، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهم المدبرات أمرا ، فمنهم سماوية ، ومنهم أرضية ، ولا يعلم

عدددهم إلا الله . هؤلاء هم الملائكة وهذا حالهم ووصفهم ، فمن آمن بهم على غير هذا النحو لم يكن مؤمنا بهم وإن أقر بوجودهم .

ونعني بالإيمان بكتب الله أن نعتقد أن الله كتبنا أنزلها على أنبيائه لهداية البشر بها بما تضمنته من بيان الحلال والحرام والحكم والأسرار ، والمواعظ الحسنة ، والنصائح الحكيمة ، وكل ما فيها حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجميعها كلام الله سبحانه دال على صفته القديمة ، واختلاف العلماء في عدتها ، والمقطوع به منها التوراة المنزلة على سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم ، والإنجيل المنزل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، والزبور المنزل على سيدنا داود صلى الله عليه وسلم ، والقرآن العظيم المنزل على رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وفيهما جميعها أمر الله ونهيه ووعدده ووعيده عدا الزبور فانه كان ثناء وأدعية . وأفضلها من حيث اللفظ المقروء المسموع القرآن ، فانه في أعلى درجات الفصاحة وأقصى مراتب البلاغة ، وهو مصدق لما وافق لما فيها من التوحيد والعبادة : « وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » ومهيمن عليها وشاهد لها بالصحة والثبات لأنه لا يغير ولا يبدل إذ أخذ الله على نفسه سبحانه أن يحفظه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وبعد فقد نسخت جميعها به ، ولا يجوز التمسك بها بعد نزوله ، وما جاء فيه من الأحكام موافقا لما فيها منها فأنما يجب علينا العمل به من حيث أخذه منه نفسه لا من أخذه منها هي .

هذا وقد روى الترمذى : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها » . نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن في الدنيا والآخرة ما وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد الطنيسي

عضو جماعة كبار علماء الأزهر

ومدير عام الوعظ بالجمهورية المصرية

المصري الناهض

أنا مصري ، وهذا وطني فوق عرش الشمس يعلو الشهباء
من يرد شرا به ذاق الردى من يعاديه سيلقى النوبا
أرضه الخضراء طابت جنة ومياه النيل سالت ذهابا
وعلى واديه شعب ناهض إن دعا داع ليوم وثبا

* * *

نحن أبناء الميامين الألى صنعوا المجد ، وسادوا الكوكبا
هذه الأهرام من آثارهم بقيت في الدهر تطوى الحقبا
ونمتنا للمآلى أمة كرمت ديننا ، وعزت حسبا
خفض الكون لنا هامته حين آمنا ، وصرنا عربا
بجمعنا المجد من آفاقه وبلغنا فى السماء الرتبا
ومضينا نملا الدنيا هدى فرأى الناس فنونا عجبا
ووهبنا الغرب علما ناصحا والعلا وقف على من وهبا

* * *

غير أن الدهر يمضى بالفتى غير ما يبنى ، وكـم شعب كبا
فتخلفنا ، ولكن لم نن صمم الحر على أن يدأبا
كم أتى النيل عدو غادر فجعلناه عليه لهبا
فمضى والخزى يعدو خلفه يندب الحظ الذى قد ذهبـا
سل (هولاكو) و(لويسا) بعده سل (فرىزا) فى رشيد كم نبا
ثم (نابليون) فى سطوته كيف رده عن الشرق ظبا

و (بنى التاميز) جاءوا خدعة
أيدتهم فى احتلالى طغمة
لقيت مصر على أيامهم
فرقوا الشعب ، وسادوا بطنه
سئم الذل وعافت أرضه
فصحا العملاق من غفوته
رفع الفأس على رؤسهم
شردتهم عن بلادى ثورة
ثورة الأحرار كانت صحوة
بعثت للنيل مجدا طارفا
من رأى المصرى فى عزيمته
ينشر العلم ، ويبنى مصنعا
ويرد الحق من مغتصب
ويقيم الصخر سدا عاليا
تلك أمجادى سابغى غيرها
همة لا يعترها كل
أرعبت فى الغرب شعبا حاقدا
جمعوا الشمل فعدنا أمة

* * *

دول الغرب استشاطت غضبا
وادعوا أن القناة ابنهم
كيف شقوها ؟ وملكى أرضها
وأبى أجرى بها الماء ، وقد
وجدودى عمقوها فى الثرى

حين (أمنا) وضجت صحبا
فهى لم تعرف لمصر نسبا
وبها قوت أنى قد غضبا
مات فى الحفر أبوه لغبا
كى يروا خيرا لها مرتقبا

هى رزقى ، هى روحى ودمى هى شريان حياتى اضطربا
 أنا إن لم أحبها لم تلقى فى بحيم العيش إلا حطبا
 أنا إن لم أمتلاكها أيدا عدت للأمس كما كنت هبا

* * *

أجمعوا الأمر بليـل حنق وأعدّوا للصباح الشغبا
 عبّأوا الجيش ، عتادا طائرا وعلى البر ، وفى البحر ، ربا
 ثم جاءوا ، خدعة مكشوفة فرأوا فى (بورسعيد) الكربا
 لو ترى أجتادهم فوق الردى لرأيت الطير تعلو الحببا
 ردهم عن مصر شعب باسل وسقاهم فى القتال النصبا
 يئست قواتهم ، فاتخذوا (بورسعيد) مسكنا قد خربا
 دمرها حين ضاعت خطة خسروا الشرق ، وخابوا مأربا
 سوف يجلون ، وإلا طلبوا فى مياه البحر منا مهربا
 سوف نذكىها ، فيفنى بينها كل وغد ، للـما قد سكبا
 سوف نمحو حفنة قد شردت من فلسطين الهدى والعربا
 وسيق الشرق حرا آمنا ينشر النور ، وينضو الحجا
 وستبقى مصر ، شعبا ناهضا فوق عرش الشمس يعلو الشها

السيد محمد الأطروشى

الإسلام

يقول القس اسحاق تيلر من رؤساء الكنيسة الانجيلية :

« الإسلام ينشر المدنية التى تعلم الانسان ما لم يعلم ، والتى تقول بالاحتشام فى الملبس ، وتأمر بالنظافة ، والاستقامة ، وعزة النفس . فمنافع الإسلام للانسانية لا ريب فيها ، وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها » .

سيف الله خالد

في عهد النبوة

وضع الدين الإسلامى العظيم ما يكفل للناس أن يمثلوا خلافة الله فى الأرض ، فيقيموا العدل ويخفصوا الجور ، وهى مهمة الأديان السماوية من قبل . وصدق الله سبحانه إذ يقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » .

فحين يأبى الناس إلا ظلموا وعدوانا (والظلم من شيم النفوس) فإنه يدفع ببض الناس ببعض « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

وإذا فالمجاهدون فى سبيل الله ونصر دعوة الحق : من خير من قاموا بنصيب وفور لخدمة الإنسانية وتحقيق خلافة الله على وجهها .

وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل العليا لكل معانى السمو فى الإسلام وعلى رأسها الجهاد ، بعد أن يأخذوا بحظوظهم من كل نواحى التوجيه الإسلامى الكريم .

ولقد كان السيد الرسول صلوات الله عليه ينظر فى مزايا كل منهم فيباركها لينفع بها المسلمين : فأرأف الأمة بالأمة أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأمين الأمة أبو عبيدة ، وسيف الله المسلول خالد بن الوليد ، وهو موضوع حديث هذا الشهر .

ذلك القائد المظفر الموهوب الذى أخلصه الله لدعوة الإسلام بعد إذ طهره من رجس

الشرك ، فكان سلسلة مغامرات مؤمنة جريئة ، وآيات صدق مسلمة بريئة ، دلت أنها في معاداتها للإسلام كانت متورطة بحكم الجاهلية وتقاليدها الجائرة الجبارة .

فلئن تأخر إسلامه عن أقرانه أمثال عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن أبي وقاص من قبلهما ، فذلك لما كبله من أغلال أولئك الأشياخ وعلى رأسهم أبوه الذى كان من أكبر حكام قريش إن لم يكن أكبرهم ، والذى كانوا يلقبونه بالوحيد لما انفرد به من مزايا جاهليتهم ، والذى وصفه الله سبحانه فقال : « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا » . قال الشعبي : إنه كان يملك ألف ألف دينار . وقال ابن عباس : تسعة آلاف مثقال . وقال الناس فيه الشيء الكثير جدا من عظمة الجاهلية ونحوها .

وماذا عسى أن تقول في رجل كان أحد رجلين لا يرى الناس هنالك غيرهما أهلا للنبوة ، وقد بين الكتاب الكريم ذلك وسفهه حين يقول « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [١] أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » ، ولئن تأخر عن إسلام من سبقه من إخوته ، لقد كان ذلك لكونه أشد تورطا منهم ، فقد كان مرموقا في قومه من بنى مخزوم ، وكانوا يولونه أمر القبة وهى مخازن الجيش وحاجياته ، وأمر الأعنة وهى الخيل والمركبات ، فما كان يستطيع وله هذه المراكز الخطيرة فيهم أن يسارع إلى دعوة الإسلام كما سارع غيره من إخوته .

على أن خالدا بقوة نفسه ، وصفاء روحه ، وذكاء عقله ، وسعادة جده ، لقد شاء الله ألا يكون من الطلقاء ولا أبناء الطلقاء الذين أساءوا يوم فتح مكة ، بل سبقت هدايته فذهب إلى النبي صلوات الله عليه مؤمنا به قبل الفتح ، وظفر بلقب الشرف قبله من رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيف الله » في غزوة مؤتة ، وظفر بشرف القيادة من السيد الرسول في جيش الفتح ، وإذا قلت الطلقاء وأبناء الطلقاء فلست أريد بذلك أن أضع من أقدارهم رضوان الله عليهم ، واسكني أشيد بفضل من سبقوهم ، ولا سيما إذا اطرده الإخلاص والصدق لدعوة الحق « وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » .

[١] قالوا : إن الرجل الثانى عروة بن مسعود الثقفى ، والقريية الثانية الطائف ، وقد هداه الله للإسلام رضى الله عنه .

نشأة خالد وأطواره

كانت ولادة خالد قبل البعثة النبوية بما يقرب من سبعة وعشرين عاما ، قياسا على سن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كان يصارعه وهما صبيان [١] ، ولد من أبوين من أكرم قبائل العرب ، فأبوه الوليد الذي رأيت بعض الحديث عنه وكان من بنى مخزوم التي شرفها قريش في الجاهلية بالقبة والأعنة . وكان لهم وحدهم ثلاثون فرسا في غزوة بدر ، ولقريش بقية المائة .

وكانت قريش عامة يعرفون في العرب برجاحة الأحلام ، وكانت قريش تعرف هذا المعنى لبني مخزوم ، وترجع إليهم في الكثير من الأمور . وقد سبق كثير منهم إلى الإسلام ، وحسبك أن يكون فيهم من يأوى إليه الإسلام في أول أمره كالأرقم بن أبي الأرقم بن عبد الله المخزومي صاحب الدار التي كانوا يعبدون الله فيها مستخفين .

وكان الوليد بن المغيرة مقدما في بنى مخزوم بل في قريش كلها حتى قيل إنه ادعى الرياسة بعد موت عبد المطلب ، وإنه كان يقطع يد السارق في مكة فما يقاوم ، وكان يكسو الكعبة وحده عاما وتكسوها قريش عاما آخر ، وكان يطعم الناس وحده في منى وينهى أن يشاركه في ذلك أحد ، وكان وكان ، إلى كثير من صفات المجد التي حال دون استكمالها إياها إصراره على الشرك ، وجوده على ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

على أن هذه الصفات جديرة أن تترك أثرها الوراثي في ذرية الوليد إذ أكملها الإيمان وخالطت معاني الإسلام ، وهو ما بينه قول النبي الصادق صلوات الله عليه : (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) .

كذلك كان لمعمومة خالد مجد مرموق ، وكانوا تسعة كما يقولون في التاريخ .

فعرف لعمة (أبي أمية بن المغيرة) أنه كان يحكم في عظام الأمور ، ويرجع إليه في أمهات المسائل . وقد اختلفت قريش على من يضع الحجر الأسود لينال شرف هذه

(١) حقق ذلك صديقنا الأستاذ الشيخ أبو زيد شلبي في رسالته « تاريخ سيف الله خالد » .

الخطوة حتى كادوا يقتتلون ، فأشار عليهم بأن يحكموا أول داخل ، فتلوا على رآيه ، وكان الحكم هو السيد الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف في التاريخ .

وعرف لأبي أمية أنه كان (زاد الركب) لقبا لا يشارك فيه ، لأن من رافقه كان لا يتزود لسفره لفرط كرمه ، ورثاه أبو طالب فكان مما قال :

ألا إن زاد الركب غير مدافع بمرور سخيم غيبته المقابر

وعرف لعمه (أبي حذيفة بن المغيرة) أنه كان أحد الأربعة الذين اختارت قريش لجل الحجر الأسود في الرداء ووضعته مكانه .

وعرف لعمه (الفاكه) أنه كان له بيت مفتوح للضيافة يغشاه من شاء متى شاء بلا إذن ولا حجاب .

وعرف لعمه (هشام) أنه مات فلم يقم بمسكة سوق ثلاثا ، وأن قريشا كانت تؤرخ بموته وأن شاعرا رثاه فقال :

وأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الأرض ليس بها (هشام)

ومن تتبع ذلك طال به الحبال ، وفي الحق أن ذلك مجد كان جديرا أن يطلب حظه في الإسلام ، ولكن الله يهدي من يشاء من عباده ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا .

وكان لخالد إخوة يختلف المؤرخون فيهم من عشرة إلى ثلاثة عشر . كان منهم (عمارة) الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي ملك الحبشة ليسئ إلى مهاجر الحبشة . وقد كان هذا هو الذي أرسلته قريش إلى أبي طالب بدلا من مجد الذي أرادت أخذه من أبي طالب صلوات الله عليه ، وقالوا إن عمارة هذا هو أنهد قتي في قريش وأشعره وأجمله نخذه فلك عقله .

وقد أسلم أخواه الوليد وهشام ، وأختاه فاطمة وفاخنة .

وأما والدة خالد فهي أخت الصغرى أخت مميونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأخت أم الفضل زوج العباس عمه ، وكان من أخواله (حمية بن جزء) من السابقين إلى الإسلام ومن شهد بدرًا .

وعلى الجملة لقد نشأ خالد في هذه البيئة العريقة المكربة في أحل مكة في ثراء

أبيه وعززه ، لا هم له إلا التفقى وطلب المجد الجاهلى الذى أغنى عنه كثيرا فى الإسلام ، وجعله موضع الحظوة عند الرسول عليه السلام ، فلم يكن ممن يكدحون فى طلب العيش ولا يشغلهم هم ولا ممن يرحلون للتجارة ولا يعينهم أمرها ، ولكنه إذا رحل فللاستطلاع وتنمية ثقافته وإعدادا لعقله ، زيادة على ذكاء قریش ورجاحة أحلامهم كما عرف ذلك عنهم ونوه به الكتاب الكريم فى قول الله عز وجل : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » .

وقال الجاحظ فى تعليل ذلك : إن جميع العالم يأتون قریشا فى مكة فيخالطونهم ، وبذلك يكمل العقل كما يكمل بالمسافرة ورؤية البلاد المختلفة ؛ وإذا فقد كان خالد على جانب من السكال العقلى والذكاء المكتسب ، إلى الذكاء الفطرى . وقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم بذلك يوم سأل عنه فى عمرة القضية وقال : مثل خالد جهل الإسلام ؟ ولقد نشأ خالد كما ينشأ فتیان قریش ولا سيما المترفون والمخزوميون ، لا هم له إلا ذلك التفقى وتلك الفروسية تغذوهما أشعار الحماسة التى تنشدها الفتیان فى مجتمعاتها فتشربها قلوبهم وتمتلئ بها نفوسهم ، وقد تجسمت تلك المعانى فى خالد حتى رشحه قومه للدفاع عن مجدهم الجاهلى المسوخ ، وأعدوه لأكبر منصب كانت تتفرد به بنو مخزوم وهو : « ولاية القباب والأعنة » .

ثم لا يعرف عن خالد ما يذكر عن غيره من سفهاء متعاضى قریش الذين كانوا يقعدون للقلة من المؤمنين المستضعفين كل مرصد ، فيناولونهم بالأذى والاضطهاد ، والذين كانوا يلتمسون القرص لينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونونه ويتحدونه فى عباداته وتلاوته ودعوته ، على أن أباه الوليد كان من المستهزئين : « الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون » . نعم إنه نال المسلمين ببعض الأذى فى المعارك ، وكأنه إنما فعل ذلك (مع تورطه فيه) تمشيا مع الحمية حمية الجاهلية للأخذ بثأر عمه وابن عمه المقتولين ببدر ، ولهذا لا نرى له نشاطا فى غزوة بدر ولا خروجا إليها ، فان مثله إذا خرج لابد أن يكون له نشاط يذكر كما عرف له فى جميع المعارك التى شهدها .

خالد فى أحد والأحزاب والحديبية

ذكرت كتب السير وصفا يليق بخالد فى هذه المواطن الثلاثة ، فقد كان بطلا صنيديا فى الجاهلية كما كان بطلا صنيديا فى الإسلام ، وقد سلط على المسلمين فى أولى هذه الغزوات

الثلاث تسليطاً خطيراً ، فتك فيه بالرماة لما خالفوا أمر القائد الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في أحد : رتب النبي صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين ، وجعل الزبير بن العوام بأزاء خالد بن الوليد ، وجعل الرماة خلف الجبل ، وكانوا خمسين عليهم عبد الله بن جبير رضى الله عنهم أجمعين ، وقال له : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا .

وكان النصر للمسلمين بينا باهرا عظيما ، وقد فر المشركون حتى بلغوا النساء وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينهبون الغنائم . ولكن الرماة فرحوا بذلك النصر وتداعوا إلى الغنائم ففارقوا محلهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأميرهم عبد الله ينهاهم وهم يقولون : قد انهزم المشركون فما مقامنا ههنا ؟

ونظر خالد بن الوليد إلى جلاء الخيل من الرماة وقلة من به منهم ، فأخذ عكرمة ابن أبى جهل وكر بالخييل على من قى من الرماة ، وكانوا دون العشرة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله ومثلوا به ، وأحاط المشركون بالمسلمين وهم مشغولون بالنهب والأسر ، فوضعوا فيهم السيف وهم آمنون ، واختلط المسلمون حتى صار يضرب بعضهم بعضا ، وكانت محنة عزاهم الله سبحانه عنها في آيات كثيرة من سورة آل عمران ، بين لهم فيها أنهم الأعلون إن كانوا مؤمنين ، وأن الأيام دول ، وأن هذا بلاء يتخذ الله به من المؤمنين شهداء ويخصهم ، وأن الجنة لا بد لدخولها من ذلك ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول يموت كما مات غيره . . . وأن الله صدقهم وعده إذ يحسنونه بأذنه حتى فشلوا وتنازعوا في الأمر ، في نحو ثلاثين آية كلها دروس عظيمة ورياضة وتوجيه كريم .

ومهما يكن فقد كان خالد بطل هذه الرواية وقائد هذه الحملة الفاتكة التى كانت عقابا من الله على خلاف القائد ، والخروج على ما رسم الرسول الأعظم .

وأما فى الخندق : فإن جماعة من المشركين كانوا يتناوبون المناوشة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومحاولة اقتحام الخندق ، فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ، ويغدو خالد بن الوليد يوما ، ويغدو عمرو بن العاص يوما ، ويغدو هيرة بن وهب يوما ، ويغدو عكرمة

ابن أبي جهل يوما ، ويغدو ضرار بن الخطاب يوما ، فلا يزالون يحيلون خيلهم ويجمعون مرة ويفترقون أخرى ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا عزيزا فأرسل على المشركين ريحا وجنودا لم يروها وكان الله بما يعملون خبيرا .

وكان نشاط خالد في هذه المعركة مما نوهت به كتب السير . قالوا : وكان المشركون بعد فشلهم وعودتهم بالخبيبة إلى بلادهم يلوذون بكل من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ليحموا ظهورهم من المسلمين ، فكانا في ساقتهما مع بعض فرسانهم ، مما يدل على مكانة خالد ومركزه المرموق .

ثم كان يوم الحديبية فقدّمته قريش في مائتي فارس لصعد المسلمين ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يأخذوا طريقا آخر غير طريق خالد محافظة على السلم . وأرصد لمراقبة خالد عباد بن بشر في جماعة من المسلمين . ومنذ ذلك اليوم علم خالد أن هذا النبي مؤيد ، لأنه حاول مرارا أن ينال منه وهو في بلده ولا سلاح مع المسلمين ، ولكنه كان يدفع عن ذلك فلا يمكن له .

ثم كانت عمرة القضية ولم يشهدا خالد لما كان يتمتع في صدره ويضطرب من أفكار كان فيها تمهيد للإسلامه وتوبة الله سبحانه عليه من الشرك ومضايقه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » ١

« يتبع »

محمود السراوي

المفتش بالأزهر

القرآن

قال المؤرخ الشهير جيبون (وهو عند الأوربيين بمنزلة ابن خلدون عندنا) :
« القرآن مسلم به من حدود الاوقانوس الأطلانطيكي إلى نهر السكناج بأنه الدستور الأساسي ، ليس لأصول الدين وحسب ، بل للأحكام المدنية والجنائية وللشرائع التي عليها مدار الحياة في نظام النوع الإنساني وترتيب شئونه » .

فى ذمّة الله :

الشيخ عبد المعطى الشرشى

فى يوم الجمعة ١٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٦ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ استأثرت رحمة الله بالعالم الجليل، الشيخ عبد المعطى الشرشى، عضو هيئة كبار العلماء، وشيخ الرواق الشرفاوى، بالأزهر الشريف ، وقد سلخ من العمر مائة عام وسبعة ، استقل فيها قطار التاريخ ، فمر به على أنظمة الحكم ، التى شهدتها مصر : من الخديوية والسلطنة والإمارة والملكية والجمهورية ، وشهد بنفسه معركة التل الكبير سنة ١٨٨٢ حيث وقف المجاهد الغيور أحمد عرابى يواجه بجيش من الشعب المصرى قوات الاحتلال، وغدر الخديوى توفيق، وخيانة الحاكمين ، ورشوة الأعراب المنافقين .

وإذ ذاك كان الطالب المجاور عبد المعطى الشرشى يافعا ، وقد بلغت أنباء تقدم جيش الاحتلال من السويس إلى القاهرة ، فقصده إلى بلدته (شرشمة) مركز هيا شرقية ، سيرا على الأقدام ، ومخلة كتبه على عاتقه ، ولما بلغ الضفة الغربية لترعة الإسماعيلية أدرك الخطر محققا ، من رصاص الإنجليز المنطلق فى كل اتجاه ، فألقى بنفسه فى الماء ، تاركا كتبه فى كف القدر، وأخذ يسبح إلى الضفة الشرقية ، وكان التيار قد جرف نعليه من قدميه ، وهو يطلب النجاة من العدوان الغادر الذى شنّه الإنجليز على مصر وزعامتها الشعبية الأولى .

وشاء الله أن يطيل فى عمر هذا المجاور المغامر ، حتى شهد العدوان الثلاثى الأخير الذى تم بين الإنجليز والفرنسيين والصهيونيين ، فشنوا غاراتهم الغادرة على مصر المتحررة من كل قيد ، المستقلة عن كل سياسة ، وأمطروا المدن والقرى وبابل من القنابل التى روعت المدنيين ، وهناك فى « العباسية » حيث يقيم الشيخ المسن منذ أكثر من ربع قرن ، دوت القذائف الراعدة فبلغت مسامع الشيخ وهو قائم بالليل على عادته يتحسس الطريق وحده إلى الضوء ، يسعى نور إيمانه بين يديه ، وعندئذ يهتف : الله أكبر . . . فتنب خادمه « بطة » من نومها ، فيستيقظ على إثرها أهل البيت الوداع الأمين .

فاضت روح الشيخ الشربيني إلى بارئها بعد حياة حافلة بالذكريات ، زاهرة بالأحداث ، وكلها تشير إلى وقائع تسكد تكون مجهولة اليوم تماما في أذهان أبناء هذا الجيل ، على ما لها من أهمية بالغة في تاريخنا الفكرى وتراثنا القومى .

فقد حصل الشيخ عبد المعطى بن السيد بن على ديب على شهادة العالمية الأزهرية من الدرجة الأولى على المذهب الشافعى ، وكان ذلك منذ سبعين سنة ، وفيما يلي نص الشهادة المدموعة باسم الخديوى محمد توفيق والمؤرخة في ٢٩ رجب سنة ١٣٠٦ هـ :

« العلامة المحقق والفهامة المدقق حضرة الشيخ عبد المعطى الشافعى مذهبا ابن السيد ابن على من ناحية شرعية شرقية دامت فضائله عرض علينا شهادة من حضرة شيخ الجامع الأزهر ، قدوة الأعلام ، بأنه صار امتحانكم بمجلس مشكل من حضرات العلماء الأفاضل والسادة ذوى الفضائل الشيخ محمد عبد البنا مفتى الديار المصرية ، والشيخ عبد القادر الرفاعى الحنفيين ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى ، والشيخ إبراهيم الضواهرى الشافعيين ، والشيخ سليم البشرى شيخ المالكية بالأزهر ، والشيخ أحمد الرفاعى المالكى ، وأحسنتم الشهادة لكم فى الإحدى عشر علم (كذا) المعينة من حضرات المومى إليهم وأقروا باستحقاقكم للدرجة الأولى بين العلماء على ما تحقق لديهم ، وكان ذلك مما يسر الخواطر ويقر النواظر ، ويدعو إلى حسن الالتفات لكل من تحلى بتلك الصفات ، فشكرنا لكم هذا التقدم للجيل وقابلناه بالثناء الجميل ، حيث كان من أجل النعم المهمة لإصلاح الوطن وصلاح الأمة لنشر أنوار أنواع العلوم والفنون ، إذ بها تستنير الأفكار ، وتزول ظلم الشبه والظنون لا سيما علم الشريعة المقدسة الطاهرة الذى هو عنوان السعادة فى الدنيا والآخرة ، إذ به تعظيم العبادات ، وتنظيم المعاملات ، ومن المعلوم أن المواظبة على التدريس والإفادة ، يوجب للعلم البركة والزيادة ، ومع العفة والورع يزداد بهاؤه ، وبكمال تهذيب النفس وشرف الأخلاق يشرق ضياؤه ، ولما ثبت لحضرتكم السبق فى هذا المضمار ، وسلكتم سبيل المحامد لكسب الفخار ، أصدرنا هذا المرسوم لفضيلتكم معلنا بالدرجة الأولى لتديموا شكر المنعم ، فله الحمد فى الآخرة والأولى » .

هذا - والمعروف أن الشربينى لم يصنف طيلة حياته لأنه كان يعتقد أن العلم مكنوز فى خزائن الكتب ، وما على العلماء إلا الكشف عن هذه الكنوز بالبحث والدرس والصبر ، والعلم فى رأيه الخالص إنما هو « فهم ما تركه السابقون » ومع ذلك كان تلاميذه يتهافتون على تسجيل شروحه وتقريراته ويحفظونها عن ظهر قلب ، ومن هؤلاء التلاميذ

الذين ذكرهم لى الشيخ الشريشى عليه رحمة الله : الشيخ عبد العزيز حجاب من دسوق ، وكان حريصا على تسجيل كل ما يصدر من الشيخ فى الدرس من شروح ، فهو إذن من العلماء المنهجيين الذين كان لهم هدف يرمون إليه فى التدريس ، وهو أسمى ما عرف من الأنظمة الجامعية فى المحاضرات .

ومنذ سنوات حرص فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر على تكريم الشيخ الشريشى بمناسبة بلوغه المائة من عمره فدعا إلى داره أهل الفضل والوفاء من عارفى قدر أستاذهم ، وكان منهم الدكتور طه حسين الذى أصر على تقبيل يده أستاذه وبعد تمتع منه وإصرار من الدكتور قبل يده ، ثم أخذاً يتذاكران الماضى ، فى جو كانت تسوده المودة والتعاطف والتقدير .

وقد يخفى على الكثيرين أن الشيخ الشريشى كان زميلاً للشيخ سعد زغلول فى الأزهر ، وكان سعد يسكن مع فتحى أخيه بجهة (أم الغلام) بجوار الضريح الحسينى ، وكان الشيخ يزور صاحبيه كثيراً ويتغدى معهما ، وهو الذى بشر سعدا بالباشوية وفتحيا بالبكوية ، وظل سعد وفيما لزميل صباه بعد أن صار باشا وبعد زواجه من السيدة صفية زغلول كريمة مصطفى باشا فهمى ، وقد اصطحب الشريشى يوماً صديقه الشيخ الطوخى فى زيارة للشيخ عبد الكريم سلمان ، وفى عودتهما عرجا على منزل سعد باشا فأكرمهما غاية الإكرام ، وحان وقت صلاة العصر ، فطلب الشريشى أن يتوضأ فاذا به أمام فتاتين بارعتين فى الجمال : إحداهما تحمل الطشت والأخرى تحمل الإبريق والبشكير ، فسأل الشريشى صديقه سعداً عن خبرهما ، فقال : هما جاريتان ، فلبث الشيخ أن خطف منهما البشكير والطشت والإبريق ، وأخذ يعدو نحو البواب . وتوضأ عنده وصلى على أريكتيه الخشبية العارية ، هرباً من زخرف الدنيا ، وفئة الجمال .

ومن مظاهر وفاء سعد له أنه كان يحله كلما قدم عليه بديوان الرياضة ، وكان يداعبه بقوله : « أهلاً بمن كان عنده مسألة من مواقف العقول وهى لو كان تحته قطن لانكس » وخلاصة القصة كما حدثنى بها المغفور له الشيخ الشريشى أنه كان يذكر مع سعد ، فقال له : إن أمى عند ما تجمى القرن تقول لى : هات قطننا ، وهى بذلك تقصد حطب القطن لا ثمرته ، وورد فى باب السجود أنه على المصلى أن يتحامل على الأرض « بحيث لو كان تحته قطن لانكس » فقال سعد : إذن تنجرح جبهته ، فقال الشيخ الشريشى : القطن هنا الثمرة وليس الحطب .

وكان سعد يكبر فى زميله عزوفه عن المناصب ، والتجرد الخالص للعلم ، وخدمة التعاليم الأزهرية الأصيلة ، وميله إلى التوسط لأصحاب الحاجات مما كان سعد يستجيب له ، ويسأل صاحبه عن حاجة له أو لذوى قريابه ، فلا يظفر منه بطائل .

كان الشيخ الشريشى لا يزال فى مبة الصبا حينما قدم جمال الدين الأفغانى إلى مصر داعيا إلى تحرير الأفكار من الأوهام والخرافات ، وتحرير الأوطان من الاستعباد والاستعمار ، وكان يجتمع حوله فى المقاهى والأندية والمنازل والمجالس الخاصة كثير من رجال الأزهر منهم محمد عبده وبخيت وإمام أبى وأبو خطوة والصعيدى وهو أكثرهم وأنشطهم فى الأخذ عن الأفغانى .

ومن الطبيعى أن يتأثر هؤلاء جميعا بثورة الفكر التى حمل لواءها الأفغانى ، ومن الطبيعى أيضا أن يستظل به تلاميذهم الأقربون ، ومصادق ذلك بلوء محمد عبده فى تيسير المنطق على دارسيه ، ومنهم الشريشى لذى درس (الشمسية) على يد الشيخ محمد عبده .

ولاشيخ الشريشى مع أستاذه الإمام قصة تمثل حقيقة الصراع بين التجديد والتقليد فى الأزهر العتيق : فإن الإمام عندما أراد النهوض بالأزهر على أضواء مشاعل الثورة الفكرية الأفغانية عمد إلى تغيير « الطريقة » المتبعة فى التدريس وإلى إدخال « علوم » جديدة لم تكن به من قبل ، وإذ ذاك كان محمد عبده ذا نفوذ بالأزهر بحكم منصبه فى الإفتاء الذى بمقتضاه يكون عضوا بمجلس الأزهر الأعلى ، أما شيخ الجامع وهو يومئذ الشيخ سليم البشري ، فقد حرص على إرساء قواعد الشورى ، وإن كان لم يسلم فى الواقع من الاتهام بعرقلة الاتجاه الإصلاحى الذى جاء به محمد عبده .

اختار الأستاذ الإمام كتاب (السعد) المعروف بطلاسمه ومعاجمه ، وعزم على أن يدرسه الطلبة فى سنتين فقط بدون التعرض للخواشى المعوقة المعطلة ، ووقع الاختيار على الشيخ الشريشى فندبه لهذه المهمة ولما كنهه رفض إذ وجد أن هذا العمل تكليف بما لا يطاق .

وتسامع الطلبة بالنزعة التجديدية التى قام بها الشيخ محمد عبده ، ووقفوا حيارى لا يدرون

ماذا يدرسون : (السعد) أم (جمع الجوامع) [١] فهرعوا إلى الشرشيمى يسألونه في ذلك ويستظلمون رأيه فأحالهم إلى الشيخ البشرى ، ليختار لهم أى الكتباين فيرضخ لأمره في الحال ، فذهب وأفدهم إليه ، وأبى إلا أن يدرس لهم (جمع الجوامع) ، واستدعى الشرشيمى وأمره بذلك ، فلما قال له الشرشيمى : « ولكن الشيخ محمد عبده كلّفنى بتدريس (السعد) أجابه محتداً : « اقرأ جمع الجوامع » ، فخرج من عنده وهو يقول في نفسه : « ذلك ما كنا نبغي » .

واستمر في عمله عدة أشهر التقى بعدها بالشيخ محمد عبده فسأله : إلى أين وصلتكم في (السعد) ؟ فأجابه بقوله : الشيخ أمرنى بقراءة (جمع الجوامع) فغضب الشيخ محمد عبده أشد الغضب ، وقال : « أنتم تملصون من أوامرى » وخرج من عنده فوجد جموع المتظاهرين من الطلبة فابتدروهم قائلاً : « لماذا تصرون على (السعد) شرحاً بلا حواشى ؟ » فأجابوه لأن الحواشى تعليم عقيم ، فقال لهم : ولكنى نشأت على هذا العقيم ؟ فلم يحيروا جواباً .

وطالت القطيعة بين الشيخ الشرشيمى والشيخ محمد عبده ، وفي ذات يوم التقيا وجها لوجه ، فابتسم الإمام لتلميذه وخصمه العنيد ، وما لبثا أن تعانقا وتصافحا وكأن لم يكن بينهما إلا الصفو المقيم والود الأكيد .

وقد انتقلت أنباء هذا الصراع الفكرى فى الأزهر بين القديم والحديث إلى خارج الأروقة ، وتناولت الصحف هذه الأنباء بالتعليق فى حذر ، مثال ذلك ما قالته « الأهرام » فى عددها الصادر فى ٦ مايو سنة ١٩٠٠ حيث تقول :

« ارتأى فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده ، بعد أن درس (بروغرامات) تعليم الأزهر وغيرها من (بروغرامات) الدروس ، إدخال تعديلات كثيرة على بروغرام الأزهر ، فقدم تقريراً بذلك وضمنه البروغرام الواجب التدريس بمقتضاه ، ومن أحكامه إدخال جميع العلوم من كيمياء وفلسفة وهندسة وغيرها ، ورفع هذا التقرير إلى السدة الخديوية

[١] ظل الشيخ الشرشيمى يدرس (جمع الجوامع) بالأزهر خمس سنوات ، وكانت كل مرة تستغرق خمس سنوات ، وإذن فقد تخرج على يديه خمسة أجيال وهى نسبة لم يظفر بها عالم من قبله أو من بعده .

فأحالتة إلى لجنة العلماء المؤلفة من ثلاثين إماما من أئمة الأزهر الأفاضل . فاجتمعت هذه اللجنة برئاسة حضرة المفتى ، لأن سماحة العلامة المفضل شيخ الأزهر الرئيس الشرعى لهذه اللجنة ترك رئاسة هذه الجلسة لفضيلة الشيخ محمد عبده ليكون أطلق في تأييد مبادئه الجديدة المعارض لها شيخ الأزهر ، فاجتمعت اللجنة المذكورة برئاسة حضرة المفتى ، وتباحث الأعضاء في بروجرامه ، فرفضوه بالإجماع تقريرا ، وتقرر تعيين لجنة منهم لوضع بروجرام آخر ، فانتخب أعضاءها ، واجتمعوا وقرروا البروجرام الواجب اتباعه ، المؤيد للتقاليد الأزهرية الشريفة مع إدخال بعض فروع من العلوم الواجب أن يلم بها الأزهريون ، ورفضوا بروجرامهم إلى اللجنة العليا المؤلفة من ثلاثين إماما فقررتة ورفعته إلى الجناح الخديوى للوافقة عليه ليكون العمل بموجبه ، والمتنظر أن يوافق عليه سموه في هذين اليومين » .

ولن ينسى طلبة ذلك الجيل أن أسدين كبيرين كانا يتنازعا بينهما ضفتى الأزهر هما الشيخان العالمان : عبد المعطى الشرشبي ودسوق العربى ، وكان لكل منهما مزاياه .

ولم يكن الشيخ الشرشبي ليقبل مطلقا التحضير لأحد الطلبة إلا إذا كان من تلاميذه الخالصين الناهجين نهجه . لهذا رفض التحضير للشيخ طه حسين الذى درس على أيدي كثيرين ومنهم الشيخ محمد الخطرى ، فلما تشكلت لجنة لامتحان وأريد أن يكون من أعضائها الشيخ الشرشبي رفض ، فأحيل إلى اللجنة الأخرى ، وقد خرج منها بعد أن أمطروه وأبلا من الأسئلة المسيلة للعرق .

وكان - عليه الرحمات - مع كهولته نشيطا غاية النشاط ، يؤمه في بيته الراغبون والراغبات في علمه الغزير ، معتزا على الدوام بكرامة علمه ، وكان من شعاره « من شرف الحاكم أن يقف بباب العالم ، وليس من شرف العالم أن يقف بباب الحاكم » . وكان في حديثه حريصا على المنطق ، يقرع الحججة بالحجة ، لا يفارقة هذا المنهج حتى مع المزارعين الذين كانوا يرهبونه حتى في غيبته ، وكانت له نظرة فاحصة في الرجال يعجز عن تقديرها أدق موازين النقد ، وقلمها كانت تحطأ نظرتة في الناس .

وكان إلى آخر لحظة في حياته ماما بالأحداث الجارية ، وكان أكثر ما يعنيه مدى انطباق الأمور الدنيوية على معايير الدين ، فكان يرى أن الباكستان يجب أن تلم باللغة

العربية لتتفهم عن طريقها تراث الإسلام الخالد وتلحق بركب الدول الإسلامية الشقيقة ،
وكثيرا ما كان ينهنا إلى الحقوق التي وضعها الإسلام للجار القريب والجار البعيد ، ويجبذ
الجمع بين القوة المسابحة والعمل بالشرع الحكيم حتى يعود للمسلمين ما سبق لهم من
مجد وعزة .

توفاه الله وهو نقي تقي زاهد ورع لا يغفل عن ذكر الله في الصحو واليقظة ، غيور
على الأزهر : قلعة الإسلام الحنيف ، يخف لزيارته - على الرغم من أعباء الكهولة -
من حين إلى حين ، ويحن إليه حنين الرضيع إلى أمه ، رحمه الله وأغدق عليه شأيب
رحمته ، وجزاه الله عن الأزهر وعلمائه خيرا ، وجعل الجنة مثواه مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ما

محمد محمود زيتون
الإسكندرية

حاخام

يشعر بالخلل لأنه يهودي

زار الحاخام الأمريكي ألمر برجر البلاد العربية وفلسطين وعاد إلى بلاده فأصدر كتابا
عنوانه « إسرائيل أكذوبة يجب أن تزول » .

ومما جاء في هذا الكتاب عند الحديث عن زيارة مؤلفه للبنان : إن لبنان آوت
لاجئين من اليهود أثناء الحرب الفلسطينية بلغ عددهم ثلاثة آلاف يهودي . وأعجب
الحاخام برحابة صدر لبنان ، وأدهشته هذه الساحة النادرة . ولكن عندما رأى اللاجئين
العرب كتب يقول :

« إنني أشعر بالخزي والعار . أشعر بالخلل لأنني يهودي . وأعلن بأعلى صوتي ، وفي كامل
قواي العقلية ، أن الصهيونية العالمية مجرمة في حق الإنسانية كلها ، وأنها صورت العرب
في صورة الوحوش الذين يأكلون البشر ، بينما الوحوش حقاً هم أنصار الصهيونية في كل
مكان » .

لغويات

اشترك محمد مع محمود

هذا الأسلوب مع اشتهاره منكر منذ زمان غبر . ذكره الحريري فيما يخطئ فيه الناس ، فتراه يقول في درة الغواص : « ويقولون : اجتمع فلان مع فلان فيوهمون فيه ، إذ الصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان ، لأن لفظ اجتمع على وزن افتعل ، وهذا النوع من وجوه افتعل - مثل اختصم واقتتل - وما كان أيضا على وزن تفاعل - مثل تخاصم وتجادل - يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد » . وحاصل الأمر في هذه المسألة أن الفعل إذا كان لا يقع من واحد فقد يذكر الفاعل المتعدد مثنى أو جمعا ، وهذا الضرب أمره ظاهر ، كما تقول : اختصم الرجلان ، واتفق الرجال ، وفي الكتاب العزيز : « هذان خصمان اختصموا في ربهم » . فإذا كان الفاعل مفردا وجب العطف ، وخصت الواو بهذا المكان ، فيقال : تخاصم خالد وسليمان ، ولا يصح الاختصار على أحد الفاعلين وذكر الآخر بعد مع ، فتقول : تخاصم خالد مع سليمان ، لأن مكان (مع سليمان) مكان الفضلة تأتي بعد تمام الجملة ، والكلام لم يتم بعد .

ونرى للشهاب الخفاجي في كتابته على الدرة تعقيبا على كلام الحريري ، فهو يقول في ص ٥١ : « في الحواشي : لا يمتنع في قياس العربية أن يقال : اجتمع زيد مع عمرو ، واختصم مع بكر ، بدليل جواز اختصم زيد وعمرا ، واستوى الماء والخشبة ، وواو المفعول معه بمعنى مع ومقدرة بها . فكما يجوز استوى الماء والخشبة كذلك يجوز استوى الماء مع الخشبة ، واستوى في هذا مثل اختصم ، فإن المساواة تكون بين اثنين فصاعدا كالاختصاصم . فإذا جاز في هذه الأفعال دخول واو المفعول معه جاز دخول مع ، كقولهم : استوى الحر والعبد في هذا الأمر » .

وترى صاحب الحواشي يلبي توسيع ما خطاه الحريري وتصويبه على تسويغ اختصم زيد وعمرا ، واستوى الماء والخشبة ونصب (عمرا) و(الخشبة) على المفعول معه . وقد أخطأ وجه الصواب فيما بنى وقدّر .

فالمثال الأول : (اختصم زيد وعمرو) نص النحاة قاطبة على امتناعه وحظروا أن ينصب (عمرا) على المفعول معه وأوجبوا فيه العطف ، والأمر في هذا أوضح أن يحتاج إلى سياقة نصوص من كلامهم .

وأما المثال الثانى : (استوى الماء والخشبة) فهو مثال صحيح للمفعول معه ، ويذكر مع ما يجب فيه النصب على المفعول معه ، وهو فى هذا من قبيل (سرت والنيل) غير أن الاستواء هنا ليس هو التساوى الذى لا يقع من الواحد ، بل المراد به أن يرتفع الماء حتى يحاذى الخشبة التى نصبت لمعرفة مقدار الماء ومنزلته منها ، والاستواء بهذا المعنى ينسب إلى الماء فقط ولا ينسب إلى الخشبة فإنها ثابتة مكانها لا تتحرك ولا ترتفع ، فقد خرج هذا المثال عن أن يكون مما نحن فيه . ويقول الشيخ يس فى كتابته على شرح الفاكهى للقطر فى الحديث عن وجوب نصب الخشبة فى هذا المثال : « لأن استوى ليس بمعنى استقام بل بمعنى ارتفع ، كما فى قوله تعالى : « ذو مرة فاستوى » . ولو جعل استوى بمعنى تساوى لا بمعنى استقام ولا ارتفع جاز العطف ، والمعنى : تساوى الماء والخشبة فى العلوى وصل الماء إلى الخشبة فليست الخشبة أرفع من الماء » . وقوله : « جاز العطف » يريد أنه لا يتمتع كما فى الحالة الأولى ، وعدم الامتناع هنا يراد به الوجوب . ويقول الأمير فى كتابته على الأزهرية : « اعلم أن معنى كونه مفعولا معه أنه صاحب الفاعل عند الفعل ، أعم من أن يثبت له الفعل أيضا ، وحينئذ يحسن العطف ، بكاء الأمير والجيش ، أو يثبت الفعل للفاعل فقط ، نحو استوى الماء والخشبة ، فإن الاستواء للماء فقط ، لأنه هو الذى كان منخفضا ثم ارتفع واستوى ، والخشبة ما زالت بحالها . فالمراد بالاستواء هنا الارتفاع ، على حد (واستوت على الجودى) . وليس المراد به التساوى الذى لا يكون إلا بين اثنين ، وإلا تعين رفع الخشبة على حد تشارك زيد وعمرو » . ويرى القارئ أن ما اعتمد عليه صاحب الحواشى على الدرة - ويبدو أنه ابن برى - موضع للمناقشة والطعن ، فما بناه عليه من جواز اجتماع زيد مع عمرو لم يسلم له ، فبقى كلام الحريرى سليما غير مخدوش .

وأعود إلى البحث فأقول : جاء فى الفاموس (جمع) : « وجامعه على أمر كذا : اجتمع معه » . ومثل هذا ما جاء فى اللسان : « وجامعه على الأمر : ما لاه عليه واجتمع معه » . فهل نرى فى هذا حجة لتسويغ الأسلوب الذى هو موضوع الحديث ؟ والجواب أن هذا لم يسند إلى العرب حتى يكون فيه الحجة ، وإنما هو من كلام اللغويين ،

وقد تقرر أن العلماء يحتاج في اللغة بروايتهم لا بكلامهم . على أن هذه العبارة قد توجه على أن يكون الاجتماع من جانب واحد . وذلك أن امرأيتهم امرأ ويعتزمه ويجمع عليه فيأني آخر ويجتمع معه في الرأي أى يوافقه ويشاركه ، وقد أشار إلى هذا المعنى كلام اللسان : « مالأه عليه واجتمع معه » . ونتيجة هذه المبالاة الاجتماع الذى يكون من الاثنين ، وهذا لم يقصد من العبارة اللغوية .

وجاء في اللسان (وفق) : « وقد وافقه موافقة ووافقا واتفق معه وتوافقا » . فقد جاء اتفق معه بازاء توافقا ، ويبدو أنه لا وجه هنا لارتكاب تأويل الاتفاق بفعل الواحد ، وقد سبق هذا على أنه من كلام العرب . وقد عرض الأستاذ أحمد العوامرى رحمه الله رحمة واسعة لهذا النص لحمله على الشذوذ ، وهو خلى أن يكون شاذاً إذ لم يعهد العرب جرت عليه في نظائر هذا المثال . ويحسن الرجوع إلى بحث الأستاذ العوامرى في مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٩ ج ١ .

وقد توفقت إلى رأى يميز هذا الأسلوب وهو رأى الكسائى . فقد جاء في الارتشاف لأبى حيان في مبحث عطف النسق : « وأجاز الكسائى وأصحابه اختصم زيد مع عمرو ، نابت مع مناب الواو ، ومنع ذلك الفراء » . والقارئ يرى أن الكسائى اعتمد على القياس ، فقياس مع على الواو ، ومع إنما تقاس بالواو التى هى نص في المعية بعد تمام الفعل بفاعله . ومما يلاحظ هنا أن قوله : « ومنع ذلك الفراء » أى من علماء الكوفيين ، فأما البصريون فأمرهم واضح ، وهو الإجماع على المنع .

على أنه لا مانع من الالتساء بالكسائى في هذا الأمر وهذا الأسلوب الذى ذاع حتى أصبح من العسير صد الكتاب عنه .

قلت لمحمد : اذهب إلى المنزل

يقطع الهمزة في اذهب في وصل الكلام كثير من الناس . وقد تسمع من يقول : يتلو عليكم الشيخ إسماعيل بعض آى الكتاب العزيز فيقطع همزة الشيخ ، وقد يقول قائل : تلقيت اليوم الكتاب الفلانى بهمز الكتاب في الوصل وعدم الوقف . وهذا لا يجوز في العربية ، فهمز الوصل لا يلفظ به في الوصل ويجب سقوطه في الدرج ، واقرأ قوله تعالى : « وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا » .

وقطع الهمزة في مثل هذا لا يعرف إلا في ضرورة الشعر ؛ كقول جرير :

ألا إنما العكلى كلب فقل له إذا ما اعتوى إخساً وألق له عرقاً

العرق : العظم أكل لحمه - . وفي طبقات الشافعية ٢٩٤ / ٤ :

فأجبتهم : المرء ما لم يتعظ بالوعظ غر

وجاء في تفسير القرطبي هند قوله تعالى : (قالوا الآن جئت بالحق) : « وحكى الأخفش : (قالوا الآن) قطع ألف الوصل ؛ كما يقال : يا الله » . وهذا القياس لا وجه له ؛ فان للفظ الجلالة خصائص في العربية منها قطع همزته في النداء والقسم ، ويرى أبو على الفارسي أن ذلك لأن أل فيه عوض عن همزة إله المحذوفة وقيل غير ذلك . ويبدو أن وجه هذه القراءة التي حكها الأخفش - وهي قراءة شاذة - هو قصد حكاية الجملة التي فيها المحمزة ، فان الكلام الذي صدر منهم كان في الابتداء وهو يكون : الآن جئت بالحق . وكذلك في قولك : قلت له : اذهب إلى المنزل ، فالذي صدر مني في ابتداء الكلام ، وهو يكون : اذهب إلى المنزل بالهمز . وليس معنى هذا أن قصد الحكاية سائغ لنا فنصح به ما يجري على ألسنة الناس فان هذا الاعتبار ألغته العرب وعملوا على خلافه .

عبد الكريم

يقول العامة : عبد الكريم بكسر الكاف . والمعروف في كتب الصرف أن كسر الفاء للعين إنما يكون إذا كانت العين حلقية نحو شعير وبعير وصغير ونخذ ومحك . فأما إذا كانت العين غير حلقية فلا يجري هذا الإتيان ، وقد جاء في آخر الرحبية الفرضية :

وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم

فقال الشنشوري شارحها بعد قوله : الكريم : « بفتح الكاف . قال العلامة سبط المارديني رحمه الله تعالى : على الأفصح ، ويجوز كسرهما . وهو نقيض اللثيم » . وكتب الشيخ الباجوري في الحاشية : « قوله : ويجوز كسرهما فقول الناس : عبد الكريم بكسر الكاف ليس لنا : لأن الكسر لغة في الكريم . ومثله ما كان على وزن فاعيل كشریف وكبير » . وانظر ما سند المارديني في كسر كاف الكريم . ثم ما وجه القياس الذي ذكره الباجوري وجعله عاما في كل ما كان على وزن فاعيل ؟ ويلاحظ أن الأمر لا يخص بوزن فاعيل ، فقد رأيت مجيء الإتيان في نحو نخذ ومحك . وقد أتى المارديني والباجوري من فشو لسان العامة فظننا أنه يجري على إرث من العربية ما

شرعة البذل والإنفاق

البذل - كما يستفاد من كتب العربية - هو الإعطاء والإنفاق ، ويوصف الكرام بأنهم « مباذيل للمعروف » أى يكثر منهم فعل الخير وتقديم المعروف ، ويقول العربى : سألته فأعطانى بذل يمينه ، أى ما قدر عليه ، وهذا يدل على أن البذل يفيد المعاونة بكل ما يستطيع

ولو أننا سميننا الإسلام الحنيف بأنه شرعة البذل والإنفاق والإعطاء لما بعدنا فى اختيار الأسماء ، لأن هذا الدين قد نهض وقام على التعاون والتضامن والبذل ، والله عز وجل يشتري من المسلم - حين يسلم - كل ما يملك من نفس ونفيس ، فى مقابل رضا عنه ، وتوفيقه له ، وإنعامه عليه : « ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » ، « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » . والله الخيرة حينئذ فى نفس المسلم ونفائسه ، فهو يدعو إلى مواطن البذل والتضحية والفداء ، وليس للمسلم إلا أن يسارع ويستجيب ، لأنه قد باع نفسه لربه ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته . . .

وكلمة البذل يقاربها فى المعنى والدلالة كلمات ، منها : الإحسان ، والإعطاء ، والمعاونة ، والتصدق ، والإنفاق ، ومن العجيب أن الإسلام الحنيف ممثلاً فى كتابه المجيد « القرآن » وسنة رسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، قد عنيا بالحث على هذه الألوان المتقاربة من وجوه البذل وتقديم الخير إلى الناس ، وكأن الحث على كل لون منها يؤكد الحث على قرينه القريب منه ، وبذلك تتلاقى صور الحث على هذه المعانى المتقاربة لتريدنا يقيماً بأن الإسلام هو دين البذل والإنفاق .

هذا هو « الإحسان » ، نرى القرآن الكريم يدعو إليه ويحث عليه فى كثير من الآيات كقوله : « وأحسن كما أحسن الله إليك » ، « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » ، « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » ، « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . ! .

والإحسان - كما يقول الراغب في مفردات القرآن - على وجهين : أحدهما الإنعام على الغير ، يقال : أحسن إلى فلان ، والثاني إحسان المرء في فعله ، وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسنا ، والإحسان فوق العدل ، لأن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ما له ، والإحسان أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ! .

وهذا هو « الإعطاء » . . . يبحث القرآن الكريم عليه ، ويرغب فيه ، فيقول : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » ويحذر من ضده وهو البخل ، ويتوعد عليه ، فيقول : « وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى » ! .

وهذه هي « المعاونة » ... يدعو القرآن إليها ويحض عليها وينفر من ضدها ، فيقول : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

وهذا هو « التصديق » . . . يدعو القرآن إليه ، ويحجده في آيات كثيرة كقوله : « يحق الله الربا ويربى الصدقات » ، « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم » .

والصدقة - كما يحدد الراغب - ما يخرج به الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة ، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به ، والزكاة للواجب ، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله ، قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال : « إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

وهذا هو « الإنفاق » ... إن له حديثه العاطر المستفيض في القرآن المجيد ، والإنفاق قد يكون في المال وفي غيره ، وقد يكون واجبا وتطوعا ، ومن آيات الحث على الإنفاق قوله عز من قائل : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين » ، « وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ، للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » ، « آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ،

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير» ، « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

* * *

وكما يدعو الإسلام ممثلاً في القرآن الحميد إلى البذل والإنفاق بهذا الأسلوب الرائع الدافع ، نراه يحارب البخل والإمساك محاربة شديدة ، لا هوادة فيها ولا لين . فيقول : « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وأتم الفقراء ، وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم » ، « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » .

ونرى القرآن الكريم يقدم إلينا بعض الصور لخيار الباذلين المنفقين ، فيصفهم بأنهم الذين يسارعون إلى الخيرات والإنفاق بلا من أو إبداء ، ويقدمون المعاونة للمحتاجين بلا انتظار لأجر أو شكرا ، فيقول عن عباده الأبرار : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قطاريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً » ! .

وننتقل من فردرس القرآن الكريم إلى روضة السنة المطهرة ، فاذا فيض كريم عظيم من الحث على البذل والإنفاق والتصدق ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على الصدقة فيقول : (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء) ، ويقول : (أهل الجنة ثلاثة : سلطان مقسط (عادل) ، ورجل رحيم القلب بكل ذي قربى ومسلم ، ورجل غني عفيف متصدق) ويقول : (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفاً) ، ويقول : (الساعى على الصدقة بالحق كالجاهد في سبيل الله) ! .

وتتسع دائرة النفقة والصدقة في نظر السنة النبوية الكريمة اتساعاً فسيحاً رحباً ، حتى تشمل كل صورة من صور الخير والبر ، فنجد الرسول صلوات الله عليه وسلامه يقول : (كل معروف صدقة) ، والمعروف - كما يذكر ابن الأثير في النهاية - اسم جامع لكل

ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما تدب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ، وهو من الصفات الغالبة ، أى أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه ، والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس ، والمنكر ضد ذلك جميعه .

وعلى هذا قد يكون المعروف المبذول أو المنفق مالا ، أو طعاما ، أو ثيابا ، أو سكنا ، أو دما ، أو دواء ، أو جهدا ، أو إرشادا ، أو كلمة طيبة ، أو غير ذلك ؛ وقد ضرب الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم أمثلة من هذا المعروف ، وخصص فى بعض هذه الأمثلة ، وعمم فى البعض الآخر ، فقال مثلا : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا » ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » . وهذه رواية الشيخين والترمذى ، وفى مسند الإمام أحمد : « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فانه معنا » أى معنا فى الجهاد . ويقول : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم » . أى فالواجب على القاعدين عن الخروج إلى القتال أن يرفعوا شأن هؤلاء النساء ، وأن يتعهدوا أمورهن كما يتعهدون أمور أمهاتهم ، وفى مقدمة ذلك بطبيعة الحال بذل كل ممكن فى سبيل هؤلاء .

وفى حديث عمر المرفوع الذى يرويه الطبرانى : « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجته » ... ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمنة كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه » . ويقول : « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم » . ويروى ابن رجب الحنبلى هذا الحديث (فى كتابه جامع العلوم والحكم ، ص ٢٤٥) هكذا : « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله من خضر الجنة » !! .

* * *

وإذا راجعنا تاريخ المسلمين - وبخاصة تاريخ الصدر الأول منهم - نجده عامرا

بموافق البذل والإنفاق والتضحية ، ونجد مئات الأمثلة التي يظهر فيها أبناء الإسلام كراما مبادئ أصحاب فداء وإيثار ، وطلاب خدمة عامة للناس ، ولقد كانت أريحياتهم تتألق في مواطن الشدة والبأس ، ففي غزوة تبوك التي كانت في عسرة من الناس ، وجدب في البلاد ، وشدة من الحر ، مع بعد الشقة ، وقسوة الزمن ، وكثرة العدو ، نرى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ينفق نفقة كبيرة في سبيل الله ، فيجهز عشرة آلاف مقاتل ، أنفق عليها عشرة آلاف دينار ، غير ما قدم من الخيل والإبل والزاد وما يتعلق بذلك ، وعندها قال النبي صلوات الله عليه : « اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض » . وفي رواية : « اللهم ! عثمان رضيته عنه ، فارض عنه » . وكذلك جاء عثمان بألف دينار فصبتها في حجر النبي ، فغفل النبي يقلبها ويقول : « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » . ويكرر ذلك ، وفي رواية : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة ، ما يبالي ما عمل بعدها » .

وجاء أبو بكر رضى الله عنه في غزوة تبوك بأربعة آلاف درهم ، وهى كل ماله ، وهى كل ما يملك في دنياه ، فقال له الرسول : فماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله !! ... وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله ، كما تبرع عبد الرحمن ابن عوف ، والعباس ، وطلحة ، رضوان الله عليهم بأموال كثيرة ... حتى النساء ... بعثت كل واحدة منهن بما قدرت عليه من مالها أو حليها ، ولستنا نتتبع المواقف بالاستقصاء ، وإنما نصرب أمثلة لقيض كبير من مواقف البذل والإنفاق في تاريخ المسلمين الأولين الذين هانت في أعينهم الدنيا بمتاعها وزخرفها وأموالها ، بخادوا بها في سبيل الله ، ولعمرون عباده ! .

* * *

هذا هو هدى الإسلام الكريم ، وهو هدى العقل السليم والروح القويم ، لأنه منهاج التعاون على الخير والبر ، والتكافل في اليسر والعسر ، والمشاركة الوجدانية في البأساء والنساء . . . وإنما تعلو الإنسانية بالإنسان إذا أحس بروح الجماعة ، وشعر بعاطفة الارتباط الوجداني بينه وبين الناس ، ثم ترجم هذه العاطفة إلى تضامن فعلى وتعاون على بينه وبينهم . . . يعطيهم ويأخذ منهم . . . يعينهم ويستعين بهم . . . يقدر فيبذل لهم الفضل من قدرته حين يحتاجون ، ويعجز فيبقى منهم خير الجزاء وهم قادرون ، وهكذا لابد للإنسان من الإنسان في هذه الحياة :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض - وإن لم يشعروا - خدم !
وإن أحق الناس بهذه المشاركة الوجدانية والمعاونة الفعلية هم إخوان الإنسان ،
الذين يشاركونه الوطن والسكن ، والعقيدة والهدف ، والرأى والشدة ، والآمال والآلام ،
والأقربون أولى بالمعروف ، وإلزار أولى بالجار ، والمسلم للمسلم كالأبنان يشد بعضه بعضا ،
كما قال الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ! ...

وإن أحق هؤلاء الإخوة في الله والوطن بالمعاونة والبذل والرعاية هم الذين نابتهم نائبة ،
أو أملت بساحتهم كارثة ، في موطن من موطن البأس ، أو ساحة من ساحات الجهاد ،
أو مقلب من مخابل الفقر والاحتياج ... وكلما زاد موطن الابتلاء أو سبب الاحتياج
سموا وشرفا ، زاد البذل لصاحبه في العلو والارتقاء ! ! ...

وبعد ، فهل من المروءة في شيء أن تنعم أنت وتنتفع بينما أخوك المكسوم يشكو
ويتوجع ؟ ... أمن الدين في شيء أن تسمع قول ربك عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة »
ثم تضيع حقوق إخوانك الذين نالهم البلاء والضراء ، وقد يكون ما نالهم من أجلك وأجل
بلادك ؟ ... أمن الوفاء لرسولك صلى الله عليه وسلم أن تسمع قوله : (مثل المؤمنين في
نوادهم وتعاطفهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالسهر والحمى) ثم لا تتحرك همتك بالبذل للصائين ، أو معاونة المنكوبين ،
أو إغاثة الملهوفين ، أو الإحسان إلى المحتاجين ؟ ! ...

هل من الإيمان في شيء أن تبيت ممثلا متخوما وبارك ساغب جوعان ؟ ...
أو أن تحيا كاسيا مترفا وأخوك في الله والوطن عريان ؟ ... أو أن تعيش سعيدا هائلا
وأخوك في نصب وشقاء ؟ ... فأين إذن أحفاد الأوائل من أبناء الإسلام الذين قال فيهم
ربهم عز من قائل : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ،
ولا يجردون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ،
ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ؟ ! .

أيها المسلم ... تذكر على الدوام قول خالكك ورازقك : « من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط ، وإليه ترجعون » ! ...

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

بورسعيد

يا « بورسعيد » ملكة ناصية الملا
وفتحت بابا للفداء وللبطو
ووقفت في وجه الحوادث وقفة
ورفعت للغازين رأسك كلما
وبنيت حاضر مصر بالدم والعظا
وحملت أجداد العروبة كلها
لولا انقطاع الوحي من عهد النبي

* * *
لديك مجدا في رباك تأملا
كم أشعلت نارا ، ودكت منزلا
يأبى عليها الغدر أن تتعقلا
ب على لظاها ، والمريض بها اصطلا
ص ، وكم رصاص الغدر أردى أعزلا
قصف المدافع هادما ومزلا !!

* * *
همجية أحيت عهود الغاب : بل
ورواية نارية (نيرون) كا
ومذابح تسترية لو أن (جنـ
وفظائع وحشية لو أن ظهـ

* * *
هذه المأسى : ما ثلت يا بورسعيد
كم من شجاع فيك صلصل سيفه
ولكم فدائى تبسم لنا
ولكم أبى منك أرخص نفسه
حتى فئاتك : قد تحلت بالسلا
وتسربلت بملابس الميدان وانـ
ومضت إلى الهيجاء ترمى بالرصاص

سد عناد شعبك ، بل مضى واستبسلا
فارتاع سيف الغدر ساعة صلصلا
يا العاصيات ، وللتغوف تهلا
ونفيسه ، والموت في فمه حلا
ح وطلقت كل الجواهر والحلى
ستزعت عن الجسم الرقيق الخملا
ص عدوها فتصيب منه المقتلا

وروايح البارود صارت عندها أشهى من العطر الزكى وأجملا ! !

* * *

« يا بور سعيد » : ومنك كل عزيمة
دهت الخطوب فوادحا فحملتها
ووقفت للعدوان وقفة مؤمن
قاتلت في ثقة وتصميم : فلم
والله حولك كان يبسط ظله
رحماته نزلت عليك ، فهونت

* * *

يا مصر ، هذى « بور سعيد » : قصة
هى قصة الأحرار يوم تسابقوا
هى قصة الجيش الشجاع الحر أوف
هى قصة الشعب الأصيل مضى إلى
هى قصة القومية العربية اذ
هى قصة الحرية انطلقت من الـ
قولوا لإيدن : ليس بدعا أن فشلـ
صفعت قفاك يد العروبة : فانتقم
ورمتك مصر نخرت نجمك آفلا
ونجوم الاستعمار مهما تلتمع
يا مصر جيش الظالم الباغى انحنى

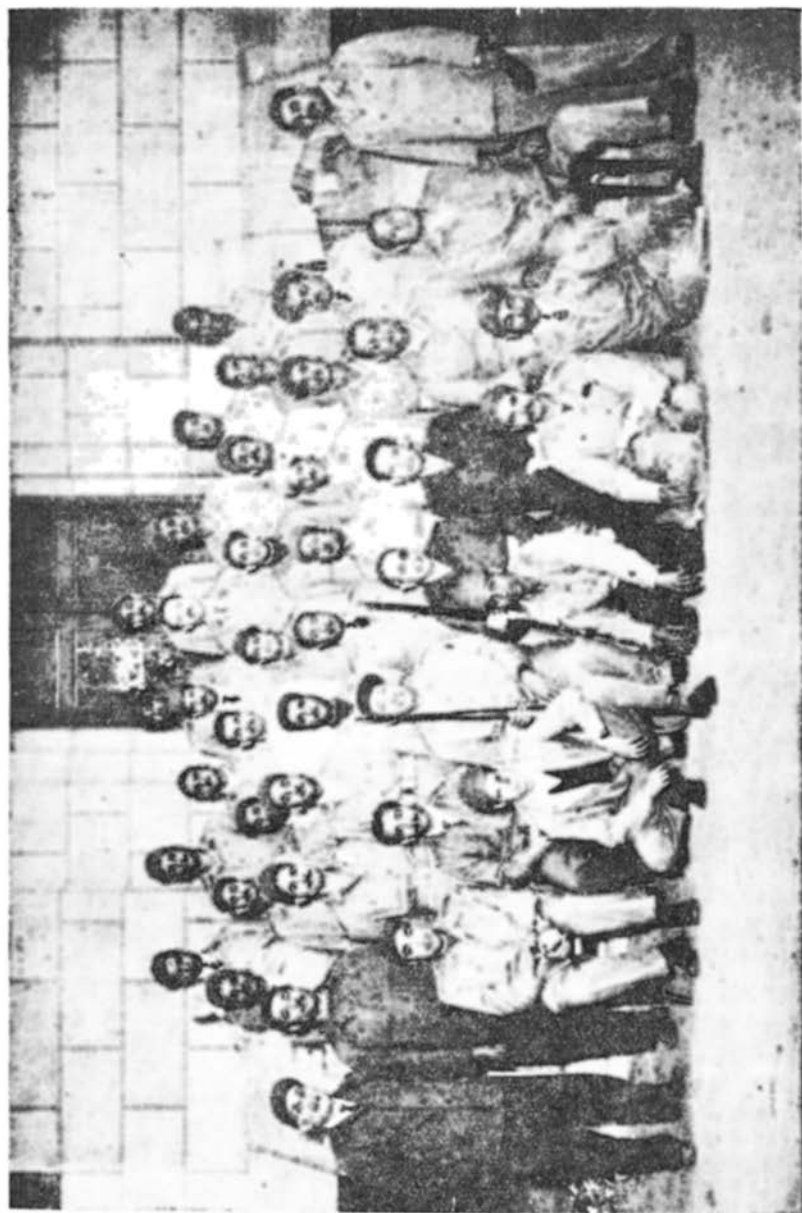
* * *

جيش العدو جلا ، ولكنى أرى
فتوقى يا مصر عودة غدره
لا تخدعى بهدونه ، فلطالما
وتيقظى ، لا تغفلى إن الذى
وضعى أصابعك الشداد على الزنا
وترسى يا مصر خطو (جمالك) الـ

خطر العدو على العروبة ماجلا
فالغدر فى طبع العدو تأصلا
كان الهدوء إلى العواصف مدخلا
ترعى الأفاعى حوله لن يغفلا
د ، وأمنى غذك العظيم المقبلا
بطل الشجاع لتباغى أوج العلا

ابراهيم على بربوى
وكيل معهد طنطا

أطباء الوحدة الطبية الأزهرية وموظفوها في خدمة الوطن والمواطنين



الوحدة الأزهرية الطبية

ومستشفى الجامع الأزهر

١ - تعتبر الوحدة الطبية مفخرة من مفاخر الأزهر وعنوان تقدمه ، والأداة الفعالة في النهوض بالناحية الصحية إلى المستوى الذى وصلت إليه بفضل المجهود المتواصل الذى يبذله القائمون على هذه المؤسسة ، والعناية التامة التى يضطلع بها الجميع من أطباء وصيادلة ومساعدين وموظفين .

ونظرة عابرة من تاريخ إنشاء الوحدة سنة ١٩٤٧ إلى الآن تدل دلالة واضحة على الخطوة الواسعة التى خطتها خلال هذه السنوات ، مما ينطق بتلك الهمة المشكورة التى أسهم فيها الجميع . وليس أدل على ذلك من الجداول التى تحدد الإحصاءات الكبيرة والحالات الكثيرة المختلفة التى باشرت بها الوحدة وأظهرت فيها نتائج طبية حاسمة تذكر لها بالفخر .

٢ - العيادة الخارجية :

يتردد عليها عدد كبير من المرضى يباشرهم فيها أطباء إخصائيون فى جميع الأمراض بجميع أقسامها المختلفة ، وهى الأمراض الباطنية والجراحية والأذن والأنف والحنجرة والأمراض الجلدية والرمد والأسنان والأمراض المتوطنة والأمراض النفسية والعصبية وقسم الأشعة وقسم التحاليل .

٣ - القسم الداخلى :

وتحول إليه الحالات المهمة التى تحتاج إلى عناية ورقابة دائمة ، أو الحالات التى تستدعى إجراء عمليات جراحية ، وتباشر على يد أمهر الأطباء الإخصائيين ، ويظل المريض تحت إشراف دائم من الأطباء المقيمين والأطباء العاملين حتى يتقرر خروج المريض بعد شفائه . وقد زاد عدد الأسرة إلى ٥٠ قابلة للزيادة ، وتصرف لمرضى القسم الداخلى الأغذية اللازمة طبقاً لما يقرره الطبيب وبموجب حالة كل منهم ، فهناك مرضى يصرف لهم غذاء

كامل ، وآخرون يصرف لهم غذاء إضافي ، وفئة أخرى يصرف لهم غذاء بسيط أو غذاء سائل ، وهكذا ...

٤ - المعمل ويقوم بإجراء جميع أنواع التحاليل الطبية والبكتريولوجية ، وعمل مزارع للنماذج التي تفحص فيه ، ويقوم بها مساعدون فنيون تحت إشراف طبيب إخصائي ، وتحول إليه حالات من جميع أقسام العيادة الخارجية والقسم الداخلي ، ويعتبر هذا امتكالا لتشخيص أنواع المرض وفحص المرضى حتى يمكن تحرى الأسباب الصحيحة للداء الذى يشكو منه المريض .

٥ - الأشعة :

وتقوم بتصوير الأجزاء التى تشكو من مرض عضال قد يختلف فيه الأطباء ، فتظهر أسباب المرض جلية واضحة . ويقوم بالعمل فى هذا القسم مساعد فنى للأشعة تحت إشراف طبيب إخصائي . وتنقسم إلى أشعة أفلام وأشعة نظرية وعلاجية وأجهزة لرسم القلب الكهربائى .

٦ - الصيدلية :

تقوم بالتحليلات ، وتركيب وإعداد الأدوية ، والحقن ، والمستحضرات الطبية المختلفة للعيادة الخارجية والقسم الداخلى بكل دقة وعناية رغم زيادة الضغط والازدحام الشديد الذى تلاقيه من جراء العدد الكبير الذى يقوم بصرف الأدوية يوميا بدون انقطاع .

٧ - الأعمال الإدارية والكتابية :

وهى كثيرة ومتشعبة بالرغم من قلة الأيدى العاملة ، ونذكر من هذه الأعمال على سبيل المثال لا الحصر : المخزن ودفاتر العهد والخصم والإضافة وتسلم الأغذية الجافة والطارئة وتحرير كشوف الأغذية اليومية والشهرية طبقا للنظم المقررة فى توزيع الكميات اللازمة لكل حالة من الحالات المرضية ، وتحرير كشوف ماهيات الموظفين والمستخدمين ومكافآت الأطباء المعيّنين بالمكافأة ودفاتر إجازات الموظفين ودفاتر قيد المصادر والوارد والأرشيف والدوسيهات والملفات الخاصة بالموظفين والخدمة وغيرها من المواضيع المختلفة ، وإجازات الطلاب وتحويلهم من بعض الجهات والمستشفيات الأخرى لعلاجهم

من الأمراض المستعصية كالبلهارسيا والإنكستوما ، وأعمال المناقصات العامة والمحلية والمشتريات . وهذه العمليات كانت تبشرها إدارة الأزهر وأسندتها إلى الوحدة .

الوحدة في صفوف الجهاد

وعند ما قام الطغاة يريدون شرا بهذا الوطن ، وأذن المؤذن بحجى على الجهاد ، كانت الوحدة الطبية الأزهرية في الطليعة ، وتطوع جميع أطبائها وموظفيها ومستخدميها - وعلى رأسهم السيد الدكتور حسن أبو السعود مدير الوحدة وكبير أطبائها ، والسيد الدكتور يوسف محمد عيد وكيلها - في كتائب الحرس وجيش التحرير ، في الوقت الذي أصدر فيه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر قرارا بأن تقوم الوحدة بخدمة المواطنين ليلا ونهارا حسب النظام الذي يضعه مدير الوحدة في هذا الشأن ، وقد استقبلت الوحدة واستضافت عشرات الآلاف من كتائب جيش التحرير والحرس الوطنى من ضباط وجنود ، وقامت بعلاج الآلاف من هؤلاء المواطنين من فحص وتشخيص وصرف أدوية وإجراء عمليات جراحية كبيرة ، كما وضعت الوحدة مشروعا لعمل مركز دائم لنقل الدم بها حتى تكون على أتم الاستعداد .

والوحدة - إذ تفخر بهذه الجهود الموفقة - تشعر بأنها قد أدت رسالتها الإنسانية والطبية والوطنية على الوجه الأكمل ، كما تضرع إلى الله تعالى أن يكلا هذا البلد برعايته وتوفيقه ، وأن ينصره على القوم الظالمين تحت قيادة رجل الوطنية الأول الرئيس جمال عبد الناصر ما لإدارة الوحدة الطبية

الخمرة

ديب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من ديب العقارب
عدوة لب سلت السيف واعتلت به القوم إلا أنها لم تضارب
تعوى الفتى من ثوبه وهو غافل وتوقع حرب الدهر بين الأقارب
أبو العلاء المعرى

الصلة بين الاسلام والقومية العربية

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر مع مندوب مجلة (لايف) الأمريكية

اتصلت إدارة العلاقات العامة في مصلحة الاستعلامات بمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ، ورجت تحديد موعد للصحفي الأمريكي المستر كيف ميلر مندوب مجلة لايف الأمريكية لمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر ، وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر على التصريح له بمقابلته يوم السبت الموافق ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٥٦ .

وحضر الصحفي لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ومعه مندوب مصلحة الاستعلامات ، وصرح بأن مجلة لايف الأمريكية أوفدته إلى بلاد الشرق الأوسط لعمل دراسة عن القومية العربية ، وأنه زار سوريا ولبنان والأردن والعراق ، وسيزور السودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، ورغب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يتحدث عن الصلة بين الإسلام والقومية العربية ، وإلى أى مدى يقود الإسلام ويوجه القومية العربية .

وقد تحدث إليه فضيلته فذكر أن القومية العربية صلة كصلة النسب والقراية التي تجمع بين الأخوة وأبناء العمومة ، لأن الشعوب العربية يرتبط بعضها ببعض بصلات القراية ، وتجمعها أصول مشتركة ، وهناك بعد هذا صلة روحية تحكم هذه الصلة وتهيمن عليها ، وهى رباط الإسلام الروحي الذي يعتبر أقوى من صلة القومية ، لأنه منها بمنزلة الروح من الجسد ، والروح هى التي تسيطر عليه ، وهو أيضا أوسع وأشمل من رابطة القومية العربية التي تقتصر على البلاد العربية ، لأنه يدخل فيه مع هذه البلاد غيرها كالأفغان ، والباكستاني ، وأندونيسيا ، والملايو ، وأجزاء من الهند والصين وغيرها من البلاد الآسيوية والافريقية ، ويدخل فيه المسلمون في أوروبا وكل من ينتمى إلى الإسلام .

وأهم دليل على أن هذا الرباط الروحي أقوى من صلة القومية ، أنه إذا خرجت جماعة أو دولة من العرب على ما يقتضيه الرباط الروحي ، فإن الصلة الأخرى لا يكون لها أثر أو اعتبار حينئذ في موقف باقي الشعوب العربية تجاهها . كما أن الإخوة من النسب إذا ارتكب أحدهم ما يثين أو ما يناقض المصلحة ، فإنه لا تمنعهم صلة الأخوة من الإنكار عليه .

وأقرب مثل لذلك موقف حكومة العراق في خروجها على ما يقتضيه رباط الإسلام الروحي، فإن شعوب العرب جميعها - وفيهم شعب العراق نفسه - تقف في وجه هذه الحكومة، وتعلن تبرؤها منها وإنكارها لموقفها، ولا يتمتعها من ذلك صلة القومية والجنس، لأن الرباط الروحي أقوى وألزم.

وتسأل الصحفي قائلاً: إن ما قامت به العراق وهو إنشاء حلف بغداد عمل سياسي، فكيف يعد نقضاً للإسلام، ومن الذي يقرر هذا؟

فأجاب فضيلته مبيناً أن الإسلام دين عقائد ونظم تشريعية وسياسية وقوانين، فهو ينظم علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الأفراد والجماعات والأمم بعضهم مع بعض، وفيه القوانين المدنية والجنائية، والقوانين التي تحكم العلاقات بين الدول الإسلامية وبينها وبين غيرها من الدول في زمن السلم وفي زمن الحرب. وخروج إحدى الدول على ما تفرضه هذه القوانين يكون خروجاً على الإسلام ونقضاً لرباطه الروحي، وإن من مبادئ الإسلام وسياسته الحكيمه أنه يأمر بما فيه صالح الأفراد والجماعات، فتي كانت هناك مصلحة عامة للبلاد العربية في أمر من الأمور، ولم يكن هذا الأمر يتعارض مع أصل من أصول الإسلام، فالدين يأمر بالأخذ به، ومخالفته تكون نقضاً لتعاليم الإسلام. والذي يقرر كون أمر من الأمور يقتضيه الصالح العام هم أصحاب الشأن فيه، وهم في مسألتنا غالبية الدول العربية وشعوبها التي اتفقت كلمتها على ضرورة تأكيد الوحدة بينها ونصرة بعضها بعضاً، وعلى أن ما تقوم به حكومة العراق هو تفتيت لهذه الوحدة، وإعانة لأعداء العروبة والإسلام من الطغاة المستعمرين على البلاد العربية نفسها وعلى غيرها من بلاد الإسلام ودول الشرق. وبيان أحكام الدين في هذه المسائل وغيرها مطلوب من أئمة الدين وعلمائه في مصر وغيرها من بلاد العروبة والإسلام.

وسأل الصحفي: هل أصدرتم بياناً تعلنون فيه استنكار موقف حكومة العراق؟

فأجاب: نعم أصدرنا أنا وإخواني العلماء بياناً في هذا الموضوع منذ حوالي ثمانية عشر يوماً.

وسأل الصحفي: هل هناك في هذا البيان وأمثاله أحكام بطرد شخص أو دولة على نحو قرارات الحرمان التي تصدرها الجهات الكاثوليكية.

فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر: إن هذه البيانات إنما هي من قبيل الإرشاد إلى الحق والخير، والتمييز بين الصحيح والفاسد، وتبصير الناس بمواطن الزلل والخطر، ليتجنبوها

ويأمنوا شرها ، وتوجه لهم إلى الطريق المستقيم الذى يدعو إليه الدين ، وليس هناك فى الإسلام من يملك سلطة من السلطات الإلهية ، ولكن أمر الإسلام مبنى على الهداية والإرشاد والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى سلوك سبيل العدل والمصلحة والسلام .

وعند ذلك ذكر الصحفى أنه يحرص على تقديم فكرة واضحة للناس فى بلاده عن القومية العربية ، نظرا لأن لديهم فروضا ومخاوف من هذه القومية وما يجر إليه تسكتل العرب وتأثير الإسلام من إيجاد التعصب ضد غيرهم من الأمم ، وأنه يرغب فى أن يسمع رأى فضيلته فى هذه الفروض والمخاوف . فبين له فضيلة الأستاذ الأكبر أن الإسلام معروف بأنه دين التسامح ، وأنه مبنى على البر والعدل والإحسان ، ولا يعتبر الإسلام مجرد الاختلاف فى الدين سببا للتنازع وإثارة العداوة والشحناء بين الأمم والطوائف ، وهو يحرم على الأمة الإسلامية أن تبدأ بشن حرب عدوانية على غيرها لأنهم كفار أو ملاحدة ، وهو يقول : « ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ويأمر المسلمين فى حالة اعتداء غيرهم عليهم أن يراعوا الحرمات الإنسانية وهم يصدون هذا العدوان عن أنفسهم ، فخرم عليهم أن يقتلوا طفلا أو امرأة أو شيخا ، أو يقطعوا شجرا أو يحرقوا زراعا فى بلاد أعدائهم مع كونهم هم البادئين بالعدوان ، تأكيداً للبادئ الإنسانية ونفى كل معنى للعدوان .

والإسلام لا يمنع المسلمين من أن تكون بينهم وبين غيرهم من الأمم والشعوب علاقات تعاون وصداقة ، ما دامت مبنية على الحق والعدل ، ويأمرهم بمراعاتها والوفاء بها . قال تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » ولكنه ينهاهم إذا اعتدى أحد على بلد من بلاد الإسلام ، أو أخرج أهله من ديارهم ، أو عاون غيره على إخراجهم ، أن يكون بينهم وبين هذا الذى اعتدى على إخوانهم مودة أو صداقة أو تعاون ، قال تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » بل إنه يأمر المسلمين بمدافة هذا العدوان ، والتسكاتف على صده ، وألا يدخروا وسعا أو تضحية مهما عظمت ، فهو يدعوهم حينئذ إلى القدائية ، وبذل أرواحهم فى سبيل حماية دينهم وإخوانهم وبلادهم .

وعند ذلك انصرف الصحفى شاكرًا لفضيلة الأستاذ الأكبر سماحه له بالمقابلة وإعطائه هذا البيان الواضح ، ليعرضه على قراء مجلته التى توزع خمسة ملايين ونصف مليون نسخة ما

برقية النجف إلى الأزهر

استنكارا لوحشية أعداء الإسلام والإنسانية

نجف - العراق في ٢٠ / ١١ / ١٩٥٦

صاحب السماحة شيخ الأزهر .

محافل النجف الأشرف الدينية تعج صارخة إليه تعالى بدعائها لإنقاذ مصر المسلمة ، وتبتل له ليأخذ بناصركم ويرفع لواءكم ، والقلوب تقطر دما من الاعتداء الصارخ الذي تقوم به وحشية أعداء الإسلام والإنسانية ، والمسلمون في جميع البلاد يد واحدة في شد أزركم .
(عميد كلية متدى النشر)

برقية الاستاذ الأكبر

إلى نخامة رئيس الجمهورية السورية

في الإشادة بخطابه السياسى على جند الفتوة العربية

نخامة السيد الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية - دمشق
خطابكم السياسى الرائع سياج منيع للروح الوطنية السورية ، يحفظ قوتها ويحمى كرامتها . وهو آية عظيمة الدلالة على العمل الضخم الذى يقوم به الشعب السورى في سبيل الوحدة العربية ، والقضاء على مكاييد الاستعمار .
وإن لهذا الخطاب البارع أثره البالغ في تقوية روح المجاهدين من أجل الأهداف السكريمة والغايات النبيلة .

حيا الله الشعب السورى ، وحيا الله قائده رئيس جمهوريته البطل العظيم ، ووفق زعماء العرب لخدمة الوحدة القومية ، وما فيه عزة الإسلام . شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

وقد أرسل نخامة الرئيس البرقية التالية إلى فضيلة الاستاذ الأكبر :

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة
أبعث لفضيلتكم بخالص الشكر على برقيتكم السكريمة ، وما تضحمت من عاطفة عربية خالصة وشعور قومى سام ، سائلا المولى أن يأخذ بيدنا جميعا لما يحقق مجد العرب وعزهم ومنعتهم ، وأن يهدينا سواء السبيل .
(شكرى القوتلى)

جهاد الأزهريين بأموالهم بعد جهادهم بأنفسهم

نص الرسالة التي بعث بها فضيلة الأستاذ الأكبر إلى سيادة السيد رئيس الجمهورية
منطوية على صك بخمسة آلاف جنيه دفعة ثانية من جهاد الأزهريين بأموالهم منضما إلى
جهادهم بأنفسهم :

السيد رئيس جمهورية مصر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد - فالأزهر يسره دائماً أن يكون في مقدمة الهيئات التي تقوم بواجبها في
الإسهام في مساعدة قوات الدفاع وإعانة المنكوبين من أسر بورسعيد بالأسلحة ، وقد
سبق أن تقدم الأزهر في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بالشيك رقم ٨٦٠٧٢٩ على البنك الأهلي
المصري بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها كدفعة أولى .

واليوم يتقدم بالشيك رقم ٠٦٨٤٣٢ على البنك الأهلي المصري بالقاهرة بمبلغ
خمسة آلاف من الجنيهات كدفعة ثانية لإسهاماً منه في هذا الواجب المقدس .

والله نسأل أن يحى الوطن ويصون كرامته وعزته، ويدرك منه كيد الباغين المعتدين،
ويؤيدكم بالتوفيق لما فيه خير مصر والعروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

شيخ الجامع الأزهر
(عبد الرحمن تاج)

علماء الأزهر يهنئون بعيد النصر

دونت هذه الكلمة بسجل الزيارات بدار الرئاسة في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦
(١٩٥٦/١٢/٢٣) .

السيد رئيس الجمهورية

شيخ الجامع الأزهر والعلماء يمدون الله الذى أمدم بتوفيقه ، وأيدكم بنصره ، وأجلى الأعداء عن الوطن العزيز أذلاء مقهورين ، ورد المعتدين الباغين بغيتهم لم ينالوا خيرا . وهم - إذ يهنئون الوطن بكم وبما يحققه الله على يديكم من عزة ومجد - يسألون الله العلى القدير أن يحوطكم والعاملين معكم بالعناية والرعاية ، ويحقق على يديكم ما تبتغون للأمة من رفعة شأن بين الأمم ، وأن يديمكم للعروبة فخرا وللإسلام ذخرا .

وإلى الأمام ، فالله معكم ، ولن يضيع أجر المحسنين فى أعمالهم ، المخلصين فى إيمانهم ، الصادقين فى ثباتهم ، ونحن من ورائكم مصابرون مرابطون ، لا يغرننا النصر ، ولا ينسينا الظفر أن العدو يتربص بنا الدوائر » ود الذين كفروا لو تغفلون عن أساحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة » كتب الله لكم دائما النصر والفتح المبين ما

القاهرة

السيد رئيس الجمهورية

بمناسبة عودة الدراسة يرفع عميد كلية الشريعة ووكيلها وأساتذتها وموظفوها وطلابها ، إلى سيادة السيد رئيس الجمهورية ، خالص التهئة بانتصار جيش مصر الظافر فى مواقعه الحربية التاريخية ، التى هى انتصار للعدالة وقضاء على أعوان الظلم والبعى ، وتحقيق للسلام العالمى الذى يدعو اليه الدين ، ويحددون الثقة التامة والبيعة والالتفاف حول علمكم الخلفاء ، وقد هيئوا إمكانياتهم للتغافى فى نصرة الحق والوطن حتى ينال أسمى المطالب ما

شيخ كلية الشريعة

(محمد الشافعى الظواهرى)

القاهرة

السيد رئيس الجمهورية

عميد كلية أصول الدين وأساتذتها وطلابها ينتهزون فرصة استئناف الدراسة بعد الانسحاب المهين، فيقدمون لسيادتكم أصدق التهاني بالنصر المبين، والفوز الباهر، بفضل قيادتكم الرشيدة، وبسالتمكم في الازدياد عن حياض الوطن، ويمجدون العهد والولاء لكم وللثورة المباركة والأبطال الأجداد، ويرجون ألا يحرموا من شرف الجهاد في تعمير مدينة بور سعيد الباسلة ما
(محمد على الساييس)
شيخ كلية أصول الدين

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر

بمناسبة عودة الدراسة بمعهد القاهرة الديني، بعد النصر المبين الذي أحرزته البلاد، بفضل إخلاصكم الكامل وميامتكم الرشيدة، يتقدم شيخ معهد القاهرة الديني ووكيله ومدرسه وطلابه وموظفوه بأخلص التهاني على ذلك الفوز الباهر، ويمجدون البيعة لسيادتكم على أن يكونوا جنودا في كل معركة تخوضونها في سبيل الدفاع عن البلاد.

وانهم وقد درسوا باب الجهاد يعرفون مكانة الشهداء عند الله، وهو الذي قال : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » كتب الله لسيادتكم التوفيق التام في جميع الخطوات . والسلام عليكم ورحمة الله ما

شيخ معهد القاهرة
(عبد الوهاب عبد العزيز)

الاسكندرية في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

مصر

السيد رئيس الجمهورية

شيخ معهد الاسكندرية الديني وأساتذته وطلابه وموظفوه يرفعون لرمز العزة الإسلامية، وموجه القومية العربية، وقاهر الاستعمار بطل الشرق قائد مصر جمال عبدالناصر،

أصدق آيات التهنية بالنصر المؤزر، وانسحاب المستعمرين لغير رجعة من المدينة الباسلة
بور سعيد الخالدة . دمت لمصر والإسلام والعروبة ما (محمد الصادق عرجون)
شيخ معهد الاسكندرية الديني

المنيا في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

السيد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
مصر
شيخ معهد المنيا الديني وأساتذته وموظفوه وطلابه يرفعون إلى فضيلتكم تهنيتهم
الحاصلة بمناسبة استئناف الدراسة ، ويعلمون استعدادهم التام لتلبية نداء الوطن وترسم
خطاكم السديدة ، والله أكبر والعزة لمصر ما (الدسوقي الملاح)
شيخ معهد المنيا

الزقازيق في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

السيد رئيس الجمهورية
مصر
معهد الزقازيق الديني : شيخه ووكيله ومدرسه وموظفوه وطلابه يقدمون لسيادتكم
آيات التهنية والتبريك بهذا النصر العظيم ، وهم - إذ يستأنفون دراستهم - يعاهدون الله سبحانه
وتعالى على الجهاد في خدمة الوطن والعروبة ، ويسألون الله لسيادتكم دوام التوفيق ما
(أحمد كامل الحضري)
شيخ معهد الزقازيق الديني

كفر الشيخ في ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٦

الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

مصر
شيخ معهد كفر الشيخ وأساتذته وطلابه يهتفون بعودة الحياة لمعاهد العلم مقرونة
بعودة الحرية لكل شبر من أرض الوطن . نحن صرابطون بمعاهدنا ، وإن عادرا للاعتداء
عدنا للميدان ما (أحمد حسن حلقاية)
شيخ المعهد

قنا في ١٩٥٦/١٢/٢٢

مصر

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أسرة معهد قنا تستأنف الدراسة اليوم بالمعهد، وهي أفوى ما تكون استعدادا للجهاد
في سبيل العلم والوطن ، معجيين بالمواقف الخالدة لقادة مصر الأحرار .
(محمد عياض وسيد الملاح)

بنها في ١٩٥٦/١٢/٢٢

مصر

السيد الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر

شيخ معهد بنها وأساتذته وطلابه - وقد عادوا لعملهم بعد الانتصار الظافر - يقدمون
لسيادتكم خالص التهنية ، معاهدين الله والوطن أن يكونوا لمصر جنودا في الحرب والسلم .
والله ولينا ونعم النصير
شيخ معهد بنها
(عبد الكريم جاويش)

أسوان في ١٩٥٦/١٢/٢٢

مصر

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أساتذة معهد أسوان الديني وطلابه يهنئون سيادتكم والجيش الباسل والشعب المناضل
بالنصر المبين على أعداء السلام والحرية . إن ينصركم الله فلا غالب لكم .
(محمد اسماعيل رشيد)
واعظ أسوان

المنيا في ١٩٥٦/١٢/٢٢

مصر

السيد رئيس الجمهورية

بمناسبة استئناف الدراسة يرفع شيخ معهد المنيا الديني وأساتذته وموظفوه وطلابه
تهانيم القلبية الخالصة إلى السيد رئيس جمهورية مصر وقائدها الحازم ، بمناسبة انتصاره

على المعتدين الغادرين، وسحق الاستعمار الغاشم، ويؤكدون ولاءهم واستعدادهم لنداء الوطن، ويصرعون إلى الله أن يحفظ الرئيس وصحبه الأبطال، وأن يجعل مصر العزيزة موضع اعتزاز العرب، ومفخرة العالم أجمع، بقادتها العاملين لمجدها وعزتها .

(دسوق الملاح)

شيخ معهد المنيا

بورسعيد في ١٩٥٦/١٢/٢٥

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر القاهرة

أنا وزميلي بخير . أدينا رسالة الأزهر في معركة الشرف . تهانينا بالنصر . شكرا لرعايتكم

(محمد عابد)

مفتش الوعظ

بورسعيد في ١٩٥٦/١٢/٢٥

فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر مصر

شكرا عميقا لسؤالكم عني ، وسلام عليكم من مدينة الأبطال .

(علي عمارة)

واعظ بورسعيد بالبامالة

وبعد أن أعدت مواد المجلة للطبع وصلتنا برقيات أخرى من بينها برقية لكل من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد المجيد العسكري شيخ معهد جرجا ، والشيخ عبد المجيد يس شيخ معهد شبين الكوم ، والشيخ محمد الديب المشرف على البعثة الأزهرية بالجهاز ، والشيخ مختار الظواهري مبعوث الأزهر بدمشق ، والشيخ عبد العزيز رفاعة شيخ معهد طهطا .

نداء

من شيخ الجامع الأزهر إلى أساتذة الأزهر وطلابه

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،

فقد أذن الله العلي الكبير أن تنجلي تلك الشدة التي امتحن بها الأمة المصرية وحقق للمجاهدين الصابرين وعده بالنصر والتأييد ، وخرج الشعب المصرى من هذه المعركة قوياً متماسكاً ليواصل سيره المطرد فى طريق التقدم والنهضة الوطنية والحياة الحرة الكريمة .

ولإن أول ما يفغى أن يتجه إليه المدرسون وهم يستأنفون الدراسة - التي حال دونها عدوان هذه القوى الباغية - هو أن يسترجعوا مع طلابهم أحداث هذا الصراع وكفاح الشعب المجيد وخاصة أبناء بورسعيد ، وأن يستعرضوا ما انطوى عليه هذا العدوان من شر ومكر وانتهاك لجميع الحرمات ، وخطر على كيان الأمة وأمنها وحريتها ، ويستخلصوا من كل ذلك وجوب العمل على تنمية هذا الوعي الرشيد فى الأمة لمواجهة المستقبل ، ودرء كيد الظالمين المتربصين .

ولأننى لوائق أن جميع أساتذة الأزهر وطلابه وموظفيه - وقد أسهموا فى رد هذا العدوان بجهود مشكورة - سيكونون دائماً مرابطين مستعدين لتلبية نداء الوطن ؛ وسيظلون قدوة حسنة فى الزيادة عن البلاد والدفاع عن الدين وفى توجيه الشعب التوجيه السديد القوى الذى يتطلبه فى حاضره ومستقبله .

والله أسأل أن يحفظ الوطن وقادته ويوفق العاملين لمجده وعزته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

شيخ الجامع الأزهر

عبد الرحمن ناصح

تعلّيقاً

بعد هجوم الأعداء على مصر

رب ضارة نافعة

عرف قديماً أن العرب حملة سلاح ، وأهل غزو وكفاح ، وأن لهم في الحروب من البأس والمصاهرة على منازل العدو ما ليس لغيرهم من الشعوب .

لذلك ولميزات أخرى اختار الله منهم خاتم رسله - صلوات الله عليه - ووجه إليهم الدعوة قبل سواهم ، لأنهم العشيرة الأقربون إلى محمد - عليه الصلاة والسلام - فكان الخيرون منهم أهلاً للقيام معه بأعباء رسالته ، وإفصاح الطريق لها ، والدفاع عنها .

وقد هذب الإسلام في العرب خشونة البداوة ، ولطف في أنفسهم حدة الطبع ، وصقلهم بصقال المدنية المأجدة ، ووضع لهم النظم السكرية في أساليب الجهاد ، واستخدام القوة ، ومعاملة الغير في الحرب والسلم ، على أحسن ما تقتضيه العدالة ، والأخوة في الإنسانية ، فأصبح للعرب قومية ممتازة في عزتها وحضارتها وسيادتها بين الأمم أكثر مما كان لهم من قبل .

وكان من أثر الإسلام في الحياة الجديدة أن جعل التربية العسكرية جانباً أصيلاً من الثقافة الإسلامية ، وأن رجل الدين في صدر الإسلام والعصور التالية له كان رجل كفاح وحروب دفاعية ، حتى كانت القيادة والمصاولة في ميادين البطولة من خصائص أهل العلم قبل سواهم . وحسبنا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبأصحابه - رضى الله عنهم - أصدق مثل على ذلك . وإلى اليوم لم تتجدد التربية الإسلامية من التزود بتعاليم الجهاد ، وأساليب الدفاع ومنازلة الأعداء .

ذلك لأن القرآن الكريم يحرص أشد الحرص على أن تكون أمته في منعة من طماعية الطامعين فيها ، وأن تكون دائماً ذات بأس يهيبه الخائفون عليها ، لتظل كلمة الله هي العليا . ومن أجل هذا حفل القرآن بآيات الجهاد وبيان فضله وبالحث عليه عند الحاجة ، كما اشتمل على قسط كبير من نظمه حتى في ساعة القيام إلى الصلاة ... وكذلك سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أثر عنه ثم عن أصحابه رضى الله عنهم .

ومنذ تسربت الفتن إلى صفوف المسلمين ، وفترت العزائم المشبوبة ، وتخلف رجال العلم

الديني عن الإسهام في الجهاد ، وقام العرف على الحيلولة بين رجل الدين وصفوف الجيش ، وطنى الاستعمار على الوطن الإسلامى ، تثر المسلمون في حبال السياسات الماكرة ، ووهنت قواهم ، وطمع فيهم من كان يهاجمهم ، ويخشى بأسهم ، من الحائقين على الإسلام في نهضاته ، حتى أصبح المسلم غربيا في وطنه ، مغلوبا على دينه ، وصار رجل الدين مبعدا عن الجندية ، وجاهلا بأبسط فنونها العملية ، وإن كان يدرسها دراسة نظرية .

إلى أن شاء الله للاقطار العربية - ولمصر خاصة - أن تنهض من عثارها ، وتفيق من غفوتها ، وتسترد موقفها في صدارة المجتمع الإنسانى ، فبعث اليقظة في نفوس زعمائها وشبابها ، وأولى غيرة وطنية ، وعزيمة إسلامية ، ووفاء عربى ، فتقدموا الصفوف ، وهتفوا بشعوبهم أن يتابعوهم إلى الأهداف المأجدة ، وهى أهداف كانت لهم منذ رسمها الإسلام لأهله : فى أوضاع كريمة ، وعدالة مشهودة ، ورحمة شاملة .

ولكن ما كادت مصر تستجيب لزعمائها ، وتتجه إلى غايتها ، حتى تحركت حولها الأحقاد الاستعمارية ، وانحدرت إليها الجيوش الطاغية ، واستهدفت مصر وجاراتها لحرب طاحنة تقزز منها الإنسانية ، وتنفر منها الرحمة الآدمية .

وقد كان للأزهر - والحمد لله - نصيب مشكور من مؤازرة الجيش النظامى ، إذ كان شيخ الأزهر ، وكبار علمائه ، وجمهرة وعاظه ، وكثرة كآثره من شبانه فى طليعة الناهضين إلى الدفاع عن الوطن .

وكان الأزهريون - بانتظامهم فى صفوف المجاهدين - مجددين لسنة أسلافهم من رجال الدين الإسلامى . وقد تلمظ الله بمصر فكشف عنها الغمة ، والحمد لله .

غير أن الأمر لا يستغنى عن مواصلة الاستعداد ، ولا يكفى فيه أن يتقدم الأزهرى إلى واجبه الوطنى وهو قليل الدراية بالفنون العسكرية ، ولم يعد مستساغا أن تظل ثقافة الأزهر فيما يتعلق بالجهاد وحماية الوطن ثقافة نظرية ، فى حين أن الدين الإسلامى يتطلب أكثر من ذلك ، على نحو ما كان أسلافنا يجيدون حمل السلاح ، ويلبسون المأما واسعا بأساليب المقاومة فى صورها الكثيرة .

لهذا كان من سداد رأى أن يعمل على أفساح براج الدراسة بجانب واسع من الثقافة العسكرية التطبيقية ، حتى تكون نشأة الطالب الأزهرى نشأة دينية مستوفية لنواحيها التكميلية المهمة . وبذلك تكون رسالة الأزهر أكل ، وأثره أوضح ، ومنفعته أشمل .

عبد اللطيف السبى
عضو جماعة كبار العلماء

يُحَارِبُونَ اللَّهَ

بالخيانة والافتراء على الشباب البريء

لا يزال قراء هذه المجلة على ذكر مما تحدثنا إليهم به في صدر عدد المحرم من هذا العام بعنوان « يُحَارِبُونَ اللَّه » .

وقد عادت تلك البقية من بقايا عهد الفجور إلى محاربة الله في مصر المؤمنة ، فزعمت أنها استفتت الطلبة الجامعيين ، فقال فلان من طلبة كلية كذا : إن الله لا يمكن أن يكون موجودا ، وأن فلانا الطالب بكلية كذا أجاب بأن الله غير موجود ، وإذا كان موجودا فليعطني عرشه لأنظم به السكون ! وزورت تلك المجلة أقوالا نجسة على هذه الشاكلة نخلتها طلبة ذكرتهم بأسمائهم مفترية عليهم بأنهم ينكرون وجود الله .

وقد رأينا بعض أهل الغفلة ممن كانوا يستبجحون دخول تلك المجلة إلى بيوتهم قد اشمأزوا منها - على افتراض أنها صادقة - ورأوا أنها تريد أن تشيع الفاحشة بما نقلته من هذا الهراء .

والآن ظهر شيء جديد : فقد روى الأستاذ أحمد لطفى حسونة عن لسان فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، أن الجهات الرسمية أحالت عليه تلك المجلة ليحقق فيما نشرته على لسان الطلبة ، فأرسل فضيلته في استدعاء الطلبة ، فأجابت السكليات التي زعمت المجلة أن أولئك الملاحدة من طلبتها بأن الأسماء التي ذكرتها المجلة إن هي إلا أسماء وهمية لا وجود لأصحابها .

ولم يقتنع الأستاذ أبو زهرة بهذه الإجابة من السكليات ، وطلب سجلات أسماء الطلبة في كل كلية وصمتها المجلة التي تحارب الله في مصر بأنها تحتضن طلبة بتلك الأسماء يُحَارِبُونَ اللَّه معها ، وتفرغ الأستاذ أبو زهرة بنفسه لمراجعة هذه السجلات الرسمية ليستخرج منها أسماء الطلبة الموصومين بتلك الجريمة . وبعد جهد دام أياما لم يجد اسما واحدا في السجلات لأى طالب من الذين زعمت المجلة أنهم كتبوا لها .

فسأله الأستاذ حسونة : وماذا فعلت ؟

قال : كتبت بذلك لإدارة الجامعة .

فقال له : هذا لا يكفي . . . إننى أشير عليك أن ترفع تقريرك هذا إلى رئيس الجمهورية ، وإلى وزير التربية والتعليم ، وكلاهما لن يرضى بهذا العبث .

ونحن نرى أن نشر هذه الحقائق المحزنة يكفي ليكون تقريراً صارخاً صرفوا إلى رئيس الجمهورية ، وإلى وزير التربية والتعليم ، وإلى وزير الداخلية . وإن هذا النوع من المجون الإجرامى إذا كان يليق فى عهد الحكم المساجن الذى أباده الله ، فإنه لا يليق فى عهد من أظهر شعائره الجهاد فى سبيل الله ، وإن من أقدم الجهاد فى سبيل الله تحطيم هذه الأقلام الكاذبة الخائنة ووضع أصحابها فى المكان اللائق بأمثالهم ما
(المجلة)

ذكاء أعرابى

قال أحد عمال الدولة العباسية لأعرابى مستخفاً به :

— ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة .

فقال له الأعرابى : إن أنبأتك بذلك تجعل لى عليك مسألة ؟

قال : نعم . فقال الأعرابى :

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : صدقت ، فسل . قال له الأعرابى : كم عدد فقار ظهرك ؟

قال : لا أدرى . قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ .

إنما نريد أن نعيش ...

إذا كانت مصر مصممة على استقلالها السياسي ، فإن مصر مصممة كذلك على تحقيق استقلالها المذهبي والمحافظة عليه ...
ستعمل مصر الحديثة بما يتفق وتعاليمها الدينية وتراثها الثقافي .
إن مصر ترغب في التعاون الشريف مع الدول الأخرى وتظاهر مبادئ القانون الدولي ... و بما أن الدول الأوروبية والأمريكية تتحد ، فكذا شأن الدول العربية التي تعمل من أجل تحقيق تعاون مثمر ، ولكن كل دولة عربية تسعى لتحقيق سيادتها مثل مصر تماما .
رئيس الجمهورية

القومية العربية ... مؤتمر باندونج ...
الأسلحة النشكية ... تأميم القناة ...

هذه أسباب النقمة علينا من جانب الغرب ... النقمة التي استحوطت إلى جيوش تزحف ، وطائرات تضرب ، وأساطيل تدمر ... النقمة التي كادت تلهب نيران حرب عالمية جديدة ...

فهل نحن مسئولون عن اللعنة التي صباها الاستعمار علينا ، وهل نحن الذين دفعنا العالم إلى أخطار الحرب ؟؟ نحن لم نرد إلا أن نعيش ، لم نرد أن نتسلط أو نتجبر أو نبغى ...
ماذا في القومية العربية من أخطار على السلام ، تبيح لانجلترا وفرنسا وإسرائيل أن تشن عليها هذه الحرب الضروس ؟ لقد اتحدت أوروبا الغربية ، واتحدت أمريكا ، وقام حلف وارسو ، وميثاق الأطلسنطى ، ومؤتمر كولومبو ، فلم تملن الحرب ، فلما أراد العرب أن يتعاونوا ولديهم أكثر من رابطة توحدهم ، وعليهم أكثر من واجب يجمعهم ، وليس عندهم مطامع التوسع ولا طاقة الاستعمار ، إنما كل غايتهم أن يحموا أنفسهم لا أن يتحكموا في غيرهم ، تصايحت دول ، وأقبلت تناوشهم انجلترا وفرنسا وإسرائيل من يمين وشمال !!!

اتهمت القومية العربية بأنها خطر جسيم... فما هو هذا الخطر؟؟ ومن الذى يهدده هذا الخطر؟؟ ... خطر على عدن والبحرين ، والسكويت وقطر ، والجزائر وافريقيا الفرنسية ، وأوغندا وكينيا وافريقيا البريطانية... أليس كذلك؟؟ وما الخطر على شعوب تريد أن تتحرر ، وليس فى طاقة دولة أن تحكم غيرها بالجيوش والأساطيل ، وإنما يمكنها أن تتعامل على قاعدة الأخذ والعطاء ، فتفيد وتستفيد... !!

وهل تقبل الشعوب الحرة أن تعيش طول عمرها على الاحتكار والاستغلال والسيطرة، وتخشى التعامل الكريم ، والتعاقد الحر ، والتعاون المتكافئ مع الدول الصغرى ، والتنافس الشريف مع الدول الكبرى ، لدرجة أن تضحي بدمائها ودماء غيرها من أجل المحافظة على أشكال بالية من الانتفاع لطرف واحد !!!

وكل شعوب الدنيا المتحررة لاقت فى كفاحها مساعدات... : إسبانيا ، وكوريا ، والهند الصينية ، وقبرص ، والمجر . فما بالنا وحدنا الذين يحجر عليهم أن يساعدوا بنى قومهم الجزائريين والفلسطينيين ، فاذا ساعدناهم فعنى ذلك الحرب ، الحرب التى لم تشن من قبل على من ساعدوا قائمة طويلة من الشعوب فى طريق الحرية ! .

وما بال الغرب قد سكت على شرق أوروبا ، تنقلب دوله واحدة بعد الأخرى بين أحضان الشيوعية ، وتسكتل فى حلف وارسو ، وهذا تحد سافر للكتلة الغربية... لكنه تحرك لبادة الترابط بين دول القومية العربية ، ولطبيعة سياسة الحياد فى الشرق الأوسط ؟ .

وما بال الغرب قد شاء أن يتحرك أخيرا من أجل المجر... ولم يتحرك بعد من أجل فلسطين والجزائر؟؟

هل على العرب من بأس ، ولطالما أمضتهم هذه المفارقات ، أن يتعاونوا ويصروا على التعاون ، وأن يحيدوا عن الميل مع إحدى السكتلتين ويصروا على الحياد؟؟ .

إننا نتمسك بقوميتنا وعروبتنا لنعيش... لنكون طاقة تستطيع بمعنوياتها واقتصادياتها واستراتيجياتها أن تحمى شخصيتها ، فلا تسفك دماءها فى أحلاف مع هؤلاء أو أولئك ، وتستطيع بإمكانياتها المجمع أن تجبر الدول الكبرى على الاعتراف بوجودها وحقوقها... هذا الاعتراف وحده هو المنشود ، وهذا التقدير النظيف هو المطلوب... لا نريد أن نؤذى أحدا ، لكن نريد أيضا ألا يؤذينا أحد .

لقد قال أصحاب الأحلاف : إن أخلافهم دفاعية لا غير ! فهل ترى أحدا له عقل يزعم أن تعاون القومية العربية خطر هجوى ؟؟

يقولون : إن مصر تريد تزعم الدول العربية وتسخيرها لصالحها ... وهاهى ذى التجربة قد محصت الحقائق ، فلم تمل مصر على دولة من الدول أسلوبا معيناً من المعاونة ، لكن كل دولة قدرت ظروفها وبذلت ما تستطيع دون إفراط يضر بها أو تفريط يخلد شقيقتها . لم نكن نستطيع أن ننتظر مساعدة عسكرية من كل أخواننا ، ولم نكن نستطيع أن نقبل هذه المساعدة لو قدموها ، لأن لهم ظروفها عسكرية وسياسية نحن أدرى الناس بها وأولاهم بتقديرها ... هل ترى عاقلا يظن أننا نخلى الأردن وسوريا من جيوشهما وإسرائيل تترصد على أبوابهما ؟؟ هل ترى عاقلا يظن أننا نكلف السودان الفتى وليبيا الناشئة بتعبئة ما هما أحوج ما يكونان إليه ؟؟ .

لكن الدول العربية تنوعت في أساليب التعاون مع مصر ... منها من قطع علاقاته مع بريطانيا وفرنسا ، ومنها من قطعها مع إحداهما ، ومنها من اختار إرسال المتطوعين والأموال ، ومنها من قطع البترول ، ونحن نشكر الجميع ، فقد أثبتت القومية العربية أنها تعمل حرة كيفما تشاء ، دون إملاء ...

ماذا يضير العالم الغربى إذن من القومية العربية ؟؟

قالوا : إننا اخترنا اتجاهنا منذ أيام باندونج ، وهذا صحيح ، ولكن ماذا فى هذا الاتجاه ؟ لقد زعمتم أننا نريد تزعم العرب ، فهل ترانا هناك نترجم الهند ، أو الصين ، أو باكستان ، أو أندونيسيا ، أو اليابان ؟؟ إنها دول تبلغ أضعافنا فى التعداد والمساحة ، وكلها دول ليست لها مآرب توسعية استعمارية ، فإذا علينا لو مددنا أيدينا إلى من هم مثلنا فى العالم ، من ليسوا مثل روسيا أو بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا من الدول الكبرى ، وإن مالوا فى المبادئ مع هذه أو تلك فإن لهم شخصيتهم ، ولهم كتلة ضخمة من الشعوب لا تقبل أن تموت من أجل غيرها ... إن مؤتمر باندونج ليس حلفا عسكريا ، وليس (كارتلة) اقتصادية لاقتسام الاحتكارات ، وليس خالصا للشيوعية أو للرأسمالية ... ومعنا فيه غيرنا ممن قد ترداد ثقة الغرب فيه عن ثقته فينا ... فأى خطرى فى تعاون الأيدى البريئة من الدماء والحرام ؟؟ أى خطرى فى باندونج ، وفى الكتلة الإفريقية الآسيوية على سلام العالم ؟؟ بل أى خطر فيهما عليكم أتم يا دول الغرب بصفة مباشرة ، وأتم

في علاقات اقتصادية وسياسية مع هذه الدول ، وتستطيعون التعاون السليم معها والتنافس الشريف مع غيركم على خاماتها وأسواقها ٩٩ .

وأخيرا قالوا : إن التعاون السياسي والاقتصادي بين العرب ، أو بين الآسيويين والإفريقيين لا يضيرنا ، لكن آه من الأسلحة !! .

وتصور الأسلحة النشكية وغيرها كأنما هي احتلال من الشياطين الجمر لأراضي الشرق !!!

ترى ماذا كان ينتظر منا أن نفعل وقد قبضت الكتلة الغربية عنا لإنتاج مصانعها ٩٩ وهل تختلف سوق السلاح عن سوق القماش أو سوق الخضار أو سوق الماشية ، من باعنا اشترينا منه ، وبين البائع والشارى (يفتح الله) !!!

من الذى سيستعمل هذه الأسلحة ؟ ... إما أننا نحن الذين سنستعملها ، وإما أن تكون دول الكتلة الشرقية قد باعتنا حديدتها ورجالها الذين سيضربون بها ... ولعمري ذاك عقد طريف من عقود البيع لو كان !! إنهم في أقسى دعاوتهم ضدنا وتشنيعهم علينا لم يشيروا إلى اتفاقات علنية أو سرية مع الروس أو غيرهم ، لم يلجأوا إلى قواعد أعطيناها لقواتهم التى ستستعمل هذه الأسلحة ، إنه قد كان بيننا وبين الإنجليز الذين يضربوننا معاهدة ، ولكن ليس بيننا وبين الروس الذين يساعدوننا إلا البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، ويفتح الله !!!

نحن نعلم أن الروس ليسوا ملائكة ، قد يريدون استدراجنا ، قد ينوون في المستقبل أن يظهروا مايبطنون اليوم ... لسكننا لا نلام إلى اليوم الذى نقبل الخضوع لهم والجرى في فلسكهم والارتباط بعجلتهم ... لانلام حتى نعطيهم ما أيدنا أن نعطيهم اغيهرهم ... لانلام حتى نخرف مع الشرق بعد أن أعلننا الحياد بين الشرق والغرب !!!

ومن الإنصاف كذلك ألا نلوم الروس حتى يطلبوا ما ما نعتبره ماسا بسيادتنا ، ومن الحق أن تتبرع بلعن من يساعدنا اليوم وهو لم يتجق بعد علينا ، بدعوى أنه سوف يفعل بنا ويفعل في الغير ... إننا نعيش في حاضرتنا ، وليست سياسة الدول من صلب وفولاذ لا تتغير ، وإنما تدور مع مصالحها ، فإن رأينا تعاوننا أقبلا ، وإن رأينا الشر في النواجد أو حتى وراء العيون ، فيومها يكون الملام ، إذا رأنا الناس صما وعميانا ... إن الغرب قبض عنا أمواله وسلاحه ومعونته ... ويريد غيره أن يعطينا سلاحا ،

وقد يعطينا مالا ويعاوننا بما يستطيع . فهل كان علينا - لنكون مخلصين لميزان القوى - أن نظل بغير مال وسلاح ومعونة ، وأن نتجاهل اليد التي تمتد إلينا ، وأن نفرق لآذاننا في الخطر الحاضر المتيقن مخافة خاطر منتظر متوهم ؟ وهل إذا تسلحنا وتقوينا يكون هذا منا - ونحن الأمة المحدودة العدد والإمكانات - تهديدا للسلام العالمى ؟ ؟ . قالوا : بل ترهبون بإسرائيل شرا ، ومن أجل هذا تتسلحون ... !! !

ولا شك أننا نتوق غدر إسرائيل ، فإن دولة قامت على أرض غيرها بالخديعة ، وطردت أهل هذه الأرض بالجريمة ، لأحرى أن تتوسع على حساب جيرانها فى أى وقت ، ومن كان رأس ماله السطو فهل يلوم الناس على الاحتياط !! ! ؟

لقد قامت إسرائيل على قطعة من الوطن العربى باسم الأمر الواقع أو المزاعم التاريخية ، فما يضمن لى ألا تنب على قطعة أخرى من هذا الوطن العربى لتبتلعه باسم الأمر الواقع ، أو بدعوى أن إسرائيليا مرة بهذه القطعة أو تلك فى يوم من الأيام !! ! وهل بعد ما قامت به إسرائيل لصالح إنجلترا وفرنسا فى الهجوم الأخير على مصر ، وقامت به إنجلترا وفرنسا لصالح إسرائيل ... يلام العرب على الاستعداد أبدا لمواجهة إسرائيل ... فمن يدرى قد لا تستلطف دولة كبرى دولة عربية أو حكومة عربية فستأجر إسرائيل للعبث بالاستقرار وإحداث القلاقل ، ثم تقبض الثمن من أرض العرب أو من سلاح الغرب وأمواله ؟ ؟

نعم ، سنعيش أبدا وأيدينا على بنادقنا حذرا من إسرائيل ، ولتشك إسرائيل من هذا التربص ، ولتتضايق من هجمات الفدائيين أو من تحالف العرب أو من حصارهم للاقتصادى لها ليكن هذا كله ، فإن العرب الذين طردوا من وطنهم لتقوم إسرائيل على أرضهم وبيوتهم ، أولى برعاية العالم لأنهم أصحاب الحق الأصيل ، وإن العرب الذين قد يطردون فى أى لحظة أو يقتلون فى (عملية وقائية) مثل عملية غزة وسيناء ، أولى بتأييد الضمير العالمى ...

وأرى العالم كله مقسما فى كثير من أجزائه بين دولتين تقسمان وطننا واحدا وشعبا واحدا ، وتربص إحدهما بالأخرى الدوائر لتزيل الخط الوهمى الفاصل فى التقسيم ، فما سبب هذا تشديدا فى التكبير وقطعا للسلاح وإعلانا للحرب ... ألمانيا الغربية والشرقية ، الصين ، فرموزة ، كوريا ، فيتنامة ... لماذا لم يكن التوتر هناك ذريعة لمثل ما حدث عندنا بدعوى التوتر بين العرب وإسرائيل ؟ ؟ ولماذا استمر هؤلاء وأولئك يتسلحون ؟ ؟

وكان آخر الأحداث ... تأميم القناة ... وماذا فى تأميم القناة ؟ ؟ ماذا فى دولة تريد أن تعيش من الكسب الشريف الذى تدره مرافقها ، دون أن تفتت على حرية العالم فى الانتفاع ؟ ؟

حسب هذه الدعوى بطلانا ، أنهم حاربوا والقناة مفتوحة فأقفلت ... وأنهم حاربوا والبتروى لم يتعرض لما تعرضت له القناة من تأميم لكنه انقطع ولم تحمه الشركات الغربية ...

إنما إما أن نقفل القناة وقت السلم ، وإما أن نقفلها فى وقت الحرب ... فإن كان إغلاقنا المنتظر للقناة فى وجه العالم وقت السلم ، أفلا كان الأجدى لأعدائنا أن ينتظروا حتى يقع عدواننا - المحتوم فى نظرهم !! - ويومها يقبلون علينا بحافلهم ومعهم تأييد العالم الساخط الحائق علينا المصمم على سحقنا ؟ ؟

أما فى وقت الحرب فستكون القوة هى التى تقرر مصير القناة ومصيرنا ، وخير لهم أن نبقى محايدين بين الشرق والغرب وتبقى القناة للدولة المحايدة لتحتفظ مفتوحة لهم ولغيرهم ، بدل أن نقيدهم ولشركاتهم وإداراتهم الدولية ، وبدل أن يعرضونا ويعرضوا أنفسهم ويعرضوا القناة لمن لا يرحم ، ويومها لن نعصم القناة إدارة دولية أو جمعية للتتفعين !!

وأجمل من أن تجتمع دول الغرب على تدويل القناة ، أن تجتمع دول الغرب ودول الشرق على ضمان حياد القناة ، وضمان حياد مصر التى تحتزقها القناة ... فإنه من العبث أن تهاجم مصر دولة معتدية ، فى حين تقف مصر متفرجة على القناة ، وعلى سفن الأعداء تمرح فى القناة !!!

عبثا إذن يحاول الغرب زجرنا عن قوميتنا العربية ، وعن التعاون مع الدول المسالمة ، وعن التسليح والقوة ، وعن الانتفاع من مرافقنا ... وعبثا يحاول إنذارنا بالحرب فى أرضنا أو الحرب فى العالم كله ...

إنما نريد من ذلك كله أن نعيش ، وهيمات أن نتخلى عن حياتنا ، وأسباب هذه الحياة عندنا ، فنحن لا نتسلق على غيرنا ولا نتجاوز حدودنا ... إنه لن يعيننا قتال معنا أو مع غيرنا ما دمنا لم نتوخ إلا حفظ حياتنا ، وخير لنا أن نموت صرعى فى السكفاح ، من أن نموت قعدة بالاختناق

محمد قنسى عثمان

الكتب

تراجم اسلامية جليلة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى - ٢٥٦ ص - مطبعة أمين عبدالرحمن بالقاهرة
كتاب جديد لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى المفتش بالأزهر ، افتتحه بعد
المقدمة بكلمة عن الحديث النبوى : مقاصده ، وبلاغته . ثم ترجم لأmir المؤمنين على
ابن أبى طالب ، وتحدث عن بلاغته . كما ترجم لعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن عباس ، وسعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن أبى وقاص ، ولطلحة
والزبير ، ولعمار وأبى هريرة وأسامة بن زيد وعبد الله بن الزبير ، والحسن والحسين وفاطمة
وعائشة وأسماء ذات النطاقين وأم شريك الأسدية ، ومن التابعين لسعيد بن المسيب
وعامر الشعبي والحسن البصرى وابن سيرين ومالك بن دينار وسليمان الأعمش وأبى دهب
الجمحى وابن أبى ذئب ، ولزَيْنْب بنت على وسكينة بنت الحسين ونائلة بنت الفرافصة
ورابعة العدوية .

وطريقة فضيلة الأستاذ النواوى فى التراجم معروفة لقراء هذه المجلة ، وقد امتازت
بالإلمام وحسن العرض والاخلاص فى الحكم بالمقاييس الإسلامية . فنرجو أن ينفع
الله قراء العربية بكتابه .

جولات إسلامية

وهذا كتاب آخر لفضيلة الأستاذ النواوى هو فى بعضه تعريف بالإسلام وأصوله
وشرائعه فى الدين والاجتماع والعقائد ، وفى بعضه الآخر تفصيل لمآثر أعلام الإسلام
الخالدين السالفين ممن لم يتحدث عنهم الباحثون والدارسون حديثا يشفى العلة ، وفى بعضه
الآخر تفصيل لمواقف أدباء وشعراء إسلاميين لهم بالإسلام فضل وبأدب القرآن بلاغة
وروعة تأثير . وكل ما يكتبه فضيلته مما ينبغى للنشء الإسلامى الانتفاع به .

نظرية الاسلام الخلقية

لأبي الأعلى المودودي - ٩٨ ص - مكتبة الشباب المسلم بدمشق

كتب الأستاذ أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان نالت الحظوة في جميع أقطار العالم الإسلامي ، وأكثرها مؤلف باللغة الأوردية ونقل إلى اللغة العربية . وهذا الكتيب من أحدث مؤلفات المودودي وترجمه بالعربية الأستاذ محمد كاظم سباق من زملاء دار العروبة للدعوة الإسلامية في لاهور .

وأصل هذا الكتيب محاضرة ألقاها السيد المودودي في حفل انعقد في الكلية الإسلامية بمدينة بشار عام ١٣٦٣ ، ثم نشر في مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) . ولما كانت الأخلاق روح التشريع الإسلامي وجوهر نظامه فقد وفق الأستاذ المودودي إلى بيان مزية الإسلام من هذه الناحية . فنلفت الأنظار إلى هذه الرسالة القيمة .

بيان المشتبه من معاني القرآن الكريم

للأستاذ حسن محمد موسى - ٢٧٣ ص - مطبعة جمعية رعاية الطفولة بالاسكندرية

هو عرض موجز لعلوم القرآن وتفسير آياته المشتبه ، مرتب على نسق تتداعى فيه المعاني ويفسر بعضها بعضا ، وفيه مختار من أقوال مشاهير المفسرين وعلماء البلاغة وأئمة الفقه . وقد راجعته فضيلة الشيخ عبد الرحيم فرج الجندى من علماء المعهد الدينى بالاسكندرية وقال عنه : « إن المؤلف تونى في كتابه الآراء الصحيحة في تفسير الآيات التى أوردها استدلالا على ما ذكره من القواعد العامة كالتضمين والذكر والحذف والمجاز والحقيقة والمترادف والمشتراك والمجمل والمبهم والأمثال وغير ذلك . واعتنى بمعانى الألفاظ اللغوية ، ولذا كان همه أن يتونى بيان الآيات التى يكثر فيها الغريب أو يكون معناها مغلق الفهم ، فأجهد نفسه في شرح جميع ذلك وتوضيحه بأسلوب عصمى مختصر ، داعيا الأمة إلى الأخذ بالدين القويم والتمسك بالجماعة ونبذ الفرقة » .

وعنايته بالمشتبه منصرفة إلى الكلام على الاشتباه الآتى من جهة التركيب ، والاشتباه الآتى من جهة اللفظ . وعقد بابا لأمثال القرآن ، وختمه بفهارس تعين على الانتفاع به .

إنباء العجّل الأنجلو

اتفاقية قاعدة القنال

ومعلوم أن الاتفاقية المنتهية تتضمن نصاً بأن تبقى أجزاء من قاعدة القناة في حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً ، وكانت تنص على أنه في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع الاتفاق طرفاً في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا فإن مصر تقدم لبريطانيا التسهيلات لهيئة القاعدة للحرب وإدارتها فعلاً ، وذلك لمدة سبع سنوات من تاريخ توقيع الاتفاقية . وقد أصبح ذلك لاغياً بإلغاء هذا الاتفاق من تاريخ الاعتداء البريطاني على مصر .

بور سعيد المجاهدة

عند غروب شمس يوم السبت ٢٢ ديسمبر رحل عن المدينة المجاهدة الباسلة بور سعيد آخر فلول البغي من البريطانيين والفرنسيين إلى غير رجعة حاملين معهم الخيبة والحزى ووصمة العار من أمم الأرض ، وقد تم انسحابهم في حماية قوات الطوارئ الدولية وفي ذلك اليوم أذاع الجنرال كيتلي قائد القوات المعتدية بياناً من بور سعيد ، ومما

كانت مصر قد عقدت مع بريطانيا في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ اتفاقية تم بموجبها إخلاء البريطانى العسكرى عن قاعدة قناة السويس . وقد أبلغت وزارة الخارجية المصرية الأمم المتحدة في صباح اليوم الأخير من جمادى الأولى (أول يناير سنة ١٩٥٧) أن بريطانيا بتدبيرها الاعتداء ، وباعتدائها فعلاً ، على الأراضى المصرية ، مشتركة قواتها مع القوات الفرنسية والإسرائيلية ، وبمحاولاتها غزو منطقة قنال السويس ابتداء من ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، قد تصرفت على أساس أن الانفلق الذى عقده مع حكومة جمهورية مصر بالقاهرة في ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ كأن لم يكن ، وبذلك انقضى هذا الاتفاق بالاعتداء المذكور ومن تاريخ حصوله . وبناء على ذلك يلغى القانون رقم ٦٣٧ لسنة ١٩٥٤ بالموافقة على الاتفاق المذكور وملحقاته والخطابات المتداولة الملحقة به والمخض المتفق عليه ، كما يلغى قرار مجلس الوزراء الصادر في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤ باصدار الاتفاق المذكور وملحقاته المشار إليها .

من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عن الخسائر التي أصابتها في العدوان الغادر على منطقة قناة السويس ومصر سيناء ومنطقة غزة . وما لحقتها من ضرر بتعطيل الملاحة في قناة

السويس والموانئ المصرية وتدمير ممتلكات الدولة المصرية ومرافقها وموانئها الجوية ومصانعها والممتلكات الخاصة ، وعن الضرر الذي أصاب الاقتصاد المصري بمجموعه .

البنى البريطانى على اليمن

اتسع نطاق العدوان البريطانى على اليمن ، فاحتشدت قوات البنى على طول الحدود اليمنية في الجنوب ، واستخدم الاستعمار الغاشم وسائل الإبادة من طائرات ودبابات لإبادة الشعب العربى في تلك الأنحاء النائية عن سمع الإنسانية وبصرها ؛ وتدور الاتصالات بين اليمن ومصر والمملكة العربية السعودية لبحث هذا العدوان على ضوء اتفاقية جدة المعقودة بين الدول العربية الثلاث ، وتدرس الجامعة العربية مطالبة الأمم المتحدة بالتدخل .

وقد اتصل بالأمانة العامة للجامعة الدول العربية أن السلطات البريطانية في عدن لا تزال تضاعف حشودها العسكرية على حدود اليمن الجنوبية تدبيراً لأعمال عدوانية جديدة .

قاله فيه : « لقد قاتلنا ضد دولة جهاز جيشها القوى بأحدث الطائرات وأحسن الأسلحة ، واستمات جنودها في الدفاع عن بورسعيد باصرار وعناد وحكمة » .

وفي اليوم التالى نسف تمثال دلسبس الذى كان قائماً في بورسعيد ، كما نسف بعد ذلك نصب الجندى المجهول للأستراليين . ثم انسحبت قوات الطوارئ متوجهة إلى سيناء للاشراف على انسحاب اسرائيل من الأراضي المصرية .

وقد تسلم الجيش المصرى مدينة بورسعيد باحتفال عظيم .

الخسائر البريطانية الفرنسية

أذاعت المصادر الأمريكية أن خسائر العدوان على مصر كانت ستة آلاف ضابط وجندى بريطانى وفرنسى بين قتيل وجريح ومفقود ، وقد دمر خمس الأسطول البريطانى في البحر الأبيض ونحس الأسطول الفرنسى ، ودمرت ٩١ طائرة بريطانية من طراز كانبرا ١١٠ طائرة فرنسية من طراز ميستر . وذلك عدا الخسائر الأدبية الفادحة للدولتين وفقدان ثقة أمريكا والأمم المتحدة فيهما .

مصر تطالب بالتعويضات

قدمت مصر مشروع قرار إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة تطلب فيه تعويضات

الأدب والعلوم

وستقوم الإدارة بوضع كتيب عن الأقطار الشقيقة يشمل النواحي المختلفة التي يتعين على المدرسين المعارين لها الوقوف عليها .

تعليم موحد

في مصر وسوريا والأردن وافقت حكومة الأردن على عقد مؤتمر لمثلي وزارات التربية والتعليم في مصر وسوريا والأردن ، لوضع أسس واحدة للمناهج التعليمية ومراحل الدراسة في الدول الثلاث، صرح بذلك السيد شفيق الرشيدات وزير التربية بالأردن ، وقال : إن الغرض من ذلك هو إتاحة الفرصة للطلاب العربي في أن يستكمل تعليمه في أى دولة من الدول الثلاث دون أن يعترضه اختلاف المناهج أو المراحل الدراسية .

القومية العربية

في مناهج الدراسة الحربية تقرر أن تكون « القومية العربية » إحدى المواد الأساسية في المنهج الدراسي بالكلية الحربية المصرية .
وقد بدأ الطلبة في تلقى أولى محاضرات هذه المادة التي تسير الأوضاع الراهنة في الوطن العربي .

استئناف الدراسة

استؤنفت الدراسة في الكليات والمعاهد الدينية في القاهرة والأقاليم ، كما استؤنفت في سائر الجامعات ومدارس الجمهورية المصرية ، ابتداء من صباح يوم السبت ٢٠ من جمادى الأولى ١٣٧٦ (٢٢ من ديسمبر ١٩٥٦) .

وروعي في المدارس الأجنبية العناية بما يليق بالتعليم في مصر من توجيه العناية إلى الثقافة العربية والاعتبارات الوطنية ، مع الاستمرار في تعليم اللغتين الانجليزية والفرنسية مضافا إليه بعض اللغات الحية .

مناهج التعليم

في البلاد العربية

طلبت إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم إلى رؤساء البعثات التعليمية المصرية في الأقطار الشقيقة موافاتها بتقارير مدعمة بالصور الفوتوغرافية عن سياسة التعليم في الأقطار التي يعملون بها ، ونواحي تشابهها أو اختلافها مع المناهج المصرية والشهادات التي يحصل عليها الطلبة في المراحل المختلفة ومدى موافقتها للشهادات المصرية والاقتراحات الخاصة بتسهيل إلحاق حاملها بالمدارس والجامعات المصرية .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـ
	زيارة فضيلة الأستاذ الأكبر لنيافة قائمقام البطريك	
	الأستاذ الأكبر يستقبل قائمقام البطريك	
٥١٣	والآن	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥١٩	نفحات القرآن : جلاء الحفنة	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٢٣	السنة : الصلابة صلاح النهر	» طه محمد السكاك
٥٢٧	مسؤولية المؤرخ	» أبو الوفا المراغى
٥٣٠	مؤامرات اليهود الفادرة	» محمد محمد أبو شهبه الأستاذ بكلية أصول الدين
٥٣٦	كيف يسود السلام العام ؟	» عباس طه
٥٤٢	بيان من علماء الأزهر في شأن الأحداث الجارية في العراق	
٥٤٥	الندم والتوبة — ٢ —	الأستاذ أبو زيد شلى
٥٤٩	الرسول وإنشاد الشعر	» محمد رجب البيومى
٥٥٤	وأأمراء	» عبد الجواد رمضان
٥٥٦	التاريخ السياسى لدولة العربية	» عز الدين إسماعيل
٥٦١	المؤمن الحق	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٥٦٤	المصرى الناهض	» السيد مسعد الأطروش
٥٦٧	سيف الله خالد في عهد النبوة	» محمود النواوى
٥٧٤	الشيخ عبد المعطى الشرسيمى	» محمد محمود زيتون
٥٨١	لقويات	» محمد على النجار
٥٨٥	شرعة البذل والانفاق	» أحمد الشراوى المدرس بالأزهر
٥٩١	بورسعيد	» إبراهيم طلى بدوى
٥٩٥	الوحدة الطبية الأزهرية ومستشفى الجامع الأزهر	
٥٩٨	الصلة بين الاسلام والقومية العربية	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٦٠١	برقية النجف الى الأزهر — برقية الأستاذ الأكبر الى رئيس الجمهورية السورية	
٦٠٢	جهاد الأزهر بين بأموالهم بعد جهادهم بأنفسهم	
٦٠٣	علماء الأزهر يهتفون بعبيد النصر	
٦٠٨	نداء من شيخ الجامع الأزهر الى أساتذة الأزهر وطلابه	
٦٠٩	تلميقات : بعد هجوم الأعداء على مصر	» عبداللطيف السبكى مدير النفثيش بالأزهر
٦١١	بجاريون الله	المجلة
٦١٣	إنما زبد أن نميش	» محمد فتحي عثمان
٦١٩	الكتب	المجلة
٦٢١	المسلم الاسلامى	»
٦٢٣	الادب والعلوم	»

مُذَرَّبَةُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَيْشِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تأليفون ٤٦٤١٤

مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٍ جَامِعَةٍ
تصدر عن شيخ الأزهر مصطفى أول كل شهر عربي

بِإِثْنِ الْخَيْرِ
مُحَمَّدُ بْنُ دِينَ الْخَطِيبِ

الاشتراك السنوي

٤٠٠	في وادي النيل
٤٠٠	لطبعة وادي النيل
٣٠٠	للعامات والموسم بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطبعة خارج الوادي
٤٠٠	للعامات والموسم خارج الوادي

الجزء السابع - القاهرة في غرة رجب ١٣٧٦ - ١ فبراير ١٩٥٧ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تشجيع التأليف الاسلامي

ونجوى عن كتاب من ألف كتاب

لما أقدمت إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر على الاضطلاع بمشروع « الألف كتاب » ، أعلنت للناس أن الدائع الأسامي لها على ذلك ما لا حفظه من أن حركتي التأليف والترجمة في مصر تسيران سيرا ارتجاليا دون ضابط أو منهج في كثير من الأحيان ، فكل مؤلف يكتب في الفن الذي يختاره ، وكل مترجم يختار ما يروق له . قالت : ومن هنا تكونت المكتبة المصرية دون تناسق أو تكامل يسيران لطالب المعرفة أن يجد حاجته منها .

وهذا الذي أدلت به إدارة الثقافة العامة وطلعت به على الناس ، كان الناس يشعرون به كما شعرت هي به ، ويشكون منه كما شككت هي منه .

وقبل أن تظهر نماذج عمل إدارة الثقافة العامة في المشروع الذي أسمته « مشروع الألف كتاب » . وقبل أن يعرف الناس عنه إلا الأخبار التي كانت الصحف تنشرها

عنه ، لقيني العالم الكامل الأستاذ محمد أحمد الغمراوي ودار حديثنا حول هذا المشروع ، وكان كلانا في ابتهاج وسرور من هذا العمل الذي إذا نجحنا في تحقيقه كما ينبغي كان عملا عظيما حقا ، لأن كل عاقل كان يشعر - كما شعرت إدارة الثقافة العامة - بناحية النقص ، بل الفوضى ، في حركة التأليف والترجمة والنشر التي يتولاها الأفراد ومن في حكمهم ، وكنا نتساءل عن الضابط والمنهج الذي ستلتزمه إدارة الثقافة العامة لئلا تقع هي الأخرى في مثل هذه الفوضى ، وكنا نود أن يكون لها مستشارون أمناء من أهل الكفاية في كل ناحية من نواحي الثقافة والبحث وفروع المعرفة ، ليكون اختيارهم ما يختارونه من الكتب لهذا المشروع مما تفخر به المكتبة العربية ، ويملاء الفراغ في نهضتنا العلمية والثقافية ؛ ويساعد شباب الجيل على أن يكملوا سلسلة معارفهم بما ينسجم مع إنسانيتهم النقية ؛ وإسلامهم الصحيح ؛ وعروبتهم الأصيلة ؛ ومصريتهم الناهضة المتحررة .

لكننا - ويا للأسف - رأينا إدارة الثقافة العامة تشكو أمرا كان ينبغي لها أن تشكو عكسه ؛ رأيناها تشكو وفرة زائدة عن الحد فيما يقدمه الأفراد للمكتبة العربية من بعض الفروع كالإسلاميات . وأنا إلى الآن لا أزال أنساءل : أحق أن حملة الأفلام من المسلمين في مصر أخرجوا لقراءهم هذه الوفرة الزائدة عن الحد فيما تسميه إدارة الثقافة العامة بالإسلاميات ؛ وأين هي البحوث الإسلامية التي قدمها رجال جامعاتنا الثلاث لقراء العربية ؛ ولو في مثل الخبز الذي يملأه رجال الجامعات الهندية والباكستانية من هذا الفرع الثقافي ؟

إن تراث الإسلام في أربعة عشر قرنا هو العنصر المغموط في حركة التأليف والنشر ، وكان ينبغي للجامعيين من المصريين أن يحرصوا على استفادة مصر الإسلامية من إنسانية الإسلام وأهدافه السامية في نهضتها الحاضرة ؛ فيقدموا للشباب المثقف عشرات أضعاف ما نقدمه الآن من الدراسات الإسلامية ؛ توثيقا لروابط الآتى بالماضى ؛ وإيقاظا لما كان الاستعمار حريصا على (تنويمنا) عنه من أسباب قوتنا ومصادر حيويتنا . فهذه الكتب التي استطاع الأفراد منا أن يقدموها للمكتبة العربية وتراها إدارة الثقافة العامة وافرة وفرة زائدة عن الحد ؛ نراها نحن أقل من جهد المقل ، ولا تساوى في كميتها عشر ما ينشر في الغرب من الكتب في البحوث الكاثوليكية وحدها . ولو أن الجامعيين تربوا على الاتجاه الإسلامي بصدق وإيمان لتقدمنا في هذا السبيل خطوات واسعة يكون لها ما بعدها . بل إن مما يؤسف له أكثر وأكثر أن الذين يتجهون نحو اسم الإسلام من

الجامعيين قد انصرف هواهم إلى المذاهب الشاذة فى الإسلام كالمذاهب الباطنية ؛ حتى كاد يظن أن من وراء ذلك يدا تعمل فى الخفاء وتغذى هذا الاتجاه لأغراض ستظهرها الأيام مهما أبطأت .

هنا من ناحية « السكينة » فيما تحدث عنه إدارة الثقافة العامة من جهود الأفراد فى حركتى التأليف والنشر الإسلامى . وهى تقول عن ناحية « السكينة » من هذه الجهود إن عشرات الكتب التى ألفت عن الإسلام لم تسد النقص فى مكتبتنا ، وليس فيها كتاب واحد ألفت بطريقة علمية منهجية نستطيع أن نرجع إليه لنعرف كيف نشأت المذاهب الإسلامية ، وما هو الفارق بين المذهبين الشافعى والمالكي مثلا ، أو ما هى الفوارق الرئيسية بين مذاهب أهل السنة ومذاهب الشيعة ، ومن هو الحسن البصرى وما مقامه فى تاريخ الفقه الإسلامى ؟

وفى الحق اننا فى حاجة إلى هذا وإلى أضعاف أضعاف ما ذكرته إدارة الثقافة العامة ، وإن الأفراد قد بذلوا جهدهم على قدر طاقتهم ، ولعل من الظلم لهم قول إدارة الثقافة العامة : « إن بعض المؤلفين استغلوا تعطش الجماهير إلى « الإسلاميات » و « العربيات » استغلالا سيئا ، فانصرفت الغالبية العظمى منهم إلى تأليف كتب عن الإسلام وثقافته ورجاله وتاريخه ، وأخرجوا مئات من الكتب لا يضم معظمها علما أو تفكيراً جديدين ، وإنما هى سوقية تعتمد على استغلال عواطف الناس ، حتى تضخمتم المكتبة العربية على غير طائل » . فهل الذين أخرجوا هذه المئات من الكتب منعوا الجامعيين ورجال الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم من أن يؤلفوا وينشروا - بجهودهم الشخصية - ما هو خير منها ؟ وهل ما يصدره الجامعيون من كتب الباطنية كان خيرا لهم ولمصر وللإسلام من أن يصدروا بدلا منه كتباً فى البحوث الإسلامية السليمة ، ودراسات عن التراث الإسلامى منظورا إليه بعين العالم المسلم لا بعين الأجنبي الشائى ؟

ميدان التأليف والنشر واسع ، وأبوابه مفتحة للجميع . فلماذا لا يكون عند الجامعيين المسلمين الاتجاه الإسلامى اللائق بأمثالهم ، فيخرجوا للناس كتباً تتحدث عن الإسلام بأمانة وتحقيق ، كما يتحدث المصري عن قناة السويس من وجهة النظر المصرية ، كما يتحدث عنها الفرنسيون والانجليز من وجهة نظر شركة قناة السويس الفرنسية أو التى تسمى نفسها دولية أو عالمية ؟ !

وكنا نظن بعد أن ذكرت إدارة الثقافة العامة ما ذكرته عن تفاهة مئات الكتب الإسلامية التي قام بتأليفها الأفراد ونشروها بجهدهم الشخصية ، أنها ستخرج لنا - في كتبها الألف - كتباً عن نشأة المذاهب الفقهية خيراً وأوسع وأدسم من الكتب المتواضع الذي ألفه العلامة المحقق أحمد تيمور باشا بعنوان « نظرة تاريخية في حدود المذاهب الأربعة وكيفية انتشارها » ، وكتبها حافلة عن مقارنة المذاهب الفقهية الإسلامية وتاريخ نشوئها أوسع من كتاب « الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي » لعلامة المغرب السيد محمد بن الحسن المجوى ، ومن الكتب التي ألفت في مصر عن تاريخ التشريع الإسلامي من أيام الشيخ محمد الخضرى إلى الآن . فإذا كانت هذه الكتب كلها سوقية تعتمد على استغلال عواطف الناس ، فلا بد أن إدارة الثقافة العامة ستخرج لنا مئات من الكتب الألف خاصة بهذا وغيره من الدراسات الإسلامية على النحو الذى أشارت إليه .

وفي الأمس أطلعنى فاضل سعودى من ضيوف مصر - وهو الشيخ يوسف بن عبد العزيز النافع مراقب هيئة الأمر بالمعروف فى المسجد الحرام - على كتاب اختارته إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ونشرته على أنه من الكتب الإسلامية فى سلسلة كتبها الألف . وكان مما يثير الدهشة أن هذا الكتاب لداعية من كبار تلاميذ عدو الله صنيعة الاستعمار البريطانى غلام أحمد القاديانى !

ولا يحسن القارئ أن إدارة الثقافة العامة ، وكل من له علاقة بترجمة الكتاب ومراجعتها ، والإشراف على إصداره ، يجهلون أن محمد على اللاهورى من تلاميذ غلام أحمد القاديانى ، فانهم عرفوا ذلك واعترفوا به فى صفحة التعريف بالمؤلف فزعموا عنه أنه : « نشأ عاكفاً على الفضيلة ، عابداً ، مولعاً بالقرآن الكريم ، وقد نبذ مطامع الدنيا فى صحبة مرشده الروحى غلام أحمد القاديانى مؤسس الحركة الأحمدية ... وعن أستاذه سلك طرائق النساك ومسالك الزاهدين ! وقد نشر بنصيحة أستاذه المجلة الإسلامية لتحمل تعاليم الإسلام إلى أوروبا وأمريكا » .

ومعنى هذا أن إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم تحسن الظن بمحمد على اللاهورى وأستاذه غلام أحمد القاديانى ، وليس عندها علم حتى الآن بأن غلام أحمد القاديانى عدو للإسلام ، وأنه ليس من أئمة النساك الزاهدين . ومعنى هذا أيضاً أنها لا تعلم أنه صنيعة الاستعمار البريطانى ، وأنه قال فى كتابه (التبليغ) : « إن التفريط فى جنب انجلترا كالتفريط فى جنب الله » . ومعنى هذا أيضاً أنها لا تعلم أن غلام أحمد القاديانى كان - إلى أن

هلك فى سنة ١٣٢٦ (النصف الأول من سنة ١٩٠٨) - يدعى أنه نبي يوحى إليه ، وأنه هو أتباعه يؤولون وصف « خاتم الأنبياء » لمحمد صلى الله عليه وسلم بأنه بمعنى « زينة الأنبياء » كما تزدان الإصبع بالخطام ، لا بمعنى أنه آخر الأنبياء ولا نبي بعده . وكان غلام أحمد القاديانى يقول عن نفسه إنه نبي مجدى كما أن المسيح عيسى بن مريم وأنبياء بنى إسرائيل أنبياء موسويون . وكما أن المسيح بن مريم ما جاء لينقض الناموس (أى شرع موسى) بل ليكمله كذلك المسيح الموعود عدو الله غلام أحمد القاديانى يزعم أنه مسيح مجدى ما جاء لينقض الإسلام بل جاء ليكمله !

هذا هو غلام أحمد القاديانى المرشد الروحى لمحمد على اللاهورى مؤلف الكتاب الذى اختارته إدارة الثقافة العامة ليغضى على النقص الذى نشعر به فى فرع الإسلاميات مما ألفه المسلمون المعاصرون . وما دام هذا مبلغ علم هذه الإدارة بالإسلام وأوليائه وشأنه ، فقد أصبح من الواجب الإسلامى على هذا القلم الضعيف أن يتحدث إلى إدارة الثقافة العامة وإلى كل مسلم فى هذا الموضوع الخطير .

إن مجدى على اللاهورى أحد الأركان الأربعة [١] الذين قامت على أكتافهم ضلالة غلام أحمد القاديانى الذى كان يدعى - ومات وهو يدعى ، ولا يزال يدعى له كل تابع له - أنه المسيح الموعود ، وأنه كان يوحى إليه . وكان يدعى - ومات وهو يدعى ، ولا يزال يدعى له كل تابع له - أنه نبي ، ولتفاقه ونفاقهم يسمونه نبيا إسلاميا ، جاء ليكمل الإسلام ، ومن إكمال الإسلام أنه أعلن إبطال الجهاد ، وأن محاربة الانجليز حرام فى دينه ، وأما محاربة المسلمين فى صفوف الانجليز فهى الجهاد المشروع ! وقال عن الدولة البريطانية فى كتابه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) ج ١ ص ٢٦ « ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحاءها ودواعى خيرها من قديم . . . وكان والدى الميرزا غلام مرتضى ابن ميرزا عطا مجدى القاديانى من نصحاء الدولة البريطانية . . . وكان أبى أمدها بنحسين فارسا بنحيوهم مددا منه فى أيام المفسدة (أى فى أيام ثورة مسلمى الهند

[١] وهم حاجى نور الدين قريشى القدى كان خليفة غلام أحمد القاديانى من مايو سنة ١٩٠٨ إلى أن هلك فى مارس ١٩١٤ ، ومحمد على اللاهورى القدى تزعم هذه الحركة إلى أن هلك فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وخوجه كمال الدين الذى كان عضوا بمجلس المعتدين القاديانى وسكرتيراً أصدر أنجمن أحمدي ، والرابع محمود بشير الدين ابن الغلام المافون القاديانى .

على الاستعمار ، نَحْنُ دينه وأُمته ووطنه وحارب مع الاستعمار (وسبق السابقين في إمداد المال ، عند حلول الأهوال ... أما أنا (أى ابنه الغلام القاديانى المرشد الروحى لمحمد على (اللاهورى) فما كان عندى من مال الدنيا وخيلها وأفراسها ، غير أنى أعطيت جِياذ الأقلام ، ورزقت جواهر الكلام ، فهذه الدولة الإلهية السماوية (أى بريطانيا) قد أغنتنى وجبرت عيلتى وأضاءتى ونورت ليلتى وأدخلتنى فى المنعمين ... فقمت لإمدادها بقلبى ويدي ، وكان الله فى مددى ، وعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد أن لا أولف كتابا مبسوطا إلا وأذكر فيه إحسانات قيصة الهند (الملكة فكتوريا) وذكر منها التى وجب شكرها على المسلمين ... فأشعت تلك الكتب المحتوية على تلك المضامين فى كل ديار ، وفى الناس أجمعين ، وأرسلتها إلى ديار بعيدة من العرب والعجم وغيرها ... لعلهم يعلمون أن هذه الدولة محسنة إليهم فيجبونها طائعين . هذا عملى ، وهذه خدمتى ، والله يعلم نيتى ، وهو خير المحاسنين ... ومن كان فى شك فليرجع إلى كتابى (البراهين) ، وإن لم يكفه لشكه فلينظر كتابى (التبليغ) ، وإن لم يطمئن فليقرأ كتابى (الحجة) ، وإن بقى بعد ذلك شك فليفكر فى كتابى (الشهادة) ليتضح له كيف أعلنت بصوت عال فى منع الجهاد والخروج على هذه الدولة ، وتخطئة المجاهدين ... حتى مضت على إحدى عشرة سنة فى شغل الإشاعات ، وما كنت من القاصرين . فلى أن أدعى التفرد فى هذه الخدمات ... فليس للدولة (أى البريطانية) نظيرى ومثيلى فى نصرى وعونى ، وستعلم الدولة إن كانت من المتوسمين » .

وهذا العبد الخاضع للاستعمار البريطانى يزعم فى كتابه (البشرى) فى (الحصة الأولى) ص ٥٦ أنه أوحى إليه ما يأتى :

« ينزل الله فى القاديان » .

وفى كتابه (حقيقة الوحى) ص ٣٩١ طبعة قاديان مجازين فى مايو سنة ١٩٠٧ وهو من آخر مؤلفاته ، قال : « إن الذين خلوا فى هذه الأمة من الأولياء والأبدال والأقطاب لم يعط لهم شئ مما أعطيت ، فقد خصصت أنا أن أكون نبيا ، ولا يستحقه أحد غيرى لأن الإيحاءات الكثيرة ، والأمور الغيبية ، لم توجد فيهم » .

وقال فى ص ١١ من كتابه (اشتهار معيار الأخيار) : « أنا أفضل من أبى بكر ، بل أفضل من الأنبياء » .

وقال فى كتابه (دافع البلاء) ص ١٣ : « أنا أفضل من الحسين » .

وقال فى حاشية كتابه (ضميمه أنجم آتهم) : « تبأ لعيسى ، فقد سرق كل ما فى الإنجيل من الأحكام التى هى تعليمه الجبلى (أى عظة الجبل) من كتاب التلمود لليهود ، وزعم للناس بعد هذه السرقة أنه كتابه الذى أنزل إليه من السماء » .
وقال متهمًا على خاتم رسل الله محمد صلى الله عليه وسلم :

له انخسف القمر المنير ، وإن لى نَمَا القمران المشرقان ، أتنكر ؟

وقد فسر البيت باللغة الأوردية تفسيرًا دل على حقته وقلة أدبه فى حق نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى عراقته فى الكفر والجهل والجنون معا . ومن عقائد القاديانيين أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم هلال ، وأن الغلام القاديانى بدر كامل . وعلى هذه العقيدة صنع القاديانيون رايهم المليمة فنقشوا عليها هلالا وبدرا وبينهما منارة زعموا أنها منارة المسيح القاديانى لتقوم مقام المنارة الشرقية بمسجد دمشق التى ورد فى بعض الآثار أن المسيح عيسى بن مريم ينزل عليها فى آخر الزمان ، فزعم القاديانى أنه هو المقصود بذلك ، وأنشأوا له بلدة سموها (الربوة) ليفسروا بها الآية القرآنية « ربوة ذات قرار ومعين » . والربوة متنزّه مشهور بدمشق .

وادعى القاديانى فى كتابه (أربعين) رقم ٢ ص ٣ ، وأيضا فى رسالته (أنجم آتهم) ، أن الله أوحى إليه قائلا : « اخترتك لنفسى . الأرض والسماء معك كما هى معى ، وسرك سرى . أنت منى بمنزلة توحيدى وتفريدى » .

وقال فى صفحة ٥٦٤ - ٥٦٥ من كتابه (آيينه كالات إسلام) :

« رأيت فى المنام بأنى إله ، وأيقنت أنى أنا هو الله بعينه . وخطر ببالى أن أصلح الدنيا وأنظمها بنظام جديد . أى أخلق السماء والأرض بدور جديد » .

وقال فى كتابه (توضيح المرام) : « إن الله ذو طول وعرض ، وله أرجل وأيد لا تعد ولا تحصى . وأيضا له أعصاب وأوتار كالسلك البرقى ممتدة فى كل الجهات » .
وقال فى كتابه (بركات الخلافة) ص ٥ : « بعد ظهورى تحول الحج إلى قاديان » .
وقال فى (توضيح المرام) ص ٥٢ : « ما الملائكة إلا اسم لحرارة الروح » .

وقال في (إزالة الأوهام) ص ٢ : « القيامة ليست بآتية ، والتقدير ليس بشيء » .
وقال في ص ١٠ من (ضميعة تحفه كولروية) : « وقد أعطاني الله اختيارا كاملا
لأن أقبل من الأحاديث الموافقة للإلهامى ، وأن أردّها إذا خالفت آرائى » .

وأقوال الغلام القاديانى التى تحت يدى والى على هذه الشاكلة تملأ هذا الجزء من مجلة
الأزهر إلى صحيفة الفهرس ، وأظن أن الذى نقلته منها كاف للتعريف به من ناحيته
السياسية والوطنية ، ومن ناحيته الدينية والعقلية .

وهذا الرجل هو المرشد الروحى لتلاميذه محمد على اللاهورى الذى اختارت له إدارة
الثقافة العامة فى وزارة التربية والتعليم كتابا من ألف كتاب ليسد الفراغ فى الثقافة
الإسلامية التى ألف فيها كتاب من المصريين كتبها سوقية تعتمد على استغلال عواطف
الناس ، فهل كتب القاديانيين التى تعتمد على إرشاد أحمد القاديانى هى الكتب الرفيعة
التي تسد الفراغ عن الإسلام فى المكتبة العربية ؟ !

وقد تقول لنا إدارة الثقافة العامة : وما ذنب محمد على اللاهورى إذا كان مرشده
الروحى منحطاً إلى هذه الدركة التى لا قرار لها فى الجحيم ؟

وجوابى على ذلك أن لمحمد على اللاهورى مقالة فى مجلة (ريفيو أوف ريليجنز)
المجلد الثامن ص ١٦٣ يقول فيها : « إن مثل الحركة الأحمدية والإسلام كمثل المسيحية
واليهودية » . ومعنى هذا أنه يعترف بأن الحركة الأحمدية التى هو من دعايتها إنما هى ديانة
أخرى تختلف عن الإسلام بمقدار ما تختلف المسيحية عن اليهودية . وبما أن دعاة الكنيسة
المسيحية ينشرون التوراة ويرونها من كتبهم وإن اختلفوا عن اليهود فى تفسيرها وفهمها ،
فإن محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يدعون الانتساب إلى القرآن ويختلفون
عن المسلمين فى تفسيره وفهمه .

ومعنى هذا أيضا أن محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يقبلون السخيف
المأفون غلام أحمد القاديانى بكل ما فيه من نقائص وخيانات وكفر وحماقة وحقنة ،
ويعتبرونه مرشدا روحيا لهم ، وتسجل له إدارة الثقافة العامة هذا الارشاد الروحى لمؤلف
الكتاب الذى نشرته له من الكتب الألف وتصدر به ذلك الكتاب فى صفحته الأولى .

ومعنى ذلك أيضا أن محمد على اللاهورى وجماعته من الأحمديين يسمون بأن مأفونهم

كان مسيحيا للإسلام كما كان عيسى بن مريم مسيحيا لليهودية ، ولا يكذبونه فى أنه كان يوحى إليه بذلك الهراء الذى نقلنا نماذج منه ؛ وسنتحدث عن عقيدة محمد على اللاهورى بشأن الوحى وعدم انقطاعه إلى الآن .

ويقول محمد على اللاهورى فى مقدمة الطبعة الثانية من ترجمته المشوهة لكتاب الله الحكيم : « وأخيرا أفادنى بكل ما فى هذا الكتاب من خير ، أكبر إمام دينى فى هذا العصر ، الميرزا غلام أحمد القاديانى ، وإبنى ارتويت من عين العلم المتدفقة التى كانت تتفجر من صدر هذا المصلح الكبير ، مجدد هذا العصر ، ومهدى هذه الأمة ، ومؤسس الحركة الأحمدية » .

بل إنهم فى النشرة التى أعلنوا فيها عقائدهم - وهى موقع عليها بتوقيع محمد على اللاهورى هذا - قالوا فى الفقرة الرابعة منها : إن غلام أحمد مجدد المائة الرابعة عشرة . وفى الفقرة الخامسة أعلنوا اعتقادهم بأن الله يكلم أوليائه .

ويقول محمد على اللاهورى فى مقدمة ترجمته للقرآن :

« إن باب الوحى الإلهى لا يزال مفتوحا ، ويمكن للأسلم الصادق (أى النابع لغلام أحمد القاديانى) أن يدخله » .

ويقول محمد على اللاهورى فى موضعين من كتابه (الدين الإسلامى - أصوله وقواعده) الذى ترجمه السكرتير العام لمصلحة السكك الحديدية بالقاهرة سنة ١٩٥٢ : إن الوحى مستمر إلى الآن .

وإن مجلاتهم (النور Light) التى يتبع محمد على اللاهورى بالتمدح بها فى الفقرة السابعة من النشرة الموقع عليها باسمه وعنوانها « خدمات الجمعية الأحمدية لإشاعة الإسلام - مركزها فى لاهور پنجاب الهند » وعندى نسخة منها أرسلوها هم إلى عند ظهورها فى زمن الاستعمار البريطانى ، زعموا فى العدد ١٩ من هذه المجلة (النور) الصادر فى ١٦ يوليه سنة ١٩٣٣ تحت عنوان (صوت الله) أن غاندى يهبط عليه الوحى الإلهى ، وأن الله كلمه بصوت سمعه غاندى بأذنه . وعلقوا على هذا الخبر السخيف بقولهم : « لم يحدثنا غاندى عن الله بأنه موجود فقط ، بل حدثنا - أبعد من ذلك - بأنه يكلم الإنسان ، وحقيقة أنه هو بنفسه سمع صوته » .

ثم قالوا : « ونحن خاصة ، لنا أسباب تعظم هذه المسألة وتجعلها مهمة عندنا . فصور الله هو أحد أحجار الزاوية في حركة الأحمدية . فالدين الذى جز من هذه الخصلة الحيوية [١] قد هوى إلى أن صار أسطورة قديمة لا غير [٢] ، والأساطير الميتة إنما هى عظام ميتة مجردة من الحياة ومن القدرة على النمو الحيوى .

« وثنيو الهند يعتقدون أن الله تكلم مرة واحدة في ابتداء الدنيا ، وأعطى قيذا - الكتاب الذى يقده البراهمة - للجنس البشرى ، ثم نذر على نفسه أن يلازم الصمت إلى الأبد . واليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان كذلك أغلقوا باب الوحي الإلهى من جهتهم ، وبذلك انتقص المعلمون حقيقة الدين الحيوية وصبروه هكذا أساطير ميتة . والعلماء المسلمون افترفوا أيضا هذه الخطيئة ، وبذلك اقتطعوا ينبوع الحياة والنور عن الإسلام - أعنى كلام الله - وإنها لإساءة عظيمة إلى الإسلام أن يجعل سد بين المسلمين وبين هذه البركة الروحية العليا التى هى في الحقيقة أعظم أسرار الحياة : كلام الله الحى الذى يسمعه الإنسان بأذنه . وإنما جاء الإسلام ليكون بركة للنوع الإنسانى ، لكن علماء المسلمين - باسم الإسلام نفسه - قد حرموا المسلمين من بركة الله العظمى الممكنة .»

إلى أن قالت مجلتهن LIGT في ١٦ يولييه سنة ١٩٣٣ تشتم المسلمين ودينهم : « الشجرة التى لا تثمر ليس لها قيمة ... فبوجود إمكان كلام الله ليسلم المتقى جلب العلماء الخسران للإسلام ، فكان مثل شجرة التين المذكورة في الانجيل التى صارت لا تحمل ثمرا ، فلعننا المسيح ، وحق له ذلك .»

ولما نشروا هذا الكلام في سنة ١٩٣٣ تصدى للرد عليهم في مجلة (الفتح) العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي وكان يومئذ من أساتذة جامعة بون بألمانيا ، وأنزل الصواعق على هؤلاء الذين لم يملأ عيونههم كلام الله الدائم الخالد في القرآن الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فأرادوا أن يفتحوا الباب لتغيير الإسلام بدعوى أن الله يكلم

[١] أى دين الإسلام الذى قام على عقيدة انقطاع الوحي ، وأن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

[٢] وعلى هذا فدين الإسلام أبعد شوطا من الحركة الأحمدية من بعد دين اليهود عن الهداية المسيحية .

الكذابين والمعتوهين والدجالين كذبهم غلام أحمد القاديانى ، بل يكلم البراهمة من عباد البقر، بصوت يسمعون به بأذانهم فيأتون بأديان كاذبة تخدم الاستعمار من نوع دين أستاذهم ومصلحهم ومجددهم ومرشدهم الروحى عدو الله غلام أحمد القاديانى الذى زعم أن الله كلمه وقال له : إن السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) فى مصر ، ومولوى ثناء الله الإمرتسرى صاحب مجلة (أهل الحديث) التى كانت تصدر فى إمرتسربالهند يموتان قريبا ، فمات هذا الضليل خادما للاستعمار البريطانى وشيع موتا ، وعاش الاثنان بعده دهرا طويلا ليثبت الله للناس كذبه وأنه يتكلم من وحي الشيطان . وقديما قيل للأحنف بن قيس : إن المختار بن عبيد الثقفى يزعم أنه يوحى إليه ، فقال الأحنف : صدق . وتلا « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

ومن العجيب أن يتمسك محمد على اللاهورى وطائفته بدعوى استمرار الوحي ليثبتوا أن مأفونهم القاديانى كان يوحى إليه بما نقلنا نماذج منه عن كتبه السخيفة ، فهم يجمعون بين العلم بسخف تلك الكتب بدليل أنهم لا يجدون طبعها ، ويجمعون النسخ المطبوعة منها قديما فيوارونها كما توارى السنور خرها ، ومع ذلك يحافظون على خرافة استمرار الوحي تصديقا له وإصرارا منهم على الأتنام به . فكلام غلام أحمد القاديانى عندهم وحي وهو مع ذلك كلامه ، ومحمد على اللاهورى يريد فى كتابه الذى ترجمته عن الإنجليزية إدارة الثقافة العامة ونشرته فى طليعة كتبها الألف أن يغرس فى أذهان قرائه أن القرآن من أفكار النبى صلى الله عليه وسلم وأنه مع ذلك موحى به إليه ، ولذلك سعى كتابه الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأدرج تحت الفكر الخوالد لمحمد صلى الله عليه وسلم كل ما أورده فى كتابه من الآيات القرآنية ، فكما أن مؤلفات الغلام القاديانى التى ملأها كفرا بالإسلام وتمجيذا بالاستعمار البريطانى هى عند محمد على اللاهورى من الفكر الخوالد للغلام القاديانى ، وهى مع ذلك مما أوحى به إليه ، كذلك الآيات القرآنية هى من الفكر الخوالد للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى مع ذلك مما أوحى به إليه .

فما يعزوه من الوحي للنبى محمد صلى الله عليه وسلم هو عنده كالذى يعزوه من الوحي لمسيحه الموعود الغلام القاديانى ، وما يعزوه من الوحي لغاندى ، بل إن الوحي عنده مستمر ودائم لجميع الناس ، ويعيب على مواطنيه من براهمة الهند أنهم يحضرون الوحي بكتاب القيدا فى ابتداء الدنيا ولذلك فهم عنده مخطئون ، وأن اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان الذين أغلقوا باب الوحي الإلهى من جهتهم مخطئون أيضا ، وأن

أشدهم خطأ المسلمون الذين يقولون بانقطاع الوحي بوفاة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . والقاديانية وحدها هي المصيبة بأن معنى خاتم النبيين زينتهم كاخاتم الذي في الإصبع ، وترى أن الإسلام - بتكذيبه غلام أحمد القادياني وكل الذين توحى الشياطين إليهم - أصبح كالشجرة التي لا تثمر وهي الشجرة التي لعنها المسيح . أما ثمرة الإسلام الشعبية وهي تلاوة الوحي الدائم الباقي إلى يوم الدين في آيات الكتاب المبين فهي عندهم ليست بشيء لأنها لا تمجد الاستعمار البريطاني ولا تسب الأنبياء والصحابة ولا تجارى الغلام المأفون في كفره .

وبعد فاني أقترح على المسلم المجاهد وزير التربية والتعليم أن يأمر بحجز نسخ كتاب محمد على اللاهوري القادياني الذي ترجمته ونشرته إدارة الثقافة العامة ، وأن يأمر بحرقها ، وأن يغرم نفقات ترجمة الكتاب وطبعه لمن أشار بادخاله في الكتب الألف ، وأن ينبه على إدارة الثقافة العامة بأن تستشير في كل شيء أهل الأمانة والنصيحة والمعرفة بحقائق الأشياء ، والله الموفق ما

حسب المرين الخطيب

قاديانيات

* في سنة ١٨٩٨ سن غلام أحمد القادياني قانونا لأتباعه يحظر عليهم أن يزوجوا بناتهم للذين لا يصدقون بنبوته .

* في سنة ١٩٠١ أمر الغلام القادياني أتباعه باحصاء عددهم ، وتقييد أسمائهم في سجل . قال ابنه محمود بشير : وكانت هذه السنة مبدأ التفريق بين القاديانيين والمسلمين .

* في سنة ١٩٠٥ أسس الغلام القادياني بالإعانات البريطانية مدرسة دينية لتخريج الدعاة لمذهبه ومقاصده . ولما زار المهندس المصرى مصطفى مؤمن القارة الهندية بعد الحرب العالمية الثانية زار هذه المدرسة فوجد بين الذين يتعلمون فيها الدعوة القاديانية فتاة مصرية من أسرة إسلامية .

نفحات القرآن

- ٤٧ -

معالم الطريق الى الفلاح

« يا أيها الذين آمنوا: اتقوا الله ، وابتغوا إليه
الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله ، لعلكم تفلحون » .

١ - تكفل الله تعالى ببيان السبيل إلى بابه ، ورسم لهذه السبيل معالمها ، ودعا خلقه أن يوجهوا أنفسهم إليه في ضوء تلك المعالم ، ووعدهم في كل موطن من مواطن الدعوة أن يتقبلهم راضيا عنهم ، متجاوزا عن سيئاتهم ، إذا أحسنوا الظن برهم ، وصدقوا النية في الاتجاه إليه ، فان أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ، وإن أساءوا فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد .

٢ - ومن دعوات القرآن إلى سبيل الله قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . . الآية » فهذا نداء للمؤمنين أن يأخذوا بثلاث وسائل ، لتكون غايتها - وهي الفلاح - مكفولة لهم . . . ولإنما أثر المؤمنين بهذا النداء ، لأن الشأن فيهم أن يرغبوا في الفلاح لأنفسهم ، والأمل فيهم أن يحرصوا على الأسباب ، وأن يطيعوا في الأخذ بها كوسيلة إلى غايتهم المرجوة ، وهذه ظاهرة الإيمان الذي عرفوا به ، وخوطفوا بعنوانه . والعقلية المؤمنة هي التي تربط الأسباب بمسبباتها ، وتدرك أن من زرع حصدا ، وغير المؤمنين تغرهم الأمانى ، وتقعد بهم الهمم ، فهم يطمحون ولا يعملون ، فتوجيه الخطاب إليهم غير ذى جدوى ، وفي الإعراض عنهم تحقير لهم ، وإشعار لهم بأنهم ليسوا في عداد الناس الذين يلتفت إليهم . وأما المؤمنون فهم وحدهم الجديرون بالخطاب : (١) أن يأخذوا بالتقوى (ب) وابتغوا إلى ربهم الوسيلة (ج) ويجاهدوا في سبيله .

(١) ومعنى التقوى : تجنب سخط الله ، والتجنب إليه تعالى . . وذلك كله منوط بفعل ما أمر الله ، وترك ما نهى الله عنه ، وبالتماس الحلال ، واتقاء المحظور فيما نحن بسبيله من شئون الحياة ، وكلمة التقوى على ذلك كلمة جامعة ينضوى تحتها كل معانى الخير إيجابا وسلبا .

(ب) وتكون الوسيلة المذكورة بعدها بيانا وتأكيذا للتقوى . وخلاصة هذا أن التقوى والوسيلة فى معنى واحد ، غير أن الوسيلة صرح فى جانبها بالأمر بابتغائها ، يعنى الاتجاه إليها عن رغبة وإخلاص فيها ، خشية لله وطمعا فى رحمته ، وتكون الوسيلة إلى جانب التقوى أمرا ثانيا فى الظاهر فقط .

ويمكن أن تحمل الوسيلة على معنى الحاجة التى تعرض للانسان ، كما يرى ذلك بعض المفسرين ، ويكون معنى ابتغائها الاتجاه إلى الله فى طلب الحاجة والاعتماد عليه وحده فى قضائها ، كيفما كانت هذه الحاجة للدين أو للدنيا .

وبهذا تكون الوسيلة أمرا ثانيا غير التقوى التى سلف معناها .

وللوسيلة احتمالات أخرى ليست ذات بال . .

(ج) ثم جاء قوله تعالى : « وجاهدوا فى سبيله » والجهاد فى سبيل الله هو الدفاع عن دينه ، ومقاومة الكافرين الشريعتة ، والجهاد كذلك بالسعى فى الخير للناس ، ودفع ظالمهم عن مظلومهم ، ومواساة المنكوبين منهم ، وتشجيع المستضعفين ، والمؤازرة فى كل عمل يعود على الناس بما ينفع .

والتعميم فى سبيل الله أولى من قصره على الجهاد وحده ، إذ أن الخير كله سبيل إلى الله ، وإن كان الجهاد أول المعانى خطورا بالبال .

ومن هذا السياق يتضح أن الدعوة إلى تلك الوسائل الثلاث - التقوى ، وابتغاء الوسيلة ، والجهاد فى سبيل الله - ليست بمعزل عن شئون الدنيا ، فإن الدنيا - كما عرضنا لذلك غير مرة - ليست عدوة للدين على نحو ما يسرف فى تصويرها بعض المتشائمين منها ، وإنما هى مراقبة إلى الآخرة ووطن للعمل ، وحلبة للسباق إلى باب الله الفسيح .
فالدعوة فى الآية آخذة بأطراف السبيل كلها : دينا ودنيا جميعا .

وإذا انتهت الآية من التخصيص على الوسائل الثلاث، فهي تلتقل بنا إلى الغاية المرجوة منها، وهى الفلاح الذى ينشده المؤمنون، فتذكر هذه الغاية فى سياق الرجاء عند الله « لعلكم تفلحون » فكأن الفلاح الذى يرتجيه المؤمنون لدينهم ودنياهم منوط بوسائله الأنفة، وليس يكفى بعضها لتمام الفلاح كله، فإن ثلاثها دعائم يقوم عليها أمر كامل، هو غاية مقصودة، فأذا لم تتوافر الدعائم فلن يتم ذلك الأمر، ولن تحقق فيه الأمنية.

وما دام الخطاب للمؤمنين، والشأن فيهم ألا يؤمنوا ببعض دون البعض، فالمفروض أن تكون غايتهم مسبقة بوسائلها على نحو ما شرع الله، ومن أجل ذلك يحثنا الرسول على أن نتقن أعمالنا كما يحب الله سبحانه منا، وكما يحب سبحانه أن يوفينا جزاءنا غير منقوص.

٣ — هذا : وقد توسع بعض العلماء فى تفسير الوسيلة، فلم يفهم أن تكون بمعنى التقوى، ولا أن تكون بمعنى الاتجاه إلى الله فى طلب الحاجات، والتضرع إليه تعالى بالدعوات، بل جعلوها شاملة للتوسط إلى الله بالصالحين من عباده، وشاملة لتوسيط صلحاء السابقين من سكان الأرضة... فأصبح يجرى على السنة الكثيرين التوسل بفلان، بل تسرب إلى أذهان بعضهم أن لسكان الأرضة جاها ونفوذاً عند ربهم، بل تصرفاً فى شئون الناس.

ومجارة لهذه الأفهام يكون التوسل بسكان الأرضة ممن كانوا فى الدنيا أهل صلاح شيئاً ما مورا به فى القرآن... وليس كذلك، فإن طبيعة القرآن تأبى هذا الفهم، إذ القرآن قائم على توحيد الله عن الشريك، وعلى توجيه الناس نحو خالقهم وحده فى كل ما عظم أوهان من شئونهم.

وآيات الكتاب وصحاح الأحاديث وأعمال السلف متضافرة على هذا، ومع ذلك طال النقاش حول هذا فى العصور الأخيرة عن عهد السلف.

٤ — والحق الذى لا يحتاج إلى تكلف، ولا يحتمل ريبة، أن التوسل إلى الله يكون بالعمل الصالح، ويكون بالدعوات الطيبات من الناس، وخاصة من الأتقياء الأحياء تكريماً لهم، ونظراً لقربهم من ربهم بالأعمال الطيبة الجارية منهم، والدعاء جزء من العمل، وفى دعاء البعض للبعض توثيق للروابط، ودعم للأخاء، وتعاطف بين الناس، وكل ذلك مستحسن، ولا خروج فيه على كتاب ولا سنة.

وأما دعاء الأموات للأحياء فغير حاصل، ولا ممكن، ولا مطمع فيه، ولا معنى للتعلق به.

وحسب الصالحاء الراجلين أن لهم عند ربهم مكانة محمودة ، ومنزلة في أحرهم لا ينالها من كان دونهم عملا في دنياه ، ولسكنها لا تتعدى ذلك إلى نفوذ أو تصرف أو نحو هذا . وعلى ذلك التحقيق تضافرت الأدلة المقبولة وكان عمل الصحابة .

فقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يزور الروضة النبوية ويسلم على الرسول صلوات الله عليه وعلى صاحبيه رضى الله عنهما ، ثم ينصرف دون أن يتوسل أو يزيد ، فلو كان التوسل بأهل الآخرة جائزا لفعله ابن عمر في زيارته للروضة ، فأنها مقام فوق كل مقام ، ولأفضل عبد من عباد الله السابقين واللاحقين .

ولسنا بالميل إلى هذا نفرض من أقدار سلفنا ، بل نحن نربأ بهم عن تجاوز أقدارهم . والمبالغة في تعظيمهم أشبه بتعظيم المسيحيين لعيسى عليه السلام حيث زعموه إلهاً ، أو ابن الإله ، وزعموا أن القول برسالة فحسب يعتبر تقيصاً من قدره ، وما هي إلا مبالغة كاذبة أودت بهم إلى الخروج عن دعوة عيسى نفسه ، والإلحاد في دينه .

ولقد خشى علينا النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذه المبالغة في شأنه ، فقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » يعنى لا تبالغوا في الإطراء والثناء على ، لئلا يوقع بكم هذا في الكفر كما كفرتم .

٥ - وقد رأى بعض العلماء أن التوسل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم جائز ، واعتبروا ذلك توسلاً بحب الله له . وهذا حق ، ثم لا غضاضة في دعاء إنسان لإنسان ، ولا في التوسل بحب الله لأنبيائه أو بحبه للصالحين من عباده بوجه عام ، كما أن الجمع عليه أن نتوسل إلى الله بصفاته .

وقصارى الجدل في هذا أن الله أقرب إلينا من كل ما عداه ، فليكن قصدنا إليه ، واعتمادنا عليه ، ولناخذ بما اتفق عليه أولو العلم ، ولا حاجة إلى تكلف ، ورضى الله عن صالحى المؤمنين ، وعنا أجمعين .

٦ - وقد جاء بعد هذه الآية ما يؤكد المطلوب منها في أسلوب التشنيع على الكافرين ، وإغلاق الباب في وجههم ، وإقناطهم مما يرجى للمؤمنين .

« إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم » .

يعنى أن الكفار ضيعوا على أنفسهم الأخذ بتلك الوسائل ، فلن يتحقق لهم ما يتحقق للمؤمنين . . فإذا حان الموعد ، ووقفوا من ربهم موقف المسئول فى رهبة ، فلن يجدوا مخلصا من هذه المهلكة .

وإذا كانت أزماتهم الدنيوية ينفع فيها الفداء ، فليست أزماتهم فى الآخرة كذلك ، بل لو فرض أن لهم - يومئذ - ما فى الأرض جميعا ومثله معه أو أمثله ، واتجهوا إلى الافتداء به من عذاب يوم القيامة ، ما تقبل منهم ذلك الفداء .

فليتأمل الكفار من خلال هذا التهديد إلى هول الموقف ، وليذكروا أن افتدائهم من العذاب غير متاح لهم ، ولو بلغ الفداء ما فى الأرض ومثله معه ، ولعلموا أن نصيبهم من حياتهم هذه عذاب مقيم ثابت لا يتزحزون عنه ، ولا يتقلص عنهم .

فقد ترددت على مسامعهم دعوة الله إلى طاعته ، وما اقترن بهذه الدعوة من وعد كريم ووعد رهيب ، فأبوا أن يستجيبوا أو استهانوا بما سمعوا ، فلم يبق إلا أن يصدق الوعد فيهم ، والله لا يخلف وعده .

وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، والله المسئول أن ينجبنا غضبه ، ويرشدنا إلى سبيله ، حتى نظفر بالفلاح الموعود للمؤمنين ما

عبد المطلب السبكي
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير الفتيش بالأزهر

برنارد شو يصف الإسلام

لما وصل برنارد شو إلى سنغافورة فى رحلة قام بها إلى الشرق لقيه صاحب جريدة (الهدى) على ظهر الباخرة (امبريس أوف برين) فقال لبرنارد شو :

— رأيت لك مقالة فى (كوز موبوليتن) امتدحت فيها الإسلام ، فهل لك أن تقول لى ما رأيك فى الإسلام ؟

فأجابه برنارد شو : الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر ، ودين البيع والشراء ، وفوق ذلك فهو دين الجحتمان .

السياسة

حتى على الجهاد

- ٢ -

أصول الجهاد - اختلافه باختلاف العباد - جزاء
تاركه - ضربات العدو - خدعة التعصب - أسلحة
لا يعرفها العدو - ذنوب الجيش - دعاء وأمل .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
دنى على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده ! قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن
تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ ! قال : ومن يستطيع ذلك ؟
رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أصول الجهاد خمسة :

جهاد النفس . . بالتزكية والتربية على الهدى ودين الحق ، تعلمها وعملا وهديا ،
ودعوة إلى الله عز وجل ، وصبرا لحكمه ، واحتلالا للأذى في سبيله . . ولا يزال العبد
مرتقيا في معارج هذا الجهاد حتى يفلح ويصبح ربانيا ، يدعى عظيما في ملكوت السماء .
وجهاد الشيطان . . بدفع ما يلقى في النفس من شكوك وشبهات ، وما يزين لها من
رغبات وشهوات .
والنفس والشيطان ، عدوان خفيان ، هما أعدى أعداء الإنسان ، اصطحبا في الخفاء
على فتنته والكيد له ، واصطلحا على إغوائه والتغري به ، وتظاهرا على أمره بالسوء
والفحشاء ، وصده عن سبيل الله ! .

من أجل ذلك كان جهادهما أساسا ومقدمة لما وراءه من صنوف الجهاد ، وأخلق
بمن ظفر بعدوه الخفى ، أن يكون ظفره بعدوه الظاهر أعظم ، ونصره عليه أتم .

وجهاد الكفار . . . بالدعوة إلى الإسلام ، وحمايته من العدوان ، واقتدائه بالنفس والمال ، وبكل مرتخص وغال ، ابتغاء مرضاة الله ، وإعلاء لكلمة الله . وهذا الجهاد هو المقصود في الحديث كما أسلفنا في الجزء الأسبق . وهو الذي يرفع الله به المجاهدين مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجة كما بين السماء والأرض . . .

وجهاد المنافقين والملحدين --- بالجمعة والبرهان ، والقلب واللسان ، وهو أشد من جهاد الكفار وأصعب ، ومن هنا كان جهاد الخاصة من الأمة ، والصفوة من أتباع الرسل . وجهاد أرباب المنكرات والبدع --- بالنهي عنها ، والعمل على تغييرها باليد ، ثم باللسان ، ثم بالقلب عند العجز ، وذلك أضعف الإيمان !

وإلى هذه الأصول الخمسة يشير قوله عز اسمه : « وجاهدوا في الله حق جهاده » وقوله جل ثناؤه : « ومن جاهد فإمّا يحاهد لنفسه » وقد أفاض في بيانها وبيان شعبها ومراتبها صاحب الهدى ---

* * *

وإذا كان الله سبحانه قد كتب على عباده أن يجاهدوا فيه حق جهاده ، فإن فرض الجهاد وحقه يختلف باختلاف العباد قوة وضعفاً ، وعلمها وجهلاً ، وسعة وضيقاً ، وحسب الأمة الإسلامية - أفراداً وجماعات - أن تجاهد ما استطاعت إلى الجهاد سبيلاً ، وأن تعد لعدو الله وعدوها ما استطاعت من قوة ، مادية كانت القوة أو معنوية --- فما من أمة تهاونت في الجهاد أو تركته ، إلا ألبسها الله ثوب الذل ! وسلط عليها من يسومها سوء العذاب والخوف ! وسلبها نعمة الاستخلاف والتكفين في الأرض !

تنبه لهذا أعداء الله والإسلام ، فأخذوا يكيّدون للمسلمين ! ويعدون لهم ما استطاعوا من قوة ! ويرمونهم بالتعصب والهمجية ! ليعبدوهم عن الجهاد والدعوة ، وليجدوا في المنافقين منهم من البطانة والأولياء ، من هم أشد على الإسلام من الأعداء !!!
وها هو ذا عدو الله وعدونا يضر بنا - كلما منحت له الفرصة - ببعض ما أعدّ ، وهو متعصب تعصبنا الذي زعم أو أشد ، ضربات لا تعرف هودة ولا رحمة !!!

* * *

ولعل الأمة الإسلامية في هذه الأيام - وقد رأت رأى العين من بخور عدوها ووحشيته ما لم يكن ليخطر على بال - تنبه من غفلتها ، وتصحو من نومتها ، وتعرف فضل الجهاد والإعداد ، بكل ما يتسع له معنى الجهاد والإعداد ، فقد أسفر الصبح لذي عيين ، وانكشفت خدعة التعصب ، وما يراد بها من تضييق وتخذيل ! وتحذير وتضليل !

وإذا كان المسلمون بحاجة شديدة إلى أسلحة مادية مثل أسلحة عدوهم إن لم تفقها ، فإن حاجتهم إلى الأسلحة المعنوية أشد ، وهم منها بحمد الله ونعمته أوفر حظاً وأوفى نصيباً ، لو رجعوا إلى كتابين دينهم وخزائنه --- ففيها من أسلحة النصر والظفر ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » . وإذا كان العدو أقوى منا حشداً ، وأكثر منا عدداً وعدداً ، فإنه لا طقة لنا به ، ولا قدرة لنا عليه ، إلا بعون الله تعالى ومده ، وطالب النصر من عنده --- وتلك أسلحة لا يعرفها العدو ولن يعرفها ، ولو عرفها لاستحال أن ينفع بها ؛ لأنه ليس من أهلها ، ولكن أهلها وأحق الناس بها هم المؤمنون المتقون ---

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهما :

أما بعد : فاني آمرك ومن معك من الأجناد يتقوى الله على كل حال ؛ فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيذة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لأن عدونا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حافظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستجبوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس : « بغسوا خلال الدبار وكان وعدا مفعولا » واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

* * *

أيها المسلمون :

اعلموا - إن لم تكونوا تعلمون - أن عدو الله وعدوكم ، قد درسوا هذه الوصية العبرية وأمثالها فيما درسوا من تاريخكم ، فأيقنوا أن لا سبيل لهم عليكم إلا إذا استوينا في المعصية ، فهم لا يزالون يعملون عليها ، ويجاهدونكم فيها ! ولكنهم لن ينالوها أبداً ، ما أخذتم حذرهم وأسلحتكم ، وأعددتهم لهم ما استطعتم من قوة مادية وروحية ، فأرفوا بعهد الله يوف بعهدكم ، وانصروا الله ينصركم « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

طه محمد السالك

دعائم المجتمع الاسلامى :

النصر بين الله والعباد

يقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [١] ! ...

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق (أى لأجله) ظاهرين إلى يوم القيامة » . وفى رواية : « لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله » ! ...

* * *

من سمات الإيمان حبّ الأوطان ، ومن طبائع الأحرار الغيرة على الحمى وصيانة الذمار ، ومن خلائق السكّام إباء الضيم ودفع الهوان . . .

ومن سنن الله فى كونه أن الأمة الحية من الأمم إذا طاف بها طائف من بنى أعدائها عليها ، فوطئوا أرضها ، وانتهكوا حرمتها ، وهضموا حقوقها ، تنهت مشاعرها ، وثارت عواطفها ، واندفعت كالطوفان العارم ، أو البركان الحاطم ، تنار لسكراتها ، وتغضب لعزتها ، فلا تنام ولا تهدأ حتى تظهر أرضها من معرة البنى عليها بالزكى الغالى من دماء أبنائها ، لا تدخر فى ذلك وسعا ، ولا تستعظم فيه تضحية !! ...

وإذا كانت هذه الأمة المظلومة المكافئة أمة مؤمنة بربها مقبلة عليه ، لا تريد علوا فى الأرض ولا فسادا ، فإن الله واهب القوى والقدر يسندها ويؤيدها ، ويعينها ويمدها ، ويكون لها ومعها عند الملمات وإبان الأزمات ، وصدق العلى السكبير إذ يقول :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوّان كفور ؛ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق

إلا أن يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » (١) !! ...

ومن شأن الأمة المؤمنة أن تتحمل في حياتها - راضية صابرة ثابتة - مواقف البأس والشدّة ، ودروس الابتلاء والتجسس ، وتبعات الكفاح والجهاد ، لأن الثبات في الشدائد والصبر على المسكاره هما طريق النصر وثمر الفوز ، وهما أيضا صراط الله الحكيم الذي شرعه لعزة عباده : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » (٢) ، « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » (٣) .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه من وصيته لعبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » وفي أول غزوة بدر وقف النبي عليه الصلاة والسلام يخطب في صحابته مشجعا لهم ومحرضا ، فكان مما قاله : « وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي به من الغم » !! . والله يطالب عباده - لينصرهم - بأن ينصروا دينه وملته ، وأن يخلصوا توحيده وعبادته ، وأن يحسنوا الرجوع إليه ، والإيمان به ، والاعتصام بحبله المتين ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » [٤] .

يقول الراغب الأصفهاني : « ونصرة الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله هي نصرته لعباده ، والقيام بحفظ حدوده ، ورعاية عهوده ، واعتناق أحكامه ، واجتناب نهيه » [٥] .

[١] سورة الحج ، آية ٣٨ - ٤١ [٢] سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

[٣] سورة يوسف ، آية ١١٠ .

[٤] سورة الروم ، آية ٤٧ .

[٥] مفردات القرآن للأصفهاني ص ٥١٤ .

وإذا ما أراد الله النصر لقوم فقد ذلت لهم الصعاب ، واندكت أمامهم الجبال ، لأن الله خير الناصرين : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ! وعلى الله فليتوكل المؤمنون » [١] ! --- أى إن يعاونكم ربكم على أعدائكم بسبب طاعتكم له ، فلن يقسروا على هزيمتكم ، ولو كثرت عددهم ، وتضخمت عددهم : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » (٢) ، وإن يخذلكم الله ويمنعكم معونته ورعايته بسبب معصيتكم له وإعراضكم عنه ، فلن تجدوا بعده وليا ولا نصيرا « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » [٣] .

وهذا نوح عليه السلام ، يكذب قومه ويتطاولون عليه ، مع أنه رسول ربهم إليهم ليهديهم ويسعدهم ، ويلجأ نوح المؤمن الموقن إلى ربه يستعينه ويستنصره ، فيستجيب الله له ويعمل قلته كثرة ، وضعفه قوة ، ويذيق الذين طغوا الوبال والنسكال : « كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذبوا عبادنا ، وقالوا : مجنون وازدجر ، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر ، وبخرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر ؟ فكيف كان عذابي ونذر » [٤] ؟ .

والمهم فى الاستعانة بالله هو أن يتحقق شرطها ، وهو طاعة المستعان والإيمان بالديان والاهتداء بهديه ؛ ولقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما - يوصيه هو ومن معه من الجنود ، فقال له : « أما بعد ، فانى أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى مشكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان

[١] سورة آل عمران ، آية ١٦٠ .

[٢] سورة البقرة ، آية ٢٤٩ .

[٣] سورة آل عمران ، آية ١٢٦ .

[٤] سورة النمر ، آية ٩ - ١٦ .

استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القـوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا --- فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس ، نجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

وقد نسب ابن الجوزي وابن عبد الحكم إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خطابا مشابها لخطاب جده الفاروق السابق ، وقد كتبه عمر بن عبد العزيز إلى منصور بن غالب حين بعثه على قتال أهل الحرب [١] ، ولا عجب فالحلف الصالح يقتدى بالسلف الصالح : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » [٢] .

* * *

وقد شاءت إرادة الحكيم العليم أن تتعرض بلادنا العزيز الغالية لاعتداء ظالم غاشم ، تولت كبره مجموعة مغترة من الأعداء ، فوقفتنا لهم وصبرنا أمامهم ، وغضبنا من أجل بلادنا وكرامتنا ومعتقداتنا ، وسألنا الله عز وجل أن ينصرنا ، وأن يثبت في سبيل الحق والصدق أقدامنا ، ذاكرين في أنفسنا وعلى ألسنتنا أننا أبناء كنانة الله في أرضه ، ومن أرادها بسوء قصمه العزيز الجبار ، لأنه المنتقم العادل ، وقد تلطف الله بنا ، وتفضل علينا ، فلم يكتب علينا الاندحار أو الفناء ، بل دفع عنا الكثير من البأساء والضراء ، وتكشفت سحب البغي والعدوان عن غد مشرق ، فيه - بمشيئة الله تعالى - عزة وكرامة ، وفيه تماسك وقوة ، ولقد كان أعداؤنا يريدون لنا الفناء العاجل أو الذل الدائم ، ولكن الله الغلاب القهار أراد غير ما أراد المعتدون ، وإذا أراد الله أمرا قضاه : « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٣) .

(١) انظر كتاب جبهة رسائل العرب ج ١ ص ٢٣٣ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٧١ ، ولابن الجوزي ص ٢٠٤ ، والقعد الفريد ج ١ ص ٤٠ .

[٢] سورة آل عمران آية ٣٤ .

[٣] سورة يوسف ، آية ٢١ .

والنصر نوعان : نصر بالغلبة والقهر ، ونصر بالهجرة والبرهان ، ولقد مرت علينا خلال الحقنة لحظات شدة ، وأوقات بأس ، سالت خلالها منا دماء ، وسقط لنا شهداء ، وأصابتنا ألوان من البأساء ، ولكننا في الوقت نفسه صبرنا وصابرنا ، وكنا نسمع إلى دول العالم الرشيدة وهي تجمع كلمتها - إلا ما شذ - على وصف أعدائنا بالطغيان والإجرام ، كما تجمع على وصف وطننا المكافح الصابر بالتضحية والثبات والإقدام ...

ولعل هذا يفسر قول أبي القاسم البلخي : « المؤمنون منصورون أبدا ، إن غلبوا (بفتح الغين) فهم المنصورون بالغلبة ، وإن غلبوا (بضم الغين) فهم المنصورون بالهجرة ، ولا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه » !!! . . . وصدق العلي الكبير حيث يقول : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون [١] » !!! .



ولقد يقبل جنود البغي وجيوش الطغيان عن يمين وشمال ، وهم يباهون بعددهم وعدتهم ، ويفترون بالآلهم وأسلحتهم ، ويعتدون على الآمنين والمسلمين ، وهم يحسبون أن الأمر أمر كثرة وقلة في السلاح والجنود فحسب ، ولكن القهار الجبار جل جلاله يقف بحوله وطوله إلى جانب القلة المؤمنة في وجه الكثرة الكافرة الباغية ، وينتصف بقهره وجبروته للضعفاء من الطغاة الأقوياء ، وهو القائل لعباده : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ، تخافون أن يخطفكم الناس ، فأواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون [٢] » !!! .

وهؤلاء هم الماسمون الأوائل يوم الخندق .. لقد أحاطت بهم جموع الشرك وأحزاب الكافرين من كل جانب ، وكان التفاوت في العدد والسلاح كبيرا خطيرا . ويصف القرآن الصدوق هول هذا الموقف فيقول : « يا أيها الذين آمنوا : اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديدا » [٣] .

[١] سورة الصافات ، آية ١٧١ - ١٧٣ .

[٢] سورة الانفال ، آية ٢٦ .

[٣] سورة الاحزاب ، آية ٩ - ١١ .

وليس وراء ذلك الهول من هول... فماذا كانت النتيجة ؟ كانت كما يخبر عنها القرآن الكريم : «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ؛ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها ، وكان الله على كل شيء قديرا » (١) .

ويقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من رسالة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كتناهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم ؛ ولربما خذل الله الجموع الكثيرة ، فوهنت وفلت وفشلت ، ولم تغن عنهم فئتهم شيئا ، ولربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره ، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه ورجزه » [٢] ؟ . وجاء فى تفسير « المنار » منسوبا إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده : « سنة الله تعالى قد مضت بأن ينصر الحق وحزبه على الباطل وأحزابه ، ما استمسك حزب الله بحقهم فأقاموه ، ودعوا إليه ، ودافعوا عنه ، وأن القعود عن المدافعة ضعف فى الحق يغرى به أعداءه ، ويطمعهم بالتنكيل بحزبه ، حتى يتألبوا عليهم ويوقعوا بهم ، وإنه قد سبق فى علم الله تعالى أن الله لا بد أن يظهر دينه ، وينصر أهله على قتلهم ، ويخذل أهل الباطل على كثرتهم [٣] » ! ...

حتى غير رجال الدين والعقيدة ... نراهم يقررون أن العقابة للحق مهما طال بنى الباطل ؛ فها هو ذا الكاتب الغربى المشهور « توم بين » كان فى أول أمره انجليزيا ، ولكنه ضاق بمسكر انجلترا وغدرها ، فتركها إلى أمريكا ، وخاض معركة التحرير الأمريكية ضد الاستعمار الإنجليزى ، وكأخ طغيان انجلترا وبغيها ، وقال فيما قال منذ أكثر من مائة وثمانين سنة : « إننى من أقل الناس إيمانا بالغيبيات ، ولكن نجواى كانت وما زالت على الدوام أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يترك شعبا يواجهه الفناء بالحرب ، إذ يتخلى عنه حتى يهلك ، ما دام هذا الشعب قد حاول فى جد وعزم ، وفى

[١] سورة الاحزاب ، آية ٢٥ — ٢٧ .

[٢] فتوح الشام ص ١٤١ .

[٣] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣١٤ .

إصرار وإلحاح ، أن يتجنب ويلات الحرب بكل وسيلة مقبولة يمكن أن توحى بها الحكمة . ولست كذلك من الكفر والجحود بحيث أعتقد أنه سبحانه وتعالى قد تخلى عن حكم العالم ، وأسلمنا إلى عناية الشياطين ، ولهذا لا أفهم على أى أساس تستطيع بريطانيا أن تتطلع إلى السماء ، وتستعين بها علينا ، فإن حقها في طلب هذا العون لا يزيد عن حق القاتل العادى ، أو قاطع الطرق ، أو سارق البيوت » [١] !! ...

* * *

إن عدالة الله تأبى - مهما طال الأجل ، وامتدت فترة الابتلاء والإمهال - إلا أن ينصر الله الحق وأتباعه ، ويخذل الباطل وأشياعه ، فإذا أهل الحق مهما قلوا في عزلة ورشاد، وإذا أهل الباطل مهما استطالوا في ذلة وكساد، وإن الحق لن ينقلب باطلا مهما قل متبعوه ، وإن الباطل لن ينقلب حقاً مهما كثر مشايعوه : « ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » [٢] . ووعد الله بنصر الحق وأهله باق موصول : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سواء الدار » [٣] !! .

فلنستدم نصر الله بالإقبال عليه ، والاعتزاز به ، والاستمسك بحبله ، وأخذ الأهبة لكل طارئ ، وإعداد العدة لكل احتمال : « ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » [٤] !! ...

أحمد الترمباصى

المدرس بالأزهر الشريف

[١] جريدة الجمهورية عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٦ .

[٢] سورة يونس ، آية ٨٢ .

[٣] سورة زافر ، آية ٥١ و ٥٢ .

[٤] سورة البقرة ، آية ٢٥٠ .

سيف الله خالد

في عهد النبوة

- ٢ -

إسلام خالد رضى الله عنه :

ونسخ سبحانه ما ألقى الشيطان في صدور خالد وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة ابن أبي طلحة العبدري ، وأذن لنسبات الإسلام أن تهب على قلوبهم ، ولنفعات التوفيق والهداية أن تنزل بردا وسلاما في نفوسهم ، فقدموا وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان .

وكان جديرا بمن كان في عقل خالد وحصافة رأيه وسلامة فطرته وصادق تأملاته أن يكون من المؤمنين ، ولا سيما بعد إذ رأى الإسلام في تقدم مطرد خارق ، والكفر في تدهم متتابع خارق ، وقد زاده بصرا بأمره وإيقاظا لضميره أنه أخبر بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء وتعيجه من بقاءه هكذا ينسكرك الإسلام ويأباه إذ يقول : ومثل خالد جهل الإسلام ؟

ولقد كان جديرا بمثله أن يكون من السابقين إلى اتباع الحق لولا لياذه هو وأمثاله يقوم كانوا يقولون إن أحلامهم تزن الجبال ، ولولا أن ورطه شرف قومه الجاهلي وإسناد مناصب الكفر وعدته إليه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

ولعل من الحميد الطيب أن استطرف لك بسياقة طرف مما روى الناس لخالد في سبب إسلامه ، فهو تصوير كريم بليغ لا ينبغي أن يحمله القارئ الكريم في هذا المقام .

روى أصحاب السير عن خالد قال : « لما أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرني رشدي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنى موضع في غير شيء ، وأن محمدا سيظهر ، فلما خرج صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل

من المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان ، فقممت بازائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر إماما ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا ، وكانت فيه خيرة ، فاطلع على ما في أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف . فوقع ذلك في نفوسنا موقعا ، وقلت : الرجل ممنوع . فاعتزلنا وعدل عن سير خيلنا [١] وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قرينا بالحديبية ، ووافقته قریش بالراح ، قلت في نفسي : أى شيء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشي فقد اتبع مجدا وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم في عجم . . فأما في ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة الفضية فتغيبت ولم أشهد دخوله . وكان أحمى الوليد قد دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الفضية ، فطلبني فلم يجدني . فكتب الوليد إلى كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك في مواطن صالحة .

قال : فلما جاءنى الكتاب نشطت للخروج ، وزادنى رغبة في الإسلام ، وسرني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة بمدينة . فخرجت في بلاد خضراء واسعة فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة ذكرتها لأبى بكر فقال : مخرجك الذى هداك الله للإسلام ، والضيق الذى كنت فيه من الشرك .

ثم ذكر أنه التمس الرفقة للخروج إلى النبی صلى الله عليه وسلم فعرض الأمر على صفوان ابن أمية وقال له : يا أبا وهب ، إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فأبى أشد الإباء . واتى عكرمة بن أبى جهل فأبى كذلك أشد الإباء ، فأتى عثمان بن طلحة وكان صديقه فذكر له الأمر بعد تردد .

وقال له : إنما نحن بمنزلة ثعلب في بحر ضب لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج . فقبل دعوته واتعدا على مكان يسمى (ياجج) وفي طريقهما لقيا عمرو بن العاص وقد

[١] ذاك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد قتالا وإنما خرج معتمرا بأصحابه .

أقدمه ما أقدمهما من الدخول في الإسلام ، فلما قدموا المدينة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقدمهم ، فسر به ، وانتظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال خالد : ثم أسرعنا المشى فاطلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هدانا لهذا . قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » ثم شكنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يشهد من المواطن عليه معانداً للحق ، فقال له : « الإسلام يجب ما كان قبله » ودعا له « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوقع فيه من صد عن سبيل الله » قال خالد : وتقدم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان » ثم أقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع داره من الدور التي كان وهبها له الحارث بن النعمان ، وجعله موضع ثقلته ومن كتابه .

فقد رأيت أنه رضى الله عنه دخل الإسلام طوعاً وانقياداً للحق بعد ماتين ، وأن له عقلاً كما قال السيد الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسلمه إلا إلى خير ، وقد كان فرح المسلمين عظيماً بإسلام خالد ، لما يعلمون من أنه سيكون لا محالة حرباً على الكفر وأي حرب ، كما كان حرباً على الإسلام . ولقد شمر رضى الله عنه عن ساعد الجدد وأوضع في نصرة الإسلام والدعوة إليه والنضال عنه حتى كان يقذف بنفسه كل مقذف ، ويرمي بنفسه كل مرمى في سبيل الله ، رحمه الله . كان ذلك منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ممات النبي صلى الله عليه وسلم مما كان له أثره الخالد في انتعاش الإسلام ، ولقد أغنى في حروب الردة وفي قتال الفرس والروم ما لم يكن ليغني غيره فيه ، وقد شهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم غزوة مؤتة وفتح مكة ، ويوم حنين والطائف ، وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة وإلى بنى المصطلق وإلى اليمن ، كما أرسله لهدم بعض الأوثان كما سترى في هذا البيان الموجز .

في مؤتة : وكانت سرية أنفذها النبي صلى الله عليه وسلم إلى قرية من أرض البلقاء بالشام تسمى مؤتة وجعل الإمرة فيها لثلاثة من الصحابة على التتابع ، وكأنما أطلعهم الله على ما يكون فقتلوا جميعاً واحداً بعد واحد . ثم وقع اختيار المقاتلين على خالد بن الوليد للقيادة وكان قد مضى على إسلامه ثلاثة أشهر تقريباً ، فما زال يدافع عدوه ويعمل الحيلة والمهارة حتى أجبره على الانحياز عنه ، ثم انسحب خالد بسلام فنجى جيش المسلمين - وهو لا يتجاوز ثلاثة آلاف - من جيش جرار في بلاده يبلغ مائتي ألف . وكان انتصاراً عظيماً ، ومهارة

حربية رائعة ، ولم يزل أرباب الفن ينوهون بالمهارة في تحمية الجيش وإنقاذه من براثن العدو . ولذلك فإن الله سبحانه لما أطلع رسوله بالمدينة على ما وقع صعد المنبر فقال : « أخذ الراية فلان فقتل ، ثم فلان فقتل ، ثم فلان فقتل ، ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد وفتح الله عليه » فتوجه بهذا القلب الكريم (سيف من سيوف الله) وفي الحق كانت هذه نبوة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يظهر للناس أنه سيف الله إلا بعد ذلك ، ومنذ أطلق سيفه في المرتدين ومانعي الزكاة ثم في الفرس والرومان .

وفي فتح مكة : وكان بعد ذلك في السنة الثامنة نفسها وفي رمضان ، وقد كان الله سبحانه يهيئ لنبيه من أسباب النصر والفتح ما يشاء ، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بادئا بالهجوم على مكة ولم يكن من شأنه ذلك في شيء ، ولكن قریشا نقضت عهدها معه واعتدت على حلفائه من خزاعة ، واستغاثت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم فأغاثهم وقام بمن معه من المؤمنين إلى مكة .

وفي هذا الفتح توج النبي صلى الله عليه وسلم خالدا بتاج آخر ، فقد شرفه بجعله قائدا لليمنة ، وفيها رايات أسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم من القبائل التي لا يسوسها إلا قائد ماهر عظيم .

ودخل خالد يقاتل عشيرته وقومه في سبيل أولئك الذين كان يقاتلهم بالأسس القريب ، وكانت له فيهم جولات يريد أن يكفر بها عما قد سلف ، على أن الله قد غفره له . وما زال يصاول ويجادل حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقف القتال ، لأن قریشا سلمت وانقادت للحق ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكسر النبي صلى الله عليه وسلم الأوثان بمكة وهو يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ثم بدأ يحو الأوثان في كل بلاد الله مستعينا بسيف الله فأرسله لهدم العزى .

هدم العزى : بعد فتح مكة بنحو خمس ليال وقد استجتم المسلمون بعض الجمام بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا لهدم العزى ، ورآه السادن من بعيد فعرف ما يريد ، واستنصر له العزى بترهات القصيد ورد خالد ترهاته بالحق .

يا عز كفرانك لا سبحانهك إني رأيت الله قد أهانك

ثم قتل السادن وهدم العزى التي كان أبوه يحج إليها وينفق عليها الأموال والذبايح ، ولكنه الحق . ثم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينتفع بمواهب خالد ، فبدأ يرسله إلى القبائل ليدعو الشارد ، ويعلم المسترشد فكان من ذلك إرساله إلى بني جذيمة .

بنو جذيمة : بعد هدم العزى أرسله صلى الله عليه وسلم إلى بنى جذيمة فى ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبعض المسلمين من العرب . ولكن خالدا برغم أن القوم أسلموا وأقرؤا له بالإسلام دعاهم إلى وضع السلاح وإلى الاستئسار ثم أعمل السيف فيهم وخالفه فى ذلك الكثرة من المهاجرين والأنصار ، وقد بلغ الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاء ورفع يديه يقول : (اللهم إني أبرؤ إليك مما صنع خالد) . وقد تقول الناس فى هذا على خالد بأنه كانت بينه وبينهم إحن جاهلية ، وقد كثر حديث الناس حول هذا الأمر . والحق الذى ذهب إليه المحققون المنصفون أنهم قالوا « صباأنا » يريدون الإسلام كما هو التعبير عن دخل دينا جديدا ، فاعتبر خالد ذلك تهكما واستهزاء ، وكأنه كان يريد الإسلام الصريح الذى لا شبهة فيه ، فقتل من قتل مجتهدا ولكنه خطأ ولم يكن تثبت من قضاء النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك وأمثله . ولعله رأى أن يهرب الأعداء الآخرين ، وغفر الله له .

وقد فعل أسامة رضى الله عنه ما هو أقوى من ذلك فقتل رجلا يقول : لا إله إلا الله صراحة ، لأنه يظنه قالها نفية فقط ، وأنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم . على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابن عمه عليا يعتذر لآلهم ويدفع دية القتلى ويعوضهم عن كل شئ حتى ميلغة الكلب .

وشهد خالد رضى الله عنه بعد ذلك غزو حنين والطائف ، وقد أصيب فى حنين على أنه كان قائدا فيها ، وقد زاره النبي ودعا له فبرئ .

وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع ابن عمه على إلى اليمن مصدقا ومبشرا ومعلما .

ذلك بعض ما كان من خالد وله أو عليه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نجتزئ به اليوم ، فقد أطلنا على قارئنا الكريم ، راجين أن نستأنف عنه حديثنا آخر لتاريخ آخر .

رحمك الله يا خالد ، لقد أفاد بك الإسلام عظيما جليلا ، ولقد اندحرك الكفر ، فكنت كما بشر بك سيدنا رسول الله : سيف الله م

محمود النراوى

المفتش بالأزهر

بحوث

في مصادر الشريعة النظرية

- ٨ -

أنواع الاستحسان :

يتنوع الاستحسان باعتبار الدليل الذى يبنى عليه إلى أنواع كثيرة كما يؤخذ من كتاب « الاعتصام » للإمام الشاطبي ^(١) نقصر هنا على أهمها وهى ستة أنواع :

النوع الأول : الاستحسان بالنص ، ويتحقق هذا النوع فى كل مسألة يرد فيها نص معين يقتضى حكماً على خلاف الحكم السكلى الثابت بمقتضى الدليل العام أو القاعدة المقررة ، فهو شامل لجميع المسائل التى استثنىها الشارع من حكم نظائرها ، ومن أمثلة هذا النوع ما يأتى :

١ - السلم ، وهو بيع شئ آجل موصوف فى الذمة بثمن عاجل ، وصورته أن يشتري رجل من آخر مائة أردب من القمح ، ويبين نوعه وصفته بياناً كافياً بأربعمائة جنيه تسلم إليه فى الحال على أن يسلمه القمح بعد خمسة أشهر فى مكان معين . فإن مقتضى القياس أى الدليل الشرعى العام ألا يجوز هذا العقد ، لأن المبيع ليس موجوداً عند البائع وقت العقد ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام : « لا تبع ما ليس عندك » ^(٢) ولـكنه استثنى من ذلك لورود النص الذى يدل على جوازه ، وهو ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والستين ، فقال : « من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » ^(٣) .

٢ - الإجارة : فأنها عقد على المنافع ، والمنافع معدومة وقت العقد ، والقياس فى المعدوم أى القاعدة المقررة فيه أنه لا يجوز تمليك ولا إضافة التملك إليه ، ولـكنها

[١] الاعتصام - ٢ ص ٣٢١ وما بعدها .

[٢] منتخب الأخبار مع شرحه « نيل الأوطار » - ٥ ص ١٣١ .

[٣] المصدر السابق - ٥ ص ١٩٩ .

استثنيت من ذلك لورود النص بجوازها لحاجة الناس إليها ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » فإن الأمر بإعطاء الأجير دليل على صحة العقد (١) .

٣ - الوصية : فإنها تملك مضاف إلى زمن زوال الملك وهو ما بعد الموت ، والقياس أى القاعدة المقررة في التملك أنه لا يجوز أن يضاف إلى زمن زوال الملك ، ومقتضى ذلك ألا تصح الوصية ، ولكنها استثنيت من ذلك للنص الوارد بجوازها ، وهو قول الله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » (٢) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله تصدق عليكم بثلت أموالكم عند وفاتكم زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة في أعمالكم » (٣) .

٤ - الحكم ببقاء الصيام مع الأكل أو الشرب نسيانا ، فإن مقتضى القياس أى القاعدة المقررة فساد الصوم في هذه الحالة ، لأن الإمساك عن المفطرات ركن من أركان الصيام ، وقد فات هذا الركن بالأكل أو الشرب نسيانا ، والشئ لا يبق مع فوات ركنه ، ولكن هذا القياس قد ترك بالحديث الوارد في هذه الحالة ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما الله أطعمه وسقاه » (١) ، وإلى هذا أشار الإمام أبو حنيفة بقوله - بعد روايته لهذا الحديث - : « لولا الرواية لقلت بالقياس » يعنى أنه لولا هذا الحديث الذى يدل على صحة الصيام مع الأكل أو الشرب نسيانا لقال بفساد الصوم عملا بالقياس الذى يقتضى فساد الصيام بوصول أى شئ إلى الجوف سواء أكان عمدا أم نسيانا لمنافاته لركن الصيام ، وهو الإمساك عن جميع المفطرات .

٥ - خيار الشرط : فإن القياس أى القاعدة المقررة في البيع ونحوه يقتضى عدم مشروعيته ، لأن الأصل في هذه العقود هو اللزوم ، وخيار الشرط يمنع هذا اللزوم ، ولكن ترك هذا القياس للنص الوارد بجواز خيار الشرط ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز

[١] كشف الأسرار - ٤ ص ١٢٥ وأصول الميراث - ٢ ص ٢٠٣ .

[٢] آية : ١٧ من سورة النساء .

[٣] للتنقيح مع نيل الاوطار - ٦ ص ٣٢ .

[٤] للتنقيح مع نيل الاوطار - ٤ ص ١٧٥ .

الخيار إلى ثلاثة أيام بقوله لحيان بن منقذ : « إذا بايعت فقل : لا خلافة ، ولى الخيار ثلاثة أيام » (١) .

النوع الثانى : الاستحسان بالإجماع ، ويتحقق هذا النوع بافتاء المجتهدين فى حادثة على خلاف الأصل فى أمثالها ، أو بسكوتهم وعدم إنكارهم لما يفعله الناس إذا كان ما يفعلونه مخالفا للقياس أى أصل من الأصول المقررة ، وقد مثلوا لهذا بالاستصناع ؛ وهو أن يتفق شخص مع صانع على أن يصنع له شيئا نظير مبلغ معين بشروط مخصوصة معينة فى كتب الفقه ؛ فان القياس أى القاعدة المقررة يقتضى عدم جوازه ، لأن المعقود عليه ؛ وهو الشيء المطلوب صنعه معدوم عند العقد ، والعقد على المعدوم لا يجوز ، ولكنه جاز استحسانا على خلاف القياس لجريان التعامل به فى كل زمان بدون إنكار أحد من أهل الاجتهاد على ذلك ، فكان ذلك إجماعا منهم على الجواز ، قال أكل الدين البارتى فى العناية : « الاستصناع فيما فيه تعامل يجوز استحسانا ، والقياس يقتضى عدم جوازه ، لأنه بيع المعدوم وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص فى السلم ، وهذا ليس بسلم ، لأنه لم يضرب له أجل ، وجه الاستحسان الإجماع الثابت بالتعامل ، فان الناس فى سائر الأعصار تعارفوا الاستصناع فيما فيه تعامل من غير نكير ، والقياس يترك بمثله » [٢] .

ومن هذا النوع أيضا دخول الحمام نظير أجر معين من غير تعيين قدر الماء المستهلك ، ولا تقدير مدة المكث فيه ، فان القياس يقتضى عدم جوازه ، لجهالة مقدار الماء المستهلك وجهالة المدة ، لأن الناس يتفاوتون فيما يستهلكون من الماء وفى مدة المكث ، والجهالة مفسدة للعقد ، ولكنه جاز استحسانا لجريان العرف بذلك فى كل زمان من غير أن ينكره أحد من أهل العلم فيكون إجماعا منهم على الجواز . يقول الزبائى فى تبين الحقائق ما خلاصته « إن دخول الحمام ، والاحتجام بأجرة ، وطلب شربة ماء من السقاء بفلس ، كل ذلك جائز للتعامل ، وإن كان القياس يأباه للجهالة ، لأنه لا يعرف كم قدر ما يقعد فى الحمام ، وكم قدر ما يستعمل أو يشرب من الماء ، وكم قدر ما يخرج من الدم ،

[١] بلوغ المرام وشرحه « سبل السلام » ٣٠ ص ٥٥ .

[٢] العناية على الهداية ٥٠ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

إذ لا يعتبر القياس بمقابلة الإجماع أو النص ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا يجتمع أمئى على الضلالة » [١] .

النوع الثالث : الاستحسان بالضرورة والحاجة ، وقد مثلوا لهذا النوع بتطهير الآبار والحياض التي تقع فيها نجاسة ، فان القياس أى القاعدة المقررة في التطهير يقتضى نجاسة تلك الآبار والحياض وأنها لا تطهر أبدا بنزع الماء كله أو بعضه ، وذلك لأن نزع بعض الماء الموجود في البئر أو الحوض لا يؤثر في طهارة الباقي فيها ، كما هو واضح ، ونزع جميع الماء الموجود وقت التنجس لا يفيد طهارة ما ينبع في أسفل البئر أو يلقي في الحوض من ماء جديد ، لأنه لا بد أن يلاقى نجسا في قاع البئر والحوض وجدرانها فيتنجس بذلك ، ولكن حكم بطهارتهما إذا نزع قدر ما فيهما من الماء للضرورة وحاجة الناس العامة إلى ذلك ، وفي كشف الأسرار ما يأتي : « ومن الاستحسان ما ثبت بالضرورة ، وهو تطهير الحياض والأواني ، فان القياس يأبى طهارة هذه الأشياء بعد تنجسها ، لأنه لا يمكن صب الماء على الحوض أو البئر ليتطهر ، وكذا الماء الداخل في الحوض أو الذي ينبع من البئر يتنجس بملاقاة النجس ، والدلو يتنجس أيضا بملاقاة الماء ، فلا يزال يعود نجسا ، وكذا الإناء إذا لم يكن في أسفله ثقب يخرج الماء منه إذا أجرى من أعلاه ، لأن الماء النجس يجتمع في أسفله فلا يحكم بطهارته ، إلا أنهم استحسنوا ترك العمل بموجب القياس للضرورة الموجبة إلى ذلك لعامة الناس ، وللضرورة أثر في سقوط الخطاب » (٢) .

ومن هذا أيضا الحكم بطهارة سؤر سباع الطير كالصقر والنسر والغراب والحدأة ، لأن هذه الحيوانات تأكل النجاسات ومناقيرها لا تخلو منها عادة ، ومقتضى هذا أن يتنجس الماء بشربها كما يتنجس بشرب سباع البهائم كالأسد والفهد والثور ، إلا أنها لما كانت تنقض من الهواء ، ولا يمكن الاحتراز عنها خصوصا بالنسبة لسكان الصحارى والفلوات ، قال علماء الحنفية بطهارة سؤرها استحسانا رعاية لهذه الضرورة على خلاف ما يقضى به القياس على سؤر سباع البهائم ، وفي هذا يقول عبد العزيز البخارى : « إن معنى البلوى يتحقق في سؤر سباع الطير لأنها تنقض من الهواء ولا يمكن صون الأواني عنها خصوصا في الصحارى بخلاف سباع الوحش فعلى هذا يكون استحسانا بالضرورة » (٣) .

[١] تبين الحقائق ٢ - ٤ ص ١٢٣ .

[٢] كشف الاسرار ٢ - ٤ ص ١١٢٦ .

[٣] كشف الاسرار ٢ - ٤ ص ١١٢٨ .

النوع الرابع : الاستحسان بالقياس الخفى ، ويتحقق هذا النوع في كل مسألة يجتمع فيها قياسان متعارضان أحدهما ظاهر جلى والآخر خفى .
ومن أمثلته ما يأتى :

١ - وقف الأراضى الزراعية : فانه يشبه البيع من جهة أن كلا منهما يخرج العين عن ملك صاحبها . ومقتضى هذا أن لا يدخل الشرب والطريق والمسيل في الوقف إلا بالنص عليها من الواقف كما هو الحكم في البيع ، ويشبه أيضا الإجارة من جهة أن كلا منهما يفيد ملك الانتفاع بالعين ، ومقتضى هذا أن يدخل الشرب والطريق والمسيل في الوقف ولو لم ينص الواقف عليها كما هو الحكم في الإجارة ، ولما كان شبه الوقف بالبيع أظهر من شبهه بالإجارة لتبادر الأول إلى الذهن واحتياج الثانى إلى شئ من التأمل وإنعام النظر ، كان دخول الشرب والطريق والمسيل في الوقف مع عدم النص عليها من قبيل الاستحسان أى القياس الخفى ، وعدم دخولها في الوقف من قبيل القياس الجلى .

٢ - إذا قال الرجل لامرأته : إذا حضت فأنت طالق ، فقالت المرأة : قد حضت وكذبها الزوج ، ففى هذه المسألة قياسان متعارضان : أحدهما جلى ظاهر ، وهو قياسها على ما لو علق طلاقها على شئ آخر كدخول الدار أو كلام فلان بأن قال لها : إن دخلت الدار أو كلمت فلانا فأنت طالق ، فقالت : دخات أو كلمت ، ومقتضى هذا القياس أن لا تصدق المرأة فى دعوى الحيض ولا يقع الطلاق إلا إذا علم وجوده أو صدقها الزوج كما هو الحكم فى تعليق الطلاق على دخول الدار أو كلام فلان ، والثانى قياس خفى لا يدرك إلا بالتأمل وإنعام النظر ، وهو قياسها على ما لو علق طلاقها على شئ لا يعلم إلا بأخبارها كحببتها أو بغضها ، كأن يقول لها : إن كنت تحببيني أو تبغضيني فأنت طالق ، فان الطلاق يقع بأخبارها بالحببة أو البغض وإن كذبها الزوج ، وعلى ما إذا أخبرت بانقضاء عدتها إذا كانت بالحيض أو أنها حامل ، فانها تصدق فى ذلك ، لأنها أمور لا تعلم إلا من جهتها وهى مأمورة بالإخبار عما فى رحمتها منية عن الكتمان ، قال تعالى : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ومن ضرورة النهى عن الكتمان كونها أمينة

في الإظهار ، ونخفاء هذا القياس أطلق عليه اسم الاستحسان بمعنى القياس الخفى وأطلق على الأول اسم القياس فقط [١] .

وقد مثل كثير من الأصوليين لهذا النوع بطهارة سؤر سباع الطير . وقالوا في توجيه ذلك :

إن سؤر سباع الطير يجتمع فيه قياسان متعارضان : أحدهما جلى ، وهو قياسه على سؤر سباع البهائم كالأسد والفهد والنمر ، لأن لعاب كل منهما يتولد من اللحم النجس فيكون نجسا ، ومقتضى هذا أن يكون سؤر سباع الطير نجسا كما هو الحكم في سؤر سباع البهائم . والثاني خفى ، وهو قياسه على سؤر الإنسان ؛ لأن سباع الطير تشرب بمناقيرها وهي عظم طاهر ولا يتصل لعابها بالماء ، ومقتضى هذا أن لا يتنجس الماء بشربها كما لا يتنجس بشرب الإنسان .

وهو تمثيل غير صحيح ، لأن سباع الطير وإن كان لعابها لا يتصل بالماء كما قالوا ، إلا أن مناقيرها لا تخلو من النجاسة عادة ، فلا يصح أن يقاس سؤرها على سؤر الإنسان ، وعلى هذا لا يكون في سؤر سباع الطير قياسان متعارضان أحدهما ظاهر جلى والآخر خفى . بل هو قياس واحد ، وهو قياسها على سؤر سباع البهائم ، وقد ترك هذا القياس للضرورة .

فالحق في هذه المسألة أن يجعل الاستحسان فيها من الاستحسان الثابت بالضرورة ودفع الحرج عن الناس على ما بيناه في النوع الثالث ٤

« يتبع »

زكى العبد سعبان

المدرس بكلية حقوق عين شمس

[١] أصول الرخسى ٢ ص ٢٠٢ ، والمداية مع فتح القدير والعناية ٣ ص ١٣٥ - ١٣٧ ،

حاشية ابن طهدين ٣ ص ٥١٥ - ٥١٨ .

حول لغويات الأستاذ النجار والأستاذ الريدي

في تعليق الأستاذ النجار بعدد المحرم سنة ١٣٧٦ على (قل ٠٠٠ ولا تقل ٠٠٠) للأستاذ صالح الريدي قال: إن الريدي أنكر قول الناس استلف نقودا وإن الصواب عنده استسلف نقودا أو تسلف لأن استلف لم ترد في المصباح والقاموس واللسان، ورد الأستاذ النجار بأنها - وإن لم تكن وردت في هذه المراجع - لكنها وردت في الأساس للزخشرى ففيه (وأسلفته مالا وسلفته واستلف فلان واستسلف وتسلف) وقال في التاج: ومنه أنه استلف من اعرابي بكرا. قال الأستاذ النجار: وصوابها كما يعلم من النهاية أنه استسلف، وانهى الأستاذ النجار بأن ورودها في الأساس كاف في صحتها، فهو مستند لصواب هذا التعبير، ولو صح ماورد في التاج لكان نصا أيضا لكنه كما قال الأستاذ تحريف في الطبع .

والذي ألاحظه على الأستاذين الفاضلين الريدي والنجار أن كلا من استلف واستسلف صواب في موضعه وإن استلف غير استسلف مثل اقترض واستقرض، فمعنى الأولى أنه أخذ قرضه وأخذ سلفة، وأما الصيغة الثانية ذات السين والتاء فعناها طاب سلفة وطاب قرضه، فصيغة افعل صحيحة في بابها وصيغة استفعل كذلك صحيحة في بابها، قياسية كل منهما في معناها فلا تصوب واحدة بأخرى، لأن الصيغتين لم يردا للمعنى واحد حتى نصحح واحدة ونخطئ الأخرى بل هما صيغتان صرفيتان لمعنيين مختلفين متقاربين، ولا يريد الزخشرى بقوله: « واستلف فلان واستسلف وتسلف » أن هذه الصيغ المختلفة بمعنى واحد بل يريد أن كلا منها ورد في معناه لأن الصيغ الصرفية مختلف بعضها عن بعض وإذا استعملت صيغة في معنى صيغة أخرى فيكون على وجه من التأول، فإذا قلنا استلف كان معناه أنه استسلف فأجيب وأعطى السلفة فصار متسلفا ويقال عليه بعد ذلك استلف وتحصل بالفعل على السلفة، ومعاجم اللغة حينما تسرد صيغا مختلفة لا تريد أنها بمعنى واحد، كما أن المعاجم إذا أهملت ذكر بعض الصيغ في مادة لا يقتضى ذلك أن الصيغ القياسية الصرفية

التي أهملت ذكرها لا تكون صحيحة في ذاتها لعدم ذكر المعاجم لها ، وإلا لما كان هناك حاجة إلى علم الصرف وقواعده .

كما أنني لا أعتبر أن اختلاف النسخ في عبارة «استلف من اعرابي بكرا» أو «استسلف» أن احدهما محرفة والأخرى صواب ، بل المعنى على رواية استلف أنه استسلفه فاستلفه فاستلف ، وعلى نسخة استسلف بمعنى استقرض لا تأويل .

وهذا ما عن لي في هذه الملاحظة على كلام الفاضلين لأهمية الفرق بين الصبيغ الصرفية واختلاف معانيها ، وأهمية أن مات ذكره المعاجم وتهمل غيره ليس دليلا على الصواب أو الخطأ وأن مات ذكره أحيانا مترادفا من الصبيغ لا تريد منها أنها بمعنى واحد بل يجب في ذلك الرجوع إلى الأحكام الصرفية وما قبل في معانيها المختلفة ما

محمد عبد السلام القباني

أصحاب فلسطين الحقيقيون

تحدث نورمان توماس الزعيم الاشتراكي الأمريكي عن مشكلة إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى أوطانهم فقال: إن إعادة توطين ٩٠٠ ألف لاجئ فلسطيني هو من الأمور التي يتطلبها تحقيق السلام في الشرق الأوسط . وإن على إسرائيل أن تعترف بحق إعادة اللاجئين العرب إلى أوطانهم . أما الذين لا يستطيعون العودة فيجب أن تقام لهم مساكن لإيوائهم ، على أن تدفع لهم إسرائيل تعويضات سخية في مقابل الأراضي والممتلكات التي اغتصبها منهم . ثم قال : ليس من المستطاع أن نتحدث عن السلام في الشرق الأوسط في الوقت الذي يواجه فيه ألوف اللاجئين العرب ظروفا قاسية ، ويقبضون في خيام قرب حدود إسرائيل التي كانوا يمتلكون أكثر من نصفها . إنها لمأساة حقنا من المأساة المزة في تاريخ الشعوب أن يهاجر إلى إسرائيل ألوف اليهود من أنحاء العالم ، في الوقت الذي يعيش فيه ألوف اللاجئين العرب بعيدا عن أراضي آبائهم وأجدادهم .

الأزهر في المعركة الأخيرة

اعتدت أن أسجل في حرص ما يسهم به الأزهر في الحركات القومية، لإنهاض الوطن وإعلاء شأنه، لا لثمن بذلك ولا لنفائره، فللوطن واجب في عنق كل وطني يحس بفضلته عليه وحقه في قسط من نشاطه ومواهبه، ولكن لنؤدى حق التاريخ أولاً، ولنخرس بذلك ألسنة المتخربين ثانياً، فهناك طائفة يدفعهم الحقد والتعصب إلى غمط الأزهر وأبنائه حقوقهم وجهودهم، ويصفونهم كذبا بأنهم تجار الأديان وأحلاف التكايأ والزوايا، ليوهموا أعداء الأزهر وأعداء الإسلام بأن الإسلام يخلق في نفوس أتباعه والقائمين عليه روح العزلة والكسل والجمول، ويقعد بهم عن العمل والكفاح والنضال في سبيل التقدم والنهوض. وقد أخذت هذه الأصوات تخفت وتتنازل، فقد انبعث المسلمون في سائر الأنحاء، وأخذوا يسهمون في بناء الحضارة وتدعيم أركانها، وهبوا يعملون لتخليصها من سيطرة الاستعمار وتحطيم قيوده السياسية والثقافية والاقتصادية.

بدأت المعركة الأخيرة في آخر أكتوبر سنة ١٩٥١ بهجوم إسرائيل المفاجئ على الحدود المصرية، فثبت لها الجيش المصري على قلته وكثرة أعدائه، فوقف هجومها وأنزل بقواتها الخسائر الفادحة التي سينكشف عما قريب تفصيلها، ثم ظهر في المعركة من وراء إسرائيل دولتان غادرتان هما إنجلترا وفرنسا، فتبينت مصر أن المعركة الحقيقية ليست بين إسرائيل ومصر وإنما هي بينها وبين إنجلترا وفرنسا، وأن إسرائيل لم تكن إلا مخلب القط، وأنها الكلب يغريه كلابه وهو من ورائه، وهجمت الدولتان المجرمتان على بورسعيد بأساطيلهما البحرية والجوية، وأخذتا تمطرانها بوابل من المدافع والقنابل لا تفرق بين مدني وعسكري ولا بين محارب ومسلم ولا بين شيخ وشاب، فأحرقتا ودمرتا واغتصبتا وسلبتا، وانكشف ما يدبرانه لمصر من وراء هذا الاعتداء، وأحس المصري بالخطر الذي يهدد استقلاله وحرياته وما يتعرض له من الازلال والاستعباد، لو قدر لهذا الاعتداء أن يمضى إلى غايته، فقام على قلب رجل واحد، وخاض المعركة في إيمان وثبات وعزم وتصميم، وأبدى من الاستبسال والحماس، والتضامن والاخلاص، مالا عهد للشعوب بمنله، فبهزت وقفته أنظار العالم وأثار إعجابه بما بذله من تضحيات في الأنفس والأموال، ونال

تقدير الشعوب وعطفها، فأنحازت إلى جانبه ووقفت في صفه وأنصفتها من هاتين الدولتين الباغيتين وتابعتها إسرائيل، ودمغتهما هيئة الأمم المتحدة بالعدوان وأرغمتها على الانسحاب، بغلوا عن مصر تشيعهم اللعنة ويحلهم العار، ورعى الله مصر، وكتب لها النصر، وخرجت من تلك المعركة أرفع شأنًا في الميدان الدولى وأشد تضامنا وأقوى بحقها في الحياة والاستقلال إيمانًا، واستقرت في مكاتها بين الشعوب المكافئة المتحررة .

ولقد كان دور الأزهر في هذه المعركة حلقة في سلسلة جهاده في مكافحة الاستعمار، وكان جهاده في هذا الدور أرفع شأنًا وأبعد مدى مما قدم من قبل، فقد حظى بشرف الجهاد كل فرد فيه من أصغر طالب إلى أكبر شيخ، واشترك في كل ميدان من ميادين المعركة السياسية والعسكرية والاقتصادية، اشترك طلابه وشيوخه في التدريب العسكرى وزلوا ساحاته وتدريبوا على استعمال الأسلحة ونافسوا غيرهم في حسن الرماية وإصابة الأهداف رغم حداثة عهدهم بهذه العمليات، واشتركت كتائب من طلابه في الميدان العسكرى إلى جانب القوات المسلحة، فأظهروا من التفوق والبسالة والدراية بفنون القتال ما نال إعجاب العارفين .

وقام الأزهر - ممثلاً في شيخه - بنصيبه في الميدان السياسى، فراسل الملوك ورؤساء الدول في الشرق والغرب بما أوحى به المصلحة واقتضاه الموقف فألذر وحذر وقدر وشكر، وتحدث إلى الشعب في بيانات متلاحقة بما ينبغى له وما يجب عليه في مواقف المحن والشدائد، مستلهما في ذلك روح الإسلام وقوانين الإسلام في أحوال الحرب والسلام، وفي الأعداد السابقة من مجلة الأزهر نماذج مما بعث به من الرسائل وما أفضى به إلى الشعب .

وفي الميدان الثقافى - وهو ميدان مهم في تعبئة النفوس وتهيئتها لخوض المعارك والاستهانة بالتضحيات في سبيل الوطن ووقايته من مفسدات الاستعمار والمستعمرين - قام الأزهر بحظ مشكور في تنوير الشعب وتبصيره بأحكام الدين، وما شرعه للمسلمين في هذه المواقف، وما أعد للجهاديين دون أوطانهم وحرماهم من موفور الجزاء فى العاجل والآجل، ليكون تحمل الشدائد والباعث الدينى إلى جانب الباعث الوطنى قويا قوة العقيدة والايمان، وتلك هى التعبئة المعنوية التى تعنى بها الشعوب، وتقف عليها كثيرا من الامكانيات، لتثمر ثمرها المطلوب فى إرخاص النفوس وإعدادها للأنهال والخطوب .

قام شيخ الأزهر والمدرسون فيه والواعظون وأئمة المساجد بنشاط عظيم في المدن والقرى وفي كتائب الجيش وساحات المعارك ، وكانوا جنودا في الميدان حين كانوا في المنتديات والمساجد وعلى منابر الصحف وفي الإذاعة يندبون الشعب إلى واجبه ويحذرونه عواقب التخلف عن أدائه . وعطل الأزهر لذلك الغرض الوطني الجليل الدراسة فيه نحو شهرين ليتمكن كل فرد من أبنائه من أداء واجبه .

وهنا ينبغي التنويه بما قام به ابن من أبناء الأزهر من جهود موفقة في هذه الناحية وهو السيد أحمد الباقوري وزير الأوقاف ، فقد كان خطيب المعركة المفوه لسانها المدره ، وأبلى في ذلك بلاء لمسه كثير من شعوب العالم وأحسوا بآثاره .

وفي الميدان المالى أدى الأزهر واجبه في سخاء ورضا ، وأسهم بمبالغ كثيرة لتوجيهها الوجهة اللازمة في المعركة من تسليح أو مواساة أو غير ذلك ، وقد تنازل بعض العلماء عن أنصبتهم في أوقافهم الخاصة لتعمير بورسعيد ومواساة المنكوبين من أهلها ، كما تبرع جميعهم بنسبة مئوية من مرتباتهم أشهراً متوالية لهذا الغرض أيضاً ، ومن قبل ذلك تبرعوا بنسبة مئوية من مرتباتهم عاماً كاملاً لتسليح الجيش .

هذا وفي الأزهر وعلى منبره المقدس التقى الرئيس جمال عبد الناصر بالشعب المصرى ، وناجاه وبثه أشجانه ، وشرح له دقائق الموقف وحقائقه ، وأعلنه بانفراج الأزمة وما منحه الله إياه من توفيق ورعاية صانت كرامة الوطن وحفظت حرياته ، وتلقى منه التأييد ، وجدد له الشعب البيعة على الجهاد إلى النهاية .

وكان اختيار الرئيس للأزهر اختياراً موفقاً ، فالأزهر من قديم رمز الجهاد والكفاح ، وكعبة المسلمين وموضع ثقتهم ورجائهم ، ولصوته دوى يعم العالم ويطبق الآفاق ويزلزل نفوس الأعداء ، ويوقع الرعب في قلوب الطامعين . والأزهر إذ يسجل اليوم دوره في المعركة الأخيرة يملن للشعب المصرى وللعالمة عامة أن ما قام به إنما هو صفحة في تاريخ جهاده لمجد الوطن وتحريره ، وليست هى الصفحة الأخيرة ، فسيظل يحتفظ بمكانه في سفر الجهاد ، وسيكون أبنائه في الطليعة من جنود الوطن ، يبذلون دماءهم وأرواحهم فداء له وزياداً عن حقوقه ، وسيضحون بمصالحهم وأغراضهم في سبيل مصلحة الوطن ، وسيتناسون كل شئ يتعلق بذواتهم ويذكرون شيئاً واحداً هو مجد الوطن وعزه وكرامته .

أبرو الوفا المرافق

الاسراء والمعراج

آيتان من آيات الله العظام ، وحادثان من الحوادث الخارقة العجيبة ، وشاهدان من الشواهد الناطقة بعظمة الله وقدرته وسعة علمه وتصرفه في السكون كما يشاء ، شاهد فيهما قلب النبي صلى الله عليه وسلم من جلال الله ما شاهد ، وأبصرت عيناه من ملكوت الله وعجائبه ما شاء الله لها أن يبصره ، هاتان الآيتان هما الإسراء والمعراج .

أراد ربك وهو ذو الافضال والانعام ، والحفي بنبية محمد صلوات الله عليه وسلامه ، أن يسرى عن نفسه المتحسرة على عدم إيمان قومه ، وأن يشرح صدره بأن يريه أمارات النصر ، وأن دينه سينتشر ويظهر ويبلغ ما بلغ نور الشمس وضوء القمر ، فأسرى بعبد محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مهاجر غالب الأنبياء ، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السموات السبع وما فوق السبع ، حيث تجلى عليه بأنواع التجليات والألطف ، وفرض عليه وعلى أمته أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي فريضة الصلاة . وقد ثبت الإسراء والمعراج بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة التي لا يتطرق إليها الشك والإنكار .

أما الإسراء فبقوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » . وأما المعراج فأشير إليه في سورة النجم بقوله عز شأنه : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .

فقد روى عن ابن مسعود والسيدة عائشة رضي الله عنهما أن المرئي جبريل ، وآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على حالته التي خلق عليها ولم يره على هذه الحالة إلا مرتين : الأولى وهو نازل من غار حراء ، والثانية ليلة المعراج .

قال العلامة ابن كثير في تفسيره [١] عند قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » : « هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ليلة الإسراء » . وقال البغوي

في هذا الموضع : « يعنى رأى جبريل في صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى ، وذلك أنه رآه في صورته مرتين : مرة في الأرض ، ومرة في السماء » .

وأما الأحاديث الصحيحة المثبتة للإسراء والمعراج فكثيرة ، وقد رواها الكثيرون من الصحابة رضوان الله عليهم ، وتلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون وخرجها أئمة الحديث والتفسير في كتبهم كالأئمة البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى والبيهقى وابن جرير الطبرى وغيرهم ، وذكرهما أيضا الإمامان محمد بن إسحق وابن هشام في سيرتهما . قال الحافظ ابو الخطاب بن دحية في كتابه « التنوير في مولد السراج المنير » بعد أن ذكر حديث الإسراء والمعراج من طريق أنس وتكلم عليه فأفاد وأجاد : « وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك ابن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قورظ وأبى حبة وأبى لبلل الأنصارى وعبد الله بن عمرو بن العاص وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب الأنصارى وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحيح ، لحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وإليك قصة الإسراء والمعراج كما جاءت بها الأحاديث الصحيحة التى تلقفتها الأمة بالقبول وكادت تصل إلى درجة التواتر : بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم نائما ببيت أم هانئ إذ فرج عليه سقف البيت فاحتمله جبريل هو ومن معه إلى الجحر بالمسجد الحرام فشق جبريل صدره ثم غسل قلبه بماء زمزم وأفرغ فيه إيمانا وحكمة . ثم أتى رسول الله بالبراق - وهو دابة دون البغل وفوق الحمار له من سرعة البرق أوفى نصيب ، يضع خطوه عند منتهى طرفه - فركبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصحبته جبريل الأمين حتى بلغ بيت المقدس فربطه بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء ، ثم دخل المسجد الأقصى فوجد بعض الأنبياء في استقباله تشريفا له وتسكريما ، فأخذ جبريل بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين إماما ، ثم خرج بجأه جبريل باناء من لبن وإناء من نحر فاختر اللبن ، فقال له جبريل : اخترت الفطرة ، وفي هذه البقعة المباركة أتى النبي صلوات الله

عليه وسلامه بالمعراج فعرج ومعه جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . فقال : مرحبا به فنعلم الحبيء جاء ، ثم فتح لهما فاذا آدم عليه السلام فسلم عليه النبي عليه الصلاة والسلام فرد ثم قال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، ثم عرجا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فسئل وأجاب بمثل ما تقدم ، ثم فتح لهما فاذا بابن الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، فسلم عليهما النبي فأجابا وقالا : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، وهكذا كان يحدث في كل سماء ، فوجدوا في السماء الثالثة يوسف عليه السلام وقد أعطى شطر الحسن ، وفي الرابعة إدريس عليه السلام ، وفي الخامسة هرون عليه السلام ، وفي السادسة موسى عليه السلام ، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، ثم عرج بالنبي إلى سدرة المنتهى وهي شجرة عظيمة فينانة غشيا من جلال الله وملائكته وعجيب خلقه ما غشيا ، فما يستطيع أحد من خلق الله أن ينعتها لحسنها . ثم زج بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده في سبحات من النور إلى حيث يسمع صريف الأقلام ، فتجلى الله على حبيبه محمد بما تجلى وأوحى إليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة ، فرجع رسول الله صلوات الله عليه وسلامه حتى مر على موسى عليه السلام فقال له : بم أمرت ؟ قال : بخمسين صلاة قال : إن أمتك لا تطيق ذلك وإنى بلوت بني إسرائيل قبلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجع النبي إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا ، ولم يزل النبي يرجع بين موسى وبين ربه جل وعلا حتى قال الحق تبارك وتعالى : «هن خمس صلوات في اليوم والليلة وهن خمسون في الثواب ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشرا ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له سيئة » فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاوز ناداه مناد « أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » فلما مرّ النبي على موسى قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فقال الحبي الكريم : « سألت ربي حتى استحييت ولسكني أرضي وأسلم » ورجع النبي محفوفًا بالإكرام حتى هبط إلى بيت المقدس ومنه عاد على البراق إلى مكة ، فلما أصبح الصباح أخبر السيدة أم هانئ فأشارت عليه أن لا يخبر قومه خشية أن يكذبه ، ولسكن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المسجد الحرام فجلس وهو مطرق رأسه يفكر ، فربه أبو جهل فقال : هل من خبر ؟ قال : نعم ، أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس . فقال أبو جهل : أرايت لو دعوت قومك لتخبرهم بما أخبرني به ؟ قال : نعم . فنادى أبو جهل فيهم ، فحضروا ، فقص عليهم الرسول القصصة . فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا ، وارتد

أناس من ضعفاء الإيمان ، وسعى رجال إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه يخبرونه فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق . فقالوا : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك وهو خبر السماء - يريد مجيء الوحي في ساعة من نهار - فسمى أبو بكر من ذلك اليوم صديقا .

ثم أراد المشركون أن يختبروا الرسول فسألوه عن بيت المقدس ، ولم يكن رآه إلا في هذه الليلة ولا سيما وقد كان في شغل شاغل عن الإحاطة بالوصف فكرب كربا شديدا ، ولكن الله جلّاه له فصار يصفه لهم بابا بابا وموضعا موضعا ، فقالوا : أما الوصف فقد أصاب . ثم قالوا : أخبرنا عن عيرنا - وكانت قادمة من الشام - فأخبرهم بأمارات وشواهد تبينوا فيما بعد صدقها ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها حمل أورك ، فما وافى اليوم حتى خرجوا يشتدون نحو الثانية فقال قائل منهم : هذه الشمس قد أشرقت ، فقال الآخر : وهذه العير قد أقبلت !! . وبعد كل هذه الآيات البينات الدالة على صدقه لم يزدادوا إلا كفرا وعنادا ، فبعدا للقوم الجاحدين .

ثم نزل جبريل عند الزوال فصلّى الظهر بالنبي صلى الله عليه وسلم ميّنا له وقته ، وهكذا بين له بقية الصلوات الخمس وأوقاتها ، ومن ثم صارت الصلاة فرضا موقوتا على المسلمين ، تشهد لمؤدّيها بخشوع وإخلاص وللواظب عليها بالإيمان وصلاح الحال وحسن المآل . وصدق الله سبحانه حيث يقول : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ، « أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا » .

هذه قصة الإسراء والمعراج مستقاة من أوثق المصادر وأصحّها ، وليس فيها ما يخالف عقلا ولا نقلا ، وإنما يؤمن بهاتين الآيتين ذوو القلوب المؤمنة والنفوس المشرقة والعقول الكبيرة المستأنية التي لا تستعظم على قدرة الله شيئا ، لما ظهر لها من عجائب صنع الله في السكون وآياته الباهرة ما ظهر منها وما بطن . والعجب ممن يسارع إلى الإنكار من غير حجة ولا برهان مع ما يظهر لنا كل يوم من أسرار الخليفة وخواص الموجودات ، مما كان يعد عند كثير من الناس من ضروب المحال .

فلله ليلة الإسراج والمعراج ، فكم حصل فيها من فيوضات وتجليات وعبر وعظات ۞

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

المؤمن الحق

قلنا في المقال السابق : المؤمن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وآمن بالقدر خيره وشره ، كما ورد بذلك الحديث ، وبيننا في عبارات سهلة واضحة المراد من الإيمان بالله والملائكة والكتب ، ونبين في هذا المقال المراد من الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام وباليوم الآخر والقدر خيره وشره فنقول :

المراد من الإيمان برسل الله سبحانه التصديق بأن الله تعالى رسلا اصطفاهم من الناس وطهرهم وأزكى نفوسهم وصفى قلوبهم وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، من قوة الفكر والتفطن وذكاء العقل والبصر بالأمور، ليبلغوا الناس عن ربهم ما أمروا أن يبلغوه لهم من الشرائع والأحكام وتبصيرهم بالضار والنافع ، لما أن العقول مهما سميت لا يمكنها الاستقلال بما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ، فكان إرسالهم من الله فضلا ورحمة ، وأيدهم بالمعجزات وخوارق العادات للدلالة على صدقهم في دعواهم ، وليفرق بها بين المحق في دعوى الرسالة والمبطل فيها ، فكما ادعاها من لا بينة له ولا دليل ، فأكذبه الله تعالى وفضحه بين خلقه كسيامة الكذاب لعنه الله .

وآدم عليه السلام أول الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد ورد الكتاب الكريم بأنه أمر ونهى بلا واسطة ، وليس ذلك إلا للرسول ، ودلت السنة المطهرة على ذلك وانعقد عليه الإجماع ، فن أنكر نبوته خرج من ربة الإسلام ، وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم معجزته الدائمة التي خضعت لها أعناق المعاندين ، ولم يستطيعوا مجتمعين ولا منفردين أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه مع تحديه إياهم وتشنيعه بهم تشنيعا جعلهم يمشقون السيوف ويستلون الرماح ، ويتراشقون بالنبل دون أن يعارضوا ، ولو أمكنهم أن يأتوا بأقصر سورة لما اختطوا لأنفسهم ذلك الطريق الأشق الأصب ، إذ الكلام صنعتهم والبلاغة ديدنهم وهي سهلة عليهم يسيرة لديهم ، فتركهم ذلك السهل الأيسر إلى أشق شيء عرفته البشرية دليل أن ذلك الكتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولم يقتصر القرآن على تحدى الإنس فقط بل تحدى الجن

أيضا كما يدل على ذلك قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .

ولا ينبغي حصرهم في عدد معين لأنه لم يرد ذلك من طريق يؤدي إلى القطع بعدد محدود، ولا سيما والله يقول : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » . وجميعهم عليهم الصلاة والسلام أمين معصوم من الصغائر عمدا ومن الكبائر مطلقا كما نص عليه المحققون ، وما يشعر بصدور المعصية من بعضهم فمحمول على ترك الأولى من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وصادق فيما يبلغه عن ربه وصادق في كلامه وفعله ، وما ورد مما يشعر بحصول الكذب من بعضهم كقول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام : (بل فعله كبيرهم هذا) لما سأله قومه عمن كسر أصنامهم وجعلها جذازا - وهو الذي كسرها وجذزها - فمحمول على أن صورته صورة الكذب ، وإلا فهو في واقعه اعتراف لهم بالبرهان على أنه هو الذي كسرها ، وإن نسب الفعل إلى مالا يعقل أن يصدر منه ذلك الفعل وهو موجود معه وليس معها أحد ، فيدل ذلك على أنه الفاعل ، كأنه قال : ليس في بيت الأصنام إلا أنا وهذا الصنم الكبير ، وليس يعقل أبدا أن يكون هذا الصنم هو الفاعل إذ هو عاجز عجزا تاما ، فأنا الفاعل إذن ولكنكم قوم جاهلون لا تفقهون (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) وفي المعارض مندوحة عن الكذب ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يغزو فريقا من ناصبوه العداء وكان معه أبو بكر رضي الله عنه ، فقابلهما في بعض الطريق رجل كبير فساءلها من القوم ؟ فقالا : قل لنا نقل لك ، فقال : هذا بهذا ؟ قال : نعم ، فأنشب لهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ، يقصد الرسول صلوات الله عليه الماء المخلوق منه الإنسان ، ولكن الرجل فهم أنهما من جهة كانت تسمى ماء بنى سليم أو لغيرهم . وهكذا كل ما ورد أنه حصل من بعض الأنبياء مما يدل ظاهره على خلاف الكمال المطلق المناسب لهم عليهم الصلاة والسلام .

هذا وليس بمؤمن من يفرق بين الرسل فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ، فإن الإيمان بهم جميعهم هو الإيمان الحق الذي لا يلبسه شيء ولا يخاطله نكران ، فمن آمن بجميع الرسل

ولم يؤمن بواحد منهم لم يكن مؤمنا وإن خال ذلك وظنه (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله) .

وأما الإيمان باليوم الآخر فنحن به التصديق بأن بعد أيام هذه الدنيا زمنا يسمى اليوم الآخر، وهو يوم القيامة وهو الوقت الذي لاحد له ، الدائم الذي لا ينقطع ، وهو اليوم الذي يبعث فيه الناس من قبورهم ويحيون لحسابهم ، فمن أنكره ولم يصدق بوجوده وقال إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين لم يكن مؤمنا ، وإنما سمي اليوم الآخر لثأخره عن الأيام المحدودة المعدودة ، وأوله بالنسبة للأفراد من الناس ساعة الموت بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات فقد قامت قيامته) وأما بالنسبة لجميع الخلائق فهو النفخة الثانية المذكورة في قوله تعالى « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » وهو مواطن كثيرة : قيام من القبور ، وسوق للحشر ، وحشر الناس في مكان واحد ، وحساب وميزان ، وشفاعة ، وجواز على الصراط ، ثم دخول بعد ذلك إلى النار والجنة ، ثم خلود فيهما .

وأما الإيمان بالقدر خيره وشره فهو أن يصدق أن الأشياء كلها : خيرها وشرها ، حسنها وقبيحها ، ضارها ونافعها ، بإيجاد الله سبحانه وتعالى ، إذ القدر إيجاد الله للأمور على طبق لإرادته ، فعلى المرء أن يؤمن بأن الخير والشر من الله سبحانه ، خلافا لمن زعم أن الله لا يخلق الشر ، فعموم قوله تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » يدل على أنه سبحانه خالق كل شيء وغيره لا يخلق شيئا « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .

ولعلك أيها القارئ تبينت معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم - الإيمان أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر خيره وشره . والله الهادي إلى سواء السبيل .

محمد الطنيني

عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

والمدير العام للوعظ بالجمهورية المصرية

أَحَادِيثُ الْأُسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

١ - حديث عن الأزهر مع الصحفي البلغاري فلاد يميز نوبتشاروف

حضر في يوم ١٤ يناير لمقابلة فضيلة الأستاذ الأبر الصحفي البلغاري فلاد يميز نوبتشاروف ومعه مندوب من مصلحة الاستعلامات ، واستقبله فضيلة الأستاذ الأبر في الساعة الثانية عشرة والنصف ، ودامت المقابلة حوالى الساعة .

وقد تحدث الصحفي البلغاري فذكر أنه أستاذ تاريخ إلى جانب عمله الصحفي ، وأنه يعرف أن الأزهر أقدم جامعة في العالم الآن ، ولكنه يود معرفة شيء عن تاريخه وتطوره ، ومعرفة الدور الذى قام به الأزهر في حركة مقاومة الاستعمار وما أسهم به في الحركة الأخيرة .

وقد بسط له فضيلة الأستاذ الأبر تاريخ إنشاء الأزهر على يد الفاطميين لنشر تعاليمهم ، وكيف تحول - بفضل الروح الإسلامية القوية التى استقرت بمصر منذ دخول الإسلام إليها ، وبفضل الدراسات الدينية التى كانت تنشرها المساجد السابقة - إلى معهد لنشر تعاليم الدين الصحيحة ، وانتهى الأمر بزوال الفاطميين ومذهبهم من مصر .

وحدثه عن اتساع المناهج التى كانت تدرس بالأزهر ، والطريقة التى كانت تسير عليها الدراسة ، وما اتسمت به من تحرر وبساطة وتعمق علمى وتقوية للملكة البحث عن طريق المناقشة التى كانت أساس الدراسة وتقدير صلاحية العالم للتدريس ، وبين له تطور نظم الامتحان مع تطور الحالة فى مصر ، وكيف انتهى الأمر بإدخال النظم الدراسية الحديثة فى الأزهر بتنظيم امتحانات للقبول ، وتقسيم الدراسة إلى مراحل ، وتنوع الكليات التى تمهد للتخصص ، وإنشاء التخصصات المختلفة من تدريس وقضاء ووعظ ، وتخصص المادة الذى ينتهى باعداد رسالة لدرجة الأستاذية التى تؤهل للتدريس بالكليات .

ثم انتقل فضيلة الأستاذ الأبر إلى الموضوع الثانى الذى ذكره الصحفي ، فأجاب بأن الأزهر من قديم كان يسهم فى مقاومة الحملات الأجنبية من الفرنسيين والانجليز إسهاما ، بل كان محط رجال المقاومة ، يعقدون فيه الندوات وتلقى فيه الخطب ، وتنبعث من الأزهر حركة المقاومة .

ولم يكن الأمر مقصوراً على الشباب بل كان الشيوخ هم الذين يقودون الحركة ضد العدوان وحملات الفرنسيين والانجليز ، وكانت اجتماعات الأزهر تقصدها قوات الدولة المحتلة بالشدة والعنف للقضاء عليها ، ولكن كان الأمر بالعكس إذ كانت تزداد حماسة الوطنيين من الأزهريين وغير الأزهريين الذين كانوا يقصدون إلى هذه الاجتماعات في المسجد العظيم وهو الأزهر ، وفي مرات كثيرة أطلقت قوات الأجانب المحتلة رصاص البنادق والرشاشات على أهل الأزهر ، وأنا بنفسى كنت طالبا في معهد الاسكندرية وهو تابع للأزهر ، وكنت مشتركا بقوة في حركات المقاومة سنة ١٩١٩ ، وأطلق علينا الرصاص في المكان الخاص الذى كنا نبيت فيه بالمعهد ، وكثير من إخوانى وقعوا صرعى إلى جانبي وأماي ، ولم ينته الأمر إلا باعتقال من بقى حيا .

والأزهر أسهم في حركة المقاومة الأخيرة أولا بما يستطيع من مال ، كما تدرب رجال الأزهر - وأنا معهم - على استعمال السلاح ، وأسهم الطلاب وبعض المدرسين بأنفسهم في حركة المقاومة ، فذهبوا إلى الإسماعيلية للاشتراك في صد العدوان ، ومنهم من كان يختار الفدائية ومنهم من استشهد ، ولكن لا ندرى الآن الإحصاء الكامل . وأرسل فريق للاشتراك في تعمير بورسعيد ، وقد ذهب الوفد الأول من ثلاثة أيام على أن تتبعه فرق بالتوالى للاشتراك في التعمير والرجوع بها إلى أحسن مما كانت عليه .

وكان في بورسعيد وقت الهجوم عليها بعض العلماء من قسم الوعظ والإرشاد ، وقد أدوا واجبهم في المعركة أداء مشرفا .

هؤلاء أمكنهم أن يشتركوا في حركات المقاومة ، وأن يشدوا من عزيمة الوطنيين ويقووا نفوسهم على الكفاح الذى يأتون فيه بما كان عليه الأسلاف من الصحابة والتابعين والمجاهدين .

٢ - زيارة الوفد الصحفى الصيبنى

وقدم في يوم ١٥ يناير لزيارة الأزهر ومقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر أعضاء الوفد الصحفى الصيبنى الذى زار مصر في ضيافة الحكومة المصرية برئاسة المستر شيانج يوان وعضوية الأساتذة كاوتين واتشوموتشى ولوليانج وبن بياو ويرافقهم مندوبان من مصلحة الاستعلامات .

وقد استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الوفد في الساعة العاشرة والنصف وتحدث المستر شيانج يوان رئيس البعثة ، فأعرب لفضيلته عن سروره وسرور زملائه بهذه الزيارة واعتباطهم

بمشاهدة أقدم جامعة في الشرق أسهمت بأوفر قسط في نشر الثقافة الدينية ، وأنه يسرهم تقديم تحياتهم وتقديرهم العظيم لفضيلة الأستاذ الأكبر .

وقد شكر لهم فضيلته هذه الروح الطيبة ، ورحب بهم في أول زيارة لهم لمصر والأزهر ، واجبا أن تتلوها زيارات أخرى ، وأن تتاح الفرصة لبعض الأزهرين لزيارة الصين كذلك ، وأن تزداد الصلات بين مصر والصين توثقا وازدهارا بفضل هذه الزيارات .

ورد رئيس الوفد فذكر أن لديهم في الصين متخرجين من الأزهر يشاركون بجهودهم في بناء النهضة الوطنية للصين ، وأنهم يرحبون بزيارة رجال من الأزهر للصين ، ويودون أن تقوى الروابط بين مسلمي الصين ومسلمي مصر وبين شعب الصين والشعب المصري . ورجا فضيلة الأستاذ الأكبر أن يعطيهم صورة عن تاريخ الأزهر وحالته الحاضرة لأهمية هذا الموضوع لهم بوصفهم من رجال الصحافة .

فتحدث فضيلته إليهم عن إنشاء الأزهر منذ أكثر من ألف سنة إذ تم بناؤه سنة ٣٦١ هـ ، ليكون مسجدا للعبادة ومركزا للدراسات الدينية والعربية والعلوم المختلفة ومواد الثقافة الأخرى ، وأنه خلال تاريخه الطويل صارع القوى الأجنبية التي توالى على مصر ، وشارك في مختلف نواحي النهضة . وهو الآن يسير على أحدث النظم العلمية مع احتفاظه بخصائصه ومميزاته ، وخاصة تلك الميزة التي عرف بها وهي استعمال أسلوب المناقشة العلمية بين الأستاذ وطلابه في دراسة المسائل ومقارنة الآراء والأفكار المختلفة ، وهي الطريقة الصحيحة للوصول إلى الحقيقة ، وتربية ملكة البحث في الطلاب ، وتثبيت المعاني في نفوسهم .

ثم شرح لهم فضيلة الأستاذ الأكبر مراحل الدراسة المختلفة بالأزهر ومناهجها وأنواع التخصص التي تؤهل المتخرجين لتولى وظائف التدريس والقضاء والافتاء والإمامة والوعظ وغيرها .

وقدم فضيلة الأستاذ الأكبر إلى رئيس الوفد وأعضائه كتيبات باللغة الإنجليزية عن تاريخ الأزهر ونظامه وتطوره .

وقد شكر الوفد فضيلته على هذه الفرصة التي أتاحها لهم ، وتوجهوا لزيارة الجامع الأزهر والمكتبة العامة وقاعة المحاضرات والكليات ومباني مدينة البحوث الإسلامية .

لغويات

ما قام سعد لكن سعيد

يورد النحويون هذا المثال للعطف بلكن . ويشترط الموردون لهذا المثال في العطف بلكن أن يكون ذلك في المفردات وألا يسبقها واو العطف ، وأن يكون ذلك في مقام النفي أو النهى . ومثال النهى : لا تزرعها لكن عليا .

وقد سألتني بعض الفضلاء شاعدا للعطف بلكن يكون مأثورا عن العرب ومن يحتج به . ورجعت إلى كتب النحو فوجدت في العطف بهذا الحرف خلافا كثيرا . ووجدت أن يونس من شيوخ سيديوه ينكر العطف بها ، ويجعلها حرف استدراك لا غير . وعلى مذهبه يكون المفرد بعدها معمولا لمحدوف فيكون ما بعدها جملة . فنحو ما قام سعد لكن سعيد تقديره : لكن قام سعيد ، ونحو لا تزرعها لكن عليا تقديره : لكن زر عليا ، وهكذا يجري التقدير في سائر الأمثلة .

والذي يعني من البحث أني وجدت أن النعاة المئتين للعطف بها مجردة عن الواو لم يعتمدوا على شاهد من كلام العرب ، وإنما قاسوها على بل ، وأوردوا لها مثالا مصنوعا لتوضيح استعمالها بحسب ، لا للاحتجاج به . وإنما ورد عن العرب في هذا المقام قولها بواو العطف ، ومن ثم اشترط بعضهم في العطف بهذا الحرف سبق الواو ليحاذى ما ورد عن العرب . نعم ورد شاهد واحد ، لكن تخريجه على العطف بها هو على احتمال لا على قطع ويقين . وهو : ما مررت برجل صالح لكن طالح . وفي المعنى : « وسمع : ما مررت برجل صالح لكن طالح بالخفض ، فقيل : على العطف ، وقيل : بجاز مقدّر ، أي لكن مررت بطالح . وجاز إبقاء عمل الجاز بعد حذفه لقوة الدلالة عليه بتقدم ذكره » وهذا المعنى قد روى بوجه آخر ، ففي الأشموني في آخر مبحث حروف الجر : « حكى يونس : مررت برجل صالح ، إلا صالح فطالح أي إلا أمرر بصالح فقد مررت بطالح . والذي حكاه سيديوه : إلا صالحا فطالحا ، وتقديره : إلا يكن صالحا يكن طالحا » .

وإني مورد هنا بعض نصوص النعاة في لكن ، لأن هذا لا يخلو من فائدة للباحثين .

فيقول سيبويه في الكتاب ٢١٦/١ : « ومنه أيضا : ما مررت برجل صالح بل طالح ، وما مررت برجل كريم بل لئيم ، أبدلت الصفة الآخرة من الصفة الأولى ، وأشركت بينهما بل في الإجراء على المنعوت ... ومثله : ما مررت برجل صالح ولكن طالح ، أبدلت الآخر من الأول بغيرى مجراه . فان قلت : مررت برجل صالح ولكن طالح فهو محال ؛ لأن لـكن لا يتدارك بها بعد إيجاب ، لـكنها يثبت بها بعد النفي » . وترى أن سيبويه لم يأت في التمثيل للعطف بلـكن بها وحدها ، بل قرن بها الواو في قوله : ولـكن طالح . وسينوه ابن مالك بهذا في نص المرادى فـكن منه على ذكره . ويريد صاحب الكتاب بالإبدال العطف هنا . وهو يخص بهذا الاسم العطف بلـكن وبل لأن الآخر لا يجتمع مع الأول في الحكم ، فكان كالبدل والعوض منه .

ويقول المرادى في شرح التسهيل في أول مبحث العطف : « اختلف في لـكن على أقوال . فـقيل : هي من حروف العطف ، ولا تكون عاطفة إلا إذا لم تدخل عليها الواو ، وهو مذهب الفارسي - قيل - وأكثر النحويين . ولم يسمع ذلك من كلام العرب ، وإنما قالوه قياسا . الشانـى أنها عاطفة ، ولا تستعمل إلا بالواو ، ولـكن مع ذلك الواو زائدة و (لـكن) هي العاطفة ، وصححه ابن عصفور . قال : وعليه ينبغي أن يحمل مذهب سيبويه والأخفش ، لأنهما قالـا : إنها من حروف العطف ، ولما مثلا العطف بها مثلا بالواو . الثالث أنها ليست بعاطفة ، وأن العطف للواو أيضا ، إلا أنه من باب عطف جملة على جملة ، وهذا اختيار المصنف . قال في الشرح : هي عند يونس حرف استدراك لا حرف عطف . فان وليها مفرد معطوف فعطفه بواو قبلها ، ولا بد قبل المفرد من الواو ؛ ولو كانت عاطفة لاستغنى عن الواو . وما يوجد في كتب النحويين من نحو ما قام سعد لـكن سعيد فن كلامهم لا من كلام العرب . ولذلك لم يمثل سيبويه في أمثلة العطف إلا بـ (ولـكن) . وهذا من شواهد عدالته ؛ وكـال أمانته ؛ لأنه يميز العطف بها غير مسبوقه بواو ؛ وترك التمثيل به لئلا يعتقد أنه مما استعمله العرب . ومع هذا ففي المفرد الواقع بعد (لـكن) إشكال ؛ لأنه على ما قدرته معطوف بالواو مع أنه مخالف لما قبلها ؛ وحق المعطوف بالواو أن يكون موافقا لما قبلها ، فالواجب أن يجعل من عطف الجمـل ويضمـرله عامل ؛ كأنه قال : ما قام سعد ولـكن قام سعيد انتهى . وقوله : إن سيبويه يميز العطف بها غير مسبوقه بواو فيه نظره ؛ فقد تقدم ما حمل عليه ابن عصفور كلام سيبويه . وقول المرادى : « قال في الشرح » يريد : ابن مالك في شرح التسهيل .

المغص الكلوى

الجارى على ألسنة الناس فى الكلوى فتح الكاف واللام . فأما فتح الكاف فلا وجه له ، وهو خطأ يجب العـدول عنه ، فالكاف فى المنسوب إليه مضحومة البتة ، ويقول ابن السكيت - كما فى اللسان - : « ولا تقل : كلوة بالكسر » ولم يرد هذا فيما سمع مغيرا فى النسب كدهرى فى النسب إلى الدهر ، وسهلى فى النسب إلى السهل .

وأما فتح اللام فله وجه صحيح عند بعض النحويين .

وذلك أن المنسوب إليه هنا الكلوية ، ويقول أهل اليمن : الكلوة ، وهو الجارى على ألسنة الناس فهى عربية صحيحة .

فاذا وقعت النسبة على الكلوية فان سيويه يوجب أن يقال : كلبي بتسكين اللام وياء مكسورة بعدها ياء مشددة ، وإذا نسب إلى كلوة فالواجب عنده أن يقال : كلوى بتسكين اللام كذلك . ويرى يونس أن يقال : كلوى بفتح اللام فى النسب إلى كلوية وكلوة ، ويوافق هذا نطق الناس اليوم .

وقد سبق لى مثل هذا البحث فى « التربية النسوية ، والثقافة النسوية » فى ص ٧٨ من اللغويات (١) فارجع إليه تجد مذاهب سيويه والخليل ويونس فى شىء من التفصيل والبسط .

قارن بين الأمرين

إنكار هذا الأسلوب جرى بين الكتاب منذ حقبة من الدهر ، ووجه الإنكار أن المقارنة معناها المصاحبة ، يقال : قارنت فلانا أى صاحبتة ، ومن هذا ما جاء فى الحديث فى شأن الشمس : « تطلع بين قرنى شيطان ، فإذا طلعت قارنها ، فإذا ارتفعت فارقتها » وليس يراد هذا المعنى فى الاستعمال الجارى بين الناس ، وإنما يقال فى معناه : وازن بين الأمرين وميل بينهما ، ويقول صاحب اللسان (ميل) : « تقول العرب : إني لأميل بين الأمرين وأمايل بينهما أيهما أركب ، وأمايط بينهما ، وإني لأميل وأمايل بينهما أيهما أفضل » .

وقد بدأ تخريج قد يصحح المستعمل بين الناس . ذلك أن القرن يأتي في معنى الجمع ، يقال : قرن بين الحج والعمرة أى جمع بينهما بنية واحدة وطواف واحد وسعى واحد . ومنه القرآن في الأكل ، وهو أن يقرن بين تمرتين يأكلهما ، وقد نهى عنه إذا أكل الرجل مع غيره إلا أن يستأذنه . وقد جاءت المقارنة في هذا المعنى ، ومنه ما أورده اللسان في حديث جبلة « قال : كنا في المدينة في بعث العراق ، فكان ابن الزبير يرزقنا التمر ، وكان ابن عمر يمر فيقول : لا تقارنوا إلا أن يستأذن الرجل أخاه . هذا لأجل ما فيه من الغبن ، ولأن ملكهم فيه سواء » فقله : لا تقارنوا أى لا تقرنوا بين تمرتين في الأكل ، ومعنى هذا : لا تجمعوا . فقد جاءت المقارنة في معنى الجمع والقرن لا في معنى المصاحبة والاقتران ، والذي يوازن بين أمرين يجمع بينهما ، ثم ينظر ما يجتمعان فيه وما يفترقان فيه ، وما به يفضل أحدهما الآخر . فأطلق المقارنة بمعنى الجمع على ما يعقب الجمع ، وهذا ضرب من المجاز لا حرج فيه .

ويقرب من هذا ما جاء في الحديث أيضا في رواية اللسان : « قارنوا بين أبنائكم أى سوّوا بينهم ولا تفضلوا بعضهم على بعض » فقله : قارنوا أى اجمعوا بينهم ولا تفرقوا بينهم في العطاء ، فاستعمل هنا في التسوية . والعبرة في هذا الحديث أن المقارنة عنى بها الجمع والقرن ولم يعن بها المصاحبة والاقتران ٤

محمد علي النجار

خير الأساة

نظر الهداة إلى الشعوب فما دروا	أعقول وحش أم طباع جماد
وتعجبوا للأرض كيف يسوسها	طغيان أرباب وجهل عباد
مرضت نفوس العالمين فعادها	خير الأساة وأفضل العواد
طب من الوحي المفصل آخذ	يجمع الأرواح والأجساد
ما انفكت الأفهام في أصفادها	حتى تداركها الرسول الفادى
الله يسأل : أين غودر دينه	ويقول : أين فوارسى وجيادى
أفيطع النوم ملء عيونهم	أن يملكوا الدنيا بغير جهاد
	أحمد محرم

التدريب العسكري في مناهج الدراسة بالأزهر والمعاهد الدينية

حملت إلينا الأنباء المتلاحقة وفي الطليعة منها صحيفة (التنبؤ) الإيطالية حديثاً أفضى به رئيس الدولة المصرية قال فيه : إن مصر مستعدة لمواصلة الكفاح ، وإن الشعب أحرص ما يكون على سلامة بلاده وتحريرها من كل طامع أجنبي ، وإن الكفاح بيننا وبين المستعمرين ما يزال قائماً ، ولا يمكن أن يلقي الكفاح أوزاره حتى تتحرر البلاد وتسلم لأصحابها . ثم قفى على آثاره من بعده صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبداللطيف السبكي مدير التفقيش بالأزهر والمعاهد الدينية ، فأنهى إلى شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر اقتراحاً بمشروع قانون يكفل إدراج التدريب العسكري والتعاليم العسكرية في مناهج التدريس المعمول بها في الأزهر ، وقد رحب به شيخ العلماء التوافق لتنفيذ هذا المشروع ، ورحب به أيضاً المسئولون في هيئات التحرير المختلفة .

ولا شك أن الجندية من أهم أبواب العلم الحديث ، لأن بها حماية الزمار والذباد عن حياض الوطن والجلاد عن الدم والعرض والمال ، فهم بنواحيها المختلفة ملاك الفضائل وهدف لكل صائل ، يقول الفيلسوف هيجل الألماني : « بلى ، إن الحروب تخيف وترعب وترزعج ، ولكنها واجبة لازمة ، لأنها تنقذ الأمة من كل ركود أو جمود اجتماعي » .

إن النظام الاجتماعي الذي يكون فيه لأرباب الكفايات الكبرى الكلمة العليا هو الذي يظهر أكبر الحيوية في النزاع الداخلي الدائم .

أما النزاع الخارجي - أي الحرب - فلا تنصرف فيه إلا الأمة التي تضع في الميزان أكبر القوى الطبيعية والذهنية والأخلاقية والمادية والسياسية ، وعلى ذلك تكون أحسن الأمم في الدفاع عن حوزتها وسلامتها ، فالعوامل الذهنية والأخلاقية التي تغلب في الحرب على غيرها تؤدي إلى ارتقاء المجتمع كله ، وبدون الحرب لا يكون من الأمم والأجناس المنحطة الضعيفة الذابلة إلا أن توقف العناصر الأخرى القوية المنتعشة المنثمرة ، وليس من وراء ذلك إلا الانحطاط العام في الجمعيات البشرية كلها . يقول فون سكيليجل : « الحرب لازمة لزوم الحرب الواقعة بين عناصر الطبيعة » .

قد يكون هناك منافسة سلمية بين الأمم كالمنافسة الواقعة بين أفراد المجتمع الواحد فى كل فروع الحياة الصحيحة ، منافسة لا تستوجب دائماً نشوب الحرب ، ولكن المنافسة بين الأمم لا تشبه التنارع الداخلى بين الأفراد ، ومن ثم لا تؤدى إلى النتائج نفسها . إن فوق منافسة الأفراد والطبقات فى داخل الأمة ينهض القانون ، وهو الذى يعنى بمطاردة الظلم واستئصال شأفة الجور ، وهو الذى ينشر العدل بين الربوع ، ومن وراء القانون تقف الحكومة بقوتها لتحمى الشعائر الأدبية والروحانية فى جمعيتها ، ولتعمل كذلك على ترقيتها وتهذيبها . ولكن ليس هناك قوة عادلة غير متحيزة تنهض فوق منافسة الأمم لتمنع الحيف وتقتل الظلم ، وتستخدم هذه المنافسة نفسها فى تربية الإنسانية والصعود بها ذروة السكال الاجتماعى ، وإنما الحائل الوحيد بين الأمم والظلم هو القوة ، وعلى كل أمة أن تنهض بنفسها وتأخذ مكانها من الفضيلة والمدنية وتعمل على ترقية مذهبها ومبادئها وأغراضها ، فإذا حدث من ذلك أن اصطدمت هذه المبادئ بمبادئ الأمم الأخرى ومذاهبها ، فعليها إما أن تخضع وتعترف بأسبقية الأمة المزاحمة ، وإما أن تعتمد على القوة فتواجه بها الصدمة الكبرى ، وأعنى الحرب ، حتى تنشر مبادئها وتذيع فى الخافقين آراءها وآدابها ، نعم ليس هناك قوة تستطيع أن تحكم وتقضى بين الأمم وتجعل لحكمها سلطاناً مسموعاً ، وليس هناك غير الحرب لىكى تسود عناصر النجاح الصحيحة على روح التدهور والانحطاط .

إن النزاع إذن هو القانون العام فى الطبيعة . خلق الإنسان محارباً ، وإن تضيحية الذات ليست إلا التخلي عن الحياة ، سواء فى وجود الفرد أو حياة الأمم ، لأن القانون الأولى العام هو إظهار الإنسان وجوده المستقل فى هذا العالم ، وبالاحتفاظ بالوجود المستقل لا يمكن رد عاديات الأعداء فقط ، وإنما يتضمن كذلك تكفلها بوجود الحياة وسبل الارتقاء لمجموع الأمة التى تحكمها .

والتدريب العسكرى الذى يراد إدخاله ضمن برامج التعليم يكون عادة فى فترات السلم ، ويكون ذلك بمثابة استعداد للحرب ، لأن الحرب أشد من السلم إيقاظاً للحياة الأهلية ، وأشد توسيعاً لنطاق القوة الأهلية من كل وسيلة يذكرها التاريخ .

وإذا ظلت السلم فى الأمة دهرًا لم تلبث أن تتسلط فيها المآرب الشخصية الحقةرة والأغراض الدنيئة المريضة ، وتقوم الفتن ويحو الترف آثار السكال الاجتماعى ، ويحتكر

المال قوة متطرفة غير شريفة ولا مشروعة ، ولا تجد الشخصية الكبيرة الاحترام اللائق بها .

يقول فيلسوف ألمانيا شيلر : « تصوح زهرة الإنسان وتموت جذوره في زمان السلم وعهودها ، وتموت الشجاعة وتحتضر في ظلال الراحة ونمائل السكون . إن القانون هو ملهأه الضعيف العاجز ، هو الذى يجعل الناس جميعا أندادا وأشباهها . ولكن فى الحرب تتجلى شجاعة الإنسان ، والحرب تعلى الروح الوضيعة ، وترفع كل منحط حقير ، بل إن الجبان نفسه ليتناسى اسمه » .

عرف معلم ألمانيا الأول فيردريك الكبير التأثير النبيل العظيم الذى تحدثه الحرب فقال : « إن الحرب تفتح الميدان الخصب الشاسع العريض للفضائل كلها ، لأن فى كل لحظة من أيام الحرب يتجلى الثبات والعطف والعظمة والبطولة والرحمة والإحسان ، وكل لحظة من أوقات الحرب تقوم الفرصة السانحة لإظهار فضيلة من هذه الفضائل » .

ويقول تربية شكى الفيلسوف : « يجب أن يتلاشى حب الذات وتتدارى الخزازات وتختفى الإحن والعداوات ، إذا جاءت الساعة التى يصبح فيها المجتمع أن حياته فى خطر ، يجب أن ينسى الفرد إذ ذاك ذاتيته ، ويشعر بأنه شلو من جسم الأمة ، ينبغى أن يعرف أن حياته ليست شيئاً مذكوراً بجانب حياة المجتمع الذى يعيش فيه ، إن الحرب مهذبة رافعة سامية ، لأن الفرد يخفى فيها حيال فكرة الأمة الكبرى ، وإن إخلاص المجتمع لا يتجلى أسمى جلالة إلا فى الحرب ... » .

قد يكون حتى فى الهزيمة نفسها ثمرات غالية سامية ، فهى - وإن ساقط غالباً الضعف والبؤس والشقاء - مؤدية كذلك إلى إحياء جديد وانتعاش قوى لا سمة للفتور أو العلة فيه ، وهى كذلك واضعة أساس أنظمه حيوية جديدة . يقول ولهم همبولدت الأديب الكبير : « إنى لأرى فى تأثير الحرب على الخلق الأهلى عنصراً من أسمى العناصر فى تكوين الجنس البشرى وصوغه وتهذيبه » .

ولا نغنى بما كتبناه فى هذه العجالة مستندين فيه إلى آراء كبار الفلاسفة أن نقول بضرورة قيام الحرب مشتتة بين الشعوب المهضومة والشعوب الهاضمة ، بل الذى نريده من ذلك كله أن تكون الأذهان مهيئة إلى اتخاذ إمكانيات حربية جماعية تستطيع أن ترد بها عاديات الظالمين وجنات المعتدين ما

العائدون

العائدون من الجهاد هم الغزاة الظافرون
العائدون لمصر بالنصر المبين متوجون
العائدون غدا إلى ساح القتال سيرجعون
ولقبر إسرائيل في الأمد القريب سيحفرون
ولقد علمنا أن ساسةهم ضعاف جاهلون
ولقد رأينا أنهم في الحرب أتفه ما يكون
أهل الخيانة والمذابح والتعسف والمجون
والجبن شمة جيشهم قوم لئام مجرمون
سنعود « غزة » رغم أنف المعتدين ويطردون
أمجاد « غزة » للقيادة بالحبة يهتفون
لجمال « مصر » و« عامر » ولشعب مصر مؤيدون
« ولتاج » « أزهرنا » العظيم يقدسون ويشكرون

مبين عبر المجير هاشم

مدرس بمعهد غزة الديني
وأحد الأسرى العائدين

بشارة لهذه الأمة

عن أبي بن كعب رضى الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بشر هذه الأمة بالسناء ، والرفعة ، والتمكين فى الأرض ، ومن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب » . رواه أحمد ، والحاكم فى المستدرک ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى شعب الإيمان . واللفظ للحاكم .

تقديم : المراد بالأمة هنا أمة الإجابة ؛ لكن من حيث بجلتها ومجموعها لا من حيث أفرادها وجميعها ، والسناء بالفتح والمسد : ارتفاع المنزلة والقدر ، فعطف الرفعة عليه للتفسير ، والنصرة بضم فسكون : هى النصر ، وهوراية ثانية ، والتمكين فى الأرض : تثبيت الله للملكهم فيها بالهبة والقوة والتوفيق ، ومن عمل منهم : أى من الداخلين فى بجلتهم من المنافقين والمرائين . عمل الآخرة للدنيا : بأن جعل عمله الأخرى وسيلة إلى تحصيلها ، ولم يطلب به وجه الله والدار الآخرة ، لم يكن له فى الآخرة من نصيب : على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم : فهجرته إلى ما هاجر إليه ، أى فأنذره ذاك .

المعنى : هذا النوع من الحديث الذى يتحدث عما سيكون من أمور الدنيا - ليكون هدى مجددا للخالفين من المؤمنين ، وحجة مستأنفة على المعاندين الجاحدين - هو كما هو ظاهر من دلائل النبوة الظاهرة ، وعلاماتها الباهرة ، وشواهد النيرة ، وكلها نيرة مبصرة ، وله نظائر كثيرة فى أمهات كتب السنة : كصحيح البخارى وغيره ، مما لا يتسع لها المقام ، وهو كالبيان لبعض آيات الذكر الحكيم التى سنشير إلى بعضها بعد ، وهذا النوع الكريم منها بحاضر الهدى ، وكلها كريم به - وإن طال المدى ، أو استعجل الآيات من لورأها ما اهتدى - يذكرنى بكلمة من الكلمات الكبار ، التى لها فى نفسى موقع خاص ، هى ما قاله لى بعض مشايخنا الأزهرين فى نحو من مثل هذه المناسبات التى يوحى مثلها هذا المقام - إذ قال لى : إن هذا الدين لا يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية بحال من الأحوال . وإنما حمله على مثل هذه الكلمة أن ظهور الإسلام وعلوه ، وغلبته وانتشاره ، لا يجرى على مقتضى مقدمات اجتماعية مما ينشأ عن مثلها ظهور أمة ، وقيام دولة ،

وامتداد سلطان ، فضلا عن أن يكون لهذه الأمة الكلمة النافذة على أم الأرض ، وعلى رأسها دولتا الفرس والروم ، على مالهما من حضارة تالدة ، ومدنية زاهرة ، وملك عريض ، ومجد أثيل ، وهذه الأمة لم تخرج بعد عن بداوتها البادية ، وفطرتها الساذجة ، ولم تأخذ بعد بأسباب القوة المادية : اقتصادية كانت ، أو صناعية ، أو علمية ، حتى يكون لها أن تغالب غيرها إلى أن يخر صاغرا سلطانها القاهرة ، خاضعا لأمرها العظيم .

وكيف لا نوقن باستحالة أن يكون الإسلام ظاهرة اجتماعية بحال من الأحوال ، ونحن نرى أن حملة هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها لم يكونوا قبله - وإن طال تطاحنهم فيما بينهم ، وعدوان أقويائهم على ضعفائهم - إلا قبائل تتوزعها الفلوات ، وتتقاذفها المهامه والمفايزات ، انتجاعا للكلأ والماء ، وجريا وراء كل سحابة يشيرون برقها في السماء ، أو ممالك مستضعفة خاضعة للفرس على أطراف العراق ، لا تمتنع على أمر كسرى ولو كان منه أن تطأ الفيلة بعض ملوكها بالأقدام ، أو تابعة للروم على مشارف الشام يبتغون عندهم الزلفى والعيش والمتاع .

ولقد يبلغ من ضعف هذه القبائل العربية جميعا قبل الإسلام أن تخترق معظم بلادها من الجنوب إلى الشمال كتيبة حبشية بقيادة أبرهة صاحب الفيل تهدم البيت الحرام الذي أجمعوا على تعظيمه ، لأنه بيت أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ومثوى ما يشركونه بالله ، ويحبونه كحبه : من الأصنام والأوثان - فلا يستطيعون صدّه عن هذا المقصد الشفيع الأثيم ، حتى إذا ما انتهوا إلى حدود الحرم ، لم يجد شيخ قریش عبد المطلب من سبيل إلى لقاء هؤلاء الآثمين إلا أن يفوض الأمر إلى الله بكلمته المأثورة « إن للبيت ربا يحميه » فكان من أمر الله ما قصه في سورة الفيل .

وما لنا لا ننتهى إلى ذلك ؟ وكتب التاريخ لا تزال تقص من تعبير أعدائهم من الفرس لهم ، واستهزائهم بضعفهم ، حينما كانوا يدعونهم إلى الإسلام ، أو الجزية أو القتال ، حسما لشروطهم ، وكفنا لعدوانهم وبغيهم - ما ليس أبلغ في تصديقه وتأييده من تسليمهم لهم به ، وزيادتهم لهم فيه ، معترفين بما امتن الله به عليهم : من كرامة الإسلام ، وعزة الإيمان ، وما وعدهم الله ورسوله : من النصر العزيز ، والفتح المبين ، من مثل قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى

لا يشركون بي شيئاً» ومن مثل قوله صلى الله عليه وسلم من حديث «نصرت بالرب» ،
 فبينما أنا نائم أوتيت بمفتاح يفتح خزائن الأرض» وقوله : «إن الله زوى لى الأرض فرأيت
 مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها» مع علمهم بأن مثل هذه البشائر
 إنما هى من باب التكليف العظيم ، والأمر الجسيم ، الذى لا طاقة لهم بمثله لو خلى بينهم
 وبينه ساعة من ليل أو نهار ، وحسبك ما كان يستشعره عمر رضى الله عنه من ذلك إذ يقول
 كما رواه الطبرى : «وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلا من نار : لا يصلون إلينا ولا نصل
 إليهم» ؛ ولقد كان الفرس أول من اجترأ على حربهم ، والعدوان عليهم ، متحكمين بهم
 وبأساحتهم ، حتى لقد عيروهم حين رأوا ضالة قسيهم بأنهم إنما جاءوا ليبحار بوههم بالمغازل ،
 حتى إذا ما التقى الجمعان أذن الله لهذه الهام النحيلة الضئيلة أن تخرق كل ما تلاقيه ، فلم
 يصددها ما ضوعف نسجه من الدروع ، ولا ما اتقى به من الجن والتروس ، وقضى بأن
 تتساقط عن صدور المسلمين هذه السهام الفارسية الرصينة الثقيلة كما تتساقط أوراق الخريف ،
 إلا أن يأذن الله لمن يشاء بكرم الاستشهاد ، فيدع لهم عدوه أن ينفذ فيه ؛ ولقد فطن
 لذلك بعض قادتهم فاعتذر به لمن عيره الهزيمة من قومه ، وأراه كيف أن سهمه يفلق
 الصخر مع أنه ما كان لينال شيئا من هؤلاء الجند الغالبين .

ومما يؤيد مثل ذلك ، ويعين على اعتقاده ، واليقين به ، ما كان يؤتى لهم فى المواقف
 الحاسمة : من الآيات العظام التى لا تجرى على المؤلف من أمور الدنيا ، وأحوال الناس ،
 فقد ينطق بعض عامتهم بالكلمة لا يدرى هو ولا من معه ما هى جوابا على رسالة لكسرى ،
 فيطير لها قلب هذا الرسول رعبا ، حتى إذا ما بلغها إليه فتر من وجوههم تاركا لهم مدينة
 عامرة بما فيها من الأزواد والأموال ، وقد يعترض سبيلهم البحر المزبد فيعبرون بلحته
 بخيولهم فلا يفرق منهم أحد ، ولا يفقد لهم متاع ، وقد يعيهم أمر مدينة محصنة ، فيدلمهم
 على عورتها كلب لا هم له إلا أن يفر إلى هذه العورة بما اختطف من رغيف . وإياك
 أن تعجب من مثل ذلك فسترى عن قريب كيف كان عمر يؤذن أجناده بأنه لا قبل
 لعدوهم إلا بتقوى الله ، وهو الذى تمثل وقد بلغه أمر النصر فى بعض هذه المواطن بقوله
 تعالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

محمد فرج العقدة

« يتبع »

المدرس فى كلية اللغة العربية

سورة الاسراء

تقصص نهاية إسرائيل

قال الله عز وجل : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكثرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأ ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويذر المؤمنين » .

أطبق المفسرون على أن ذلك الفساد والإفساد وقع منهم مرتين : في الماضي قبل الإسلام أيام أن علوا وغلوا وقتلوا الأنبياء وكذبوا المرسلين ، وإن اختلفت أقوالهم في ذلك اختلافا كبيرا في تحديد نوع إفسادهم الأول وزمنه والمسلط عليهم فيه ، وكذلك في الثاني .

والذي يعينني أن أكشف عنه وأن أثبته في هذا البحث أمران :

الأول — أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة وإنما هما في الإسلام .

الثاني — أن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . والآخرة هي التي نحن فيها الآن والتي ستسوء فيها وجوههم ، وتدخل المسجد كما دخلناه أول مرة ، وتدمر فيها ما علوا تدميرا ، إن شاء الله رب العالمين .

وأبادر فأطمئن الذين قد يهولهم هذا التخريج فيرونه مخالفة للمأثور أو المعروف من أقوال المفسرين ، إلى أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء ، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة ، وإلى أن الأمر لا يبدو أن يكون تاريخا أو تأويلا لا يقال في مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه .

وأعود بعد لإثبات الأمر الأول فأقول :

الحديث عن الإسراء تبشير وإنباء بمستقبل :

الثابت أن الإسراء وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة ، فإن سورة الإسراء أنزلت كذلك فهي مكة إلا آيات معلومات ، وقد كان المسلمون يومئذ بمكة قليلا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس ، فلم يكن لبني إسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين ، ولم يكن لهم أثر بمكة ولا خطر يقتضى أن يتحدث الله عنهم في سورة مكة بمثل هذا التفصيل .

فما السر في أن يخبر الله عن إسرائه برسوله صلى الله عليه وسلم في آية واحدة أول السورة ، ينقطع بعدها الحديث عن الإسراء جملة إلى آخرها ، ويبدأ الحديث عن بني إسرائيل وما أنعم عليهم وعهد إليهم وعن دور خطير يكون لهم .

وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والأحداث ؟

السر في ذلك أن الله عز وجل يحدث عن الإسراء بمقدار ما يبشر نبيه والمسلمين المضطهدين بمكة المستضعفين في الأرض ، بأن أمرهم سيمتد ويعلمو وشيكا حتى تدين لهم عاصمة الشرك وعاصمة أهل الكتاب ، فهو سبحانه يقول : « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » لم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو الحال إذ الكعبة يومئذ لم تكن مسجدا ، وإنما كانت بيتا تقوم حوله الأصنام ويطيف به العائدون المشركون ، ولم يكن هيكلا داود وسليمان في دولة يهوذا وإسرائيل مسجدا ، وإنما كان بيتا يأكل بنو إسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد .

ولكن الله عز وجل حدث عن هذا الإسراء بأنه انتقال من مسجد إلى مسجد تبشيرا للمسلمين بأن أمرهم سيعلمو ويتم ، بحيث يصبح البلد الذي استضعفوا فيه وهاؤوا وحلت حرمتهم فيه مسجدا حراما ودار أمن وإسلام ، ليس هذا فحسب بل سيمتد نفوذه وضياؤه بحيث يصل عاصمة أهل الكتاب ويصبح هيكلا داود وسليمان لهم مسجدا أقصى كذلك فهم أولى به « إن أوليائه إلا المتقون » .

وهنا يتضح الجواب ويظهر وجه المناسبة بين قوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب ... وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب » وبين آية الإسراء الأولى .

فقد اتصل الحديث وإن انتقل الكلام من الإنباء بمصير الهيكل إلى الإنباء عن مصير أهله .

سورة بنى إسرائيل :

وبحق ما سميت سورة الإسراء سورة بنى إسرائيل فانها أحق بهذه التسمية وأجدر لأنها لم تحدث عن الإسراء إلا بمقدار ما بشرت بصيرورة الكعبة والهيكل للمسلمين حرما ومسجدا ، ثم اتصل الحديث بنى إسرائيل وخطبهم مع المسلمين بعد فقال تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين » فإذا لاحظنا أن الله عز وجل لم يحدث عن بنى إسرائيل فى سورة مكية إلا بمقدار ما تساق العبرة من موافقهم من موسى ووصاياه ، وموقفهم من فرعون وجنوده ، وحدث عنهم فى السور المدنية كثيرا فسجل لهم ضربا من الفساد والإفساد ، فحدث عن نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، وحدث عن ظلمهم ، وصددهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .

وحدث الله عن اعتدائهم فى السبت ، وحذرهم الموت وسكوتهم على المنكر واشترأهم بآيات الله ثمنا قليلا ، وحدث عن قتلهم أنفسهم وإخراجهم فريقا من ديارهم يتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ، وقولهم ليس علينا فى الأميين سبيل الخ .

الإفساد مرتين :

فإذا لاحظنا هنا أن الله ينص على أنه قضى أنهم يفسدون فى الأرض مرتين فإذا جاء وعد أولاهما كان كذا ، وإذا جاء وعد الآخرة كان كذا . . . دل ذلك على أن المراتين غير ما سبق أن سجل لهما ، وأنهما يقعان فى المستقبل بالنسبة لمن أنزل عليه الكتاب صلى الله عليه وسلم ، لأن الحديث من أوله تبشير وإيماء لمستقبل ، فذلك من الإنباء بالغيب والإخبار بما لم يقع ، وإلا فهم أنسدوا من قبل سبعين مرة ، فالمرتان المعنيتان فى الآية وقعتا بعد ، وقد أكد ذلك إعجاز القرآن وصدق ما جاء به عهد صلى الله عليه وسلم .

أولاهما : قال تعالى : « فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا » الخ . لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما عاقبهم الله به وسلط عليهم فيه .

فهم أفسدوا في الأرض ونقضوا عهد الله ورسوله ، وكان صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم لأول ما وصل المدينة « أنهم أمة مع المسلمين ، للمسلمين دينهم وللإهود دينهم . وأن بينهم النصر والأسوة والبردون الإثم غير مظلومين ولا مفآخر عليهم . وأنهم يد واحدة على من حارب أهل هذه المعاهدة أو داهم يثرب » الخ .

رغم هذه الرعاية والمصافاة والمساواة انطلقوا بالبغى والمكر والفساد في الأرض يشككون في شخص النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته ورسالته ، ويفتون المشركين أنهم أهدي من الذين آمنوا سبيلا .

ويفتحون دورهم وصدورهم لأعداء النبي صلى الله عليه وسلم ويدلونهم على عورات المؤمنين ، وبأغ من أمرهم أن هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأن هيجوا قريشا وغطفان حتى حصروا المدينة للقضاء على رسول الله ودعوته وأتباعه ، وانضموا لهم ونقضوا عهد الله ورسوله في ساعة العسرة ويوم الأحزاب ، فسلط الله عليهم عباده المؤمنين فأجلوا بنى النضير وقتلوا بنى قريظة وسبوه ثم فتحوا خيبر ثم من عليهم الرسول فاستبقاهم عملاء حتى أجلاهم عمر في خلافته ، وكان وعدا من الله للمؤمنين بالتمكين وقد فعل . هذه هي المرة الأولى لا تنطبق أوصافها إلا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة « عبادا لنا » لأنهم الموحدون أتباع عبده الذي أسرى به . أما أتباع بختنصر أو سابور أو صحابين أو سنخاريب الخ ما اضطربت فيه أقوال المفسرين ، فقد كانوا عباد وثن لا يستحقون شرف الاختصاص بالله في قوله (لنا)

(ب) وهم الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم « أشداء على الكفار رحماء بينهم »

(ح) وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن « جاسوا خلال الديار » . أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا ، وأنه دخل المقدس فسبي أهله وسلب حليه الخ ، فهو اجتياح وليس جوسا .

رد السكرة :

قال تعالى : « ثم رددنا لكم السكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » .

ردت لليهود السكرة علينا بعد ألف وثلثمائة ونيف وسبعين سنة من تأديب الله لهم منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله بخاسوا خلال الديار .

بعد هذه المدة - التي أشار الله سبحانه لطولها بقوله (ثم) التي تقتضى في العطف تراخيا في الأجل - ردت لليهود السكرة وأمدوا بثلاث ما أمدوا بمثلها في تاريخهم :

- (١) بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض على ما أرادوا من صعبة أو سهلة .
- (٢) بنين مهاجرين ومقاتلين ينتخبون انتخابا لحماسهم وصلاحياتهم لبناء دولتهم .
- (٣) وجعلناكم أكثر نفيرا : ولم يكن اليهود في يوم ما أكثر نفيرا وناصريا منهم اليوم ، ولم يتمتع اليهود في تاريخهم ولا أمة في الأرض غيرهم بمثل ما يتمتعون به من كثرة الناصر لهم والنافر لنجدتهم . إذا غضبوا غضبت لهم أمريكا وإنجلترا وفرنسا وأم الغرب جميعا ، وإن دعوا أجايبهم الظالمون وتنادوا لنصرتهم ، لقد انفق الشرق والغرب - ولم يتفق يوما - على إنشاء إسرائيل وتقسيم فلسطين ، وسكتوا - ولم يسكتوا يوما - على مأساة اللاجئين والمنكوبين والمشردين .

كل هذه الأوصاف تؤكد أن الدور الذي نعانيه اليوم هو السكرة المعنية في الآية ، وكل ما ذكره المفسرون بعيد لا تنطبق عليه هذه الصفات .

وصدق الله العظيم « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .
فرصة للاختبار :

- قال الله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .
- بعد أن قرر سبحانه أنه سيرد لليهود السكرة ، قرر أنها فرصة لهم ليختاروا لأنفسهم وليرسموا نهايتهم ، فللذين أحسنوا الحسنى وللذين أساءوا السوأى .
- ثم قرر سبحانه أنه وهو الخلاق العليم يعلم أنهم لن ينفكوا عن فسادهم وإفسادهم ، فقرر بعد ذلك على الفور عاقبة أمرهم لأنها معروفة محتومة فقال تعالى :
- وعد الآخرة :

« فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليسدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم » .

يقرر الله عز وجل : أنهم لن يستقبلوا النعمة بالشكر ولا السكرة بالذكر والانتهاه عن الفساد والمنكر والبغى ، وإنما سيعاودون فسادهم الموروث وإفسادهم المتأصل على نحو يدخلهم في شديد مقت الله ونقمة عباده بما يبعد أن تدركهم عند ذلك رحمته . فيقول : « فإذا جاء وعد الآخرة » سلطنا عليكم عبادنا الأولين الذين دخلوا المسجد ، ثم ردت لكم السكرة على خلافهم « ليسوءوا وجوهكم » بما ترون من مصارعكم ومصارع أمانيتكم وأحلامكم ودولتكم ، وما تعينون من سوء النظر في المال والأهل والبلد « وليدخلوا المسجد » دخول العزيز الظاهر « كما دخلوه أول مرة » ظافرين منصورين « وليتبروا ما علوا » تدميراً . وذلك دورنا المرتقب وعملنا الذى نرجو أن يشرفنا الله به في القريب ، فانا لنطمع أن يعذبهم الله بأيدينا ويخزيهم وينصرنا عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبنا ويتوب الله على من يشاء . سبحانه يؤيد بنصره من يشاء والعاقبة للمتقين . وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافاً لنبيدهم فقال : « فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً » .

بشرى للمؤمنين :

يؤكد هذه النهاية ويبشر بقرب وقوعها قوله تعالى : (فإذا جاء) .

١ — فان العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب ، فالوعد واقع قريباً بعد هذه السكرة .

٢ — والتعبير (باذا) يدل على تحقق المجبىء لا محالة .

٣ — وبشائر النصر التى تحدونا أولاً وأخيراً في هذه السورة .

قال الله عز وجل بعد هذه الآيات من أول السورة : « إن هذا القرآن يهتدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين » .

وقال الله تعالى في آخر السورة : « وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً . قل آمنوا به أولاً تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً » .

سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً

عبد المعز عبد الستار

ولوا

أين الذين رأيتهم بالأمس فوق دياريه
 ولوا وقد طلعت عليهم أسد غاب عاصيه
 ولوا وقد سمّوا البقاء بأرض مصر العاتيه
 وجدوا بها نار البنادق والمدافع حاميه
 وجدوا الهواء عليهم حمما وشمبا كاويه
 وجدوا على أرض القتال جموعنا المترافيه
 وجدوا شبابا نائرا وجدوا العزائم ماضيه
 فتحيروا في أمرهم وغدوا بروح واهيه
 يا موطن القرصان يا وكر اللصوص العاتيه
 في كل شبر تنزلون تواجهون زبانيه
 سيقول (إيدن) باكيا يا سوأتى وشقائيه
 وتقول صهيون الغريقة في الدماء القانيه
 يا ويل نفسى ويلها ما للحروب وماليه
 إن العروبة أقسمت لن تستكين لطاغيه
 معها ملائكة غلاظ كالرياح الذاريه
 سنبيد جمعك يا فرنسا يا ذئابا عاديه
 إن الجزائر دوختكم يا نساء غاويه
 إن القتال قناليه أنشأها بيمينيه
 بالأمس نحر على ثراها أبى الشهيد وعميه
 لن تأخذوها سهلة حتى أوسد قبريه
 حتى أروى أرضها بدمائكم ودمائيه

قطب حافظ فيصل

كلية اللغة العربية

الكتب

تفسير الطبرى — الجزء الثامن

بتحقيق الأستاذ محمود شاكر، ونخرج أحاديثه العلامة الشيخ أحمد شاكر — دار المعارف بمصر

ظهر فى هذا الشهر الجزء الثامن من (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى فى ٦٣٨ صفحة ، من الآية الثامنة من سورة النساء : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » إلى الآية ٨٧ منها وهى قول الله عز وجل : « الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً » . وفى هذا الجزء نفأس التحقيقات اللغوية ومباحث العربية والنحو ، وتراجم الأعلام الذين استطرد الإمام ابن جرير للنقل عنهم ، والتحقيق العجيب فى تخريج أحاديث هذا الجزء ، إلى غير ذلك من مزايا هذه الطبعة التى أشرنا إليها فى الحديث عن الأجزاء الماضية عند صدورها . زد على ذلك الفهارس المتقنة وبيان المصطلحات وجمال الطبع . فمرجو الله أن يمن بتمامه .

شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام — للتحقى الفاسى

جزءان : ٣٨٨ + ٤٣٩ ص — مكتبة النهضة الحديثة بمكة ، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة

فى مثل هذه السنة من القرن الهجرى الماضى (أى فى سنة ١٢٧٦ هـ) نشر شيخ المستشرقين الألمان العلامة فرديندوستنفلد مجموعة تواريخ مكة فى ٤ مجلدات ، وهى تاريخ أبى الوليد الأزرقي الفسانى المتوفى سنة ٣٢٢ ، ومنتخبات من تاريخ مكة لمحمد ابن اسحق الفاكهى المتوفى سنة ٢٣٠ ، وهما أقدم تواريخ مكة المكتوبة ، والمنتقى من شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد بن على الفاسى (٧٦٥ — ٨٣٢) ، والمنتخب من الجامع اللطيف فى فضائل مكة وبناء البيت الشريف لجمال الدين محمد ابن أمين بن ظهيرة القرشى المخزومى الذى فرغ من تأليفه سنة ٩٦٠ ، وكتاب الاعلام

بإعلام بيت الله الحرام لقطب الدين محمد بن أحمد النهرواني المتوفى سنة ٩٩٠ وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٨٥ وأهداه إلى السلطان مراد العثماني . وألحق وستنفلد بهذه المجموعة مقدمات وفهارس وبيانا دقيقا باختلاف النسخ . ولم يكتف بذلك حتى ألف بالألمانية كتابا في ٣٤٤ صفحة عن تاريخ مكة عنوانه Geschichte der saat mekka وطبعه في ليبسيك سنة ١٨٦١ ، ولم يكتف بكل هذا حتى ألف جداول عظيمة في أنساب القبائل والأسر والشخصيات البارزة من الصحابة والتابعين والشعراء والأصراء والفرسان والبلغاء ، وقسمها إلى قسمين : الشعوب العدنانية ، والشعوب اليمنية .

وفي سنة ١٣٤٠ هـ نشرت مكتبة عيسى الحلبي كتاب الجامع اللطيف لابن ظهيرة كاملا

وفي سنة ١٣٥٢ نشرت المطبعة الماجدية بمكة تاريخ الأزرق في جزئين بتحقيق الأستاذ السيد رشدي ملحس وتعليقاته ، وألحق به فهارس نافعة .

والآن بعد مائة سنة كاملة من المجهود الأول للعلامة وستنفلد قامت مكتبة النهضة الحديثة بمكة بطبع شفاء الغرام للثقي الفاسي عن مخطوطة دار الكتب المصرية (٥٠٤ تاريخ) ، وهو في أربعين بابا ألم فيه بما يتصل بأخبار مكة قبل الإسلام وبعده إلى زمن التأليف ، وألحق بالجلد الثاني منه كتاب (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) لمحمد بن محمود النجار (٥٧٣ - ٦٤٧) وبعض الصور والخرائط ، وجاء في مقدمة النشر تنويه بمعونة معالي الشيخ محمد سرور الصبان وأنه لولا همته لما ظهر الكتاب مطبوعا هذه الطبعة ، وكنا نتمنى من المطبعة لو زادته عناية في التصحيح كما فعلت قبل ذلك في تاريخ ابن ظهيرة ، فأننا لم نقف في تاريخ ابن ظهيرة على أخطاء مطبعية ، وعلى كل حال فإن ظهور تاريخ الفاسي كاملا في عالم المطبوعات يستحق عظيم الشناء والشكر .

الروض الفائق - من شرح أحاديث الرقائق

الجزء الأول : أربعون حديثا - في ٢٤٠ ص - مطبعة لجنة البيان العربي

هذا كتاب لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبي واعظ القاهرة ، اختار فيه ٢٣٠ حديثا في الاستشهاد والاستدلال تدور كلها حول الوعظ والتوجيه والآداب

الإسلامية ، مشروحة بقلم فضيلته شرحا مبسطا ومستفيضا في آن واحد . بجاء محققا لما ينتظر من رجل الوعظ في عاصمة كالعاصمة المصرية .

وقد قدم له فضيلته مقدمة في الكلام على الوعظ ، وأنه تذكير بالخير مقرونا بالترغيب فيه ، والانذار من الشر على وجه يرق له القلب ويحمل على العمل الصالح . وأفاض في بيان مهمة الواعظ وأنها من صميم الدين والدعوة إلى الله وإلى الحق والخير .

وهذا الجزء الأول من الروض الفائق يتضمن شرح أربعين حديثا من الأحاديث التي وعد فضيلته باستيفائها في الأجزاء التالية ، فشكرا له على هذا العمل الصالح .

الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية

لأبي الأعلى المودودي - ٧٩ ص - مكتبة الشباب المسلم بدمشق

هي محاضرة نفيسة للسيد أبي الأعلى المودودي ألقاها في مؤتمر الجماعة الإسلامية السنوي المنعقد في جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ (يناير سنة ١٩٤٥) على جمع من أعضاء الجماعة الإسلامية وأنصارها والمتأثرين بدعوتها ، في دارها المركزية الواقعة في شرقي پنجاب .

وكان فريد دعوة العروبة والإسلام في القارة الهندية الأستاذ السيد مسعود الندوي رحمه الله من شهود هذا المؤتمر ، ومن سمعوا تلك المحاضرة الارتجالية فعهد إلى صديقه وخليفته الأستاذ السيد محمد عاصم الحداد بنقلها إلى اللغة العربية - لغة المسلمين العامة - ومع أن المحاضرة كانت ارتجالية فإنها بعد أن دونت أعاد السيد المودودي نظره فيها ونقحها لتكون صالحة للنشر في رسالة مستقلة . وعن هذه الصورة المنقحة كان تعريب هذه الرسالة التي تولت مكتبة الشباب المسلم في دمشق طبعها . ولما كان الإسلام دين الأخلاق ، وصاحب الرسالة الإسلامية صلوات الله عليه قد بعثه الله ليتعمم مكارم الأخلاق ، فإن بيان الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية يعد بياناً للأسس الأولية - بعد التوحيد - للكيان الإسلامي والرسالة المحمدية والمستقبل المرجو للمسلمين وحدهم بل للإنسانية يوم تعود إلى رشدها .

الأدب والعلوم

الأمة المسكفة بتبليغ رسالة الحق والرحمة إلى البشرية جميعا .

« إن مشكلات المجتمع لا يمكن حلها إلا إذا توفر لنا شرطان : العلم بهذه المشكلات ، والمبادئ التي تطبق لحلها . وإن وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل - التي أصبحت مشكلتنا محددة في واجباتها - تحرص على أن تجد في طلاب الأزهر عدتها في تطبيق أسس المبادئ ، وهي الرحمة للفرد والمجتمع وللشريعة ، لأن الأزهر هو ينبوع الأصل للمبادئ الاجتماعية السليمة » .

وقد ألقى كلمة الأزهر فضيلة الشيخ محمد عبد التواب المفتش العام للوعظ ، كما ناب عن طلبة الدراسات الشيخ محمد عبد السميع شبانة الطالب بكلية اللغة العربية .

التربية الرياضية

وافقت لجنة وكلاء وزارة التربية والتعليم في اجتماع عقده برئاسة السيد الوزير على ادخال مادة التربية الرياضية ضمن خطط الدراسة في المعاهد العليا والكليات التابعة للوزارة ، وستضع الوزارة المنهج الخاص بهذه المادة للبدء بتدريسها .

حلقة الدراسات الاجتماعية بالأزهر

في يوم الاثنين ٢٧ جمادى الآخرة افتتح السيد حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية والعمل حلقة الدراسات الاجتماعية الأزهرية بمشهد من فضيلة الأستاذ الأكبر وكبار علماء الأزهر ، وقد حفل الاجتماع بطلبة الكليات الأزهرية . ومما قاله الوزير في خطبة الافتتاح :

« إن العالم تتجاذبه الآن اتجاهات وتيارات مختلفة ، ومبادئ ومذاهب متعددة ، وقد ترتب على الإسلام في هذه المرحلة الخطورة من تاريخ البشرية أن يشهر سلاحه ، ويفصح عن مبادئه ويثبت وجوده ، وإذا قصر المسلمون في هذا فإن هذه المبادئ المختلفة والتيارات المتعارضة ستحرم الانسانية من فضائل الإسلام وما فيه من ينابيع الخير . إنها أسلحة من أسلحة الرأي والتوجيه ، ولا تغفل هذه الأسلحة إلا بأسلحة مثلها . » نحن أمة النبوات والرسالات ، اختصنا الله وحدثنا بأن اختار منا أنبياء ورسله ، فلا يمكن أبدا أن نقف متفرجين ، وهذه المبادئ والمذاهب والتيارات تتجاذبنا ، وكيف نتقاد إلى شرق أو إلى غرب ونحن

إنهاء العمل بالنسبة

اتفاقية التضامن العربي

الهاشمية بما فيها قوات الحرس، الوطني وإعدادها . وقد عقدت هذه الاتفاقية لمدة عشر سنوات من تاريخ نفاذها ، وإذا لم تعدل قبل انتهاء هذه المدة باتفاق الحكومات المتعاقدة تظل نافذة المفعول إلى حين انتهاء أجلها ، وبعد ذلك بانقضاء سنة من تاريخ تقديم إحدى الحكومات المتعاقدة للحكومات الأخرى بالطرق الدبلوماسية إخطارا بالانتهاء . ويصدق على هذه الاتفاقية وفقا لأوضاع الدستورية المرعية في كل من الدول المتعاقدة وتصبح نافذة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على أن يتم تبادل هذه الوثائق في القاهرة . وقد وقع على خمس نسخ من الاتفاقية لتكون لدى كل من الدول الأربع نسخة منها والخامسة تودع في جامعة الدول العربية .

العرب ونظرية الفراغ

في الاجتماعين اللذين عقدهما أقطاب العرب في القاهرة لتوقيع اتفاقية التضامن العربي بحثوا الوضع الدولي عامة والمشكلات العربية خاصة كما ناقشوا مشروع ايزنهاور، وقد اتفقوا جميعا على معارضة نظرية

كان يوم ١٨ جمادى الآخرة (١٩ يناير) يوما تاريخيا في حياة القومية العربية ، إذ اجتمع في القصر الجمهوري بالقبة أقطاب الدول العربية الأربع (مصر ، والعربية السعودية ، وسوريا ، والأردن) ووقعوا على (اتفاقية التضامن العربي) التي تقضى باشتراك حكومات : الجمهورية السورية والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر في تكاليف الالتزامات التي تقع على عاتق حكومة المملكة الأردنية الهاشمية نتيجة سياسة التعاون والتضامن في تدعيم السكان العربي واستقلاله ، وذلك بمبلغ إجمالي قدره اثنا عشر مليوناً ونصف مليون من الجنيهات المصرية سنوياً أو ما يعادلها ، ويطلق عليه تعبير « الالتزامات العربية » ويكون نصيب الجمهورية السورية من ذلك مليونين ونصف مليون جنيه ، ونصيب المملكة العربية السعودية خمسة ملايين جنيه ، ونصيب جمهورية مصر خمسة ملايين جنيه ، وتخصص المملكة الأردنية الهاشمية هذه المساعدات العربية للقوات المسلحة الأردنية

بأن يبذل همرشلد جهوده لحمل إسرائيل على الامتثال الكامل لتلك القرارات ، على أن يقدم تقريره عن ذلك إلى الجمعية خلال خمسة أيام . وقد قدم إليها تقريره في المدة المقررة ، وعادت فأكدت ضرورة انسحاب هذه الحشرة المتمردة التي فقدت سجايا الاستقلال والحكم والتعايش السلمى مع البشر .

تحرير الاقتصاد المصرى

من السذاجة حصر وباء الاستعمار فى نطاق الاستعمار العسكرى والاستعمار السياسى . وأول دلائل اليقظة فى الأمم اعتبار الاستعمار الاقتصادى فى الذروة العليا من أغراض الاستعمار ، وشر من هذه الأنواع الثلاثة للاستعمار الاستعمار العقلى من طريق الثقافة والمدرسة .

ومن أكبر نعم الله على مصر فى العدوان الأخير عليها إقدامها على التحرر من الاستعمار الاقتصادى الذى جلبه عليها عهد الخديو اسماعيل وخلفائه . فقد صدرت فى هذا الشهر - لمناسبة الذكرى الأولى لإعلان الدستور - أربعة قوانين جديدة تعد خطوة رئيسية فى سبيل تحقيق بعض نصوص الدستور الهادفة إلى رفع مستوى الحياة الاقتصادية للبلاد ، وأحد هذه القوانين الأربعة يقضى بتخصيص المصارف المالية

(الفراغ) وقرروا أن القومية العربية هى الأساس الوحيد الذى تقوم عليه السياسة العربية ، وأنهم لا يسمحون لدولهم أن تكون منطقة نفوذ لأى دولة أجنبية ، كما وافقوا بالإجماع على أن يعبر الملك سعود عن وجهة النظر هذه فى أثناء زيارته لواشنطن .

الملك سعود فى أمريكا

فى اليوم الذى أتم فيه الملك سعود توقيع اتفاقية التضامن العربى غادر القاهرة بالطائرة قاصدا نابولى فى إيطاليا ، ومنها أبحر إلى أمريكا فى زيارة رسمية تستغرق ٣٥ يوما . وكانت الحفاوة بجالته بالغلة أقصى غاياتها من ساعة توديعه فى مطار المأظله الحربى فى كل مكان حل فيه أو رحل عنه .

جمعية الأمم

تقرر انسحاب إسرائيل

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩ يناير على مشروع القرار الاسيوى الإفريقى بوجوب امتثال إسرائيل للقرارات السابقة الخاصة بانسحاب قواتها من الأراضى المصرية ، وكان ذلك بأغلبية ٧٤ صوتا ، ومعارضة صوتين وهما إسرائيل نفسها وفرنسا ، وامتناع دولتين عن التصويت وهما كوبا وكوستاريكا، ويقضى المشروع

مقابل تعويض عادل تحدده هيئة قضائية ، وهذه المؤسسة الاقتصادية هي التي ستقرر مصير المؤسسات التي يتناولها القانون بعد تحويلها لشركات .

كشمير بمجلس الأمن

وافق مجلس الأمن على مشروع القرار الذي قدمته الدول الخمس الخاص بكشمير ، وهو يقضى بوقف انضمامها إلى الهند ، وذلك بأغلبية عشرة أصوات للأشياء ، وامتنع الاتحاد السوفيتي عن التصويت ، وقد أكد مجلس الأمن قرار عام ١٩٥١ بأن مصير كشمير لا يمكن تقريره إلا بعد استفتاء شعبي بإشراف الأمم المتحدة .

المعاهدة التونسية الليبية

وقعت حكومتا تونس وليبيا معاهدة ترمي إلى تعزيز الروابط بين الدولتين العربيتين المتجاورتين وتنسيق سياستهما الخارجية وضمان التعاون بينهما للمحافظة على استقلالهما وسيادتهما . وجاء في المعاهدة أن الدولتين ستتشاوران بقصد تنسيق سياستهما بشأن الدول الشقيقة المجاورة ، والدول الغربية والشرقية ، في سبيل المحافظة على الأمن والسلام . وتعهدت كل من الدولتين ألا تنضم إلى أي معاهدة من شأنها أن تضر بمصالح الطرف الآخر . وتنص المعاهدة على تبادل العون في

(البنوك) التي تعمل في مصر ، وأخطرها المصارف الفرنسية والانجليزية التي لا يزيد مجموع رؤوس أموالها على مليوني جنيه ، وفيها من الودائع للمصريين ما يقرب من مائة مليون جنيه ، تستعملها هذه المصارف في توجيه الاقتصاد المصري لغير مصلحة مصر ، فوضع القانون الجديد حدا لهذه المهزلة باشتراط تمصير المصارف المالية . ويقضى القانون الثاني بتمصير هيئات التأمين بأن تكون أسهمها مملوكة للمصريين . كما يقضى القانون الثالث بجعل التوكيلات التجارية للاستيراد في أيدي المصريين بالمولد ، وعلى قمة هذه القوانين الثلاثة قانون رابع تضمن إنشاء مؤسسة اقتصادية عامة ، رأس مالها من أنصبة الحكومة في رؤوس أموال الشركات المساهمة ورؤوس أموال المؤسسات الاقتصادية العامة لاستثمار هذه الأموال في مصلحة الاقتصاد القومي ، وتسهم في وضع البرامج والخطط الكفيلة بتعارن الحكومة مع الشركات والهيئات الخاصة في النشاط الاقتصادي ، وستنشئ شركات أو مؤسسات تجارية ومالية وصناعية وزراعية وعقارية فتساعد بذلك على استغلال الموارد الطبيعية في مصر وعلى زيادة الدخل الأهلي وارتفاع مستوى المعيشة في البلاد . ومن نتائج ذلك رفع الحراسة عن البنوك وشركات التأمين ونقل ملكيتها إلى المؤسسة الاقتصادية ،

والأزهر يهيب بدول العالم وشعوبه المحبة للحرية والسلام أن تؤيد هذا الشعب الأبى المناضل للوصول إلى حقه ونيل استقلاله وإعلان دستوره كى تسود الحرية ويعم الأمن والسلام

نحو الوحدة الثقافية

فى أواسط شهر يناير اجتمع رئيس الوفد الأردنى والمستشار الثقافى بسفارة الأردن بالسيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم وتناول البحث التفكيك فى عقد معاهدة ثقافية بين البلدين لتنظيم انتساب الطلبة الأردنيين بكليات الجامعات المصرية ، وتزويد الأردن بحاجته من الأساتذة الاختصاصيين . وقدموا للوزير مشروع معاهدة ليكون أساسا للبحث ، وبحشا معه الخطوات لتحقيق الوحدة الثقافية بين مصر والأردن وسوريا ، فانهى رأى إلى عقد اجتماع فى منتصف فبراير لهذا الغرض ، مع دعوة ليبيا والمملكة السعودية للاشتراك فيه .

كلية للحقوق فى ليبيا

أقامت وزارة العدل الليبية حفلا لمناسبة إنشاء المركز الجديد للدراسات القانونية ، ألقى فيه وزير العدل كلمة عن اهتمام الحكومة بالقضاء والشئون القانونية ، وأنها تعزم إنشاء كلية للحقوق تستقبل ثلاثمائة طالب . وأشاد رئيس المحكمة الاتحادية العليا باقتباس النظم القانونية من الشريعة الإسلامية وطالب بإنشاء قضاء اسلامى مستقل .

حالة تعرض أحد القطرين للخطر أو الغزو . وأنهما سستعاونان تعاوناً وثيقاً فى ميادين الاقتصاد والتجارة والثقافة والصحة والشئون الاجتماعية والمواصلات . ومدة المعاهدة عشرون سنة قابلة للتجديد ، وستشاور الحكومتان كل خمسة أعوام للبحث فى إدخال أية تعديلات قد تدعو إليها الظروف .

برقية شيخ الأزهر

إلى جبهة التحرير الوطنى الجزائرى
شيخ الأزهر وعلمائه يؤيدونكم والشعب الجزائرى فى كفاحكم المجيد ضد الاستعمار الظالم والعدوان الفرنسى الغاشم ، ويعلمون بحق رابطة الدين والأخوة العربية تضامنهم معكم ، والوقوف إلى جانبكم ، حتى تحرر الجزائر الشقيقة من ربة الظلم والاستعباد ، وتمكن من استقلالها وإعلان دستورها .

الأزهر يشترك

فى الاضراب تضامنا مع شعب الجزائر
أصد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى :
مشاركة لإخواننا أبناء الشعب الجزائرى المجيد فى نضاله التحريرى ضد العدو الغاصب ، وتضامنا معه فى كفاحه ضد الاستعمار الغاشم ، قرر الأزهر الإضراب يوم الخميس ٣٠ من جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ (٣١ من يناير سنة ١٩٦٧ م) من الساعة الواحدة إلى الساعة الثانية بعد الظهر .

الفهرس

صفحة	الموضوع	بـمـ
٦٢٥	تجميع التأليف الاسلامى، ونجوى عن كتاب	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
.	من ألف كتاب	
٦٣٧	معالم الطريق إلى الفلاح	» عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٦٤٢	حى على الجهاد	» طه محمد الساكت
٦٤٥	النصر بين الله والعباد	» أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر
٦٥٢	سيف الله خالد	» محمود النواوى
٦٥٧	بحوث فى مصادر الشريعة النظرية	» زكى الدين شعبان
٦٦٣	حول لغويات الاستاذ النجار والاستاذ الريدى	» محمد عبد السلام القبانى
٦٦٥	الأزهر فى المعركة الاخيرة	» أبو الوفا المراغى
٦٦٨	الاسراء والمراج	» محمد محمد أبو شعبة الاستاذ بكلية أصول الدين
٦٧٢	للؤمن الحق	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء
٦٧٥	أحاديث الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	
٦٧٨	لغويات	» محمد على النجار
٦٨٢	التدريب العسكرى فى مناهج الدراسة بالأزهر	» عباس طه
٦٨٥	المائدون	» حسين هاشم
٦٨٦	بشارة لهذه الأمة	» محمود فرج العقدة
٦٨٩	سورة الاسراء تفصى نهاية إسرائيل	» عبد المزمع عبد الستار
٦٩٥	ركن الحرس الوطنى بالأزهر : « ولوا »	» قطب حافظ فيصل
٦٩٦	الكتب	المجلة
٦٩٩	الأدب والعلوم	»
٧٠٠	المسلم الاسلامى	»



حول ما نسب الى ابن حزم فيما يجوز للخاطب من مخطوبته

وردت إلى الأزهري أسئلة عما نشر في مجلة الجيل الجديد منسوباً إلى ابن حزم من أنه يبيح للخاطب أن يستمتع بمخطوبته قبل العقد عليها : يقبلها ويعانقها ويقف منها على ما يرغبه في الزوج بها ، وطلب أصحاب هذه الرسائل بيان الحق في ذلك .

ولما كان في نشر مثل هذه الأقوال منسوبة إلى فقيه من فقهاء المسلمين فساد في المجتمع وإغراء بالفتنة وقد كان لذلك (بالفعل) من الأثر ما يجب أن ينزه عنه الشرع الاسلامي ، لذلك رأينا أن نبين حكم الله في المسألة .

وبالرجوع إلى موسوعة ابن حزم في الفقه وهي كتاب المحلى يعلم أنه لم يقل بجواز أن يستمتع الخاطب بمخطوبته أو يعانقها أو يقبلها فانها أجنبية منه مادام لم يعقد عليها . فعانقتها وتقبيلها والاستمتاع بها بأى وجه من وجوه الاستمتاع منكر لا يقول بجوازه ابن حزم ولا أحد من المسلمين ، وإنما أباح ابن حزم ما أباحه فقهاء المسلمين وهو (النظر) فقط إلى المخطوبة . قال ابن حزم في المحلى (ج ١٠ ص ٣٠ طبعة ١٣٥٢) بعد أن ساق جواز نظر الخاطب إلى مخطوبته : برهان ذلك قول الله عز وجل : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، فافترض الله عز وجل غض البصر جملة كما افترض حفظ الفروج ؛ فهو عموم لا يجوز أن يخص منه إلا ما خصه نص صحيح ؛ وقد خص النص الصحيح (نظر) من أراد الزواج فقط .

والنصوص التي أوردها ابن حزم وسائر أئمة المسلمين وفقهائهم منحصرة في إجازة (النظر) وحده دون غيره للخاطب من مخطوبته .

وقد انعقد اجماع المسلمين على أنه لا تجوز الخلوة بأجنبية ، وعلى الأمر بغض النظر إلا ما كان في الخطبة : فقد ورد في إباحة النظر وحده أحاديث كثيرة : منها حديث أبي حميد في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم » . وحديث محمد بن مسلمة في مسند أحمد وسنن ابن ماجه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا ألقى الله عز وجل في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها » .

وأما ما زاد على النظر من الخلوة بالمخطوبة وما تستتبعه هذه الخلوة من التقبيل وغيره فشيء لا يعرفه الإسلام .

وقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان .

وعلماء الأزهر يهيئون بالمسلمين وحكامهم أن يتنبهوا إلى موجات الإباحية والإلحاد والفوضى التي تتلاطم أمواجها في مجتمعهم والتي تتمثل في محاولة التشكيك في وجود الله والجرأة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى التحلل وإغراء الشباب بالعبث بمبادئ الدين إلى آخر ما تمتلئ به صحف ومجلات تحت ستار حرية النشر .

هذا ونحن نستبعد أن يكون ما نشر في مجلة الجيل الجديد صحيحا على النحو الذي نشر .

والله ولي التوفيق والهادى إلى سواء السبيل ٤

مَدِيرُ المَجَلَّةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَسِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تأليفون ٤٦٢١٤

مَجَلَّةُ الأَزْهَرِ

بِمَجَلَّةِ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

بِمَدِيرِ التَّحْقِيقِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الاشتراك السنوي
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ لطلاب المدارس والبريد بالبريد
٥٠٠ خارج البلاد
٣٠٠ للطلبة خارج البلاد
٤٠٠ للعلماء والطلبة خارج البلاد

الجزء الثامن - القاهرة في غرة شعبان ١٣٧٦ - ٣ مارس ١٩٥٧ - المجلد الثامن والعشرون

١٤
ص ٢٤٢
ط ٢٤٢
ر ٢٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحو حياة أفضل وأسعد ...

تحاول مصر - في هذه الحقبة التاريخية من حياتها - أن تكتشف ما في تربتها
وتحت طبقات صخورها من معادن جامدة أو سائلة .

وتحاول أن تكتشف ما في خبايا أرضها من مومياة ونقوش وآثار .

وتحاول أن تكتشف ما في نفوس شعبها الطيب من سجايا وفضائل .

وأنا من مكنتي في إدارة الجامع الأزهر ، وفي هذه الصفحات من مجلة الأزهر ،
يطيب لي أن أتحدث إلى إخواني علماء الأزهر وشباب الأزهر ، في أن نتعاون معا على
اكتشاف أعظم كنوز السماء في الأرض وأثمنها ، أن نتعاون على اكتشاف « الإسلام »
كما كان يوم صنع به أكل رسل الله تلك الصفوة الناهضة النائرة على أبا طيل البشر ، من
أعوانه الذين ما كادت شعوب الأرض تعرفهم ، وتعرف الإسلام بهم ، حتى رأت به
وبهم إنسانيتها المنشودة ، وسعادتها المفقودة ، وحياتها الهنيئة التي اغتبطت بها ، فكان
منها يومئذ هلك الأجيال الأولى من عالمنا الإسلامي في أهبج أدواره وأسعدها .

لقد أنشأوا بالإسلام ذلك العالم الإسلامى الذى جدد شباب الانسانية بعدالته ، وزينوا الحياة الدنيا بتعاونهم على الحق والخير ، وحببوا الناس بعضهم إلى بعض بما بثوا فيهم من لذائذ التراحم ، وما أشاعوه بينهم من تبادل الرفق في مختلف الطبقات ، وما خلدته كتب التاريخ عن سخاء أهل السعة والجدة على أهل الرقة والكفاف ، فنهض الناس جميعا بصناعات البلاد ومرافقها ، واتسعت بنشاطهم آفاق الحضارة والعمران ، وتقعدوا في الآداب والعلوم إلى أقصى ما بلغته معارف البشر لعهدهم ، وخفقت راياتهم في جميع قارات الأرض المعروفة .

كل هذا ظفروا به ونالوه بما اكتشفوه في فطرة إسلامهم من ينابيع القوة ودوافع التقدم . فهل يعجز الإسلام الذى فعل هذا كله في الأمس ، عن أن يستأنف رسالته فيفعل اليوم مثل ذلك وأكثر منه ؟ أم أن الإسلام الذى تمت على يده المعجزة في الأمس ، يفترق - في قليل أو كثير - عن إسلامنا الذى نعز بالانتساب إليه اليوم ؟

الحق أن الإسلام في نفسه هو الإسلام ، بل هو الدين الوحيد من أديان البشر الذى تولى الله حفظه ، فقيمت نصوصه الأصلية الماثورة عن عصر النبوة غضة سليمة كالعهد بها يوم أنزلت ، وكان المسلمون في البطون الثلاثة الأولى يتخلقون بما فيها من أخلاق ، ويتعاملون بما تقرر فيها من مبادئ وأنظمة اجتماعية ، فكانت كالعقد الأدبى في روابطهم ، وكالعرف العام المحترم فيما بينهم ، وكان من ثمرات ذلك ما وصفته آنفا من ارتفاع مستوى المسلمين بين الأمم ، إلى أن استعجمت دولة الإسلام قبل نحو ألف سنة ، فبدأ التفاعل بين المسلمين وأنظمة الإسلام الاجتماعية يضعف ويتلاشى ، وأخذ الإسلام يتحول في نفوس أهله من حياة قوية متوثبة ، إلى تقاليد وبدع وشكليات وأوهام انبثت معها جرائيم الضعف في المجتمع الإسلامى ، وما برحت تتسع وتستفحل في الطبقات الدنيا ، وفي البيئات البعيدة عن تذكير المسلمين بهداية دينهم ، حتى أدى ذلك إلى الاستسلام لمزاق الاستعمار وحبائله في القرنين الأخيرين ، مما لا يزال نرى بقاياها في الجزائر ومنطقة باب المندب وسواحل الخليج العربى وبعض الآفاق الأخرى من آسيا وإفريقية . على أن هذه المؤثرات التى تسلطت على المسلمين قبل الاستعمار وبعده لم تستطع أن تتغلب على كل ما في نفوس المسلمين من معادن الخير وحوافز القوة الإسلامية ، لذلك رأينا ولا يزال نرى من آثار ذلك هذه الموجات العنيفة المباركة من موجات التمرد على الاستعمار في كل وطن من أوطان المسلمين ، معلنة عن بقايا قوة الإسلام في نفوس أهله ، ولهذا كان

الاستعمار يناصب الإسلام العداء ، ويحاول تخدير حيويته في المسلمين ، ويشجع البدع الطارئة عليه ، وينعش الرواسب التي كدّرت صفوه ، ويحيى الخرافات والأباطيل من جهة ، والإلحاد والزندقة والإباحية والانحلال من جهة أخرى ، وهدفه من ذلك كله أن لا يبقى للمسلمين من الإسلام إلا عنوانه ، وبعض رسومه مجردة من روحها وحيويتها ، بقدر الإمكان .

إذا كانت مهمة الاستعمار ورسائله في دنيا المسلمين أن يخدعهم عن دينهم ، وأن يقتل فيهم حيويته ، وأن يحبس بين جدران المساجد فيحول بين المسلمين وبين أن يخرجوا بسلامهم إلى مجتمعهم ، وإلى أسواقهم ، وإلى صحافتهم ، وإلى أنديةهم ، وإلى مدارسهم ، وإلى بيوتهم . وإذا كانت مهمة الاستعمار ورسائله أن يحيى البدع الطارئة على الإسلام ، والخرافات والضلالات التي تسلطت على أهله في عصور الضعف والوهن ، ليقنع المثقفين من شباب المسلمين بأن الإسلام - بحالته هذه - غير صالح للبعث والانتعاش واستئناف رسالته الأولى في الأرض . .

إذا كانت هذه هي مهمة الاستعمار ورسائله في دنيا المسلمين ، فإن مهمة كل من يعرف الإسلام من أبناء المسلمين أن يحرر الإسلام من كل ما طرأ عليه مما لم يكن معروفا في القرون الثلاثة الأولى التي أثنى عليها حامل أكل رسالات الله يوم قال : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وكانت هذه الكلمة من أعلام نبوته صلوات الله وسلامه عليه ، لأنها تحققت كما تنبأ بها ، ولم تشهد الإنسانية جيلا خيرا من الجيل الذي رباه رسول الرحمة وأعد له لنشر دعوة الحق والخير ، فكان الانقلاب الإنساني الذي تم على أيديهم وعلى أيدي الجيلين اللذين نهضا بالدعوة من بعدهم ، ولا يشك منصف أنه أسعد انقلاب عرفه التاريخ . وإن كل قوى الشر التي حاولت أن تحطم هذه الدعوة وأن تردّها على أعقابها قد فشلت المرة بعد المرة ، إلى أن نجحت بعد ذلك باحداث البدع في الإسلام ، واختراع أباطيل شوّهت جماله ، وأضعفت حيويته ، وخدّرت نشاطه ، وجعلت منه شيئا هزليا غير الذي كان يعرفه المسلمون الأولون .

قبل نحو ربع قرن كنت من شهود محاضرة في « البين والشؤم » ألقاها في دار جمعية الهداية الإسلامية إمام من أئمة الوعظ والإرشاد وهو العلامة الشيخ علي محفوظ رحمه الله ، فكان مما قاله فيها : « لقد غلب على الناس اليوم عقائد وأوهام ، حتى أصبح لها السلطان الأعلى في أعمالهم وتصرفاتهم ، مع أنه لا يقرها شرع ولا يقبلها عقل ، بل هي من بقايا

الجاهلية الأولى . فمن تلك الأوهام اليمين والشؤم في مثل المنازل والأزواج والدواب والضييف ، فإذا حدث شيء من الخير أو الشر بمصادفة الأقدار عند شراء منزل أو السكنى فيه ، أو عقد زواج ، أو شراء دابة ، أو قدوم ضيف ، زعموا أنه منها وبسببها ، وربما استأنسوا لذلك بما رواه البخارى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشؤم في الدار والمرأة والفرس » . وهو خطأ معيب ، فقد ورد في بعض روايات الحديث تفسير الشؤم واليمين في هذه الأمور على غير ما زعموا ، روى الطبرانى من حديث أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، ما شؤم الدار ؟ قال : ضيق ساحتها ، وخيب جيرانها . قيل : فما سوء الدابة ؟ قال : منعها ظهرها ، وسوء خلقها . قيل : فما سوء المرأة ؟ قال : عقم رحمها ، وسوء خلقها . وفي الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اليمين والشؤم في المرأة والمسكن والفرس . فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها . ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله ، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله . ويمن الفرس ذله وحسن خلقه ، وشؤمه صعوبته » . فانظر إلى فطرة الإسلام من هذه الناحية وكيف انحرف المسلمون بها بعد ذلك يجهل عاتمهم تمام الحديث ، فترتب على ذلك فساد في البيوت كبير ، وشر بين الناس مستطير .

وعلى مقربة من منزلى في جزيرة الروضة شجرة جميز كانت في حديقة للشيخ أبى الأنوار السادات قبل مائة وسبعين سنة ، فنذر ثمرتها للسالبة وعامة الناس ، وصارت تسمى « شجرة المندورة » ، وفي عشرات السنين الماضية صار لهذه الشجرة سدة كسدنة اللات والعزى ، وانتشرت في الناس خرافة أن المرأة إذا قدر الله عليها العقم فإن هذه الشجرة ترد عنها قدر الله وتيسر للمرأة العاقر - إذا دخلت تحت أغصانها وأكرمت سدتها - أن تصبح بعد ذلك حاملا . والذين مروا بهذه الشجرة فيما مضى كانوا يرون حول جذعها شبه غرفة تدخلها العاقر لتصبح حاملا ، وقد نصبت الرايات على هذه الغرفة ، وعقدت الخيوط والحرق بمسامير مغروسة في جذع الشجرة التي زعموا أنها ترد قدر الله ! وقد حاول كثير من سكان الروضة أن يظهروا جزيرتهم الجميلة من هذه الوثنية فعجزوا ، إلى أن تداركها الله بمصلحة التنظيم في بلدية القاهرة في الخريف الماضى فأزالت بعض معالمها ولا تزال الزائرات يختلفن إلى بقاياها ، وبعضهن من ملاك السيارات الفخمة ، وإذا كان هذا في القاهرة وفي جزيرة الروضة القائمة بين شواطئ النيلين ، فما بالك بما هو متغلغل ومتأصل

في الأزقة والقرى من البدع والأباطيل التي تشوه جمال الإسلام في نفوس المسلمين والمسلمات ، وتحول بينه وبين النهوض بأهله إلى المستوى اللائق بأهل الحنيفية السمحة . الإسلام هو الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، وكل ما طرأ عليه مما لم يكن منه في الصدر الأول فهو مدسوس على أهله . وقد جربت الإنسانية لإسلام الصدر الأول فوجدته مصدرا للخير ، مقيا للحق ، ناهضا بأهله نحو المعالي . وكان بصورته الأولى الجميلة جذابا للقلوب ، محببا إلى الناس ، يتراحون على كثره أفواجا أفواجا . أما الذي عليه عوام المسلمين الآن في عقلياتهم ومعاملاتهم وبدعهم وأباطيلهم فن أكبر الظلم للإسلام أن يحسبه الأغيار عنوانا له ودليلا عليه . وفضلا عن أن الإسلام مظلوم من هذه الناحية ، فإن التكوين الاجتماعي للمسلمين بعد التحرر من ربة الاستعمار لا يمكن أن يبلغ المستوى اللائق بأمة متحررة مالم يتحرر إسلام المسلمين من البدع الطارئة عليه والزيادات التي ألصقت به ظلما وليست منه .

والإسلام كما كان في الصدر الأول مجهول الآن من جماهير المسلمين . والمعروف لهم منه مظاهر فقدت حيويتها ، وأسماء لا تدل على مسمياتها ، وما بقي لهم من معادنه الثمينة تسلطت عليها الرطوبة وجلالها الصدا نفخى جوهرها عن المسلمين .

الإسلام في نفسه أعظم كنوز السماء في الأرض وأثمنها ، لكنه كنز مجهول من الجماهير ومكتوم عن أنظارهم ، ومنذ بات مجهولا ومكتوما تعرض النشء الإسلامي للدعايات والمذاهب والتيارات المختلفة ويوشك أن يكون ضحية لها .

في يوم الاثنين ٢٧ من جمادى الآخرة وقف السيد حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية والعمل في حلقة الدراسات الاجتماعية الأزهرية بمشهد من فضيلة الأستاذ الأكبر و كبار علماء الأزهر و جمهور من طلبة الكليات الأزهرية ، فكان مما قاله : « إن العالم تتجاذبه الآن اتجاهات وتيارات مختلفة ، ومبادئ ومذاهب متعددة ، وقد ترتب على الإسلام في هذه المرحلة الخطرة من تاريخ البشرية أن يشهر سلاحه ، ويفصح عن مبادئه ، ويثبت وجوده . وإذا قصر المسلمون في هذا فإن هذه المبادئ المختلفة ، والتيارات المتعارضة ، ستحرم الإنسانية من فضائل الإسلام ، وما فيه من ينابيع الخير ، إنها أسلحة من أسلحة الرأي والتوجيه ، ولا تفل هذه الأسلحة إلا بأسلحة مثلها . . . إن مشكلات المجتمع لا يمكن حلها إلا إذا توفر لنا شرطان : العلم بهذه المشكلات ، والمبادئ التي تطبق لحلها » وقد أعلن أمل الحكومة في أن تجد في رجال الأزهر وشباب

الأزهر عدتها في هذا النوع من الكفاح القوي ، لأن الأزهر هو ينبوع الأصل للمبادئ الاجتماعية السامية .

وفي اعتقادي أن كل نظام للاصلاح تسنه الحكومة ، وكل عمل طيب تقوم به لرفع مستوى هذه الأمة ، لا يمكن أن يثمر ثمرته إلا إذا استطاع قادة الفكر والمرشدون أن يوجهوا هذه الأمة إلى الله وحده ، وإلى رسالة أكل رسله ، وأن يجعلوها بذلك أمة صدق ، وأن يردوها إلى التعامل بأخلاق الإسلام ، وأن يقنعوها بأن ما يكسبه الفرد لدنياء بالأمانة والصدق وطهارة الذمة أغنى له وأبقى مما يكسبه بالأساليب الملتوية . إن المجتمع المصري ، بل المجتمع الإسلامي ، يستدبر زمانا مضى بعيوبه وآثامه ، ويستقبل زمانا لا محل فيه إلا لأهل الجهد ، والعمل ، والتقدم إلى الأهداف السامية من أقصر الطرق وأقربها ، وهو الطريق الذي يشتهي كل مسلم ويتمناه ويطلب من الله في كل ركعة من ركعات صلاته أن يدهه عليه ، وهل معنى تضرعنا إلى الله بأن يهدينا « الصراط المستقيم » إلا أن نكون أمة صدق ، واستقامة على الحق ؟ ويوم كان المسلمون في الصدر الأول يتجهون بوجوههم وقلوبهم إلى الكعبة بيت الله الحرام ويضرعون إلى ربهم في صلاتهم قائلين « اهدنا الصراط المستقيم » إنما كانوا يعنون ما يقولون ، ويعرفون أن الصراط المستقيم لا يهتدى إليه إلا الأمين الصادق طاهر الذمة الذي يؤمن بأن الله عز وجل هو وحده الضار النافع وهو وحده الرزاق ذو القوة المتين ، وأن الطريق إلى سعة الرزق ، وأن الطريق إلى القوة - قوة الفرد وقوة الوطن وقوة الأمة - إنما هو بالتماس رضا الله عز وجل ، وإخلاص العمل له ، والتخلق بأخلاق الإسلام ، والتزام صراطه المستقيم .

وبعد فإن « الصراط المستقيم » هو صراط الرسالة الإسلامية الذي مشى فيه إلى تكوين المجتمع الإسلامي الأول ، وقد كان مجتمعا سعيدا قويا ملاء الأرض عدلا وفضيلة ورخاء ، حتى أن الأغنياء في خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز كانوا يبحثون عن أهل الحاجة والفاقة ليمدهم بزكاة أموالهم فلا يجدون إلا أمة قانعة كادحة مكتفية بالحلال . ولو استغنى الناس عما لا حاجة بهم إليه في غذائهم الصحى وكسائهم المعتدل وسكنهم المتواضع وعيشتهم الراضية لرزقهم الله كفايتهم من هذا الغذاء والكساء والسكن حلالا طيبا ، وهذا النوع من الغنى الإسلامي يستطيع أن يفهمه المسلمون من الذين يكتشفون لهم كنوز الإسلام ، ويحسنون عرضها عليهم ، ويكونون قدوة لهم في الاستفادة منها . فإلى هذه الرسالة الإسلامية هلموا أيها المحمديون لتعاون على أداؤها قبل أن تفوت الفرصة ، والله معنا ...

حسب المرين الخطيب

نفحات القرآن

- ٤٨ -

(١) الموالاة . (ب) المسلمة . (ج) الحذر .

(١) إنا وليمكم الله ، ورسوله ، والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

منهج ثلاثة ، رسمها القرآن لأهلها ، ينتهجون أولها - الموالاة - فيما بينهم ، وينتهجون
الثاني والثالث مع من عداهم .

وفي هذه المنهج تكييف للعلاقات الاجتماعية التي تبرز فيها شخصية الجماعة الإسلامية
كأمة لها مميزاتها وخصائصها ، ولها طابع يفسح للأفهام أن تعرفها حتى لا تكون
الشخصية الإسلامية محجوبة عن الأذهان ، ولا مغمورة بالشبه والشكوك .

(١) فالمنهج الأول : منهج الموالاة ، وقد ردد القرآن ذكرها في آيات عدة : منها
الآية التي في مطلع حديثنا ، والموالاة هنا معناها المحبة ، والارتباط ، والنصرة .

وقد خوطب المسلمون خطاب تكليف أن يجعلوا هذا المنهج ديدنا لهم في المحيط
الإسلامي ، وأن يعتبروه من جانبيهم وفاء بعهد الله ، ومؤازرة لرسوله صلى الله عليه وسلم
ووثيقة إخاء فيما بينهم .

ومعنى ذلك : أن الولي الذي نركن إليه ، ونتعلق بحبه ، ونقوم على طاعته والتضحية
في سبيله : هو - أولاً وبالذات - الله سبحانه وتعالى .

وثانياً - رسوله ، صلوات الله عليه - لأنه حامل الدعوة إليهم من عند ربهم ، وهو
قائدهم إلى الغايات المنشورة في حياة يراد بها أن تكون حياة لخير أمة أخرجت للناس .

وثالثا - المؤمنون ، لأنهم الطائفة التي التزمت عهود الله ، وتأخت في الطاعة لله ، ولرسوله ، على تعاطف ، ومحبة ، وتعاون ، والمقصد أن يكونوا كتلة متضامنة مع ولاية الأمر فيهم .

وتوجيه القرآن للمؤمنين إلى الموالاتة على النحو السالف كله توجيه مفروض قبوله منهم ، وهو حتمى عليهم ، فانهم أمة واحدة فيما لها من دين ، ومنهج .

والموالاتة بين تابعهم ومتبوعهم ، وحاكهم ومحكومهم ، ميسورة ومرجوة : ضرورة أنهم أمة متفقة في الدين ، والمنهج العملي المستمد منه في شئون الحياة .

وحينئذ تكون دعوة القرآن للمؤمنين إلى موالاتة بعضهم لبعض ، وتكون تلييتهم هذه الدعوة غير مشوبة بلون العصية المعيبة أو المعاندة .

ومن تمام التوجيه إلى موالاتة المؤمن للمؤمن أن يكون الولاية المتبوعون بررة في الدين على الوجه الذى ذكره الله - سبحانه - في قوله : - الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون - . يعنى أن يكونوا هم كذلك في جانب الله ، مثابرين على الصلاة ، مؤتين للزكاة ، متواضعين بين الناس : تواضع الخشية لله ، كما تكون خشية الراكع في صلاته . وتتوافر هذه الصفات فيهم يكونون موضعاً للثقة فيهم ، وأهلاً للقدوة بهم ، والموالاتة لهم على السمع والطاعة .

فإذا تمت صفات الموالاتة بين الجانبين كانوا جميعاً حزب الله وحزب الله - لاشك - هم المفلاحون .

وعلى هذا ترددت الآيات الكريمة بالوعود الصادقة أن ينصر الله من كانوا على هذه الشاكلة - إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فخذلكم فنذا الذى ينصركم من بعده - وما النصر إلا من عند الله .

وقصارى الحديث في هذا المقام أن الله دعانا ووعدنا ، وتحقيق وعده مشروط علينا بتلبية دعوته .

وهذه سننه فيما يجرى لعباده ، وقديماً جرب المسلمون أنفسهم في أوضاع عدة . فحينما كانوا حزب الله كانت لهم النصرة على من عداهم ، وكانت لهم جولات مرموقة في مسالك الحياة وفي نظام الحكم ، واتساع السلطان ، وشيوع المهابة لهم حتى عند أقوى الأمم

وحينما تراخت صلة الولاية برهيم ، ووهنت الروابط بين صفوفهم ، وهانت على المسلمين دعوة الله ، أصبحت خطاهم وثيدة ، ثم صارت جماعتهم غثاء كغثاء السيل : لا قوام لها ، ولا متعة فيها ، ولم يستمر واحزب الله كما كانوا فتخلف عنهم ما كان مرجوا لهم ، ولم يخلف الله وعده فينا ، بل نحن الذين خرجنا عن الجادة ، ورغبنا عن مواصلة السير على ما كان أسلافنا .

ومع ذلك : فمنهج الموالاة لا يزال قائما ، ولا تزال دعوة القرآن إليه صارخة مدوية في المسامع وتجارب الحياة تدفعنا دفعا نحو الرجوع إليه لنستعيد ما فات . . ولعلنا فاعلون (حتى على الصلاة حتى على الفلاح) .

(ب) المنهج الثاني للمؤمنين منهج المسالمة - في غير ضعف - مع غيرهم إذا لم يكن الغير مشاقا لنا ، ولا عاديا علينا .

فان الإسلام دين عمراني ، يدعو الجماعة الإنسانية إلى كل خير ، ويود لها أن تسير نحو المثالية ، ولا يمنع أن يتعاون المسلم مع غير المسلم في شؤون الدنيا . . بل يشد في المسلم أن يكون مثالا واضحاً في الكمال ، ومصدر نفع لنفسه ولغيره ، حتى يكون في مسلكه الشخصي حجة للدين في سموه ، لا حجة على الدين عند خصومه « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين » أي العادلين ، ولو مع غير المسلمين ، وفوق ذلك أباح للمسلم أن يزودج بزوجة كتابية إذا أراد . . . وشرع لنا أن نأكل من طعامهم الحلال ، وحتم علينا أن نجادلهم بالحسنى ، وأن نكسب مودتهم بالإحسان ، لا ضعفاً ولا هواناً منا « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » . « وجادلهم بالتي هي أحسن » . « ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

بل نهى المسلم أن يشاتم إنساناً لا دين له ، لئلا يغضبه ويستفزّه إلى المقابلة بالمثل أو أشد « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

وهكذا من ضروب التهذيب التي تكفل المسالمة بين المملم وغير المسلم ، وكل ذلك للرغبة في تركيز السلام بين الناس ، ولتفرغوا للعمل المشترك في تعمير دنياهم ، ول يظهر في المسلم طابعه الديني الحق ولونه الصحيح . . وكان السلف المسلمون يقولون في دعائهم الذي يحكيه عنهم القرآن وبعلمنا إياه : « ربنا لا تجعلنا فتنة الذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم » .

(ج) المنهج الثالث : منهج الحذر من أعداء الإسلام، حتى لا يكون المسلمون أغرارا يخدعهم عدوهم حتى يفتنهم عن دينهم بما يبدية من وسائل الإغراء ، وبما يبت بينهم من النزعات الباطلة ، والانحلال المموه بلون المدنية ، والحرية الشخصية ، والميوعة المعسولة التي ترحح المسلم عن رجولته ، وتستلب حياءه وغيرته ، وتجعله أشبه بالأنثى في تخنثه ، وتجعل الأنثى كالرجل في غشيان المجامع ، ومزاحم الأقدام : فإن هذه هي الشرارة المحرقة للقومات الشخصية في الأفراد ، ثم هي العاصفة الجالحة للقومية التي يمتاز بها الوطن العربي ، والمرء يستهين بالخطر في أوله ، ويستسلم للفتنة ملفوفة في ملاحح الزينة ، ويترمت من الدعوات الجذدية حتى يغلب على أمره ، ويؤتى من مأمنه .

وكانت وصية الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قوية في هذا الشأن - واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك - فاحذروهم فآتلهم الله - « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطاً » . خسراتنا وضياعا في المهالك ... وهذا خطاب يتناول الأمة كلها .

ثم كانت وصية الله كذلك عامة موجهة إلى المؤمنين : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » . « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسحتلكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة » .

فهذه مناهج ثلاثة : أتينا بها إجمالاً ، وألقينا عليها ضوءاً من إشعاع القرآن لنبين أن نظم الحياة الإسلامية مرسومة في كتاب الله ، وأن الرجوع إليها في موطنها هذا أجدى على الناس من كل تفكير مستحدث ، وما يجهل ذلك إلا من حيل بينهم وبين تعرفه . وتدوقه ، أو كانت تربيته العلمية على زاد غير زاد التقوى .

وقد تسكفل القرآن بزيادة الإيضاح ، وبالحث على تجنب الاستسلام للعدو ، حتى لا يضل الغافلون عن هذا في عمايتهم ، وحتى لا تكون معذرة للخائف عن الجماعة الإسلامية فيما نوديت به ووجهت إليه .

ولم يبق بعد البيان الأكيد إلا أن تكون الضلالة طامسة على الوعي ، والفتنة غالبة على المدارك ، والقلب فارغاً من الضمير .

ولا حيلة فيمن كان كذلك حتى يهديه الله .. إذا شاء .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ... وأنا أعلم

نما أخفيتم وما أعلنتم ؟ ؟ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » . « ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

وبعد : فنظرة إلى واقع الحياة الحاضرة في مصر والبلاد العربية تكشف لنا عما كان من تخاذل عن المنهج الإسلامي الحق ، حتى تغفلت يد الاستعمار في عنق المجتمع الإسلامي كله ، وامتدت مغالبه إلى شعاب الوطن العربي ، وعشنا حقبة طويلة في هوان ومذلة .

ولكن بعثنا جديدا من فيض الله هز المشاعر الوانية ، وحرك العزيمة الكامنة ، فكان تجاوب العرب عودا على بدء ، وكانت وقفتهم من جديد إيذانا بمشرق حياة ماجدة تأصلت فيهم جذورها ، وأضفت عليهم قديما ظلالاتها .

وإن مصر والحمد لله للمهمة في وقفتهما ، وكان من مظاهر الإلهام أن يعلن رئيسها المحبوب مبدأها في التعايش السلمي (نسالم من يسالمنا ، ونعادي من يعاديننا) وإن لجمال عبد الناصر لهتافا يخفق له الوطن العربي كله ، ويرتد له العدو المخادع (إن القومية العربية هي الدرع الواقية التي تحمي الدول العربية من مؤامرات المستعمرين) .

هكذا يا جمال !!

ففي هذه الألفاظ النيرة روح الحق ماثلا ، وفيها حفز العرب على مبدأ الموالاة فيما بينهم ، والأخذ بالمسألة لمن يسالمنا ، والحيلة مع الحذر ممن يخادعنا ، فهلموا إليه يا قومنا

عبد المظيف السبي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

السنة

جهاد النساء

النساء في العهد النبوي - نساء في الميدان - امرأة تبلى أعظم
البلاء - بدل كريم - النساء بعد عهد النبوة - مقنع وبلاغ .

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد ، حج مبرور .
وعنها ، رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : سأله نساؤه عن الجهاد فقال : نعم الجهاد الحج . رواهما البخارى

لم تكن حياة النساء في العهد النبوي كحياتهن فيما بعد !! بل كانت إلى الفطرة النقية أدنى ، وإلى العفة الأبية أقرب .. كانت المرأة في هذا العهد ، تستجيب مسارعة إلى دعوة الإسلام ، متأدبة بأدابه ، لا تعدو طورها ، ولا تتجاوز حدها ، ولا تحيد عما أعدها الله له ، ولا تزاحم الرجل فيما خصه الله به ، وكل ميسر لما خلق له ...
كانت ذات حياء ، ولكن لم يمنعهما حيائهما أن تسأل عن دينها ، كي تتفقه فيه ، وكانت ذات إباء ، ومن أجل ذلك رغبت رغبة صادقة في أن تشارك الرجل في كل ما تستطيع المشاركة فيه ، بل تنافسه في العلم والفضل ، والمثوبة والأجر ، وفي كل خير عام ، ما وجدت إلى ذلك الخير سبيلا . . . قالت للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك ، فوعدهن يوما لقيمن فيه ، فوعظهن وأمرهن . . . وقالت له صلوات الله وسلامه عليه : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟! فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » [٥] .

[٥] الحديث الأول رواه الشيخان ، وشرحته في الجزء الثامن من المجلد الثامن عشر ، والثاني رواه أحمد والنسائي

تلك عشرة أوصاف كامله ، هى جماع الخير والبر ، وأساس السعادة فى الأولى والآخرة ، يستوى فى عظيم جزائهم الرجل والمرأة ، وربما فاقت المرأة الرجل فى بعض هذه الصفات ، فكانت أعظم شأننا عند الله وأرفع مكانا ، وما يمنعهما وأبواب الخير لا تحصى ، والله ذو فضل عظيم ؟

* * *

ولم تقنع المرأة فى العهد النبوى بهذا الفضل المشترك ، إلى جانب فضل آخر خاص بها : من الرعاية لزوجها ، والعناية بأمر بيتها ، والقيام على أولادها ، بل همت أن تزاوم الرجل فى أخص خصائصه وهو حمل السلاح فى سبيل الله . . فما إن سمعت الشئ على الجهاد والمجاهدين ، وأن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله ، إلى غير ذلك مما عرضنا لبعضه فى الدعوة إلى الجهاد ، حتى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجاهد . . استأذنته بلسان أمهات المؤمنين ، وفى طليعتهم - رضوان الله عليهن - الصديقة بنت الصديق .

* * *

ولقد ساعد المرأة على استئذانها هذا ترخيص رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فى ساعة العسرة وشدة الحاجة ؛ أن تناضل وتقاتل ، وتحمل السلاح لإعلاء كلمة الله ، وتقتحم الميدان لتريض الجرحى فى سبيل الله . . ففى الصحاح عن أنس رضى الله عنه أنه لما كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأى عائشة بنت أبى بكر وأم سلم مشمرتين تنقلان القرب على ظهورهما ثم تفرغانها فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملأنها ، ثم تجميعان فتفرغانها فى أفواه القوم . . وفيها أن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقى القوم ونخدمهم ، ونداوى الجرحى ، وزد القتلى إلى المدينة ! وفيها أن أم سلم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها ، فرأها أبو طلحة زوجها فقال يا رسول الله هذه أم سلم معها خنجر ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ! ! .

ومن أبلى أعظم البلاد من النساء فى سبيل الله : أم عمارة الأنصارية ، واسمها نسيبة شهدت بيعة العقبة ، ثم شهدت أحدا وكان معها زوجها زيد بن عاصم ، وابناها منه : عبد الله ، وحبيب الذى قتله مسيلمة بعد ! تروى عنها أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها

قالت خرجت يوم أحد ومعى سقاء فيه ماء ، فاتهمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكنت أباشر القتال وأذب عنهم بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلى ! قالت أم سعد فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ! فقلت من أصابك بهذا ؟ قالت ابن قنعة ! ثم شهدت بيعة الرضوان . ولما بلغها قتل ابنها حبيب نذرت ألا يصيبها غسل حتى يقتل مسيلمة ، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد وقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحا !!

* * *

هذا البلاء الذى أبلته المرأة فى القتال ، فى العهد النبوى والعهود التى بعده ، رخصة لها ، بل حق عليها كما هو حق على الرجال ، فى شدة الحاجة ، وساعة العسرة كما أسلفنا . وأما فى غير الحاجة الملحة ، والضائقة المحيطة ، فقد كفهاها الله المثونة ، وخفف عنها العبء ، وبدلها بهذا الجهاد الخاص بغير أولى الضرر من الرجال جهادا آخر عاما ، لا يقل أجره ، ولا تنقص ثوابه ، عن جهاد الرجال ، إن أخلصت لله فيه ، وأتمته له ، بريئا من الإثم والرياء ، والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، وهذا هو الجهاد الذى لا قتال فيه ، وهو جهاد الكبير والصغير والضعيف ، وهو الحج المبرور الذى لا جزاء له إلا الجنة . .

* * *

تخفيف من الله ورحمة منه بالمرأة ، وبذل كريم قابلته المؤمنة الصادقة راضية مستبشرة ، بلسان أم المؤمنين رضوان الله عليها . . ولقد تجلى هذا الرضا والبشر فى رواية أخرى رواها البخارى أيضا عن عائشة بنت طلحة عن (خالتها) عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : ألا تغزوا ونجاهد معكم ؟ فقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله ، حج مبرور ، فقالت عائشة : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم زادها رضى الله عنها اقتناعا بهذا البدل ورضا به وطمأنينة له ، ما رأت من انحراف بعض النساء فى آخر عهدها ، عن الجادة المثلى ، بما أحدثن عند خروجهن من زينة لا تذكر بجانب ما أحدثن بعد ذلك من السفور والتبرج ! فتقول رضى الله عنها فيما رواه مسلم عن عمرة بنت عبد الرحمن : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل . . . وفى هذا مقنع وبلاغ لمن أراد السداد والرشاد . والله المستعان

طه محمد السكاك

من هدى القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال [١] » . وقال : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم [٢] » .

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتبشير وإنذار ، يهدي إلى الحق والصرراط المستقيم ، ويرشد الناس قاطبة إلى ما يسبب لهم السعادة والعزة في دنياهم وأخرهم ، وصدق الله حيث يقول : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » . وقد وضع القرآن الكريم الأسس الصالحة التي بها تسعد الأمم وتعز ، وبضدها تشقى وتذل ، وهاتان الآيتان الكريمتان المذكورتان في صدر المقال تشيران إلى سنة من سنن الله في الأفراد والأمم والشعوب ، فالفرد أو الأمة أو الشعب ، الذي يأخذ نفسه بأسباب العزة والبقاء لن يضيع سعيه ، ولن يخيب رجاءه ، وسيلبغ ما تصبو إليه نفسه من العزة القعساء ، وسيقبوا مكانا عليا بين الشعوب في دنياه ، فإن كان إلى ذلك مؤمنا ، فاز بالنعيم المقيم في أخره ، وصدق الله : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حية طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . أما الأمة التي تنسكب عن طريق الهدى والرشاد ، وتتردى في مهاوى الرذيلة والتحلل والفساد ، ولا تأخذ نفسها بأساليب الحياة العزيزة البركية ، فمآلها إلى البؤس والشقاء ، وذهاب الرخ والسلطان ، وصدق الله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم [٣] » . والله سبحانه وتعالى عادل :

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٥٣ .

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

« ولا يظلم ربك أحدا » . وهو يكافئ المحسنين على إحسانهم ، والمسيئين على إساءتهم ، ولقد بلغ من عدل الله أن الكافر إذا أحسن في شؤون دنياه وأعمالها أن يكافئه على ذلك في دنياه ، وإن لم يكن له شيء في أخراه . وصدق الله : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثمه منها وما له في الآخرة من نصيب [١] » .

والله سبحانه لا يغير ما بقوم - من النعمة والجاه والسلطان وحسن الحال - حتى يغيروا ما بأنفسهم من خلال الحق والخير والاستقامة والصلاح ، إلى أضدادها من صفات الشر والانحلال والفساد . وكذا لا يغير ما بقوم من الضعف والذلة والهوان ، وفساد الأحوال حتى يغيروا ما بأنفسهم من العقائد الزائفة ، والأخلاق المردولة ، والأوضاع الزائفة ، والأهواء الجائرة ، ويستبدلوا بها غيرها من العقائد الصحيحة ، والآراء السديدة ، والأخلاق الكريمة ، والفضائل الثابتة التي لا تنهض المجتمعات إلا بها ، وقد أفصح عن هذه السنة من سنن الله في الاجتماع الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة : « يقول الله تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ، ما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي ، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي ، وما من أهل قرية ، ولا أهل بيت ، ولا رجل ببادية ، كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من عذابي [٢] » .

وقد أكد الله هذا الأصل في القرآن في آيات أخر فقال : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » [٣] وقال : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل حطأ وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » .

[١] الشورى الآية ٢٠ .

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه .

[٣] النحل الآية ١١٢ « ٥٠ » سبأ الآيات ١٥ - ١٧ .

والتاريخ شاهد عدل، فهاتان دولتا الفرس والروم قديماً بلغتا في السلطان والمملك والقوة مبلغاً عظيماً ، فلما تسارع إليهما الانحلال والفساد والإغراق في الملذات والشهوات لم تلبثا أن انهارتا أمام دولة الإسلام الفتية ، وها هي دولة الإسلام الأولى لما أخذت بكتاب ربها وهدى نبيها وسادت فيها الفضائل والأخلاق التي يقوم عليها بناء المجتمعات من العدل والتراحم والاتحاد والتآلف والتعاون على البر والتقوى والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أدال الله لها العروش ومكن لها في الأرض وبذل المسلمين بخوفهم أمناً وبضعفهم قوة ، ولم يمض قرن من الزمان حتى امتد ملكهم من غرب الأرض إلى مشرقها ، فلما تهاونوا في أمر دينها وصاروا شيعاً وأحزاباً وساد بينهم الظلم والجور والتدابروا وقل التعاطف والتعاون مكن الله فيهم أعداءهم وصارت بلادهم - حقبة من الزمن - نهبا مقسماً للمستعمرين المستغلين مصاصي الدماء المنتهكين لحقوق الإنسان .

يا أيها المسلمون في كل مكان : هذا كتاب الله نتلوه صباح مساء ، ولسكننا لا نعمل به ، وهذه سنة الله في الخليقة ولن تجسدوا لسنة الله تبديلاً ، أفما أن لنا أن نهتدى بهدى شريعته في كل شأن من شئوننا ، وأن نعود إلى أخلاقنا وخصائصنا ومقوماتنا ، وندع مانحن عليه من تقليد الغربيين في كل ما هو ضار ومفسد ؟ أفما أن لنا أن نقضى على هذا المسخ المشوه الذي ساد مجتمعتنا ونعمل على تكوين مجتمع إسلامي أصيل سليم ؟

إننا - معاشر المسلمين والعرب - قد بعثنا من جديد وتنهنا إلى الأخطار المحيطة بنا والمساكيد التي تدبر لنا ، ونجحنا إلى درجة كبيرة في تحطيم الأغلال والآصار التي قيدنا بها الأعداء في السياسة والاقتصاد ، ونفض غبار الماضي الحزن المؤسف ، وعقدنا العزم على أن نكون لأنفسنا شخصية مستقلة غير تابعة لسكتلة شرقية أو غربية ، وإنما قوام هذه الشخصية الإسلام والعروبة ، وللإسلام مقومات والعروبة مقومات ، ولا يمكن أن تتحقق هذه الشخصية بدون هذه المقومات وإلا كان الأمر لا يعدو أن يكون دعاوى لا تغنى عن الحق شيئاً . فإذا أردنا حقاً - ونحن اليوم على مفترق الطرق - أن نكون هذه الشخصية الإسلامية العربية المتحررة المستقلة ، فلنغير من كثير من أخلاقنا وسلوكنا وتقاليدنا التي لا تمت إلى الإسلام ولا إلى العروبة بسبب ، ولنغير من كثير من أساليبنا في التشريع والتربية والتعليم والصحافة والنشر والإذاعة والبيت والمدرسة والمجتمع ، ونحو ذلك

مما له أكبر الأثر في تكوين هذه الشخصية ، فبدلاً من أن تكون هذه الأشياء معاول هدم لهذه الشخصية يجب أن تكون عوامل بناء في تكوينها وتحقيقها ، وإلا فكيف تتحقق هذه الشخصية إذا كان البعض يبنى والكثير يهدمون وصدق القائل :

مَتَى يَبْلُغُ الْبَنِيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرَكَ يَهْدِمُ

إن الأمر أصبح جداً لا هزل فيه ، والأمة الإسلامية العربية تكاد تكون مجمعة على الفائدة المترتبة على تحقيق هذه الشخصية ، والسبيل إلى هذه الغاية معبد ومعروف إذا أخلصنا النية وعقدنا العزم على العمل وإن كان يحتاج إلى جهاد نفسى عظيم .

إننا اليوم في طور إصلاح وبناء وترميم ، وكل هذا يحتاج إلى المصارحة والتناصح وعدم المداينة والتفاق ، والعمل على إرساء قواعد الاستقلال في كل شيء في السياسة والاقتصاد وفي التشريع والثقافة والأخلاق والعادات .

إن المسألة لا يكفى فيها التذكير ، فإن الذكرى إنما تنفع المؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وإنما تحتاج إلى الضرب بيد من حديد على أيدي العابثين المستهترين بمقومات هذه الأمة ودينها وأخلاقها وخصائصها ، وما أحوجنا اليوم إلى قوانين صارمة تكبح جماح العابثين بمصالح الأمة ومستقبلها ، وقديماً قال أحد سلفنا الصالح : « إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن » وصدق الله حيث يقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » .

ألا إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، فلنحزم الرأي ولنجمع الأمر .

والله معنا بالتأييد والتوفيق

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

الاسلام يحارب الجشع

الإنسانية الفاضلة مجموعة من الأخلاق الجميلة والحاصل النبيلة ، التى تؤهل الإنسان العاقل الرشيد المؤمن لخلافة الله فى الأرض ، والعبودية لجلاله سبحانه ، مع سيادة هذا العالم بالحق والصدق ، والخير والبر . . .

وأول مميزات هذه الإنسانية أن يؤمن المرء بأنه عضو فى جسم كبير هو المجتمع الذى يحيا فيه : يعطيه ويأخذ منه ، ويعينه ويستعين به ، ويعمل له ويستفيد منه ، ويستجيب إليه ويتفاعل معه ، حتى يكون الفرد فى خدمة المجموع ، ويكون المجموع فى خدمة الفرد ، وبهذا التضامن يسعد المجموع البشرى ، ويكسب رضوان الله العلى الكبير .

ومن هنا قال سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام : « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعارفهم وترحمهم كتل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ! . . . وقال : « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » ! . . .

ومن خصائص هذه الإنسانية الرشيدة المجيدة أنها تعصم نفسها أول ما تعصم من رذيلة الجشع ، وهو الحرص الشديد الذى يؤدى إلى الفزع والجزع [١] ، لأن هذا الجشع يخطط بمستوى الإنسان إلى درك الحيوان الذى يجعل همه فى القضم والضم : « والذين كفروا يمتنعون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » ، ولأنه يجعل الحياة مسبعة ، كل جشع فيها يريد أن يستحوذ على كل شيء ، وأن يحرم أخاه كل شيء ، ولأنه يجعل صاحبه - طيلة حياته - نهبا للقلق وعدم الاستقرار ، فهو دائما يطالب ، وهو دائما يرغب ، وهو دائما يجمع ، وهو دائما لا يشبع ، مع أن الغنى ليس بكثرة المال والمتاع ، ولكن الغنى الحقيقى هو غنى النفس ورضاها بما قسم لها الله تبارك وتعالى . . . ومن هنا جاء فى الحديث : « القناعة كنز لا يفقد » ، وجاء فيه أيضا : « عز من قنع وذل من طمع » [٢] ! . . .

[١] الجشع : هو الحرص الشديد ، انظر معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٥٨ ، وهو الفزع والجزع

انظر النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٦٤

[٢] انظر النهاية فى غريب الحديث ، ج ٣ ص ٢٨٠

وأوضح ألوان الجشع هو ما يظهر إبان فترات الضيق والشدة التي تتعرض لها كل أمة في الوجود ، إذ ليست الحياة دائمة النعيم والراحة ، بل هي مزيج من السراء والضراء ، والسعة والضيق ، فإذا ما تعرضت الأمة لابتلاء أو اختبار ، كان من الواجب على أبنائها أن يكشفوا عن نبل عناصرهم ، وسمو هممهم ، وبعد عزائمهم ، وقوة صبرهم ، وشدة تماسكهم ، وصدق تعاونهم ، فيتركوا الكماليات ، ويكتفوا بالضروريات ، ويقفوا في وجه الشدة صفا واحدا ، ليستطيعوا دفعها ، ويخففوا وقعها ، وبذلك يتحقق لهم وصف المؤمنين : « الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . . .

وما أكثر ألوان الجشع التي يوسوس بها الشيطان للإنسان أثناء البأساء أو الابتلاء ، ويتخذها منافذ خبيثة لهاجمة إنسانيته ، وتحطيم درافع الخير في قلبه . . . فكذلك المال دون أداء حقوقه ودون الانتفاع به ، نوع من الشح والجشع ، وربك عز وجل يتوعد الذين يجمعون الأموال ، ويرصون بعضها فوق بعض ، فيخبرهم بأنها ستكون وبالا عليهم ونسكالا لهم ، وأنها ستكون حصص جهنم ووقود النار التي ستحرقهم في الدار الآخرة ، فيقول : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب آليم ، يوم يحى عليها في نار جهنم ، فـكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأفسسكم ، فذوقوا ما كنتم تكتزون » ، والـكنز في الأصل هو المال المدفون تحت الأرض ، ثم أطلق على المال المخزون مما لم يؤد صاحبه زكاته والحقوق المستحقة فيه ، فإذا أدى الإنسان حقوق الله وحقوق العباد في هذا المال لم يكن كنزا مهما عظم وتضخم ، وفي الحديث : « كل مال أديت زكاته فليس بكنز » ، وفي حديث آخر : « كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز » ! . . .

واختزانك الزائد عن حاجتك من الطعام أو الثياب أو الوقود - وغيرك في أشد الحاجة إلى مثله أو بعضه - نوع من الجشع ، ويزداد هذا النوع من الجشع سوءا وخبثا إذا احتكرت ما تحتزنه لكي تتحكم في سعره وبيعه ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحتكر إلا خاطئ » أى خاطئ عن الحق بعيد عن الصواب . ويقول : « يا ابن آدم ، إنك أن تبذل الفضل (أى الزائد عن حاجتك) خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف (أى اختصاصك بما يكفيك) وأبدأ بمن تعول ، اليد العليا خير من اليد السفلى » .

ومحاولتك أن تختلس ما ليس لك ، وأن تأخذ أكثر من حقد المخصص ، وتهضم بذلك حق غيرك ، أو تتوسع في التمتع والتمتع خلال الشدة التي يعانيها من حولك - نوع من الجشع ، والرسول يقول لك : « اتق المحارم تسكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

ومزاحمتك سواك الضعيف حتى تسبقه ، وتعتدى على دوره ، فتنال قبله ما هو محتاج إلى نياله - مثلك أو أشد منك - نوع من الجشع ، والإسلام يقضى بأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، ودينك قد قام على العدل والإنصاف ، وربك هو القائل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » . وكتاب الله يأمر بالعدل والإحسان ، لأن الله أعدل الحاكمين ، والميزان هو ميزان الإنصاف والقانون الذي يضبط الأعمال وينظم الأحوال ، والقسط هو العدل والمساواة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعماء يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا » ويوصيك الرسول فيقول : « وإياك والطمع ، فانه فقر حاضر » !!

فأذكر أنه ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، ولا تنس توجيه ربك : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . واذكر أن الحرص ليس من خلق المسلم في شيء ، والحرص يؤدي إلى المعصية والإثم ، وحاتم الأصم الصوفي يقول : « أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد » . ويقول : « المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك ، وينفق بالرياء ، والمؤمن يأخذ بالخوف ، ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا في الطاعة » . ويقول : « اطلب نفسك في أربعة أشياء : العمل الصالح بغير رياء ، والأخذ بغير طمع ، والعطاء بغير منة ، والإمسك بغير بخل » ! جنبني الله وإياك مذمة الحرص والجشع ، وجمالنا بمحمدة التعاون والإنصاف !

أحمد الترابي

المدرس بالأزهر الشريف

أحياء العلوم

ونضاتها المختلفة في ثقافة أوروبا

مستقاة من معين الثقافة الإسلامية

عود على بدء :

أسلفنا في عدد مضى أن الحضارة الأوروبية والثقافة الأوروبية في شتى مصادرها مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية ، فقد كانت الحضارة في عهد العرب الأول بالغة شأو السكال ، حتى دخلت أوروبا بفتوحاتها المتعاقبة فنهلت بلادها من الحضارة الإسلامية والعربية ، وأخذت عنها بقرسط وفير . غير أن فلاسفة الغرب من الذين أرادوا أن يكون لهم تراث مستقل أخذ كفروا بنعمة الثقافة الإسلامية ، وادعوا زورا وتضليلا - لقرائهم والدائرين في فلسكتهم والضارين على قبيارتهم - أنهم كفروا بهذه الثقافة وأنها من عصارة عقولهم ، وخلاصة أذهانهم ، ولكن فريقا منهم ممن أرادوا أن يكشفوا عن الحقيقة في ثوبها القشيب صاحوا من فوق منبر التاريخ والواقع بملء أشداقهم ان الثقافة الأوروبية في مختلف عصورها الأول مستقاة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية .

قال المؤلف جورج ميلر في كتابه (فلسفة التاريخ) :

« إن مدارس العرب في أسبانيا كانت هى مصادر العلوم وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفة الميتافيزيقية ، وأصبح جنوب إيطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوروبا » .

وكان ممن تزود بعلوم العرب « جربرت » الراهب الفرنسى ، فبعد أن درس علم اللاهوت في « أوريان » مسقط رأسه ، توجه إلى قرطبة فدرس فيها الرياضيات والفلك ثلاث سنين ، ثم رجع إلى قومه ينشر فيهم ما تزوده من العلوم ، فروه بالكفر والسحر ولكنه ارتقى إلى سدة البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى ، كذلك تخرج على علماء قرطبة « شانجة » ملك « ليون » و « استوريا » . وأوصى الراهب « روجريكون » في كتبه بدراسة اللغة العربية وقال : « إن الله يؤتى الحكمة من يشاء ، ولم يشأ أن يؤتيها اللاتين ، وإنما آتاها العرب » .

وذكر « جييون » في الفصل الثاني والخمسين من كتابه « تاريخ اضمحلال الدولة الرومانية وسقوطها » : « أن مدرسة « سالرنو » التي نشرت الطب في إيطاليا كانت من صنع العرب وغرس أيديهم » .

وقال المؤلف « ويلز » الإنجليزى فى كتابه « ملخص التاريخ » وهو من أمهات الكتب التى تدرس فى الجامعات الأوروبية اليوم : « جاءنا علم اليونان عن طريق العرب لا عن طريق اللاتين » ، وإن « ليونارد ديز » و « أرمان دفيلفوف » و « ريمون لول » و « هرمان الملس » و « ميخائيل سكوت » و « يوحنا الأشبلى » و « سان توما » و « البيرليجراند » و « ألفونس العاشر » أمير قشتالة لم يكونوا غير تلاميذ العرب أو نقله عنهم .

وقال « رينان » الفيلسوف : « إن البيرليجراند » مدين بعلمه كله لابن سينا ، و « سان توما » مدين بفلسفته « لابن رشد » . ويقول « بترارك » شاعر إيطاليا العظيم وهو من شعراء القرن الرابع عشر : « أبعد » ديموستين « يستطيع » « سيثرون » أن يكون خطيبا ؟ ، وهل بعد « هوميروس » يستطيع « فرجيل » أن يكون شاعرا ؟ وهل بعد العرب يستطيع جيل من الناس أن يخط بقلمه على القرطاس ؟

وقال البارون « ديقو » مترجم كل ما كتبه الإمام الغزالي : « إن الميراث العلمى الذى تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام به ، أما العرب فقد حفظوه وأتقنوه ، فهم لم يكونوا حفظة وخزنة للعلوم فحسب ، ولسكنهم توافروا على ترقيتها وتطبيقها باذلين الجهد فى تحسينها وإنماءها حتى ساموها للعصور الحديثة .

وقال الدكتور سارتون فى إحدى خطبه العامة بالجامعة الأمريكية ببيروت : « إن بعض الأوربيين يحاولون أن ينتقصوا من قدر العرب العلمى فى القرون الوسطى ، وذلك بقولهم : إن العرب لم يكونوا غير نقله للعلوم ، وهذا خطأ ، وإذا افترضنا أن العرب لم يكونوا غير نقله ، أليس فى عملهم هذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولنا نقلهم لما تقدمت العلوم تقدمها الحاضر ، ولسكننا حتى الآن فى القرون الوسطى » .

الحق أن فضل العرب بثقافتهم الإسلامية على المدنية الحديثة كان من ناحية حفظهم لثقافة غيرهم من الأمم ، ومن ناحية ما أنشأوا وابتكروا وبشوا من روح فى الثقافات القديمة ، وقد بدأ علماء أوروبا يبحثون نواحى تأثير الثقافات الإسلامية فى الثقافة الأوروبية ، وكان من آخر ما أظهروا فى هذا الباب كتاب « تراث الإسلام

« Legacy of Islam » تناولوا فيه أثر الثقافة الإسلامية في الجغرافيا والتجارة وفي القانون والاجتماع وفي الفن والعمارة وفي الأدب وفي التصوف ، وفي الفلسفة وعلم الكلام ، وفي العلم والطب ، وفي الهيئة والرياضيات ، والمتتبع لدراسة المذنبات وتاريخ قوميات الشعوب ، يرى أن تاريخ المذنبات عبارة عن حلقات يسلم بعضها إلى بعض ويستفيد لاحقها مما وصل إليه سابقها ، وكانت المذنبية الإسلامية في الذروة أيام كانت أوربا تظلمها سحابة سوداء من عمالة الجهل في القرون الوسطى ، ولم يكن يضارع بغداد وقرطبة مدينة أخرى في العالم في مدينتيهما وثقافتهما ونظمهما الإدارية والحربية ، فلولا ما كان في الوجود مدينة بغداد وقرطبة ما كانت حركة إحياء العلوم في أوربا ، ولما كانت النهضة الأوروبية الحديثة تبلغ ما بلغت الآن لو لم تتركز على المذنبية الإسلامية والثقافة الإسلامية المنبثقة من ضوء بغداد وقرطبة .

ولزيادة الإيضاح ، ننظر في أمس المذنبية الحديثة ونبين علاقة هذه الأسس بالمذنبية الإسلامية لقد بنيت النهضة الحديثة في الثقافة على أساسين : وهما الشك والتجربة . وكانت الثقافة في القرون الوسطى تعتمد كل الاعتماد على آراء اليونان وتقدس آراء أفلاطون وأرسطو كل التقديس ، وكانوا يعتمدون كل الاعتماد على القياس المنطقي وحده يؤيدون به المذاهب والآراء ، والقياس المنطقي وحده وسيلة عقيمة لأنه يجعلك تسلم بالمقدمات تسلياً أعمى وتعنى فيه بالشكل ، فجاءت النهضة الحديثة تشك في هذه المقدمات العامة وتمتحنها وتجري التجارب عليها ولا تؤمن بشيء حتى تدل التجارب على صحتها ، وكان هذا دعامة النهضة الحديثة .

والحقيقة أن طريقة المنهج العلمي في البحث الحديث لم تكن بعيدة عن أذهان المسلمين فالتاريخ يحددنا أن النظام ألف في نقد آراء أرسطو ، وأن تلميذه الجاحظ في كتاب الحيوان يستطلع ما قاله أرسطو في الحيوان ، ثم لا يمنحه شيئاً من العناية ، بل ينقده نقداً جريئاً ويقول : « قد جربنا قول أرسطو فلم نجده صحيحاً » ويقول : « إن قوله هذا غريب » إلى أن يقول : « وهو قول لا يجيزه العقل » والجاحظ بهذا الانتقاد يجعل عقله الفيصل على أرسطو على حين أن فلاسفة القرون الوسطى جعلوا أرسطو حاكماً على العقل ، والبيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هـ - سنة ١٠٤٨ م ، والذي قال عنه المستشرق الألماني سخاو : « إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ في كل عصوره » كان يحكم عقله في الرياضيات ، ويقارن بين نظريات اليونان ونظريات الهند ، حتى لقد ترجم كتابه « الآثار الباقية » إلى الإنجليزية

وطبع عام ١٨٧٩ فى لندن، وترجم أيضا كتابه « تاريخ الهند » وطبع فى لندن عام ١٨٨٧م، ويقف الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » الموقف الذى وقفه « ديكارت » فيما بعد فيقول : « إنه رأى صبيان النصرارى ينشأون على النصرانية وصبيان اليهود على اليهودية ، وصبيان المسلمين على الإسلام ، وإنه لم يقنع بهذا الدين التقليدى التلقينى ، وطلب أن يعلم حقائق الأمور ، وأن يبنى دينه على يقين وقال : « إنه بدأ بالشك فى كل ذلك حتى يقوم البرهان على صحته ، ولم يسمح لنفسه باعتقاد حتى يتأكد من صحته » .

وابن خلدون الذى كان وقوف الغرب على تراثه منذ منتصف القرن التاسع عشر اكتشافا علميا حقا ، حيث ظفر الغرب بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة . أجل ، اكتشف النقد الغربى بدهشة وإعجاب فى تراث ابن خلدون كثيرا مما رددده ميكافلى بعدة قرون ، وما رددده منتسكيو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون أيضا . وكان المعتقد أن البحث الغربى أول من اهتمدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ الاجتماع وأصول الاقتصاد السياسى ، فإذا بابن خلدون يسبق بعصور ويقزو فى مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيرا من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة ، حتى إن المستشرق النمساوى الكبير البارون فون كريم فى رسالته الشهيرة بالألمانية : « ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدولة الإسلامية » اعتبر ابن خلدون مؤرخا للحضارة ، لأنه أول من خصص فصولا ضافية للتحديث عن النظم السياسية وأنواع الحكم والخطط العامة كالقضاء والشرطة والإدارة وتطورها فى الدول الإسلامية ، ثم عن العلوم والفنون والآداب ، وابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة أولذاتها وإنما يعالجها كصور من العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لحضارة العمران .

وعلى الجملة فإن الثقافة الأوروبية فى مختلف مناحيها لم تكن إلا مستخلصة من الثقافة الإسلامية والحضارة العربية رغم أن فريقا من المتعصبين فى الغرب ادعوا لأنفسهم دون أن يبينوا مراجعها ومصادرها ، لكن المنصفين منهم ردوا كل هذه الثقافات إلى الحضارة الإسلامية والثقافة العربية ، وهكذا يجد الإسلام له أنصارا فى كل عصر وجيل .

عباس طه
المحامى

كلية الأزهر

في حفلة افتتاح الدراسات الاجتماعية

نحمدك اللهم يا واهب الفضل ويا مفيض النعمة ، ونصلي ونسلم على نبيك سيدنا ومولانا محمد بشير الرحمة وهادى الأمة ، ونسألك يا رب : الرضوان عن الصحابة والتابعين

أما بعد : فإن الأزهر حين يحفل اليوم - في هذا الحشد الرائع - بافتتاح الدراسات الاجتماعية لأبنائه الطلاب ، برعاية وزارة الشؤون والعمل ، فإنه يتهلل بشرا حين يبرز للمجتمع طلابا لهم في عمق البحث ، وسلامة التفكير ، وأصالة الرأي ، آفاق يشرقون فيها ، فتضىء علومهم ومعارفهم وبحوثهم جنبات فسيحة من هذا الوطن الإسلامى العزيز .

والعلم - أيها السادة - هو الركن الأول في بناء هذا المجتمع ، وهو النعمة الكبرى التى أنعم بها مفيض الآلاء على خلقه ، وهو أكرم منة جاءت في أول رسالة من السماء نزلت بالوحى على رسول الإسلام في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) ثم في قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ..

والعلم المذهب للنفس ، نفحة مليئة باليمن ، تشارف الحواس ببريق كاشف لمعانى الرحمة والحنو ، دال على معالم البر والسمو ، ثم - ولا يلبث أن يغشيها حتى تتعشق فيه الفضيلة - وتتدرج معه إلى الجلال والكمال ، فإذا بالعلم عقيدة وثقة ، وإذا به خلق وفضل ، وإذا به برو وإحسان ، وإذا برجل العلم المذهب يهدى بخلقته ، ويسمو بأدبه ، ويؤتى جناه دانيا راضيا . . جزاء وفاقا ، لما غرسه أساتذته ومعلموه ، من علم وفضل وأخلاق ، ولسان حاله يقول :

وإني وإن أحسنت في القول مرة فنك ومن إحسانك امتارها جسى
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت حلوا من جنائى لغارسى

والدراسات العلمية الاجتماعية ، إنما هي ألوان من تجارب الحياة ، وعمق في بحث التقاليد والعادات ، وتجارب مع أهداف الدين والفضيلة ، وإخضاع العرف الذي استبدت به الأهواء إلى ما تقضى به الفطرة السليمة ويصبر به العارفون العقلاء .

فالرجل الديني الاجتماعي منار كل بيئة ، وعمدة كل طائفة ، وحجة كل زمان ومكان .

يعرف واجبه في الأسرة فيقومها ، ويوجهها ، ويرشد راعيها الأول المسئول إلى واجبه نحو أسرته ، فإن كان أبا بين حكم الله الواجب عليه نحو ولده وزوجه ، وإن كان أما بصرها بقباعها من شئون البيت ، وتنشئة الأطفال ، وأمانتها وعفتها ، لتعيش الأسرة بهذا الهدى الإسلامي الاجتماعي في هدأة بال ، واستقرار حال ، وفي نطاق من الأدب وحسن الرعاية .

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » ، وعن أبي أيوب ابن موسى عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن » .

* * *

والرجل الديني الاجتماعي يعرف واجبه نحو وطنه ، ويرشد شباب الأمة إلى القوة في الإعداد ، والاستماتة في الدفاع ، وأن عزة النصر ، وكرامة الظفر ، إنما تقوم على السواعد المفتولة ، والعزمات الأبية ، وأنه آن للشباب أن يتخلى عن نعومته وليونته ، وتجمله بتصفيف الشعر وتلميعه ، ليسكون في الصف فتى جهاد وجلاد ، يفقدى وطنه وأمته بروحه ودمه ، ليفيد من تضحيته مجداً ، ومن إثارته خلوداً ، فإن أمره إما إلى نصر وعزة ، وإما إلى سعادة واستشهاد : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله ، بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة » .

ونحن في يومنا الحاضر - أيها السادة - أخرج ما نكون إلى قوة الإعداد والاستعداد ، وإلى سلامة الجهة ، وتوحيد الصف ، لنقف في أهبة النضال الحاسم ، تجاه عدو غادر غاشم حتى تسترد العروبة مجدها المؤثل ، ومكانها المرموق . وأمل الوطن كبير في شباب العروبة أن يكونوا عدته وعتاده ، أسنة مسددة وقنوات لا تلين .

ولقد حدثوا - من طرف المجاهدين - أن حبيب بن مسامة قدم على أمير المؤمنين عمر في حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فارح الطول ، فسلم على عمر ، فقال له عمر : إنك لفي قناة رجل . فقال : أي والله وفي سنانها . فقال عمر : افتحوا له الخزان فليأخذ ما شاء . فترك حبيب بن مسامة الأموال . . . وأخذ السلاح .

وذكروا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يقول :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهن أكثر
وفين نفس لو تقاس بمثلها نفوس الوري كانت أجل وأخطرا
وماضر نصل السيف لإخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سري
أيها السادة :

إذا كانت قوامة الدين والأخلاق في مكانها الجدير بها في الأمة .
وإذا بلغ الشعب شأوه في سمو الغاية وجمال المقصد .

وإذا نهضت هذه الدراسات الاجتماعية ، وهي إن شاء الله ناهضة ، بأفراد المواطنين وجماعاتهم في ريفهم وحضرهم ، في قراهم ومدنهم ، في مصانعهم ومتاجرهم ، في معاهدهم وجامعاتهم ، في دواوينهم ومصالحهم ، فبرزت لنا المثل العليا في الصدق ، والعدل ، والإباء ، والإيثار ، والأمانة وعفة اللسان ، وطهارة القلب ، وقوة العقيدة ، وسادت هذه الأخلاق وغيرها ، إذن لعز الإسلام وقويت شوكة الأمة ، وتسامى مجد الوطن ، وإن لكم - يا معشر الطلاب - في سلفكم الصالح ، صفحات بيضاء ناصعة ، فاقروها ، واحتذوها ، وانسجوا على منوالها لتسعدوا بأممكم واتسعد بكم أممكم ، وقد قال الشاعر :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الفضل والمكرما ت إذا جئتها حاجب يحجبك

وفقم الله وسدد خطاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله **محمد عبد التواب**

المفتش العام للوعظ بالأزهر

الاتجاه الى الله

كانت المعركة الراهبة التي صليت مصر نارها، وخرجت منها منتصرة مرفوعة الرأس ، كانت امتحانا خطيرا تكشف عن معادن كريمة تحتفظ بها الأمة العربية ، وقد مرت أيام المعركة كريمة قاسية ، ليس على الذين يسكنون مصر فحسب ، بل على كل عربي ، وعلى كل مسلم في جميع أقطار الأرض ، ولئن كان الشعب في مصر يتابع المعركة بأعصابه وآماله وآلامه ، فإن الناس هنا في مكة المكرمة - زادها الله تكريما وشرفا - كانوا يواجهون المعركة بكل ذلك وبأسف عميق على أنهم بعيدون عن أرض المعركة ؛ فالقادرين منهم على حمل السلاح كانوا يحزنون إلى ورود هذا الأتون المشتعل ، حنين الظامئ إلى المنهل العذب لا اعتقادهم أن السبيل إلى الجنة يبتدئ من هذا الأتون، والذين لا يستطيعون حمل السلاح كان الحزن يملا نفوسهم على أنهم حرموا هذا الشرف الكبير ، شرف الدنيا والآخرة ، ولم يكن للجميع حديث ، بل لم يكن يدور في خواطرهم إلا ما يتصل بهذه المعركة .

ولكن ما إلى هذا قصدت من هذه الكلمة ، وإنما أردت شيئا آخر يرشد إليه هذا العنوان :

إن الذين يؤرخون لهذه المعركة يخطئون أشد الخطأ حين يعدّون أسباب النصر ، فيحملون منها ما كان من المسلمين من اتجاه إلى الله ، ولياذ بساحته ، ووقوف تحت بابه ، خاشعين ضارعين ، مبتلين إليه أن ينصر المسلمين ، وأن يخلد الكفرة الباغين ، أعداء أعداء الدين ، ولو أنه أتيح لك - أيها القارئ - أن تحظى بزيارة بيت الله المحرم في تلك الأيام ، لما خالجت شك في أن جيش مهزوم وشعب مصر سينتصران ، لما تراه من إخلاص النيات ، وحاز الدعاء ، وكثرة الباكين والراجلين ، ولقد يملا نفسك ثقة أن ترى شيئا - شاب في الإسلام - يتقدم جموعا كبيرة من المسلمين ، ويقف عند باب الكعبة المشرفة ويرفع يديه إلى السماء ويدعو بصوت مرتفع حزين ، والناس خلفه يؤمنون على دعائه ، بل إنه لرائع حق ذلك الذي شهدناه في أيام الجمع ، وقد امتلأ المسجد الحرام بالمسلمين من كل أقطار الأرض ، والإمام فوق المنبر يجوار بيت الله المعظم يتהל إلى الله ويقول :

اللهم عليك بالانجليز والفرنسيين واليهود ، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، اللهم إنا نجعلهم في أعقابهم ، اللهم إنا نجعلهم في أعقابهم ، اللهم إنا نجعلهم في أعقابهم ، اللهم إنا نجعلهم في أعقابهم .

بل إنك تسمع هذا الدعاء وأمثاله في أى لحظة من الليل أو النهار ، تطوف فيها حول بيت الله الحرام ، فانك ترى الجموع واقفة عند « الملتزم » ، أو تحت « الميزاب » حيث ترحى إجابة الدعوات ، داعية مبتهلة ، وفي الطواف تتواهب إلى سمعك أصوات خافتة ضارعة خاشعة ، من الشيوخ والشبان والنساء والأطفال ، داعية لمصر بالنصر .

إن فراسة المؤمن لا تكذب ، وقد كنا نسمع من بعض هؤلاء المؤمنين تأكيداً بأن الله لا بد ناصر أوليائه ، ولم يكن نرتاب في هذا النصر ، فإن أسلحته عندنا : استعداد للبذل ، في الأنفس والأموال ، وإخلاص لله ، وتمسك بأهداب الحق ، وإذا اجتمعت هذه الأمور ، كان من فضل الله أن يستجيب الدعاء .

وقد ناط القرآن الكريم الفلاح والنصر على الأعداء بأمرين : أولهما الثبات أمام العدو ، وثانيهما ذكر الله ، والاتجاه إليه ، والاستعانة به ، واستمداد النصر منه ، فقال تعالى : « يأيتها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ثم علق الفشل ، وذهاب الرجاء ، وتشتيت الشمل على الاختلاف والتنازع ، وعاد فحث على الصبر والثبات « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، واصبروا إن الله مع الصابرين « ولا يخفى أن كل هذه الأخلاق التي اعتدتها القرآن من أسباب النصر ، وهى الثبات والصبر وتوحيد الكلمة - إنما هى من وحي الاتجاه إلى الله لأنها امتثال لأوامره ووقوف عند حدوده .

والدعاء - مع الإخلاص - عامل قوى من عوامل النصر ، فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على الكفار في غزوة الأحزاب ، فشنت الله شمل المعتدين ، وسلط عليهم الرجاء ، فزلزلت أقدامهم ، واقتلعت خيامهم ، ودعا في مواطن كثيرة أخرى فاستجاب الله دعاءه ، ولكنه الدعاء الذى يصاحبه الإخلاص ويسبقه التمشي مع السنن السكونية من استكمال عدة القتال ، والعزم المصمم على الدفاع عن الدين والوطن .

وبعد ، أفما آن لنا أن نرجع إلى الله ، بعد أن حقق نصره الذي وعدنا ، فنسلك الطريق التي ابتدأنا السير فيها ، فانه قال وقوله الحق (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فإذا كنا حريصين على ألا يفارقنا نصر الله وعونه ، فعلينا أن نكون مؤمنين حقاً ، علينا أن نذكر الله بالسنتنا وجوارحنا وقلوبنا ، في كل حين ، في الرخاء وفي الشدة ، علينا أن نظهر نفوسنا وقلوبنا ومجتمعاتنا من كل ما يغضب الله تعالى ، ويجرنا إلى سخطه . إن هذه المحنة علمتنا أن من أقوى أسباب النصر الاتجاه إلى الله تعالى ، وإن صاحب الخلق الإسلامي هو الذي يثبت في المعركة ، ولا يهرب الموت ، وأن الأخلاق الفاجرة من الميوعة والترف ، والحرص الشديد على نعيم الحياة وملذاتها لا تخلق رجالاً يستطيعون الصبر والصدق في القتال ، فهل يعتبر أولئك الذين يبدأون على العمل في تحليل أخلاق شبابنا ، والزج بهم في مهاوى الرذائل ، هل تدرك بعض الصحف - مثلاً - وبعض القائلين على الإذاعة ، وبعض المشرفين على تربية الناشئة ، أن الخلق الإسلامي الصافي هو أقوى عدة ، وأمضى سلاح عند شبابنا ، فيتركون تلك العوامل الهدامة التي لا تهبي الناشئة إلا لانهلال الخلق ، وضعف العقيدة ، والفرار من الزحف ، يوم يجد الجدد ، ويستخدم النضال ؟

إننا في أشد الحاجة إلى تربية إسلامية صحيحة ، نتلقاها في المدرسة ، وفي المنزل ، وفي المسجد ، ومن الصحافة ، ومن الإذاعة ، ومن كل ما يؤثر في أخلاقنا ، والله يهدينا ، ويهيئ لنا من أمرنا رشداً ما

مكة المكرمة

على العماري

إلى مائة مليون عربي

إذا مصر أم الشرق للغرب أذعنت
وإن دولة الحرمين هيض جناحها
وإن أسلمت بغداد للخضم أمرها
فيا مائة المليون عرباً تآزروا
وأتم أباة الضيم كيف صبرتمو
ومن عجب أن يأخذ السيف منكم
أيستخرج البترول من جوف أرضكم
أعدنان أو قحطان ترضى مسبة
فما أتم حقاً بأبناء يعرب

فليس لهذا الشرق من أمل بعد
فليس حجاز في الوجود ولا نجد
فقد تمّ للأعداء في شطرنج السكيد
وردوا اعتداء الغرب قد وجب الرد
على الضيم دهرًا واستبدّ بكم وغد
ليذبحكم ، هذا هو العجب الفرد
ليحرقكم ، ماذا انتظاركم بعد ؟
يقتل أبناها وليس بهم حرد ؟
إذا لم تذودوا عن حاكم وتشتدوا
محمد عبد السلام القباني

بشارة لهذه الأمة

- ٢ -

وإليك تفصيل بعض هذه الآيات البينات على شيء من التقريب والتقليل، واجتنب ما عسى أن تظنه من قبيل التفخيم والتهويل : فعن بعض هؤلاء الجند الغالبين أنه قال : بينا نحن محاصرو بهرسير [١] بعد زحف الفرص وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال : إن الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة وجبلكم ؟ أما شعبتم لا أشبع الله بطونكم ! ؟ فبدر الناس أبو مفزر الأسود بن قطبة [٢] وقد أنطقه الله بما لا يرى ما هو ، ولا نحن ، فرجم الرجل ورأيتهم يقطعون إلى المدائن [٣] هاربين تاركين المدينة للمسلمين ، فلما سئل بعض أسراهم عن سبب ذلك ؟ قال : ما أحببتم به الملك : (أى بلسان فارس) من أنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبدا حتى تأكلوا عسل أفرندين بأترج كوئي ، فقال الملك : يا ويله ، إن الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا ، وتجيئنا عن العرب ، فهرب إلى المدينة القصوى ، ولم يبعد هذا الملك فيما عرفه من ذاك . فعن الحسن رحمه الله في قوله تعالى : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين » هؤلاء الخمسة آلاف ردة المؤمنين إلى يوم القيامة .

ولقد كان مما يزيدهم إيمانا وتشبيها وجرأة وإقداما أن يروا بأعينهم بعض ما كانوا يؤمنون به بالغيب من وعد الله ورسوله . فقد روى أنهم حين دخلوا بهرسير وكان ذلك في جوف الليل لاح لهم الأبيض (قصر كسرى وإيوانه) فقال ضرار بن الخطاب رضي الله عنه : الله أكبر . أبيض كسرى . هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا . فهل تدري : متى بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتلاكهم هذا القصر الأبيض ؟ ! إنه بشرهم به وهم في الحصار ، والخوف ، والجوع ، أيام الخندق ، فقد روى أصحاب السير أن المسلمين وهم يحفرون الخندق اعترضتهم حفرة لا تعمل فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ معولا وقال : بسم الله ، وضرب

[١] هي المدائن الدنيا غربى دجلة ، أما القصوى فهي منزل كسرى شرقها .

[٢] رجل من طائفة .

[٣] أى القصوى عاصمة كسرى وفيها قصره الأبيض .

ضربة ، فكسر ثلث الصخرة ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتها [١] ، فقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحجر من . كانى هذا ؛ ثم ضرب أخرى وقال : بسم الله ، فكسر ثلثا آخر ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتها فقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب الثالثة وقال : بسم الله ، فقطع الصخرة ، فبرقت برقة أضاءت ما بين لابتها فقال : الله أكبر . أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة . ولقد كان من مقالة المسلمين في ذلك : موعد صادق بار : وعدنا النصر بعد الحصر ، أما المنافقون فقالوا : ألا تعجبون ؟ ! يحدثكم ، ويمينكم ، ويمدكم الباطل : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ، ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق ، ولا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل قوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » وقوله : « قل اللهم مالك الملك - الآية » .

ومن هذه الآيات البينات التي أيد الله بها المسلمين في فتوحهم : ما رواه المؤرخون ، واللفظ للبلاذرى : « أن الفرس لما انهزموا من القادسية قدم فلهم المدائن (أى القصوى بعد إخراجهم بهرسيه كما سبق » فانهى المسلمون إلى دجلة ، وهى تطفح بماء لم يرمثه قط ، وإذا الفرس قد رفعوا السفن والمعاير إلى الحيرة الشرقية ، وحرقوا الجسر ، فاغتم سعد (ابن أبى وقاص قائد الجيش) والمسلمون إذ لم يجدوا إلى العبور سبيلا ، فانتدب رجل من المسلمين فسبح فرسه وعبر فسبح المسلمون ، فقات الفرس ، والله ما تقاتلون إلا جنبا فانهزموا ، وفي روايات الطبرى للقصة أنه لم يفقد منهم فى عبورهم ذلك إلا قدح انقطعت علاقته ، فلم تلبث الرياح والأمواج أن ضربت به إلى الشاطئ فقتلوه أحدهم برمح ، وأنه لم يكن أحد ولا فرس يعيا [٢] إلا وتنشر له تلعة [٣] يريح عليها [٤] وأنهم كانوا يتحدثون فى عومهم كأنهم على الأرض ، وقد افترنوا ما يكثرثون . فكان سلمان رضى الله عنه يقول : ذلت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، وكان سعد يقول « ذلك تقدير العزيز العليم » .

وإن تعجب فعجب ما رواه البلاذرى : من أنهم حاصروا مدينة ، فاستعصت عليهم فاذا بكلب يخطف خبزا من أحدهم ، فيدخل به مدخلا خفيا من الحصن ، فيفتحون المدينة منه .

[١] أى لابتى المدينة ، وهما ما يحيط بها من الحجارة السود .

[٢] يتعب . [٣] تصعد مضربة صغيرة . [٤] يستريح .

أما بعد . فإن هذه الرفعة ، والنصرة ، والتمكين في الأرض ، التي يبشر بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته في مثل هذا الحديث الشريف . إنما كتبها الله لعباده الصالحين لقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الآية » وقد سبقت ، وقوله : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » وقد علمت في تقديمنا للحديث أن المراد بالأمّة أمة الإجابة ، فمن عمل منهم للدنيا لا لآخرة كالمرءين والمنافقين فهو مع حرمانه من ثواب الآخرة لا يؤتى من الدنيا إلا بمقدار ما يأخذه من الأسباب - إن شاء الله ذلك - لا في كل حال .

هذا ومما يصدق الحديث أيضا من كتاب الله - قوله تعالى : « إنا لننصر رسلكم والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » . وقوله : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » . وقوله : « ولله العزة ولرسوله وللؤمنين » . ومن أجل ذلك كان عمر رضى الله عنه إذا تأخر عنه خبر الفتح يقول : ما تأخر إلا لأمر حدث فيهم ، ومن وصيته لسعد بن أبي وقاص : « إني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعضية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم . ومنه : ولا تقولوا : إن عدونا شر منا ، فإن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار الجوس . والناظر في تاريخ هذه الأمة ليتعرف منازلها من الضعف والقوة : ومن الذلة والعزة - ليراها هي بعينها منازلهم من الدين سواء بسواء . حتى كأنما قدّا على مثال ، أو نسجا على منوال : فإذا ما قرأت أخبار فتوحهم ونصرة الله لهم . فكأنما اطلمت على ما تكن قلوبهم من إخلاص الدين ، وصدق اليقين ؛ وإذا ما أتيح لك أن تتبين صورة من استقامتهم في دينهم ، وطاعتهم لربهم ، وحبهم لنبيهم - فكأنما قرأت وصفا لمجدهم ، وعزهم ، وسؤددهم ، وتمكينهم علم ذلك العالمون ، وجهله الجاهلون .

فاللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين لتستقيم بنا سبلنا إلى أعجاد آبائنا الماجدين ، أولنحمى ما أورثونا من مجد ، ودين . فانه لا حول لنا ، ولا قوة إلا بك ، ولا نصرة لنا ، ولا رفعة إلا من لديك ، ولا أمل لنا ولا رجاء إلا فيك . فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا ما دونها . يا أرحم الراحمين

محمد فرج العفدة

المدرس بكلية اللغة العربية

الثقافة الإسلامية

والحياة المعاصرة

هذا عنوان كتاب نشرته مؤسسة فرانكلين الأمريكية في العام الماضي ، وهو يشتمل على مجموعة بحوث أُلقيت في مؤتمر عقد بأمریکا في صيف سنة ١٩٥٣ ، واشتركت في الدعوة إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس . وقد شهدته عدد من المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي ، بين أندونيسيا والهند والباكستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان ومصر . وكل هؤلاء قد اختارهم أمريكا ووجهت إليهم دعوة خاصة للاشتراك في المؤتمر بحوث إسلامية . وكان بازاء هذا العدد من المسلمين عدد مساو له من الأمريكيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية . ثم إن المؤتمر قد رأى بعد ذلك أن ينشر عددا مختارا من هذه البحوث في كتاب ، فعمد بالإشراف على إخراجها وترجمة ما كتب منها بالإنجليزية إلى الأستاذ محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . وقد قامت مؤسسة فرانكلين بطبع الكتاب ونشره .

والناظر في أسماء المشتركين في هذا المؤتمر ممن اختيرت بحوثهم للنشر يجد أن بعض هؤلاء المشتركين في المؤتمر من الأمريكان قسوس يحترفون التبشير ، مثل الدكتور ميلر بروز أستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة بيل . وقد كان اتجاهه التبشيري الهدام واضحا كل الوضوح في دعاواه التي ساقها في مقاله للتشكيك في أسس العقيدة الإسلامية ، كالإيمان بالوحي ، والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بصدق القرآن الذي أنزل عليه . ومن هؤلاء المبشرين كذلك الدكتور هارولد سمث أستاذ ونائب رئيس قسم الديانات بكلية ووتر بولاية أوهايو . وقد كان هذا القسيس رئيسا لقسم الفلسفة والأخلاق بالجامعة الأمريكية في القاهرة — وهذا يكشف لنا عن ماهية الدراسات الفلسفية والأخلاقية التي تلقن لأبنائنا في الجامعات الأمريكية . وبعض هؤلاء الأعضاء الأمريكان الذين نشرت بحوثهم في الكتاب من مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية الذين يخضعون لتوجيهاتها السياسية ، مثل الدكتور روفائيل باتاى الذى كان مستشارا في شؤون الشرق الأوسط بقسم الشؤون الاجتماعية بهيئة الأمم المتحدة ، ومثل الدكتور

جون كرسويل الذى كان ملحقاً للعلاقات الثقافية ببيروت ، والدكتور هارولد آلن مدير قسم التربية بمؤسسة الشرق الأدنى ، الذى شغل مناصب عدة ذات صبغة سياسية فى منطقة الشرق الأوسط ، فكان عضواً بإدارة التعليم بمنطقة القوقاز فى مؤسسة إعانات الشرق الأدنى ، وكان بالمركز الرئيسى لتلك المؤسسة فى اليونان ، وكان عضواً فى بعثة منرو للتربية فى إيران ، ومستشاراً فنياً ببعثة الشرق الأوسط ، ورئيساً لبعثة اليونسكو فى الدول العربية . ومن هؤلاء السياسيين الأمريكيين الذين شاركوا بجوئهم فى هذا المؤتمر الإسلامى كذلك الدكتور نبيه فارس الذى كان رئيساً للقسم العربى بإدارة المخابرات الحربية بمدينة يورك (وقد كان رئيساً لقسم التاريخ بالجامعة الأمريكية ببيروت) ، والدكتور تشارلز ماثير عضو قسم البحوث بشركة البترول العربية الأمريكية بالظهران ، الذى كان ملحقاً للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية فى القاهرة .

على أن نظرة سريعة إلى أسماء الباحثين الذين صدر بهم الكتاب تسكنى لملاحظة أن الأمريكيين منهم قد اختيروا ممن قضوا وقتاً فى الشرق الإسلامى ، وبينهم عدد كبير ممن تولى التدريس فى الجامعة الأمريكية فى بيروت أو فى القاهرة . أما المسلمون فكثير منهم أمريكيو الثقافة ممن تلقوا دراستهم فى فرع الجامعة الأمريكية السابقين ، أو ممن أتموا دراستهم الجامعية فى الولايات المتحدة نفسها ، وبعضهم قد اختير لما يتوسم فيه من القدرة على توجيه التفكير فى بلده ، كأن يكون أستاذاً فى إحدى جامعات البلاد الإسلامية ، أو وزيراً للمعارف فى إحدى هذه البلاد ، أو رئيساً لإحدى الصحف بها . أما النذر القليل من الباحثين المسلمين الذين تبدو النزاهة فيما ألقوا من بحوث فقد استجلبوا لستر أهداف المؤتمر ، ليكونوا كنماذج البائع الغشاش التى يغطى بها بضاعته الفاسدة لبوهم المشتري أن كل بضاعته من ذاك النوع الجيد ، وليكونوا هم العسل الذى يستعان به على إخفاء مرارة الأباطيل ، والدسم الذى يخفى ما حشى به المؤتمر من سموم . على أن هؤلاء الأبرياء ممن تتصف بجوئهم بالنزاهة لم تخل كلماتهم من بعض الانحراف . فالأستاذ مصطفى الزرقا - وهو أحد القلائل الذين يتوسم القارئ خلال بحثهم الإخلاص - قد شغل نفسه بتبرير الأساليب العصرية السائدة مما يخالف الشريعة الإسلامية مخالفة صريحة . فأخذ ينتحل لها الأعذار ويخترع الحيل لتخريجها ، مثل ما تجده فى ص ١٥٦-١٥٩ فى كلامه عن الحدود وعن الربا . والواقع أن الناظر فى بحث الأستاذ الزرقا يحس من خلاله روحه الإسلامية المخلصة التى تحاول أن تبرز مزايا الشريعة الإسلامية وتحببها إلى قلوب النافرين

منها ، ولكنّه وقع فيما لا بد أن يقع فيه عند ما يلقى بحثه في مؤتمر غربي يتهم الشريعة الإسلامية بالجمود . فهو يحاول - عن حسن قصد - أن يشرح لهم مزايا الشريعة الإسلامية ويوضح لهم ما تنطوى عليه من إمكانيات . وطبيعي في مثل هذه الحالة أن يشرحها من الزوايا التي تلائم العقل الغربي المعاصر ، وأن يميل بقيمتها إلى أقصى ما تحتمله النصوص نحو القيم الغربية ، وبذلك يقع في الأحمولة التي دبرها له ولأمثاله الغربيون . فهو في سبيل دفع تهمة الجمود التي يلصقها الغربيون بالشريعة ينحرف إلى أقصى الطرف المناقض في بيان ما تنطوى عليه الشريعة من مرونة التطبيق حتى يباغ بهذه المرونة حد الميوعة وانعدام الذات والمقومات ، التي تجعلها صالحة لأن تكون ذيلًا لأي نظام وتبعًا للأنواء ، وبذلك ينتهي إلى إلغاء وظيفة الدين ، لأنه بدلا من أن يقوم عوج الحياة بنصوص الشريعة يحتمل على نصوص الشريعة حتى يبرر بها عوج الحياة المعاصرة ، وذلك واضح فيما ساقه في ختام بحثه (ص ١٦٠) عن لجنة القانون المدني المصري الجديد ، وعن تخريج الأوضاع الاقتصادية السائدة على أسس الفقه الإسلامي .

ومن الطبيعي أن يرد على الذهن في صدد هذه البحوث الأمريكية كثير من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة تشفي قلق النفوس ، من العالمين ببواطن الأمور . فالمسلمون من أعضاء المؤتمر يشغلون مناصب خطيرة : فيهم الوزير ، وفيهم السفير ، وفيهم الأستاذ الجامعي . وقد سافر بعض هؤلاء من أقصى المشرق (في أندونيسيا مثلا) إلى أقصى المغرب (في أمريكا) . وأقام هؤلاء في أمريكا بضعة شهور يتنقلون بين ربوع الولايات المتحدة .

ولا شك أن هذه الأسفار ، لمن هم في مثل مستوى الأعضاء المدعوين ، قد تكلفت نفقات طائلة ، يضاف إليها نفقات الإقامة الباهظة ، والحفلات والولائم التي لا بد أن تكون قد أقيمت في كثير من المناسبات ، وما دفع إلى كثير منهم من أجور سخية عن البحوث والمحاضرات التي ألقوها خلال إقامتهم وتطوافهم . إذا نظر القارئ في كل هذا ، أليس من الطبيعي أن يسأل : لأي هدف تنفق هذه الأموال ؟ وإذا لاحظ القارئ أن كل هذه البحوث تعالج مسائل إسلامية لا تعنى إلا المسلمين - وإن آخر ما يرد على البال أن يكون المقصود بهذه الجهود الأمريكية هو لخص الإسلام ، تمهيدا للنظر في اختياره دينًا رسميًا للولايات المتحدة الأمريكية - أليس من الطبيعي أن يسأل : ما دخل القسس الأمريكيين والدبلوماسيين الأمريكيين في مشاكل الإسلام ؟

وإلى أن يقدم لنا العليمون ببواطن الأمور إجابة شافية عن هذين السؤالين ، لا بأس من أن نحاول نحن تلمس إجابة من بين سطور الكتاب .

فن الأهداف الواضحة في هذا المؤتمر العمل على إيجاد ألوان من الروابط والعلاقات - باسم الصداقة والتعاون - تحمى المصالح الأمريكية في البلاد الإسلامية من ناحية ، وتستغل في تأليب شعوبها على روسيا من ناحية أخرى . يجد القارئ هذه الظاهرة شائعة في الكتاب كله من أوله إلى آخره . يجدها في التمهيد الذى كتبه الدكتور بايارد دودج مدير الجامعة الأمريكية السابق في بيروت ، حين يشير إلى أن العلاقة بين المسيحية والإسلام كانت علاقة عدا ، وأن عليهما الآن أن يتحدا ليواجها المادية التى تحاول هدم الاعتقاد في القيم الروحية (ص ١٦) . ويجده في كلمة الدكتور ميلر بروز حين يتكلم عن القيم الروحية المهتدة بالمادية والذنيوية (ص ٥٣) . ويجده في كلمة الدكتور هارولد سميث عند كلامه عن التفكير الإسلامى الذى (لا يمكن إطلاقاً أن يتفق والجرية الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ ، اللذان يعتبران أساسين في المذهب الماركسى (ص ٧٥) . ويجده في كلام الدكتور جون كرسويل عن اتفاق المدنية الإسلامية والمدنية الغربية في المثل الأخلاقية وفي الطبيعة الأساسية للأشكال الحضارية التى تتخذها (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) . ويجده في كلمة الدكتور كنيث كراج التى تدور حول إبراز عناصر الإلحاد في الفلسفة الشيوعية ، ولفت النظر إلى خطرها وإلى مطامعها التوسعية ، والتقريب في الوقت نفسه بين الإسلام والمسيحية ، وإبراز نقط الاتفاق في تعاليم الديانتين وروحيهما ، والتدرج من ذلك كله إلى اقتراح تعاون الإسلام والمسيحية في درء خطر الشيوعية . (ص ٢٣٠ - ٢٣١) .

ولكن الدعوة إلى هذه الصداقة تتخذ شكلا خطيرا تخطئه اللباقة في إخفاء المطامع الجشعة ، في كلمة الدكتور جون كرسويل المالحق الثقافى السابق في بيروت . فهو يعترف بأخطاء أمريكا وبأخطاء الاستعمار الغربى في العالم الإسلامى ، محاولا أن يبعث الطمأنينة بهذا الاعتراف في نفوس المسلمين . وبعد أن يشير إلى ما تستطيع أمريكا أن تقدمه من مساعدات اقتصادية ، وبعد أن يشير إلى ما يربط الإسلام والغرب من أواصر وما تلتقى عنده مثلتهما من نقاط ، بعد ذلك كله يتجه إلى هدفه ، وهو التنبيه إلى خطورة المطامع الروسية ، واقتراح تنظيم هيئة مشتركة للدفاع عن هذه المنطقة ، مع ما يستلزمه ذلك من (البحث الجاد في العدد والإمكانات العسكرية اسكل دولة من

الدول المتعاقدة . وإذا كانت هذه غير كافية في الحروب الحديثة ، وجب أن تكون هناك مساعدة وتوجيه من جانب الغرب في قيادة الجيوش وتدريبها وإعدادها (ص ٢٠٨ - ٢١٣) .

ومثل هذه المطامع الجشعة واضحة أيضا في كلمة الدكتور تشارلز ماثيوز عضو قسم البحوث بشركة البترول في الظهران ، الذي كان قبل ذلك ملحقا للعلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الأمريكية في القاهرة - وأعجب معي للصدف الغربية التي ساقط أحد رجال وزارة الخارجية الأمريكية للعمل في قسم البحوث بشركة للبترول في قاب الصحراء . وقسم البحوث هذا شئ مرعب تثير أعماله الشكوك وتدعو إلى التساؤل . فهذه الشركة - والمفروض أنها شركة للبترول فحسب - تقوم ، حسب ما قرره هذا الموظف المسئول في كلمته ، ببحوث تاريخية وجغرافية واقتصادية وجيولوجية وطوبوغرافية وطبيعية وقانونية ودينية في جزيرة العرب (ص ٤٦٠) . ويرسم قسم البحوث الخريط لمختلف المواقع ، ويتصل بالناس من مختلف البيئات ، ويمارس هذه الجاسوسية التي تخفى نشاطا حربيا مريبا تحت ستار البحوث العالمية (ص ٤٦٢) . وينتقون في كل مكان من شرق الجزيرة العربية والربع الخالي ، ثم يزعمون أنهم يفعلون ذلك بقصد كتابة تاريخ لشرق بلاد العرب منذ أقدم العصور ، وأن دراستهم قد كشفت عن تشعب البحث ، مما يستغرق وقتا طويلا (ص ٤٧٧) . ألا يذكرنا كل ذلك بالخرائط والبحوث التي كان يقوم بها الجاسوس الإنجليزي المشهور لورانس ، والتي استغلت في الحرب العالمية الأولى ؟ ومع ذلك كله تنتحل الشركة لنفسها صفة غربية حين تزعم أنها مسئولة عن أن تصور للغرب ماذا كان العرب في التاريخ ، ومن هم اليوم ، ومدى أهمية صداقتهم للعالم الغربي « الديمقراطية » (ص ٤٨٠) .

هذا هو بعض ما نقرأه في سطور الكتاب مما ألقى في المؤتمر ، وقد لا يكون فيه خطر كبير ، مادامنا يقظين ، ومادامنا نستطيع الاحتفاظ باستقلالنا الذي يمنعنا أن نكون ذيلا للشرق أو للغرب ، فهو دعاية كالدعايات التي تبذلها كل الدول ، محاولة كسب الرأي العام في مختلف الدول إلى جانبها .

أما الجانب الخطر من أهداف هذا المؤتمر فهو في الجهود المبذولة لهدم الإسلام ، أو تطويره وجعله آلة من آلات الدعاية الأمريكية والغربية ، فهذه الصداقة التي تريد

أمريكا أن تقيمها لتحل محل الصداقات الانجليزية والفرنسية التي تقلص ظلها عن هذه المنطقة ، إنما يقصد بها أن تكون هي الحارس الذي يقوم على حماية مصالحها المتعددة في الشرق ، بما تتضمنه من مواد أولية ومن أسواق ، هذه الصداقة المنشودة تريد أمريكا أن تملأ بها الفراغ الذي أكتثرت من الحديث عنه في هذه الأيام ، والمقصود بهذا الفراغ هو الصداقة التي أقامتها الدولتان الاستعماريتان المحتضرتان - فرنسا وإنجلترا - والتي لا يزال سماستها أحياء يتلبدسون الوسائل إلى الارتزاق على مائدة أمريكا بعد أن طويت مائدة إنجلترا ومائدة فرنسا . هذه الصداقة المنشودة لا تقوم - إن قامت - إلا على أساس من المشاكلة والتفاهم المتبادل ، الذي تلتقي عنده وجهات النظر ، وتتقارب فيه الطباع والأمزجة ، وهذه المشاكلة لا تقوم إلا بتقارب القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وهذه القيم لا تتقارب مادامت الشعوب الإسلامية تعيش على قيم ثابتة تخالف قيم الغرب ، وهي قيم الإسلام فلا بد إذن من أحد حلين : إما أن نحى هذا الإسلام بتشكيك الناس فيه وفي قيمه وفي الأسس التي يستند إليها ، ويحاصر بحيث لا يتجاوز نفوذه المسجد ، وبحيث يفقد سيطرته على مسلك الأفراد في حياتهم الاجتماعية ، وذلك عن طريق إقناع الناس بأن الدين شيء ومشاكل الحياة شيء آخر ، وإما أن يخضع هذا الإسلام للتطور بحيث يصبح أداة لتبرير القيم الغربية ، ولتقريب ما بين الشعوب الإسلامية وبين الغرب ، وهذا الطريق الأخير يكشف عن قوة هائلة لا يغني غناها شيء ، إذا أمكن استخدامها كأداة لتحقيق الأهداف الأمريكية في إقامة علاقة ثابتة من الود والتفاهم [١] . على أن الأسلوب الأول بشقيه - هدم العقيدة من ناحية ، ومحاصرتها من ناحية أخرى - هو أصلح تمهيد لإقناع المسلمين بتطوير قيم الإسلام . فهذا التطوير لا بد - لكي يثمر ثمرته المرجوة - أن يحدث بأيدي المسلمين أنفسهم ، وهم لا يفعلونه إلا إذا ضعف يمينهم بالإسلام . فاعتقدوا أنه يتعارض مع حاجات الحياة من ناحية ، أو تمودوا إهماله وعدم التقيد بالتزام قواعده في شؤون الحياة من ناحية أخرى ، اقتناعا منهم بأن دائرته لا تتجاوز شؤون العبادات ، ولا تتعداها إلى المعاملات .

ونحن نجد صورا من كل هذه الأساليب الهدامة في مقالات الذين شاركوا في هذا المؤتمر .

أما الدعاوى الهدامة التي يقصد بها إضعاف الثقة في الإسلام، تمهيدا للقول بضرورة إعادة النظر فيه وتطويره، فأنت تجددها في مثل مقالة القسيس ميلبروز، حين يطالب بوضع (تجربة الدين) و (تجربة النبوة) والمعجزات والصلاة والحياة الآخرة موضع البحث، وإخضاعها لقواعد علم النفس الحديثة التي تقوم على الحدس، والتي تخضع هي نفسها للتغيير والتبديل. وهو بذلك يجعل التدين مسألة ذوقية وهمية، ليس لها وجود حقيقي في خارج نفس صاحبها الذي يتذوقها (ص ٤٤، ٤٨، ٤٩). بل هو يتناول إلى أبعد من هذا فيتحدث عن أسلوب الله سبحانه وتعالى في العمل، يريد أن يجعله موضع البحث والنظر (ص ٤٩). وتجد هذه الدعاوى الهدامة كذلك فيما يسوقه هذا القسيس من مزاعم لا ترقى لأكثر من منزلة ما يسمونه الفروض العالمية، يسوقها على أنها حقائق ثابتة قد فرغ من صحتها وسلامتها، ويقارن بينها وبين بعض الآيات القرآنية، ليوهم بأن ما جاء به مخالف للواقع، وليرقى من ذلك إلى القول بأن الوحي ينزل بما يلائم الزمان والمكان، ولذا فهو في حاجة إلى المراجعة والتصحيح الدائمين (ص ٤٦ - ٤٧). وتجددها كذلك في مثل ما يزعمه القسيس هارولد سمث من أن جميع الصياغات اللفظية نسبية، ومن ثم فهي غير معصومة، ويجب تعديلها بين حين وآخر (ص ٧٤).

أما محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شؤون العبادات، وإلغائها في المعاملات التي يقوم عليها تنظيم المجتمع، فأنت واجدها في مثل عرض القسيس هارولد سمث الجذاب الخادع لما يسميه (نظرية ضياكوك ألب في فصل الدين عن الدولة). وضياكوك ألب هذا - كما يقول القسيس الأمريكي - هو (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) « ص ٧٠ - ٧٣ ». وتجددها كذلك في مثل قوله في نهاية بحثه (إنه لو أمكن الإبقاء على الصلة بين الدين والدولة، دون أن يؤدي ذلك إلى محافظة متعصبة تجرح وتبطل أى فكرة أو نظرية جديدة، على أساس أنها معارضة للبادئ الدينية المصطلح عليها أو العرف الديني المألوف، ولو أمكن كذلك أن تخلص الصلة بين الدين والدولة من العصبية ومن السياسة الاجتماعية الرجعية، لو أمكن هذا كله لكانت هذه الصلة قوة حقيقية في المجتمع... وفي رأبي أن على المخلصين والوطنيين من قادة المسلمين أن يزنوا أدق الوزن ما لهذا الموضوع وما عليه، قبل أن يبرموا قرارهم في شكل متحجر يصبح من العسير نقضه - ص ٧٧)

محمد محمد حسين

لغويات

استتلف واستتسلف

عرضت في مقال سابق في « لغويات » لصيغة « استتلف » الشائعة في السنة الناس . وكان الأستاذ الجليل الريدي أنسكها إذ لم ترد فيا وقف عليه من المعاجم ، وإنما الوارد فيها استتسلف وتسلف . وذكرت هناك أن « استتلف » جاءت في أساس البلاغة للزخشي فهي لذلك غير منكورة تنتفي عنها هجنة العامية ، وتحل مع أختها في المسكنة .

وقد تفضل الأستاذ الكبير الشيخ القباني فعني بهذا المبحث ، وكتب في هذه المحلة الكريمة (جزء رجب ١٣٧٦) مقالا فيه . وهو يرى أن استتلف تؤدي مالا تؤديه استتسلف وكلتاها صيغة قياسية لا تحتاج إلى سماع ، وقد فاته أن المعنى الذي يؤديه الناس بالاستتلاف يؤدي بالتسلف فيما ورد في القاموس واللسان والمصباح ، فلا يضر اللغة ألا يكون فيها استتلف .

والذي يستحق التعليق والتعقب من بحثه هو أن الصيغ التي تحدث بالزيادة قياسية . وأذكر هنا نبذا من كلامه يبين فيه غرضه وما يراه في هذا المقام : « والذي ألاحظه على الأستاذين الفاضلين الريدي والنجار أن كلا من استتلف واستتسلف صواب في موضعه ، وأن استتلف غير استتسلف ، مثل اقترض واستقرض . فعني الأولى أنه أخذ قرضه وأخذ سلفة ، وأما الصيغة الثانية ذات السين والتاء فعناها : طلب سلفة وطلب قرضة . فصيغة افتعل صحيحة في بابها ، وصيغة استتلف كذلك صحيحة في بابها قياسية كل منهما في معناها فلا نصوب واحدة بأخرى ، لأن الصيغتين لم يردا معنى واحد حتى نصحح واحدة ونخطئ الأخرى ، بل هما صيغتان صرفيتان لمعنيين مختلفين متقاربين » .

فانظر كيف يرى الأستاذ أن صيغتي الافتعال والاستفعال قياسيتان أي أنهما لا تحتاجان إلى سماع عن العرب ، وعلماء العربية يرون غير هذا . فالرضي في شرح الشافية ١ / ٨٤ يقول : « والأغلب في هذه الأبواب ألا تنحصر الزيادة في معنى ، بل تجيء لمعان على

البذل ؛ كالمهزة في أفعل تفيد النقل والتعريض وصيرورة الشيء ذا كذا . وكذا فَعَلَّ وغيره . وليست هذه الزيادات قياساً مطرداً ، فليس لك أن تقول مثلاً في ظرف : أظرف . وفي نصر : أنصر . ولهذا رد على الأخفش في قياس أظن وأحسب وأخال على أعلم وأرى . وكذا لا تقول : نصّر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الأبواب ، بل يحتاج في كل باب إلى سماع اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما أن لفظ أذهب وأدخل يحتاج فيه إلى السماع ، فكذا معناه الذي هو النقل مثلاً . فليس لك أن تستعمل أذهب بمعنى أزال الذهاب أو عرّض للذهاب أو نحو ذلك . ويقول ابن جماعة في حاشيته على شرح الجاربردى للشافعية : في الكتابة على قول ابن الحاجب : وأفعل للتعدية ... « واعلم أن المعاني المذكورة لهذا البناء وغيره مما سيأتى يسمع ويحفظ ، وليس شيء منها مطرداً ، وهو نظر لغوى » . وقد بحث المجمع اللغوى بالقاهرة قياسية بعض الصيغ في حدود وقبود ، ولا أعلم أحداً أطلق الأمر فيها ، كما يرى الأستاذ القباني .

وقد جاء في كلام الأستاذ : « كما أن المعاجم إذا أهملت ذكر بعض الصيغ في مادة لا يقتضى ذلك أن الصيغ القياسية الصرفية التي أهملت ذكرها لا تكون صحيحة في ذاتها لعدم ذكر المعاجم لها . وإلا لما كان هناك حاجة إلى علم الصرف وقواعده » . وهذا كلام حق فالصيغ القياسية لا تتوقف صحتها على ورودها في المعاجم ، وهذه الصيغ كأسماء الفاعلين والمصادر القياسية ، وتأنيت ما ورد مذكراً من الأوصاف ، فأما صيغ الأفعال الناشئة بالزيادة على الثلاثي كالافتعال والتفعل فليست قياسية كما سبق لك ، فلا يعتمد شيء منها إلا إذا ورد به السماع ، خلا ما ترخص فيه المجمع اللغوى وما أجازته بعض النحويين كالتعدية بالهمزة أو التضعيف ، وليس هذا موطن ذكره .

وكنت قد عرضت في بحثي السالف لما جاء في مستدرك التساج : « استلف من أعرابي بكرا » وقلت : إن استلف فيه محرفة عن استسلف كما ورد في النهاية التي هي مصدر التساج ، والمسألة مسألة رواية ، فردّ الأستاذ القباني أن كلتا العبارتين صواب ، وقد علمت أن العبارتين لا تستويان في السداد والصواب إلا إذا استونا في السماع عن العرب ، وأن البحث في الرواية ، فكان عليه أن يتحرى ورود استلف وصحتها .

وورد في أثناء كلام الأستاذ كلمتا قرضة وسلفة للال المأخوذ قرضاً أو سلفاً ولم أقف عليهما في اللغة . وورد فيه هذه العبارة : « لأن الصيغتين لم يردا لمعنى واحد »

وأحسب أن الصواب : « تردا » ومجازه أن تؤول الصيغتان باللفظين ، وإذا استساغ العربي أن يقول : جاءته كتابي يريد رسالتى ساغ لنا هذا التأويل ، وإن لم يكن لنا ما للعرب ، والخطب - كما يقولون - سهل . والله الموفق للسداد .

محمد بن محمود

يكثر هذا في أعلام إخواننا في شمالي إفريقيا . فسلطان مراکش هو محمد بن يوسف وتسمع : محمد بن عبود بكسر الباء . وهذا تحريف تأباه العربية . وهو خطأ قديم نبه عليه ابن كمال باشا مفتى القسطنطينية المتوفى سنة ٩٤٠ هـ . فقد جاء في رسالته (التنبيه على أغلاط الجاهل والنبیه) : « ومنها (الابن) . يقطعون ما قبل الابن الواقع بين العالمين عنه ، ويكسرون باء مبتدئين بها ، ويسكنون آخره ، فيقولون : أحمد بن محمد مثلاً . وقد شاع هذا بين الناس حتى كاد لا يتحاشى عنه الخاصة أيضا لاعتیاد الألسن له . والوجه الوصل ؛ إذ لولاه لما سقطت الهمزة » .

وكأن هذه الصيغة في الابن تسربت إلى لسان أهل المغرب من اليهود ؛ وهم هناك كثير ، فن لغتهم العبرية بن في ابن ، ومن ذلك بنيامين ؛ فهو عندهم علم أصله بن يامين أى ابن (١) اليمين . وهو في الأصل علم شقيق يوسف عليه الصلاة والسلام . قيل : سماه أبوه يعقوب عليه الصلاة والسلام إذ كان ابن زوجته راحيل وكانت أثيرة لديه بمنزلة يده اليمينية ، فهذه الصيغة جرت في لسان أهل المغرب ثم انتقلت إلى لسان الترك ، وكانوا على صلة وثيقة بإفريقية .

كويس

يجرى هذا الوصف ومؤنثه كويسة على ألسنة الناس في الوصف بالجودة ونحوها من أوصاف الاستحسان . وهو تصغير كئيس وصف من الكئيس وهو الظرف والعقل . وترى أن عينه ياء فكان الوجه أن يقال : كُيَّيس . ويخرج على مذهب الكوفيين الذين يجيزون قلب الياء في مثل هذا واوا لمكان الضمة قبلها ، فيقولون في تصغير عين : عُوينة وفي تصغير شيخ : سُويخ ، وفي تصغير بيت : بُويت

وترى أن الناس توسعوا في معنى الكيس في كويس ، فأطلقوه على كل معنى يُحمد ويرغب فيه . وهذا التوسع قديم . فقد جاء في الباب التاسع من كتاب الحق والمغفلين لابن الجوزي قصة إمام كان يطيل القراءة في الصلاة ، فذكره الناس ذلك ، وطلبوا منه التخفيف ، فاستجاب فكبر وقرأ الحمد ، ثم فسّر طويلا وصاح بهم ، أئش تقولون في عبس ؟ فلم يكلمه أحد ، إلا شيخ أطول لحية منه وأقل عقلا فانه قال : كيسه ، مرة فيها .

محمد علي النجار

تراث إسلامي

في رجاء إلى باعث القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر

إنه تراث الشاعر الكبير المرحوم أحمد محرم ، في الأدب والشعر ، وفي سبيل الأجداد الإسلامية بخاصة ، هذا التراث الذي التهم من عمره أكثر من نصف قرن ، والتهم من حياته كل ما ظفر به بعض زملائه من رغد العيش ، ومن الأمن والدعة ، ومن المسكنة التي لم يكن لهم إليها من سبيل غير ما غرّف عنه محرم .

لقد تفرد الشاعر بالوفاء لنفسه ووطنه وشعره ودينه حتى آخر نفس في الحياة ، وكان الشاعر الوحيد الذي سبق عجلة الحوادث في مصر بنصف قرن يوم هاجم في قوة وصراحة الملكية والملوك ، وندد بالرتب والألقاب ، فقال في عام ١٩٠٨ :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفا ويزعم أنهم شرفاء
رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء !

ولعل هذا الموقف - وغيره كثير في حياة الشاعر - هو الذي جنّى عليه وعلى شعره ؛ فعاش ومات دون أن يحفل بترائه .

فهل لي أن أقدم على صفحات « الأزهر » إلى قائد الثورة المباركة ، وباعث القومية العربية المظفر ، الرئيس جمال عبد الناصر ، رجائي في أن يتم هذا الفضل على يديه ، حتى تتحقق باذن الله هذه الغاية . إنى أرجو وأؤمل ، والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ما إبراهيم عبد اللطيف نعيم

مضى !

ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ !

زمن الشباب يمر سريعا ، كأنه حلم لذيذ ، تعقبه حقيقة اليقظة ، وهى الرجولة الكاملة ، يزداد فيها المرء خبرة وحسكة ، وسدادا فى رأى ، ومضاء فى العزيمة ، ويلقى نفسه محوطا بكثير من المشاكل والأفكار والأسرار ، تلك التى تزيد رغبة فى كشف غوامضها ، وهتك أسرارها ، ومهارة فى سبر أغوارها ، ثم استكناه كنهها ، والوصول إلى معرفة حقائقها : يدق إحساسه ، وينمو إدراكه ، فيوازن بين أعماله فى نزوات الشباب وبين أعمال الرجال الناضجين السابقين منهم واللاحقين ، وسرعان ما ينجم عن هذه المقارنة احتكاك يقدح زناد فكره ، فيلقى على عقله نورا ، ويدعث فى جسمه نشاطا ، حيث يخوض معمعان الحياة بهمة عالية ، وعزم ثابت ، ويسير وثيدا ، ولكن بخطى متثددة وزينة صوب المجد والسؤدد ، ويدرع بالصبر فى ميدان الجهاد ، ولكن الشعور بالفوز لا يفارق يقينه : يغالب الصعاب فيغلبها ، ويصارع الشدائد فيصرعها ، وما هى إلا أن يقف على أطلال من أنقاضها المتداعية ، وقد أخذته نشوة النصر والظفر - وهل ثمة أشهى من الظفر بعد طول الجهاد - ! يلوّح بكلمات يديه فى الأفق إشارة العظمة الحقة ، التى يستمد مقوماتها من أعماق نفسه ، ويلتجس أسبابها من شغاف قلبه ، ثم تنفجر شفتاه عن ابتسامة الراحة والاطمئنان والاعتداد بالنفس ، ويختلج صدره بكلمة لا يقوى على احتباسها ، يدفعها إلى فيه فتخرج حارة مدوية تشق أجواز الفضاء : هنيئا للصابرين ! وعلى الفور يسمع لحنًا شجيا يملك عليه مشاعره ، ويهز نفسه هذا ، فالتفت يمنة ويسرة ، كأنه يحاول أن يعرف مصدره ، فيستجلى فيه هذه الروعة وذياك الجلال ! ولكن على غير طائل . وإذا بصوت من نفسه يناديه - وفر عليك بحتك ، هذا لحن العصامين يوقعونه على أوتار قلوبهم : -

لنستنهان الصعب أو ندرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر !!

ولعمر الحق ان أكبر مسئولية تقع على المرء ، إنما تكون عند استكمال أسباب الرجولة ، وفي فترة العمر الواقعة بين الشباب والهرم ، إذ تنزاحم عليه الواجبات الخاصة والعامة ، وتنزاع جهوده مطالب الحياة ، وتبجلى أمام عينيه حقيقة هامة لا يستطيع أن يغض طرفه عنها ، وهى أنه - وإن كان رجلاً حراً طليقاً تجاه نفسه - فإنه مقيد تجاه غيره بقيود وقوانين عامة . لا يسوغ له التحلل منها ، ولا انتهاك حرمتها .

وفي غضون تلك المرحلة من العمر تبلغ عواطف المرأة نهاية الارتقاء ، وفي مقدمتها تلك العاطفة الشريفة نحو الحياة الزوجية ، وتكوين أسرة تشكل لبنة في صرح الوطن الشاخص العتيد ! ولا يلبث الزواج أن يثر ثماره الحلوة ، تتدلى من غصون هذه الشجرة المباركة ، زينة وهجة ومسرة للوالدين . نظرة إليها تنسى الناظر آلام نفسه ، وتمسح عن فؤاده آثار الهموم ! يرى الرجل أولاده ينعمشون أمهه ، فيشعر أن كبده هى التى تدب على الأرض ، حيث يردد قول القائل :

وإنما أولادنا يلينا أكبادنا تمشى على الأرض

* * *

ليت شعرى - ألا توجد فى حياة كل رجل أوقات يخطر بباله فيها أن نفسه إنما هى قبس من نور عظيم سام ، وأنه كلما ازداد اقتراباً من قصده ، حيث السمو النفسى ، والكمال الروحى ، والشجاعة الأدبية ، قرب من موطنه الأبدى ، حتى كأنه صار أليف الملائكة ؟ ! .

إن قوة القرينة ، وصلابة الإرادة ، وثبات الرأى ، هى أفضل ما يؤيد الرجل فى مرحلة الرجولة ، ويجهله يدوس الصعوبات والأخطار ، كما يدوس الفتى كومة المهشم إلى طلب ما يمتناه !!

فالإرادة هى التى تجعل الرجل جباراً ، وهى نفسها التى جعلت « خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » مثلين رائعين للشجاعة والبطولة ، ومن « باكون » سابر أغوار الطبيعة ، ومن « بيرون » مؤدب العواطف ، ومن « الشهداء » سادة الموت !!

وإذا ما تنسم الإنسان ذروة الرجولة الكاملة ، وأطل على أحلام الصبا وآمال

الحداثة، يراها مسرعة في التوارى عن الأنظار ، كما تتوارى الأشباح ، فلا يعود يرى لها أثرا ، ولا يسمع صوتا ، وتنسيه مسرات المعيشة البيئية مرارة فراق أحلام لذينة مضت مع يقظة الإغفاء !

وعلى هذا الحال يدرج الرجل من الرجولة إلى الشيخوخة ، وهو يردد كلمة «مضى» ! تلك التي حوت كل معاني الحكمة والفلسفة ، ينتقل من طوره الأول إلى الثاني ، كما ينتقل شبح الخريف الجميل بخطوات متناقلة ، ليسقط في ضريح الشتاء البارد !

مضى ! ما الذى مضى ؟ بل ما هو الذى لم يمض ؟ أجل ! إن في هذه الكلمة عوالم من المعانى لا يحجل بعقل أن يتغافل عنها مهما جمحت مشاكه ، وتنوعت شواغله !

مضى زمن الطفولة العذب ، وتبعه زمن الحداثة بنضارته ومسرته ، وصحته ولطوه ، وأسباب نعيمه وأنسه ! مضى ومضت معه ابتساماته التي كانت كلوحة من برق السماء ! ومضت معه أيضا كل دموعه التي تقطرت من كؤوس أفراح الحداثة !

مضى زمن الصبا والشباب بكل آماله وأحلامه ، ومضت أعوامه التي كانت تعد كاللآلئ والدرر !

مضى زمن الرجولة بكل ما فيه من قوة العزم وروح الإقدام ! ودب اليأس والتراخي إلى القلب فأوهنه ، وسرت عوامل الانحلال في الجسم ، فاحسودب الظهر ، وتجمد الوجه ، وصار يحكي لوحة سجلت أحداث الزمن حينما من الدهر ، وزاغ البصر ، وتلاشت أسباب البطولة ، ولم يعد هذا الجسم النحيل يقوى على النهوض إلى العلاء ، حيث الطريق أصبح متحدرا ، يهبط فيه إلى أسفل الأكمة ، ولا مناص من مواصلة السير انحدارا ! وقد لاحت جموع الشيب في الرأس تضحك شامخة من هذا الأسد الهزيل ، الذي خفت صوته ، بعد زئير يهيم الآذان ، وبعد أن كان يملأ الدنيا حركة ونشاطا !!

مضى وتوارى ذلك الجيش الجرار ، جيش الأسابيع والأشهر والسنين الذهبية !

مضى أصحاب الرأي ، وأهل الفضل ، ومن كانوا يؤازرون الضعيف ، ويوادون الفقير ، ومن كانوا مفخرة الزمان ، وعقد الجمان في جيد الأيام ! ذهب الواحد منهم على

أثر أخيه في سفر طويل ، وسيفتفى أثرهم أبناء هذا العالم مكرهين لا طائعين ، وما الحياة الدنيا إلا كالكرة الهوائية التي تنشأ فقايع الماء ، لا تستكمل استدارتها حتى تنفجر !

مضى مضاء الفكر ، وأصبح يضطرب كالشمعة قبل أن تنطفئ ! ومضى زمن الصبا ، ولن تفلح الذاكرة في إعادة طيفه إلا لما !

كل هذا قد مضى ، ولم يبق إلا الحسرة تحز في النفس ، وتغص في الحلق !
نعم قد مضى كثير ، ولكن مهما يمضى من الحياة وأفراحها فلن ينتابها الفقر ، لأن مستودعها غنى لا يفرغ ، ومعينها غزير لا ينضب . فإذا كان الكثير قد مضى فالباقى أكثر . ولئن كانت أحلام الحداثة والصبا والرجولة قد اندثرت ، فلا تزال أحلام الشيخوخة باقية . أليس هذا الشيخ يجلس في هدوء وحكمة ، ومن حوله أسرته وأهله ، حيث يرى صورته في أولاده وأحفاده ، الذين يبدأون نفس المرحلة التي اجتازها قبلهم ؟ !
أليس يرى في شيخوخته عرائس أفكاره التي تمخضت بها ذاكرته ، فيجد في نفسه قناعة عن العالم الذى يزايه قريبا ، وشوقا إلى العالم الذى يسير إليه وتيدا ؟ !

على أن الشيخوخة المثقلة بمتاعب السنين ، المكمل جبينها بشرف الجهاد والانتصار فيه ، والتي كان يجب أن تأخذ قسطها من الراحة والهدوء بعد هذا العناء الطويل ، لا تتجو من تحمل الآلام : فان الهموم والمصائب والأحزان من جملة الميراث الذى ينتهى إلينا ، خلفا عن سلف ، فإذا لم تداهمنا فى ربيع العمر أو صيفه ، فلا مناص من أن تنسخ علينا بكلها فى خريفه أو شتائه !

ولا غرو ، فهى الضريبة التى يجب أن تدفعها البشرية ، فى مقابل مسرات الحياة وملذاتها ! ولا بد من الموازنة ، فان للطبيعة موازين عادلة جدا . وإذا هبت الريح من الشرق ، فعلى أثرها تهب الأخرى من الغرب . وكل ابتسامة تولدها مسرة ، لها ما يقابلها من دمة تولدها أحزان !

هى الأمور كما شاهدها دول من سره زمن ساءته أزمان ! !

محمود إبراهيم طيره

خالد بن الوليد

بعد عهد النبوة الكريم

كان خالد بن الوليد منذ دخل الإسلام سيف الله المسلول على أعدائه ، يضعه سبحانه حيث يشاء ، فلا يؤوب إلا بما يرضى الله ورسوله والإسلام .

ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، فكان أول ما منى به الإسلام تلك الردة المشئومة ومنع الزكاة ، ولكن الخليفة حامى الإسلام وصاحب اليد الطولى في حفظ كيانه أبا بكر الصديق لم تأخذه هوادة في الغلظة على هؤلاء الذين شاقوا الله من بعد ما تبين لهم الهدى واتبعوا غير سبيل المؤمنين حتى رد الله سبحانه للإسلام كرامته ومنحه الخلود .

وكان خير عضد له في الجهاد خالد بن الوليد الذي تبن فيه نظرات الرسول صلى الله عليه وسلم واستن فيه سنته ، فكان جلدة بين العين والأنف له [١] ، وكان عضده وساعده يرمى به ذات اليمين وذات الشمال فيقضى به على كل جبار عنيد .

المرتدون ومانعو الزكاة

ثلاث جهات كانت أخطر شيء على الإسلام لو تركت وشانها ، أوتهاون المسلمون في أمرها . فلولاً أبو بكر ومواقفه لعاد الناس إلى جاهلية ، ولقضى على الإسلام ، وهى موقفه من طليحة الأسدى وقومه ، ومالك بن نويرة وجماعته ، ومسيلمة الكذاب .

فأما طليحة الأسدى فقد كان رجلاً من بنى أسد تنبأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع حين علم بمرض النبي صلى الله عليه وسلم ، فطمع أن يكون نبياً بعده ، وتبعه كثير من أسد وعيس وذبيان .

توجه خالد بجيشه حيث وجهه الصديق إلى ذلك المعتدى الأثيم ومن تبعه ، ودارت الحرب على قتال شديد عنيف استبدلت فيه تلك القبائل حتى كادت توقع بجيش المسلمين الذى يكثر فيه قوم دخلوا في الإسلام بطاء ، وقد لايعنيهم أمر الإسلام كما يعنى كبار الصحابة الأولين ، من الأنصار والمهاجرين ، ولكن خالداً المؤمن الصادق رعى بنفسه بين أحضان

[١] يراد بهذا التعبير رمايته له ومحاظنته عليه كالجلدة التى بين العين والأنف .

الأهوال ، واستصرخ جند الله لانقاذ دين الله ، فأنزل الله عليه وعليهم سكينته وأيدهم بنصره فظهر كذب طليحة وخذله شيطانه وفر من الميدان ، ثم نكل خالد بكل معتد ممن حوله ومثل بهم كما كانوا يمثلون بالمسلمين .

على أن طليحة رحمه الله أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى مات شهيدا في حروب الفرس ، وأقام خالد بعد ذلك يتبع بقايا الرجس يأخذ الصدقات ويدعو إلى الله على بصيرة .

وأما مالك بن نويرة : فقد كان رجلا من تميم ، وكانوا قد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فأسلموا ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فلما توفي النبي صلوات الله عليه وعلى آله منع الزكاة وخرج على الإسلام وقال شعرا يعجو فيه المسلمين ويظهر عدم مبالاة بهم .

فلما فرغ خالد من أمر طليحة سار إليه فنزل بمكان يقال له البطاح ، ولكن مالكا فرق قومه ولم يعي جيشا ، فبث خالد سراياه فيهم ، وأمرهم بدعوتهم إلى الإسلام وإحضار من لم يجب وقتل من امتنع .

ثم جاءت السرايا بمالك في نفر من قومه بنى ثعلبة ، وشهد بعض الصحابة بأنهم أذنوا ، وقال بعضهم إنهم لم يؤذنوا ، فلعل أصواتا اختلطت عليهم .

ومهما يكن فقد أمر خالد بهم فحبسوا ، ثم بعث مناديا ينادى : دافئوا أسراكم ، كان ذلك في ليلة شديدة البرد ، ولكن الله إذا أراد شيئا كان ، فقد ثبت أن المدافاة في لغة كنانة القتل ! وقتل الأسرى وفيهم مالك بن نويرة ، وغضب بعض كبار الصحابة لذلك التصرف ممن شهدوا بأنهم مسلمون لأنهم أذنوا ، وأبلغوا الأمر إلى الخليفة ، واستدعى الخليفة خالدا واعتذر إليه بالخطأ في القتل .

وقد تناول الناس في هذا المقام مسألة وهي أن خالدا تزوج امرأة مالك بعد قتله ، ولكن كيف ذلك ؟ وهو لا يزال في قتال يصرف كل إنسان عن أخص شئونه ، وقد تحوم الشبهة حوله ، ولا سيما عند من جزموا بأن مالكا رجع إلى الإسلام .

والفصل في ذلك أن سيف الله غير مؤاخذ إلا من جهة أنه كان الأولي أن لا يسارع إلى الزواج في تلك الحال ولهذا أمره أبو بكر بطلاقها .

فأما من زعم أن خالدا لم يقتل مالكا إلا لجمال امرأته حتى يتزوجها فن أعظم

الفرى ، ألا ترى أنه لو كان هذا المعنى الذى يوهن العزم قائماً فى نفس خالد ما فتح الله له كل هذا الفتوح ، ولافتتن بنساء الفرس أو الروم ، ولعرف له معهن شىء من الصبوة ولو شاء قائل أن يقول إنه تزوجها بعد قتل زوجها جبراً لكسرهما بفقد هذا الزعيم الذى لا تعوضه لكان قولاً حسناً مقبولاً .

وأما مسيامة السكذاب فقد كان من بنى حنيفة الذين وفدوا أيضاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام وخلفوا مسيامة فى رحالهم لحفظ ظهرهم ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم كواحد منهم ، فلما رجعوا إليه ادعى النبوة ، وأحل بعض المحرمات ، ووضع بعض المفروضات فاتبعوه وظاهروه . ولما توفى النبي صلى الله عليه وسلم عظم خطره واستشرى فساد وكثر أتباعه ، فأرسل إليه أبو بكر رضى الله عنه خالداً بعد أن قاتله جيشان من المسلمين فانهزما ، لأن بنى حنيفة قوم أولو بسالة خارقة حتى قالوا لغيرهم المعنيون بقوله تعالى : « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » وهم كانوا يقاتلون فى بلادهم التى هم أعلم بشعابها وطرقها ولم تنهكهم الحرب كما نهكت المسلمين .

خرج إليه مسيامة فى أربعين ألف مقاتل من أولئك الجبارين ، فنظم خالد الجيش تنظيمًا محكمًا ، واستعان الله سبحانه واستنصره بما عوده ، والتجّم الجيشان واشتد القتال ثم خرج خالد بنفسه ودعا إلى البراز ، فكان لا يبرز أحد إلا قتله ثم طلب مسيامة نفسه حتى لا يطول أمد الحرب واحتمال لقتله ثم أعمل المسلمون السيف فى هؤلاء الجبارين حتى قتلوا منهم نحوًا من واحد وعشرين ألفًا ، وكان عدد القتلى من المسلمين يبلغ ألفًا ومائتين فيهم كثير من القراء وكبار الصحابة ، وكان فضل الله على المسلمين عظيمًا بهزيمة هؤلاء المجرمين وخضد شوكتهم فقد كانوا من أسوأ الخطر .

وأما البطل الفاتح فقد أقام يصالح أمر المسلمين بواد من أودية اليمامة حتى أتاه أمر الخليفة بالتوجه لفتح العراق .

غزو الفرس

قد يطول بنا القول إذا نحن حاولنا أن نشرح ما قام به خالد فى فتح العراق وما جرى له تفصيلًا وما صنع القدر له من الأعاجيب ، ولكن لا بد من الإشارة إليه إجمالاً حتى تتصل حلقات التاريخ . وحسبك أن تعلم أنه استطاع فى زمن وجيز أن يتوغل فى تلك البلاد ويجوس خلالها بعد أن قطع لها طرقاً لا يقطعها الخريّت حتى ينقطع ويهلك ، وهى طرق لم تكن مسلوكة ولا جراً لأحد على السير فيها لعدم الماء ، ولكنه احتال

بما أراه الله أيضا حتى وصل إلى جيوش الفرس وما أكثر عددهم وما أفنك عددهم ،
فصار يهزمهم هزائم تلو هزائم حتى وصل إلى صاحبه عياض بن غنم الذي سيره أبو بكر
من الجانب الآخر ، وانتهى الأمر في ذلك الزمن الوجيز بهزيمة الفرس هزيمة منكرة .
ومن الفرس ؟ لقد كانوا ينظرون إلى العرب نظرة السادة إلى العبيد ، وينظر العرب
إليهم منذ عهد الجاهلية نظرة العبيد إلى السادة يترأءونهم كما تترأى السكواكب
في السماء . فالفوارق كثيرة أى كثيرة ، والمميزات خطيرة أى خطيرة ، فقد أوتى الفرس
من الإمكانيات والمادة والحضارة والمعرفة ما يجعلهم يستخدمون كل شيء ويتمتعون بكل
بشكل شيء كما يستخدم الأوروبيون ومن على شاكلتهم اليوم كل شيء وينتفعون بكل
شيء حتى بالبدائين من الآدميين .

وهؤلاء الذين كانوا ينظرون إلى العرب تلك النظرات ، وكان العرب ينظرون إليهم
تلك النظرات ، وكان كثير منهم حتى هذه الحرب ينظرون إلى جيش المسلمين وهم في
طعامهم ما يتحفزون لهم ولا يبالون بمقدمهم لما في نفوسهم من الماضي القديم .

وهؤلاء الفرس الذين لم يتبينوا ما صنع الإسلام بأهله ، وما رفع من مستوى
المستمسكين به ، منذ وجههم إلى النفس الناطقة وتركيتها ، والروح العلوية ومزاياها
وخاصتها ، فأمنوا بالله ورسوله ، وعرفوا معاني الإحسان والفضائل ، وعشقوا معالي
الأمر ، فاحتقروا المادة وكل ما يحف بها إلا وجه الله وما والاه وعالمها أو متعلما .

وهؤلاء الفرس وهؤلاء العرب هم الذين اقتتلوا فانتصر العرب في زمن وجيز ، نصرهم
الإسلام والتمسك بتعاليمه ، والإيمان بالله والاعتزاز به والتعلق بأسبابه ، « وكان حقا
علينا نصر المؤمنين » .

والروم أيضا !

فقد كان أبو بكر رضى الله عنه جنود الجنود لغزو الروم ، وفي أثناء فتح العراق ،
فعقد الأولوية لأربعة من كبار الصحابة وأرباب القيادة : يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل
ابن حسنة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ولسكنهم وجدوا جيوشا كنجح
الليل وعددا لا قبل لهم بها إلا أن يتدراكهم الله برحمته . فكتبوا بالأمر لأبي بكر
رضوان الله عليه ، فقال أبو بكر : خالد لها والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد
ابن الوليد ، فكتب إلى خالد أثناء مقامه بالحيرة من أرض الفرس أن يسير إلى الشام

لإغاثة المسلمين ويخلفه على العراق المثنى بن حارثة ، فما اعتذر بطول جهاده ولا كثرة عنائه في جلاده ، وإنما كان الجندى المطيع الذى يلتمس اليمن والبركة والتوفيق والنصرة في طاعة رئيسه الإمام العادل ، وكان جيش القوم الكافرين يبلغ مائتين وأربعين ألفا مقابل أربعين ألفا فقط من المسلمين ، ولكن الله يمين على من يشاء من عباده .

كان ما لقيه خالد في طريقه إلى الروم مما يكاد يدخل في حدود الخرافات ، لولا تطابق الروايات وصدق النتائج . وكل ذلك مما يدل على أن التدين جدير أن يأتي بالعجائب التى يدخرها الله لمن أحبه من عباده المؤمنين فكان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها .

وكان لا بد لخالد من أن يظهر الطريق الذى يسير فيه من كل عدو حتى يسير في أمن منذ خروجه من العراق إلى دخوله أرض الشام ، وهذا أيضا بمجهود عبقرى ، ثم كان أن نازلت جيوش المسلمين جيوش الأعداء في كفالة الله وكفالة سيف الله حتى ألجأوهم إلى خنادقهم التى لزموها شهرا عكف القيسيون فيه على وعظهم وإنذارهم بفناء النصرانية ، على أنهم خرجوا من خنادقهم في تعبئاتهم التى لم تعرفها العرب ليعودوا إلى قبورهم موتى ثم إلى جهنم وساءت مصيرا .

لقد التحم الجيشان ونحست الألسنة وصمت الآذان إلا من قعقعة السيوف وزئير الفرسان ، مما دعا إلى خروج قائد القلب من الروم إلى خالد ، ثم دخوله في الإسلام لما أدهشه من العجائب ، ثم اقتتلوا نهارا فلم يطلع الصبح بعد ليلته حتى كان خالد في رواق رئيس الروم ، بقدرة الحى القيوم لا إله إلا هو . وأصاب المسلمون كل ما في معسكر القوم ، واستشهد من المسلمين نحو ثمانية آلاف . وكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الشرق والإسلام ، فقد ظهر بعدها سلطانه وتتابعت فتوحاته ، وفي أثنائها ورد البريد بوفاة الصديق ، وخلافة الفاروق .

ثم عزل الفاروق خالدا من إمرة الجيش وقد سمع لأمره ونزل على حكمه ، ولم يكن ذلك عن سخط ولا خيانة (كما قال الفاروق نفسه) ولكن خشى أن تفتتن الناس به .

هذا إلى أن مسلك خالد كان يخالف مسلك ابن الخطاب ، فقد كان في خالد ناحية استبداد ، وكان يتصرف دون رجوع إلى أمر الخليفة على أن يخبره بعد ذلك بما فعل ، وعمر رضى الله عنه يحب أن يعرض عليه الأمر قبل أن يقع ولا سيما فيما يتعلق بالأموال ،

ولهذا جاء في الخبر أن عمر كتب إليه ألا يعطى شاة ولا بعيرا إلا بأمره ، فكتب إليه كما كتب إلى الصديق من قبله : إما أن تدعنى وعملى وإلا فشانك وعملك ، وعند ذلك عزله . ولهذا أيضا قيل : إن عمر سمع راجزا يذكر خلادا ، فقال : يرحم الله خلادا . وكان طلحة بن عبيد الله حاضرا فتمثل بهذا البيت :

لا أعرفنك بعد الموت تنديجى وفى حياتى ما زودتنى زادى (١)

فقال عمر ما عتبت على خالد إلا تقدمه وما كان يصنع فى المال .

وبعد - فهذه بعض سيرة خالد لا نسوقها تنويها بخالد ، ولكنها الذكرى بأولئك الغر الميامين ، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لنقول : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولنحاول أن نجد فيهم الأسوة الصالحة حتى نستعيد ماضينا من مجد أراقوا على جوانبه الدم ، ولنطلب الإسلام الصحيح الذى قلب أوضاعهم ، وأوجب سموهم وارتفاعهم ، لا ذلك الإسلام المشوه الذى أضحك العالم منا ، وجعلهم يتداعون علينا . ولتروض أنفسنا بالتمسك بالدين فى توجيهاته وأخلاقه وفى تحقيق ما شرع ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

لقد نصر الله خلادا وأصحاب خالد ، ولقد أيد الله كل من التمس التأييد فى نصرة دينه الحق وفى تحقيق عزرة الإسلام وكرامته وعدم الخضوع لمخلوق كيما كان وفى تعظيم الله وحده واللجوء إلى حماه وكنفه : « من كان يريد العزرة فله العزرة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » .

اللهم اكشف لنا النصر والتأييد ، وحقق لنا المجد والرفعة والسؤدد بالتمسك بالأسوة الصالحة فى نبيك وفى أصحاب نبيك صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . آمين

محمود السراوى

(١) هذا البيت لمبيد بن الأبرص من الشعراء الجاهليين أصحاب المعلقة ، ومنه أنه لا معنى لأن نهمل أمرى فى حياتى ثم تمسكى على وتنديجى بعد مماتى .

الإسلام ومشاكل المجتمع :

ثورة الإسلام على الفقر واحتكار الأموال

تمثل خطة الإسلام : في مكافحة الفقر واحتكار الأموال في موقفين بارزين : موقف الدفاع ، وموقف الهجوم ، وترمي خطة الدفاع إلى حماية الفرد والمجتمع من غوائل الفقر الذي ينتاب الأفراد والجماعات نتيجة لأسباب كسبية تدخل في نطاق التصرف الإنساني ، وتخضع لمسئولية السلوك والفعل الاختياري مثل القعود عن العمل مع القدرة عليه فإنه يؤدي إلى الحاجة ، ومثل الإسراف وسوء التدبير فإنه يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس ، ومثل الربا فإنه يجر إلى إعواز بعض الناس وإثراء البعض الآخر حيث ينصب به بعض الناس جهود بعض ، وهكذا .

وتجلى هذه الخطة - خطة الدفاع - في مظهرين : مظهر الدفاع لصد عدوان الفقر الذي يغتال بعض الأفراد نتيجة لإهمالهم وسوء تصرفهم من غير أن يشاركونهم أحد في جري ولائه عليهم : أي نتيجة لأسباب شخصية ليس لأحد سوى أصحابه أثر فيها ، ومظهر الدفاع لدرء أخطار الفقر الذي يحتاج بعض الناس نتيجة لأسباب جماعية تقوم على اكتناف بعض جهات المجتمع : مثل الربا ، والغش في التجارة ، والتطفيف في السكيل والوزن ، واحتكار السلع والأقوات لبيعها في السوق السوداء بسعر أعلى من السعر الذي يجب أن تباع به ، ونحو ذلك مما يترتب عليه تركيز الثروة في يد بعض الأفراد واجتياح الفقر والفاقة للجم الغفير من الناس .

أما خطة الهجوم : فإنها مركزة ضد الفقر الذي يسيطر على المجتمع أو بعضه نتيجة لأسباب طبيعية لا أثر فيها لعمل الفرد ولا لعمل المجتمع كالزمانة والعجز عن الكسب ، والزلازل ، والبراكين ، والآفات الزراعية ، ونحو ذلك مما يفتك بأقوات الناس ويعرض حياتهم للضياع ولا أثر فيه لعمل الإنسان مطلقا . وذلك أن الإسلام تتبع أسباب الفقر وأعد لكل منها من وسائل الكفاح ما يناسبه وضعا للدواء في موضعه ، وحسنا للشر من منبهه .

وتقوم المقاومة في خط الدفاع الأول على الوسائل الآتية وهي : —

محاربة البطالة — وتحريم الإسراف وإضاعة المال فيما لا يفيد — والحجر على السفهاء في أموالهم — والتجيب في الغنى والتنفير من الفقر ، وذلك أن مواطن الخطر في هذا الخط هي : —

البطالة — وسوء التدبير — وعدم أهلية التصرف ، والعزوف عن الدنيا باسم الدين والزهد ودعوة التقرب إلى الله تعالى : فأقام الإسلام أمام هذه المخاطر وسائل الدفاع السابقة ليسد على عدو الإنسانية الأول طريقه الأول الذي قد يغير منه على بعض أفراد المجتمع ، وهذا بيان هذه الوسائل .

محاربة البطالة

جاء الإسلام بالدعوة إلى العمل ، ومكافحة البطالة والكسل ، واستخدم لذلك أنجع الوسائل لأن العمل روح الحياة ، وأساس العمران ، وطريق سعادة الأفراد والأمم ، والكسل والقعود مطية الهلاك والخسران .

وقد اعتمد الإسلام في مكافحة البطالة وتسخير جميع القوى للعمل على ما يأتي :

(١) بعث روح النشاط وتشجيع الجهود بأقرار الملكية الفردية ونظام الدرجات وتقرير أن الجزاء على قدر العمل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فهذا من أقوى العوامل في تحريك الهمة ودفع الناس إلى العمل لأنه يلائم الفطرة ، وتدعو له طبيعة الكون ونظام الحياة .

فقد أودع الله في الإنسان ميلا غريزيا يدفعه إلى طلب المال إذ أنه قوام حياته ، والإنسان إذا شعر بأن ما يحصل عليه من المال بطريق العمل يكون مملكا له ينتفع به حال حياته ، وينتقل إلى ورثته وهم أقرب الناس إليه بعد مماته شمر عن ساعد الجد ، وبذل في كفاحه في الحياة أقصى جهد ، وإذا أحس بخلاف ذلك خارت قوته وانهارت عزيمته ، وقد خلق الله الناس متفاوتين في القوى والمواهب ، ومن لوازم ذلك أن يكونوا متفاوتين في الغنى والفقر ليشعر كل منهم بحاجة إلى الآخر ، ويقوم بواجبه في الحياة ، ويسود التعاون الذي هو عماد الحياة ، ومبعث النشاط والنهوض . قال الله تعالى : « نحن

قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون .

فالناس كحروف الهجاء لا تدل على المقاطع والكلمات إلا باختلاف الصور والهيئات بيد أن للتفاوت حدا طبيعيا ينبغي ألا يزيد عنه وإلا كان مدعاة للتناحر ووقوف الأعمال، وإلما يخرج التفاوت بين الناس عن حيز المعقول بالاعتداء على حق الغير وتحصيل الأموال بغير أسبابها المشروعة الصحيحة ، فلذا حدد الإسلام موارد الملكية ، وحرم أكل أموال الناس بالباطل ، وشرع لذلك من الوسائل والقوانين ما يحفظ لكل ذي حق حقه ويكفل مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، ومن هنا يظهر الفرق بين نظام الإسلام وبين الرأسمالية فالإسلام وإن أقر مبدأ الملكية الفردية فإنه حدد موارد الكسب وقيد حرية الفرد بما لا يتعارض مع حرية الغير وحق الغير ، وبهذا تحاشى عيوب النظام الرأسمالى .

(٢) تكوين الباعث الروحى وإثارة الوازع الدينى : فقد حفل الإسلام بالترغيب في العمل وبيان علو منزلته عند الله حتى أكد أن منزلة العامل في سبيل لقمة العيش عند الله لا تقل عن درجة المجاهد في سبيل الله والصائم الذى لا يفطر والقائم الذى لا يفتر ، بل فضل الله السعى في طلب الرزق على الجهاد في بعض الحالات . روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال : أحمى والدك ؟ . قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد . أى اسع عليهما فالسعى عليهما لا يقل عن الجهاد في سبيل الله وأحاديث فضل العمل والحث عليه تملأ كتب السنة .

(٣) قوة السلطان : لم يقصر الإسلام اعتماده في التوجيه إلى العمل على الباعث الطبيعى أو الوازع الدينى بل ضم إلى ذلك وسيلة الفهر والقوة بفعل من سلطة الحاكم القيام بمطاردة العاطلين والمتسولين وتوجيه القوى الصالحة كلها إلى العمل ليؤخذ بقوة السلطان من فسد طبعه ولم يستجب لداعى الحق والإيمان ، وجعل من واجب الدولة أن تفتح أبواب العمل لكل قادر لا يحسد لنفسه عملا يؤديه وبذلك قام بما يشبه - التعبئة العامة إلى العمل وحشد جميع الجهود في ميادين السكفاح والجد توطيدا لدعائم الدولة الإسلامية وأخذنا بناصيتها إلى ذروة المجد والسؤدد : عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه الفاقة ، ثم رجع فقال : يا رسول الله : لقد جئتك من أهل بيت ما أرانى أرجع إليهم حتى يموت بعضهم من الجوع . فقال :

انطلق هل تجد من شيء فانطلق بخاء بحاس وقدح فقال : يا رسول الله هذا المجلس كانوا يفتشون بعضه ويلبسون بعضه ، وهذا القدح كانوا يشربون فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذهما مني بدرهم ؟ فقال رجل أنا يا رسول الله . فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فقال : ههنا لك . قال : فدعا الرجل فقال اشتر فأسا بدرهم وبدرهم طعاما لأهلك . قال ففعل ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انطلق إلى هذا الوادي فلا تدع حاجا ولا شوكا ولا حطبا ولا تأتني خمسة عشر يوما ، فانطلق فأصاب عشرة دراهم ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره . فقال : فانطلق فاشتر بخمسة دراهم طعاما وبخمسة كسوة لأهلك . فقال : يا رسول الله : لقد بارك الله لي فيما أمرتني . فقال : هذا خير من أن تجيء يوم القيامة في وجهك نكتة المسألة : إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذي دم موجه ، أو غرم مقطوع ، أو فقر مدقع - رواه أبو داود والترمذي والنسائي فهذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم - وهو المشرف الأعلى على شؤون الدولة الإسلامية - مع هذا السائل يبين أن من وظيفته أن يحارب البطالة في رعيته بالفعل كما يحاربها بالقول ، ويدل أيضا على أن من واجب الدولة أن تهئ أسباب العمل وتفتح أبوابه أمام كل قادر ، ومن الميادين التي وجه الإسلام أتباعه إليها الهجرة قال الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله فيجد في الأرض مراعغا كثيرا وسعة » . ومنها إحياء الموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله وتوكل عليه كان حقا على الله أن يعينه ويبارك له » . إلى غير ذلك من أبواب السعي التي فتحتها الإسلام في وجه أصحابه ، وذلك ليقضي على البطالة في جميع صورها ، ولا يكون بين الأمة من يعيش عالة على غيره مع قدرته على العمل حتى لو تزايد الزهاد ولبس مسوح الرهبان ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأرى الرجل فيعجبني فأسأل عنه فإن لم تسكن له حرفه سقط من عيني ، ولاحظ على رجل أنه يطوف بالمنازل كل ليلة يتكفف الناس فضربه بالدرة وحذره من الرجوع إلى السؤال ، وأخرج ما في مخلاته فوضعه لإبل الصدقة ، وقال : إنما أنت تاجر ولست بسائل ، ومن هذا يتضح أن الإسلام قد وضع الحل السديد لمشكلة التسول والبطالة .

وبعد فالإسلام دين السعي والعمل ، لا دين الخمول والكسل كما يقول أعداؤه ، وبه نهض الأولون ، وسادوا جميع الأمم .

محمد الصيمر

المدرس بكلية الشريعة

المثالية الواقعية في الفكرة الدينية

الأخلاق :

الأخلاق تمثل القمة في الفكرة المثالية... وهى الجانب الذى تبدو فيه المثالية رفيعة صامقة حتى يظنها الناس ليست فى طوق البشر ، بل تسمو عن مستواهم كثيرا .

والأخلاق هى التى تحدث عنها فيقال لك : هذه مثالية ! وتعتبر هذه الجملة الصغيرة اليسيرة كانية للاستعفاء من تكاليف الأخلاق... وإسقاطها من الحساب !

والأخلاق هى التى فأسف ميكافلى التملص منها ، وقال : إن الغاية تبرر الوسطة .. فقال ناس : هذه هى الواقعية !

فهل الأخلاق هى هذا البرج العاجى من أحلام الخيال - فى فكرة الدين ومنطق الإسلام ؟

* * *

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [١] هذا مكان الأخلاق فى الإسلام .

لكن بناء الأخلاق فى هذا الدين قائم على أساس واقعى ، ليس فيه شطحات ولا تحليقات فى الخيال . فالأخلاق فيه محددة ، مبينة مفصلة ...

يقول علامة الهند السيد سليمان الندوى : - إننا نجد فى التوراة أحكاما عديدة تتصل بالأخلاق ، منها سبعة تعد أصولا ، وليس فى هذه الأصول السبعة إلا أصل واحد إيجابى وهو الأمر بطاعة الوالدين والبر بهما . أما الستة الأخرى فكلها سلبية وهى النواهى : لا تقتل ، لا تسرق ، لا تزنى ، لا تشهد على جارك شهادة زور ، لا تخادن حليمة جارك ، لا تطمع فى مال جارك ... وبعض هذه الأصول داخل فى بعض ، فهى فى الحقيقة أربعة

[١] وفى رواية « صالح الأخلاق » . قال . السيوطى . رواه البخارى فى الأدب ، والحاكم فى المستدرک ، والبيهقى فى شعب الإيمان . صحيح .

والإنجيل ردّد هذه الأحكام السبعة كما هي في التوراة وزاد عليها الحث على محبة الغير ... أما الإسلام فقد جاء بأحكام كثيرة في المعاشرة وبقوانين مفصلة في المعاملات ، وأفاض فيما كان نهرا حتى جعل منه بحرا « وهو يضرب المثل لتوجيهات القرآن الأخلاقية بما ورد في سورة الإسراء « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ... الآيات ٢٣ : ٣٩ » وفيها خمسة أوامر وخمسة نواه ونضيف إلى ذلك أوصاف المؤمنين في صدر سورة « المؤمنون » وأوصاف عباد الرحمن في سورة « الفرقان » وهكذا ... ونشير إلى ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن « شعب الإيمان » في جملة مواضع أوجزها ما قال فيه « الإيمان الإسلامى بضع وسبعون شعبة ، وقد استقصاها أعلام الإسلام فأروها تدور حول شيئين لا ثالث لهما : الحق ، والخير ، وكل شعبة من شعب الإيمان الإسلامى لا ريب أنها تدخل إما في باب الحق ، أو في باب الخير ، والعمل الصالح هو عمل المؤمن بما هو مؤمن به ، فلا يكون العمل صالحا إلا إذا كان من عمل الحق أو من عمل الخير ، وهذا هو الإسلام » [١] .

والأخلاق في الإسلام فطرية إنسانية :

وليس أدل على ذلك من أنه يسمى الخير معروفا ، والشر منكرا ... فليس في تعاريفه الأخلاقية اعتساف يكذب الأذهان إنها أخلاق مستمدة من طبيعة الناس التي يعلمها منزل الكتاب ، وليست مفروضة فرضا نظريا لا يطابق الحوائج والمجتمعات ... « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب ، وإن أفنك المفنون » [٢] والأخلاق فيه شاملة جامعة .

إن الأخلاق في الإسلام تستوعب كل جوانب السلوك ... فهي أخلاق للفكر تأمر بالتعقل والعلم ، وتنفر من التقليد والتضليل « ... أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ... » ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . « أولو كان آباؤهم لا يعقلون

[١] الرسالة المحمدية ، سليمان الندوى - تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب .

[٢] الأول رواء البغدادى في الأدب للفرد ومسلم والترمذى - صححه السيوطى . الثانى رواء أحمد

حسنه السيوطى .

شيئا ولا يهتدون » ، « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

ثم هناك أخلاق النفس ، وهى أبرز ما تتجه إليه العقول حين تذكر الأخلاق ...

وهنا الأوامر بالصدق والأمانة والإحسان ، والنواهى عن الكذب والخيانة والفساد « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » كذلك هناك أخلاق السلوك ، وهى المعروفة بالآداب العامة وقواعد فيها اللياقة والمجاملة « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » « ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد فصل الإسلام آداب التحية ، والاستئذان ، ومجاملات التهنة والعزاء ... ونهى عن التجسس والغيبة واللمز والتنازب بالألقاب .

فلمست أدرى إذن ، من أين جاءت الصورة التى حددت « الأخلاق الدينية » بأداء الصلوات واجتناب الخمر والميسر ... فحسب حتى كتب من الكتاب من قال بأن الأخلاق الدينية لا تكفى ، أو لعلها لا تصلح مطلقا - كى تكون أساسا لتقدير الأشخاص وتقويم الرجال ...

إن القيام بالشعائر ، واجتناب الخمر والميسر ، من أحكام الإسلام .
لكن ليس معنى هذا أن هذه الأوامر والنواهى وحدها هى الأخلاق الدينية .

إن الرجل قد يصلى عادة ... وقد يجتنب الخمر لأنه لا يستطيع مذاقه ، أو لأنه يضر صحته ... وقد يتوق الميسر خوفا على جيبه وسمعته ، أو لأنه تعوّد قضاء وقت فراغه على غير الموائد الخضراء ... وليس معنى هذا أنه صاحب أخلاق ، بل تبقى جوانب شخصيته محتاجة لأضواء تكشف الأستار ... لا بد أن نفحص منهجه فى التفكير ، ونستشف موازين القيم فى نفسه ، ونضع أيدينا على ألوان مختلفة من سلوكه فى الحياة حتى نستطيع أن نحكم عليه .

وقد كان عمر يسأل الشاهد الذى يزكى شخصا عن طريقة معرفته لذلك الشخص ... ولا يكفى بالمعرفة السطحية للقيام بالشعائر ، دون الخبرة العميقة والمخاطبة الشاملة مما يكشف عن أغوار النفوس .

فالذين طنوا أن « الأخلاق الدينية » محصورة في مظاهرات باهتة ... قد دخل عليهم الخطأ والخلط في تحديد مدلول الأخلاق في دين الإسلام .

والأخلاق في الإسلام ... واقعية :

واقعية لأنها تفترض في الإنسان السعى للكمال لا بلوغ الكمال المطلق « رفع عن أمتي الخطأ والذيان وما استكروا عليه » [١] « كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون [٢] ولقد وصف الله المتقين بفعل من بينهم الذين فعلوا فاحشة ثم تابوا ... لا الذين خلت حياتهم من الأخطاء » والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » .

وليس معنى هذا أنها تفترض في البشر الخطيئة المؤبدة والدنس ... إن معصية آدم قد غفرها الله له وليست تلاحق ذريته إلى النهاية « فتلقى آدم من ربه كلمات ، فتاب عليه ، إنه هو التواب الرحيم » ... والإنسان يولد وفي نفسه قوى وبواعث ودوافع ، ليس ماسكا وليس شيطانا « ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » . والمرأة مخلوق طاهر كالرجل « ... أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » والمجتمع كذلك ينبغي أن تقوم سمعته على العفة والظهور ، لا على . الافتراء والتجنى « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » .

والأخلاق في الإسلام واقعية ، إذ تدعو إلى المحبة ... ولكنها لا تهمل السكره ... قد يكون من الممكن أن يتحول الناس جميعا إلى المحبة أو لا يتحولوا ... لكن الذى لا شك فيه أن تحولهم هذا يحتاج إلى وقت ، وأنه حتى يتم هذا التحول - إن كان من الممكن أن يتم - فستحدث أخطاء ليس من المنطق أن يقف إزاءها الإسلام سلبيا ، أفلاطونيا ، متفرجا ... لا بد أن يحى نفسه وأتباعه ... قد يكون المعتدى معذورا ... قد يكون ضحية لظروف التربية أو تقاليد المجتمع أو ضغط الدولة ، ولكن المجتمع الإسلامى لا يملك إلا أن يرد العدوان ، ويترك الحساب النهائى للديان ... لا بد أن ينظر للجموع لا للأفراد ...

[١] الطبرانى فى الكبير — صححه السيوطى .

[٢] رواء أحمد والترمذى وابن ماجه والهاكم فى المستدرک — صححه السيوطى .

لا بد أن يقيم ركن المسؤولية على القصد الجنائي ، أما الباعث فيقدره في حدود تجعل هذا التقدير عمليا ممكنا .

لذلك أتى الإسلام في أخلاقياته بالمحبة « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » والسلام « يأياها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ... لكنه مع ذلك وضع شريعة العقوبة للدخل ، وشريعة الحرب للخارج « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، « ولحكم في القصاص حياة » ، « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم » ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » .

لكنه يندى بالأخلاق شريعة القوة ... وكل الناس يعرفون وصايا الإسلام في الحرب وسنعود إليها حين نتكلم عن المثالية الواقعية في التشريع ... وحسبنا أن نشير في إيحاز إلى الوفاء بالعهد ، وتجنب الاعتداء على النساء والشيوخ والأطفال والرهبان ، وغير المحاربين جملة ، وعدم الفساد والإتلاف لغير الضرورات الحربية ، وهكذا .

والأخلاق في الإسلام واقعية ... إذ لا تؤدي إلى التصادم بين الدنيا والدين . « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » ... يستطيع الإنسان أن يتملك ، مادامت ملكيته لا تتعارض مع سياسة الإسلام الاقتصادية التي تنفذها الدولة ، ولا تتصادم مع شريعته القانونية ، وما دام يؤدي واجباته والتزاماته المالية للمجتمع والدولة ... فالزهد في الإسلام ليس عزلة وبطالة ، وليس نزعة فردية ... ولكنه سعى في الأرض وتنمية للإنتاج وملكه للثروة ، ثم وضع لهذا كله تحت تصرف المجتمع والدولة ... إنه زهد فيما ملك الفرد ، لا فيما عجز عن امتلاكه .

والأخلاق في الإسلام واقعية ... إذ فرقت بين الكبار والصغار « الذين يحبون كبار الإثم والفواحش إلا اللم » ... وفرقت بين المجاهرة والتستر (كل أمي معافى إلا المجاهرين ، وإن من الهم أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : عملت البارحة كذا وكذا ، فيكشف ستره عز وجل) (١) ... وفرقت بين

أخلاق وأخلاق ، فقد يكون المؤمن جباناً أو بغيلاً ، ولكنه لا يكون كذاباً « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » .

وهي واقعية إذ استنتجت حالات الإكراه والفتنة « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » « إلا أن تتقوا منهم تقاة » . لكنها لا تتوسع في التقية بغير ضرورة قاسرة ملجئة ، ولقد حددت السنة على سبيل الحصر مواضع ، رخصت بالكذب فيها : هي الحرب ، وحديث الرجل لزوجته ، والإصلاح بين المتخاصمين (١) . فهل هناك واقعية أكثر من هذا ؟

دين يقوم على مكارم الأخلاق ... لكنه لا يغفل استثناءات في أضيق نطاق ، يغلب فيها اعتبارات أسمي وأعم ، وترجح لديه أخلاق ... على أخلاق .

فالحرب ... إعلان لفقدان الثقة بين المتحاربين ، فلا بأس في الكذب إذ الحرب خدعة ... وليس معنى هذا أن تعطل الفضيلة في الحروب ، فما زال للشجاعة مكانها ، وللصدق موضعه عند الحديث الجاد والمفاوضة الصريحة الزبمية ، ولالرحمة محلها فلا يتبع المدبر ولا يجهز على الجريح ولا يؤذى الشيوخ والنساء والأطفال .

وحديث الزوجين ... إن غاب فيه الصدق حيناً فقد قامت التضحية في كل الأحيان ... لأن الزوج حين يتحدث عن حبه لزوجته وهو لا يحبها ، فانما يريد أن ينكر ذاته ، ويضحي بمشاعره من أجل الوفاق والوئام ...

والإصلاح بين الناس ... فضيلة ، يفض البصر من أجلها عن فضيلة أخرى ... ومن البديهي أن ذلك كله يكون في حدود ...

فليس معنى الكذب في ضرورات الحرب أنه كذب على طول الخط ، وليس معنى الكذب بين الزوجين حيناً أنه الكذب الذي لا يعالج شيئاً ويعقد أشياء ، وليس معنى الكذب للإصلاح أن يكون كتماناً لأمر جوهري لا تلبث أن تنكشف ، فتسوء العلاقات من جديد ...

لكن لابد للمؤمن من الكياسة والفتنة !! ما

ففى عثمان

« يتبع »

[١] الترمذى وأحمد .

الدين ووسائل تعلمه

ليس من قصدى فى هذه الكلمة أن أبين الدين ولا أن أشرح حاجة الناس إليه . فقد عرف الناس فى إجمال قد يعجزون عن تبينه أن الدين الصحيح مجموعة من العقائد والأحكام والنظم أوحى بها الله إلى من اصطفاه من عباده ليبايعها إلى خلقه ويدعوهم إليها ويرضى منهم أن يدينوا بها ويعملوا بمقتضاها لا حاجة به إلى أعمالهم ولكن ليهديهم ويصلح بها من شأنهم فى دنياهم ويجزئهم فى آخرهم جزاء المحبتين المطيعين . وقد عرف الناس أيضا أن الدين حاجة فطرية ، أو ضرورة اجتماعية لا غنى لهم عنها ، فإذا فقدوها عن طريق الغيب التمسوها فى عالم الحس ، فى الأرض أو فى السماء ، فى شجر أو حجر ، أو كوكب أو طوطم أو ما إلى ذلك ، أو فزعوا إلى عظيم من عظمائهم فألهوه وعبدوه ودانوا بتعاليمه ليسدوا فراغ أنفسهم من هذه الأديان . وقد فاض تاريخ البشرية بمعبودات ونظم ، ورغم ما كان يدعو كثير منها إلى الاستهزاء والسخرية ، فقد لازمهم وكانت منذ كانوا .

والمقصود بالدين فى كلمتنا : الدين الإسلامى ، وبوسائل تعلمه علماءؤه والكتب الدينية التى تدرس فى الأزهر ، فليس هناك علماء يقومون بتعليم الدين الإسلامى تعليما صحيحا مبنيًا على أسس سليمة من الفهم والإفهام غير علماء الأزهر . وقد تعرض علماء الأزهر كما تعرضت كتبه لجمات كثيرا ما كانت مغرضة ظالمة ، وأحيانا ما كانت مغلظة إلا أنها جاهلة ، ورموا بالجمود والتعقيد ، ورميت كتبه بالتوعر والصعوبة ، واتخذت ظواهر عبارات من القرآن والسنة شبهة على خطأ طرق التعليم الدينى بالأزهر وخطأ أسلوب التأليف فى الكتب الدينية ، . وارتفعت أصوات بالمطالبة بتيسير طرق التعليم الدينى وتيسير كتبه . واستجابة لتلك الدعوة ورغبة فى الهداية والتوجيه قام كثير من العلماء الأفاضل بتحقيق هذه الرغبة ، ولكن رغم ما قام به هؤلاء من تهذيب الكتب وتيسير طرق عرضها فما زالت دون رضا كثير من الناس ، وما زال علماء الدين وكتب الدين غير واضحة فى نظرهم وهى محتاجة وستحتاج إلى مزيد من التبسيط والتوضيح لتكون بلغة الصحف حتى يستوى فى فهمها والإلمام بموضوعاتها من يحسن أن يقرأ ومن وقف على أعقاب

المعرفة وإن لم يهتك أستارها وحجبها . هذا ما يقولون ويريدون ، وذلك خطأ ولا شك ، وأمنية بعيدة المنال مهما جهد العلماء وأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم . ذلك لأن الدين الإسلامي مجموعة من العقائد والقواعد والأحكام والنظم ، أو مجموعة من القوانين ، وهذه القوانين لها أصول خاصة وحدود خاصة واصطلاحات خاصة وطرق تعبير خاصة ولها أسس من علوم متعددة يشتبك بعضها ببعض ويسلم بعضها إلى بعض ، وكل أولئك في حاجة إلى زمن طويل يقضيه الطالب في تحصيلها والإحاطة بها وقد لا يكون كثيرا ولا غريبا أن ينفق الطالب لها من عمره عشرين أو أكثر . وشأن علوم الدين شأن غيرها من القوانين والعلوم لها كتبها ولها رجالها الذين تخصصوا بها وأفرغوا وسعهم فيها .

وإذا كان طالب القانون الأجنبي أو طالب الطب أو طالب الهندسة يكفيه أن يلم بالقراءة ليكون طبيبا أو مهندسا أو قانونيا فليكيف المسلم أن يلم بالقراءة ليكون عالما دينيا يفهم أحكام الدين ويحيط بأصوله وقواعده ويجتهد ويفتي ، حينئذ يصبح للمسلمين خمسمائة مليون من العلماء والمفتين بقدر عددهم ويزدادون بنسبة ما يزداد المسلمون ويبارك الله في أنسألم وذرياتهم .

إن شأن العلوم جميعها شأن واحد ، ولا بد في تعلمها من معلم أو من موقف بلغه أهل العلم القدماء ، ومن هنا كانت الحاجة إلى العلماء وإلى معاهد العلم ، ولو كان يكفي في تعلم العلوم معرفة القراءة والكتابة وتوافر الكتب لما كان هناك حاجة إلى شيء من ذلك ، ولكفى شعوب العالم جملة من الكتاتيب أو المدارس الأولية يتعلم فيها ناشئها القراءة ليكونوا بعد ذلك وفي قليل من الزمن أئمة في العلوم والفنون مادامت كتبها في أيديهم ومتناولهم ، ولا يقول ذلك من له مسكة من عقل أو طرف من معرفة ، فلا بد للدين إذن من متخصصين به ، ولا بد له من كتب خاصة به كذلك ، ولا يضير علوم الدين أن تكون على هذا النحو فشانها شأن غيرها كما أسلفنا ، وقد شرط كثير من العلماء الموقفين في علوم الدين وأوجبوا جمهورتهم على العامة تقليد إمام من الأئمة في أحكام الدين ، ولم يطالبوهم بالوقوف على أصولها ومناط أدلتها ، لأن ذلك يخرج عن طوق العامة ويذهب بهم مذاهب الحيرة والضلال .

ولقد حاول كثير من العلماء وما زالوا يحاولون تبسيط العلوم تيسيرا على الطلاب ، فإذا

كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة ، هى أنه مع ما بذل من محاولات فى الكتب وفى طرق العرض ما زالت قواعد العلوم فى مستواها العالى لم يرق إليها إلا الخريت الماهر ولم ينلها إلا من دفع مهرها غالبا من فكره ووقته وجهده .

لقد حاول عشرات من العلماء تيسير قواعد النحو بشتى الوسائل بالحذف مرة والتخفيف مرة وتكرار الأمثلة والشواهد مرات ، فما بلغوا ما أرادوا وأراد بعض الكتبيين وما استغنى تلاميذ المدارس بالكتب عن الأساتذة وما أباحت قواعد اللغة حماها إلا لمن بذل وجاهد وصبر وصابر ، ولأنه ليؤسفنا أن نقول : إن قواعد اللغة ما زالت ثقيلة على نفوس التلاميذ .

هذا إلى أن المبالغة فى تبسيط كتب علوم الدين ، أو غيرها قد يكون مدعاة إلى الخطأ والتشويش فى قواعد وأحكامها ، وقد يكون من ورائه خطر آخر ، فقد تغرى بساطتها بعض قصار النظر بافتحائها والادعاء فى تعرف حقائقها والتنفيج باكتناه أسرارها ، وهناك تكون الفوضى بآثارها ونتائجها ، ولعل من آثار تلك الفوضى ما نسمعه هنا وهناك من دعوى الاجتهاد من أناس هم فى أول الشوط من المعرفة والفقه ، وكل محمولهم العلمى آيات وأحاديث حفظوها من كتاب أو التقطوها من أفواه الخطباء بالأندية والمساجد دون أن يتدبروا معانيها أو يتنبهوا لمقاصدها وما يربطها بغيرها من روابط وما تشير إليه من أحكام .

إن من النظم الثقافية التى وصل إليها علماء التربية بالتجارب عهودا طويلة تنوع التخصص فى فروع المعرفة ، فمن غير الممكن أن يتقن شخص ما سائر فروعها وإذا فمن لغو القول بل من فجوره أن يتهم بعض الناس علماء الأزهر بأنهم غير صالحين لأنهم لا يحسنون أنواعا من العلوم الأخرى ، فلو صح ذلك لوجب أن يكون المهندس طبيبا وقانونيا عالما ذريا حتى يكون صالحا فى مهنته نافعا لأمتة ، وكذلك غيره من العلماء ، وليس فى مجال الهذر أمعن من هذا الكلام ، ومما نسمعه فى مجال الطعن على علماء الأزهر أنهم يحتكرون الدين واحتكار الدين عمل لا يقره الإسلام ، وفى هذا الكلام شئ من المغالطة قد تجوز على البسطاء فيحسن أن نبين الحقيقة فيها لنخرس السنة مقريها أو نخجلهم على الأقل إن كانوا يخجلون .

والحقيقة أن هناك فرقا بين احتكار تعليم الدين واحتكار الدين نفسه ، أما تعليم الدين

فلا شك أنه صناعة تستلزم صناعا مهرة هيئوا أنفسهم لصناعتهم ، واستوفوا أسبابها ، وليس مما يضير علماء الأزهر أن يكونوا أولئك الصناع ، كما أن لغير علوم الدين صناعا لا تنافسهم في صناعتهم ولا نزاحهم عليها . أما العمل بالدين فليس صناعة من الصنائع ولم يدع علماء الأزهر أنها كذلك وأنهم يحتكرونها ويذودون الناس عنها . فالدين لله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد يقول قائل : إن الدين الإسلامي دين يمتاز بالوضوح والبساطة وإن أهم أصوله القرآن الكريم والسنة السمحة ، والقرآن نزل بلسان عربي مبين ، وجاءت السنة بلغة أفصح المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى أنبيائه أجمعين ، فما بالكم تحجرون واسعا وتضيّقون رحبا وتصعبون سهلا وتحولون دوننا وما نريد من فهم الأحكام من أصولها واستقائها من منابعها ، والكننا نقول لهؤلاء : إن بيان القرآن وفصاحة الرسول ليست بالنسبة للأجيال الحاضرة من شعوب العرب الذين استعجمت لغتهم واستبهم عليهم أسلوب القرآن والسنة وجهلوا الطريق إلى غايتها ومقاصدها وقربت المسافة بينهم وبين الأعاجم ، وإنما هو بالنسبة إلى العرب الخالص الذين لا تخفى عليهم مقاصد القرآن والسنة وطرق دلالتها من عبارة وإشارة وإجمال وتفصيل وما يعرض لها من تعارض وما يدعو إليه من ترجيح ولا تخفى عليهم غرائب اللغة وأسرار الأساليب وما إلى ذلك مما لا بد منه لفهم القرآن والسنة ، واستمداد الأحكام منها ، وأين نحن من ذلك الآن ؟ على أن بعض أولئك العرب ما كانوا يشتغلون بفهم القرآن والسنة ، وكانت تندعن أذهانهم وعقولهم بعض الألفاظ وبعض الأحكام فيسألون عنها ويستفتون فيها ، فقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا » فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى ، إذا أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وإذا كان ذلك شأن أولئك العرب ، فهل لكثير منا وهم أشباه العوام والأعجم أن يدعوا القدرة على فهم القرآن والسنة واستمداد الأحكام منها ووسائلهم إلى ذلك قليلة وأسبابهم ضعيفة .

ألا إن الأولى بنا أن يعرف كل منا نفسه ويلزم صفه وأن يترك كل وما يحسنه وأن يوسد الأمر إلى أهله ، فذلك أمانة الإنصاف والوعى الثقافى الصحيح ، ووسيلة استقرار الأمور وإتقان الأعمال .

أبر الوفا المرافى

بحوث

في مصادر الشريعة النظرية

— ٩ —

النوع الخامس : الاستحسان بالعرف ، ويتحقق هذا في كل شيء يتعارفه الناس ويعتادونه إذا كان ذلك الشيء يخالف قياما من الأقيسة أو قاعدة من القواعد المقررة ، وأمثلة هذا النوع كثيرة في الفقه الحنفى تظهر للاتباع لمسائل العرف والأحكام المبنية عليه ، ومن هذه الأمثلة ما يأتي :

١ — أن كل شرط يجري به العرف يعتبر شرطا صحيحا عند جمهور الحنفية ، وهو استحسان ثابت بالعرف على خلاف القياس أى الدليل الشرعى العام ، وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبي صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع وشرط » . ١

٢ — أن الأصل العام في الوقف أن يكون مؤبدا ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يجوز وقف المنقول استقلالا عن العقار لأن المنقولات على شرف الهلاك فلا تكون قابلة للتأبيد ، ولكن الإمام محمد بن الحسن أجاز وقف ما جرى به العرف منها كالكتب ونحوها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام الذى تمسك به الإمام أبو حنيفة ومنع وقف المنقول المستقل عن العقار مطلقا [٢] .

٣ — أن بيع الشرب لا يجوز استقلالا عند جمهور الحنفية لجهالة المبيع أو لكونه غير مملوك للبائع ، لأن الماء لا يملك إلا بالأحرار ، والأحرار فيه غير ممكن ، وهذا هو القياس أى القاعدة العامة ، ولكن أفتى بعض مشايخ الحنفية بجواز بيعه

[١] فتح القدير والعناية - ٥ ص ٢٢١ ، حاشية ابن عابدين - ٥ ص ١٢٧ ، وشرح المجلة لمحمد خالد الأتاسى - ٣ ص ٦٤ ، ٦٥ .

[٢] راجع الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه - ٣ ص ٣٨٥ - ٣٨٧ .

استحسانا لحرمان العرف في بعض البلاد به . جاء في البزازية لحافظ الدين السكردري « أنه إذا باع شرب يوم أو أقل أو أكثر فلا يجوز لعدم الملك قبل الأحرار أو للجهالة ، وهذا هو القياس وهو مذهب جمهور المشايخ لكن بعض مشايخ بلغ قد أجاز استحسانا نظرا لتعامل أهل بلخ عليه » [١] .

النوع السادس : الاستحسان بالمصلحة ، ومن أمثلة هذا النوع ما يأتي :

١ — الأصل المقرر في المذهب الحنفي أن عقد المزارعة ينتهي بموت العاقدين أو أحدهما كما في الإجارة ، ولكنهم استثنوا من ذلك بعض الصور منها ما إذا مات صاحب الأرض والزرع لم يدرك بعد فكوا ببقاء العقد فيها استحسانا على خلاف القياس أى الأصل العام حفظا لمصلحة العامل ودفعاً للضرر عنه [٢] .

٢ — الأصل العام أن الزكاة لا يجوز إعطاؤها لبني هاشم لقوله صلى الله عليه وسلم (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس) وفي رواية لمسلم عن عبد المطلب (إنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن لهم في خمس الخمس ما يكفيهم ويغنيهم) [٣] .

وقد أجاز أبو حنيفة دفع الزكاة في زمانه إلى بني هاشم استحسانا رعاية لمصلحتهم وحفظا لهم من الضياع . لأن عوضها وهو خمس الخمس لم يصل إليهم لإهمال الناس أمر الغنائم وإيصالها إلى مستحقيها ، وإذا لم يصل العوض عادوا إلى المعوض (٤) .

٣ — إذا شرط البائع على المشتري أن يعطيه رهنا معيناً بالثمن المؤجل ، وقبل المشتري ذلك جاز البيع والشرط عند جمهور الحنفية استحساناً لأن هذا الشرط يؤكد الحصول على الثمن ، وفي هذا مصلحة للبائع ، والقياس أى الدليل العام يقتضى فساد كل

[١] الفتاوى البزازية بهامش ٦٠ ص ١٢١ من الفتاوى الهندية ، وفتح القدير ٤ ص ٢٠٤ .

[٢] الدر المختار ورد المختار ٥ ص ١٩٠ .

[٣] بلوغ المرام مع سبل السلام ٣ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

[٤] حاشية ابن عابدين ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .

من البيع والشرط في هذه الصورة وهو ما صح عند فقهاء الحنفية من أن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى عن بيع وشرط) وبهذا القياس أخذ زفر [١١] .

٤ - الأصل العام أن الأمين لا يضمن إلا بالتعدي على الأمانة أو التقصير في حفظها ، ومقتضى هذا الأصل أن لا يضمن الصانع كالحياط والكواء ما يكون في يده من أمتعة الناس إلا إذا وجد منه تعد أو تقصير في الحفظ ، وهذا هو القياس ، ولا يمكن أفتى أبو يوسف ومحمد بن الحسن بوجوب الضمان عليه إلا إذا كان الهلاك من شيء لا يمكنه الاحتراز عنه كالخريق الشامل أو النهب العام ، وهو استحسان روعى فيه المحافظة على أموال الناس من الضياع نظرا إلى كثرة الحيوانات وضعف سلطان الإيمان على النفوس [٢] .

هذه هي أهم أنواع الاستحسان في الفقه الحنفى وأمثلتها . ومنها يتبين بجلاء أن الاستحسان عند أئمة الحنفية ليس قاصرا على القياس الحنفى الواقع في مقابلة القياس الحللى كما صورته بذلك بعض علماء الأصول في تعريفه المتقدم ، وأنه ليس قاصرا على الاستحسان الثابت بالنص أو الإجماع أو الضرورة أو القياس الحنفى الواقع في مقابلة القياس الحللى كما يقول بعضهم في تعريفه السابق .

وأن القياس الذى يذكر في مقابلة الاستحسان قد يكون المراد به القياس الاصطلاحى المعروف فى أصول الفقه ، وقد يكون المراد به الدليل الشرعى العام ، أو القاعدة المقررة ، وليس المراد به خصوص القياس الاصطلاحى كما يدل عليه مسلك الأصوليين .

حجية الاستحسان

من يقرأ كتب الأصول [٣] فى مبحث الاستحسان يجد فيها تضاربا غريبا واختلافا عجيبا فى حجية الاستحسان . فبينما يقول بعض العلماء فيه : إنه تعسف وتلذذ وميل مع

[١] راجع بدائع الصنائع ٥ ص ١٧١ ، فتح القدير ٥ ص ٢١٥ .

[٢] شرح مجلة الأحكام محمد خالد الأتاسى ٢ ص ٧١٨ .

[٣] الرسالة للإمام الشافعى ص ٥٠٣ وما بعدها والأحكام لابن حزم ٦ ص ١٦ وما بعدها والأحكام للآمدى ٣ ص ١٣٦ - ١٣٨ ، والمختصر لابن الحاجب ٢ ص ٢٨٨ ، وجمع الجوامع بشرح الجلال الحللى وحاشية القطار ٢ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

المهوى وحكم بالتشهي ، يقول آخرون : إنه تسعة أعشار العلم ، كما يروى عن مالك [١٦] وإنه أغلب في الفقه من القياس ، كما يقول أصبغ بن فرج المالكي [٢] وإن العالم به مع باقي الأدلة يسمه الاجتهاد في كل شيء من أموره ، كما يقول الإمام محمد بن الحسن [٣] .

وخلاصة ما يؤخذ من كتب الأصول في حجية الاستحسان أن الاستحسان حجة عند الحنفية والمالكية وكذلك عند الحنابلة على ما نقله الآمدي وابن الحاجب ، وقرره الحلل المحلى ؛ ووافقه عليه العطار في حاشيته ، وأيسر بحجة عند الإمام الشافعي ، كما يدل على ذلك قوله في العبارة المشهورة عنه : « من استحسن فقد شرع » ، وقوله في رسالته الأصولية : « والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب ، والمطلوب لا يكون أبداً إلا على عين قائمة تطلب بدلالة : يقصد بها إليها ، أو تشبيه على عين قائمة ، وهذا يبين أن حراماً على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر » ، وتصريحه فيها بأن الاستحسان تعسف وتلذذ [٤] .

ولكن هذا الإنكار من الإمام الشافعي لا يمكن حمله على الاستحسان الذي يقول به الحنفية ومن معهم من العلماء ، وإنما هو محمول على الاستحسان بمعنى آخر ، وهو القول بالرأى والتشهي من غير اعتماد على دليل شرعي ، ولا شك أن الاستحسان بهذا المعنى باطل عند جميع العلماء لا يسوغ لأحد أن يأخذ به فضلاً عن إمام من أئمة المسلمين .

يدلنا على ذلك ما ثبت عن الإمام الشافعي من العمل بالاستحسان والحكم به في مسائل كثيرة . من ذلك ما نقله الآمدي في الإحكام أن الإمام الشافعي قال « أمتحسن في المتعة أن تكون ثلاثين درهماً ، وأمتحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام ، وأمتحسن ترك شيء للسكران من نجوم الكتابة ، وقال في السارق إذا أخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت : القياس أن تقطع يمينه ، والاستحسان ألا تقطع ، وقد استحسن - كما استحسن غيره من الأئمة - جواز دخول الحمام من غير تقدير عوض للساء المستعمل ولا تقدير مدة

[١] الأحكام لابن حزم ٦٥ ص ١٦ .

[٢] المرجع المتقدم ١٦ والاعتصام للشاطبي ٢٥ ص ٣٢٠ .

[٣] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢٥ ص ٦١ .

[٤] الرسالة للإمام الشافعي ص ٥٠٤ وما بعدها .

المسكت فيه ، وجواز شرب الماء من أيدي السقائين من غير تقدير في الماء وعوضه [١] وهو استحسان ثابت بالعرف والعادة على خلاف ما تقضى به القواعد المقررة في باب البيع والإجارة ، وهو عدم الجواز للجهاالة في المبيع أو في مدة الإجارة وهذا - كما ترى - نوع من أنواع الاستحسان الذي يريده الفقهاء القائلون به .

وعلى هذا لا يكون هناك اختلاف بين الأئمة الأربعة في حجية الاستحسان والاعتماد عليه في استنباط الأحكام الشرعية ، والاختلاف بينهم إنما هو في كثرة العمل به وقلته فمنهم من توسع في الأخذ به كالحنفية والمالكية ومنهم من لم يتوسع في ذلك كالشافعية والحنابلة ، ولعل هذا هو السر فيما هو مشهور بين كثير من الناس وما يجري على بعض الألسنة والأقلام من أن الاستحسان أصل من أصول الحنفية ، وأن غيرهم من الفقهاء لم يأخذوا به ولم يعتدوا به في استنباط الأحكام .

وبهذا ينتهى الكلام على المصدر الثانى من مصادر الشريعة النظرية ٤

زكى العربى شعبان

الأستاذ المساعد بكلية حقوق عين شمس

الإيمان والحياة

إن هذه الحياة الحافلة بصنوف الشقاء وأنواع الآلام ، والتي لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة ، ولا يثل من عثرة إلا إلى عثرة ، لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته ، وتداركت عثراته ، استروح من أعطافها راحة الجنة كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب .

مصطفى لطفى المنفلوطى

الندم والتوبة

- ٣ -

اتضح مما قلناه في الندم أن عين النادم تنو بحسرة إلى ذلك الماضي الذي لم يعد في قدرة البشر تغييره ، وأن عين التائب تتطلع إلى المستقبل يدفعها الأسف على ماضى ويجذبها الأمل في إصلاح ما تبقى .

فالتوبة إذن ندم صحيح يورث عزما يغير سلوك المرء من سيئ إلى حسن ، ويحول حياته المذنبة الآثمة إلى حياة طيبة صالحة .

وجوبها :

والتوبة واجبة على كل مذنّب يخشى الله واليوم الآخر ، ووجوبها عن طريق الأخبار والآثار ظاهر جلي ، فالآيات والأحاديث في ذلك كثيرة متضافرة .

قال الله تعالى : « ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » فقسم القرآن الناس إلى تائب وإلى ظالم ، وما ثم قسم ثالث البتة وجعل من لم يتب ظالماً - وهو ظالم حقاً - لجهله بربه وآفاته نفسه .

وقال تبارك اسمه : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار » .

بفعل سبحانه رجاء تكفير الذنوب مرهونا بالتوبة النصوح الخالصة لله الخالية من الشوائب .

وقال صلى الله عليه وسلم : اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تحمها (١) ...
وعنه عليه الصلاة والسلام : (أقلعوا عن المعاصي قبل أن يأخذكم الله فيدعكم هتائباً) (٢) .

(١) رواء الترمذى .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٩ . والته الكسر ، والبس القطم .

على أن وجوب التوبة لمن شرح الله صدره بنور الإيمان أضح وأظهر ؛ إذ هو لشدة نور باطنه يجتزىء بأدنى بيان ويتنبه بأدنى إشارة .

قال حماد بن زيد : « عجبت لمن يحتفى من الأطعمة لمضراتها كيف لا يحتفى من الذنوب لمعراتها » (١) .

وقيل للفضل بن عياض رحمه الله : « ما أعجب الأشياء ؟ فقال : قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه » (٢) .

وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة وشدة الحب في ذات الله . أولئك قوم آثروا طاعة الله على مجازاة الشيطان ؛ أشرقت بصائرهم فعرفوا للتوبة منزلتها فسارعوا إليها فلا غرو أن كانوا أولياء الله وأحباءه ، وفي مثلهم يقول الله تعالى : « إن الله يحب المتطهرين » .

وفهم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (التائب حبيب الله) ، (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) .

وجوبها على الفور :

تبين مما تقدم أن التوبة واجبة مطلوبة لكن بقى علينا أن نعرف أن هذا الوجوب على الفور أم أنه ممدود موسع فيه ؟ .

ونحن إذا لاحظنا ما قدمناه سهل علينا أن نقول : إن هذا الوجوب على الفور ؛ لأن المعاصي للإيمان كاللأ كولات المضرة للأبدان لا تزال تتجمع وتتغفن وسرعان ما تؤدي بالإنسان إن لم يسارع إلى تطهير نفسه من ضررها ؛ فإذا كان الخائف من الهلاك في الدنيا يجب عليه ترك ما يضره من الماء كولات في كل حال وعلى الفور فالتخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك .

قال الله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وقال عز من قائل : « فانه كان للأوابين غفورا » .

(١) أدب الدنيا والدين ص ٧٩ .

(٢) » » » » »

والأواب هو الذى إذا أذنب ذنبا بادر إلى التوبة .

وقال جل شأنه : « إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءا بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » .

والسر فى هذا التشريع الحكيم هو أن التوبة الصادقة التى تذهب بالخطيئة يجب أن تكون قبل الموت حتى يكون هناك متسع من الزمن يظهر فيه التائب استعدادا لتعديل مجرى حياته الخاطئة ويحول فيه ذلك المجرى فعلا حتى يكون استعداده الأول قد استؤصل تماما فيكون غفران الذنوب له عملا معقولا مبررا .

أما هؤلاء الذين يتوانون ويصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لا يشعرون فليس لهم من رحمة الله ومغفرته نصيب [١] .

روى عن على كرم الله وجهه أنه قال : « لا تسكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل » [٢] .

وقال لقمان لابنه : « يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتى بغتة » [٣] .

وقال محمد بن يزدان : دخلت على المأمون وكنت يومئذ وزيره فرأيتة قائما وبیده رقعة فقال : يا محمد أقرأت ما فيها ؟ فقلت : هى بيد أمير المؤمنين فرمى بها إلى فاذا فيها مكتوب :

إنك فى دار لها مدة	يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها	يقطع فيها أمل الآمل
تعجل بالذنب لما تشتفى	وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة	ما ذاك قبل الحازم العاقل [٤]

[١] مذكرات الأخلاق للدكتور مهدي هلام .

[٢] أدب الدنيا والدين ص ٨٣ .

[٣] إحياء علوم الدين للفرغلى - باب التوبة .

[٤] أدب الدنيا والدين ص ٨٤ .

عموم التوبة في الأشخاص والأحوال

وكما أن التوبة واجبة على الفور فهي كذلك عامة لجميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
أما عمومها لجميع الأشخاص فظاهر جلي أمر به الشرع وارتأه العقل ، وحسبنا أن نذكر قوله تعالى : « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .

وقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » . وقوله سبحانه « وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » فعمم الخطاب ورتب رجاء الفلاح على التوبة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة) [١] .

والعقل بعد أن يتدبر معنى التوبة ويعرف أنها الرجوع عن الطريق المبعدة عن الله تعالى يحتم ذلك ؛ فالإنسان من حيث هو عاقل يتجافى عن الطريق المبعدة وينأى عن المفازة المهلكة .

وهنا يسير البحث الخلق الديني مع أبحاث علم النفس جنبا إلى جنب ؛ فإذا تأملنا الإنسان من بدء حياته نجد أن غرائزه هي الحاكمة المسيطرة والمتسلطة الآمرة تقوده إلى ما تحبه النفس وتهواه ، وبتوالي الأيام والدأب على فعل ما تميل إليه النفس تتكون العادات ثم يأخذ العقل في الظهور ويبدأ ويبدأ فيوجد أمامه كثيرا من العادات المتسكونة والميول المتسلطة التي ألفتها النفس واعتادتها وهي في غير الاتجاه الصحيح الذي يريده العقل فيأخذ في تقويمها وتعديلها . وهنا تنشأ معركة بين العقل والهوى ؛ فأيهما تغلب قهر صاحبه واحتل مناطقه وأزعجه عن مألوفه ؛ فإن لم يقو العقل ولم يكمل فازت الشهوات وظهر الهوى وتحفز الشيطان وهو يردد : « لأحتسكن ذريته إلا قليلا » . وإن كل العقل وقوى أخذ في قمع الشهوات ومفارقة سيئ العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى طاعة الله .

ولا معنى للتوبة إلا الرجوع عن طريق دليله الشيطان إلى طريق الله تعالى .
وأما عمومها على كل حال فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه أو بخواطره
المذهلة عن ذكر الله تعالى . حتى في أعلى مراتب البشر لا يخلو أحد منهم عن غفلة أو قصور
في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نقص ، ولا يتصور بحال خلو البشر عن هذا النقص
ولأنما يتفاوتون حسب درجاتهم وطاعاتهم وقرابهم من الله ، وأما أصل النقص
فلا بد منه .

وإذا كان رسول الله محمد صلوات الله عليه وهو خير البشر عامة يقول : « إنه ليغان
على قلبي وإنى لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » [١] فكيف بمن هو دونه منزلة ! إنه أولى
بأن يحصل منه ذلك .

ومن ثم كرمه الله تعالى فغفر له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر قال تعالى : « إنا فتحنا
لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... » .

فظاهر الآية يصرح بأن له ذنوبا ولكن الله تعالى كرمه بغفرانها والصفح عنها .

سؤال يرد بالخاطر :

وهنا يرد بالخاطر سؤال وهو :

هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر ؟

والإجابة عن هذا السؤال لها اعتبارها وقيمتها في نفس السائل وفي نفس غيره ؛
فربما كانت الإجابة عنه تنير السبيل أمام كثير من المذنبين وتطمعهم في رحمة الله
تعالى وغفرانه .

وللاجابة عنه نقول :

إن للعلماء في ذلك آراء :

١ — فمنهم من قال : لا تصح التوبة إلا إذا أفلح الإنسان عن كل الذنوب ،
وذلك لأن الذنوب مهما اختلفت وتنوعت فهي ترجع إلى أمر واحد هو مخالفة أمر الله

[١] رواه مسلم ، وأورده الغزالي في إحياء علوم الدين باب التوبة .

تعالى ، فاذا تاب المرء فانما يفيء إلى أمر الله ، فمن تاب من بعض الذنوب وأصر على بعض آخر فقد ناقض نفسه وكأنه يقول : أنا لا أخالف أمر الله ، أنا أخالف أمر الله . ولكن هذا الرأي فيه عسر ومشقة ولا يستطيعه معظم الناس ، إذ فيه من الحرج ما لا يخفى ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

هذا إلى أن فيه قصر التوبة على أفراد قليلين وهذا بعيد عن فضل الله ورحمته بعباده وهو القائل : « ورحمتي وسعت كل شيء » .

٢ — ومنهم من قال : تصح التوبة من الذنب مع الإصرار على آخر ولو كان من نوعه .

وهذا الرأي أيضا بعيد عن غرض التوبة ، وإلا فما قيمة التوبة عن شرب الخمر مثلا مع الإصرار على تعاطي المواد المخدرة المهلوسة .

٣ — والرأي السديد الذي نرتضيه وبه قال كثير من العلماء هو : أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه .

وأما التوبة من ذنب مع مقارفة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه فتصح كما إذا تاب من أكل الربا ولم يتب من شرب الخمر فإن توبته من الربا صحيحة .

قال النووي : « ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحَّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي » [١] .

توبة العائد للذنب

والإجابة عن السؤال السابق تذكرنا بسؤال آخر وهو : ما مصير توبة من تاب ثم عاود الذنب ؟ .

ونترك لإمام الحرمين الإجابة عن ذلك . يقول : « من تاب وصحَّت توبته ثم عاود الذنب فالتوبة الماضية صحيحة والغرض مما ذكرناه أن تعلموا أن التوبة عبادة من العبادات يقضى بصحتها وفسادها ، فإذا سيقَّت على شرائطها لم يقدر في صحتها ما يقع بعد مضيتها وعلى معاود الذنب تجديد التوبة ثم هذه التوبة عبادة أخرى سوى التي ذكرناها » .

[١] النووي في رياض الصالحين - باب التوبة ، وراجع مدارج السالكين لابن القيم ص ١٥٢ ، الارشاد للامام الجويني باب التوبة .

التوبة الصحيحة مقبولة لا محالة

عرفنا حقيقة التوبة وتبين لنا فضلها ووجوبها ولكن النفس توافقه لأن تطمئن متطلعة لأن تعرف مآل توبتها وكأن هامسا يهمس قائلا : ما علامة التوبة الصحيحة ، وهل إذا صحت تكون مقبولة ؟

ولما نختم بحثنا في التوبة بالإجابة عن هذين السؤالين ونطمئن هذه النفس القلقة فنقول : نعم للتوبة الصحيحة علامات وأمارات تدل على قبولها منها :

١ — أن يكف عما كان يقدم عليه من ذنوب [١] .

٢ — أن يكون بعد التوبة خيرا منه قبلها .

٣ — ألا يزال الخوف مصاحبا له .

٤ — أنه كلما تذكر ذنبه انزعج قلبه ، وتقطع ندما وخوفا على قدر عظم الجناية وصغرها [٢] .

وإذا صحت التوبة فهي مقبولة لا محالة وذلك أن كل مولود يولد على الفطرة والقلب خلق في الأصل سليما ، وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهقه من غيرة الذنوب وظلمتها . ونار الندم تحرق تلك الغيرة ، ونور الحسنة يحو عن صفحة القلب ظلمة السيئة ، وكما لا تستقر ظلمة الليل مع نور النهار فكذلك لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات ؛ فخرقة الندم وسكب الدموع تغسل القلب وتطهره وتزكيه وكل قاب طاهر زكى فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول .

فواجبنا إنما هو التزكية والتطهير وأما القبول فقد سبق به القضاء ووعدنا به الله ووعده الحق حيث يقول : « قد أفلح من زكاه » . ويقول سبحانه : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » .

فمن يتوهم أن التوبة النصوح غير مقبولة كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل والوسخ لا يزول .

[١] أدب الدنيا والدين ص ٨٤

[٢] أدب الدنيا والدين ص ١٠٠

اللهم إلا إذا تلبس الوسخ و غاص في تجاوىف الثوب أو تراكت الذنوب حتى رانت على القلوب ، لكن مثل هذا القلب لا يرجع ولا يثوب وإن كان يبدو منه كثيرا أن يقول - ولكن باللسان فقط - تبت وندمت وهى توبة لا تغنى من الذنوب فتبلا .

ولأن التوبة الصحيحة مقبولة قال فقهاؤنا : إن من ارتكب ما يوجب الحد فتأب قبل ثبوته عليه سقط عنه الحد [١] .

هذا البيان وإن كان كافيا للنفوس المطمئنة وذوى البصائر المشرقة قد لا يكون كافيا لمن كثرت ذنوبهم وعظمت آثامهم وتملك الخوف والوجل قلوبهم ، ولكننا نبث فيهم روح الأمل ونعضد جناحهم بذكر الآيات البينات والآثار الشاهدة لقبول التوبة .
وإذا وافق العقل النقل فلا مجال للشك والريب .

ندعوهم لأن يستمعوا إلى قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » .

وإلى قوله سبحانه : « أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » .
وأن يصيحوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [٢] .

وإلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة » متفق عليه .

وأن يستمعوا إلى ما روى أن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأيتتك بقرابها مغفرة » [٣] .

وفى الحديث الإلهى العظيم حديث أبى ذر : يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار

[١] ابن عابدين ج ٣ ص ١٩ .

[٢] رواه مسلم فى التوبة .

[٣] رواه الترمذى وقال حديث حسن ، مدارح السالكين ص ١٦٧

وأنا أغفر الذنوب ، فمن علم أنى ذو قدرة على المغفرة غفرت له ولا أبالى : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا لأنه هو الغفور الرحيم » يا عبدى لا تعجز فمك الدعاء وعلى الإجابة ومنك الاستغفار وعلى المغفرة ومنك التوبة وعلى تبديل سيئاتك حسنات « (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يحسد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهراول « (٢) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم » [٣] .

وأخيرا ندعوا أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم حتى كادوا أن يأسوا من رحمة الله - ندعوه لأن يتدبروا هذا الحديث العظيم الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبا لذهب الله تعالى بكم وبلهاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » (٤)

وفى هذا المعنى يقول ابن المبارك :

أيضمن لى فتى ترك المعاصى وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يجرعوا غصص المعاصى [٥]
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ما

أبو زيد سلى

الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] مدارج السالكين ص ١٦٧

[٢] رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم .

[٣] رواه ابن ماجه فى الزهد .

[٤] رواه مسلم فى التوبة .

[٥] أدب الدنيا والدين ص ٨٠ .

تعليقات

الحلال بين ، والحرام بين

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

إن الجهود المشكورة التي تبذلها وزارة التربية والتعليم لتشهد بصادق العزم على إنهاض المجتمع المصرى من طريق العلم النافع ، وتبشر بادراك الغايات الكريمة التي تطمح إليها الأمة من زمن بعيد في حياة خالصة من الشوائب ، تتمثل فيها العقلية الناصجة ، والوطنية الصادقة . . ويتجلى مظهرها الدينى في الخلق الحميد ، والسمو بالنفس عن لوثة الميوعة والتجلل وما إلى هذا مما خلفته سياسات دخيلة - كانت - وتوجيهات مشؤومة ، ويكلف القادة اليوم نشاطا مضاعفا في استئصال جذوره ، وبذر البذور الصالحة مكانه .

وإن من الجهود الميمونة - مشروع الألف كتاب - الذى اضطلعت به إدارة الثقافة في وزارة التربية لسد الفراغ في المكتبة الإسلامية .

وما من شك في أن هذه وجهة محمودة تتلاقى عندها الرغبات ، وتهش لها الوجوه ، ويتعلق بها الأمل المذشود ، والرجاء في توفيق الله .

غير أن أمرا من الأمور قد يبلغ من الأهمية مبلغه ثم تنقصه دقة الرعاية من المشرفين عليه فينحرف عن وجهتهم ، أو تلاحقه شبهة تغض من قيمته ، وإن كانت النية به حسنة والقصد فيه بريئا .

ومن ذلك أن إدارة الثقافة نشطت إلى ترجمة كتاب (الفكر الخوالد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم) مؤلفه محمد على اللاهورى القاديانى المذهب . وهو كتاب ينزع إلى اعتبار القرآن من أفكار النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا غرابة ، فإن هذا اللاهورى تلميذ مباشر لغلام أحمد القاديانى صاحب المذهب

الباطل ، والضلالات الفاحشة في العقيدة ، والأحكام ، وهو صنعة السياسة الاستعمارية الإنجليزية إلى درجة الكفر الصراح في سبيل الزنعي إلى الإنجليز .

كما يشهد بذلك جميع كتبه الحافلة بالأباطيل المنكرة .

ومن العجيب الذي لا يتفق والجهود المباركة التي تبذلها وزارة التربية ، ولا يلائم الغاية التي التزمها وأعلنتها إدارة الثقافة ، أن السادة الذين ترجموا الكتاب أثنوا على هذا اللاهوري القادياني ثناء يجعله في مصاف القديسين ، كما أفروا في الثناء على متبوعه غلام أحمد القادياني ، وفي ذلك ، وفي اختيارهم لهذا الكتاب وعنايتهم بنشره ، إيجاء للناس بالاطمئنان إلى القاديانية ، وتوجيه للناشئة التي لا تميز الخبيث من الطيب إلى ناحيتها . وفي هذا من الخطر ما فيه مما لا يرتضيه مسلم ، فضلا عن الوزير كمال الدين حسين الذي عرف بالغيرة الدينية وبالحرص على تطهير الثقافة من لوثة الإلحاد .

هذا وقد نشرت مجلة الأزهر في عدد رجب الماضي مقالها الافتتاحي في هذا الصدد قياما بواجبها ورجاء في تدارك الأمر بحبس كتاب اللاهوري عن التوزيع ، منعا لأضراره ، وحرصا على حسن الظن بما تختاره إدارة الثقافة ، كما كتبنا في ذلك إلى السيد الوزير .

والأمل في سيادته أن يبادر - مشكورا - إلى تحقيق ما رجونا . والسلام عليه وعلى من اتبع الهدى

عبد اللطيف السبي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

جرح الاسلام

لا تبتئس بالجرح أفروا شره	وطغى أذاه ، فكل جرح يوسى
أقم المنار للمدبحين تنكبوا	سبل الرشاد وجدد الناموسا
انظر أيسهدي الغوى مبينها	أم يستبين الدارس المطحوسا
صدأ النواظر والقلوب أشد من	صدأ الحديد مضرة إن قيسا
	أحمد محرم

ركن الحرس الوطنى بالأزهر :

الاسلام والشجاعة

إن الدارس لتعاليم الإسلام الكريمة يرى أن الإسلام قد غرس في نفوس أهله الشجاعة ورباهم عليها ، ورغبهم في التضحية ، وحبب إليهم الموت والاستشهاد ، ونزع من قلوبهم الجبن والخور ، وكره إليهم الضعف والاستخذاء ، فقد أشاد القرآن الكريم بذكر الشهداء وما لهم عند الله من ثوبة وعند الناس من ذكر حسن وثناء جميل ؛ وامتلأ بآيات الشجاعة والإقدام ، ونبه الناس إلى أن الله جعل للإنسان أجلا لا يعدوه ، وأن حبه للحياة لا يمد له أسباب البقاء ، كما أن رغبته في الموت لا تعجل له الفناء ، وأنه وحده الذى يعلم متى وكيف تنتهى حياته .

ولقد جاءت السنة المظهرة مؤيدة للقرآن الكريم في دعوته ، مفصلة لإجماله شارحة لإيجازه . فعرف المسلمون الأولون تعاليم دينهم جد المعرفة ، ونزلت منهم منزل الغيث من الأرض المخصبة فأثمرت حرية وكرامة وإباء وشهامة وعزة وشما ، فكانوا شجعانا لنصرة دينهم ، فدائنين لتحرير أوطانهم . فتوحدت قواهم بعد تفرق وقويت بعد ضعف ، وصاروا أعزة على أهل الباطل لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، ووقفوا بجانب الحق يدافعون عنه بأنفسهم وأموالهم ، وباعوا أرواحهم لله ، وهبوا مجاهدين لتحرير النفوس من الرق والعبودية والأخذ بيد الإنسانية المعذبة وإعادة الحياة الصحيحة بين الناس ، حياة العزة والكرامة والحرية واحترام القيم الأخلاقية .

فلا غرو أن رأينا عمر الفاروق لا يخشى الموت ولا يهاب الردى ، بل أعلن كلمته الخالدة : من أراد أن تشكله أمه أو يتيتم ولده أو يرمل زوجه فليتبعن وراء هذا الوادى فاني مهاجر إلى الله ، وأن رأينا الصديق أبا بكر حينما انتفضت عليه جزيرة العرب كلها عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعمر وقد أشار عليه بمهادتهم إلى حين :

نكثت أمك يا ابن الخطاب ، أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام ! والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه ولو لم يخرج معي أحد من المسلمين . وأن رأينا خالد بن الوليد يقول وهو على فراش الموت : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسمي موضع إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو رمية بسهم . وهأنذا على فراشي أموت كما يموت البعير ، فلا نأمت أعين الجبناء .

أما بعد فلتتعلم من قرآن الله وسنة رسوله وسيرة سلفنا الصالح خير دروس الشجاعة والتضحية ، ولنخض المعارك ضد الباطل في أى مكان وزمان ، ولنسلم من سالمنا ، ولنحارب من حاربنا ، ولنقف لكل عدو بالمرصاد ، ولنُدافع عن كرامتنا وعزتنا وشرفنا .

فان متنا فعر وشهادة ، وإن حيينا فنصر وسيادة ۞

محمد محمود الفضالى

كلية اللغة العربية - السنة الثانية

الاسلام فى الصين

جاء فى كتاب (تاريخ الصين) الذى ألفه الأستاذ جين يون من جامعة بكين أن أول وفد إسلامى بلغ الصين كان فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان حوالى سنة ٦٥١ م ثم تابعت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون حتى بلغ عدد المسلمين يومئذ فى عاصمة الصين وحدها أربعة آلاف نسمة . وبلغ عدد الوفود الإسلامية إلى الصين فى عهد أسرة تانغ وأسرة يون بين سنة ٦٥١ وسنة ١٢٠٧ م ٧٦ وفدا . ولما قام (شى جول) الشائى الصينى بثورته على حكومة الصين سنة ٧٦٢ استنجد ملك الصين سونىرغ بالدولة العباسية فأمدته بجنودها . ومن علماء الغرب الذين زاروا الصين الرحالة ابن بطوطة وهو أدق من كتب عن الصين من العرب القدماء ، وزار الصين غيره من العراق ابن وهاب وسليمان فى القرن التاسع الميلادى وسجل أحدهما ما شاهداه فى رحلتهما .

الكتاب

عمدة التفسير - عن الحافظ ابن كثير

اختصار وتحقيق الأستاذ الشيخ أحمد شاكر - الجزء الثاني، ٢٨٧ ص - دار المعارف بمصر
توهنا في جزء جمادى الأولى من هذه المجلد بما تصدى له العلامة الأستاذ للشيخ
أحمد شاكر من تصحيح وتنقيح وتحقيق تفسير الحافظ ابن كثير في طبعة مختصرة زاد بها
هذا الكتاب النفيس نفاسة وتمحيصا على ما وصفناه وبيناه .

وهذا الجزء الثانى مبدوء بالآية ١٦٨ من سورة البقرة : « يأياها الناس كلوا مما فى الأرض
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » ونختم بالآية ٩٢ من سورة
آل عمران : « لن تالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم . »
ومما امتاز به هذا المختصر التعليقات عليه مما لا يحسده القارئ فى غيره ، كالتعليق
فى ص ١٨ - ١٩ على حديث « لا وصية لوارث » وبيان أسانيد الصحيحه ، التى نقلها
الأفراد عن الأفراد مما لم يصل إلى الإمام الشافعى رحمه الله ، فذكر فى الرسالة
(ص ٣٩٨ - ٤٠١) ثبوته عنده بنقل عامة عن عامة حيث قال : « ووجدنا أهل الفتيا
ومن حفظنا عنه من أهل العلم بالمغازى - من قریش وغيرهم - لا يختلفون فى أن النبى
صلی الله عليه وسلم قال عام الفتح : لا وصية لوارث ، ولا يقتل مؤمن بكافر . ويأثرونه
عن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازى ، فكان هذا نقل عامة عن عامة ، وكان
أقوى فى بعض الأمر من نقل واحد عن واحد . وكذا وجدنا أهل العلم عليه مجمعين . »
ومن هذه التعليقات تصحيحه أن حديث « عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » قاله
النبى صلی الله عليه وسلم لأم سنان الأنصارية ولنساء أخريات ليس منهن أم هانئ كما وقع
فى تفسير ابن كثير . ومن نفيس التعليقات ما جاء فى ص ١٢٣ - ١٢٤ فى سبب نزول
آية : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم
بالمعروف » . وأنها نزلت فى أخت معقل بن يسار المزنى بعد أن طلقها زوجها تطليقة لم
يراجعها حتى انقضت العدة فخطبها مع الخطاب ، وكانت أخت معقل ترغب فى رجوعها
إليه كما رغب مطلقها ومعقل يأبى ذلك حتى نزلت الآية فقال معقل : سمع لربى وطاعة ،

وزوجه . قال الترمذى وفى هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولى . لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً ، فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها . وقال الإمام الطبرى مثل ذلك ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن هذا هو الصواب ، وأن ترك الأمر فى ذلك إلى المرأة الثيب ترتب عليه مفسد مشاهدة زيادة على مخالفته للنصوص كحديث « لانكاح إلا بولى » .

وفى ص ١٩٢ وص ١٩٦ - ١٩٧ تعليقات على الربا وما تركه المسلمون من شريعة دينهم مندفعين مع شرائع أعدائه .

وفى ص ١٩٨ تنبيه إلى حديث فى صحيح البخارى ترك ابن كثير مكانه بياضاً ، ثم جاء مصححو ابن كثير فى الطبعة التجارية (١ : ٣٣٢) فنقلوا من البخارى حديثاً غير الذى أراده ابن كثير دون بيان أنه زيادة من عندهم فكان هذا العمل تزييفاً واقتراء على ابن كثير وفى ص ٢٠٥ - ٢٠٦ تعليق ورد على محاولة للسيد رشيد رضا رحمه الله تأويل حديث شهادة خزيمه بن ثابت الأنصارى ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها بشهادتين ، بما يخرج الحديث عن معناه وينفى هذه الخصوصية للخزيمه . إلى غير ذلك من محاسن هذا المختصر وتحقيقاته . وكنا نود أن نشير إلى أمثال ذلك فى الجزء الأول ولكن ضاق النطاق عن استيعابه .

أضواء على التاريخ الإسلامى

للاستاذ فتحى عثمان - ٣٠٣ ص - مطبعة دار الجهاد بالقاهرة

طالما رددنا الشكوى على صفحات هذه المجلة من وقوف إخواننا الجامعيين فى مصر من تاريخ العروبة والإسلام موقف الأجنبي الشائع الذى يتصيد الهفوات ، بل يصدق الأكاذيب ويشكك فى الحقائق ، ويبنى على ذلك أحكامه الجائرة على أنظف ماضى لأنظف أمة ظهرت على مسرح الحضارة . وأحب أن أعترف فى هذا الشهر لاثنيين من أفاضل الجامعيين أحدهما الدكتور محمد عبد حسين أستاذ الأدب العربى فى جامعة الإسكندرية لمقاله النفيس المنشور قسمة الاول فى هذا الجزء عن الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، فقد دل على يقظة فكرية بالغ بها الذروة فيما تحدث به فى مقاله عن مؤتمر عقد فى أمريكا سنة ١٩٥٣ للبحوث الإسلامية . أما الجامعى الآخر فهو الأستاذ فتحى عثمان منشئ المقالات والبحوث الكثيرة فى هذه المجلة ومؤلف كتاب (أضواء على التاريخ الإسلامى) الذى صدر فى هذا الشهر عن مكتبة دار العروبة ، وتحدث فيه عن أكثر المعانى التى تجول فى أذهان شباب العروبة والإسلام فى هذه الأيام حول تاريخهم ومراجعهم

والكتب المؤلفة فيه وكيف يستفيدون منها في بعث ذلك الماضي العظيم وتخليصه من شوائب الأغراض التي تسلطت عليه والأهواء التي دفعت حملة الأقلام إلى تشويهه . وبذلك وضع أصابع المثقفين منا على مواضع الألم من هذه الناحية ، وأيقظهم لحقائق كان كثير منهم في غفلة عنها ، وأظن أن هذا الكتاب سيكون له ما بعده إن شاء الله في البعث المرتجى ، بما ينبعث من خلال فصوله وبين سطوره من أضواء على التاريخ الإسلامى ، فشكرا للؤلف على هذه التحفة ، وينبغى لسكل عالم ومتعلم ومنسوب إلى العلم من قراء العربية أن يتصفحها ويطليل التأمل فيه من ألفه إلى يائه . ونطمع من المؤلف أن يواصل المكتبة العربية بمثل هذه البحوث القيمة .

حقوق الانسان بين الشرق والغرب

للاستاذ محمد شاهين حمزة - ٢١٥ ص - إدارة مجلة الرابطة الإسلامية من أعظم أكاذيب هذا العصر وخرافاتة التي تذاع بين الناس بختلف وسائل الإذاعة، فيخيل إلى الجماهير أن فيها شيئا من الصدق ، ولو بنسبة النصف أو الربع أو العشر ، ما يزعمونه من أن في أوروبا وأمريكا اهتماما بمعنى الإنسانية وانتصارا لحقوق الإنسان ، بدليل ما يؤلفونه لذلك من لجان وهيئات ، وما يسطرونه في هذا المعنى من وثائق . وإيمان الغرب بالإنسانية والإنسان هو - في الواقع - ما يعترفون به بمعاملتهم الممجية للولوزين في الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب إفريقيا ، وما شاهدناه ونشاهد من انتدابهم ووصاياهم في القرن العشرين على فلسطين وأهلها ، وأساليب حكمهم في الجزائر وأخواتها . والإنسانية كل لا يتجزأ ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

وهذا الموضوع كان ينبغى لأبناء العروبة والإسلام أن يتناولوه بالتأليف ليحصوا به الحق ، ويدينوا للناس قيمة هذه الأكذوبة التي امتلأت الدنيا بالدعاية لها . وجزى الله خيرا الأستاذ المفضل السيد محمد شاهين حمزة النائب السابق وصاحب مجلة الرابطة الإسلامية حيث أدى عنا الواجب من هذه الناحية ، فتكلم في هذا الكتاب على التعصب والتساح ، وعلى حقوق الإنسان عند دول الغرب واحدة واحدة، وتحدث عن أصابع الاستعمار والرأسمالية ، وعن ماضى ذلك في الأمم السالفة ومختلف الديانات . ودعا في النهاية إلى قيام هيئة أمم شرقية يكون مقرها في الشرق تلتبثق منها حقوق الإنسان الصحيحة فتنتشل هذا العالم الغريق في بحر أطماعه ووحل أحقاداه ، استجابة لدعوة الإسلام منذ نادى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . « وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » .

الأدب والعلوم

القرآن في المدارس الابتدائية

وافق مجلس نقابة المعلمين على التوسع في تعليم الدين بختلاف مراحل التعليم ، على أن يقوم التلاميذ بحفظ أجزاء القرآن الكريم بدلا من الآيات المختارة .

مدارس المبشرين بالسودان

أذعنت إرساليات التبشير البروتستانتية في السودان لقرار ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية .

أما إرساليات التبشير الكاثوليكية فعلقت أمر ضم مدارسها إلى وزارة المعارف السودانية على موافقة البابا . لكنها وافقت على ألا تقبل في مدارسها إلا أبناء طائفة الروم الكاثوليك .

وقد رفضت وزارة المعارف السودانية اشتراط تعليق الضم على موافقة البابا ، ورضى الوزير بأن يجتمع به ممثلو هذه الإرساليات الكاثوليكية للبحث في هذه النقطة .

مؤتمر توحيد المناهج

والمراحل التعليمية

انعقد في القاهرة مؤتمر عربى مشترك لدراسة توحيد المناهج والمراحل التعليمية . ومن أهم ماوجه المؤتمر عنايته له ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية ، فألف لجنة فرعية لوضع الخطوط العريضة لمشروع المناهج الخاصة بها ، وقد أعلن المؤتمر أن اللغة العربية ليست مادة دراسية وحسب ، ولكنها « جزء من شخصية كل عربى » . وبحث منهج التاريخ وأهميته ، باعتبار أن التاريخ العربى من مقومات القومية العربية وقرر المؤتمر الاستغناء عن اللغة الأجنبية في المرحلة الأولى ، على أن يكون تدريسها بعناية من بدء المرحلة الإعدادية . وقرر المؤتمر بالاجماع إلغاء امتحان الدور الثانى ، والنظر إلى الامتحان كعملية تقييم مخففة لا يقصد بها إرهاق التلميذ . ومن مقررات المؤتمر أن تكون مراحل الدراسة في جميع البلاد العربية ثلاثا : ابتدائية ومدتها ٢ سنوات ، وإعدادية وثانوية ومدة كل منهما ٣ سنوات ، وتقرر أن تسمى كل سنة دراسية « الصف » . وتقرر أن تكون المصطلحات موحدة وأن تبدأ المرحلة الابتدائية في سن السادسة

إنشاء العجلة السنوية

سيادة العرب على أوطانهم وحيادهم الايجابي (بيان أقطاب العرب الأربعة)

ابن عبد العزيز خلال زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ، وما أوضحه جلالتة للمسؤولين فيها من وجهات النظر العربية حول مشاكل الشرق الأوسط ، وما تناوله البحث من أمور .

كما أوضح جلالتة ما أفهمه للرئيس الأمريكي بصورة خاصة عن حقوق العرب وقضاياهم بما في ذلك العدوان الأخير على مصر ونتائج وحق مصر في سيادتها على قناة السويس وخطورة ما ينتج عن تمرد إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة التي تنص على الانسحاب بدون قيد أو شرط من قطاع غزة وخليج العقبة إلى ما وراء خطوط الهدنة وذلك دون تحقيق أى مكاسب لإسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثي .

ويؤكد المجتمعون أن دولهم حريصة على أن تقوم بدورها في المجتمع الدولي وأن تساهم

عقد في القاهرة في الفترة ما بين ٢٥ رجب عام ١٣٧٦ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٧ و ٢٧ من رجب سنة ١٣٧٦ الموافق ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٧ اجتماع بين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، و جلالة الملك حسين الأول ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، و نخامة الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، والسيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ورجال حكوماتهم .

وهو الاجتماع الرابع من سلسلة الاجتماعات التي يعقدونها بين آونة وأخرى لدراسة الموقف الدولي والتباحث في القضايا التي تمس الأمة العربية وتؤثر في مجرى حياتها ونهوضها وتقدمها وحفظ كيانها .

ولقد استعرض المجتمعون الجهود المشكورة التي بذلتها صاحب الجلالة الملك سعود

بنصيدها في إرساء العلاقات الدبلوماسية على أسس تتحوبها نحو السلام والعدالة والرخاء بما يكفل احترام سيادتها ومصالحها .

إن الدول العربية المجتمعة وقد ازدادت قوة بوعي شعوبها وازدادت إيماناً بسلامة أهدافها ورسوخ فكرتها لتؤكد ما سبق أن أعلنته من عزمها على تجنب الأمة العربية مضار الحرب الباردة والبعدها عن منازعاتها والتزام سياسة الحياد الإيجابي محافظة بذلك على مصالحها القومية . وكذلك تؤكد أن الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقي وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية .

ويرى المجتمعون أنه رغم قرارات الأمم المتحدة وإجماع الرأي العام العالمي بضرورة انسحاب إسرائيل إلى ما وراء خطوط الهدنة فإن العدوان الثلاثي ضد مصر لا زال قائماً بجميع آثاره ومظاهره ظالماً لم تنفذ إسرائيل قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب دون قيد أو شرط .

كما يرى المجتمعون أنه مما يهدد الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط ما يعانيه أهالي قطاع غزة على يد إسرائيل من أشد ألوان التنكيل والتعذيب .

ولذلك قرر المجتمعون :

١ - العمل على انسحاب إسرائيل

فوراً إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد أو شرط .

٢ - التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة وبسيادة العرب على أراضيهم ومياهم الإقليمية .

٣ - وجوب تعويض مصر من قبل الدول المعتدية عن جميع الأضرار والخسائر التي لحقت بها من جراء العدوان .

٤ - رفض جميع المحاولات التي تبذل للانتقاص من سيادة مصر وحقوقها في قناة السويس، إذ أن قناة السويس جزء لا يتجزأ من مصر وسيادتها عليها كاملة وحرية الملاحة فيها مكفولة طبقاً لأحكام اتفاقية القسطنطينية سنة ١٨٨٨ .

٥ - استنكار العدوان البريطاني على أراضي اليمن والتضامن معها في صد هذا العدوان .

٦ - التأييد المطلق لحق عرب الجزائر في الحرية والاستقلال وتمجيد نضالهم الجبار ضد قوى الاستعمار .

ويرى المجتمعون أن سياستهم التحررية المنبثقة عن إيمانهم بحق أمتهم في أن تحيا حرة مستقلة، والمستندة إلى قوميتهم العربية التي برهنت للعالم أنها حقيقة قائمة، لتريدهم تضامناً فيما بينهم لبلوغ أهداف الأمة العربية في الحرية والوحدة والتقدم .

غنائم مصر

من مدحرات قاعدة القنال

لما قامت بريطانيا بجريمة الغدر في هجومها على مصر، كان من النتائج المشروعة لحالة الحرب التي ترتبت على ذلك استيلاء مصر على الغنائم الحربية التي بقيت مدخرة في قاعدة القنال . ويقول جون هير وزير الحربية البريطانية في تصريح له في شهر فبراير إن هذه الغنائم هي ما يقرب من ٢٧٠٠ سيارة عسكرية و ١٨ ألف طن من الذخيرة و ١٢٠ ألف طن من العتاد المخزون . وقال : إن قيمة هذا العتاد تقدر بستين مليوناً من الجنيهات .

شركات مقاولي قاعدة القنال

اعتبرت الجهات المسئولة في مصر شركات مقاولي قاعدة القنال غنيمة حرب، لأنها كانت لحراسة ذخائر ومعدات حربية، وهذا هو الوجه القانوني لاعتبارها غنيمة حرب . ولكنه من ناحية عمالها ومستخدميها يعتبر مبرراً قوياً لتدبير عمل سريع لهم بعد تسجيل أسمائهم في مكاتب التخديم الحكومية .

اللغة العربية

في الشركات والمؤسسات بمصر

صدر قرار جمهوري بوجوب استعمال

اللغة العربية في جميع السجلات والمحاضر والمسكبات الصادرة من الشركات والمؤسسات الأهلية إلى الجهات الحكومية أو في معاملاتها ، وفي تحرير العقود والإيصالات والمسكبات المتبادلة بين الجمعيات والهيئات وبينها وبين الأفراد ، وكذلك اللافتات . وأجاز كتابة لغة أجنبية إلى جوار اللغة العربية ، على أن يراعى في كتابة اللافتات أن تكون اللغة الأجنبية تحت اللغة العربية وبخط أصغر منها . وحدد القرار عقوبة المخالفة بغرامة من عشرة جنيهات إلى مائتي جنيه . وقد بنى هذا القرار الجمهوري على أن دستور مصر نص على أن اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية ، وهذا القرار أحد وجوه العمل بهذا النص الدستوري .

وفد الجامعات اليوغسلافية

في زيارة الأزهر

زار الأزهر وفد أساتذة الجامعات اليوغسلافية الذي يزور مصر الآن ، وقد استقبلهم نيابة عن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر - فضيلة وكيل الجامع الأزهر وفضيلة سكرتيره العام . وقد وقفوا على مظاهر النشاط الأزهرى في جميع نواحيه .

شهادات

* شهد جوزيف جرين سفير أمريكا السابق بالأردن أمام لجنة الدفاع والشئون الخارجية المشتركة يجلس الشيوخ الأمريكى أن النفوذ الشيوعى فى إسرائيل أقوى منه فى أية دولة عربية أخرى ، بسبب الشيوعيين الذين هاجروا إليها من أوروبا الشرقية ، وأن الشيوعيين بدأوا نشاطهم فى إسرائيل قبل أن يبدأوه فى الدول العربية .

* وشهد هنرى بايرود سفير أمريكا السابق بمصر بأن الهجوم الذى شنته إسرائيل على مصر فى فبراير ١٩٥٥ هو الذى أطلق حالة القلق والاضطراب من عقابها فى الشرق الأوسط ، وأن الفدائيين المصريين لم يرسلوا لمهاجمة إسرائيل إلا بعد هذا الهجوم . وقال : إنه كان من الخطأ أن تلقى أمريكا عرضها للمساعدة فى إنشاء السد العالى .

* وقال جيمس مكدونالد سفير أمريكا السابق فى إسرائيل : إنه لم يحدث منذ مباحثات الهدنة التى أجراها رالف بانس سنة ١٩٤٩ أى تقدم ، بل بالعكس تشدد العرب أكثر من ذى قبل .

* وأعرب جورج وادسورث سفير أمريكا السابق فى المملكة السعودية عن اعتقاده بأن من مصلحة البلدين أن يسمح للسعودية

بشراء الأسلحة من أمريكا ، لأن السعودية تعد من عوامل الاستقرار فى المنطقة ، وقد رفض الملك سعود استمرار قبول الأسلحة من الروس .

قضية الجزائر

فى الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى منتصف فبراير وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة باجماع ٧٧ دولة على المشروع الذى تقدمت به الكتلة الاسيوية الافريقية ودول أمريكا اللاتينية وهو « أن الحالة فى الجزائر قد أدت إلى آلام كثيرة ، وكانت سببا فى خسائر جسيمة فى الأرواح . ولذلك تعرب الجمعية العامة عن أملها فى الوصول - بوسائل مناسبة ، وروح متسمة بالتعاون - إلى حل ديمقراطى عادل لمشكلة الجزائر ، على أن يكون هذا الحل متفقاً مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة » .

مناهج الدراسة النسوية

تتجه النية إلى تعديل مناهج المدارس النسوية والثانوية الفنية ، وسيدخل فى المنهج - علاوة على التدبير المنزلى - وسائل تربية الأطفال ، والرعاية ، والحضانة ، والأعمال الخاصة بالمنزل ، والحياة الزوجية .

الفهرس

صفحة	للموضوع	بسم
٧٠٥	نحو حياة أفضل وأسمد	الأستاذ عب الهن الخطيب رئيس التحرير
٧١١	نفحات القرآن : الموالاة والمسالمة والحندر	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧١٦	السنة : جهاد النساء	» طه محمد للساكت
٧١٩	من هدى القرآن الكريم	» محمد عمداً بوشبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٧٢٣	الاسلام يحارب الجمع	» أحمد للشرابى للدرس بالأزهر
٧٢٦	إحياء العلوم ونهضاتها فى ثقافة أور	» عباس طه
٧٣٠	كلمة الأزهر فى حفلة افتتاح الدراسات الاجتماعية	» محمد عبد التواب
٧٣٣	الاتجاه إلى اقة	» على المهارى
٧٣٦	بشارة لهذه الأمة — ٢ —	» محمود فرج العقدة
٧٣٩	الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة — ١ —	» محمد حسين أستاذ الادب العربى
٧٤٦	لغويات	» بحامة الاسكندرية
٧٤٩	تراث إسلامى	» محمد على النجار
٧٥٠	مضى	» إبراهيم نعيم
٧٥٤	خالد بن الوليد	» محمود إبراهيم طبره
٧٦٠	ثورة الاسلام على الففر	» محمود النواوى
٧٦٤	المثالية الواقعية فى الفكرة الدينية	» محمد ندا
٧٧٠	الدين ووسائل تعلمه	» فتحي عثمان
٧٧٤	بحوث فى مصادر الصروة للمنظرية	» أبو الوفا المراهى
٧٧٩	الندم والتوبة	» زكى الدين شعبان
٧٨٨	تدقيقات : الحلال بين والحرام بين	» أبو زيد حلمى
٧٩٠	ركن الحرس الوطنى بالأزهر : الاسلام والشجاعة	» عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٧٩٢	المكتب	» محمد محمود الفضالى
٧٩٥	الادب والعلوم	المجلة
٧٩٦	المسلم الاسلامى	»



صوم رمضان

للسيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتذكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن الله عز وجل : « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » .

وهذا واضح في أن جزاء الصوم لا يقف عند حد ، ونوابه يتجاوز معايير الحساب والتقدير ، فإنه من أعظم دلائل الإخلاص ، وأقوى مظاهر الجلد والصبر ، وقد قال الله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وأخرج الشيخان أيضا عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله عز وجل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ، فالصوم لي وأنا أجزي به » - وخلوف فم الصائم هو ما يكون من تغير رائحة الفم من أثر الصوم وترك الأكل - وهذا من أقوى الشواهد على فضل الصوم ، وما له من الآثار الطيبة ، وحيد العاقبة ،

صوم رمضان

حتى إن ما يستكره عادة وطبيعة من تغير رائحة الفم هو عند الله أطيب وأفضل وأحسن عاقبة للصائم مما يستطيعه الناس من رائحة المسك .

وروى البخارى عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جنة » ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل » - أى لا يتكلم بما فيه فحش وقبح ، ولا يكن منه ما يكون من الجاهلين من الصخب ومظاهر التجبر والغطرسة - « وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إني صائم إني صائم » .

ومعنى كون « الصيام جنة » أنه وقاية وحماية من المعاصي ومن العذاب . وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له : إنك شيخ كبير ، وإن الصيام يضعفك . فقال إني أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه وتعالى أهون من الصبر على عذابه .

مكانة الصوم

ومزاياه الدينية والدينية

الصوم شريعة من أهم الشرائع التي جاء بها الإسلام ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أحد الأركان الخمسة التي قام عليها هذا الدين الحنيف : فقال عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

ولأهمية الصوم وسمو مكانته وعظم منافعه الجسمية والروحية ، كتبه الله فريضة على الناس في الإسلام ، وفي الشرائع السماوية التي سبقت الإسلام ، كما قال عز وجل : « يأياها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

فهو تهذيب للنفس ، وسمو بالآرواح ، يعلم الناس كيف يرفعون عن مظاهر الحيوانية التي كل همها الأكل والشرب وإشباع البطن ، يعلمهم كيف يسمون بأنفسهم إلى مستوى الملائكة الذين غذاء أرواحهم مراقبة الله وعبادته وتقواه . ويرى فيهم ملكة الصبر ، وقوة قهر النفس ، ويعودهم احتمال الشدائد ، والجلد أمام العقبات والأحداث ومكاره الحياة .

والصوم ينمي في النفوس فضيلة الأمانة والإخلاص في العمل ، وألا يراعى في العبادة غير وجه الله ، ويقضى على رذائل الدهان والنفاق والمراءاة .

صوم رمضان

وهو تصفية للنفوس من علائق الدنيا وشهواتها ، وتخليص لها من الانهماك في متعتها وزخارفها ، حتى لا تطغى المادية ويستبد سلطانها على سلوك الناس في هذه الحياة ، وحتى يكون السلطان الغالب في الحياة للفضائل الطيبة ، والمعنويات السامية . وبذلك يكون الإخاء الإنسانى ، وتكون المحبة ، ويتحقق التعاون بين الأفراد والجماعات : الأمر الذى فقدته الحياة المادية التى تصرخ الأمم الآن من شدة ضغطها على النفوس ، وتتلمس الخلاص منها إلى حياة سلم وأمن وتعاون ومحبة .

هذه المعانى السامية ، وهذه الحكمة الرائعة ، التى هى بعض مزايا الصوم وثمراته ، قد أشار إليها القرآن فى آية الصوم بقوله تعالى : « لعلكم تتقون » ، وأرشد إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الصوم جنسة » ؛ فان الصوم يبعث على تقوى القلوب ، وخشيتها لله وحده ، ويقضى على ما تحمل النفوس من الضغائن والإحن ، والعجب والفخر والبطر ، ويحميها من الميل مع الهوى ، ومن حب التجبر والطغيان ، ويعصمها من الفجور والفجور ومنكرات الأمور .

نعم الصوم خير مرب للانسان على فضائل الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل ، وعلى الجحد والحزم وقوة العزم ، وهذه الفضائل هى معدن الخير كله ، وأصل المحامد جميعها ، فان من يضبط نفسه ويمسكها طوال النهار عما اعتادته من الأكل والشرب ، وعما تستهيه من المتاع الذى أحله الله فى غير أوقات الصوم ، فلا يتناول شيئا من الطعام أو الشراب جهرة ولا خفية ، ولا يتمتع بشيء من ذلك المتاع - من يضبط نفسه ويمسكها عن الحلال على هذا النحو ، امتثالاً لأمر الله ، ورعاية لأحكام الله ، وقصدًا إلى نيل رضاه ، فإنه من غير شك يكون قويا على منعها عن الحرام ، وإمسكها عما فيه غضب الله ومخنطة ، ويكون فى سلوكه فى مجتمعه ، ومعاملته مع غيره ، أهلا للصدق والأمانة ، والوفاء بالعهد ، وإنجاز الوعد ، لا يكذب ولا يمارى ، ولا يغش ولا يخون ؛ بل يرفع بدينه وشرفه عن أن يأتى منكرًا ، أو يفعل فاحشة ، أو يكون منه ما يخذش الشرف والكرامة وعلو الهمة .

هذا إلى ما للصوم من منافع تعود على الناس بصحة أبدانهم وسلامة أجسامهم ، فهو حمية لها ، ووقاية لقواها ، وتنقية لأجهزتها من آثار الأخلاط الضارة التى يشهد الطب بأنه يرجع إليها دائما مختلف العلل والأمراض .

التدرج في شرع الصيام

وقد سار الإسلام في شريعة الصيام ، على طريقته في التدرج بالأحكام . ففرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، في شهر شعبان منها ، قبل غزوة بدر . واقتضت حكمة الله تعالى أن تكون فرضيته هكذا متأخرة بعض الشيء عن بدء ظهور الإسلام ، وعن شرعية غيره من الصلاة وبعض الأحكام ؛ وذلك لأن فطم النفس ، ومنعها عن مآلوفاتها ومشتياتها ، جهاد فيه مشقة ، لا يصبر عليه إلا من تمكنت عقيدة التوحيد في قلبه ، ومرن على الصلاة ، وحب طاعة الله ، وحسن الاستماع لأوامره ، وقبول أحكامه ، والتأثر الكامل ، والانتفاع العظيم ، بآيات الذكر الحكيم .

وهذا هو أحكم الطرق في التشريع ، وأحسن مثل يحتذى في النصيح والهدى والإرشاد : أن يؤخذ الناس بالتدرج في الموعظة : يبدأ معهم بما يخف على نفوسهم ، وما يكونون أحسن قبولاً له وطاعة فيه ، ثم يستعان بذلك على الانتقال بهم إلى غيره ، مما يكون فيه نوع مجاهدة ومشقة . وهكذا تربي فيهم الفضائل والملكات الطيبة . وبهذا تكون الأمة الصالحة ، وبه وحده يمكن أن يجتمع الناس على الخير ، وعلى التعاون في البر والعمل النافع .

ولقد كان من التدرج في الصيام الذي أتى به الإسلام ، أنه فرض على الناس - قبل أن يفرض صوم رمضان - أن يصوموا يوم عاشوراء ، وهو يوم معظم له فضله وشرفه . ثبت تعظيمه وصومه في الديانات السابقة على الإسلام ، وحفظت آثار هذا التعظيم ومظاهره ، عند قريش في الجاهلية ؛ فقد كانوا يحتفلون بهذا اليوم ، ويكسون فيه الكعبة . وقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم مظاهر هذا التعظيم باقية في يهود المدينة بعد الهجرة : ففى الصحيحين من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ، ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان . وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم - في شأن يوم عاشوراء - « من شاء فليصمه ، ومن شاء أفطر » .

وفى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم

صوم رمضان

صالح ، هذا يوم نجى الله فيه بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى . قال : فانا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه .

فيوم عاشوراء كان يصام في الجاهلية ، وصامه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم فرض صيامه على الناس قبل أن ينزل القرآن بفرض الصيام ، وقد انتهت فرضيته بفرض صيام رمضان ، ذلك الشهر العظيم ، لكن صوم عاشوراء قد استمر شيئا مندوبا إليه ، ويستحب أن يصام قبله يوم التاسع ، كما نبه إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع » .

حكمة تخصيص شهر رمضان

بشريعة الصيام

بين الله تعالى في صدر الآية الكريمة : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » . منزلة هذا الشهر وجلال مكانه بين أشهر السنة من حيث إنه سبحانه قد اختاره من بين هذه الأشهر ، فأُنزل فيه أول ما أنزل من القرآن ، الذى هو في جملة هداية عامة للناس ، ومعجزة إلهية ، تثبت بنفسها أن هذا القرآن ليس من صنع أحد من البشر ، ليس هو من إنشاء مجد وأبتكاره ، وليس هو من ثمرات عبقرية وذكاؤه ، وإنما هو كلام الله ووحيه ، جعله حجة ساطعة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ودليلا باقيا على صدقه في دعواه أنه رسول الله إلى الناس لينقذهم من الشرك والضلال والزيف والانحراف ، وليقضى على ما كانوا عليه من قبيح العادات وسوء التعصبات .

ذلك شيء من هداية القرآن في جملة .

وهو في تفصيله آيات بينات ، ودلائل واضحات ، في باب الهدى والإرشاد ، والفرقة بين الحق والباطل ، يبين الحق ويوضح دلائله ، ويفصل آثاره وثمراته داعيا إليه ، آمرا باتباعه والتمسك بأهدابه ، ويكشف عن الباطل ومساويه ، ناهيا عنه مخذرا من مفسده وأضراره .

وقد أشارت الآية بعد ذلك إلى أن الشهر الذى هو بهذه المنزلة من الفضل والشرف - شرف اختياره لتنزل فيه هذه النعمة العظمى على الإنسانية كلها - يجب أن ترعى حرمة ، وأن تحيى دائما ذكراه ، ففرض فيه شريعة الصيام ، وهى شريعة تناسب حال القرآن

صوم رمضان

ودعوته ، وتتفق مع أهدافه وغاياته ، والحكمة من إنزاله ، فإن القرآن هدى ونور ، يبحث على التقوى والرحمة وعلى العدل والمساواة ، و إحسان المعاملة والمعاشرة ، وعلى الصراحة وصدق القول وإخلاص العمل ، وتطهير النفس من الخداع والغش والتناق .

وكذلك الصيام وحكمته : فإنه يبعث على الإحسان والرحمة ، وعلى الصدق والإخلاص ومراقبة الله ، ويمرن النفس على الجلد والصبر في مكافحة الشدائد والملهات ، وعلى جمع الهمة وبذل الجهد ، لتذليل الصعاب والتغلب على مختلف العقبات .

وهو أحسن مبصر بحكمة تنزيل القرآن ، وخير مساعد على الاهتداء بهديه ، والانتفاع بفعاليه وإرشاداته .

فصوم رمضان إذاً هو إحياء سنوى مجيد لذكرى نزول القرآن الكريم ، وهو أعظم آيات الشكر لله على امتنانه بهذه النعمة الجليلة . ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى بتعظيم هذا الشهر والاحتفال به ، بكثرة العبادة ، وبذل كل جهوده في شكر الله على ما أنعم به عليه وعلى أمته ، وكان يكثر فيه من البر والإحسان وتلاوة القرآن ، يعرضه على جبريل أمين الوحي عليه السلام . وهذا هو أحسن المثل في إحياء الذكريات وتمجيد الصالحات .

حكم الصوم

وبيان طرف من الأعذار المبيحة للافطار

قد بينت الآية الكريمة أن صوم رمضان واجب حتم على كل من شهد هذا الشهر العظيم . وشهر رمضان هو أيامه التي عدتها ثلاثون أو تسعة وعشرون ، وليس هو الهلال ، والمراد بشهود هذا الشهر ليس هو رؤية هلاله كما يظن بعض الناس ، فإن نزول القرآن لم يكن في هلال رمضان ، وإنما كان نزوله في أوقات من ليل أو نهار ، ولأن الذي يصام ليس هو الهلال ، وإنما هو تلك الأيام . هذا إلى أن الصيام واجب عام ، وليس مقصوراً على من رأى الهلال ، فمن رأى الهلال ومن لم يره في وجوب الصوم على سواء .

صوم رمضان

فشهدود الشهر إذا معناه الحضور فيه : تقول شهد فلان صلاة الجمعة وصلاة العيد ، وشهد الاحتفال برأس السنة وذكرى الهجرة ، وتقول : يشهد يوم عرفة كل عام عدة آلاف من المسلمين ، فليس الشهود في ذلك على معنى الرؤية والإبصار ، وإنما هو على معنى الحضور والوجود في تلك الآونة أو المشاركة في تلك الأعمال .

وعلى هذا يكون الصوم واجبا على كل من حضر وقته وأدرك زمنه المحدد شرعا . وهذا الوجوب ملاحظ فيه بالضرورة أن المخاطبين به هم أهل التكليف ، وهم العقلاء البالغون ، فلا يجب الصوم على صبي دون البلوغ ، كذلك لا يجب على مجنون ، ولا تشغل به ذمته ما دام كذلك مرفوعا عنه القلم ، حتى إذا أفاق من جنونه وعاد إلى وعيه فلا يكلف بقضاء ما فاتته من الصيام ، كما لا يكلف بقضاء ما فاتته من الصلوات ، فإن وجوب القضاء متفرع على شغل الذمة بأصل الواجب ، وذلك غير متحقق في المجنون ، فهو والعبي غير المكلف على سواء .

أما إذا كان العاقل البالغ المكلف بالصوم مريضا مرضا لا يستطيع معه الصوم أولا يستطيعه إلا بمجهود جهيد ، أو كان الصوم عاملا على زيادة مرضه ، أو تأخر برئه منه ، فإنه يكون معفى من وجوب تمييز الصيام في وقته المحدد ، ولكن ذمته تكون مشغولة بهذا الواجب ، فعليه أن يقضى ما فاتته بعد زوال المانع ، فيصوم أياما بعدد ما فاتته . فإن لم يدرك أياما يكون فيها صحيح الجسم ومستطيعا أن يصوم ، بأن استمرت به العلة والضعف حتى مات فلا يؤخذ بشئ مما فاتته من صيام .

وليس على هذا المريض الذي أعفى من وجوب تمييز الصوم شيء من الفدية التي تجب على غيره في بعض الحالات ، لأن المريض مشغول الذمة بوجوب الصوم نفسه ، فإن لم يستطع أدائه في حالة المرض وجب أن يقضيه في حالة الصحة ، وما دام المانع من الصوم هو المرض وحده وكان هذا المرض من شأنه أن يعرض ويحول فلا ينتقل الوجوب إلى شيء آخر غير الصوم ، ولا يقوم غيره مقامه في الخروج به عن المهلة .

وكذلك المسافر الذي يقطع مسافة السفر الشرعية له أن ينتفع بهذه الرخصة ، رخصة الفطر ، على أن يقضى ما فاتته بعد إقامته بصيام عدة ما فاتته من أيام أخر ، لكن المسافر إذا أخذ بعزيمة الصوم كان ذلك خيرا وأفضل ، كما قال تعالى : « وأن تصوموا خير لكم

صوم رمضان

إن كنتم تعلمون « إلا أن تصل به مشقة السفر إلى حد الاجهاد والإعياء ، ففي هذه الحالة يكون كالمريض ، وينبغي له الفطر ، وعليه القضاء ، وليس عليه فدية .

أما الذى يطالب بالفدية - وهى إطعام مسكين يوما كاملا عن كل يوم يفوت صومه - فهو الهرم الذى لا يستطيع الصوم إلا بمجهود يستنفد طاقته ، ويبدل فيه غاية الوسع ، فهذا لا تكلفه الشريعة بأداء الصيام ، لأنه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . ثم هو ليس من أهل أن تخاطبه الشريعة بوجوب قضاء ما يفوته ؛ لأن المانع عنده من الصوم فى وقته ليس من الموانع التى من شأنها أن تعرض وتزول ، بل هو عارض مستمر ملازم ، يزداد فيه صاحبه كل يوم ضعفا على ضعف ؛ فالشريعة الحكيمة لا تخاطبه حينئذ بوجوب قضاء الصيام ، وإنما الواجب عليه الفدية : طعام مسكين عن كل يوم ؛ وذلك بر ونفع يعود على الجماعة ، بسد حاجة واحد من الفقراء والمساكين يوما كاملا يحفظ نفسه فيه من ذل المسألة . وهذا هو عين العدل وعين الرحمة ، يوم ييوم ، مادام ليس هناك إثم ولا عدوان .

وهذا التشريع الحكيم هو نقطة صغيرة جدا من كتاب الضمان الجماعى والتعاون الإنسانى الذى أتى به الإسلام .

وقد بين القرآن الكريم نوع الفدية ومن تجب عليه ؛ وذلك قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » فإن المراد بالذين يطيقون الصيام هم الذين يبذلون فيه آخر الطاقة وغاية الوسع ، ويستنفدون فيه كل الجهد ؛ وليس معناه الذين يستطيعونه عن سعة ويسر وقوة احتمال ، فانك لا تقول : أطيق حمل رطل أو نصف رطل ، ولكن يصح أن تقول : أطيق حمل قنطار أو قنطارين .

والذى يؤيد أن المراد بالإطاقة فى الآية هو هذا المعنى الذى أشرنا إليه ما ورد فى قراءة أخرى تقول « وعلى الذين يطوقونه » بتشديد الواو ؛ فإن التطويق هو إحاطة العنق ونحوه بطوق ، وذلك يدل على معنى الشدة والضيق ، ويكون معنى الآية على هذا أن من يعتره بسبب الصيام ضيق وشدة بالغة تستنفد جهده وغاية استطاعته ، فعليه الفدية عن كل يوم طعام مسكين . وبهذا تلتقى القراءتان ، والقراءات - كما قال العلماء - يفسر بعضها بعضا .

ويلحق بالهرم الذى يضعف عن احتمال الصيام - فى وجوب الفدية والاكتفاء بها

صوم رمضان

عن الصوم - من كان مريضاً مرضاً مزمناً من شأنه أن يلزم صاحبه حتى الموت مهماً طال أمده .

ومن الأعذار المبيحة للافطار مع وجوب القضاء بعد زوال تلك الأعذار ما ورد عنه السؤال إلى لجنة الفتوى بالأزهر من السيد قائد كلية الطيران في مصر ، ونص السؤال بعد الديباجة :

« يقوم طلبة كلية الطيران بتدريباتهم اليومية الخاصة بالطيران ابتداء من الساعة الخامسة والنصف صباحاً ويستمر طيرانهم لغاية الساعة العاشرة . ثم يتلقون بعد ذلك محاضراتهم في العلوم النظرية ابتداء من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الثانية بعد الظهر وكذلك لمدة ساعتين آخرين من الرابعة بعد الظهر إلى السادسة علاوة على طيرانهم بعد الظهر أيضاً في بعض الحالات » .

وحيث إن النظم الطبية المتبعة في السلاح الجوى هي عدم طيران المدرس أو الطالب ومعدته خالية وإن حالة العمل بالكلية لا تحتل تأخير تدريبات الطيران المذكورة لشدة الحاجة لتخريج طيارين بأسرع ما يستطيع للذود عن الوطن في هذه الظروف غير المستقرة ، هذا علاوة على ما في هذه التدريبات من إرهاق شديد وعمل متصل ، فأرجو الإفادة بالحكم الشرعي في هذه المسألة .

وصدر الجواب من لجنة الفتوى بهذا النص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال .

وتفيد بأن إعداد القوة للدفاع عن الوطن فرض يجب على الأمة القيام به وبذل الوسع في تحصيله ؛ لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وتجب المبادرة بهذا الإعداد والإسراع فيه في الأوقات التي يتوقع فيها حدوث مفاجآت كأوقاتنا التي نحن فيها .

ولا ريب أن الطيران قد أصبح في هذا العصر من أهم أنواع هذه القوة ، ومن أعظم

صوم رمضان

وسائل الدفاع التي تستخدمها الأمم وتتسابق في التدريب عليها تدريبا يضمن لها الوصول إلى الغاية .

ولما كان التدريب المذكور يستدعي عملا شاقا متواصلا ، وكانت النظم الطبية مع هذا تقضى بعدم الطيران في حالة خلو المعدة ، كما جاء في السؤال ، كان لهؤلاء الطلبة ومعلمهم عذر شرعى في الإفطار في رمضان ، لأن الشريعة الإسلامية قد بنيت على اليسر ودفع الحرج ، ولذلك أباحت الشريعة الإفطار لمن هو أقل عذرا وأدنى ضرورة من هؤلاء ، كما يعلم ذلك من الرجوع إلى مذاهب الفقهاء . ١ هـ

وبهذا علم أنه يجوز لهؤلاء الطلبة ومعلمهم الإفطار في رمضان للأعذار التي وردت في السؤال . لكنه يجب عليهم القضاء بعد زوال هذه الأعذار .

ويستخلص من هذا التشريع الحكيم - الذي حاطه الله بالتيسير على العباد فلم يكلفهم بما فيه حرج وعسر - حكم الصيام بالنظر إلى سكان البلاد التي يطول فيها النهار جدا ، وهي البلاد القريبة من المناطق القطبية ، فانه ما دام عندهم ليل ونهار فالصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، كما قال الله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

فن لا يستطيع من سكان هذه البلاد إتمام الصيام من الفجر إلى الغروب ، أو كان لا يستطيع ذلك إلا بعسر وحرج بالغين ، فانه يسوغ له الفطر ، ويجب عليه قضاء ما فاته في أيام يستطيع فيها ذلك ، فان الله يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أما إذا كان في منطقة تمكث فيها الشمس زمنا طويلا من غير غروب ، أو في منطقة تغيب فيها كذلك من غير شروق ، فانه يقدر لصيامه - في كل أربع وعشرين ساعة - مدة يستطيع الصيام فيها من غير عسر وإجهاد ، ليحصل فوائد الصوم الروحية والبدنية ، التي من أجلها كتب الله الصوم على العباد . ولا ينبغي القول بسقوط هذه العبادة عنه ، فيحرم من ثمراتها وعظيم منافعها .

كما أنه يجب أن يقدر للصلوات الخمس أزمنة في كل أربع وعشرين ساعة ، كي ينتفع أيضا بثمرات هذه العبادة التي هي أهم أركان الإسلام .

أشياء قد يخفى حكمها على بعض الناس

وهي غير مفسدة للصيام

ينبغي للفتى - إذا كان بصدد مسائل يختلف في حكمها الفقهاء - أن يراعى في فتواه حالة الناس وما هو أرفق بهم وأوفى بالغرض من تحقيق مصالحهم وما يكونون له أحسن قبولا وأقوى امتثالاً .

ومن أجل هذا اخترنا في المسائل التالية - التي قد يلبس الأمر فيها على بعض الناس - أن الحكم فيها هو عدم فساد الصيام .

فلا يفسد الصوم بشيء من الحقن العضلية أو التي تكون تحت الجلد ؛ ولا بالحقن التي تكون في الأوردة ، ولو كانت للتغذية لأن السائل لا يدخل بها في الجوف من منفذ طبيعي كالقلم والأنف ؛ ولأن التغذية من طريق الأوردة لا تفيد شبعاً ولا رياً ؛ لأنها ليست من طريق يوصل إلى المعدة ، وإنما هي مجرد حفظ الحياة من طريق يوصل مباشرة إلى القلب .

أما الحقنة الشرجية فقد قرر العلماء أنها تفسد الصوم ؛ لأن السائل يدخل بها إلى الجوف من منفذ طبيعي ؛ لكنه لا تجب فيها الكفارة ؛ لعدم تكامل الجناية على الصوم كما في الأكل والشرب والجماع ، وإنما الواجب فيها القضاء لا غير .
والتقطير في العين لا يفسد الصوم كما هو مذهب الحنفية .

كذلك لا يفسد الصوم بالقيء ولا بالسواك ، سواء أ كان السواك رطباً أم يابساً . وقد سأل بعض المسلمين عن استعمال معجون الأسنان بالفرشاة المعروفة ، « والجواب » أنه يجب الاحتراز عن إيصال شيء من هذه المادة إلى الحلق ؛ فإن ما يصل إلى الحلق يجرى غالباً إلى المعدة ، فيفسد به الصوم . فإن احتاط الصائم في استعمال هذا المنظف ، وعمل على ألا يصل شيء منه إلى الحلق فلا يفسد صومه . أما إذا وصل إلى حلقه من هذه المادة شيء ولو بغير اختياره فإنه يفسد الصوم . ومن أجل ذلك كان استعمال هذه المادة لا يخلو من الكراهة ؛ لأنه غير مأمون العاقبة .

على أنه لا ضرورة مطلقاً لاستعمال هذه المادة بتلك الطريقة في تنظيف الأسنان ، بل إن استخدام السواك المعروف أولى وأسلم عاقبة ، وأشد تقوية للثة والأسنان .

إثبات رمضان وذى الحجة

وبيان الحكم في اختلاف المطالع

من خير ما أرشدنا به الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الصيام ، وإثبات شهر رمضان ، قوله عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين » . فقد ربط ثبوت الشهر شرعا بهذه العلامة الحسية ، وعلق وجوب الصوم على تحقق الرؤية البصرية : رؤية الهلال بعد غروب الشمس في اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان . فإذا كانت رؤية الهلال في ذلك اليوم مستحيلة طبيعة : بأن كان القمر لم يتم بعد دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذي يسمى « الميلاد » ، أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التي تحول دون الرؤية - كالغيم والغبار - فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يتبع في ذلك : فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما ، ثم لا يكون المسلمون حينئذ في حاجة إلى تفقد الهلال في اليوم التالي لإثبات شهر رمضان .

غير أن هناك أمرا مهما يجب النظر إليه ، والفصل فيه بحكم يقطع الاختلافات ، التي تقع كثيرا بين أهل الأقطار الإسلامية ، في اليوم الذي يبدأ فيه الصيام :

ذلك أن بعض هذه الأقطار ، قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال ، في حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر ، فهل يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر ، على ما يبلغهم من تحقق الرؤية في بعض الأقطار الأخرى ، فيصوموا معهم من أول أيام صيامهم ، ويتوحد بذلك مظهرهم جميعا ، في أداء عبادة من أهم العبادات ، وشعيرة هي من أعظم أركان الدين ؟

حقا إن مواقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ؛ واختلاف هذه المواقع - ولا سيما عند النظر إليها بحسب الخطوط الطولية للكرة الأرضية - يوجب بالضرورة اختلافات وتفاوتات في المواقيت : فتشرق الشمس على قوم قبل أن تشرق على آخرين ، بساعة وساعتين ، وثلاث ساعات ، وأكثر من ذلك ، على حسب التماعد بين الجهتين شرقا وغربا ، ولذلك لا يمكن أن توحد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الإمساك والإفطار في أيام رمضان ، في جميع الأقطار الإسلامية ، ما دامت الأوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، وما دام الواقع يشهد بأنه قد يكون ناس في وقت

صوم رمضان

المغرب وحلول الإفطار في رمضان، على حين أن ناسا آخرين ، يكونون في وقت العصر ، أو الظهر ، أو وقت الفجر ؛ فإن كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، هي وقت طلوع الفجر ، وشروق الشمس ، وهي وقت ضحى وزوال ، وعصر وغروب ، وهي وقت ظلمة الليل ، أوله ووسطه وآخره ، على حسب مواقع البلاد .

لكن اختلاف المواقع الذي يبلغ به التفاوت في المواقيت ، ذلك المبلغ العظيم ، ليس له مثل هذا الأثر البالغ ، فيما يرجع إلى إثبات الأهلة ، فإنه ليس بين الأقطار الإسلامية ، الشرقية والغربية - في أغلب الأحوال - تفاوت يتعذر معه تحقيق الفكرة التي نريدها من توحيد أمر الصيام ، بعد أن تتفق الدول الإسلامية جميعها على توحيد العمل برؤية الهلال ، متى ثبتت ثبوتاً أكيداً في أي قطر من الأقطار الإسلامية .

إن علماء الفلك يقررون أن هلال رمضان في هذا العام ، سيمكث فوق الأفق في مصر ، ثلاث عشرة دقيقة ، بعد غروب الشمس من يوم الأحد ، الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٧ ، فإذا لم يتمكن بعض أهل المشرق : في أندونيسيا أو الهند مثلاً من رؤية الهلال ، بعد غروب الشمس عندهم في ذلك اليوم ، ثم رآه أهل الحجاز أو أهل مصر ، بعد غروب الشمس من اليوم نفسه ، فما الذي يمنع من اعتبار أن هذا الهلال هو هلال رمضان ، بالنظر إلى الهند وأندونيسيا وما إليهما من بلاد الشرق ؟

إنه لاشك في أن هذا الهلال هلال جديد ، هو هلال رمضان ، كما أنه لاشك في أن النهار الذي يلي ليلة رؤيته هو نهار « الإثنين » بالنظر إلى جميع الأقطار ، فما المانع من أن يكون يوم الإثنين هذا هو أول أيام الصيام لجميع المسلمين ، مع فارق واحد ، ليس له كبير تأثير : وهو أن هذا اليوم « الإثنين » يبدأ عند أهل المشرق ، قبل غيرهم من أهل مصر أو الحجاز مثلاً ببضع ساعات .

إنه لا شبهة في أن ذلك الهلال هلال جديد ، وهو - منذ اللحظة التي يولد فيها - هلال جديد بالنظر إلى أقطار الأرض جميعها ، وأن رؤيته في الحجاز أو في مصر ، تكون قبل انقضاء الليل عند أهل المشرق ، الذين لا يتمكنون من رؤيته في أول ليلة ، ولذلك هم يرونه - في الليلة التالية - أكبر حجماً ، وأعلى في الأفق منزلة ، مما يكون في الليلة الأولى ، عند أهل الحجاز أو مصر ، الذين يكونون قد تمكنوا من رؤيته فيها .

ومن هنا اختار كثير من أئمة الفقه ، في المذاهب الأربعة ، عدم التعويل على اختلاف

صوم رمضان

المطالع في إثبات الهلال . وهو رأى قوى ، ووجهة نظر سديدة . ويزيد ذلك قوة وسداداً أن توحيد بدء الصيام ، من أقوى العوامل ، على تمكين الروابط بين الشعوب الإسلامية ، في جميع أقطار الأرض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة ، والناس الآن أحوج ما يكونون إلى عوامل التآلف والتقارب واتحاد الكلمة .

وهذا الرأى القوى السديد ، لا يتنافى مع ما دل عليه الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، فإن ذلك خطاب للأمة الإسلامية ، المتكافلة المتعاونة ، في إقامة شعائر الدين ، وإيجاب للصوم على جميع المكلفين ، متى تحققت رؤية الهلال ؛ فيكفى إذاً لإيجاب الصوم على أهل قطر ، أن تثبت رؤيته ولو في قطر آخر ؛ فإن الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو « رؤية » ، بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبني للجهول ، فكأنه يقول : « صوموا إذا رآى الهلال » ، « إذا تحققت رؤية الهلال » .

وإذاً لافرق بين قطر وقطر ، فيما يرجع إلى ثبوت الهلال ، كما أنه لافرق بين بلد وبلد من قطر واحد .

... ..

هذا - ولا ينبغي أن يتوهم متوهم أن قول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » معناه : من رأى هلال رمضان فليصمه » ، وأن ذلك يتنافى مع فكرة توحيد البدء بالصيام ؛ فإن الشهود في الآية ليس معناه الرؤية ، فالأعمى والمبصر سواء في إيجاب الصوم ، وإنما الشهود هو الحضور . والمعنى : من حضر شهر رمضان ، وأدرك زمنه ، فواجب عليه أن يصوم ، متى كان أهلاً للتكليف بالصوم .

وخلاصة القول أنه ما دامت مسألة اختلاف المطالع ، واعتبارها أو عدم اعتبارها ، محل اجتهاد الفقهاء - ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أقطارهم - فلا يكون بدعاً أن يرجح أحد النظريتين على غيره ، ويفصل في المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع ، نظراً لما قدمناه من أسباب هذا الترجيح .

... ..

قد يقول قائل : إن هذا التوحيد إن صح أن يحوى على القطر الذى رأى أهله الهلال ، مع الأقطار الواقعة غربيه ، فكيف يتحقق بين ذلك القطر والأقطار التى في الجانب الشرقى منه ، ولا سيما تلك التى هي في نهاية الشرق الأقصى ؟ إنه إذا رآى الهلال في مصر في ليلة ،

صوم رمضان

فإن هذه الليلة - من وقت غروب الشمس - تكون من الشهر الجديد ، بالنظر إلى أهل مصر ، ولزم أن تكون كذلك بالنظر إلى أهل تونس والجزائر ومراكش ، من وقت غروب الشمس عندهم أيضا ، بل إن رؤية الهلال تكون في هذه الأقطار ، أيسر منها في مصر ، لعل منزلة القمر فوق الأفق هناك ، بسبب تأخر غروبه عن غروب الشمس ، أكثر مما يكون في مصر ، لكن تلك الليلة التي تحتسب من الشهر الجديد لمصو وللبلاد الواقعة غربها ، لا تكون جديدة أو لا تكون جديدة كلها ، لأهل الأقطار الشرقية : كإلند والباكستان ، وأندونيسيا ، مادام نظام دورة القمر لا يسمح برؤيتهم الهلال بعد غروب الشمس .

قد يقال هذا ، ونحن نوافق على أن حالة البلاد الواقعة شرق قطر رأى أهله الهلال ، تختلف قليلا أو كثيرا عن حالة البلاد الواقعة غربى هذا القطر ، لكن هذا الاختلاف لا يمنع من الأخذ بفكرة توحيد الصوم ، فإنه إذا كان الفرق - بين قطر شرق وآخر غربى يكون أهله قد رأوا الهلال - هو بضع ساعات لا تبلغ ليلة كاملة يصير بها أحد القطرين في ليل والقطر الآخر في نهار فإنه يمكن من غير شك توحيد بدء الصيام .

فتى تحققت رؤية الهلال فى بلد من البلاد الإسلامية فإنه يمكن القول بوجوب الصوم على جميع المسلمين الذين تشترك بلادهم مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد .

ولا يمنع من هذا التوحيد أن يكون الليل الجديد متحققا فى بعض البلاد الإسلامية : « بلد الرؤية وما يقع غربها » . عقب غروب الشمس ، هل حين يكون تحققه فى البلاد الشرقية بعد ذلك بساعة أو ساعات إلى ما قبل طلوع الفجر .

وعلى هذا الاعتبار : - « اعتبار أن اشتراك أى بلد إسلامى مع بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد يحتم اشتراكهما فى بدء الصيام » - يجب الصوم على أهل البلاد الأندونيسية جميعها وما فى حكمها ، بل على من هم أبعد من ذلك فى جهة الشرق ، إذا رأى الهلال فى مصر أو فى الجواز مثلا . ومن باب أولى إذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر من الأقطار الواقعة شرق مصر أو الجواز .

أما أهل البلاد التى لا تشترك بلد الرؤية فى جزء من الليل الجديد فإنهم يكونون حينئذ فى نهار يعتبر آخر نهار من شهر شعبان ، فعليه أن يصوموا النهار الذى يتلو عندهم ذلك الليل الجديد .

صوم رمضان

وتكون النتيجة أن أهل الأقطار جميعها حين يصومون النهار التالى لتحقق الرؤية في قطر من الأقطار يكونون صائمين في نهار جديد من شهر جديد .

وبعد : فهذا البيان - الذى يمكن أن يجعل أساسا في العمل على توحيد الأقطار الإسلامية ، في الحكم بثبوت الهلال متى ثبتت رؤيته يقينا في بلدة منها - لا يقتصر أمره على هلال رمضان ، بل الحكم كذلك في ثبوت هلال ذى الحجة ، الذى يتعلق به أمر شعيرة كبرى ، هى شعيرة الحج والوقوف بعرفة :

فانه إذا رنى هلال ذى الحجة من هذا العام في بلدة جا كارتا أو كراتشى مثلا بعد غروب الشمس من يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٥٧ ، فان نظام دورته يسمح برؤيته حتما في المحجاز ومصر وما بعدها من جهة الغرب ، وتكون الليلة الجديدة من شهر ذى الحجة - وهى ليلة السبت ، التاسع والعشرين من شهر يونيه - في كل قطر من هذه الأقطار ، ثابتة عقب غروب الشمس من أفقها ، وإذا يكون الوقوف بعرفة في يوم الأحد وهو اليوم التاسع من الشهر العربى ، من أوله من غير شك .

أما إذا رأى الهلال بعد غروب الشمس من ذلك اليوم « الجمعة » في مصر أو في تونس أو في مراكش أو في بلدة « دكار » على المحيط الأطلسى ، وكان نظام دورة القمر لا يسمح برؤيته في ذلك اليوم في بلاد المحجاز كانت الليلة الجديدة ثابتة في بلد الرؤية عقب غروب الشمس من أفقها . أما بلاد المحجاز فانها لا تدخل في الليل الجديد إلا بعد ذلك بمقدار ما بينها وبين بلد الرؤية ، لكنها تشترك معها في جزء عظيم من الليل الجديد ، وإذا تشترك معها في جزء عظيم أيضا من نهار « الأحد » الذى هو اليوم التاسع من ذى الحجة حسب الرؤية .

ومما تقدم يتبين أن الأمر في توحيد الأقطار الإسلامية على مبدأ ذى الحجة ، أيسر وأقرب منه في موضوع الصيام وثبوت هلال رمضان ، لأن الفرق الزمنى بين المحجاز وآخر بلد من بلاد المغرب الإسلامية قليل لا يمنع اتحاد الإقليمين في حكم ثبوت الهلال . فهما مشتركان حتما في جزء عظيم من الليل ، وكذلك في جزء عظيم من النهار .

وعلى هذا لا يظهر سبب وجيه لما يقرره بعض الفقهاء الذين لا يعولون على اختلاف المطامع ، من استثناء شهر ذى الحجة واعتبار أن إثبات هلاله مقصور على بلد الحج نفسه . والله المأدى والموفق للصواب .

كلمة الختام

يجب على المسلمين أن يهتموا باستقبال رمضان ، وأن ينهضوا لتحرى الهلال عقب غروب الشمس من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ؛ كي يبنوا عبادتهم على يقين وطمأنينة ، ويكونوا عاملين بنص الحديث الصحيح : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

ولا ينبغي لهم أن يتهاونوا في هذا الأمر العظيم ، ويقعدوا عن التماس الهلال ، اعتمادا على أن الفلكيين قد كفوهم مئونة البحث عنه ، وأعفوه من مشقة رصده وتكلف رؤيته ، بما قاموا به من حساب يعرف دورة القمر ، ووقت ميلاده ، ومبدأ الشهر القمري ونهايته .

ولماذا لا يتخذ المسلمون هذا الحساب الفلكي عاملا مساعدا يسهل لهم مهمة البحث ، ويمكن لهم من رؤية الهلال في غير عصر بما يبين لهم من منزلة القمر ، ومقدار ارتفاعه ، وغاية مكثه فوق الأفق ، وبما يحدد لهم من البعد بينه وبين نقطة مغيب الشمس يمينا أو شمالا ، حتى لا تزيغ الأبصار وتضطرب في تعرف موقعه وحتى لا يضيع الوقت في التماس الهلال وتفوت الرؤية بفعل هذا الاضطراب ؟

إن تقدم علم الفلك وبراعة أهله فيما يعالجون من شؤونه وذلك الحساب الدقيق الذى يضبطون به أحوال القمر ومنازله ومواقعه ويحددون به أوائل الأشهر القمرية ونهاياتها لا ينبغي أن يكون مثبطا لهم المسلمين عن أن ينهضوا لاستقبال الهلال ، وأن يعملوا - مستعينين بتلك المقررات الفلكية - على أن يروه رؤية عينية ؛ فان ذلك هو غاية العلم ، وهو عين اليقين .

ولقد يسر الله أمر الرؤية في هذا العصر ، بما اخترعه العلماء من الآلات الحديثة ، التى يسهل بها كشف الهلال في ليلته الأولى ، مهما كان صغيرا دقيقا ، ما دام ليس هناك مانع غالب بسبب طغيان أشعة الشمس على الأفق ، أو طرق عوارض جوية تحول دون الرؤية .

وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس في تحرى الهلال أكثر من التماسه بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل أخرى - رحمة بهم وتخفيفا عليهم -

صوم رمضان

فان ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التي تسهل رؤيته والتثبت منه مادامت موفورة مبصرة .

فاذا اهتم المسلمون في الأقطار كلها بهذا الأمر الديني العظيم ، وبذلوا عنايتهم في التماس الهلال وتحري رؤيته بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، واتفقوا على أن يعلم بعضهم بعضا بنتيجة ذلك التحري ، وعلى وجوب الاعتماد على قرار أية دولة إسلامية يكون قد ثبت لديها حلول شهر رمضان ، بما تحقق من رؤية هلاله بالأعين المجردة ، أو بالأجهزة الحديثة الموضحة المسكبة - إذا اهتم المسلمون وعنوا بذلك العناية التامة فانه لا يمكن أن تفوتهم جميعا رؤية الهلال ، متى كان نظام دورته يساعد على هذه الرؤية .

هذا وإنى أوجه إلى إخواني المؤمنين ، الأوفياء الصادقين ، نصيحتي خالصة طيبة - وعسى أن يكون لي ولهم فيها كل الخير ، وأعظم النفع - ألا يفرطوا في شريعة الصوم ، فهي فريضة محكمة ، ثوابها عظيم ، وعذاب التفريط فيها جسيم أليم ، لم يأمر الله بها إلا لحاجتنا إليها ، وارتباط سعادتنا بها ، في دنيانا وآخرتنا .

وعليهم أن يحققوا المعاني النبيلة ، التي من أجلها فرض الصيام ، فلا يخلوا بمعروف ، ولا يقصروا في طاعة ، ولا يتورطوا في معصية ، ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .

وعليهم أن يراعوا هدم الإسراف في الطعام والشراب ، فان إلتخام البطن بعد الجوع الشديد ، مفسدة متلفة ، والاعتدال والتوسط في المباحات ، وحتى في العبادات ، هو خير ما ينصح به الإسلام .

أسأل الله أن يهدينا جميعا إلى ما فيه خيرنا وصلاحنا في ديننا ودنيانا ، وأن يوحد كلمة المسلمين ، ويجمع قلوبهم على المحبة والتعاون والمودة ، ويدفع عنهم شر المعتدين ، ويرد عنهم كيد الباغين ، وأن يوفقهم للعمل على نصره دينهم ، وإعزاز ملتهم ، ليصلح أمرهم وتقوى شوكتهم ، ويعز سلطانهم إنه ولي المؤمنين .

وهو الهادي إلى سواء السبيل « ربنا هليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير » .
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين .

عبد الرحمن تاج

مُذَرِّعُ الْحَيَاةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَمِيْنِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

بِمَجَلَّةِ شَهْرِيَّةٍ بِجَامِعَةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَزْهَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

بِعَمِلِ الْخَيْرِ
مُحَمَّدُ الدِّينُ الْخَطِيبُ

الاشتراك السنوي

في وادي النيل	٤٠٠
الطبعة وادي النيل	٤٠٠
للعلماء والمدرسين بالأزهر	٣٠٠
خارج البلاد	٥٠٠
للطبعة خارج البلاد	٣٠٠
للعلماء والمدرسين خارج البلاد	٤٠٠

الجزء التاسع - القاهرة في غرة رمضان ١٣٧٦ - ١ إبريل ١٩٥٧ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤
ص ٢٤٤٤٦
دوريت

من البلبلة... الى الاستقرار

الاستقرار أمنية من أمانى كل كائن حي .

وهو أمنية الأمانى في مصر والشرق العربى والعالم الإسلامى .

ولتحقيق أمنية الاستقرار قامت هذه الثورة في مصر قبل نحو خمس سنوات .

وفي سبيل الاستقرار ، وقفت مصر النائرة من الاستعمار ، وقفات البطولة والمجد ، في السنوات الخمس الأخيرة .

وللانتقال بأمانى الاستقرار إلى مجالات العمل سنت الثورة هذه الأنظمة التي ترمى بها إلى إيجاد طبقة وسطى من الشعب تعلو على مستوى الفاقة والإسفاف ، وتدنو من السكبان المشالى الذى يحيا في الأسرة حياة كريمة ، فتحميا به مصر في المجتمع الإنسانى حياة كريمة .

وللإستقرار مظهر بدأى يتحدث بلغة العيش ، والعمل ، والإصلاح الزراعى ، والتقدم الصناعى ، وهو يتناول جماهير الناس ، ولأجله سنت الثورة هذه الأنظمة ، وستؤتى ثمراتها مع الزمن .

وله مظهر آخر أسمى من ذلك وأرفع ، وهو توحيد الاتجاه الفكرى وإن تعددت الطرق إليه . والأمة التى توحيد اتجاهها الفكرى يكافئها الله بالاستقرار الفكرى . وكلما قام استقرارها الفكرى على أسس سليمة ، وتحددت أهدافه الأصيلة ، توطدت بذلك سعادتها ، وسعادة الوطن بها .

بالاستقرار الفكرى تطرد الأمور فى المجتمع وتسير نحو أهدافها ، كما يطرد سير القطار فيطوى المفاوز إذا تقدمته قاطرة قوية سديدة الاتجاه .

وبالاضطراب الفكرى تضطرب الأمور وتضعف صلتها بأهدافها ، كما يضطرب سير القطار إذا تقدمته قاطرة مخنلة . أو يتعطل عن التقدم إذا وقع بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

كنا فى مصر - قبل الأيام التى قامت فيها الثورة - كالقطار تتقدمه قاطرة مخنلة : نرى أنسا فى حركة ، ونزعم لأنفسنا أنسا فى تقدم . وكان الأغيار مطمئنين إلى عطايتنا والتواء اتجاهاتنا ، فكانوا آمنين من صلاحنا ، واثقين من ابتعادنا - عاما فعاما - عن أهدافنا الأولى ، وسجايانا الأصيلة ، وكياننا الذاتى ؛ لنذوب فيهم ، ولنكون ذيو لاهم ؛ مكتفين عن معانى القوة بأسمائها وعناوينها ، ومن المدنية بمتمتعها وشهواتها وملاهيها ، ومن الثقافات والعلوم بقشورها ومظاهرها وشهاداتها وشعائرها .

وقامت الثورة ، فكانت هى القاطرة القوية التى تريد لمصر وللعروبة الاتجاه السليم نحو القوة ، والتعايش الكريم بين الأمة ، والتعاون فى شتى ألوانه ومختلف أغراضه ، والأخلاق المتجاوبة فى معانى الجِدِّ والصدق والعفة والقناعة والإيثار والتراحم .

ومن الحقائق التى يدركها كل بعيد النظر ثاقب البصيرة ، أن الاستعمار لما أخذ يتظاهر لنا بالانكماش والانسحاب فيما بين الحربين العالميتين ، كان مطمئنا إلى أنه ترك لنا وراءه - من المؤمنين به ، والشائئين لما يخشاه فى الشرق الإسلامى من نهوض جدى واتجاه أصيل - رجالا ونساء سيخلفونه فى السهر على ما بذره فى القلوب والعقول من بذور ، وعلى ما سته لمجتمعاتنا من سنن ، وعلى ما رسمه لتربيتنا وتعليمنا من مناهج ، وما أفسده علينا من دين وأخلاق وسجاياء وفضائل .

زعم لنا الاستعمار أنه قد أخذ بأيدينا إلى العلم ، وملاً مجتمعنا بالمتعلمين ، وكذب علينا الاستعمار ، فقد علمنا أن نكتفى من العلم بقشوره ، وأن نتعلق منه بالشهادات نأكل بها العيش ، دون التعلق بالعلم نفسه للحياة به والتعمق بحقائقه واستثمار نظرياته في نتائجها من العمل .

وخلط لنا الاستعمار بين الثقافة والعلم ، فأوهمنا بأن الثقافات الأجنبية من العلم الذى نحتاج إليه ، وأن حاجتنا إلى الثقافات الأجنبية مقدمة على حاجتنا إلى العلم ، ثم أحكم صلة أبنائنا بتلك الثقافات بقدر حرصه على أن يجعلهم أجنب عن ثقافتهم الأصلية . وأقنعهم بأن قبالتهم إنما هى فى عواصمه وحواضره ، حتى صحت فينا النبوة المحمدية : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . فأمسينا نرى أن السنن التى ينبغى لنا أن نعمل بها فى مجتمعنا وبيوتنا هى التى نقتبسها من مجتمع الأغيار وبيوتهم ، وافقت بئتنا وما نحن عليه أو خالفتهما ، وشوّه الاستعمار لأبنائنا جمال ماضيهم وكرّمه إليهم ، بقدر ما مؤه لهم مخازى ماضيه وحببها إليهم .

وهكذا صح ما أنذرنا به اللورد كرومر فى أحد تقاريره السنوية عن مصر يوم تلبأ بظهور جيل من أبنائنا « لا يعرف حرمة القديم » . وهو لا يعنى بذلك قديم أمته ، بل يعنى به قديمنا نحن . . . لأنه رسم الخطط لذلك مع القسيس دانلوب يوم سلطه على عقول أبنائنا وقلوبهم ونفوسهم .

فنحن نعيش الآن مع جيل من أبنائنا يفسر ثورتنا بعقلية الثورة الفرنسية ، بل بعقلية الثورة السكالية .

ويفهم الحروب الصليبية بأغانى توركانو تاسو ، ومن هم أبعد عن الحق والانصاف من توركانو تاسو ، أكثر مما يفهمها فى سجع العباد الأصفهانى وترسل القاضى بهاء الدين ابن شداد .

وينظر إلى الإسلام وأنظمته وتاريخه بالعين التى كان ينظر بها لوثيوس وكلثن إلى الكاثوليكية وأنظمتها وتاريخها .

ويتحدث عن أمة الإسلام وأعلامه ، وخلفائه وأمرائه ، كما يتحدث عن رجال الانجيزسيون وقادة الوقائع فى سان برنابى .

وإذا نيط بأحدهم اختيار كتاب إسلامي ليترجم تحت إشراف الدولة في الإدارة العامة للثقافة ، لا يميز بين علماء الإسلام ودعاة القاديانية ، ويجرى قلمه بالثناء على الدجال القادياني بما يضمن بمثله على الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، مع أن القاديانية مضى على اقتضاها في العالم الإسلامي أكثر من نصف قرن .

هذا مبلغ علمهم . وهم معذورون ، لأن دنلوب لما وضع الأساس لمعارفنا في مدارسنا بعد الأساس السابق الذي كان قد أقامه على باشا مبارك وأعوانه ، كان جد خبير بالكيان الذي سيقوم على ذلك الأساس ، وبالنسيج الذي كان سيخرج من تلك المصانع ، والنتائج وليدة مقدماتها .

ومن هنا اضطغنوا كل هذه الإحنة للإسلام ممثلاً بالأزهر وعلمائه وزيه وكتبه ومناهجه ورسائله ، فاتخذوا من كل ذلك مباءة لتندّرهم وسخرتهم ، وتجاوزوا الأزهر إلى المجمع اللغوي لأنه منسوب إلى العربية ، مع أن ثلاثة أرباع رجاله منهم ، ومنه ارتفعت الدعوة إلى اصطناع الحروف اللاتينية ، والتأدب باللهجات العامية ، فلم تشفع هذه السفافات للمجمع اللغوي المسكين ، ولا أنقذته من أسنة الجليل الذي وصفه اللورد كرومر بأنه سوف لا يعرف حرمة القديم .

والمجاملات التي يجاملهم بها ناس منا في المجالس الخاصة ، لا يحفظون لها أمانة المجالس ثم لا يذيعونها كما سمعوها ، بل يمحون إلى ترجمتها بأغة ثقافتهم الجنسية التي أصبحت لبعض الكتبة والصحفيين ، والأدباء والمصورين ، والشعراء والقصاصين ، هي العلم كله ، فلا تجول عقولهم إلا في مضائق هذا العلم القذر دون سائر علوم البشر ومعارفهم ، وليتهم إذ ابتلوا بهذه النقيصة انحصروا فيهم دائرها ، ولكنهم منذ استمين بهم في تكبير أحجام الصحف والمجلات ملأوها بمعارفهم هذه ، حتى بات شبان الوطن وشاباته ضحايا لهذه الأقلام ، فلا يجدون ما يقرأونه وما يفكرون فيه وما يثقفون به عقولهم ويشحنون به قلوبهم إلا هذه الثقافة الجنسية التي تسلط دعائها على كل مقروء ومكتوب في أرضنا ، ومن ضاقت الأرض بقلمه الركيك الهزيل خلق بذهنه في السماء ليمتلك أقداسها ، ويأجحد في خالقها ، ويشكك المخلوقات بكل ما يبجله من علم الغيب .

إن هذا - بلا ريب - أسوأ ما خلفه لنا الاستعمار من نتائج تعليمه الفاسد ، وياليتـه أبقى لتلاميذه على شيء من الأخلاق والمروءات . وإني لا أزال أذكر وصفا رائعا بقلم السيد أنور السادات لما لقيه يوم كلف بإنشاء جريدة الجمهورية واختيار من يتعاون معهم في تحريرها ، فكان كلما أراد أن يتعرف على وجوه جديدة من العارفين بها يجد رأى الواحد منهم في صاحبه أسوأ من رأى الفرنسيين في الألمان ، والأمريكيين رجال الكرمليين . لهذا وكثير غيره مما لا تتسع لسطه هذه الصفحات ، بقى الاتجاه الفكرى عندنا إما كالقطار تتقدمه قاطرة محتلة ، أو كالقطار بين قاطرتين تندفع به إحداهما إلى الأمام ، فتقاومها الأخرى محاولة الرجوع به إلى الوراء .

إن مصر بلد إسلامى عريق ، ما فى ذلك شك . بل إن مصر عند المسلمين بمكانة القلب من العالم الإسلامى ، وليس من الإنصاف - كما أنه ليس من المصلحة - أن يتسلط عشرون كاتباً منحرفاً ، وعشرة مدرسين سلبهم الله نعمة الإيمان ، على أمة مسلمة ذاقـت حلاوة الإسلام فى بضعة عشر قرناً ، وهى تحرص على أن يكون هذا الإسلام أنفـس موارثها لأبنائها وأحفادها وذرياتها إلى يوم القيامة . وإن الإسلام كما هو عقيدة وعبادة فهو كذلك سنن وأنظمة وأخلاق وفضائل وعفة وحياء يشترك فيها خمسمائة مليون مسلم إلى ما وراء سور الصين وإلى أقصى جزر أندونيسيا وأعماق القارة الإفريقية .

فالبغى على الدين الذى يدين به أكثر من عشرين مليون مسلم فى مصر هو فى الوقت نفسه بنى على الدين نفسه الذى تدين به السودان وشعوب شمال إفريقيا وشرقها ووسطها وأعماقها ، وتدين به شقيقتنا شعوب البلاد العربية ، وسائر من نعتز بهم ويتجاوبون معنا من الأمم الإسلامية فى أنحاء الأرض . ولحسن الحظ أن موقف القانون المصرى من هؤلاء الذين هدم التعليم الاستعمارى الإيمان فى قلوبهم كقيل بأن يكف أيديهم عن أن تمتد إلى أقداس المواطنين . وفى هذا الشهر وقف فى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة الرجل القانونى الأستاذ محمود عبد اللطيف المستشار بمحكمة النقض فى جمع عظيم من الذين يمثلون مصر المسامة ، فكان مما قاله فى كلمة ألقاها على رؤوس الأشهاد : إن كل من يشعر بأن دينه يعتدى عليه فى جريدة أو مجلة أو كتاب أو غير ذلك من وسائل النشر والإذاعة ، فإن القانون يعطيه الحق بأن يبلغ النيابة العامة عن هذا الاعتداء كما يبلغ أى مواطن عن أية جريمة . وإن القانون يحتم على النائب العام ووكلائه إذا تلقوا هذا

البلاغ أن يطالبوا القضاء بتطبيق المادتين ١٦٠ و ١٦١ من قانون العقوبات على الذين يهاجمون الدين ويؤذون الناس في معتقداتهم .

وبعد فإن مصر في حاجة ماسة إلى الاستقرار ، وإن من أعظم مظاهر الاستقرار الاستقرار الفكري ، وسبيل ذلك توحيد الاتجاه الفكري ، وليس سبيل ذلك أن نقول لأكثر من عشرين مليون مسلم في مصر تنازلوا عن إسلامكم ليتحد الاتجاه الفكري بينكم وبين عشرين أو ثلاثين من حملة الأقلام والمدرسين استطاع الاستعمار أن يحولهم عن الاتجاه الإسلامي !

ومسلمو مصر - ممثلين في أزهرهم وعلمائهم - يعملون من ناحيتهم على تحقيق توحيد الاتجاه الفكري بما أدخلوه في مناهجهم في عشرات السنين الأخيرة من مختلف العلوم الكونية ، وبما يساهمون به من نشاط في دعوة الأمة إلى إصلاح المجتمع . وفي افتتاحية الجزء الماضي من هذه المجلة تحدثت عن موضوع البدع وضرورة مقاومتها وتنوير أذهان الشعب من ناحيتها ، وكنت وأنا أكتبها متأثرا بما لمستته من اهتمام علماء الأزهر بهذا الأمر واتخاذهم الأهبة والعدة للسير بالوطن في طريقه .

لقد آن لمصر أن تقضى على « عهد البلبلة » في الأفكار والنزعات والشهوات ، إنه عهد قد عمل له الاستعمار ورسم خططه منذ كان يعمل على أن تكون مصر بلدا « دوليا » في ثقافته وتجارته وإدارته ومصالحه والقائمين بتلك المصالح ، وما العهد ببعيد على بلدية الإسكندرية التي كان يقوم بها ويمثلها ويملاء كراسيها أعضاء من كل جنس وملة ولغة ، فكانوا كأنهم في برج بابل . وتلك نتيجة حتمية لتجاهل عروبة مصر وإسلامية مصر وامتلاء مصر بشتى المدارس المختلفة الثقافات والنزعات والسياسات والأغراض والمقاصد ، فكان فيها كل شيء رائجاً ونشيطاً ومحترماً إلا حرمة العروبة والإسلام ، والناس الذين صنعتهم مناهج دانلوب يختلف ألوانها ، والمدارس الأجنبية بشتى آدابها ولغاتها ونزعاتها ، لا يزالون هم المنبئين في مرافقنا وصحافتنا ، ومنهم قلة تتجاهل ما تطورت إليه مصر ، والطريق الذي تسير فيه ، والأهداف التي ترمى إليها . فإذا تمكنت مصر من كف أيدي تلك الشردة القليلة من بقايا التعليم الاستعماري عن أن تؤذى الأمة في دينها وعفة أبنائها وبناتها ولو بالآقلال من صفحات الصحف والمجلات حتى لا يبق فيها إلا الطيب النافع كان لذلك ما بعده إن شاء الله في سداد خطواتنا ، والله الموفق ما

فتح القارئ

— ٤٩ —

توجيه الناس إلى مسالك الأرزاق

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله
لكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

١ — طلب الرزق أمر طبيعي ، فمن مقتضيات الحياة أن يتناول الجسم حظه من مطعم ومشرب وملبس وسوى هذا مما يقوم به الجسم والعقل والروح .

غير أن اتجاه الناس إلى الأرزاق يتأثر بمؤثرات متباينة ، فقد يتكالب المرء على الكسب غير مشفق ، ولا متحرج في مسالكه ، بل يدفعه طمع مسترسل ، وأناية متحركة : وكثير ما هم .

وآخرون يستجيبون لنزعة مذهبية من فلسفة أو دين موضوع ، فيترهدون في الكسب أو يخرجون من التمتع بالحلال : زاعمين أن هذا تقشف تهذب النفس به فيكون قربة إلى معبودهم .

وكانت هذه الوجهة — ولا تزال — ظاهرة دينية عند الهنود ثم عند آخرين ممن ينتمون إلى كتاب سابق .

وكان لهذه النزعة موجات في المجتمع القديم ، فتسربت إلى العقلية العربية يوماً ما ، وحسبها المسلمون الأولون تصوفاً يدعو إليه الإسلام في أسلوب التكليف .

حتى زعم رجال من خيار الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما يعظهم ويصرفهم عن التعمق في دنياهم إنما يقصد إليهم حذر ما أباح الله من طعام ، ونوم ، وزوجة ، وتزاور ، واثناس .

٢ — ولما لم تكن وجهة الإسلام قطع الناس عن دنياهم ، ولا من أهدافه أن يرجع بهم إلى الكهوف ، أو يحبسهم في الصوامع ، جاءت الآيات البينات ، وجاءت السنة النبوية مؤازرة لعقولهم في فهم ما أنزل على محمد ، وإيضاح أن التمتع بما أسبغ الله من الرزق هو قوام الحياة ، والسبب في تقوية الصلة بالله : بإدراك فضله ، والاستشعار بقدرته ، والتعبد لذاته ، وشكر نعمته ، وكان من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في هذا « ليس في ديني ترك النساء واللحم ، ولا اتخاذ الصوامع » وقال : « لا آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا » وهكذا من توجيهاته صلى الله عليه وسلم : وإن يتاح ذلك كله إلا مع الأخذ بنصيب من الدنيا .

بل العمل في الدنيا وسد ما فيها من فراغ ، وتعمير ما بها من خراب ، وتجليتها في مظهر من الزينة : كل ذلك ضروب من مناهج الإسلام التي ينادى بها أهله ، ويمجدهم عليها .

٣ — ومن دعوة القرآن إلى ذلك آية الموضوع .

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » .

فهذا نداء بالإقدام على الحلال في كل نوع من أنواعه .

وفي هذا التوجيه غاية عمرانية ماجدة : هي الحث على اغتنام الأرزاق الطيبة ، وأن يسعوا وراء هذه الأرزاق ، وأن يتعاونوا في سبيلها ، ويتعارفوا من طريق التعامل بينهم .

وفي هذا التوجيه إشارة ضمنية قوية إلى أن في مجال الحلال فسحة وغناء عما لا يكون حلالا . . . وسيأتى تصريح بذلك .

ثم يقترن بهذا النداء في حيزه ومقصده نهى المؤمنين عن التعدي بتحريم الحلال (ولا تعتدوا) .

وللتعدي صور يشملها الحظر في قوة :

منها : الامتناع عن الطيبات بتحريمها على النفس : تقربا إلى الله ، كإزعم زاعمون .

ومنها : تحريمها بيمين أو نذر أو نحوهما : عند الغضب من أحد ، أو الرغبة في النكال بأحد . . . وهذا افتراء على الله ، وتشريع لما لم يشرعه ، ولذلك كان المشروع في هذه

الحالة أن يحث المانع نفسه ويفتدى يمينه أو نذره بكفارة يمين : تأديبا له على ما صبح واجتراً به .

ومنها الامتناع عن الطيبات الحلال شحا وتقتيرا ، فهذا في حكم المحرم لها تقريبا ، وتلك مسئولية غير هينة ، إذ فيها هوان للنفس ، وانكماش عن المروءات : أشبه بمن يقبض يده إلى عنقه تخرجاً من مدها إلى عمل الخير خوفاً على ماله ، وفي ذلك يقول الله للبخيل والشحيح : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » .

ومنها : الاعتداء في نفس الطيبات ، بمعنى التوسع في جلبها والإسراف في تناولها : على غير ما يقتضيه الحزم .

فإن ذلك تبديد لما تملك اليد ، وتعرض لمذلة الفاقة والضيق ، فيصبح المفسرف ملوما عند الناس ، لا يترفق به أحد ، ويصبح في نفسه محسورا نادما على ما ضيع . فضلا عن تعريض الزوجة والولد لمأساة الحرمان والفقر .

وهذه جناية على الغير ، في حين أن تيسير الحياة للأولاد وللزوجة والورثة عند الإمكان مسئولية في عهدة الزوج أمام الله .

والنبي صلاوات الله عليه يقول : إنك أن تذر ورثك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتسكفون الناس .

وأنت ترى من خلال هذا التوجيه النبوي حرصا على كرامة الأولاد وسواهم من زوجة وورثة .

والقرآن يفصح عن ذلك في قوله تعالى : « ولا تبسطها - اليد - كل البسط فتعمد ملوما محسورا » .

ومن صور التعدى : تجاوز الحلال إلى تناول المحرم لذاته كالحبائث من لحم الخنزير والخمر وما عرف بالنهى عنه كغير المذبوح ونحوه .

أو المحرم لعارض كالسالم المشبوه ، والمغصوب ، والمسروق ، والملوث بنجاسة طارئة ، والفاسد الخفيف على الصحة .

فملاك هذا كله الحرص على الطيبات ، والحيلة في السكسب تخرجاً من الخبيث لسبب من الأسباب .

وسبيل هذا عدم التعدى بالامتناع ، أو بالإسراف ، أو بتجاوز الحلال .
وهذا نظام يكفل للجماعة وللأفراد حياة متزنة مكفولة الراحة والاطراد .
وفيهما تذوق لرفاهية الحياة ، وإدراك لما أنعم الله ، وتنبيه إلى وجوب شكره .
وقد بلغت عناية الله بالتوجيه إلى مسلك الاعتدال في الأرزاق مبلغ التهديد الشديد
على الانحراف عنه .

فيقول عز شأنه آخر الآية : « ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » . وماذا بقي
للمعتدى بعد أن صارحه ربه بأنه لا يحبهُ ؟؟ وماذا بقي من الأمل بعد افترائه على تشريع الله
بتحريم ما أحل ، وبتحليل ما حرم ؟ « إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
متاع قليل ولهم عذاب أليم » .

ثم تعود الآية التي معنا فتستنهضنا استنهاضاً قوياً إلى التمتع بالحلال بقوله تعالى « وكلوا
مما رزقكم الله حلالاً طيباً » وليس الأمر أمر الأكل وحده ، وإنما هو التمتع بمعناه
الشامل في مطعم وملبس وتفكيره بكل ما تطيب له النفس في دائرة الحلال ، وفي حدود
التوسط على نحو ما سلف ، وفي ضوء ما تشهد به التجارب الواقعة .

فسياق القرآن في أمر واقعى يبصره كل ناظر فيما حوله ، ويشهد به كل من عركته
التجارب ، وتغيرت حاله وتبدل شأنه من ضيق بعد بسطة ، ومذلة بعد نصارة ومرح .
وأقدار الله منوطة بالأسباب ، والله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .
وليس لنا من عذر بعد البيان ، في الدعوة ، والتهديد بالبغض والعذاب .
ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى « واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » والدعوة
إلى التقوى مرادة في كل معرض . ولكن أكثرنا صادف عنها ، أو هى عازبة
عن تفكيره .

فأين التقوى مع الغفلة ؟؟ وأين تكون الحشية مع القسوة ؟؟

إنما تكون التقوى لمن آمن بالله وبما أنزل على محمد .

ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، وإنا لنرجو ونرجو في ضراعة وأمل ما

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

السيرة

سبيل المؤمنين

- ١ -

مكان حذيفة في الصحابة - الشر والفتن والنفاق
توائم - تعاقب الشر والخير - خيار الأئمة
وشرارهم - لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ؟ قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتشر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ! قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : فإنا تأمرنى أن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ ! قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى

* * *

أبو عبد الله حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن المتقدمين عنده علما ونبلا وفضلا ، كان صاحب سره فى المنافقين ، لا يعلم

نفاهم غيره ، و تلك مزية اختصه بها النبي صلوات الله عليه وسلامه ، وقد أرسله ليلة الأحزاب سرية وحده ليأتيه بخبر القوم ، فذهب إليهم وجاءه بخبرهم .

وكان عمر يجله ويسأله : هل تعلم في شيئا من النفاق ؟ فيقول : لا . وأبلى في الفتح الإسلامي بلاء حسنا ، وولاه عمره المدائن ، وقال لأصحابه تمنوا ، فتمنوا ملء البيت الذي هم فيه جوهرًا لينفقوه في سبيل الله ، فقال عمر : أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة ومعاذ وحذيفة وأستعملهم في طاعة الله تعالى . . .

كان أحفظ الصحابة رضوان الله عليهم ، لأحاديث الفتن وأشرط الساعة ، حتى يقول فيما رواه الشيخان : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه ؛ وروى مسلم عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان إلى أن تقوم الساعة ؛ وفي صحيح مسلم أيضا عنه قال : والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة . لاجرم أن الله تعالى علم نبيه ما لم يكن يعلم وأوحى إليه من أنباء الغيب كثيرا ، وإن كانت في جنب علم الله قايلا . . ثم اختص صلى الله عليه وسلم صاحب سره منها بالنصيب الأوفى . .

والشر والفتن والنفاق توائم ، بعضها من بعض ، يبرأ منها الإيمان والمؤمن الحق ؛ لأنها معاول هدم وفساد ونقض ، تهدم الأمة ، وتفرق الكلمة ، وتنقض العروة ، وتفسد ذات البين ، وتجعل أهلها أثرا بعد عين !! وأشدّها ما التبس أمره ، واضطربت مذاهبه ، كما قال رضى الله عنه - وقد سئل أى الفتن أشد ؟ - أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب !

* * *

كان رضوان الله عليه شديد الخوف والحذر ، من الفتن والنفاق والشر ، وحجب الله إليه للسؤال عنها ، ليحذرها ويحذر منها ، كما حجب الله لغيره من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن وجوه الخير ، ليعملوا بها ويبلغوها ، وكلهم على هدى من الله ورحمة . . .

وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما سأل - عما هم فيه من الخير العظيم ، والفضل العميم ، والهدى والنور ، والشفاء لما في الصدور ، الذي بعث الله به خاتم النبيين ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، بعد أن كانوا في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، وظلمات بعضها فوق بعض . . هل يكون بعد هذا الخير - وما أعظمه - شيء من شر ؟ فأجابه من لا ينطق عن الهوى عليه صلوات الله : نعم إن شيئاً من الشر لسكان ! ابتلاء للأمة ، واختباراً للنعمة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

سأله حذيفة مرة ثانية : هل من خير يجيء بعد ذلك الشر فيمحوه ؟ فأجابه المعصوم صلى الله عليه وسلم : نعم ، سيكون خير خالص لا شية فيه ، كالنور مضيئاً لا دخان به ، وكالماء صافياً لا كدر معه .

قال حذيفة مرة ثالثة : هل يلحق ذلك الخير من شر ؟ فأجابه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، ولكنه خير يخالطه الشر ، كالنور معتماً ، والماء مكدرًا ، فكذلك الناس ونفوسهم ، يرشدون بغير سبيل ، ويسلكون غير سبيل ، على أنك ترى المعروف منهم حيناً فتشكره ، وإن كنت ترى المنكر أحياناً فتنكره ، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

* * *

لم يقنع حذيفة رضى الله عنه بما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعاقب الخير والشر وهو يجيبه في كل مرة . . بل سأله مرة خامسة عما وراء هذا الخير المدخول . . هل من شر يكون بعده ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : نعم ، شر أشد وأفظع ! يطيره دعاة فتن ، وأرباب سوء ، يدعون الناس إلى الفساد ، ويصدونهم عن سبيل الرشاد ، يقولون مالا يفعلون ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويكتمون الحق وهم يعلمون ، مأواهم ومن اتبعهم النار ، وبئس القرار !

والعجب أنهم من جلدتنا ، وأبناء عشيرتنا وملتنا ، يتكلمون بهذا اللسان العربي ، وربما قرءوا كتاب الله تعالى ، وتحذثوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أفئدتهم من الخير هواء : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » .

فمن أدرك منهم أحدا فلينبذه نبذ النواة ، وليلزم جماعة المسلمين ، ويتبع سبيل المؤمنين ، من السمع والطاعة ، فإن من خلع يدا من طاعة إني الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

* * *

نعم ، إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، وما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة . . هكذا توعد الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كل أمير أو حاكم لم يجهد لأمره ، ولم ينصح لجماعته ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ؛ كما قال صلوات الله عليه وسلامه : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم ، قالوا يا رسول الله أفلا ننايذهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة .

* * *

وإنما حتم للنبي صلى الله عليه وسلم على كل امرئ أن يسمع ويطيع لإمامه فيما أحب وأكره . ما لم يؤمر بمعصية - حرصا على وحدة الأمة ، وجمعا لكتلتها ، وطلبا لسلامتها من محنة الفتنة ، ومغبة الفرقة ، وهو الذي أرسل رحمة للعالمين .

فاذا لم يكن إمام للناس ولا جماعة ، وتقطعوا أحزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، فليعتزل هذه الأحزاب كلها ، ولتتحمل من البلاء ما حمل ، وله إذا صبر واحتسب جزاء الصابرين .

* * *

ذلك ، والحديث علم من أعلام النبوة ، ما في ذلك ريب ، ولكن هل يشير إلى فتن معينة ، وفرق خاصة ؟ وما هي تلك الفرق ؟ هذا ما نرجو أن نكشف الغطاء عنه في الجزء التالي بمشيئة الله تعالى وتوفيقه وهو ولي التوفيق .

طه محمد السكاك

الثقافة الإسلامية

والحياة المعاصرة

— ٢ —

... أما الجهود المبذولة لتطوير الشريعة الإسلامية بحيث تصبح أداة لتبرير القيم الغربية وتقريب ما بين الشعوب الإسلامية والغرب ، فهى الغاية الأخيرة ، والهدف المقصود الذى يسعى إليه أصحاب المؤتمر الإسلامى الأمريكى . وهى الدافع الأول لإنفاق ما ينفقون من جهود وأموال . وهى اللب والصميم من هذه الخطة ومن تلك التدابير ، والأمثلة عليها كثيرة متراكمة ، تملأ صفحات الكتاب من أوله إلى آخره . ولكنها متباينة تلبس أشكالا مختلفة . فهى تنجى تارة فى صورة اقتراح موضوعات وطرائق للبحث ، على مثال ما نجده فى مقال القسيس هارولد سميث ، حيث يقول : « إن وجهتى فى هذا المقال هى أن أستعرض بعض الاتجاهات الحديثة ، وأن أقترح طرقا لدراسة النظرية الإسلامية المهمة فى الإنسان ... ولا شك أن القيام بهذه الدراسة على وجهها الكامل أمر متروك للعلماء المسلمين أنفسهم - ص ٥٩ » . فمن الواضح أنه إذا سمح لقسيس أمريكى - وقد سمح له فعلا - بأن يقترح مواضيع البحث الإسلامى وطرائقه ، فمعنى ذلك أن توجيه الفكر الإسلامى قد أصبح فى يد الأمريكيين ، بل فى يد قسيسهم . ومما يدخل فى هذا النوع كلام الأمريكيين ومن جاراتهم من المسلمين عن معضلة القضاء والقدر ، والتي لا ينتهى البحث فيها إلى ثمرة أو نتيجة يقينية ، ولا ينتج إلا الخلاف وإلا صرف المسلمين عن الأخطار الحقيقية التى تهدد كياناتهم إلى المناقشات البيزنطية وإلى القتال فى غير ميدان . وكأن المسلمين قد تحلفوا واستعبدوا لأنهم جهلوا الحل الصحيح لمشكلة القضاء والقدر . وكأن حلها هو العلاج الحاسم لما يعانون من آفات ، ولما يخضعون له من ضروب الاستعباد والاستغلال : (تراجع أمثلة لذلك فى صفحات ٤٨ - ٤٩ ، ٨٤ - ٩١) .

ومن أساليبهم فى هذا التطوير أيضا أن يستدرجوا المسلمين للكلام فى نقاط معينة من نظم الشريعة التى تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين فيما يجرى باسم المدنية . وذلك

لكنى يلجئهم إلى تحريف نصوص القرآن والحديث والميل بها إلى ما يوافق العادات الغربية السائدة . وأكثر ما نجد هذا التحريف في المرأة وما يتصل بشئونها ، مثل ما نجده في مقال الدكتور منير القاضي عميد كلية الحقوق ببغداد ، الذى يزعم أن الإسلام قد « أسس للمرأة حقوقا فى الحكم . فلم يفرق بين الرجل والمرأة فى سائر الأحكام . ومنح النساء حق المبايعة لرئيس الدولة كالرجال » . ويستشهد لذلك بأية من آيات القرآن الكريم ، يوردها مبتورة على هذا النحو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبائعنك فبايعهن - ١٢٦ » . وتام الآية الشريفة هو : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم - الممتحنة ١٢ » . ووضح من الآية أن البيعة هنا هى عهد من النساء بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزام طريق الله المستقيم ، ولا يمكن أن يستنتج منها أن الإسلام قد منح النساء حق المشاركة فى انتخاب رئيس الدولة على ما يريده الباحث ليوافق به أهواء الأوربيين . وفساد قوله واضح كل الوضوح ، لأن رياسة النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن قائمة على هذه البيعة ، ولا هى مستندة إلى انتخاب البشر . ولكنها مستمدة من اختيار الله سبحانه وتعالى له ، واصطفائه من بين سائر خلقه . وشيبه بهذا المذهب فى التحريف ما نجده فى كلمة عقيلة الدكتور أحمد حسين سفير مصر فى أمريكا عن « التطور الاجتماعى للمرأة فى مصر » عند كلامها عن الحجاب والتقاب وتعدد الزوجات . فكلامها كله لا يقوم إلا على المجازفة وسوء الفهم والاستنتاج ، والاعتماد على ما كتبه الأوربيون من المزاعم التى لا تستند إلى دليل (ص ٥١٧ ، ٥١٩) .

ومن أساليبهم فى التطور كذلك - وهو أسلوب خبيث يخفى على أكثر الناس - بعث التاريخ السابق على الإسلام فى كل بلد من البلاد الإسلامية . والكتاب الذى نعالجه يحتوى على مثالين لهذا الأسلوب ، فى مقال الدكتور كون ، والدكتور ولسون (٢٨٩ - ٣٠١ ، ٣٣١ - ٣٤٢) . وستجد فى المقال الأول صورة من اهتمام أمريكا بتوجيه المسلمين للعناية بالتاريخ القديم حيث يقول الدكتور كون : (منذ الآن يجب أن يبذل علماء الآثار الغربيون جهدا مشتركا لتدريب علماء الآثار المسلمين حتى يستطيعوا القيام بالعمل الذى يقومون به ويجب أن يبذل كل جهد ممكن للتأكد من أن هذه الأبنية والأهرام والتماثيل والنقوش سيحافظ عليها - ص ٢٩٧) . وستجد فى المقال الثانى

صورة مما بذله الغربيون من جهود في تأسيس علم الآثار ، وإنشاء إدارات ومتاحف وطنية له في كل مكان (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) . والأمريكيون يهدفون بذلك إلى تلوين الحياة المحلية في كل بلد من البلاد الإسلامية بلون خاص يستند في مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى . وبذلك تعود الحياة الاجتماعية التي وحد الإسلام مظاهرها إلى الفرقة والانشعاب ، برجوعها إلى أصولها القديمة السابقة على الإسلام ، فيستريح المستغلون من احتمال تكلم المستعبدین ، ثم تكون هذه المدينيات الحديثة أكثر قبولاً لأصول المدنية الغربية ، ويكون كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراه عليه من الصداقات بعد أن تتفكك عرى الأخوة الإسلامية . وذلك هو ما لا يكاد يخفى في قول الدكتور ولسون : « إن في بلاد الشرقين الأدنى والأوسط في هذه الأيام نهضة حضارية ، هي - من ناحية - جديدة ، ولكنها - من ناحية أخرى - بعث للقديم . ومن المأمول والمتوقع أن النهضة العربية الإسلامية ستكون تأكيداً للقيم القديمة في نطاق الأحوال الشخصية - ص ٣٣٨ » . وهو واضح أيضاً في كلامه عن (نهضة الغرب المسيحي) وحركة (إحياء المعارف) ، التي « قامت عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية الوثنية » حيث قال بعد ذلك : « ونستطيع أن نعبر عن هذا بعبارة أخرى فنقول : لقد كان الغرب من الثقة بقوته الفكرية وبايمانه الديني بحيث اتخذ أساساً له مواد تنتمي إلى عصر سابق على المسيحية . وقد تمكن بالاعتماد على هذا الأساس القديم من أن يدرس نفسه ، ويخطط سبيله للمستقبل . فهل يصدق هذا القياس على الإسلام ؟ ص ٣٣٨ » . ومما يؤكد ذلك الهدف دعوة هذا الباحث إلى إلحاق إدارات الآثار بوزارات المعارف ، وتنبيهه إلى خطأ إلحاقها بمصالح السياحة ، وتعليقه ذلك بأن « هناك حاجة ماسة إلى توثيق الروابط بين ميدان العمل الأثرى وبين البحث والدرس في الجامعات - ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ » . ومن الواضح أن هدفه من ذلك هو تنشئة الأجيال القادمة على قيم تستند إلى أساليب الحياة والفكر في هذه الجاهليات التي عفى الإسلام على آثارها وقام على أطلالها .

هذا الاهتمام الشديد بالآثار يذكّرنا بالنشاط المفاجئ لبعوث الآثار الأجنبية عقب الحرب العالمية الأولى ، وما صاحب هذا النشاط من عرض وكفار مغررى المريب ، فقد أعلن هذا الثرى الأمريكي وقتذاك تبرعه بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية يلحق به معهد لتخريج المتخصصين في هذا الفن ويذكرنا هذا الاهتمام الأمريكي

الجديد أيضا بالمادة ٢١ من صك انتداب بريطانيا على فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، وهو الصك الذى أصدرته العصبة التى كانت تسمى وقتذاك بعصبة الأمم ، فقد بلغ اهتمام الغرب الشديد بالآثار وقتذاك إلى درجة إثباته فى صلب صك الانتداب الذى تنص المادة الحادية والعشرون منه على « أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات » .

وهذا هو الدكتور اشتياق حسين قریشى وزير معارف الباكستان ، وقد كان أستاذا للتاريخ فى جامعة دهل و عميدا لكلية الآداب بها - تقرأ بحثه فى هذا المؤتمر ، فتجد فيه كلاما عن حركة الإحياء الهندى فى القرن الماضى ، وهى الحركة التى حولت العقل الهندى إلى مجد الهند القديم السابق على الإسلام فى شتى نواحي الحياة ، من عمارة وتصوير وغناء ولغة وأدب ، والدكتور قریشى ينسب نشأة التفكير فى الباكستان إلى هذه الحركة التى ردت الهندى إلى قديمه الجاهلى ، وتركت المسلم يحس بالغربة التى لا مفر منها إلا بالقضاء والذوبان فى هذه الحركة الجديدة ، التى كانت تنظر إلى الفتح العربى على أنه قصة الإذلال القومى ؛ بينما كان يعتبره المسلم أوج مجد أجداده (ص ٤٣٦ - ٤٣٨) . ووصف هذا العالم الباكستانى المسئول لحركة الإحياء الهندى تكاد تكون صورة مطابقة لما كان يحدث فى مصر وفى غيرها من بلاد العالم العربى والعالم الإسلامى ، وهذا التشابه وحده لا يمكن أن تسوق إليه الصدفه ، وهو دليل على أن هناك خطة مدبرة وراء هذا التوافق فى الأسلوب وفى الزمن .

* * *

والواقع أن جهود الأمريكين فى تطوير الشريعة الإسلامية ، واتخاذ هذا التطوير وسيلة لتطوير المسلمين أنفسهم ، هذه الجهود على اختلاف صورها وأساليبها ليست إلا امتدادا لجهود الدول الأوروبية الاستعمارية ، وعلى رأسها إنجلترا ، فيما يسميه باحثوهم وساستهم بالغرب (Westernization) ، ونستطيع أن تقدم صورة من هذه الخطة ، بلسان أحد ساسة الإنجليز المسئولين وهو اللورد لويد ، الذى كان مندوبا ساميا فى مصر ، حيث يقول فى كتابه « مصر منذ كرومر » الذى ظهر سنة ١٩٣٣ : إن التعليم الوطنى عند ما قدم الإنجليز إلى مصر كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والى كانت أساليبها الخافة القديمة - حسب تعبيره - تقف حاجزا فى طريق أى إصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور

التعصب الدينى - والعبارة كلها هى عبارة اللورد لويدي - ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا جدا من مرونة التفكير والتقدير . فلو أمكن تطوير الأزهر - عن طريق حركة تنبعث من داخله هو - لكانت هذه خطوة جليلة الخطر . فليس من اليسير أن تتصور أى تقدم ، طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه الجامدة ، ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه ، فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إصلاح التعليم اللادينى (المدنى) ، الذى ينافس الأزهر ، حتى يتاح له الانتشار والنجاح ، وعند ذلك سوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين : فاما أن يتطور ، وإما أن يموت ويختفى .

وقد أثمرت هذه الجهود التى بذلها المستعمرون فى العالم الإسلامى خلال قرن أو أكثر . وكان ثمرتها مجموعة من علماء المسابمين المتفرنجين الذين شاركوا فى هذا المؤتمر ، من أمثال الدكتور فضل الرحمن الهندى ، الذى قسم الإسلام فى بحثه إلى إسلام كلاسيكى وإسلام حديث (ص ٧٨) ، ثم جعل فى أقسام هذا الإسلام الحديث إسلاما هنديا نسبة إلى السيد أحمد خان (أو السير أحمد خان) مؤسس جامعة عليكرة ، التى أنشئت - باعترافه - لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية (ص ٨١ - ٨٢) ، وهى الجامعة التى أنشئت فى أول الأمر باسم « السككية المحمدية الإنكليزية » (ص ٣٩٥) . وفضل الرحمن هذا ينادى بأن كل تغيير جديد فى رأى الإنسان عن العالم يستلزم ترجمة جديدة وإعادة تقرير للحقائق الأساسية للعقيدة (ص ٩١) . ومن أمثلة هذه النماذج لنسار الجهود الاستعمارية أيضا الدكتور آصف على فيظى سفير الهند السابق فى مصر [١] . فهو يطالب بمناقشة (المعتقد اللاهوتى الذى يقول إن الله هو واضع القانون) ، ويقترح طريقة لنقد حديث للشريعة (ص ٣٨١) ، ويقرر أن قوانين الشريعة يجب أن تندثر أو تخضع لأساليب التقنين الغربى الحديث [٢] (ص ٤٠٧) ، ويقول إن التصور الأساسى للإسلام (لا يمكن المحافظة عليه سليما إلا بإعادة تفسيره وإعادة تقريره فى كل عصر وفى كل مرحلة من المدنية) ، ويقسم تعاليم الإسلام إلى (عناصر دائمة) و (عناصر قابلة للتغيير) ، ويذهب

[١] المجلة - هو اسماعيل من أصحاب العقيدة الباطنية ، والاسماعيليون فرقان إمام الفرقة الأولى منهما أغا خان ، وإمام الفرقة الأخرى طاهر سيف الدين ، وآصف على فيضى - أو فيظى كما ينطقونه بمجمعتهم - هو من الفرقة الثانية .

[٢] المجلة - كما حاول أسلاف فيظى أن يحلوا رسائل إخوان الصفا محل القرآن ، وإلى هذا اليوم تقول هذه الفرقة من الاسماعيليين : « إن القرآن كتاب العامة كما أن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة » أى أئمة الاسماعيلية .

إلى أن الإصلاح الحديث لما يسميه (اللاهوت الإسلامى) يجب أن يستفيد من الدراسات الحديثة فى الفلسفة وفى علم النفس ومن الفكر الأوروبى والتفكير البروتستنتى والتفكير المدرسى المسيحى والتفكير اليهودى (ص ٤١١) .

وقل أن تجد بين المشاركين فى المؤتمر من لم يضرب فى هذا الميدان بسهم . فالدكتور منير القاضى عميد كلية الحقوق ببغداد يحرف الكلام عن مواضعه فى القرآن ليميل بالقيم الإسلامية نحو القيم الغربية (ص ١٢٦ ، ١٢٧) . والدكتور صبحى محمصانى المحامى اللبنانى يدور كل بحثه حول الدعوة لتطوير الشريعة الإسلامية (والسير فى قطار الحياة العصرية) وتجنب (المزج بين الدين ومعايش الدنيا) ، ويسلك لذلك سبلا ملتوية ، فهو تارة يشكك فى أهمية الحديث الشريف ، وتارة أخرى يحقر التراث الفقهى ، وطورا آخر يصفه المحافظين ويتهمهم بالجهل وبأنهم يقفون فى وجه الاتحاد والأخوة الإنسانية . أما الدكتور أمين فارس رئيس قسم التاريخ بالجامعة الأمريكية فى بيروت فهو ينادى بأن الدراسات الإسلامية يجب ^(١) أن تسير على نمط دراسات المستشرقين فيما يسميه (المنهج العلمى) لتمييز بين الحقيقة والأساطير (ص ٣٠٤) . والدكتور محمد كفراوى السكرتير العام لوزارة الشؤون الدينية فى أندونيسيا يقرر أن وزارة الشؤون الدينية إنما هى وضع استحدثته أندونيسيا لىكون وسطا بين (فكرتين متعارضتين ، هما النظام الإسلامى والنظام العلمانى) ، كما يصرح بأن الحكومة تعين المساجد والكنائس على قدم المساواة وتحمى النشاط التبشيرى ، الأجنبى منه والأندونيسى (ص ٣٧٩) .

* * *

وبعد ، فهذه نماذج من الكتاب الذى نشرته مؤسسة فرانكلين وكتبت على غلافه (بحوث ودراسات إسلامية) . فهل يرى القارئ أن هذا الذى يحتويه الكتاب يصح أن يوصف بأنه بحوث إسلامية ؟ وهل أدرك القارئ من أسماء المشاركين فى المؤتمر أن أمريكا جادة فى أمركة الإسلام عن طريق الذين يحتلون مراكز القيادة والتوجيه فى العالم الإسلامى ، وأساتذة الجامعات منهم خاصة ، وأساتذة الكليات التى تخرج المستغلين بصناعة الكلام كالمعلمين والمحامين على الأخص ؟

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى بجامعة الإسكندرية

[١] المجلة - والذى يقرر هذا الوجوب على الإسلام لا صلة له بالإسلام ، فهلا تطوع بهذا الوجوب لعقائد الطائفة التى ينتسب إليها ؟ .

المثالية الواقعية في الفكرة الدينية

- ٢ -

الأخلاق في الإسلام واقعية ، بما اتخذته إلى النفس من أساليب ...

ارتبطت بالإيمان نفسه : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ... » ، « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... » ، « الحياء شعبة من الإيمان » ... وهكذا باتت الأخلاق في حراسة العقيدة .

وارتبطت بالعبادة ... فأصبحت العبادات معامل للتحليل النفسى ، ومراكز للتدريب الاجتماعى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، « الصوم جنة ... فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب » ، « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » ... والتوبة والاستغفار ومحاولات للاستبطان ، والتحليل النفسى الذاتى ، حتى لا تتفاقم العقد المسكوبة فى اللاشعور .

وارتبطت بالتشريع ... فهناك حدود وتعزيرات ، هى عقوبات لجرائم أخلاقية كالزنا والقذف وشهادة الزور ... لكن الأساس فى التوجيه الأخلاقى قائم على التربية ... لذلك اهتم التشريع الجنائى الإسلامى بتحريم اللون من الكذب الذى يعرقل سير العدالة ، وهو شهادة الزور ... وترك المجال فسيحاً فيما وراء ذلك لغير القانون .

وأهمية الأسرة والمجتمع فى التوجيه الخلقى بالغة ... إن الصديق ليس نظرية تلقن ، إنه عادة يجب أن ينطبع بها الذهن ويمرن عليها اللسان وتستقر فى باطن اللاشعور ... ومن هنا كانت أهمية التربية الأسرية ، والعرف الاجتماعى . ومن هنا كانت أهمية اختيار البيئة العربية لحمل الرسالة الإسلامية وقد كانت معدن كثير من الفضائل ... والقرآن يأمر الأبناء على لسان لقمان : « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » . ويخاطب الرسول : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » . ويأمر جمهور المساميين : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ، « كلتم راع

وكلكم مسئول عن رعيته « ... وبالنسبة للمجتمع عامة يأمر الإسلام بأشاعة الخير ، والتواصى بالحق والصبر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ... وبالعكس ، لعن الذي كفروا من بنى إسرائيل لأنهم : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ونحن نرى في التوجيهات النبوية ، أساليب في التربية الأخلاقية رائعة ...

إنه لا يتحدث عن العقيدة ، ولا يصور الجزاء ، إلا ويربط الناس بمفتاح من مكارم الأخلاق يلجون به باب الجنة ... إنه لا يتركهم (للوجد الديني) و (الجذب الروحي) ينتفضون إذ يتنلون الجنة والنار ، والحساب والميزان ... إنه يترك في أيديهم معالم واضحة ، وفقا لحاجة من يخاطبهم ... فتارة تكون الفضيلة التي تدخل الجنة هي « برّ الوالدين » وتارة تكون « الصلاة لميقاتها » ... وثالثة تكون « الجهاد في سبيل الله » ... ورابعة يقول الرسول « الصيام جنة والصدقة تطفئ الخطيئة والصلاة بالليل شعار الصالحين » وهكذا ... والمهم ألا يترك رسول الله الناس في متاهة ، يحوقلون ويتعوزون ، ويكون بالدمع اهتتون ... دون برنامج أخلاق محدد المعالم مستبين الملاحم والقسمات . ورسول الله لا يضيق بالضعف البشري ... بل يواجهه بالعلاج ، والعلاج البطيء أحيانا . فهذا الذي لا يطبق القيام بالصلوات لا يتنكر له ، ولا يتبرم به ... بل يأخذ عليه العهد أن يلزم مجلسه ما استطاع ، وأن يصدقه الحديث إذا تكلم ... وعن طريق الاقتداء والصدق ، يصلح أمر الرجل . ثم ذلك الذي تستعر شهوته فيصارع الرسول بأنه لا يملك سبيلا إلى أن يكفكف حديثها ويهدد سورتها ... يأخذ الرسول برفق ، ويذكره بمواطن الحساسية عنده ، بأمه وأخته وابنته ... وهكذا .

ولقد استعان أسلوب التربية الإسلامي بالرمزية بفعل الشيطان رمزا للشرور والآثام ، ووجه كل طاقات الإنسان الهجومية ودوافعه في المقاتلة إلى هذا الشر « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » ... ومعاداة الشيطان معناها إعلان الحرب على الشر في كل مكان « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » : ولست أعنى بالرمزية هنا أنني أنفي وجود الشيطان الحقيقي ، فهذه قضية لا أخوض فيها ، ولست أشتري إلى تمثل المؤمن للشر مركزا في هذا الشيطان حتى يصير في الذهن والضمير علما على الشر

وعنوانا للباطل والمسلم يستعيز بالله من الشيطان بلسانه في مواطن ، ويرمى بيده الجمار في الحج ليخسأ الشيطان ... وكل هذه أساليب التربية والتدريب ، تذكر بالشيطان والشر ، حتى يتوقاهما الإنسان .

لقد كان الإسلام واقعيا في منهجه الأخلاقي في هذا كله ... وكان واقعيا حين أودع هذا كله في شخص كائن بشري يحى يعيش مع الناس ويتكلم ويتعامل ويتفاعل ... وهو في هذا كله « خلقه القرآن » ... يقول سليمان الندوي عن علماء السنة : « وهم قد حفظوا شئون حياة النبي وأحواله وأخباره كلها ولم يتركوا أمرا من أموره ولا شأنا من شئونه إلا ذكروه ، حتى لقد وصفوه في قيامه وجلسه ، ونهوضه من النوم ، وهيئته في ضحكته وابتسامه ، وعبادته في ليله ونهاره ، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل ، وكيف كان يشرب ، وماذا كان يلبس ، وكيف يتحدث إلى الناس إذا لقيهم ، وما كان يحب من الألوان ومن الطيب وما هي حليته وشمائله ... ووصفوا حياته العائلية من معاشرة الرجل أهله وحليلته وأتبعوا ذلك بذكر الطهارة من الغسل ... يقول باسورث سمث : إن ما قيل عن العظماء في مبادئهم لا يصح - على الأقل - في عهد رسول الإسلام ... إن أعظم الناس لا يأذن لزوجهم بأن يتحدث الناس عن جميع ما تراه من حليلها ، لسكن رسول الله كانت له في وقت واحد تسع زوجات ، وكانت كل منهن في إذن من الرسول بأن تقول عنه للناس كل ما تراه منه في خلواته ... فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل يثق بنفسه كل هذه الثقة ؟ ؟ » . ويقول : « إن حياة موسى تمثل لنا القوة البشرية العظيمة ... وفيما نعرفه من حياة المسيح نماذج لساحة النفس ورقة الطبع ودماثة الخلق ولين الجانب ... ولن تجد الجمع بين هاتين الحصلتين المختلفتين جمعا قويا عزيز الوجود إلا في حياة محمد ، فانه هو الذي مثلت حياته أعمالا كثيرة متنوعة بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها » [١] .

فهل يرى القارئ في هذا المنهج الأخلاقي المتكامل ، شيئا خياليا ؟ ؟ ؟

(١) الرسالة المحمدية . راجع أيضا الحديث عن « وسائط الفكرة » في الحلقة الأولى من هذا البحث « المنالية الواقعية » الجزء ١٠ المجلد ٢٥ ، والحديث عن « تكامل الفكرة » في الحلقة الثالثة الجزء ٤ المجلد ٢٦ .

إن هذا المثل الأعلى الأخلاقى فى الإسلام ، واقعى فى ذاته ، واقعى فى وسائل تطبيقه ، واقعى فى افتراض حالات الاستثناء من القاعدة ... واقعى فى تكامل هذا كله ، وتجانس هذا كله ، دون تشاز أو نشوز . بقى أن نقول : إن الحالة الاقتصادية والمستوى المعاشى ، لهما آثار لا تتخلف فى الأخلاق ... فالجوع والحاجة يلحان على الرجل أن يسرق وأن يكذب لئلا يكل ويعيش ... ويلحان على المرأة أن تسقط لتأكل بشديها !! والإسلام يقدر هذا كله ، لذلك ضمن حقوق المعاش [١] حتى يتيسر النهوض بتكاليف الأخلاق ، وحتى لا تصير المعدة ثقلا على الضمير . وأسقط عمر حد السرقة عن المغبون ، وأسقطه عموما فى عام المجاعة ...

وصدق الله العظيم ، حين وصف رسوله الكريم ، وحدد أصول رسالته : « يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » ما

فسمى عمارة

حريق مكتبة الاسكندرية

لما استنجد تيودتس بيوليوس قيصر لينقذ مكتبة الإسكندرية من نار أسطولا ، رد عليه يوليوس قيصر ساخرا : أهذا كل شىء ؟

فصاح به تيودتس : أتقول عنك الأجيال القادمة إنك كنت جنديا متبربرا يجهل قيمة الكتب ؟ .

فرد عليه قيصر : أنا نفسى مؤلف . إن الذى يحترق هناك هو ذاكرة البشرية ، ذاكرة مخزية دعها تحترق ... أأنقذ صفحات من الجلد نقشت عليها الأخطاء نقشا رديئا ؟ ثم ضحك وأصر بأن ينقذوا الذاكرة .

موقفنا من الدين

ما أكثر واجبات المسلمين اليوم ! ... وما أثقل التبعات الملقاة على عواتقهم الآن ! ..
ولسكن واجبهم في ميدان الدين خطير جليل ، إذ هو مفتاح لأداء واجبات كثيرة ، فلو
أتقن المسلمون معرفة دينهم ، وأخلصوا في التمسك به ، وأحسنوا التطبيق له ، لسهل
عليهم القيام بواجباتهم الضخمة في الميادين الأخرى ، لأن الدين القيم يتناول نواحي الحياة
المختلفة بالعلاج والتقويم .

والدين في هذه الأيام يتعرض لأعنف ابتلاء ، وأوقع هجوم ، دون محاسبة هؤلاء
المهاجمين أو إنكار عليهم ... تتعرض أصول الدين للسخرية والاستهزاء ، فنسمع ونقرأ
إنكارات لله وللمبعث والجزاء ، ونقرأ هجوما على الأخلاق الفاضلة ، وتندرا على العقبة
والبكرة والشرف ، وتطاولا على الآداب الإسلامية والأحكام الفقهية ، ونقرأ الدعوة
إلى فتح دور الفجور ، ونقرأ التحدث عن الفتاة المطلوبة التي تحب أباه وتستهيه ،
وتعيش بلا أدنى نجل أو ندم [١] ! ... كما تتعرض قواعد الدين وأركانه للتعطيل والإهمال
وتتعرض حرمانه للانتهاك والاستحلال ، ويتعرض رجاله لجماعات فيها القليل من الحق
والكثير من الباطل ، وفيها سوء النية وخبث الطوية ولؤم الاستغلال ، وفيها الهضم الأثيم
لحقوق هؤلاء الرجال ، وفيها التعويق للظنين لهم عن أداء رسالتهم ، وفيها محاولة اتخاذ
الهجوم على أشخاصهم سببا للقضاء على الدعوة الدينية التي يمثلونها وينتسبون إليها :
« والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

والدين تسكيف إلهي للعباد بما يفيدهم ويسعدهم في الحال والمآل ، ولما كنهه ليس
تكليفا بالعسير أو المرهق أو الشاذ ، بل هو تسكيف بما يجب أن يكون منا لله ، حتى

[١] هذه إشارات إلى مقالات وكتابات قاضت بها صفحات في صحف ومجلات عربية تصدر
في بلاد إسلامية !! ..

يتحقق فينا الخضوع والعبودية والشكران لبديع السموات والأرض ، الرزاق ذى القوة المتين ، وبما يجب أن يكون منا للناس حتى يتحقق فينا الاجتماع والتعاون والخلق الكريم ، وبما يجب أن يكون للنفس حتى تصير زكية نقية ، تحسن الاستجابة لله ، كما تحسن الاستمتاع الطيب بهذه الحياة ، ، وينسب إلى عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « ما تمتع الأشرار بشيء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله » ! .

* * *

والدين من عند الله ، فليس لبشر أن يزيد فيه أو يحذف منه ، والذين يهاجمون الدين يحاولون إخضاع أمره كله للعقل البشرى المحدود ، وللفكر الإنسانى الضئيل أمام جلال المبدع سبحانه ، ويريدون أن يجعلوا المسألة فكرية عقلية خالصة ، كأنها عملية حسابية إذا لم تخضع لما وضع الإنسان من قواعد ونظريات فهى ضلال ؛ والذين درسوا الدين على بصيرة يعلمون أن دين المرء منبعه القلب الزكى الطهور ، الذى تعصمه فطرة الله التى فطر الناس عليها ، والذى يسنده العقل الناضج المستقيم ؛ وما أشبه التدين الصحيح بحكومة مستورة غير محدودة للسلطان على الإنسان ، تنبعث من أعماق نفسه ، ومن جذور عواطفه ، ومن بلة مشاعره ، ثم يستخدم المؤمن السليم عقله مع هذا ، فيتلمس الأسباب والأغراض وحكم التشريع ، فإذا اهتدى عقله إلى الإدراك - وكثيرا ما يكون - رضى وشكر ، وإذا صعب أمامه المرتقى ، أو امتد به الطريق ، تذكر حدوده ونقصه ، ثم رضى واستجاب : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ؛ ومن قبلهم تأدبت الملائكة مع ربهم فوكلوا إليه علم ما لم يعلموا : « قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » .

* * *

والمرء حين يتدين لا يدخل عالم المادة المحشود بحسياته وذواته وأجرامه ، وإنما يدخل عالم الروح ، ويؤمن بالغيب ، ولذلك يبدأ دين المسلم من الإيمان بالله جل جلاله الذى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، والذى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ، والذى يصف نفسه بقوله : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير .

ثم يتطلع المسلم إلى هذا الكون العريض ليأخذ عنه مؤيدات هذا الإيمان ، ومؤكدات ذلك اليقين ، ويرى في كل شيء آية تدل على الله الواحد الأحد ، فهو يتطلع إلى هذه الطبيعة على أنها صنعة الله الكبرى ، ومظهر عظمته الواسعة ، ومن هنا جاء في القرآن الكريم : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون » ؟ .

ثم ينفى المسلم إلى قلبه ، لأنه مرآة الإيمان ، ومعقد الشعور بجلال الخالق ، ومما يروى في الآثار القدسية : « ما وسعتني أرضي ولا سمائي ، واسكن وسعني قلب عبدي المؤمن » وقلب المؤمن ليس شيئا قليلا ، وليس كونا صغيرا ، بل ينطوى فيه العالم الأكبر ، ومما يلفت إلى هذه القيمة العالية لقلب الإنسان ونفسه قول القرآن : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ؟ ! .

* * *

إن في الدين مجالا واسعا رحيبا للقلب وعاطفته ، يجب أن نعني به وأن نحصر عليه لأن القلب هو الذي يتأثر ويتذكر ويعتبر « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ولكن هذا القلب الشاعر المؤمن محتاج إلى سناد من العقل أو دعامة من التفكير ، ومن هنا رأينا القرآن الكريم يخاطب القلوب والمشاعر تارات ، ليحييها ويوجهها نحو نوره ، ويخاطب العقول تارات ، لتكون عوننا وسندا لهذه القلوب ، فتلتبس العقول من حولها ومن آيات ربها دلائل وشواهد تركي بها عواطف هذه القلوب وتؤيد بها مشاعرها ، وإذا اجتمع العقل السليم مع القلب القويم اكتمل للإيمان في نفس الإنسان عنصر العاطفة وعنصر الفكر ، وإذا شعر المرء بعاطفته وأيد عقله هذه العاطفة كان المرء بعد ذلك من خير الجنود لتلك العاطفة ، وكتاب الله المجيد يوجهنا تلك الوجهة فيسددوننا إلى تلمس دواعي الحق في النفس باحياء القلب ، وفي الآفاق باستعمال الحق ، فيقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » فعلى الذين يريدون طريق الهداية والحق أن يدخلوا رحاب الدين بهذين الرائدتين : القلب الزكي الطهور ، والعقل القويم المتواضع ، لأن العاطفة وحدها قد تهيم ، ولأن العقل وحده قد يضل ، والدين « صراط مستقيم » ! ! .

ويتصل بهذه الناحية أن يكون المسلم على حذر شديد من أن يقول في الدين برأيه ، أو هواه ، أو رغبته في الشهرة ، أو مجاملته لمن يريد مجاملتهم ، أو لمطمع يريد تحقيقه ، أو لمضرة يريد تجنبها ، فإن المسلم إذا أصابته هذه البلوى كان نكبة على نفسه وعلى الناس . وبلاء المجتمعات الدينية - من زمن بعيد - يلوح في أقوال ينسبها قائلوها إلى الدين ، ويعملون على ترويجها بشتى الوسائل ، لإرضاء لجلس ، أو تحقيقاً لرغبة ، أو خدمة لطائفة ، أو كسباً لشهرة ، أو استجابة لهوى ، ومن هنا جاء الحديث : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وجاء فيه : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ! .

* * *

وهناك واجب على المسلمين يتعلق بالأحكام الفقهية التي قد يلوح لنا أن فيها اختلافاً أو تناقضاً ، مع أننا لو أنعمنا النظر في هذه الأقوال والأحكام ، وعرفنا أدلتها ومناسبتها كل منها ، لارتقمينا بها إلى مرتبة التوفيق ، ولعرفنا حكمة هذا الاختلاف ؛ فالدين الإسلامي في بعض المسائل يورد الحكم بأكثر من صورة ، لأنه يريد بكل صورة حالة من الحالات ، وقد يأتي الحكم في المسألة وله ثلاث شعب ، أو ثلاثة أطراف ، فطرف أعلى فيه التشديد والتقوية ، وطرف أدنى فيه التيسير والتخفيف ، وطرف وسط ... ولكل من هذه الأطراف زمانه ، ومكانه ، وحالته ، فلا يكون بينها اختلاف ؛ والطرف الأول الأعلى يكون في حالات التأديب والردع ، والحد الأدنى يكون عند وجود الأعذار أو الضرورات ، والحد الوسط هو الحد المعتاد الذي ينبغي أن نتبعه في العادة ! . .

فلنأخذ مثلاً لذلك موضوع الحرب والسلام كما يصوره القرآن الكريم إننا نراه يدعو تارة إلى القتال الشديد العنيف ، وتارة يدعو إلى الأمن والسلام العام ، وتارة ثالثة يدعو إلى الاستعداد والإعداد والمعاملة بالمثل ... وقد يظن ظان أن ذلك تناقض أو اختلاف ، وليس كذلك .

إن القرآن يدعو إلى السلام العام فيقول مثلاً : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ويقول : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » ويقول : « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعامون » ، وإنما يكون ذلك في الأحوال الصالحة لنشر السلام والتبشير به ، وبين القوم المستعدين لتقبل دعوة السلام ، وأما حين يستعلن الكفر ببغية والشرك بطغيانه ، وحين تتعرض حرمت الإسلام لانتهاك ، ويداس وطن الإسلام ، فهنا يدوى النفير العام ، وهنا يحرض القرآن الكريم على القتال العنيف الشديد : « يا أيها

النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم » ، « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » ، « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق » « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ! . .

فاذا دفع المسلمون عن أنفسهم عار الاستعباد والهوان ، كان عليهم بعد ذلك أن يؤمنوا حربتهم ، وأن يحفظوا أمنهم ، فيحسنوا الاستعداد للفتايات ، ويقفوا للطوارئ بالمرصاد ، فاذا حدث عدوان من أحد قابله بالمثل ، وشرعة الماثلة هي أجدى الوسائل لحفظ السلام ولذلك يقول القرآن : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، ويقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، ويقول : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

فأنت ترى أنه قد أمكن التوفيق بين الآيات الكثيرة الواردة في شأن الحرب والسلام ، وعرفنا من هذا أن لكل طائفة من هذه الآيات الكريمة مناسبتها ، ومن الممكن لعلماء الملة أن يفصلوا للناس مظاهر هذا التوفيق في شتى أبواب الملة ، متى توافرت العزائم وخلصت النيات ، وقد حاول الفقيه عبد الوهاب الشعراني في كتابه : « الميزان » أن يفتح الباب أمام الباحثين في هذا المجال ، ولكن مجهوده - مع قيمته - بمجهود فردي ، لا يكفي ولا يشفى ، ومن واجب العلماء أن يعطوا هذه الناحية ما هي جديرة به من العناية والبحث .

* * *

أما بعد فليذكر المتطاولون على دين الله القائلون فيه بالهوى والافتراء كلمة الإمام مالك رضى الله عنه : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة » ، وليحذر القائلون بغير ما أنزل الله إنذار رسول الله لهم حينما قال لبلال بن الحارث : أعلم . قال : أعلم يا رسول الله . قال : أعلم يا بلال . قال : أعلم يا رسول الله . قال : إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل من عمل بها ، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها ، لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئا ! والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ! .

أحمد الترابصي

المدرس بالأزهر الشريف

من هدى الرسول في رمضان

يقول الله سبحانه : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ويقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

فأحق الناس باقتداء المسلمين به والاهتداء بهديه في قوله وفعله وخلقه هو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا سيما وهديه خير الهدى ، وطريقته أقوم الطرق وأعدلها وأخلاقه أكرم الأخلاق وأقربها إلى الفطرة السليمة .

وقد كان من هدى الرسول في رمضان كثرة الجود والبر ، روى البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) .

والصائم إذا أحس بألم الجوع ومراة الحرمان وحرارة العطش كان ذلك أكبر وازع له وأعظم وأعظ ، فلا يسعه إلا البذل والعطاء ، والعطف على البائسين والمحرومين ، وإن من أكثر من البر في رمضان فقد أحيا سنة من سننه صلى الله عليه وسلم ، ومن ذا الذى لا تتوق نفسه إلى إحياء سنة من سننه وهو القائل « طوبى للغرباء » . قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى » ومن البر في رمضان إطعام الطعام ولا سيما للصائمين . روى الترمذى في سننه عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من فطر صائما كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شئ » . وتقديم الطعام للصائم عند إفطاره من خلال الخير التى ينبغى أن تطلب ومن الفضائل التى تستحق التثويه « روى أبو داود في سننه بإسناد صحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى سعد بن عباد بنجاءه بخبز وزيت فأكل ، ثم قال

النبي صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم في لطف إلى أن الارتفاق باطعام الطعام لا يكلف المطعم أكثر مما يصنع لنفسه ما دامت النفوس عامرة بالسباحة والقناعة فقال « طعام الاثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة » رواه البخاري ومسلم .

ومن هدى النبي في رمضان كثرة الذكر وتلاوة القرآن والإكثار من العبادة والقيام في الليل وبخاصة في العشر الأواخر من رمضان ، ففي الحديث المتفق عليه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره - أى اجتهد في العبادة - وأيقظ أهله وأحيا ليله » . وذلك لأن قيام هذه العشر مظنة قوية لموافقة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر . روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور - أى يعتكف - في العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » وأرجى هذه الليالي أوتارها كما ورد في الصحيح .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة ، ففي الحديث الذى رواه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . وروى مسلم بسنده عن أبي عطية قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة رضى الله عنها فقال لها مسروق : رجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلاهما لا يألو - أى لا يقصر - عن الخير ، أحدهما يعجل المغرب والإفطار ، والآخر يؤخر المغرب والإفطار . فقالت : من يعجل المغرب والإفطار ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، فقالت : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع » وكانت طريقته صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات أو تمرات فإن لم يجد فعلى ماء ، ثم يصلى المغرب ، ثم بعد ذلك يأكل ما تيسر له مع تجنب الإفراط والإسراف كما هو شأنه دائماً . عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتميرات ، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن .

وهذه الطريقة النبوية هي أقوم الطرق وأحسنها لصحة البدن ، لأن تناول الطعام الخفيف أو الماء بمثابة إيقاظ للمعدة وتنبيه لها ، فإذا ما أكل الصائم بعد هذا تكون معدته على استعداد لتقبل الطعام وهضمه هضمًا جيدًا ، ولعل في شرب النبي صلى الله عليه وسلم الماء على طبيعته ما يرشد الصائم إلى أن يتحاشى ما استطاع المشروبات المفردة في البرودة لأنها تعطل المعدة عن عملها وتورث ضررًا ، وهذا هو السرفيا ينتاب الكثيرين منا في رمضان من اضطراب في الجهاز الهضمي ، وأما شرب الساخن أو الدافئ فإنه أفيـد وأحسن لأنه يساعد على الهضم ولا يسبب للمعدة أي اضطراب أو ضرر ، وأما ما يصنعه الكثيرون منا الآن من الإفراط في شرب المشروبات أو النقيع المتلج ، فالإقبال بنهم وشراهة على ما لذ وطاب من أنواع الطعام حتى لا يدع في معدته متنفسا ثم يكون الاسترخاء فالنوم فميجز المعدة عن أداء وظيفتها ، فأبعد ما يكون عن هدى النبوة .

ومن هدى النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان السحور ، ففي الحديث المتفق عليه : « تسبحروا فإن السحور بركة » . وروى أبو داود والنسائي بسندهما عن العرابض ابن سارية قال : « دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور في رمضان وقال : هلم إلى الغذاء المبارك » . وكيف لا يكون السحور بركة ؟ ، وهو الذي يقوى الصائم ويعينه على صيام النهار والقيام بأعماله على خير ما تكون ، ويخفف من غلواء الجوع والعطاش فلا تضيق نفسه ولا تسوء أخلاقه . وقد أشار إلى هذا الرسول صلوات الله عليه وسلامه بقوله : « استعينوا بالقبولة على قيام الليل ، وبالسحور على صيام النهار » . رواه ابن ماجه .

ومن السنة في السحور تأخيرها إلى قبيل الفجر ليكون أدعى إلى المعاني التي ذكرناها ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة قبل كم بينهما ؟ قال خمسون آية » وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بلالا يؤذن بليل ، فـكـلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » قال ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا ، ومن ثم يتبين أن من أكل بعد مدفع الإمساك ، وقبل طلوع الفجر وأذانه ، فلا حرج عليه في هذا ، وهذه من المسائل التي تشبه على بعض الناس فيظنون أن تناول شيء بعد وقت الإمساك لا يجوز ومفسد للصوم ، ويظهر أن تحديد وقت للإمساك أمر قديم بل بلغ الأمر ببعض الناس في العصور السابقة أن قدموا الأذان الثاني إلى وقت الإمساك

وقد اعتبره الحافظ ابن حجر من البدع قال في الفتح « تنبيه . من البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتسكين الوقت زعموا ، فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير وكثر فيهم الشر والله المستعان » .

ومن هدى النبي في السحور التخفيف فيه ، ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم سحور المؤمن التمر » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه ، وروى الإمام أحمد بإسناد قوى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين » وهذا الهدى النبوي في الإفطار والسحور هو ما يشير به نطق الأطباء اليوم ويؤيده الطب الحديث ، وصدق الله حيث يقول : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » .

أيها المسلمون في كل قطر ، هذا هو هدى نبيكم في رمضان متجاوب مع الفطرة السليمة كل التجاوب ، لا عنت فيه ولا مشقة ولا تبذير ولا إسراف ، ولا تكليف فيه فوق الطاقة المالية أو البدنية . فمن أراد فلاحا في دينه ودنياه وسعادته في أولاده وأخراه وصحة لبدنه وزكاة لروحه وصلاحا لحاله فعليه بالتأسي بهذا الهدى النبوي القويم ، ففي اتباعه الفوز بحبة الله ورضوانه وصدق الله « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم » .

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

المروءة

- * المروءة أن لا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .
- * المروءة الحزم ، وهو مع العقل .
- * لا يصلح المروءة إلا التواضع .
- * المروءة العفة والحرفة .

السينما

وتأثيرها على المراهقين والأحداث

ورد في الأنباء أن أربعة عشر شابا تقل أعمارهم عن العشرين ، اتهموا في (نيويورك) بقتل عدة أشخاص للتسلية ولتقليد أبطال أفلام رعاة البقر وأفلام الإجرام ، وكان آخر ضحية لهم زنجيا عذبه باللكم وحرق السجائر في قدميه قبل إلقائه في النهر وموته غرقا ، ثم ادعى هؤلاء الشبان أنهم لم يرتكبوا هذه الجرائم ، واقترح البعض إحالتهم إلى مستشفى لفحص قواهم العقلية وبحث حالاتهم النفسية ، ولكن المحكمة رفضت ذلك خشية أن يزعم كل مجرم بعد ذلك أنه ارتكب جرائمه وهو متأثر بنزوات الشباب .

وجاء كذلك أن البوليس الأمريكي أصبح يوضح من تفشى الجرائم بين الصبية نتيجة للمناظر التي يشاهدونها بكثرة الآن في التليفزيون وفي الأفلام السينمائية عن أساليب وطرائق ارتكاب الجرائم ... فقد قال صبي في مشيجان في السادسة عشرة من عمره للبوليس بعد أن قبض عليه وهو يدخل عملة مزيفة من الصفيح في ثقب الآلة الأوتوماتيكية التي تخرج الحلوى والشكولاتة في إحدى محطات المترو : إنه زيف عددا منها بنفسه بعد أن شاهد هذا المنظر في قصة في التليفزيون . وقال صبي آخر في الخامسة عشرة من عمره حاول أن يخطف فتاة في مثل سنه بينما كانت تجلس في سيارة والديها أمام منزلها بأن صوب إليها مسدسا ودفعها أمامه : إنه شاهد هذا المنظر في أحد الأفلام .

ومن هذه الحوادث وأمثالها اجتمع رأى الناس هنا وهناك على أن الأفلام السينمائية تؤثر تأثيرا سيئا على الصبية والأحداث والمراهقين ، ومن هنا أصدرت بعض الدول تشريعات تقضى بمنع الأحداث من الجنسين ممن تقل أعمارهم عن سن معينة من دخول دور الخيالة وما يماثلها لمشاهدة ما يعرض فيها من الأشربة السينمائية وغيرها .

ويهمنا هنا أن نتجرد بعض الشيء مما اجتمع عليه رأى الناس نتيجة ما يقرءون ويسمعون من أمثال تلك الحوادث والأنباء ، ونحاول أن نبحث هذا الموضوع الخطير في ضوء من الحقائق العلمية الاجتماعية والنفسية ، لنسكون أقدر على الإلمام به على حقيقةته واتخاذ الحلول السليمة لمشكلاته .

فملا ريب فيه أن (السينما) اختراع مفيد للناس في مجتمعاتنا الحديثة ، وليس يهمننا

هنا أن نبين مناحى فائده للناس على وجه العموم ، وإنما تنحصر الدراسة على الأحداث والصغار من هؤلاء ، وليس ينكر أحد أن كثيرا من الأفلام العامة فضلا عن الأفلام العلمية الخاصة بعرض المعلومات الجغرافية أو التاريخية أو ما شاكلها لها أحسن التأثير في التلاميذ من حيث تعليمهم وتوسيع مداركهم وتشويقهم للمعرفة العامة بعرضها في صور حية على الشاشة بدلا من العرض النظري الممل الذي يقوم به المدرسون التقليديون والكتب المدرسية العادية ، كما أن لها هذا التأثير من حيث تنمية مواهبهم وتخصيب أخیلتهم .

ويضع علماء النفس والتربية مشاهدة الأفلام السينمائية ضمن أساليب التعليم التي تتمزج بخصائص روح اللعب ، شأنها في ذلك شأن إجراء التجارب ورؤية النماذج ومشاهدة الصور والقيام بعمليات التحنيط ونحت النماذج والقيام بالرحلات والمعسكرات وما إلى ذلك .

ويؤكد الدكتور (جورج هنرى جرين) في كتابه عن (أحلام اليقظة) أن الأطفال يظهرون اهتماما شديدا نحو الحيوانات والدمى الكبيرة وبعض أفلام السينما ، فالأطفال شديدا والميل إلى أفلام (شارلى شابلن) الصامتة ؛ لأن ما يقوم به من حيل مضحكة تشبه أنواع السلوك المحظورة عليهم إلى حد كبير ، ففي إحدى المناسبات مثلا يحاول (شابلن) أن يقطع رغيفا من الخبز إلى حلقات ، بيد أنه يقطعه على شكل حلزوني ، ثم يتظاهر بأن الرغيف قد أصبح من مارا من الغاب مما يكون مثارا لضحك مشاهديه من الأطفال الذين اعتادوا النظام الصارم في آداب المائدة ، كذلك تحدث حركات (ميكى ماوس) في المتفرجين التأثير نفسه للأسباب عينها ، كما أن (باخوان ماركس) و (لوريل وهاردى) لا يخرج تفسيره عن ذلك .

وقد قام في فرنسا أخيرا أربعة أطباء إخصائيين في الأمراض العصبية والنفسية بدراسة موضوع تأثير الأفلام السينمائية على الأحداث والمراهقين ، وقد لاحظوا سهولة الوقوف على مبلغ تأثر الأطفال بختلاف الأفلام السينمائية عند ما تزيد أعمارهم عن العاشرة . بيد أن عملية إدراكهم لهذه الأفلام تتجاز مرحلتين ، الأولى مقدرتهم على تتبع تسلسل الصور التي تمر أمام أعينهم وإيجاد رابطة بينها ، وهذا لا يتيسر إلا بعد سن العاشرة ، والثانية الوقوف على المعنى الإجمالى للقصة ، وهذا يتطلب نموا عقليا يندر توافره لدى الحدث قبل بلوغه الثانية عشرة من عمره على الأقل .

وتمكن العلماء الأربعة من الوقوف على مدى التجاوب بين بعض المناظر وبين حالة الطفل العاطفية نتيجة التجربة وحياته الخاصة في منزله وبيئته الاجتماعية ، فمثلا حدث أن طفلة أجهشت بالبكاء حين رأت منظرا لقاعة المحكمة في أحد الأفلام ، إذ أعادت تلك الصورة إلى ذاكرتها قصة طلاق والديها .

وقرر العلماء المذكورون أنهم على خلاف ما يظن الكثيرون يرون أن مشاهدة الأفلام البوليسية لا تؤثر على عقلية الطفل السوى ولا توحى إليه بأعمال إجرامية مماثلة لتلك التي شاهدها ، ولكن طرق العرض الفنية في بعض الأفلام البوليسية المثيرة هي التي كثيرا ما ترشد الأطفال إلى الاقتباس منها أو محاولة تقليدها في ألعابهم .

ومن الواضح أن كثيرا من الأفلام السينمائية فيها ما ينمى خيال الطفل عند رؤية المناظر الجميلة أو سماع الموسيقى المصاحبة للعرض ، كما أن لها الأثر الحسن في أسلوب حديثه وملبسه وتسكبه بعض الخصال الحميدة في ألعابه وتصرفاته .

والسينما في نظرنا لا تؤثر التأثير السيئ على الأطفال والمراهقين لمجرد كونها (سينما) أو بدعة ضارة ، بمعنى أن السينما في حد ذاتها ليست السبب الوحيد فيما نراه من انحراف بعض الأطفال والمراهقين . والواقع أنها كسواها من وسائل التعريف والعرض لها تأثير بالغ سواء على الصغار أم على الكبار ، فكم من رجال تخطوا دور المراقبة بزمان طويل ويتأثرون بأفلام السينما وبما تعرضه عليهم من مناظر وصور وأفكار واتجاهات ، وكم من امرأة تحطت كذلك هذا الدور ورغم هذا تتأثر بتلك الأفلام تأثرا لا يقل عن تأثر الفتيات الصغيرات ، إن الفيلم السينمائي قد يهدي الرجل إلى تغيير معاملته لأولاده واتباع سياسة خاصة معهم أو إلى تغيير معاملته بأصدقائه أو بزوجته والتغاضى عن أخطائها ، وقد يحوله الفيلم السينمائي عن الوقوع في تصرف معين قد يكون طائشا وهو لا يدرك آثاره ونتائجها التي يعرضها عليه الفيلم في صورة واضحة جلية ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة .

أما أولئك الذين يخرفون من الصغار ، وأما أولئك الذين يسيئون فهم الأفلام أو الإفادة مما تعرضه من أفكار وصور ، فهم أولئك الذين أساء إليهم المجتمع الذى يعيشون فيه ، ممثلا في إهمال التربية المنزلية أو ضعف التربية المدرسية أو ظروف البيئة القاسية أو آلام الحرمان البغيض أو كوارث الدهر وسوء الحظ في الحياة ، هؤلاء جميعا سواء أكانوا صغارا أو كبارا تكن في أنفسهم نزعات إلى السوء ونزعات إلى عدم انتهاز السبيل السوى إلى الخروج على الأوضاع إلى النقمة من المجتمع إلى التلذذ بارتكاب الجريمة إلى إرضاء

غمازهم المكبوتة ونزعاتهم الشيطانية التي كونتها ظروف البيئة والمنزل والأهل وانخفاض مستوى العيش والأخلاق وسوء التربية وأحداث المجتمع .

إن السينما تستثير فقط هذه النزعات غير العادية لدى الناس من صغار وكبار ، شأنها في ذلك شأن سائر وسائل التثقيف والتعليم والتهديب في مجتمعات هذا العصر الحديث ، وقصر هذه الامتنارة على الصغار فيه تجن على الحقيقة ، ومحاولة منع الصغار من مشاهدة الأفلام وإباحة ذلك للكبار ليس علاجاً شافياً لما تحدثه السينما من أثر سيئ في الناس .

إن العلاج الشافي في نظرنا ذو شقين :

أولهما : المجتمع في حد ذاته ، المجتمع الذي يتمثل في : المنزل والمدرسة والجامعات والعربية الخلقية والدينية العامة ، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من حيث الدخل ومستوى المعيشة ، هذا المجتمع يشتت مظاهره وأوضاعه لابد من تقويمه هو نفسه في هذه المظاهر والأوضاع ، فإن هذا هو السبيل إلى التقليل من تكوين النزعات الانحرافية لدى الناس من صغار وكبار ، ولهذا التقويم والإصلاح وسائل وأساليب ، وإنما يعنينا هنا الفكرة في حد ذاتها ، فإذا ما قلت هذه النزعات والانحرافات وإذا قضى عليها فلا خوف من السينما وأفلامها على الناس .

وثانيهما : الأفلام السينمائية نفسها ، التي تمس الحاجة إلى إصلاحها ، وإعطاء القائمين عليها دروساً كثيرة في أهدافها والغرض منها في مجال الترفيه والتهديب والتثقيف والإرشاد القومي ، إن العقول التي تدبرها وتؤلف لها وتخرجها في حاجة إلى تصفية وتربية لتقدم المفيد المستساغ ، وهي الدولة نفسها المنوط بها التدخل لتحقيق تلك الأهداف والأغراض من الأفلام حتى لا يسيء القائمون عليها استغلالها رغبة في الربح المادي والكسب الحرام ، فالتنخس على فئة من الناس كصغار السن من فيلم معين بالذات ، فهو ذلك الفيلم نفسه الذي يمنع عرضه وليس هؤلاء الصغار الذين يمنعون من مشاهدته ورؤياه ، وكذلك الشأن إذا خشي على الكبار .

إن السينما اختراع جليل ابتكرته عبقرية التقدم في العصر الحديث ، ومن حق كل فرد من الناس أن يتمتع به ويفيد منه ، فإن أساء القائمون عليه استغلاله وعرضه فالذنب في ذلك ليس ذنب للناس وإنما ذنب المشرفين والمخرجين والمنتجين والمستغلين ، وذنب الدولة التي أفسحت لهؤلاء الطريق دون إشراف كلي لتحقيق ما يجب أن تهدف إليه الأفلام وما يجب أن يكون عليه تأثير هذا الاختراع الجليل ما

أحمد طه السنوسي

أوضاع الهلال

وحدود رؤيته

الهلال — في لغة العرب يطلق على ما استضاء من جرم القمر إلى ثلاث ليال من أول الشهر وبعد ذلك يسمى قمرًا ، وأما عند أهل الهيئة فالمراد بالهلال ما يرى من المضيء منه في أول ليلة فقط ، وأما عند الشرعيين فهو نور القمر الدقيق المقطوع بوجوده فوق الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما وكذا برؤيته حينئذ وجوبا أو جوازا عند عدم المانع من سحاب أو مطر أو غبار أو بخار ، وهذا وتدل نصوص الحساب والرصاد في كتب الفلك العمل المشهورة في عهد النهضة العلمية الإسلامية قبل الحروب الصليبية على أن للقمر بعد مفارقتها الاقتران حالتين « استحالة الرؤية وإمكانها » وللامكان ثلاث حالات (إمكان مع خفاء وعسر — إمكان مع بيان دون عسر — إمكان متوسط بينهما) فهذه أربع حالات (الأولى) استحالة الرؤية (الثانية) إمكانها مع الخفاء (الثالثة) إمكانها مع المتوسط (الرابعة) إمكانها مع البيان دون عسر ...

وهذه الحالة الرابعة هي التي يسميها الفقهاء بالحالة التي يقطع فيها بوجود القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما بحيث يتجه نوره إلى سطح الأرض ويرى وجوبا عند عدم مانع السحاب أو المطر أو الغبار أو البخار وقد اشترطها معتمدو الحساب من الفقهاء لأن يكون سببا للصيام والفطر كالرؤية بالفعل عند وجود مانع من سحاب أو مطر الخ .

ومن ذلك يعلم أن الحساب لا يعتمد سببا للصيام أو الفطر إذا تبين به أى حالة من الأحوال الثلاثة الباقية ...

أما حالتا الإمكان مع خفاء أو مع توسط بينهما وبين البيان فيجعلهما الفقهاء حالة واحدة أيضا يسمونها « حالة يقطع فيها بوجود القمر على الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما كما تقدم في الحالة الأولى لكن مع جواز رؤيته عند عدم السحاب وغيره » كما يعبر

هؤلاء الفقهاء عن حالة استحالة الرؤية بأنها (حالة يقطع فيها بوجود القمر على الأفق بعد غروب الشمس عقب اجتماعهما مع امتناع الرؤية عند عدم المسانع من سحاب أو غيره) .

« ما ورد في المؤلفات القديمة من تحديد أئمة الحساب والرصد من الفلكيين لهذه الحالات »

قال العلامة محمود بن عمر الجفميني : « إذا بعد القمر عن الشمس مقدارا قريبا من (١٢ جزءا) مال نصفه المضيء إلينا ميلا صالحا فنرى طرفا منه وهو الهلال ، وتبعه في ذلك صاحب كتاب (تشریح الأفلاك) وغيره والمراد بالجزء هنا (درجة من مدار التقويم) وتسمى أجزاؤه بدرج السواء » .

وقال محمد عبد الحليم في حاشيته على الجفميني : ذكر في الكتب المشهورة أنه ينبغي أن يكون البعد بين تقويم النيرين أكثر من عشرة أجزاء ، وقيل ينبغي أن يكون بين مقارنتهما عشرة أجزاء أو أكثر حتى يمسك القمر فوق الأفق بعد غروب الشمس ثلثي ساعة أو أكثر . ثم قال : والمشهور في هذا الزمان بين أهل العمل أنه ينبغي أن يتحقق الشرطان يعني حتى تمسكن الرؤية . ثم قال : ويسمون البعد الأول (بعد السواء) . والبعد الثاني (البعد المعتدل) . ثم قال المحشي أيضا : وقد ذكر بعضهم أنه ينبغي أن يكون الارتفاع المرئي للقمر عند غروب الشمس (٨ درجات) أو أكثر لتمسكن الرؤية وقيل إن انحطاط الشمس عند غروب القمر ينبغي أن يكون ٨ درجات أو أكثر . انتهى .

وقال بهاء الدين المجدى في رسالته : (خلاصة الأقوال في معرفة الوقت ورؤية الهلال) : ومتى كان كل من قوسى المكث والرؤية (١٢ درجة) والارتفاع (١٠ درجات) فإن الهلال يرى ، وقيل : إن كان المكث (٨ درجات) والارتفاع (٧) والنور (١٠) رؤى الهلال وكذا لو شهد حدان إلا أنه يعسر من جهة الثالث ثم قال : والذي جربه المتأخرون أنه متى كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق أقل من سبع درجات فإن الهلال يجوز رؤيته وإن كان (١٣ درجة) رؤى بينا وإن كان أقل من (١٣ درجة) إلى (١٠ درجات) جازت رؤيته قريبة من البيان وإن كان أقل من (١٠ درجات) إلى (٧) جازت رؤيته قريبة من الخفاء ثم قال المجدى أيضا : وهذه الحدود كافية في رؤية الهلال أقرب التقريب . انتهى .

وقال الشيخ محمد مراد الفيومي في رسالته (بهجة النظر في حساب الأوقات والقمر) قال ألوغ بك : إذا كان البعد بين النيرين وقت الغروب وهو بعد السواء أزيد من (١٠ درجات) ومكث الهلال المحقق بين (١٠ درجات و ١٢ درجة) فيمكن رؤيته دقيقا ، وإن كان المكث بين (١٢ و ١٤ درجة) فالهلال معتدل وإن كان أكثر من ذلك فهو ظاهر وضاء . .

وقال كشيار إن كان قوس الرؤية (٨ درجات) وقوس النور (١٠ درجات) وقوس المكث (١٢ درجة) رؤى الهلال بيئا وإن شهد فيها اثنان فاحكم بالرؤية وإلا فعرس ، وقال صاحب اللعة : إذا كان قوس المكث (١٢ درجة) وقوس النور ثلثي إصبع فإن الهلال يرى وإن نقصا معا فلا يرى وإن اختلفا فعرس ، وقال شارح اللعة : إذا كان نصف مجموع قوسى الرؤية والبعد المطلق أقل من (٧ درجات) فالرؤية ممتنعة وإن كان (١٣ درجة) رؤى بيئا إلى (١٠) فأقرب إلى البيان وإلى سبع فأقرب إلى الخفاء ، وقال غيره إن كان مجموع قوسى النور والرؤية أكثر من (٢٠ درجة) ونصف درجة رؤى الهلال وإلا فلا ثم قال الفيومي أيضا : والذي امتحن بالمشاهدة إذا كان قوس المكث (٦ درجات) والنور ثلثي إصبع يرى بيئا وإن نقص أحدهما يرى بعسر وإن نقصا معا فلا يرى مع صفاء الجو وحدة البصر ثم قال : والتحقيق أن حدود الرؤية تختلف بحسب آفاق المغارب انتهى . أقول : وتحديد الفيومي (للرؤية البيئة) بكون المكث (٦ درجات) والنور بثلثي إصبع لا يعقل إلا إذا كان ميل الشمس وعرض القمر في نهايتهما شمالا وعرض البلد شماليا أو يكون هذا الوضع في الفلك المستقيم .

كثرة هذه الأقوال سببها كثرة الأوضاع

لا شك أن هذا الاختلاف في نتائج الأرصاد إنما جاء من اختلاف إمكانية الرصد وأزمته وتعدد الراصدين ، وبالقائل فيما جاء بها من الشروط والحدود نجد أن بعضها الأقل متجدد وأكثرها مختلف ولا يبعد أن نعتبر الأقوال المتحددة الشروط والحدود (وضعا واحدا) وأن نعتبر الأقوال المختلفة أوضاعا للقمر متعددة بعدد هذه الأقوال و بضم أوضاع الإمكان مع البيان إلى بعضها وكذا أوضاع الإمكان مع التوسط أو مع الخفاء الخ حصلنا لكل نوع على الأوضاع الآتية :

عدد

- ٩ تسعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع البيان دون عسر .
- ٤ أربعة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع الخفاء بعسر .
- ٥ خمسة أوضاع للقمر يمكن فيها رؤيته مع التوسط بين الخفاء والبيان .
- ٣ ثلاثة أوضاع للقمر لا يمكن فيها رؤيته .

٢١ فحملتها واحد وعشرون وضعاً لا يسمى في ثلاثة منها هلالاً وهي أوضاع استحالة الرؤية .
ويلاحظ أن موضع الرصد لم يعرف من هذه الأقوال إلا في تحديد ألوغ بك فان المعروف أن مرصده كان بمدينة سمرقند (عرض . ٤ درجة شمالاً) أبعد مرصد الإسلام عن خط الاستواء ، وقد اشترط للإمكان مع البيان أن يكون المسكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) ومعنى ذلك أن يكون زمن المسكث (٤٨ دقيقة زمنية) وهو أقصى حدود الرؤية التي ذكرت في جميع الأقوال مما يدل على أنه كلما كان موطن الرصد أقرب إلى خط الاستواء كانت الرؤية أسهل شروطاً .

وعلى كل فنحن نذكر أوضاع الهلال التسعة لإمكان الرؤية مع البيان دون عسر لأنها محز هذا البحث ضبطاً لحدودها على ما تبين لنا ، وللمجتهد أن يحدد ما يشاء .

«الوضع الأول» إذا كان قوس الرؤية أكثر من (١٠ درجات) وقوس المسكث (١٠ درجات) فأكثر حتى يكون زمن المسكث ثلثي ساعة فأكثر « الثاني » إذا كان كل من قوسي الرؤية والمسكث (١٢ درجة) وقوس الارتفاع (١٠ درجات) . « الثالث » إذا كان نصف مجموع قوسي الرؤية والبعد المطلق (١٣ درجة) . « الرابع » إذا كان المسكث أكثر من (١٤ درجة) والبعد المطلق أكثر من (١٠ درجات) . « الخامس » إذا كان قوس الرؤية (٨) والمسكث (١٢) والنور (١٠) . « السادس » إذا كان المسكث (١٢) والنور (ثلثي إصبع) . « السابع » مجموع الرؤية والنور (٢١ درجة) . « الثامن » الارتفاع (٨ درجات) . « التاسع » إذا كان المسكث (٦ درجات) والنور (ثلثي إصبع) .

هذه أوضاع الحالة التي اعتمدها بعض الفقهاء سبباً للصيام أو الفطر كالرؤية عند وجود المانع كسحاب أو مطر أو بخار أو غبار على ما بينه المتقدمون من الرصاد ، ولا زلنا نطالب مرصد حلوان أن يقوم بتحقيق هذه النقطة بالذات على نير ما ذكرناه من أعمال المتقدمين حتى يعين لنا أمكنة وأزمنة هذه الأوضاع تسهلاً لتطبيق الأحكام الفقهية عليها والله المعين ما

محمد أبو المعالي البنا

أستاذ الفلك بالأزهر — وتخصص القضاء الشرعي

عقيدة التوحيد

سر في حمى الدين وارتع في نواحيه
وانشق شذا طيبه عطرا يؤرجه
أزهاره في ربي الدنيا مفتحة
تفر بسمتها عن حكمة وتقى
آيات حكمتها جاءت منسقة
تهدى إلى الحق في توثيق عروته
وتكسب الحمد في أجلى مظاهره

واشرب رحيق الهدى واهتمف بساقيه
في روضه من يدانيه ويدنيه
تزهو على الدهر في عجب وفي تيه
وتغمض الطرف لا يرمى بتشويه
في روعة من بيان جل منشيه
وتتظم البر في أسمى معانيه
وتورث المجد قاصيه ودانيه

* * *

عقيدة غرسها التوحيد ثابتة
لا تعرف الزيف بالأهواء إن درست
ولا تنقب عن دنيا مسعرة
ولا تزل بأحداث مروعة
لكن تصاول في عزم وفي ثقة
وتقذف الباطل المدحور جانبه
ومن يغامر بسوء يتقلب أبدا
فصانع الشر لا تهدي مقاصده

وفرعها في مدار النجم يهديه
معالم الكون في بحث وتوجيه
بالحد والغل يصلحها وتصليه
يرمى بها الغدر في جلى دواهيه
عناصر البغي في شتى مراميه
بالحق حتى يوارى في دياحيه
إلى الهوان بخسر في أمانيه
وصانع الخير لا تبلى أياديّه

* * *

لطفى على شرعة الإسلام مزقها
في جهله مدع والجهل يرديه

أُسفَ في زعمه : أن لا إله له وإنما الدهر يحيه ويفنيه
 وضل في رأيه : أن لا حدود له مقومات : وأن لا شيء يعنيه
 وأن كل امرئ يسعى لغايته ما شاء أمضى ، بلا عرف يجاريه
 كأن هذا الورى في عيشه بقر سوائم يتلهى في مراعيه
 يا للساء لأوصال مهلهلة تصور العقل مفتونا وتحكيه

* * *

يا قوم : إن جلال الحق في وض من البيان يحليه ويعليه
 وإن أهداف هذا الدين معدلة وعزة تتسامى في مراقبه
 ونحن في الشرق لا تحبو عزيمتنا عن الجهاد إذا نادى مناديه
 والسيف في قبضة الأحرار في ظمأ وليس إلا دم الأعداء يرويه
 والنصر في غمرة الأحداث منعقد بوثة من أسود الغاب تحميه

* * *

لا ترك الغرب يلهينا ويخدعنا وقد تكشف عن سم يساقيه
 وهذه عزة الإسلام تدفعنا إلى ذرا المجد في حزم نواتيه
 نشارف الشمس في العلياء منزلة ونشعل النور للخيران يهديه

* * *

إن العروبة في الدنيا محررة تسمو على دهرها في غير تمويه

محمد عبد الغواب

المفتش العام للوعظ والإرشاد

أمين هذه الأمة

وتلك صورة لإمام جليل من أئمة الصحابة يشبه خالدا في أنه بطل فاتح ، فتح الله به بلاد الشام للإسلام . واخضع به جبابرة الروم ، وقضى بإيمانه وإيمان من معه من الصحب الكرام على عددهم وعددهم ، على ما فيه من تذلل وانكسار لله ، وهو مصداق ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر خفضه .

على أن أبا عبيدة يمتاز بأنه كان من السابقين الأولين الذين لم ير الإسلام منهم بأسا ولم يبتل المسلمون بحجروتهم .

فقد دخل في الإسلام طوعا ، وانخرط في سلك المؤمنين الصادقين منذ دعى دعوة الحق ، بجرى عليه ما جرى على السابقين والصادقين ، وأحبه النبي صلى الله عليه وسلم حبا جعله يعجب به ويندبه لعظام الأمور ويرشحه لما يسمح به استعداد الطاهر النقي ويشره بالحنة في عدة تعد على أصابع اليدين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

ذلك هو الرجل الذي حير عمر بن الخطاب أين يضعه من شئون الدولة ، فلم يجد أهم ولا أخطر من أن يقذف به في خضم الجهاد المرير ومقاساة شدائد الحروب قائدا وزعيما أمام قوم لا قبل بهم لغير قوة السماء وجبروتها مؤثرا إياه على قائد عرفت موافقه الناجحة الموفقة وفتوحاته الخارقة المؤيدة وهو خالد بن الوليد .

وكان عمر ناقدا بصيرا بالرجال وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ذلك هو الرجل الذي تمنى الناس يوما في مجلس ابن الخطاب فكان أمنيته بيتا ممتلئا رجالا من أمثاله . كما روى ابن حساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب أنه قال بلحسانه يوما : تمنوا . فقال كل واحد أمنيته ، وقال عمر بن الخطاب : لكني أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح . ثم روى أن عمر قال : ثلاثة من قریش أصبح الناس وجوها ، وأحسنها أحلاما ، وأثبتها جنانا ، إن حدثوك لم يكذبوك ، وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح .

ذلك هو الرجل الذي خلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم لقبا كان يتطاع إليه أبو بكر

وعمر وكبار الصحابة بفعله أمين هذه الأمة ، وسماه أميناً حق أمين ، لما عهد من قيامه على شئون الإسلام وزهده في المادة ، وإيثاره الحق والعدل وجانب الله والدار الآخرة ، ولقد صدق حكم من لا ينطق عن الهوى فكان من صادق أمانته ونصفته ودقته وتحقيقه لما استرعاه الله في ذلك كله المثل المحمدي ، حتى لقد حاول عمر أن يخرج من بين أصحابه من الطاعون واحتال لذلك بما استطاع ، فأبى أبو عبيدة أن ينجو بنفسه ويترك جيش الإسلام يصلي نار الطاعون ويصير حصيда له دون قائده أبي عبيدة ، وكذلك الأمانة وصدق الاسترعاء فيما استرعى الله سبحانه ، وهكذا كان الرعيل الأول من هذه الأمة الذين جعلهم الله أئمة الهدى ومصابيح الهداية ، إلا أنهم يتفاوتون في المزايا كما أشرنا إلى ذلك في غير هذا الموضع رحمهم الله وجعل لنا في سيرتهم خير مذكر وأعظم مجد لمجد الإسلام العظيم .
فإليك صورة مجملة لسيرة هذا الأمين الكريم .

أبو عبيدة في عهد النبوة

كان أبو عبيدة قبل الإسلام كريماً مكرماً يقرن إلى السيد الكريم المكرم أبي بكر الصديق ، على ما بينهما من تفاوت في السن يبلغ حوالي اثنتي عشرة سنة كما يظهر لمن حقق التواريخ ، وذلك يدل على نبوغ مبكر في أبي عبيدة .

روى ابن عساکر في تاريخه أنه كان يقال «داهيتا قریش أبو بکر وأبو عبيدة بن الجراح» ولعل واضحاً من القرائن أنه ليس معنى الدهاء ههنا المسكر السيئ والاحتيال الخبيث المادى المغرض ، ولسكنه ما فسرت له الحياة ودل عليه التاريخ الصادق من صدق القراسة وقوة الحدس وبعد النظر للحق وللخير ، فكان من دهاء أبي بكر أن حاط دعوة الإسلام وعمل جهده على جمع الناس حول الحق ، وكان من أمن الناس في صحبته على السيد الرسول صلوات الله عليه ، ثم حال دون رجوع الناس كفاراً أقرب ما يكونون من الكفر منذ لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، بل وسع رقعة الإسلام ورسم الطريق لكل من ينجى بعده من ولادة المسلمين ، فأيد الله العاملين الصادقين بنصره ونشر بهم ألوية الحق والعدل . وكان من دهاء أبي عبيدة أن لزم الجادة لم يحد عنها قيد شعرة ، ولم يخرج على أمر من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفين من بعده في خير للمسلمين ، وكان عضداً متيناً وساعداً قوياً لا يحمي عن الحق كما سترى صور ذلك .

وجاء الإسلام فكان أبو عبيدة من السابقين الذين لم يعرف لهم خصومة فيه ولا التواء

في الأخذ به ، ويقول كثير من أصحاب السير : إنه ممن أسلموا بدعوة أبي بكر الصديق ، ويخالف آخرون فيرون أنه أسلم عن غير طريقته ، على أنه كان من السابقين ولا محالة ، وكان ممن أسلموا قبل أن يستخفى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الفئة القليلة في دار الأرقم بن أبي الأرقم .

قال ابن عساكر في تاريخه ، عن يزيد بن رومان قال : « انطلق عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا في ساعة واحدة ، وذلك قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها » .

وقد قام صاحبنا اليوم أبو عبيدة بالإسلام وشرائعه وأخلص للدعوة وصاحبها منذ دخل في الإسلام وهو في العقد الثالث من حياته حتى أحبه الله ورسوله وحتى صار النبي صلى الله عليه وسلم يخضع عليه خلعاً من الألقاب ويشهد له بما يوجب الغبطة ويحقق التقدير الكريم ، فتارة يقول « هو أمين الأمة » ، ويوما يطعن في خاصرته ويقول : « إن ههنا خويصرة مؤمنة » وحيناً ينظر إليه فيقول : « إن ههنا لكفتين مؤمنين » ومرة يقول : « ما من أصحابي إلا وقد كنت قائلاً فيه لا بد ، إلا أبا عبيدة » .

مواقفه في بدر ، وأحد ، والحديبية

وجدير بمن كانت هذه المواقف الكريمة بعض ما روته له كتب السنن والسير أن يكون موضعاً لتلك الشهادات وذلك التقدير ، فأما في بدر فإن أبا عبيدة في ذلك المعترك الفاصل بين الحق والباطل كان يرى أباه عدواً لدعوة الحق يترأى له بين صفوف تحاد الله وتكذب نبيه فيعرض عنه ويتنحى عن متجهه ويود لو خلا الميدان من ذلك الأب الذي أحبه كأشد ما يكون الحب محسناً ومريباً ومنعماً متفضلاً ، ثم أبغضه كأشد ما يكون البغض حاراً بالله ورسوله ورجاله الخير وطمع له في الهداية .

ولكن أباه يتعرض له كلما أعرض ، ويلتمسه كلما بعد ، كأنما يتحدى فيه ذلك الإيمان الذي لم يذق طعمه ولم يدر ما معناه ويتكرر ذلك التحدى من والد أبي عبيدة فيشغله عن واجب الجهاد ويريد أن يضيع عليه فرصة القربان الرفيع إن لم يكن حريصاً على قتله ، والله لا يجب أن يتخاذل الإيمان أمام الكفر ولا أن يلقى بالنفس بالتهلكة من أجل مشرك لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فكل تحاذل حينذاك معصية ، وكل تفریط

في الإثخان على الكافرين منقصة ، فليؤثر أمين الأمة جانب الحق مهما واجهه ، وليقض على كل مودة حباً له « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » فكانت العزيمة من أمين الأمة وكانت التضحية الصادقة في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان . هذه رواية بعض المفسرين والمحدثين في مقتل عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة ، حتى قال بعضهم إن الآية الكريمة (لا تجد قوما) ... نزلت في أبي عبيدة وموقفه يوم بدر فأما الذي يرويه الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما إلى أنس فهو أنه قتل أباه وهو في أسارى بدر لما سمعه يقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكره ونهاه عن ذلك فلم ينته ، وهذه أدل على صدق إيمانه لأنه قتله وهو في مندوحة من قتله . وقتله وهو في هدوئه لا يتحكم فيه انفعال الجهاد . ولا ضجر الجلال فآثر حب الله ورسوله على ذلك الحب الغاني ، وكذلك يكون الإيمان ، وهكذا فليكن المؤمنون .

وأما موقف أحد فقد تحدث المتحدثون من الرواة أنه كان واحداً من خمسة عشر رجلاً أحاطوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفدوه بأنفسهم يوم العدوان في أحد كان منهم سبعة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال المقرئ في إمتاع الاسماع (ص ١٦١) :

وثبت معه خمسة عشر رجلاً ثمانية من المهاجرين هم : أبو بكر . وعمر . وعبد الرحمن ابن عوف . وعلى بن أبي طالب . وسعد بن أبي وقاص . وطلحة بن عبيد الله . وأبو عبيدة بن الجراح . والزبير بن العوام . وذكر الأنصار رضى الله عن الجميع .

ثم كان لأبي عبيدة موقف آخر مشهور في هذه الموقعة وهي أنه بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بثنيته حلقة المغفر فزرعها بعد أن عاج ذلك مراراً وسقط على الأرض ثم أخذ الحلقة الثانية فزرعها أيضاً ولم يبال ما أصابه من ألم شديد في سبيل ذلك وما أصيب به من سقوط ثنيته حتى صار أهتم ، يقول الناس ما رأينا أجمل من هتمه ، عوضه الله لما صنع لرسوله صلى الله عليه وسلم وضى من أجله وستكون تلك التضحية نوراً بين يديه يوم القيامة .

وفي غزوة الحديبية كان لأبي عبيدة موقف من مواقف الإيمان واليقين التي لم يكن يتحلى بها إلا مثل أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد استفاض ما كان من عمر رضوان الله عليه في ذلك اليوم وشغبه على صلح النبي صلى الله عليه وسلم بسورة قد يتوهم منها إدهان وملاينة تجرح الحق في كرامته ولسكنها كانت عزاً للإسلام ومجداً أدركه النبي

صلى الله عليه وسلم بنور النبوة واطمأن إليه بتوجيه الله عز سلطانه فقبل أن يرد إلى المشركين من جاء منهم إلى المدينة ولا يرد إلى المسلمين من فر منهم ، إلى مكة ولكن عمر رضى الله عنه يبادئ النظر أنكر ذلك وشغب عليه وحاول أن يحرض بعض الخلفاء على معاونته في ذلك ، فماذا كان من أبي عبيدة أمين هذه الأمة ؟

لقد اتجه إلى عمر مقرءا وزاجرا حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عبد الله لم يضيعني » . فقال أبو عبيدة ما هذا يا ابن الخطاب ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول ، تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك يا عمر . فيصغى عمر . إلى ذلك الصوت الكريم الصادق ، ويفى إلى دعوة الحق ، ويتهم نفسه كما قال أبو عبيدة ، ويستعيز بالله من الشيطان الرجيم . ويتوب إلى الله عز وجل مستسلما لما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما استبان فيه وجه الحق ، وأيدته سورة الفتح التي نزلت عليهم وهم في طريقهم إلى المدينة ، فينجو عمر من هلاك كان يحيق به بفضل صرخة الحق من أخيه الصادق أبي عبيدة .

وهكذا كانت مواقف أبي عبيدة في الإسلام كلها إيمان وإيقان واستسلام وإذعان وطهر ونقاوة .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يرشحه للعظام كما يرشح عظماء الصحابة فتذكر كتب التاريخ والسير سرية تعرف باسمه « سرية أبي عبيدة بن الجراح » قضى فيها على شغب طوائف من الأعراب من محارب وثعلبة وإمار ، فهربوا واستاق منهم النعم والمتاع الكثير ، وكان في أربعين رجلا فقط من أصحاب رسول الله ، وكان في غزوة ذات السلاسل - التي كان يقودها عمرو بن العاص رضى الله عنه - لأبي عبيدة موقف إنقاذ مشهود فقد وجهه النبي صلى الله عليه وسلم مددا لعمرو ومعه سراة المهاجرين كأبي بكر وعمر وعدة من الأنصار ، ويذكر في هذه الغزوة أن أبا عبيدة أراد أن يتقدم للإمامة في الصلاة فتعاه عمرو واختلف أصحابه مع أصحاب أبي عبيدة ، ولكن أبا عبيدة آثر الإبقاء على الوحدة . وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن نتطاول ، فوالله إن عصيتني لأطيعنك ، هذا إلى مواقف خطيرة جليلة .

يظهر بالتقوية بها كثير من مجد الإسلام ورفعة رجاله الأعلام ، تجترئ اليوم بما ذكرنا منها على أن تستأنف في مقال آخر الحديث عن أبي عبيدة الفاتح وعن تحليل بعض منازياته وصفاته الكريمة ، جعل الله سبحانه لنا فيه وفي أمثاله خير عبرة وخير ذكرى ما

صفحة من تاريخ الأزهر في الجهاد :

الشيخ سليمان الجوسقي . . .

فرغ الشيخ سليمان الجوسقي من صلاة الفجر في الجامع الأزهر على عادته في كل يوم ، ولكنه في ذلك اليوم كان يبدو على غير عادته في كل شيء ، فهو ساهم واجم يستغرقه تفكير عميق ثقيل ، وهو في تفكيره منصرف عن كل شيء من حوله ، حتى كان إخوانه يتلقونه بتحية الصباح فلا يجيبهم ، وكان طلابه يكبون على يده يقبلونها فيلقياهم في إغفال واستسلام كأنه لا يبالي شيئا من أمرهم .

ومضى الشيخ الجوسقي إلى حلقة الدرس وهو على هذه الحال ، ساهم واجم ، مستغرق في ذلك التفكير العميق الثقيل ، ولقد أخذ مكانه في حلقة الدرس والطلاب يحفون به منصتين ، ولكنه جلس صامتا واجما لم يتكلم بكلمة ، ولم يعنه أن يسأل الطلاب فيما حققوا من مسائل الدرس أو صادفوا من مصاعبه كشأنه معهم في كل يوم .

وما كان الشيخ الجوسقي هكذا أبدا ، ولا عرف طلابه عنه هذه الحال في يوم من الأيام ، فقد كان شيخا مكفوف البصر ، يتولى شئون طائفة العميان والتدريس لهم في الأزهر ، ولكنه لم يكن يرى في تلك المحنة حدا يعوقه عن أى شأن من شئون الحياة ، فكان معروفا بين إخوانه بقوة الشجاعة والصرامة في الحق ، يحرص كل الحرص على مصالح طائفته ، ويبدل كل الجهد لاستخلاص حقوقهم ، ولو أدى ذلك إلى الاعتماد على القوة ، والالتعام في المعركة ، وكان إلى جانب هذا متفتح النفس ، يهش للدعابة ، ويطيب له التبسط في الحديث مع طلابه ومريديه ، ويعنيه أن يتحقق بنفسه شئونهم العامة ، ومسائلهم الخاصة ، ومن ثم كان طلابه يخشونه أشد الخشية ، ويحبونه أعظم الحب ، وكان إذا ما أقبل على الدرس في كل يوم بعد الصلاة الأولى أقبلوا عليه ،

يفضون إليه بما في نفوسهم ، ويسمعون منه بما يشير به عليهم ، ثم يفرغون معه لدرس التفسير في كتاب الله الكريم ، وما يزالون حتى ترتفع الشمس ، ثم ينصرفون للاستعداد لدرس آخر .

ولكن الشيخ أقبل على طلابه في ذلك اليوم ، وهو على تلك الحال التي لم يالفوها منه ، ولم يعرفوها عنه ، وأشفق الطلاب أن يكون قد نزل بشيخهم مكروه في نفسه أو في أسرته ، فقال قائل منهم : لا بأس على مولانا الشيخ فيما نرى ، فقد فات موعد الدرس وهو منصرف عنا !

قال الشيخ في صوت محتبس أجش : كيف وهذا هو اليأس يأخذ بنواصينا وأقدامنا ، وهذا هو الكرب يشد على خناقنا شدا عنيفا ، فليس لنا منه متنفس . وفيتم وهذا الدرس ، وما هو إلا كلام تلو كونه بالسنةكم ، وتخورون به خوار البقر ، ولكنكم والله لا تحسونه بقلوبكم ، ولا تعرفون فيه حق دينكم ، وهل حسبتم أن الإسلام هو تلك الكلمات التي ترددونها وتناقشونها ثم تنصرفون بها إلى الناس ، وكأنها تجارة كلامية ، حسبكم من الربح فيها تلك الفضلات التي تقيم أردكم ، وتمسك رممكم ، إذن فياضية الإسلام فيكم ، ويا خسارته بكم ، ولست أدري أهى نهاية الزمان ، أم ان الله مقيض لهذا الأمر من ينهض به ويبعثه بعثا جديدا في عقول هذه الأمة وقلوبها ؟ !

قال الطالب : وهل عرف شيخنا على أحد منا سوءا في دينه ، أو تفریطا في حق من حقوقه ؟ !

قال الشيخ : وماذا بقى هناك من حقوق دينكم ؟ وأى أثر لذلك في نفوسكم ؟ لقد جل الخطب حتى أوشك أن لا يبقى من هذا الدين بقية تتصل بأرواحكم ، هؤلاء هم الفرنسيون الكفار قد وطأوا بلادكم فسكتكم ، ثم اتهموا دوركم وأموالكم فأذعنتم ، ثم انتهكوا حرمانكم وأعراضكم فرضيتم وصبرتم ، وها هم أولاء - فيما عرفت - يعمدون إلى تغيير نظام المواريث في دينكم ، فيجعلون حق الإرث كله للبنات وليس للولد منه شيء كما هو شرعهم ، ومتى بطل جزء من الشريعة فانها جميعها لابد صائرة إلى المسخ والزوال ، وإنكم لصاثرون غدا أرقاء في خدمة هؤلاء الفرنسيين الكفار ، وبكم تكون نهاية هذا الدين ، وزوال الملة ، ونعوذ بالله من هذا الزمان .

وسرت بين الطلاب همهمة وغمغمة ، وارتفعت الصيحات امتنكارا لتلك النازلة الساحقة التي حلت بالمسلمين في دارهم ، ووقف بعض الطلاب يتكلمون ، فمنهم من يلقي اللوم على أولئك المماليك الجبناء الذين فروا من مواجهة العدو وتركوا الشعب يتلظى في أتون المعركة ، ومنهم من يعتبر على دولة بنى عثمان التي تركت الفرنسيين يصلون إلى فتح هذه الديار ، ومنهم من يسب الخائنين والمارقين من أبناء الطوائف الدخيلة على البلاد لأنهم تعاونوا مع العدو ومكنوه من رقاب الشعب ، ومنهم من يقول : إنه غضب الله على المسلمين جزاء ما فرطوا في دينهم ، وحقوق ملتهم .

وعاد الشيخ الجوسقي يتكلم فقال : حسبكم يا أبناءى هذا الضجيج على غير طائل ، إننا اليوم لسنا في مقام توزيع التبعات وليس من الحكمة أن نترك السفينة تهوى إلى القاع ونحن مشغولون بمعرفة الملوم في هذه الكارثة ، وإنما الواجب أن نفزع لدفع النازلة التي حلت بنا ثم نصفى أمورنا إذا بقي لنا أمر بعد ذلك ، فحرام عليكم طعامكم وشربكم ، وحرام عليكم أن تقيموا على الضيم في وطنكم ، وأن تجلسوا في هذا المكان باسم الإسلام والفرنسيون يصنعون باسلامكم ما شاءوا أن يصنعوا .

قال قائل منهم : وماذا في طاعتنا أن نصنع إزاء حرب الفرنسيين . وقد حرمتنا نعمة البصر فما ندرى إلى أين نسير ، والله يقول : « ليس على الأعمى حرج » .

ولم يكذ الطالب يتم قوله حتى انفجر الشيخ كالبركان قائلاً : ألا لعنة الله عليكم إن كان هذا هو مدى إدراككم ويقينكم ، نعم لا حرج عليكم فيما هو من شئونكم الخاصة ، ولكنكم اليوم إزاء كارثة حلت بدار الإسلام ، وإنما لاخذة برقابكم جميعا ، والله يقول : « فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ، فانفروا إلى الناس في دورهم ، وحيث هم في أعمالهم ، وتفرقوا على أبواب الطرق والحارات ، وقولوا لكل من لقيتم إنكم اليوم بين شقى الرحى ، وإن الفرنسيين قد استباحوا حرمانكم ، وأهانوا شرفكم ، ونهبوا أموالكم ، وبدلوا دينكم ، فلا عزة لكم بين الأمم ، ولا كرامة لكم عند ربكم إذا ما رضيت بهذا الأمر فيكم .

ووقف الشيخ في انفعال وقوة ، وأخذ يصرخ قائلاً والدموع تتحدر على خديه : والله ما قام عمود هذا الدين إلا بالجهاد ، ولا أزهرت شجرة الإسلام إلا بدماء الشهداء ، ولقد خاض رسول الله الحرب حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ، وفي سبيل الله استشهد سادتنا من الصحابة والتابعين ، فلعنة الله علينا إن كنا من القاعدين بعد اليوم . ثم اندفع الشيخ

واندفع معه طلابه إلى الخارج وهم يصيحون : إلى الجهاد والاستشهاد ، إلى الموت في سبيل الله .. وكانت الثورة .

* * *

كانت الشمس ترتفع للضحى ، وكانت القاهرة تبدو هامدة واجمة تحت وطأة ذلك الكابوس الفرنسي الذي جثم على قلبها بخافة ، وكان الناس يغدون ويروحون وهم لا يدرون من أمرهم شيئاً لليوم أو الغد ، فما هي إلا ساعات من نهار حتى كانت القاهرة تغل كالمرجل ، وكان الناس يقفون فيها على قدم وساق متوثبين متحفزين لأمر له ما بعده ، فقد تفرق شيوخ الأزهر وطلابه على أبواب الطرق ، وتغلغلوا في الحارات والأزقة بحى الأزهر والحسينية ، وراحوا يتحدثون إلى الناس بشأن هؤلاء الفرنسيين الذين استعمروا بلادهم ونهبوا أموالهم ، واستباحوا حرماهم ، وأخذوا يذكرونهم بحق الدين في الجهاد والاستشهاد ، وكأنها كانت الشرارة قد اندلعت في الهشيم ، فاذا بالجموع تتداعى من كل ناحية ، والصيحات ترتفع من كل جانب : إلى الجهاد ، إلى الاستشهاد ، النصر للسلام .

واتصل الخبر بالسلطات الفرنسية ، فركب الضابط « ديوى » على رأس قوة كبيرة من الفرسان والجنود ، وصر بشوارع الغورية ، وعطف على خط الصناديق ، ثم قصد إلى بيت القاضي فوجد جموعاً كبيرة من المصريين وهم يصيحون ويتوعدون ، فراجع أمامهم وأراد أن يخرج من بين القصرين ، ولكنهم أدركوه والتجموا به في معركة عنيفة أسفرت عن جرح « ديوى » بجراح بالغة وقتل أكثر فرسانه وجنوده ، ولم يفلت القائد الفرنسي من براثنهم إلا بأعجوبة ... وأيقن أبناء القاهرة أن هذه المعركة ليست إلا بداية موقف حاسم بينهم وبين الفرنسيين ، وأخذوا من وقتهم يستعدون لهذا الموقف ، فربطت الجموع عند الأطراف وعلى مداخل القاهرة عند باب الفتوح وباب النصر والبرقية وباب زويلة وباب الشعرية ، وأقاموا المتاريس في كل مكان مفتوح للهجوم ، وأخرجوا ما عندهم من السلاح والذخيرة ، وباتوا الليل ساهرين منتظرين .

وأصبح الصباح ، وكانت القوات الفرنسية قد أخذت أماكنها فوق تلال البرقية والقلعة ، وهى مستعدة بالعتاد الكامل ، والمدافع الثقيلة ، ثم أخذت تقصف القاهرة بالقنابل وركزت الضرب على حى الأزهر بصفة خاصة ، وتساقطت القنابل على الدور وفوق السكان ، ولم يكن دوى القنابل مألوفاً لعامة الشعب ، فسار بينهم الفرع والعرب ، ولكن المرابطين على المتاريس وقفوا ثابتين يدافعون في شجاعة وعناد ، وأمضت القاهرة

ليلة مظلمة لم تعدها من قبل ، فكنت لا تسمع في وسط ذلك الظلام الخانق الرهيب ، إلا دوى القنابل وهي تتساقط في كل مكان ، وإلا صيحات المجاهدين والمدافعين وهي تتجاوب بالثبات والإقدام ، وطال الترقب ، والفريقان يتبادلان الرمي والضرب ، وأرسل الفرنسيون إلى شيوخ الأزهر أكثر من مرة لعلهم يتدخلون لتهدئة الثورة ، ولكن المواطنين أصروا على الكفاح إلى آخر رمق من حياتهم .

واستمرت المعركة دائرة يومين وليلة وتساقط القتلى من الجانبين في الشوارع والطرق وتهدمت الدور في كثير من المواقع ، وبقي المواطنون في أماكنهم صامدين ، يناضلون ويدافعون حتى فقدت الذخيرة منهم ، فوقفوا عن الضرب والرمي ، وانفتحت الأبواب أمام الفرنسيين ، فالتحذروا إلى القاهرة بخيلهم ورجلهم وهم يمعنون في الأهالي العزل قتلًا وفتكًا ، وعاثوا في حي الأزهر جميعه ، ثم اقتحموا الجامع الأزهر بخيولهم ، واستباح أولئك الذين جاءوا يبشرون في الشرق بمبادئ الثورة الفرنسية ذلك الحرم المقدس ، فربطوا فيه خيولهم ، وشربوا فيه الخمر ، وعاثوا بكل ما فيه من المصاحف والكتب والخزائن فسادا وتلفا وداسوها بنعالهم .

وأصبح الصباح في اليوم التالي ، وكانت القوات الفرنسية كلها قد تجمعت في حي الأزهر وفي جميع الأحياء التي عضدت الثورة ، وأخذوا يهبون الدور ويحشون عن السلاح في كل مكان ، ثم أخذوا يحشون عن الشيوخ الذين تزعموا الثورة واعتقلوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشراقوي ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي ، والشيخ يوسف المصيلحي ، والشيخ اسماعيل البراوي ، وحبسوهم في بيت البكري بعض الوقت ، ثم نقلوهم إلى القلعة . .

وقصد الشيخ السادات ومعه بعض كبار المشايخ بالأزهر إلى القائد الفرنسي وطلبوا منه العفو عن الشيوخ المعتقلين فأمرهم بعض الوقت ، وفي كل يوم كانوا يذهبون إليه متشفعين فيمهلهم حتى يستقر الأمن ، وبعد خمسة عشر يوما انكشفت الحقيقة في صنع الاستعمارين ، فقد وجدت جثث الشيوخ الخمسة وراء سور القلعة ، بعد أن قتلهم الفرنسيون ومثلوا بهم أشنع تمثيل ، ذلك لأنهم ارتكبوا أشنع جرم في حق أبناء المدنية الفرنسية ، فطالبوا بحق أمتهم في الحرية والحياة . . .

الأزهر وعيد الأم

في اليوم الحادى والعشرين من شهر مارس احتفلت البلاد بعيد الأم، وعينت الهيئات التعليمية والمؤسسات التربوية بدعوة الأطفال إلى تقديم الهدايا لأمهاتهم ، وإقامة الحفلات الرمزية تكريماً لهن وقياماً بحق الوفاء نحوهن .

ولعل بعض الناس يتساءلون - كما تساءلوا من قبل في عيد العلم - أين دور الأزهر في هذا العيد ؟ ؟ ولماذا لم يكن هو حامل لواء الدعوة إليه ورسالته أقوى صلة به ؟

إن الأزهر وهو مركز الإشعاع الروحى والدينى والثقافى لا فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى كله - قامت رسالته منذ نشأته على دراسة الدين ومبادئه ، وتفهم تعاليمه وهداياته والحرص السكالى على التحلى بما يدعو إليه من خلق كريم ، والسير على المنهج الواضح الذى رسمه لإقامة حياة كريمة فاضلة ومدنية صحيحة سليمة ، وكرس جهوده لنشر هذه المبادئ والفضائل والأخذ بيد الناس إلى طريق النور والسمير على تطهير المجتمع من الفساد والانحلال .

هؤلاء طلاب الأزهر وشيوخه وهم حفظة القرآن الكريم الذين عذبت ألسنتهم بتلاوته ، وامتلاّت أسماعهم بذكره ، ووقر فى قلوبهم حبه - لأنهم لم ينسوا أبداً قول الله سبحانه : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » . وقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » . وقوله : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » .

لأنهم يدرسون فى جميع مراحل التعليم حديث الرسول الكريم وآثار الصحابة والتابعين وكلها تمجيد للأمة وسموها وتحذير من عقوقها والتفريط فى حقوقها . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين . ثم قال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، وقول الزور وشهادة الزور » . ولما سأل بعض الصحابة : من أحق الناس بحسن صحابى يا رسول الله ؟ قال له : « أمك » وكرر ذلك مرات . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه » .

إنهم الداعون في جميع الأوقات وفي جميع الميادين وبكل الوسائل إلى تطبيق هذه التعاليم والحث على التمسك بها .

أليسوا هم المرين للناشئة في المدارس والمعاهد والحريصين على غرس هذه الفضائل في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ؟

أليسوا هم الموجهين للناس نحو هذه الآداب في المساجد والمجتمعات بالخطب والمحاضرات والإذاعة والمقالات والمؤلفات ؟

أليسوا هم الذين يقومون بدور كبير في فض المنازعات والخصومات التي تنشأ في الأسرة بسبب الإخلال بهذه الواجبات ؟

إن الأزهر حين يكرم الأمومة لا يقصر تكريمها على يوم النيروز ولا على دعوة لتقديم هدية أو إقامة حفلة ، بل إن تكريمه لها - وهو من صميم رسالته - موجود في كل لحظة من لحظات العمر وبكل وسيلة ممكنة . إنه حين يكرم الأم لا يغفل جانب الأب أو يتناسى حق الرحم ، فكل أولئك لهم حقوق جعل الله القيام بها مناط الخير والرضوان ، وسبيل السعادة في الدارين . إنه يقوم بذلك لا تحقيقاً لفكرة من الفكر أو تقليداً من التقاليد ، بل يؤديه بوحى من إيمانه ووازع من دينه وضميره يخشى من التهاون فيه عقاباً دونه كل عقاب ماعدا الشرك بالله .

إن الأزهر لم يكن غافلاً عن هذا التكريم - كما غفل عنه الناس آماداً طويلة فلم يقتنبوها له إلا تقليداً للغرب منذ قليل - ولم يكن برنامج نشاطه قاصراً عن هذه المادة حتى يقوم من يدعوه إلى تكميل مافيه . ثم لماذا لا يكون ذلك احتفالاً بعيد الأب والأم معا ؟ هل أدرك الغربيون قيمة الأم الآن فخصوها وحدها بالتكريم ؟ أم خافوا عليها الضياع فقاموا بذلك لحمايتها والحفاظ عليها ؟ وهل ضاع الأب المسكين - الذي يشقى ويكد ويقاسى ما يقاسى في سبيل إسعاد أسرته حتى تصرف الأنظار عنه إلى الأم ؟ أم أن الغرب يعد العدة ليطلع على الناس بعد بعيد له فنسرع نحن جاهدين مقلدين ؟ ألا فلتعلموا أن الغرب يريد أن يصرف الشرق إليه ، ويفرض زعامته عليه ، بما يخترعه من أسماء ويتكبره من عناوين .

واعلموا أن التربية الدينية السليمة هي خير ما يوجه الطفل إلى القيام بواجبه نحو أسرته ومدرسته ووطنه ، فاحرصوا على دينكم واحذروا فتنة الغرب وسمومه ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

محمد فهد اسماعيل

المراقب العام للبحوث والثقافة الإسلامية

من أعلام الإسلام :

الإمام محمد بن إدريس القرشي

الشافعي : هو محمد بن إدريس القرشي الملقب من جهة الأب ، الأزدي من جهة الأم ، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، ولد في بلاد الشام بغزة أو عسقلان سنة ١٥٠ هـ ، ولما مات أبوه حملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين .

نشأ رضى الله عنه يتيماً فقيراً حتى إنه صور حاله في قوله « كنت يتيماً في حجر أمي ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمي أن أخلفه إذا نام ، فلما جمعت القرآن دخلت المجلس الذي يعقد في المسجد أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة ، وكنت أكتب في العظم فإذا كثرت رحت في جرة عظيمة » . « خرجت من مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وأخذ اللغة ، وكانت أفصح العرب » . ولا شك أن إقامة الشافعي بالبادية في حداثة سنه ، هذبت لسانه وأعانت على تذوق اللغة وفهم معاني القرآن فهما وثيقا ومعرفة السنة مما ساعده على أن يكون أسلوبه عربياً مبيناً حتى أضحى الكتابة الركيزة والأسلوب الهزيل يؤذيه . يحكى أنه سمع رجلاً يلحن فقال له الشافعي أحرصننى .

لقد كان لتنقله بين الأصقاع المختلفة الفضل في معرفته لأعلام الإسلام في ذلك الحين أمثال شيبان بن عيينه ومسلم بن خالد الزنجي مما أكسبه معرفة بالحديث والفقه وحفظ الموطأ عن مالك وأخذ عنه فقهه ولازمه إلى أن مات مالك سنة ١٧٩ هـ . فأضفى ذلك على شخصية الشافعي سمة العلم والتفقه وهو ما زال في مقتبل عمره ومطلع حياته .

لقد كان سفر الشافعي إلى العراق نهضة في حياته وفرصة في أيام عمره فقد مكثه الرحيل من مجالسة محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة الذي أخذ عنه فقه العراقيين ، ويقول هنا الحافظ بن حجر « انتهت رياضة الفقه إلى مالك بن أنس ثم رحل إليه الشافعي ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياضة الفقه بالعراق إلى أبي حنيفة فأخذ الشافعي عن صاحبه محمد بن الحسن وعلى ذلك اجتمع للشافعي علم أهل الرأي ، وعلم أهل الحديث ، فتصرف

في ذلك حتى أصل الأصول . وقعد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره وعلا ذكره وارتفع قدره حتى صار منه ما صار [١] .

أطبق المؤرخون على أن صفات الشافعي العقلية واللسانية ، وحسن بيانه وقوة عارضته وقدرته الفائقة على الجدل ، ومهارته الممتازة في الاستنباط وثقافته الواسعة في اللغة والأدب جعلته لا يستسيغ الطرائق العالمية والسبل الفقهية والمسائل الدينية التي يسير عليها أصحاب الإمام أبي حنيفة فهجر طريقتهم ولكنه لم يتركها ، ذلك أن القياس عندهم منهاج صحيح ، ولكنه في نظره ليس على إطلاقه بل لا بد أن يتأخر عن الأحاديث الصحيحة ، ثم عندهم طريقة التفريع وتوليد المسائل الكثيرة من أصولها ، وعندهم الجدل والاستدلال بالعدل والمصلحة وإلحاق الشبه بالشبه ، وما بين الإسناد من فرق ثم من موافقات .

ف رأى الشافعي أن يضيف كل هذه الثروة العراقية إلى ثروته الحجازية من اللغة والأدب أولا ، ومن الاستنباط أخيرا وأخرج مذهبا جديدا دعا إليه في العراق سنة ١٩٥ هـ وتبعه عليه من أصحابه البغداديين أمثال أبي على الحسين بن على الكرابيسي وهو من مشاهير أهل العراق ومثل أبي ثور السكلي وكأبي على الزعفراني . ثم رأى رضى الله عنه أن يرحل إلى مصر فرحل إليها وأقام بها أربع سنوات أملئ فيها كثيرا من كتبه .

مسلك الشافعي في الاجتهاد :

قال « الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله وصح الإسناد منه فهو سنة ، والإجماع أكبر من الخبر المفرد والحديث على ظاهره وإذا احتمل معاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشيء ماعدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لم وكيف ، وإنما يقال : للفرع لم ؟ فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة » . وقال أيضا : « إذا حدث ثقة عن ثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن هناك حديث يخالفه عمل به ، فإذا كانت هناك أحاديث مختلفة نظر

هل فيها ناسخ ومنسوخ ؟ فإن لم يكن ناسخ ومنسوخ نظر في أوثق الروايات وأمعنها في الصحة فعمل بها ، فإن تكافأت عرضها على أصول القرآن والسنة الثابتة وعمل بما كان من الأحاديث أقرب إلى ذلك ، وإذا ثبت الحديث عن رسول الله لا يترك هذا الحديث لأى قياس ولا لأى رأى ولا لأى أثر يروى عن صحابي كائنا من كان ، أو تابعي كائنا من كان » [١] .

موقف الشافعى من القياس :

وقف الشافعى من القياس موقفا وسطا ، لم يقتشد فيه تشدد مالك ، ولم يتوسع فيه توسع أبى حنيفة ، فهو يقول : « إن جهة العلم الكتاب والسنة والإجماع والآثار ثم القياس عليها ، ولا يقيس إلا من جمع الآلة التى له القياس بها وهى العلم بأحكام كتاب الله عز وجل فرضه وآدابه ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه . ولا يجوز لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما نص قبله من السنة وأقاويل السلف ، وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب . ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل ، وحتى يفرق بين المشتبه ولا يعمل بالقول به دون التثبت ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ، ويزداد به تثبيتا فيما اعتقد من الصواب ، وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك (رسالة الشافعى فى الأصول ص ٧٠) ومن هنا ترى الشافعى لا يأخذ بقول مالك بالمصالح المرسلة ولا يساير الحنفية فى قولهم بالاستحسان .

من هذه الآراء العلمية التى أوردها الشافعى ، استطاع تحديد موقفه بقواعد فقهية لم يسبق أن فكر فيها مشرع ، ولا يخفى - كما سبق أن بينا - أن لكثرة تنقله بين الأصقاع المختلفة وتردده على مجالس العلماء ما أكسبه ملكة فائقة فى الحديث ، وأنه رغم هذه الثقافة لم يتعصب لأهل بلد من هذه البلدان : العراق ، اليمن ، مكة ، مصر . وهى البلاد التى جاب أقطارها وخالط أهلها وامتزج بهم امتزاج الأهل بالأهل . ومن أجل ذلك كان المحدثون أميل بطبعهم إلى الشافعى ، لأنه توسع فى استعمال الحديث والاستدلال به أكثر مما فعل مالك وأبو حنيفة وحدث من رأى والقياس وضيق سلطتهما كذلك ،

وكان من أنصاره أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهما من كبار المحدثين . ونظرا لأن الشافعي قرب وجهة النظر بين المدرستين : مدرسة الحجاز ، ومدرسة العراق ، واختار ما رأى الحق في كليهما ، فقد عدل بعض فقهاء العراق عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهبه الجديد .

كتاب الأم :

كتاب وضعه الشافعي ، وهو مجموع أمال أملاها في حلقاته ، كتبها عنه تلاميذه ، والكتاب فصيح العبارة ، حسن الأداء ، محكم الوضع ، عليه مسحة من كلام البادية وفصاحتها . وفي الكتاب تتجلى براعة الجدل المنطقي . والكتاب مبوب على أبواب الفقه كما فعل مالك في الموطأ ، وقد أمليت هذه الأبواب في جامع عمرو بالفسطاط . والكتاب يعطينا صورة وضاعة قوية لمناحي الشافعي ولمذهبه الجديد .

لماذا وضع الشافعي علم أصول الفقه ؟

أهل الحديث كانوا يعيبون أهل الرأي بأنهم يأخذون في دينهم بالظن . فأصحاب أبي حنيفة يقدمون القياس على خبر الواحد ، وهم يقبلون الحديث المرسل الذي أسنده التابعي أو تابع التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابي الذي روى الحديث ثم لا يقبلون الحديث الصحيح إذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه في الواقعة التي تعم فيها البلوى - (الرازي ص ٣٥٠ ، ٣٥١) .

لما ذهب الشافعي إلى العراق أول مرة استرعى نظره تحامل أهل الرأي على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأي أقوى منه وأعظم جاها بما لهم من مكانة عند الخلفاء وبتوليهم شئون القضاء . وذلك إلى أنهم أوسع حيلة في الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا ، ويمثل حال الفريقين ما روى من إمامي أهل الرأي والحديث : أبي حنيفة ومالك . لهذا كان طبيعيا أن يجادل الشافعي عن أستاذه وعن مذهبه . وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعي عن مالك ومذهبه . وقد روى أبو عبد الله الصفاني يحدث عن يحيى بن أكثم قال : « كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة ، وكان الشافعي رجلا قرشى العقل والفهم صافي الذهن سريع الإصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » (ابن حجر ص ٥٩) .

ولما عاد الشافعي إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ ليقم فيها سنتين اشتغل بالتدريس والتأليف . روى الحافظ البغدادي في كتابه (تاريخ البغدادي) عن أبي الفضل الزجاج يقول « لما

قدم الشافعي بغداد كان يعقد حلقة ويقول : « قال الله وقال الرسول » وأصحاب الرأي يقولون « قال أصحابنا » حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره واختلف إلى دروس الشافعي جماعة كأحمد بن حنبل وأبي ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرأي إلى مذهبه ويروى عن أحمد بن حنبل أنه قال « ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبة إلا ولا شافعي عليه منة » وقال « إن أصحاب الرأي كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي وأقام عليهم المجلة » (الانتقاء ص ٧٦) .

سئل أحمد بن حنبل : ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين : أهى أحب إليك أم التي بمصر ؟ قال عليك بالكتب التي وضعها بمصر فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك ، كما يرويه الذهبي في تاريخه الكبير (يراجع هامش الانتقاء ص ٧٧) .

مذهب الشافعي الجديد :

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعي إلى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلائلها نصوصاً ، لكن الشافعي كان يعنى قبل كل شيء بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول يجمعها ، وذلك هو النظر الحكيمة .

وضع الشافعي لعلم أصول الفقه :

قال الرازي : « اتفق الناس على أن أول من صنف في هذا العلم أى علم أصول الفقه الشافعي ، فهو الذي رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض ، وشرح مراتبها في القوة والضعف » .

ويقول بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ في كتابه في أصول الفقه المسمى بالبحر المحييط :

« الشافعي أول من صنف في أصول الفقه ، صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس الذي ذكر فيه تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول رسالتهم » .
ويقول ابن خلدون في مقدمته :

« كان أول من كتب فيه - أى علم أصول الفقه - الشافعي رضى الله عنه ، أملى فيه رسالته المشهورة ، تسكلم فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوطة من القياس » .

الفتاوى

السؤال

وردت إلينا عدة استفتاءات على أثر ما نشر في الصحف منسوباً إلى السيد وزير الأوقاف من قوله: «يجوز للعريس أن يختلط بعروسه ويتمتع بها: أى يقبلها ويعانقها قبل عقد الزواج ليتأكد من صلاحيتها له وليأمن العيوب الخفية فيها» .

وقوله — فى صدد إنشاء مسجد خاص بالسيدات فى القاهرة تتولى إحداهن إقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وأذان — سأسمح للنساء بأداء الصلاة على حالتين التى يرتدن بها المجتمعات ، وأنه ما دامت السيدة تأمن الفتنة فلم لا نسمح لها بأن تصلى وهى حاسرة الرأس غارية الذراعين ؟ .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . « وبعد » فما يجب أن يعلم أولاً :

أن الله تعالى قد بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وأنزل معه الكتاب هدى للناس ، وأمره أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فكان دستور الإسلام القرآن ، وكانت السنة الصحيحة بياناً له ، وكانا الأصلين الأولين اللذين يرجع إليهما ويعتمد عليهما فى الأحكام ، قال تعالى : « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وكل ما يخالفهما فهو تقوّل وافتراء على الله ورسوله يردّ فى وجه قائله .

* * *

والإسلام كما جاء بما يظهر العقول من دنس العقائد الزائفة ، وجاء بالآداب القويمية الفاضلة ، شرع من الأحكام ما لا يمكن المجتمع أن يعيش فى ظل المدنية الفاضلة إلا

باتباعها والتزام العمل بها ، فهمى قوام سعادته ، وهى الكفيلة باجتلاب المصالح له ودرء المفاسد عنه .

ومما امتاز به الإسلام :

١ - اليسر فى الأحكام ، فقد شرع أحكام الرخص دفعا للحرج والمشقة فى حالات الضرورة ، كما قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، وهذا النوع من الأحكام من باب التشريع الاستثنائى الذى لا يسوغ التوسع فيه ، شأن الاستثناء فى كل تشريع .

٢ - والسماحة فى تعاليمه ، فليس فيها من التكاليف ما يشق ويرهق فى كل حال ، وفيها من المقاصد والمبادئ والمفومات ما يرقى بالنوع الإنسانى إلى ذروة السكال حيث أفسح له المجال فى التفكير والحريات الطبيعية ، والعلاقة بين الأفراد والجماعات فى النطاق الذى تحقق فيه الفائدة ، ويندرئ معه الضرر والعدوان .

ولذلك شرعت الحدود والزواجر بجانب الأحكام والتكاليف ، وهذا هو معنى يسر الإسلام وسماحته ، ولا يعنى المنتشرون سواء حين يتحدثون عنهما .

ومن الناس من لم يفقه هذا المعنى فتحدث عن سماحة الإسلام بما يقضى بأنها مجارة الشهوات وإقرار العادات ، مع أن قليلا من الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله يدل دلالة ظاهرة على أنهما حاربا الشهوات الباغية والعادات الذميمة التى يأبأها الخلق والفضيلة والمصلحة الظاهرة ، وشرعا الحدود والزواجر للردع عنها صيانة للجماعة من الانحلال ، وللاخلأ خلق من التردى فى مهاوى الرذيلة ، وارتفاعا بقدر الإنسان عن المهانة والضعفة . ثم نقول :

مما شرعه الإسلام للنساء - وهن شقائق الرجال - فى بناء المجتمع أحكام من شأنها صيانة حرماتهن وتحصين عفافهن وتحريم ما يفضى للاعتداء عليهن ، حتى يعشن فى سباج من الفضيلة ومناعة من العزة والكرامة ، فحدد للمرأة ما يباح كشفه والنظر إليه من جسمها للأجنبي وهو الوجه والكفان - بقوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » بعد الأمر بغض البصر فى قوله تعالى : « قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم » أى عما حرم النظر إليه . وهذا إذا كان النظر بغير شهوة ، أما إذا كان النظر بشهوة ،

فأنه يحرم النظر إليهما لقوله عليه الصلاة والسلام لعل : « لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة » .

واستنتى من ذلك للضرورة النظر ولو بشهوة إلى الوجه والكفين في حالة الخطبة لما رواه أبو هريرة : « أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا - يعنى الصغر » ولحديث أبي حميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب أحدكم المرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها للخطبة » .

ولا يجوز اللبس ولا النظر إلى غير ذلك في حال الخطبة لعدم الضرورة إليهما .

وهذا هو ما ذهب إليه جمهور الأئمة ، وما جاء في بعض الأقوال من جواز النظر في حال الخطبة إلى ما سوى ذلك فلا يعول عليه لمخالفته للأية والأحاديث .

* * *

وأما ما نشر في بعض الصحف على لسان السيد وزير الأوقاف من إباحة التقبيل والعناق للخطوبة قبل العقد أو إقرار ذلك فهو قول باطل يرده كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب الأئمة قاطبة ، إذ لم ينقل عن أحد من المسلمين - لا الفقيه ابن حزم ولا غيره - إجازته من الأجنبي للأجنبية في أى حال ، فضلا عن أنه إباحية فاحشة تنكرها الأخلاق والعادات الفاضلة .

على أن الله تعالى قد حرم على المرأة أن تكشف صدرها ونحرها للأجنبي منها بقوله تعالى : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » وحرم عليها أن تبسدى زينتها الباطنة وهى غير الوجه والكفين من نحو الصدر والذراعين والساقين إلا للزوج والمحارم المذكورين في قوله تعالى : « ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن ... الآية » وحرم عليها إبداء العورة الفاحشة لغير الزوج ، وذلك دليل قاطع على حرمة نظر جسمها فضلا عن لمسها ومعاينتها وتقيلها للأجنبي منها ، فكيف يزعم مسلم أنه يجوز للخطاب أن يرى مخطوبته مكشوفة العورة ؟ ! .

وما جاء في عبارات بعض المؤلفين مما يفيد جواز النظر للخطوبة وهى عارية فإن أمكن تأويله بما يوافق كتاب الله تعالى وسنة رسوله فيها ، وإلا رد على قائله كما قدمنا . وقد علم من ذلك أن رأس المرأة وعنقها ونحرها وصدرها وذراعها وساقها وسائر جسدها - ما عدا الوجه والكفين - عورة لا يباح كشفها في غير الصلاة إلا للزوج والمحارم .

أما في الصلاة فلا يباح لها كشف ما عدا الوجه والكفين سواء أ كانت صلاتها في مخدعها أم في غيره كما ورد في السنة المأثورة ، وإليه ذهب جمهور الأئمة .

فالقول بجواز صلاتها عارية الرأس مكشوفة الذراعين والساقين إذا أمنت النظر قول لا يقره جمهور الأئمة .

* * *

أما حكم إنشاء مسجد خاص بالنساء كما جاء بالسؤال فهو بدعة لم تعهد في عهد النبوة ولا في القرون الثلاثة التي هي أفضل القرون كما جاء في الحديث ، ولا ضرورة ولا مصلحة هنا في ذلك ، والخير في الاتباع لا في الابتداع . وفي الحديث : « من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد » .

* * *

ومما يجب التنبيه إليه أن الإفتاء في الدين مقام خطير لا يتصدى له إلا فقيه ثقة أمين على الأحكام ، ولا يجوز الإفتاء بما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ويحجر إلى مفسدة ظاهرة من الشاذ من الأقوال .

كما لا يجوز لعالم من علماء المسلمين أن يذيع باسم الدين آراء ليس لها وزن عند جمهور أئمة المسلمين . والله أعلم ما

صنع محمد مخلوف

عضو جماعة كبار العلماء - ومفتى الديار المصرية سابقا
ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر

النور والحكمة

املاً الأرض يا محمد نورا واغمر الناس حكمة والدهورا
ينقذ العالم الغريق ويحيى أمم الأرض أن تذوق الثبورا
أنكر الناس ربهم وتولوا يحسبون الحياة إفكا وزورا
أحمد محرم

المؤمن الحق

ذكرت لك أيها القارئ الفاهم لكلامي ومرامي ، المدرك لقوادمه وخوافيه أن الإيمان عند جمهور المحققين هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبلنت لك أن هذا التصديق هو مناط الأحكام الأخروية عند أكثرهم لأنه هو المقصود من غير حاجة إلى إقرار أو غيره ، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولم يعمل بجوارحه كان مؤمنا شرعا عند الله تعالى ومقره الجنة إن شاء الله . وأزيدك هنا أن أصحاب هذا المذهب اتفقوا على أن هذا المصدق بقلبه فقط إذا طلب منه الإقرار بالشهادتين فامتنع عن الإقرار بهما من غير عذر كان كافرا كافر عناد لا كفر جحد وإنكار ، لأن المقروض أنه مصدق بقلبه فإذا اتفق له وهو مصدق بقلبه أنه لم ينطق أبدا بالشهادتين ولم يجزها لسانه سكن إذا طلب منه الإقرار أقر كان بذلك التصديق وحده مؤمنا شرعا ومصيره الجنة إن شاء الله .

وذهب الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه وكثير من أتباعه إلى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان أو ما في حكمه كإشارة الأخرس وليس العمل بالجوارح من مساه ، وعلى هذا فالمصدق بقلبه التارك للإقرار بلسانه لا يكون مؤمنا إيمانا يترتب عليه الأحكام الأخروية .

وذهب أهل الحديث والفقهاء [١] إلى أن الإيمان المعرفة بالحنان أى التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . ووافقهم على ذلك القلائس من أهل السنة والتجار من المعتزلة . وهناك بعد ذلك مذاهب أخرى لا حاجة بي إلى ذكرها لما في ذكرها من التطويل من جهة ولأنها فيما أرى لا وزن لها لأنها بينة الضعف ظاهرة البطلان .

قال العلماء : وأوضح هذه المذاهب وأحقها بالاعتبار أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط كما يشير إليه قول الإمام على كرم الله وجهه الإيمان معرفة والمعرفة تسليم والتسليم تصديق ، وبما يؤيد هذا المذهب قوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان)

[١] المجلة - ومنهم الامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد وجمهور الالف كما سيأتى

في هذا المقال .

وقوله سبحانه (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقوله عز وجل (وقلبه مطمئن بالإيمان)
وقوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللهم ثبت قلبي على دينك) فقد أضاف
القرآن الكريم والنبي العظيم الإيمان إلى القلب ونسبه إليه ولم ينسبه إلى شيء آخر
فدل ذلك على أن محله القلب وأنه فعل من أفعاله وليس فعل القلب إلا التصديق بالإيمان
إذن هو التصديق وحده بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

ولا يعزب عن بالك أيها القارئ أن كلامنا في الإيمان المجرد من غير تعرض لكونه
كاملاً أو غير كامل ، فالإيمان المجرد هو التصديق فقط كما هو الراجح المرضي من مذاهب
العلماء وبه أقول ، أما الإيمان الكامل فقد أجمعوا على أنه التصديق بالحنان والإقرار
باللسان والعمل بالأركان وعلى ذلك حملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس
لما سألهم عن الإيمان فوكلوا علمه إلى الله ورسوله فقال « شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس »
وحملوا عليه أيضاً ما ذهب جمهور سلف الأمة وأئمتها مالك والشافعي وأحمد بن حنبل
والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين
من أنه تصديق بالحنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان . وكذلك ما ذكره البدر العيني [١]
في شرح البخاري من أن مذهب السلف وأهل الأثر أن الإيمان عبارة عن مجموع ثلاثة
أشياء : التصديق بالحنان ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . فكل ذلك محمول
كما علمت على الإيمان الكامل لا مجرد الإيمان ، والمؤمن الكامل هو المؤمن الحق
أي الثابت الإيمان الشاخص اليقين الذي لا يتزعزع ولا يرتاب ، وهو من جمع أموراً خمسة
بينها الله سبحانه وتعالى في قوله عز من قائل « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا » :

(الأمر الأول) وجل القلب عند ذكر الله عز وجل وهو المشار إليه بقوله :
« إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » . أي خشيت وذلت واستكانت هيبة لعظمته وخضوعاً
لسلطانه وخشوعاً لجلاله وكبريائه ، وسواء في ذلك أن يذكره المرء بلسانه أو يذكره له
غيره كأن يقول له اتق الله ، أو يتذكره بقلبه فيخافه خوف إجلال وإعظام ، ولا ينافي
هذا اطمئنان قلبه وهدوؤه وسكونه كما تشير إليه الآية الكريمة : « الذين آمنوا وتطمئن

قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » . بل إن هذا الوجل بالمعنى المذكور يستتبع قطعاً طمأنينة القلب وسكونه . لأن الوجل ناشئ من معرفة الله سبحانه حق معرفته وتيقن جلاله وعظمته واعتقاد أنه الخالق البارئ لا إله سواه ، وأنه رب كل شيء وهو على كل شيء قدير ، يعطى ويمنع ويعفو ويصفح وهو خير الراحمين ، فتنى ذكر المرء ذلك كله لا شك يخضع قلبه لإجلاله ، ويطمئن لما يحصل له من ثلج اليقين وشرح الصدر نور المعرفة والتوحيد .

أما خوف العقاب فأنما يكون من أهل الزيف والفساد الذين غلظت أكبادهم وقست قلوبهم وصمت آذانهم فلا يسمعون نداء من يدعوهم إلى الهدى ويرشدتهم إلى الصراط السوى صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ولذلك قال أهل الحقائق : الخوف خوفان ، خوف عقاب - وهو خوف العصاة والمذنبين ، وخوف الهيبة والعظمة - وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه ويخشونه . جعلنا الله ممن توجل قلوبهم إذا ذكر الله سبحانه .

(الأمر الثانى) زيادة الإيمان عند تلاوة الآيات وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » . وقد علمت أن رأى الراجح الذى تسنده الأدلة وتدل عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الإيمان هو التصديق فقط ولا تدخل فى حقيقته الأقوال ولا الأفعال . وقد اختلف العلماء فى أن الإيمان بهذا المعنى يقبل الزيادة والنقص فذهب طائفة إلى أنه لا يقبلهما فالمصدق إذا أتى بالطاعات واستغرق فيها أو أتى بالمعاصى وانهمك فيها فتصديقه بحاله لم يتغير بزيادة ولا نقص ، إذ لو زاد أو نقص لكان شكاً وخرج عن كونه إيماناً ، فقبوله الزيادة أو النقص تذهب من أصله ولا تبقى له أثر .

وذهب الجهم الغفير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (وبه أقول وله أختار) إلى أن الإيمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة والنقص ، فإن كثرة الأدلة وتضافرها وتماضد الحجج وقوتها مما يوجب ذلك ويثبت ، إذ لا يعقل أن المثبت بدليل واحد يساوى فى ثبوته ورسوخه المثبت بأكثر من دليل . إن بديهية العقل لا تسوى بينهما ، ولو لم يتفاوت التصديق بحسب كثرة الأدلة وتظاهرها لكان إيمان آحاد الناس بل إيمان المنهمكين فى المعاصى والفسق مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة وظاهر إلى حد البدهية بطلان ذلك ، وما زعموه من أن قبوله الزيادة أو النقص يجعله شكاً مدفوع بما بينه العلماء

في علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، فقد رتبوها وفاتوتوا بينها فجعلوا أدناها علم اليقين وأعلاها حق اليقين ، ومع ذلك لا شك في واحد منها .

فالإيمان كذلك متفاوت في درجاته قوة وضعفا من غير أن يكون هناك شك في واحد منها وكأنهم أرادوا أن له حدا أدنى وهو التصديق الذي لا يعتوره شك ولا يعترضه ريب ، ويتفاوت إلى أعلى حتى يكون إيمان الأنبياء والملائكة ، وبين الحدين درجات كثيرة كلها تصديق ويقين ، ولعل مما يدل على ذلك ما حكاه الله سبحانه في القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه بقوله : « رب أرني كيف تحيي الموتى » قال أولم تؤمن ، قال بلى . ولكن ليطمئن قلبي . أى يسكن قلبي بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ، فالمعينة تثبت التصديق وتقويه ، ويدل على زيادة الإيمان آيات كثيرة منها هذه الآية التي نحن بصدددها وهي قوله سبحانه : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا » . وقوله تعالى : « وإذا ما أنزلت سورة فمهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون » . إلى غير ذلك من الآيات . ويدل عليها أيضا ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار » . فهذه النصوص وأشباهها تدل على قبول الإيمان الزيادة والنقص ولم يعارضها معارض عقلى ولا نقلى صحيح فوجب المصير إلى ذلك ، وما أجاب به الممانعون للزيادة والنقص من أن الزيادة في هذه النصوص ليست زيادة في التصديق وإنما هي في المؤمن به (بفتح الميم) من الأحكام والشرائع إذ لم يؤمن بها قبل نزول الآيات ، ما أجاب به أولئك خلاف الظاهر ولا يصار إليه إلا بدليل عقلى أو نقلى صحيح ، على أنه يبعد في قوله تعالى : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا » . وقوله سبحانه : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » . هذا وما يتناه من الخلاف فى قبول الإيمان الزيادة إنما هو على رأى المرضى القائل : إن الإيمان هو التصديق فقط من غير حاجة إلى إقرار أو عمل ، أما عند من يرى أن الإيمان تصديق وقول وعمل فلا ريب أنه حينئذ يقبل الزيادة بزيادة الطاعات والنقص بنقص الطاعات . والله ولى التوفيق ما

محمد الطنبى

عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

والمدبر العام للوعظ بالجمهورية المصرية

أعياد ومواسم وذكريات

تشابه الشعوب على اختلاف مواقعها وتفاوت ثقافتها وتباعد حقبة التاريخ في كثير من شئونها ، وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد والعادات والمواسم والذكريات ، فكل شعب عقائد وعادات ومواسم وذكريات ، سواء في ذلك الشعوب القديمة والحديثة والمتبدية والمتحضرة ، والباحث في تاريخ الشعوب المتقصى في ملاحظة شئونها القومية والاجتماعية يدهش لما بينها من تشابه في هذه النواحي على بعد ما بينها في الأزمنة والأمكنة . ومن العجب أن نرى تشابها بين بعض العادات الصينية والمصرية أو بين العادات المصرية الحديثة والعادات المصرية الموعلة في التاريخ . ولئن صح أن نعلل التشابه بين حديث العادات المصرية وقديمها بأنه من عمل الوراثة ، فكيف نعلل التشابه بين العادات المصرية وغيرها من عادات الأمم التي تنامت بها الأمكنة وانقطعت بينها الصلات وبخاصة في العصور القديمة قبل أن يتقارب العالم بوسائل النقل الحديثة ؟

أيمكن أن يحىء ذلك من سبيل المصادفات أو من قبيل توارد الخواطر أو من ناحية المحاكاة والتقليد والنقل والاقتراس ؟ إننا نرجح أن يكون ذلك من قبيل توارد الخواطر ، فالشعوب بدافع الولاء والوفاء والشعور بالتقدير لمن يستحق التقدير والتكريم تحوص على ذكريات العظماء الذين أخلصوا في خدمة أممهم وشعوبهم ونهضوا بها في أى ناحية من نواحي حياتها . وتحفظ بها في صور شتى تتطور مع التاريخ حتى يعنى عليها الزمن وينسبها اختلاف الليل والنهار ، كما تتخذ الشعوب من مظاهر الطبيعة البارة بنى الإنسان مواسم تحوص على إحيائها والاحتفال بها وإظهار الابتهاج بقدموها ، ومن هنا احتفل الفرس وما زالوا يحتفلون بالنيروز ، واحتفل المصريون قديما وحديثا بفيضان النيل ، واحتفل غيرهم بعيد الحصاد وعيد الربيع وما إلى ذلك من أعياد لكل شعب ولكل أمة .

إن الاحتفال بالذكريات والمواسم أيا كانت صلتها بالدين شعور تفيض به عواطف الشعوب ، وإحساس ينبعث من أعماقها لا يمكن أن يغالب أو يحارب ، فليس هناك

شعب مهما بلغت درجة ثقافته أو مستواه الاجتماعى يخلو من أعياد يحتشد لها ويحتفى بها ، يستوى فى ذلك الشرق والغرب والإفرنج والعرب ، ونخطئ من يعدل الشرق على احتفاله بالموالد والمواسم ، وإن كان ذلك عيباً فليسكل شعب نصيبه منه !!

وكيف يكون الاحتفال بموالد الأنبياء والأولياء والزعماء ومظاهر الطبيعة والحوادث السياسية والاجتماعية البارزة فى تاريخ الشعوب عيباً تلام الشعوب على القيام به ؟ إلا إنه الوفاء بالواجب وآية الحيوية وحسن التقدير فى حياة الشعوب والأفراد ، والتغاضى عنه جمود فى الإحساس ونضوب فى العواطف ومظهر من مظاهر الجحود تأبى الأمم الناهضة أن تتم به وتؤاخذ بالتقصير فيه .

كيف يمكن أن تغضى الأمم المتعدنية عن الاحتفال بأنبيائها وعلمائها، وكل نبى أو عالم فى تقدير أمته إمامها إلى الهدى وقائدها إلى الفلاح والرشاد ، ومنقذها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة [١] ؟ إن عاطفة الوفاء لهؤلاء قوية لا تقهر وغالبة لا تغلب ، وكيف يمكن لأمة حية تشعر بكيانها ووجودها وتحس بنعمة الحرية والتحرر والاستقلال أن تغضى عن الاحتفال باستقلالها وتحررها .

إن الاحتفال بذكرى العظماء والحوادث المشهورة فى تاريخ الأمم آية التقدير والوفاء كما أسلفنا ، وليس من الخير الدعوة إلى إهماله ، كما أنه ليس من اليسير إهماله لأنه شعور يكاد يكون من طبائع الشعوب الواعية الحية ، إلا أنه قد يكون من الخير ألا نسرف فى اختراع أعياد لمناسبات غير مهمة وليست ذات خطر حتى لا تفقد الاحتفالات قيمتها ، ولأن فى ذلك مشغلة ومتلفة ، فالأعياد مهما تخففت الشعوب من مظاهر الاحتفاء بها لأبد لها من جهد ووقت ومال قد تكون فى حاجة إليه مهما كان قليلاً .

وأرأى هنا فى حاجة إلى بيان موقف الدين من هذه الاحتفالات وأبادر فأقول : إن الدين لا يمنع منها ومحاولة ربطها بالدين وتطبيق أحكامه عليها من حرمة أو كراهة من ناحية وصفها بالبدعة خطأ أو غفلة عن معنى البدعة المحدثه التى يقصدها حديث :

[١] للجنة - ويرتب على هذا أن يحرم هداة الأمة فى كل عصر على أن يدعوا الأمة إلى إحياء ذكريات أنبيائها وعلمائها بأحياء سلتهم وللعمل بهدياتهم ، وإماتة ما يخالفها ويناقضها .

« من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد » لأن المحدث المقصود في الحديث المحكوم برده المذموم على فعله هو المحدث في الدين .

إن الصلة بينها وبين الدين قد تكون من ناحية ما عسى أن يدنس جلال تلك الموالد من منكرات تتخذ هذه الاحتفالات ستارا لها ، وليس من شك في أن الدين لا يرضى عنها بل يطلب ويلج في الطلب إزالتها بكل ما استطاع . فالحديث عن المنع وطلب المحاربة ينبغى أن يوجه إلى تلك المنكرات .

وهل يحرم الدين أو يكره أن تحتفل الجامعات والمدارس في محاريبها العالمية بذكرى المولد النبوى أو ذكرى شهداء بدر أو غيرها من الذكريات الإسلامية ليكون ذلك دعوة للشباب إلى القدوة والمحاكاة ونشر المفاهيم الإسلامية في أشخاص أبطاله ومجاهديه ؟ لا . لا يحرم الدين ذلك ولا يتدخل فيه وفي أمثاله لذاته ، وإنما يتدخل فيما يلابسه من آثام ومنكرات يستحدثها شياطين الإنس احتيالا على الرزق الخبيث والسكسب والحرام .

إن الاحتفال بالموالد وبعيد الهجرة ونحو ذلك تقاليد مستحسنة ابتدأها قدماءنا وسرنا على نهجهم واحتفلنا بها كما احتفلوا ، ولم يدخلها تقادم الزمن في نطاق العبادات ، وما زالت في نطاق العادات يحتفل بها من يشاء ويهملها من يشاء .

إن الدين الإسلامى لا يعرف إلا عيدين فقط يدعو إلى الاحتفال بهما والبذل والإنفاق فيهما ، كما يدعو إلى التواصل بالتهانى والتسامح والصفح في رسوم بينتها كتب الشريعة - وهما عيد الفطر والأضحى - وستطالع كلمتنا هذه سادتنا القراء في غرة رمضان وقد تلاأ هلاله في الأفق يبشر بقدوم رمضان شهر القرآن والرضوان ، ورمضان ضيف تجمع الأمم الإسلامية على الاحتفال بقدومه وتكرمه شعوبا وحكومات ولكل منها تقليد في ذلك ، وإنه لا احتفال محمود وتقليد كريم ومظهر من مظاهر الاستمسك بالدين وإحياء شهائره . أعاده الله على المسلمين قاطبة في عزة وكرامة .

أبر الوفا المرفعى

لغويات

قمر الدين

قمر الدين معروف في مصر ، ويتخذ منه شراب أو طبيخ ، وهو من المشمش ، وأكثراً يستعمله الناس في رمضان ، ويحلب إلى مصر من الشام وبعض بلاد أخرى . ويعني هنا لفظه وأزليته .

وجاء في صحيفة الأهرام الصادرة في يوم ١٤ / ٥ / ١٩٥٤ مقال عنوانه : « المشمش » قال كاتبه - بعد أن ذكر موطن المشمش وشيئاً عنه - : « يعمل منه شراب ومربي . وأهل الشام يجيدون صنع قمر الدين . تحفف الثمار ببذرتها أو بعد نزعها في سوريا وتركيا واليونان وكليفورنيا . ويستعمل في الخشاف ، والمشمشية . وهو يغسل ويصفى من نواه ، ويفرش على ألواح دهنت بالشرج ، ويوضع في الشمس ويرقق وينجز بغاز الكبريت ليجمع لونه فاتحاً ، ويترك ثلاثة أيام . ويعرف بعد الجفاف بقمر الدين نسبة إلى مدينة شامية يجيد صنعه ، وهي أمر الدين ، والنوى يصدر لأمريكا ليستخرج منه زيت اللوز المثلين . ويدخل في صناعة الصابون . واليابس منه أجود من الطرى وعرف الأمر بكون قمر الدين أخيراً ، ويسمونه المشمش الجلدي » .

ويرى القارئ لهذا الكلام أن قمر الدين سمي باسم بلدة في الشام هي أمر الدين . ولا أعرف شيئاً عن هذه البلدة (١) ، وهل أمر الدين أصله قمر الدين فأبدلت القاف همزة ، كما ينطق بها في هذا العصر أهل القاهرة ولبنان ، فالميم مفتوحة ، أو الهمزة أصلية والميم ساكنة .

وعندي أن « قمر الدين » لهذا الطعام من المشمش امتعار اسمه من ضرب من المشمش يسمى قمر الدين ، كان معروفاً من قديم ذكره ابن بطوطة في رحلته .

فقد جاء في ص ١٥٢ من الجزء الأول من مهذب الرحلة في الكلام على مدينة أصفهان

(١) المجلة — ولا أهل الشام يعرفون عنها شيئاً ، وما ذكر في مقال الأهرام من المجازفات العلمية في صحافتنا ، وكان القدي يظنه الناس في توجيه اسم « قمر الدين » ، أنه بمعنى شهر الله ، لأنه من خصوصيات شهر رمضان في الشام وغيرها .

في بلاد إيران : « وبها القوا كه الكثيرة . ومنها المشمش الذي لا نظيره يسمونه بقمر الدين . وهم ييسونه ويدّخرونه ، ونواه ينكسر عن لوز حلو » . وفي ص ٢٢٥ من هذا الجزء تحدث عن أنطاليا من مدن آسية الصغرى أو بلاد الأناضول ، وقال : « وفيها البساتين الكثيرة والقوا كه الطيبة ، والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر الدين . وفي نواته لوز حلو . وهو يليس ويحمل إلى ديار مصر . وهو بها مستطرف » .

الغيط ، عيشة ، الميدة

١ — اشتهر في مصر الغيط للحقل أو المزرعة . ورأى بعض الباحثين أن الصواب فيه الغائط ، وهو في الأصل المظلم والمختف من الأرض ، وهذا في العادة مكان الزرع ، فأما المشرف والمرتع فلا يزرع .

ويصح استعمال الغيط أنه ورد في معنى الغائط . وقد قرئ به في قوله تعالى في الآية ٤٣ من سورة النساء : « أو جاء أحد منكم من الغائط » قرأ ابن مسعود : أو جاء أحد منكم من الغيط . ويرى ابن جنى أن أصله الغيط بتشديد الياء وأصله غيوط ، وقد خفف ، كما قيل سيد في سيد وهين في هين . وهذا لأن الغائط عنده من الواوى . ويرى غيره أنه ورد غاط يغوط وغطا يغيط غيطا ، فالغيط في الأصل مصدر يأتي العين أطلق على الوصف .

ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٢٥٠/٣ : « الغائط : ما انخفض من الأرض ، وجمعه غيطان . ويقال : غيط وغوط ، وزعم ابن جنى أن غيطا فيعمل ، إذ أصله عنده غيط مثل هين وسيد إذا خففتها . والصحيح أنه فعل ، كما أن غوطا فعل ، لأن العرب قالت : غاط يغوط ويغيط ، فأتت به مرة في ذوات الياء ، ومرة في ذوات الواو » . وفي البحر ٢٥٨/٣ : « وقرأ ابن مسعود : من الغيط . وخرج على وجهين : أحدهما أنه مصدر ، إذ قالوا : غاط يغيط . والثاني أن أصله فيعمل ثم حذف كبيت » . وفي اللسان : « ابن جنى : ومن الشاذ قراءة من قرأ : أو جاء أحد منكم من الغيط . يجوز أن يكون أصله غيطا ، وأصله غيوط نخفف . قال أبو الحسن : ويجوز أن تكون الياء واوا للمعاقة » يريد أبو الحسن أنه يجوز أن تكون ياء الغيط أصلها واو ، وهذا القلب لا يدعوا إليه التصريف ، وإنما يأتي عن العرب في كلمات ، ولا باعث على ذلك إلا المعاقبة بين الحرفين ، وذلك كما قالوا : المياثق في المواثق . وقد عقد ابن سيده في المخصص بابا لهذا في ص ١٩ من الجزء الرابع عشر . وقد علمت أنه يستغنى عن هذا إذ ورد الغوط والغيط .

- ٢ - ويقول الناس عيشة في عائشة علما . وهذا استعمال قديم ، ويدل عليه أن بعض اللغويين القدماء أنكروه . ففي اللسان (عيش) : « وعائشة مهموزة . ولا تقل : عيشة . قال ابن السكيت : تقول : هي عائشة ولا تقل : العيشة . وقال الليث : فلان العائشي ولا تقل : العيشي » ، منسوب إلى بنى عائشة » . وجاء عيشة في قول الشاعر :
انعم بعيشة عيشا غير ذي رفق وانبذ برملة نبذا لجورب الخلق (١)
٣ - ومن قبيل عيشة في عائشة قولهم : ميدة في مائدة ، وقد جاءت في قول الرازي :
وميدة كثيرة الألوان تصلح للجيران والإخوان

* * *

تطلب الأكثر في الدنيا وقد نباغ الحاجة فيها بالأقل

هذا البيت من قصيدة للبحرّي . وحرف الروي فيها لام ساكنة ، وترى سكون اللام في « الأقل » عارضا إذ أصله الأقل مشددا . وقد جرى البحث في مثل هذا إذا أريد ضبط الأقل فكيف يكون ؟ أ يضبط بالسكون أم يضبط بالتشديد . وكنت أرى بعض الكتاب يضبط مثل هذا بالسكون تحته شدة ، هكذا : « بالأقل » . وقد وجدت كلاما في هذا لأبي العلاء المعري إذ يعلق على هذا البيت بقوله : « (٢) كان على القوافي المشددة ، مثل (الأقل) و (الأشل) تشديد ، وذلك عندهم خطأ ؛ لأن التخفيف لازم . وكان بعض أهل العلم يعاب بأنه وجد بخطه قول ليبيد :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل

مشدّد اللام في « المصل » . وحكي أن عثمان بن جني كان يرى في مثل هذه الأشياء أن يكون التشديد من تحت الحرف ، والأجود أن يعلم الناظر أن التشديد لا يجوز في مثل هذه المواضع . فتراه لا يرى التشديد . على أن وضع الشدة مع السكون غير بعيد عن عمل ابن جني ، فلا بأس باحتدائه .

الطرب والطربة

تعروف الطرب في الفرح ، والطربة - وهي المترة من الطرب - في الذعر والجزع . والطرب في اللغة العربية يأتي للفرح والذعر على السواء . ومما جاء فيه الطرب للجزع قول الشاعر :

(١) انظر نوادر المخطوطات للأستاذ عبد السلام هارون ٧٢/١ .

(٢) انظر عبت الوليد ١٨٠ .

يقطن لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليل
وأكثر ما يصرف الناس الطربة فيقولون : انطرب على من نبأ سيئ جاءه .
ولا يكادون يصوغون من الطرب فعلا .

وقد تنبه لهذا عالم من علماء القرن العاشر (١) الهجري هو محمد بن إبراهيم الحلبي
في كتابه : « بحر العوام فيما أصاب فيه العوام » . وهو لا يجعل تصرف العامة انحرافا
عن الاستعمال العربي ذا بال ، ويهون من أمره ، إذ يجعله من باب الاستغناء عن الشيء ،
وهو أمر أكثر منه العرب ، يريد أن العامة استغنت عن استعمال الطرب في الجزع بنحو
ذعر وفزع ، ولم تعتمد تخصيص الطرب بالفرح ونفى الجزع عنه . وهو يقول :
« ولا يضر الناس الآن تركهم استعمال الطرب في الأمر الآخر ، استغنى عنه بغيره
بما يرادفه ، كما أماتوا ماضى يدع ، استغنى عنه بترك فيمن قال : إنه قد أميت » .
وفاته أن يذكر أن الطربة لم تستعمل في الفرح ، استغنى عنه بما يرادفه .

حمص الحب

يقول أهل الريف : حمص الذرة أى وضعه في التنور المحمى لتزول منه الندوة فيسهل
طحنه . ويرى أبو على القالى أن أصله المحمس بالسين ، وتراه يقول في النوادر ١٦٧ :
« الأحمس : المتشدد في دينه . وسميت قريش المحمس من ذلك . ومنه سمي المحمس الذي
تقول له العامة المحمص لأنه يقلب قليلا شديدا » . وفي اللسان (حمص) : « قال
الأزهري : وقرأت في كتب الأطباء : حب محمص ، يريد به المقلو . قال الأزهري :
كأنه مأخوذ من الحمص - بالفتح - وهو الترج . وقال الليث : الحمص : أن يترج
الغلام على الأرجوحة من غير أن يرحمه أحد » . يريد أن الحب إذ يقلب يشبه الغلام
الذي يترج على الأرجوحة في قلبه ، فأخذ الأطباء له الحمص من هذا وسموه محمصا .

وما تقدم لك يقضى بأن المحمص للمقلو ليس أصيلا في اللغة . وجاء في القاموس :
« حب محمص - كعظم - مقلو » . وفي التاج بعد أن نقل عبارة الأزهري :
« قلت : والذي يظهر أنه لغة في السين » . فعلى هذا يكون التحميص أصيلا في العربية .

محمد علي النجل

استلف واستسلف وتسلف

صبيغ عربية مختلفة المعنى لا تصوب واحدة لتستعمل مكان الأخرى
كذلك اشترك مجد مع محمود واشترك مجد ومحمود كل منهما له معنى خاص به

في باب تصويب عبارة وتخطئة أخرى لابد من الرجوع إلى قواعد اللغة والنحو والصرف، ولا يحكم بالخطأ على عبارة لعدم ورودها بالذات في كتب اللغة المحدودة ، ولا سيما إذا كانت تدخل في غالب الأقيسة وقواعد اللغة ، وكتب اللغة لم تلتزم أن تحيط بجميع مشتقات كل مادة من مواد اللغة العربية ، لأن للغة في كتب الأدب ودواوين العرب متسعاً لا تحيط به قواميس اللغة . وأذكر أن صاحب القاموس وقد سماه بالقاموس المحيط ، أول ما ألفه كان أضعاف هذا القاموس بعشر مرات ثم اختصره إلى هذا القدر ، فأين جمهرة اللغة التي حذفها من ذلك ، وما هو ذا شرحه قد أضفى عليه عشرة أمثاله ، وبعد ذلك كله كتب الكتاتيون فيما فات القاموس المحيط وصرحوا أنه ليس بالمحيط ، وأن ما كتبه مما فات المحيط ليس كل ما فات المحيط ، وعندى مخطوط قديم اسمه : (ابتهاج النفوس فيما فات القاموس) لعله لم يظفر بالطبع ، وقال في خطبته : ليس كل ما ذكره هو كل ما فات القاموس .

هذه إحدى الفوائد التي أردت أن ألفت إليها النظر بنية حسنة .

ثانيها : أن هذه الصيغ مختلفة المعنى بحسب أوضاعها وصيغها الصرفية فلا تصوب إحداها وتخطأ الأخرى ، لأن لكل صيغة معنى خاصاً بها تستعمل فيه ، فإن استعملت صيغة في غير ما وضعت له كان ذلك تجاوزاً أو تحريفاً ، ومن ذلك صيغ استلف واستسلف وتسلف ، ويضر اللغة أن لا توجد صيغة منها في هذه المادة للزوم كل منها في قصد المتكلم .

ثالثة الفوائد من كلمتي القصيرة : أن سرد السكتب اللغوية لصيغ مادة ليس معناه أن هذه الصيغ يستعمل بعضها مكان بعض ، إلا إذا تقاربت وصح بينها التجوز .

هذا ما قصدته بالتعقيب والتعليق ، وهو بسيط واضح مختصر لامية فيه ، وخدمة اللغة فيه واضحة ، والنية فيه خالصة ، وليس كل مزيد مقصوداً على السماع .

وقد تلقاه أحد الفاضلين المتعقب عليهما وهو الأستاذ الريدى التربوى بالقبول والشكر، وأرسل إلىّ على غير صلة من قبل بطاقة شكر لتحرير هذا الموضوع البسيط ، وقد أفلج صدرى بقبوله الحسن وتواضعه الكريم . أما الأستاذ النجار فقد ردّ علىّ بصحيفتين طويلتين ردّا خرج عن صريح ما أريده ، ونقل الكلام إلى بحث قياسية الثلاثى المزيّد وعدمها في زيادة الألف . ثم أخذ فيما عسى أن يكون جاء في عباراتى العابرة من مطعن أو نقد حيث قلت مثلا : هاتان الصيغتان لم يردا ، وكان الواجب في نظره أن أقول لم تردا ، ويضرب لذلك تعبيراً مفارقاً يضربه مثلا لكلامى بقوله : (جاءتنى كتاب والمراد رسالة) وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر باعتبار معناه باب واسع عربى صحيح لا ريب فيه ، وكذلك القول في الأفراد والجمع وإعادة الضمير فيهما باعتبار المعنى ، قال الله تعالى : « إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل » وبنو إسرائيل جمع مذكر أنث الفعل في إسناده إليه لأنه بمعنى الجماعة أو القبيلة ، وقال تعالى « وإلى عاد أخاهم » ، « وإلى ثمود أخاهم » عاد الضمير جمعا والمرجع مفرد اللفظ، وهذا لا يخصى فى القرآن الكريم واللغة . فالاعتراض بمثل هذا من مثل الأستاذ النجار مما يقابل بالتعجب فهل يريد الأستاذ إحجامى عن التعقيب عليه وحرمان القراء من فحص يأتى عن نظرين لا عن واحد ؟ . . ما

محمد عبدالمعظم القباني

رجال التاريخ

- * إذا أردت أن تتكلم عن ميت ، فضع نفسك في موضعه ثم تكلم .
- * لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا دارا صغيرة .
- * للتاريخ حدود كمالك الأرض ، فلا يتسع إلا لعدد محدود .

مصطفى صادق الرافعى

حكمة مشروعية الرق في الاسلام

بزغت شمس الإسلام والرق ينشر في الدنيا ظلامه الدامس ويعقد في أجوائها سحابة الداكن ، والناس يتعلقون بأهدابه ويحافظون على تشعب سبله والتفاوت التام بين السادة والعبيد في شتى شؤون الحياة - فلم يكن من الحكمة أن يفاجأ العالم بالقضاء على شيء أصبح الاستغناء عنه متعذرا مراعاة للمعروف المألوف وحرصا على التوازن الدولي ، وخوفا من إيجاد فئة متعطلة ربما انقلبت شرا ويلا على المجتمع كما حدث ذلك في أمريكا والسودان عند تحرير الأرقاء ، وطمعا في استقلال الرقيق بعد تهذيبه وتشذيبه لإعلاء كلمة الله - لهذا أبقى الإسلام أصل الاسترقاق بعدما أدخل عليه من الإصلاحات ما يكفل للأرقاء حقوقهم ، وللأسياد مصالحهم ، وللمجتمع معادته ورخاءه ، فأباح للامام أن يضرب الرق على بعض الأسرى في الحروب الشرعية إذا رأى مصلحة المسلمين تقتضي ذلك كما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الغزوات .

وقد بدا لبعض الناس أن في هذا الاسترقاق استدلالا للإنسان وإهدارا لكرامته « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » فاجراء الأحكام التكليفية على العبيد ووعد الممتثلين منهم بمزيد الثواب ، وتوعد المخالفين بشديد العقاب ، أعظم برهان على اعتبار إنسانيتهم وأدغم دليل على عدم إهدار كرامتهم - أما تنصيف بعض الأحكام بالنسبة إليهم فذلك تخفيف من ربههم ورحمة بهم ومراعاة لمصالحهم وصالح ساداتهم ، وليس في التخفيف أدنى إهدار للآدمية وإبعاد عن الإنسانية ، وإلا كان التخفيف عن المريض والمسافر إهدارا لآدميتهما وإبعادا لهما عن إنسانيتهما .

فالإسلام لم يقصد من استرقاق الأرقاء وإباحة تملكهم إلا وضع يده عليهم لئلا يبرحوا دار الإسلام التي تعتبر بمثابة مدرسة كبرى لنشر تعاليم الدين الخفيف . يتلقون فيها مبادئ الفضيلة ويتعرفون منها الروح الإسلامية الصحيحة . فلا هدف له وراء تملك هذه الرقاب إلا تعليمها وإرشادها ، وغرس الإيمان في قلوبها بسبب مخالطة المسلمين وحسن معاملتهم ، والتمهيد لحياة ثقافية يقوم فيها الأحرار والعبيد على قدم المساواة - وإنك لتلمس عناية الإسلام بالرقيق وتوجيه السادة إلى إرشادهم وتعليمهم والتلطف في معاملتهم واضحاً جلياً في القرآن الكريم وأحاديث رسولنا المصطفى الأمين وأفعال صحابته الأطهار المكرمين .

(١) أما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فها أنت ذا ترى أن القرآن يقرر في هذه الآية قاعدة المساواة بين جميع الأجناس البشرية لا فرق بين الحر والعبد .

وقال الله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » .

إذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة التي نظم الله تعالى الأرقاء في سلكها بقوله « وما ملكت أيمانكم » أدركنا بوضوح مقدار عناية الشارع بهم ، إذ نظمهم في سلك الأهل والأصحاب دليل على اعتبارهم ، بل إن ذكرهم مع الوالدين أعظم دليل على العناية بهم والإحسان إليهم ، وذلك عكس ما كان يفعل بهم قبل الإسلام من تعذيبهم والتنكيل بهم . فقد كان اليونانيون يمرنون شبابهم على الفتك بالأعداء في أشخاص العبيد غير مباينين بدمائهم التي كانت تسيل أنهاراً ، وكان الجاهليون يقومون بعملية إخصائهم وإكراه الإماء على البغاء وغير ذلك من أساليب الوحشية .

وتجلى رعاية الله بالأرقاء في تذييل الآية بقوله « إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » إثر قوله « وما ملكت أيمانكم » مما يدل على أنه ينبغي للسلادة أن يكونوا على جانب كبير من لين الجانب والبعد عن الخيلاء مع مملوكيهم .

(ب) وأما السنة فقد روى البخارى ومسلم عن ابن سويد قال رأيت أبا ذر رضى الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسأله عن ذلك فذكر أنه ساءت رجلاً على عهد رسول الله فعيره بأمه فقال صلى الله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكفوهم ما يقلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم .

وروى أحمد والنسائي عن علي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بمحمد والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران .

فالحديث الأول يقرر أخوة الأرقاء لمواليهم ويحث على تسويتهم بهم في طعامهم

ولباسهم والرفق معهم فيما يكلفون به من الأعمال ، والثاني ينطق بمبدأ المساواة بين الأحرار والعبيد في أمرين خطيرين أحدهما الدماء والآخر الأمان ، فلو قتل حر عبدا قتل به ولو أمن عبد محاربا اعتبر أمانه ، ولزم جميع المسلمين ، والثالث يحض السادة على تعليم الأرقاء وتأديبهم ثم إعتاقهم ليظفروا بالأجر مضاعفا .

وإنا نقتصر على ما ذكرنا من الأحاديث الشريفة خوف الإطالة ، ففي السنة معين يفيض توصية بالأرقاء في كل ما يرفه عنهم ويحفظ حقوقهم ويفتح باب التحرر أمامهم .
(ح) على أنك لو رجعت إلى العصر الذي عاش فيه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم دهشت من حسن معاملة الصحابة للعبيد ، فانظر إلى عمر رضى الله عنه وقد أركب غلامه وسار وراءه وهما ذاهبان إلى بيت المقدس . وانظر إلى علي كرم الله وجهه وقد اشترى ثوبين أحدهما أغلى من الآخر تره يعطى لعبده الأغلى فيقول له العبد : أنت أحق به فيقول له علي : أنت أحق ، فانت شاب وأنا هرم . وهذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان إذا مشى بين عبيده لا يميزه أحد من بينهم لأنه لا يتقدم عليهم ولا يلبس إلا من لباسهم .

وأنت خير بأن الرقيق إذا رأى هذه المعاملة الكريمة وشاهد ما يسير عليه المسلمون في حياتهم وتفهم ذلك تفهما صحيحا بسبب الخلطة والمعاشرة أشرب قلبه حب الإسلام وانخرط في سلكه حتى إذا تخلص من الرق - وذلك أمر تشوف إليه الشارع في مواضع متعددة - نصب نفسه داعية إلى الإسلام يهدى قومه إليه بتعليمهم روحه الصحيحة إذا رجع إليهم ، ومن لم يرجع كان داعية في الدائرة التي يعيش فيها .

ومن هنا نعلم أن سبب إبقاء الرق ليس الاستئلال ، وإنما هو التعليم والإرشاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، إذ لو كان الإذلال مقصودا لكان المشركون العرب والمتردون أولى بالاسترقاق ، لسكن ليس لهم إلا الإسلام أو السيف . الأمر الذي يدل على أن الغرض الذي يرمى إليه الشارع من الرق لم يكن يتوفر في المشركين العرب والمتردين ، فإن الأولين نزل القرآن بلغتهم ، ومع ذلك تعاملوا عنه عنادا وكبرا ، والآخرين رجعوا إلى الكفر بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان . فتعليم الفريقين غير مجد فاسترقاقهم لا يأتي بالغرض المقصود وهو تعليم الأرقاء وإرشادهم ليسانموا ويسلم غيرهم بواسطتهم ، وبذلك ينتشر الإسلام وتنتشر مبادئه .

محمد زكريا البردي
المدرس بكلية الشريعة

تربية روح المقاومة في الأمة

حقيقة الأمة :

لا تقاس حقيقة أمة ما ولا قوتها بكثرة عددها وقوة حديدها وعظم إمكاناتها ، وإن يكن لهذه الأمور وزن وتقدير وحساب . وإنما تقاس حقيقة الأمة وقوتها بقوة السر الكامن في أفرادها الذي ينشئ لها ذاتيتها المتميزة وشخصيتها القوية وقدرتها على المقاومة ، ويشبه أن يكون ذلك كائنًا حيًا يتمثل في قوة العقيدة والعاطفة وكمال الوسيلة والغاية ، واستواء الإرادة الحرة والعزم الصليب .

هذه هي المقومات الحقيقية الأولى في قوة الأمم ، يجيء بعدها في الدرجة الثانية وزن المادة ، فإن مائة ألف سيف في يد جبان لا تغني عنه شيئًا لأن الرجل قبل كما قيل .

خير أمة :

والأمة الإسلامية بحكم أنها حملت أشرف الرسالات وأشق الغايات ، وأن عليها أن تقيم في أرض الله موازين القسط وأن تخرج الناس من الظلمات إلى النور ، كان لا بد من أن تعد لذلك إعدادًا ، وأن تجهز نفسها أولاً لغلاب قوى الباطل والشر في ذات نفسها وعدوها .

إعدادها :

من أجل ذلك تكفل الله العلي الحكيم بإعدادها وإمدادها بالوسائل والأسباب التي تستعين بها في تحصين نفسها ومقاومة عدوها واتقاء أسباب الضعف والهزيمة أن تلم بها . ويعتينا الآن أن نتحدث عن واحد منها شرعه الله عز وجل لها ليعدها للاضطلاع بما حملت بما ينشئ لها من روح المقاومة وجلادة الحر وهو الصوم ، فنحن أحوج من عقل سره ، وأفاد منه في هذه الأيام .

الصوم وسيلة لتربية روح المقاومة :

إن أولى المعارك التي يخوضها الإنسان وأخطرها ، والميدان الأول له ، نفسه التي بين جنبيه ، فإن هو انتصر عليها كان على غيرها أقدر ، وإن عجز أو انهزم فهيهات أن يقوم لعدوه أو أن تقوم له قائمة . وصدق الله العظيم « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

فلذلك أمدت العناية الإلهية المسلم بفريضة الصوم ليكون قوة ووسيلة تروضه وتزيكه وتجعله سيد نفسه ومالك أمره ، لا يقوده هواه ، ولا يحكمه بطنه ، بل تخضع وتطوع له هذا البطن وشهواته وتجعله مصرفاً بأمره يجوع ويشبع برغمه ، ويعطش ويروي برغمه .
بذلك يصبح في قدرة المسلم أن يقول .. لا ، إذا وجبت ، وأن يقول نعم ، إذا وجبت ، لا يلتوى به هوى ولا تستذله شهوة ولا يسقط به حرص أو طمع .
تربية من الله عز وجل للمسلم على أن يكون حراً من سلطان البطن الذى طالب أذل النفوس وأخنى رءوساً ، طليقاً من قيود الباطل واتباع الهوى ، لا يتقيد إلا بالله والحق ، منبع الجانب مناعة اكتسبها من طول مراغمته لبطنه ومجاهدته لهواه .
مدة حضانه :

وشهر رمضان بذلك مدة حضانه للنفس المسلمة ينشئ فيها الكائن الحى الذى عجزت عنه مناهج التربية ومحاولات البشر ، حتى أنشأه الذى يعلم السر فى السموات والأرض .
فكما يحتضن الطائر بجناحيه الكائن الهامد الذى لا تحسه الحياة ، ويضمه إليه مدته المقسومة ، فإذا هو بعد ، يكسر الأغلال وينقف الجدار ، وينضو عنه قيود الحبس ، وينطلق حراً يملأ الحياة .
كذلك يحتضن رمضان بلبيله القائم ونهاره الصائم ، ضمير المسلم وجسده ، وإرادته وعزمه ، وروحه وجسمه ، فلا تنتهى أيامه المعدودات إلا بحياة الحى فى ضمير المسلم ، وانطلاقه من قيود البطن وأغلال الشهوة ، بعد أن يحطم أسوارها ويخرج من سلطانها .
لا .. بل يجعلها مسخرة بأمره .. فلا يحاول بطن أن يكون فى حجم مملكة أو مدينة أو قرية ، وبذلك ينحسم الباطل والشر وتخل المشكلة ما دامت الحياة لا تجد كل ساعة من يعقدها .

فوق الحياة والأزمات :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أصبح فلا يجد ما يطعمه فى أى من أباته ، فيقول « إذن فانى صائم » .
أهو تحد للفقر فى بيته ؟
أم هو إعلان الرضا من نفسه ؟
أم مبادرة الضيق ومصادرة الحرج أن ينفذ إلى قلبه ؟

أم هو إخضاع الحياة للعقيدة ، تجعلها فوق الحاجة والضرورة .. ؟ أم ميراث لنا منه صلى الله عليه وسلم نجد فيه الأسوة الحسنة ؟ .

وحدث البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت « إن كان يمضى الهلال والهلالات والأهلة الثلاثة ، شهران لا يوقد فى بيت من أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، وانها لتسعة أبيات » . قيل يا أم المؤمنين ، فما كان طعامكن ؟ قالت الأسودين : التمر والماء .

هذه البيوت التى خلت من كسرة الخبز يوما تحدث قصور المشرقين ومصانع الجبارين ونازلت طواغيت المشرق والمغرب فصرعتها ودكتها بفضل هذه المناعة والصلابة التى جعلتها فوق الضرورة والحاجة ، وسائر ما يخضع الناس .

وروى المؤرخون أن الناس شكوا إلى إبراهيم بن أدهم غلاء اللحم فى السوق ، فقال لهم : أرخصوه بالترك ، ففعلوا ، فزى السعر . فقال لهم : ما يعرض لكم شئ من هذا الداء فداووه بمثل هذا الدواء .

وهو رحمه الله يخاطب أمة جللت واكتسبت مناعة وقدرة من طول ما صامت وكابدت أنواعا من الحرمان .

فمن لنا بأن تدرك هذه الأمة التى قد يطيش صوابها لو ارتفعت أسعار قمر الدين والياميش أو شاع أن البترول أو السكر أو ما إلى ذلك قل أو اختفى ، فمن لنا بأن تدرك أن المقصود من فريضة الصوم أن تزود بالطاقة التى تواجه بها كل شدة ، وأن يوجد البيت المسلم الصلب الذى يكون أبدا مستعدا لمواجهة كافة الظروف والاحتمالات بحيث يكون أبدا فوقها لا يخضع ولا يتخضع لها .

تدريبات على قلب العادات وتجديد الأيام :

فالصوم لا يعلن الثورة على البطن فحسب وإنما يعلنها على مألوف الناس وعاداتهم حتى لا يعيش البيت المسلم أسير عادات وأوضاع وكيف خاص بحيث تطبعه الحياة والأيام ، لا . لا . لا . ! وإنما هو يعد المسلم بحيث يصنع الأيام ويحكمها . فهو يعلن الانقلاب التام فى حياة المسلم الرتيبة وعاداته المألوفة فمن كان يفطر فى الصباح فقطوره بعد الغروب .

ومن كان يتغدى ظهرا فلا غداء له .

ومن كان يتعشى عند العشاء جعل ذلك سحورا له عند السحر .

ومن كان لا يستيقظ قبل الفجر فعزمة من الله عليه أن يقوم ليلة سحر فأن في السحور بركة .

ومن كان يطعم ثلاث وجبات فهما اثنتان .

ومن كان يمارس ما انتهى من طعام وشراب وحلال فقد حرم عليه ذلك من الفجر

إلى الغروب .

إنه انقلاب في مألوف كل مسلم ومسلمة مقصود الله قصدا ليتم به إعداد البيت القوى الصلب الذى يحمل أعباء الرسالة وتكاليف الحق ، ويكون مستعدا في أى لحظة للتنازل عن حياته الرتيبة وعاداته المألوفة دون أن يجد لذلك حرجا أو مشقة لو اقتضى كفاحه للباطل وجهاده للشر أن يبش في الخنادق أو يصيب ما دون الكفاف .

هو إعداد من الله للمسلم أن يكون أبدا حرا قويا لا تأسره عادة ولا يستبد به إلف أو كيف أو ترف .

ولن يقبل الله من المسلم أن يكون عاجزا ، يقول عن شئ من عاداته أو كيوفه : لا أستطيع تركها أو لا أقدر على التخلص منها . فإن الله يربيه على ترك ما هو أكبر من ذلك في الصوم على ترك الطعام والشراب جملة وإلى حين ، وإنما إيقاع هذا التغيير ثلاثين يوما لتستجمع الطاقاة وترسخ الملائكة وتربى القدرة في نفس كل مسلم ومسلمة ، لينشأ المؤمن القوى لا الضعيف ، الحاكم لا المحكوم ، السيد لا المستعبد ولو لكيفه هو وشهواته .

ولذلك لما نزل تحريم الخمر ونزلت الآية إلى « فهل أتم منتهون » قال الشاربون : اتبهينا يا رب . ويذكر الرواة أنه لم يبق يومئذ بالمدينة دن ولا زق ولا قدح في بيت إلا أهرى وألقى به خارجها . وانتهت الخمر من حياة المسلمين في لحظة ، وكانت من قبل دما يجري في عروقهم ، ويخالط مخ عظامهم وشغاف قلوبهم ، دون أن تحتشد لذلك الدولة بمالها وجندها وعسما وقوانينها ومحاكمها ، والفضل في ذلك للتربية والرياضة التى بنت رجالا غلبا وعزائم صلبا في مدرسة تفتح لهم كل عام شهرا مفروضا يمنع فيه كل مسلم ومسلمة جنة تقيه ضعف نفسه وبأس عدوه ، ولذلك قال الله عز وجل : « لعلكم تتقون » .

تعلقات

يقظة دينية محمودة

إلى عهد قريب كانت لهجات المجددين آخذة في الجهر بالإباحية ، وكان المتأثرون بهذه النزعة يعترضون بها كلون من ألوان الثقافة الجديدة الواسعة ، وكتقليد الأوساط يعتبرونها أوساطا راجحة في عقليتها ومظاهرها حضارتها ، ثم هم يراءون الناس بأنهم دعاة نهضة ، أو أصحاب غيرة على مجتمعنا الإسلامى أن يظل معزولا عن موارد الحياة النابضة . وقد أحس هؤلاء بانصياع أناس لهذا الاستدراج الفاتن ، فأغراهم إحساسهم بإفساح الخطى في مزالق التضليل ، وزعموا أن رغبتهم آتية في تحويل المجتمع الإسلامى عن وجهته الأولى .

فبعد أن كانت نفعتهم لا تعدو كلمات تقال في مجالس خاصة ، أو مجتمعات مشوبة ، أصبحت لهم صحف ومجلات فيها خداع للأغرار وللغواة من ناشئة البيوت الهينة . ولم تسكن هذه الدعوات الآفكة لتعيش طويلا في بيئة شرقية إسلامية تأصل فيها الدين والاحتشام لولا أنها تلقفتها جهات معادية لنا كأمة ذات دين ، وأدب ، وتاريخ ، وتود القضاء على قوميتنا وشخصيتنا وسلخنا من طابعنا الإسلامى والشرق عامة .

تلك الجهات المعادية كانت فيما مضى تجرد لنا حملات تبشيرية تحاول معارضتنا في معتقداتنا ، أو ترويح معتقدها في أوساطنا ، دون أن تنال منا قليلا ، بعد ما تكبدته كثيرا من جهود ، وما تكلفته من أموال .

تلك الجهات المعادية لمست في المجددين من كتابنا ليونة ، ومطauعة بقدر ما يفيدون من أموالها ، فوفرت على نفسها كل محاولة مجهدة ، وبسطوا أيديهم بالعطايا المالية في كثير من السخاء .

وهذه معاوضة وتجارة معيبة ينكرها كل ذى شمم وطنى ، وكل ذى إباء دينى ، وخاصة إذا كان أحد طرفيها من كتاب أكثرهم ريفى النشأة ، وأكثرهم من أبوين مسلمين ، ولم تحالطهم في نشأتهم ميوعة ولا انحراف ، اللهم إلا جشع يغلب النفوس الخائرة ، ويدفع بها إلى المغامرات .

وإن كثيرين من شرفاء الأنفس أهابوا غير مرة بأصحاب النفوذ قديما وحديثا أن يكفوا أولئك الكتاب المغالطين باسم حرية الرأى ، وحرية الكتابة ، وحرية الخ ...

ولسكن الرجاء مع وجوب المبادرة إلى تحقيقه لا يزال في مدارج الأمل ، وربما زالت معوقاته في ساعة قريبة .

وليس معنى الاعتراض على هذه الدعايات المشئومة ، ولا معنى الأسف لإمهالها حتى اليوم ، أنها ظلت في فشوها كما كانت من قبل . . بل نلاحظ أنها تعثرت أخيرا في معوقات شديدة . . . منها أن الوعي الوطني امتشاط في يقظة واعية إلى ما يجب الأخذ به من حيطة في وجه الدعاة المخادعين الذين يمهدون للسياسات الدخيلة الماكرة : تلك السياسات التي تجد أيسر السبل في نفوذها أن تفت في الدين ، والخلق ، وتطفئ جذوة الغيرة على المقومات الأدبية ، وتهدم البنيان الشخصي . . . ومنها أن الحكم اليوم في أيدي أناس ليس في نفوسهم غواية ، وليس في طباعهم هواة ولا ميوعة ، فهم قدوة غير قدوة الأمس . وهم رجال ، ولا يعرفون سوى الرجولة ، وهم الذين انتزعوا الشباب من مخالب الرذيلة ، ونفثوا فيهم النخوة الوطنية ، إذ علموهم أن الوطن ينشد فيهم حماسة وحراسة ، واستنهضوهم إلى لقاء العدو في بأس شديد ، حتى أخلفوا ظن العدو بنا ، وعلموه أننا جميعا مجدودون للوطن ، ولا يشغلنا شيء سوى مجد الوطن ، والحفاظ على بيضته .

وإننا لنلاحظ أخيرا أن وجهة الشباب منذ الثورة أخذت تتحول في سرعة عن دعاة المجون ، وأرباب الغوايات ، وعن المجددين المخادعين .

وقد لمسنا في مناسبات عدة غيرة كمينة في طوايا الشباب أكثر مما كنا نفرض ، ورأينا الناس بطبيعتهم البريئة ، وفطرتهم الجدية ، يغارون على مقوماتهم الأدبية أكثر وأكثر مما كان مفروضا أن يوجد في أناس وصلوا بثقافتهم - كما يتحدثون - إلى مقام الجهر بالرأى ، ولكنه مع الأسف جهر بالرأى الفاسد المرذول الذي يحتاج كل معنى من معانى الكرامة . . ونحن نؤمن ونؤمن بأن كل نعمة شاذة ، وكل نزعة منحرفة ، إنما هي إلى بوار ، لأنها ناضجة من مهابط الرذيلة والباطل ، وإن خالها الأغرار أمر يرغب فيه .

ونؤمن ونؤمن بأن كل مقاومة للفساد إنما هي صولة للحق مهما صادفت عنتا . وطبيعة الحق غلبة ، وهزيمة للباطل ، وإن أقاموا له عمدا ، وشدوا له أركاننا . ثم : أليس يقول الله الحق تعالى : « إن الباطل كان زهوقا » ؟ ؟ . فمن أصدق

من الله قبيلا ؟ ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جامعة كبار العلماء

ومدير التفتيش بالأزهر

تبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد

أرسل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى السيد رئيس الجمهورية الكتاب الآتى منطوياً على الكشف الذى يليه خاصا بتبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد

السيد رئيس جمهورية مصر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فقد سبق أن تقدم الأزهر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بالشيخ رقم ٢٦٠٧٢٩ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف ومائة وسبعين جنيها كدفعة أولى إسهاماً منه فى مساعدته قوات الدفاع وإعانة المنكوبين فى بور سعيد .

وفى ٣ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ تقدم بالشيخ رقم ٦٨٤٣٢ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ خمسة آلاف من الجنيهات كدفعة ثانية للغرض نفسه .

واليوم يتقدم الأزهر إسهاماً فى هذا الواجب بالشيخ رقم ٦٩٦٦١ على البنك الأهلى المصرى بالقاهرة بمبلغ أربعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين جنيهاً وثمانمائة واثنين وتسعين ملياً كدفعة ثالثة .

والله نسال أن يحفظ للوطن عزته وكرامته ، ويحميه من اعتداء المعتدين ، وأن يمدكم بالنصر والتوفيق لما فيه خير مصر والعروبة والاسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

البيان

مبلغ	جنيه	
٢٥١	٤٧٥٣	من الماهيات والأجور والمعاشات والإعانات بواقع ٢ ٪ من ماهيات نوفمبر وديسمبر ١٩٥٦ ويناير ١٩٥٧ .
—	١٦٧٠	من استحقاق السادة المدرسين من نصيبهم فى وقفى مجد توفيق باشا وعثمان ماهر باشا .
—	٢٠٠٠	من جماعة كبار العلماء

مليم	جنيه	
١٨٥	٢٢	من الوعاظ (دروس السيدات)
٧٠٠	٣٠٩٥	» بعثة الأزهر بالسكوت
٧٩٦	١٩٢٣	» » » بالحجاز
٨٠٠	٢٦٧٣	» » » بالرياض
—	٤٤٠	» » » بالصومال
—	١٣٠	» » » بالسودان
—	١٥	» » » بحلقا
٦٨١	٧٦	» » » بسوريا
٩٦٦	٢٠٣	» » » بلبنان
٥٦٠	٤٩	» » » بليبيا
—	٨٠	» » » بأريتريا
—	١١٠	المركز الإسلامي بواشنطن
٦٥٣	٣٦٠	قيمة الـ ٢٪ من ماهيات المبعوثين عن نوفمبر وديسمبر ٥٦ ويناير ٥٧
٥٩٢	١٧٦٠٣	الجملة

السداد

مليم	جنيه	
—	٥١٧٠	دفعة أولى شيك للسيد رئيس الجمهورية
		شيك رقم ٨٦٠٧٢٩ في ١٢/١١/١٩٥٦
—	٥٠٠٠	دفعة ثانية شيك رقم ٦٨٤٣٢ في ٣/١٢/١٩٥٦
٨٩٢	٤٣٣٧	دفعة ثالثة شيك رقم ٦٩٦٦١ في ٢٨/٢/١٩٥٧
٧٠٠	٣٠٩٥	تبرعات مبعوثي السكوت أرسلت رأسا إلى السيد
		الرئيس عن طريق وزارة معارف السكوت .

٥٩٢ ١٧٦٠٣

الكتاب

الابداع ، في مضار الابتداع

لداعية الهدى الشيخ على محفوظ - الطبعة الخامسة ٤٥٨ ص -
دار الكتاب العربي

الزيادة في الدين كالتقص منه ، كلاهما مدرجة لتغييره وإفساده . والدين المحمدى هو الذى كان عليه الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، والذى كان عليه التابعون الذين أدركوا الصحابة واهتدوا بهداهم . فكل ما لم يكن معروفاً أنه من الدين في زمن الصحابة والتابعين فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . وقد كان للإسلام العزة والمسلمين السعادة والكرامة يوم كان المسلمون على بساطة الإسلام وطهارته كما كانوا في الصدر الأول ، ثم ما زال الأمر ينتكس بالتدريج بطروء البدع على الإسلام حتى صرنا إلى ما نرى .

السنة هي طريق المسلمين إلى الإسلام ، والبدعة ما خالف سنة الإسلام ، والعالم الشجاع هو الذى يدعو المسلمين للرجوع إلى سنة الإسلام ، وكان داعية الهدى الشيخ على محفوظ (عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله) في طليعة علمائنا الشجعان الذين رفعوا الصوت عالياً في عشرات السنين لانتشال المسلمين من قاذورات البدع ، بخطبه ومحاضراته ومقالاته ومؤلفاته . وكتابه (الإبداع ، في مضار الابتداع) كثر من كنوز الخير ، بل قلعة من قلاع الحق ، ولا خير فينا إذا لم يواصل علمائنا هذه الدعوة ، وإذا لم يثابر خيارنا على الاستجابة لها ، حتى تضمحل البدع كلها من دنيا المسلمين وتزول إلى غير رجعة ، فينشأ من المسلمين جيل قوى بقوة الإسلام ، قانع بفطرة الإسلام ، عامل على إقامة مجتمع إسلامي كالمجتمع الذى كونه حامل آخر رسالات الله محمد صلى الله عليه وسلم . فالى فطرة الإسلام أيها المسلمون ، وهذا الكتاب دليل لقافلة الخير إلى المجتمع الإسلامى المنشود .

رسالة رمضان

للاستاذ محمد عبد الله السمان — ٦٢ ص — مكتبة العلم بالقاهرة
 هذه الرسالة دراسة تحليلية لرسالة رمضان : الروحية .. والإنسانية .. والخلقية .
 ويبحث ممتع شيق في ذكريات الشهر الحليل القدر ، وقد روى فيها سهولة الأسلوب ،
 وتركيز المعاني ودقة البحث . وقد أهداها إلى رواد شهر رمضان الذين يتعشقون قربه ،
 ويرحبون بمقدمه . وما ألفتها من هدية .

مجلة معهد الاسكندرية الديني

السنة الثانية (شعبان ١٣٧٦) — ٢٤٠ ص — مطبعة الأزهر
 نوهنا في ص ٥٦٥ من السنة الماضية لهذه المجلة بالجزء الأول من مجلة معهد الاسكندرية
 الديني ، وقلنا إنه جزء يغني باتقانه وغازاة مادته وسمو أهدافه عما لو كانت المجلة شهرية .
 وجزء هذه السنة من مجلة معهد الاسكندرية الديني أغزر مادة من أخيه في السنة
 الماضية ، وقد افتتحه فضيلة شيخ المعهد الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون بمقال
 نفيس تحدث فيه عن سيف الإسلام إذا كان في قبضة قوية من أهله الصادقين وكيف
 يفتح طريق الحق والخير للإنسانية ، وإذا كان في الأيدي الهزيلة كيف تتداعى الأمم على
 أهله كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وهو يقول : لم يكن عجزنا عن الخلق بأسلافنا الأجداد
 في التجديد والبناء لأننا أنقص منهم في مقومات البشرية الواعية المفكرة ، وإنما مرد
 عجزنا إلى فقدان الروح الإسلامى المجدد الوثاب بما خدعنا به الاستعمار الفكري
 والروحي — وهو أشد وأنكى من الاستعمار السياسى — من نعمة التسامح الديني في تزويرات
 خبيثة بها انخدع المستضعفون ، فألقت بنا إلى هوة الكسل البليد والجود الميت . ثم تكلم
 عن الثورة المصرية وأثرها في البعث التجريدى للعرب ، وعن الاستعباد الفكرى وأنه
 أسوأ أثرا من الاستعباد السياسى ، وتخلص من ذلك إلى واجب العلماء والمصلحين .

وإذا كانت هذه المعاني هى فاتحة المجلة ، وهى كالعنوان لها ، فالكتاب كله يعرف
 من هذا العنوان . والمجلة مقسمة إلى أبواب : باب الدين والاجتماع ، باب الأدب
 واللغة ، باب العلوم ، الفتاوى ، النشاط الثقافى ، النشاط الرياضى .

فشكرا لمعهد الاسكندرية الديني ولفضيلة شيخه ورجاله على هذه التحفة ، والمأمول
 من طلبة المعهد أن يتخذوا من قلوبهم وأرواحهم حقلا لزراعة هذه المبادئ الإسلامية
 وتموين العالم الإسلامى بثمراتها .

الأدب والعلوم

الاتحاد الثقافي العربي

تم في دمشق توقيع الاتحاد الثقافي العربي بين مصر وسوريا والأردن ، وهو يتضمن ١٥ مادة و ٧ ملاحق ويستهدف بناء جيل عربي يؤمن بوطنه ، ويشق بنفسه وبأمنه ، ويملك أداة النضال المشترك ، وأسباب القوة والعمل الإيجابي ، ويرمى إلى التعاون بين الدول الثلاث في ميادين العلم والتربية والثقافة ، وتبادل المعلومات والأساتذة والمؤسسات الفنية والخبراء .

والدول المتعاقدة ترمى إلى أن يكون هذا الاتفاق سبيلًا للوحدة الثقافية العربية الشاملة ولهذا فهي ترحب بانضمام الدول العربية الشقيقة ، وذلك بمجرد إبلاغ الحكومة المختصة رغبتها في الانضمام ، على أن تبلغ رغبتها هذه إلى سوريا التي نص على أن تكون (دولة إبداع) لهذه الاتفاقية . وأن تعمل الدول المتعاقدة على توحيد التشريعات والأنظمة الخاصة بالتربية والتعليم والثقافة ، على أن يتم التنفيذ الكامل لذلك في فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات .

وأقرت الاتفاقية ما قرره مؤتمر توحيد المناهج والمراحل التعليمية - ونشرناه في باب الأدب والعلوم من الجزء الماضي - وهو أن تكون مراحل التعليم ثلاثًا ، الأولى

الابتدائية ومدتها ست سنوات ، والثانية الإعدادية والثالثة الثانوية ومدة كل منهما ثلاث سنوات . وستضع وزارات التربية في الدول الثلاث العناصر الأساسية للمناهج الدراسية الموحدة قبل بدء العام الدراسي لسنة ١٩٥٨

مكافآت للمتفوقين الأزهريين

قررت إدارة الأزهر توزيع ١٥٠٠ جنيه على المتفوقين من الطلبة الأزهريين في امتحانات الشهادات الابتدائية والثانوية والعالية ، هذا عدا مكافآت المسابقات الصيفية وأموال الأوقاف الموجودة لمثل هذا الغرض .

الفرنسية والألمانية

لمناسبة المعرض الصناعي الذي أقامته ألمانيا الغربية في مصر ، كتب رئيس تحرير الأهرام في باب (ما قل ودل) ينصح لآباء الطلبة المصريين بأن يوجهوا أبناءهم لتعلم الألمانية بدلًا من الفرنسية - ومعلوم أن هذا الكاتب كان إلى زمن قريب من دعاة الأدب الفرنسي والثقافة الفرنسية - فأعلن الآن :

أن الألمانية لغة الصناعة والتجارة والابتكار والإبداع ، فهي لغة الغد ، وليست لغة الأدب الفرنسي الإباحي الذي يمثل الآن أقدر ما في آداب العالم جميعًا .

بوليس لحماية الأحداث

وافق وزير الداخلية المصرية على مشروع إنشاء بوليس يتخصص في البحث عن عصابات استغلال الأحداث وإفسادهم ، ومراقبة الأحداث المنحرفين بالشوارع والميادين ، والبحث عن الأحداث المفقودين ومساعدتهم في العودة إلى ذويهم ، وحماية الأحداث بوجه عام ، وتسجيل المعلومات والإحصاءات الخاصة بذلك لدراستها وتقديمها إلى الجهات المعنية بحالات الأحداث .

وسيتيم إنشاء هذا البوليس على مراحل ، تبدأ المرحلة الأولى في القاهرة ، والثانية في الإسكندرية ، ثم يعم بالتدريج في أمهات المدن المصرية .

ويقع هذا البوليس قسم جماعة الآداب بالإدارة الجنائية بوزارة الداخلية الذي سيكون عنوانه « قسم جماعة الآداب والأحداث » وستقوم مكاتب بوليس حماية الآداب بواجبات بوليس حماية الأحداث ، ويساهم مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، وغيرها من الهيئات الاجتماعية ، في إنشاء وعي عام بمشاكل الأحداث .

الامتحانات

في برقية من همبرغ أن خبراء التعليم وعلم النفس في ١٥ دولة من دول اليونسكو قرروا فشل وسيلة الامتحانات للدلالة على فهم الطلبة للعلوم واستيعابهم لها .

هكذا ما جاء في (ماقل ودل) ، ولو أن هذه الحقيقة أدركها في سنة ١٩١٩ الشيخ الذي نهل من الأدب الفرنسي في باريس ثم جاء فتتلمذ عليه مباشرة أو بالواسطة جميع الذين يصدر عنهم وعن المتأثرين بهم ما أصيب به جونا الثقافي من بلبلة واضطراب فكري لكانت مصر اليوم سائرة إلى المعالي في غير الطريق الذي أفاد منه الاستعمار ودفعنا إليه

المدارس الكاثوليكية بالسودان

أعلن المؤتمر الوطني الكاثوليكي في الولايات المتحدة أن حكومة السودان قررت (تأميم) المدارس التابعة لإرساليات التبشير الكاثوليكية ابتداء من أول أبريل (أول رمضان) .

وقدر المؤتمر أملاك الكنيسة الكاثوليكية في السودان بنحو ثلاثة ملايين دولار .

العرب عرفوا طريقهم

قالت صحيفة (بافالو ايفنينغ نيوز) الأمريكية : « إن الشرق الأوسط لا يقف الآن على مفترق الطرق في جغرافية العالم وحسب ، بل هو يقف كذلك على مفترق الطرق في تاريخ العالم . إن العرب في الوقت الحاضر يرون الطريق أمامهم بوضوح ، وهم يعرفون ما ذا يريدون ، وكيف يصلون إلى ما يريدون . »

إن الأمم العربية تعمل اليوم جاهدة لتقديم بلادها في مختلف النواحي .

إنباء العالم الإسلامي

القوات السعودية بالعقبة

عقد اتفاق بين مصر والمملكة العربية السعودية والأردن على أن تعسكر قوات سعودية جديدة في ميناء العقبة الأردني ، عقب انسحاب القوات البريطانية من قاعدتها هناك . وقد دخلت القوات السعودية بالفعل منطقة العقبة ، وهي على استعداد للتحرك إلى القاعدة متى تم انسحاب البريطانيين عنها . وكانت وحدات من القوات السعودية والقوات السورية قد رابطت على حدود الأردن المشتركة مع حدود إسرائيل عقب الاعتداء الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر الماضي .

مذكرة مصر بشأن القنل

بمناسبة استئناف قناة السويس نشاطها الملاحي قريبا ، سلمت مصر إلى دول العالم مذكرة أعلنت فيها أنها تؤمن باحترام الاتفاقيات الدولية ، وستطبق اتفاقية سنة ١٨٨٨ نصا وروحا ، وستحصل مصر رسوم القناة كاملة ، وتودع قيمة الرسوم في البنوك التي تعينها الهيئة ، وسترصد الهيئة المصرية ٢٥ في المائة من دخلها السنوي تودع في البنك الأهلي أو بنك التسويات الدولي للاتفاق منها على صيانة القناة وتحسينها ، وتخصيص الهيئة المصرية

٥ في المائة من دخلها السنوي كرسوم امتياز تحصله الحكومة المصرية سنويا ، أما فئات الرسوم فتبقى كما هي بدون زيادة عملا باتفاقية سنة ١٩٣٦ المعقودة مع الشركة المؤممة طبقا لقرار ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وأى خلاف في ذلك تقبل مصر مبدأ التحكيم أو عرض الأمر على محكمة العدل الدولية .

وتتناقل الأنباء يوميا من جميع أنحاء العالم تصريحات على لسان المسؤولين في الدول الغربية عن حق مصر في إدارة القناة ، وكان آخرها تصريح رئيس وزراء كندا بأن إدارة مصر للقناة حق لا ينازعها فيه أحد .

روسيا تنذر فرنسا وإسرائيل

أذاع راديو موسكو إنذارا من الدوائر الحاكمة في الاتحاد السوفيتي بأن المستعمرين وأعدائهم لا يزالون يلعبون بالنار ، ويستخدمون لإسرائيل أداة للقيام بعمل استفزازي خطير ضد مصر والبلاد العربية الأخرى ، بدليل التصريحات التي أدلى بها أخيرا بن غوريون بأن إسرائيل ستحقق بالقوة مطالبها فيما يتعلق بالملاحه في خليج العقبة ، وقد اعتبرت الدوائر الدبلوماسية الغربية الإنذار الروسي بمثابة هجوم مضاد للتصريح الذي أدلى به كريستيان بنو وزير

همجية فرنسا في الجزائر

وقع ٣٧٥ من كبار الشخصيات الفرنسية على احتجاج موجه إلى حكومتهم لخرقها القوانين الوضعية والإنسانية في الجزائر، بما تقوم به من تعذيب المجاهدين المعتقلين، فلا هي اعتبرتهم من جيوش الأعداء فعاملتهم بالضمانات التي كفلتها معاهدة جنيف لجنود الدول المعادية، ولا هي اعتبرتهم من رعايا فرنسا فاعترفت لهم بالحقوق التي تمنحها قوانينها للمواطن الفرنسي. وعابوا على حكومتهم ارتكابها جريمة إعدام الرهائن الأبرياء دون محاكمة، وقيامها بالأعمال الوحشية والسلب والتدمير الشامل في القرى للارهاب أو لالاخذ بالثأر، إلى غير ذلك مما لا يصلح عذرا للوحشية ولا تستطيع أن تتنصل من مسؤوليته حكومة متمدنة.

أستاذ قانوني فرنسي

يحتج على همجية فرنسا في الجزائر بعث البروفسور رينيه كابيتان (أستاذ القانون في جامعة باريس وأحد زعماء فرنسا الحرة خلال الحرب الماضية) الرسالة الآتية إلى ميسيو رينيه بليير وزير معارف فرنسا: «علمت الآن من نشرة الأخبار التي أذاعها الراديو أن علي أبو منجل انتحر في مدينة الجزائر بأن ألقى بنفسه من السطح، فرارا من الاستجواب الذي كان عليه مواجهته. لقد

خارجية فرنسا وأكد فيه استمرار التأييد الفرنسي لإسرائيل.

وذكرت وكالة تاس أن الدوائر الحاكمة في روسيا تؤكد أن روسيا كانت ولا تزال خصما شديدا للمعارضة لاستخدام القوة ضد بلاد الشرقين الأدنى والأوسط، وأن شن عدوان جديد على مصر سينشئ حالة خطيرة تهدد تهييدا مباشرا بوقوع نزاع مسلح على نطاق واسع وستكون لذلك عواقب وخيمة على قضية السلام. والدوائر الحاكمة في الاتحاد السوفيتي تندد في تصميم وعزم بموقف المتطرفين في كل من فرنسا وإسرائيل لأنهم بدلا من المعاونة على تسوية الموقف بالشرق الأوسط تسوية مسامية، يعملون عامدين على إلهاب المشاعر وتهيئة الجو لمغامرات عسكرية جديدة منطوية على خطر.

ذكرى استقلال تونس

اشتركت أكثر من خمسين دولة في الاحتفال الأول الذي أقامته تونس لذكرى مرور سنة على استقلالها. وقد قاطع الوفد الفرنسي هذه الذكرى والحفاوة بها لأن تونس أحسنت استقبال ممثلي الجزائر في هذا الاحتفال. وقد سافر إلى تونس لتمثيل مصر السيد حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية والعمل، وكان يحمل معه إلى پای تونس رسالة من الرئيس جمال عبد الناصر مصحوبة بقلادة النيل التي قدمها له في حفلة بهيجة.

والإخاء الموقف السياسى الدولى والوضع السياسى العربى والصلات التى تربط بين الشعبين الشقيقين السودانى والمصرى ، وأعرب الحائبان عن إيمانهما العميق بضرورة المضى قدما فى سياسة تحقيق عزة الوطن العربى والأهداف القومية العربية بانتهاج سياسة استقلالية وتحقيق استقلال تحرير الوطن العربى والمحافظة على حقوقه المشروعة وكيانه السياسى والاقتصادى .

وتحقيق الأهداف القومية العربية بكل ما تعنيه من تحرر ووحدانية سياسية ، والتمسك بسياسة الحياد الإيجابى والبقاء بعيدا عن ميدان الحرب الباردة ورفض أى محاولات لجر بلديهما للأحلاف الأجنبية . كما يصادقان من يصادقهما على أساس المصلحة العربية وحدها ، ويعتقدان أن إسرائيل يساندها الاستعمار تشكل خطرا على البلاد العربية وتهدد السلام فى الشرق الأوسط . والسعى إلى تحقيق العدالة الدولية وتوكيد المساواة والسيادة بين الدول ، وأن لأية دولة عربية أن تدرس أى عون اقتصادى يجرى من أية جهة ورفض أى عون اقتصادى يمس سيادتها واستقلالها بطريق مباشر أو غير مباشر أو يضار به أى قطر عربى شقيق . والأخذ بأسباب نهضتهما وتعاونهما المشترك الوثيق لتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية بما يعود على الشعبين الشقيقين بالخير والرفاهية .

كان على أبو منجى تأميدا لى فى كلية الحقوق بمدينة الجزائر عندما كنت زعيم حركة المقاومة فى شمال إفريقيا ، وقد صدمنى نبأ موته فى هذه الظروف . وما دامت حكومة بلادى تأمر بهذه الإجراءات التى لم تلجأ إليها مع الأمري الألمان حتى فى زمن الحرب ، أو ما دامت تغض النظر عنها ، فإن أشعر بالقدرة على التعليم فى كلية حقوق فرنسية ، ولهذا سأتوقف عن محاضراتى . أفصلونى إن شئتم أو استطعتم ، إننى سأقابل بالسرور كل ما يساعد على إعلان احتجاجى على هذه الأعمال التى من شأنها تلويث سمعة فرنسا »

فرن ذرى فى مصر

أعلن فلاديمير بارسكوفسكى مستشار الوفد الروسى فى الأمم المتحدة أن روسيا وقعت اتفاقا مع مصر لإنشاء فرن ذرى ومعمل ملحق به للأبحاث الذرية ، وأن الاتحاد السوفيتى سيقوم بتدريب المصريين على تشغيل الفرن ، وهو صغير الحجم طاقته ٢٠٠٠ كيلووات ، وسيستخدم فى أغراض البحث والتدريب غير مرتبط بأية شروط

مصر والسودان

عقد فى القاهرة فى اليوم الثالث من رمضان اجتماع مصرى - سودانى حضره رئيس الجمهورية المصرية ووزير الداخلية المصرية وآخرون ، ورئيس الوزارة السودانية ووزير الخارجية السودانية وآخرون ، وتناولت المباحثات فى جو مفعم بالود

الفهرس

صفحة	الموضوع	بسم
صوم رمضان	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	
٨٠١ من البليلة إلى الاستقرار	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير	
٨٠٧ نفحات القرآن: توجيه الناس إلى مسالك الأرزاق	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء	
٨١١ السنة: سبيل المؤمنين	» طه محمد الساكت	
٨١٥ الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة — ٢ —	» محمد محمد حسين	
٨٢١ المثالية الواقعية في الفكرة الدينية — ٢ —	» فنجي عثمان	
٨٢٥ موقفنا من الدين	» أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر	
٨٣٠ من هدى الرسول في رمضان	» محمد محمداً بوشبة الأستاذ بكلية أصول الدين	
٨٣٤ السينما وتأثيرها على المراهقين والأحداث	» أحمد طه السنوسي	
٨٣٨ أوضاع الهلال وورثته	» محمد أبو العلا البنا	
٨٤٢ عقيدة التوحيد	» محمد عبد التواب	
٨٤٤ أمين هذه الأمة	» محمود النواوي	
٨٤٩ صفحة من تاريخ الأزهر: الشيخ الجوسقي	» محمد فهمي عبد اللطيف	
٨٥٤ الأزهر وعيد الأم	» محمد فهمي إسحاق	
٨٥٦ الامام محمد بن إدريس الشافعي	» عباس طه	
٨٦١ الفتاوى	» محمد الطنيجي عضو جماعة كبار العلماء	
٨٦٥ المؤمن الحق	» أبو الوفا المرافى	
٨٦٩ أعياد ومواسم وذكريات	» محمد علي النجار	
٨٧٢ لفويات	» محمد عبد السلام التبانى	
٨٧٦ استلف واستدلف وقساف	» محمد زكريا البرديسي	
٨٧٨ حكمة مشروعية الرق في الاسلام	» عبد المزمع عبد الستار	
٨٨١ زرية روح المقاومة في الأمة	» عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء	
٨٨٥ قلميقات: نقطة دينية محدودة		
٨٨٧ تبرعات الأزهر لمدينة بورسعيد		
٨٨٩ الكتب		
٨٩١ الأدب والعلوم		
٨٩٣ العالم الاسلامي		

المجلة

»

»



مُزَيَّرُ الْجَمَلَةِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَيْنِي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول كل شهر عربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُحِبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ

الإشراك السنوي

أسماء
في وادي النيل ٤٠٠
لطلبة وادي النيل ٤٠٠
لأعضاء والمدرسين بالأزهر ٣٠٠
خارج الأزهر ٥٠٠
لطلبة خارج الأزهر ٣٠٠
لأعضاء والمدرسين خارج الأزهر ٤٠٠

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال ١٣٧٦ - ١ مايو ١٩٥٧ - المجلد الثامن والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لماذا نحب

المكتبة الأزهرية

رقم خاص ١٢
رقم عام ٢٤٤٤٦
أسماء الكتاب
الذات

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه
ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة
والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين
فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين
صدقوا ، وأولئك هم المتقون » البقرة ١٧٧

الصورة المثالية فى الإسلام للرجل المسلم أن يعيش ما عاش مؤمنا بالله ، متوخيا مرضاته ،
مقيا للحق ، متعاوننا مع الناس على الخير ، صادقا فى عهده ووعده ، صابرا على شدائد
الحياة ، مجاهدا مع المجاهدين فى قمع الباطل والشر والتنكيل بأهلهم فى السلم والحرب ،
إلى أن تعلو كلمة الله فى الأرض ، وتبلغ الإنسانية مستواها النبيل الذى أراد الله لها
فى كتبه ورسالاته .



وقد ينتهز الشيطان في الرجل المسلم بعض نواحي الضعف التي هي من مقتضى بشريته ، فيغريه بارتكاب القليل أو الكثير من الإثم ، ثم يتداركه الله بالتوبة النصوح ، فيعود إلى الصورة المثالية التي أرادها له الإسلام ، ويكون منه ذلك الفارس الحمدي الصادق في عهده ، الوفي في وعده ، الصابر على مشاق الحياة ، الكادح في سبيل الحلال ، مسالماً متعاوناً رحيماً في السلم ، محارباً قوياً نبيلاً في ميادين الجهاد ، قائماً بالحق متعاوناً مع أهله ، محباً للخير عاملاً على إذاعته وتعميمه بين الناس .

الآثام هي أضرار النفس الإنسانية في نظر الإسلام ، وسبيل الخلاص منها إزالتها ومحوها بالتوبة النصوح . فالتوبة لنظافة النفس كالوضوء الذي يباشر به المسلم صلاته إذا أراد الوقوف بين يدي الله يناجيه ويقرّ له بالطاعة ويسأله المعونة والهداية في التزام الصراط المستقيم .

غير أن من الأضرار ما لا يكفى الوضوء في إزالته ، ف يشعر بالحاجة إلى الاستحمام ، وهو من نعيم الدنيا . وأضرار النفس التي نسميها « الذنوب » قد نحتاج في تطهير النفس منها إلى أكثر من التوبة العابرة ، نحتاج إلى أن نتخلى عنها كلها لذستأنف الحياة النظيفة من جديد . والحج هو الحمام الذي يتخلى فيه المسلم من ماض تراكمت فيه أضرار الخطأ والإثم التي تماهاها النفس الإسلامية ويكرهها الله ، لذستأنف بعده حياة جديدة هي حياة النعيم التي ترتاح لها النفس الإسلامية ويحبها الله .

وفي المسلمين كثيرون كانوا ولا يزالون يشعرون بحاجتهم إلى تجديد النفس بالحج ، ملتجئين فيه هذا التطهير من أضرار الذنوب ، لذستأنفوا بعدها حياة نقية فيها الراحة وفيها النعيم . وقديماً قال شاعر من أسلافنا - فيما أنشده المهجري - كما جاء في معاجم العربية الكبرى ، لسان العرب وتاج العروس وغيرهما :

تركت احتجاج البيت حتى تظاهرت على ذنوب بعدهن ذنوب

فالحج تجريد للنفس من ماضيها المشوب بالإثم ، ومن ثم فهو تجديد للحياة ، وبقدر ما تصدق نية المسلم في ابتغاء هذا التجديد من الحج يكون حجه مبروراً ، و « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

إن سفائن البحر والبر والحق ستنتجه - فيما بين صدور هذا الجزء من مجلة الأزهر والجزء الذى بعده - مزائلة كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى حاملة حجاج المسلمين من الصين وإندونيسيا والملايا والقارة الهندية ، ومن شمال إفريقيا وغربها وأعماقها وشرقها ، ومن ليبيا ومصر والسودان ، والشام والعراق ، ومن كل مكان ، قاصدة الكعبة بيت الله الحرام وعرفات ، وسائر تلك البقاع المباركة التى أقام الله فيها بيد أبى الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل أول بيت قام لتوحيدہ والنسباء بدعوته فى الأرض . وبالرغم من حرص النظام الاستعمارى منذ مائة سنة إلى الآن على صد الناس عن حج بيت الله الحرام وإقامة العوائق والصعوبات فى طريقهم إليه ، فإن عدد الحجاج المسلمين ما برح يزداد ويزداد عاما فعاما ، حتى عزم الملك سعود - جزاه الله خيرا - على توسيع الحرم المكى لتكون مساحته بعد التجديد خمسة وسبعين ألف متر مربع ، وسيكون ما حول ساحته من طابقين ، وسيستوعب لمائتى ألف وخمسين ألف مصل من الحجاج الوافدين وسكان أم القرى ، وسيجهز بالمراوح وأجهزة تكييف الهواء اتقاء لوطأة الحر فى أشهر القيظ ومحافظة على صحة ضيوف بيت الله المعظم .

لقد يسر الله سبل الحج فى هذا العصر ، وتوطدت فيه دعائم الأمن بما لا عهد لحجاج المسلمين بمثله إلا فى صدر الإسلام وزمان التابعين والتابعين لهم بإحسان . والمسلمون الآن فى إقبال عظيم على إقامة هذه الشعيرة من شعائر الإسلام ، حتى بلغ عدد الذين يقفون فى عرفة ويطوفون بالكعبة بيت الله الحرام فى هذه السنين رقبا قياسيا لا نظير له فى التاريخ .

ولكن بقى أمر آخر يجب أن يعرفه المسلمون جميعا ، ويجب أن يؤمن به الحجاج منهم ويعملوا به ، وهو أن العبادات كما أن لها أركانها ومناسكها لا تتم إلا بأدائها ، فإن لها كذلك حكمة عالية ومقاصد سامية هى روحها ، وهى سببها الأول ، وهى الغاية القصوى منها .

فالصلاة وصفها الله عز وجل (فى سورة العنكبوت ٤٥) بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإن تكبير الله فى إحرامها وفى أركانها يصغر أمر الدنيا كلها فى نفس المصلى حتى يرى أنها لا تساوى بخزائنها وكنوزها ارتكاب جريمة تتغير بها هذه الصفة الإلهية للصلاة ، فالمصلى - الذى يعلم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - يستحى من الله وهو

يعلن عن عظمتة بجملة « الله أكبر » أن يكون هو الذى ينقض صفة صلاته بما يستبيحه من بعض مخازى الفحشاء والمنكر ، وأكثرها شيوعا الكذب والغش والغيبة والنميمة ، بل يستحى من ربه وهو بين يديه يخاطبه طالبا منه أن يهديه الصراط المستقيم ، ثم لا يكاد ينقل من صلاته حتى يخرج بشيء من أقواله أو أفعاله عن الصراط المستقيم .

والصائم الذى سمع ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم من قول الصادق المصدوق : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » يستحى من الله ومن رسوله ، بل يشفق على نفسه وعلى صياحه ، أن يصدر عنه شيء من قول الزور أو العمل به . وأى إثم فى الدنيا لا يدخل تحت هاتين الكلمتين : قول الزور ، والعمل به ؟ إن هذا الحديث المحمدى من جوامع الخير إلى يوم القيامة .

والحج ، هذه الشعيرة من شعائر الإسلام ، يقبل المسلمون على إقامتها والمسايرة إليها بشغف ونشاط وارتياح ، ويدخلون لنفقاتها كرائم أموالهم ، والحلال الطيب من نقودهم ، فلماذا نقصر فى إرشادهم إلى الحكمة الإلهية فى الحج والمقاصد الإسلامية منه ؟

لماذا لا نقول لهم إذا بلغوا أعلام الحرم وحدوده ، وخلصوا عنهم المخيط من ملابس الحضارة ليلتفوا بمآزر الفطرة من لباس الإحرام : إننا نخلع مع ثياب الحضارة ما أغرانا به الشيطان من آثامها وزلاتها ، إننا اليوم أمام فرصة أنم الله بها علينا لتتوب إليه توبة نصوحا من كل ما اقترفنا قبل اليوم من إثم ، وعلينا الآن أن نبرأ إليه من زلات الماضى ونتطهر من أوضاره ، لنسدخل فى حياة جديدة نعهد الله على أن تكون حياة نظيفة يرضاها لنا ، ويثيبنا عليها بسعادة الدنيا والآخرة ؟

لماذا لا نقول لهم : إننا إذا هتفنا نناجى الله بكلمة « لبيك » لا معنى لذلك إلا أننا نعقد عقدا بيننا وبين الله على الاستجابة لكل ما هدانا إليه من مبادئ الإسلام العالية ، وهداياته السامية ، واجتناب كل ما يندس حجبنا ويسخط ربنا ما دمنا أحياء إلى أن نلقاه مع أوليائه وصفوة عباده الصالحين ؟

لماذا لا نقول لهم : إننا بتوجيه كلمة « لبيك » لله وحده عز وجل نعرف لربنا ولأنفسنا بأننا لا نطلب الخير والنفع إلا منه ، ولا نشرك به أحدا غيره من نبي أو ملك أو ولى فضلا عن غيرهم ، وأن كل ما سوى الله مخلوق له ، وكل مخلوقاته - على مراتبهم - محتاجون إليه ، ملتصقون رحمته ، ولا يكون منهم شيء إلا بأذنه ؟

إن مشركى الجاهلية كانوا فى حجهم يلبون الله كما نلبيه نحن فى الإسلام ، غير أنهم كانوا يستثنون فيقولون : « إلا شريكاً هو لك ، تماككه وما ملك » . بخفاء الإسلام ليبطل هذه المثوية ، وليوجه قلوب الناس إلى الله وحده .

لماذا لا نقول لهم إذا جاءوا لرمى الجمرات فى منى : إن هذه حرب يعلنها الإسلام على الشيطان وحزبه وتسويلاته ، وإننا كلما خطر بباننا بعد اليوم خاطر نعلم أنه يسيخط الله يجب علينا أن نعلم أن هذا الخاطر من تسويل الشيطان ، وأنه عدو لنا ، وأننا آذناه بالحرب ونحن نرمى هذه الجمرات فى الحج ، ومن تمام الحج - بعد الحج وما دام الحج على قيد الحياة - مواصلة مخالفة الشيطان واعتباره العدو الذى لا ينبغى للعاقل أن يغفل عن وساوسه وينقاد لتسويلاته .

أهم شىء فى العبادات - ومنها أدعية الحج - أن نعقل معانى ألفاظها ، وأن نعلم أن هذه المعانى تنعقد بها العهود بين المخلوق والمخلوق ، وأن المخلوق ينبغى له عقد العزيمة على توخى ما يدعو الله به ، وإلا فإنه لا يكون جاداً بدعائه ، ولا يكون دعاءه مستجاباً . ولو أن كل مسلم إذا قال لربه فى صلاته : « اهدنا الصراط المستقيم » تصور معانى هذه الكلمات وتأمل فى مدلولاتها وعقد عزمه على توخى الصراط المستقيم فى تصرفاته الشخصية ، وفى معاملاته مع الناس ، لكان المسلمون بهذه الكلمة وحدها أمة صدق واستقامة وخير ، وكان ذلك منهم أبرع إعلان عن الإسلام فى أعم الأرض ، وأنه النظام الذى تبحث عنه الإنسانية ولا تزال تأتاه عنه .

أيها الواعظون فى الحج ، أوصلوا هذا الخير إلى نفوس إخوانكم الحجاج وقلوبهم ، علموه لهم كما تعلمونهم مناسكهم . وإذا أفلح الحجاج - عاماً فعاماً - فى الانخلاع من الماضى والتطهر من أوضاره ، ونووا صادقين أن يجددوا عهدهم مع الله على تجديد حياتهم بما يرضيه ، فانهم سيعودون - إن شاء الله - إلى أوطانهم حاملين معهم نصيباً مباركاً من رسالة الإسلام كما بعث الله بها حامل أكل رسالاته ، وأرجو أن نعمل بذلك من عامنا هذا ، ليعود إلينا النور والهدى من بلاد النور والهدى ، والله ولى العالمين .

حج الربيع الخطيب

فتح القرآن

- ٥٠ -

التقليد في الخطأ مهانة ، ومهلكة

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ،
قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ! !
أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » .

١ - حينما نزل القرآن بعارفه وآدابه : كان عرب المدن وأعراب القرى على بعد شاسع من دعوته لفشو الجهالة ، وتحكم العصبيّة ، وجود الأفهام والأذهان عن استبدال مبدأ بمبدأ .

ودعوة القرآن كانت رحيمة بهم ، لا تعاجلهم بالمهانة ، ولا تسبق إلى تخويفهم بالإنذار ، لأن طبيعة القرآن رفيق وتلطّف ، وهو شفاء ورحمة ، وسياسته دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى إذا ما وضحت للأفهام وجهته ، ونهضت على المتخلفين حجته ، كان للقرآن أن يشتد ويشدد ، وأن يلهمهم بأسلوبه ، ويقدح في وجوههم نار وعيده ؛ ليهز تلك القلوب الغلاظ ، وينفذ إلى دخالها القاتمة ، أو ليركهم وقد انصرفوا عن دعوته ، وتشبثوا بباطلهم ، ورضوا لأنفسهم بسوء العاقبة ، « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ، واسكن الناس أنفسهم يظلمون » .

٢ - وانظر - مثلاً - إلى ذلك الأسلوب الرحيم العذب يدعو به مجد - صلوات الله عليه - قومه ، وأمته « تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول » .

فهو يدعوهم إلى شيء من عند ربهم ، ليستخدموا عقولهم في فهمه ، ويقفوا منه موقف الفاحص الفطن ، وحينذاك ينجحون إلى صوابه عن بينة ، ويتخيرون ما يلمسون

خير : دون أن يقحمهم في الأمر على غير بصيرة ، ودون أن يكلفهم على ذلك أجرا ، ولكن انظر إلى الجهل إذا أطبق ، وإلى الذهن إذا تغلق ، فهم لا يجيبون بعلم يفهمونه ، ولا برأى يناقشونه ، بل يقولون : « حسينا ما وجدنا عليه آباءنا » فهذا انكماش خائر عن مسابقة الدعوة في وجهتها القاصدة ، وهو تزهّد في الخير الذي يستقبلهم ، وعكوف على الباطل الذي غمرهم ، ويمتد في مرمى أنظارهم ، والقرآن يعجب من إنكارهم لأنفسهم ، وتقليدهم لآبائهم ، ويبدى أن الأتعجب من هذا تقليدهم لآبائهم وهم لا يشهدون لهم بعلم ، ولا يعرفونهم برشد واهتداء . . وإنما هي عصبية ترين لهم القبيح ، وتحبب إليهم البغيض ، وتقذف بهم عن التفاهم المنصف : فيقول الله تعالى : « أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟ ؟ »

يعنى أن التقليد مجردا عن التعقل معابة ونخزى ، فما بالك إذا كان تقليدا لغير عالم ولا مهتد ؟

إن أولئك الآباء لا يصلحون للقدوة لأنهم كانوا جهلة مجردين من المعرفة ، وكانوا في غباوة وعمى ، فلم يكونوا على صواب في أنفسهم حتى يصلحوا قدوة لمن بعدهم .

والجهد في ذاته آفة عقلية ، تنجم عن بداوة غاشمة ، ويؤثرها تحيز المرء إلى شيء يظنه صوابا ، ويراه شعار آرائه أو من ينتمى إليهم ، وناهيك بالعرب الذين كانوا يرون عزتهم في التشيع للأنسب ، ويرون الحفاظ على تقاليد الآباء لونا من ألوان النسب الماجد .

وإذا كان القرآن يحدثنا بذلك عن أولئك ، فإنه يوجهنا إلى أن التقليد والتشبث به يحجب الهداية إلى الحق عن ولوج القلب ، ويبعد المرء عن تيار الحياة الراشدة .

وإنه لخلق بالإنسان أن يعجب من نفسه حينما يقلد غيره ، وهو عالم بأن الغير جهول ، أو بعد أن يعلم أنه جهول . . والجدير بالمرء - وقد وجهنا القرآن - أن يبحث في نفسه ، ويحرص على الاستفادة بما وجهنا إليه ، وعلى العلاج بما هو الدواء الذي تجاھله الأولون ، وشغلهم عنه مفاتنهم ، حتى ضاعت عليهم الفرصة ، وأصبحوا مضرب المثل في المهانة ، والتشيع بالجهال ، وبتقليد الجاهلين .

ذلك الدواء الذى وصفه لنا الحكيم العليم : هو الرجوع إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، وفى هذا - لاشك - صلاح للدين وللدنيا ، أو فيه على أقرب الفروض صلاح لحساب من الحياتين لمن قعدت به همته عن الجمع بين الناحيتين .

نكتب هذا ونشعر بأن فى القراء وفى الناس عامة من يتخلل من أخذ نفسه بذلك الأدب : لزعمه صوبة فى الأمر ، أو تكليفا يضايق النفس ، أو يتخلل زاعما أن أوجيها إلى أهداف القرآن سبيل الواعظين الذين يسرفون فى الترهيب .

والحق أنها مزاعم وهمية ، وحى من نزغات الشيطان ، فانها لم تقعد بواحد من المهتمين لأنفسهم ، ولم تكن صارفة لمن جربوا ، وسلكوا دنياهم فى نشاط ، ثم لم يقطعوا أنفسهم عن دينهم ، ولم يبالغوا فى إرهابها ، وإنما عرفوا أن الأمر لا يعدو الأخذ بالحلال ، وباب الحلال واسع رحيب ، وفيه غناء عن كل حرام ، وعن كل شأن مريب .

إن التقليد الذى عابه القرآن كان وليد الضلالة ، وسيظل كذلك معابة أدبية ، ونقيصة عقلية ، ومسقطا رديئا من مساقط الجهالة التى سوغت لهم أن يختاروا الأحجار بأيديهم ، ويعتبرونها آلهة لهم ، ويعبدونها كما كان يفعل آبائهم .

وإن أشد ما ينكره العقل فى هذا الباب أن يكون تقليدا على حساب الدين ، فينصرف المرء عن معين الحق ، ومنبع الهداية فى تشريع الله ، وفيما حمله إلينا الثقاة من رجال العلم : إلى مزاعم فاضحة يتجر بها محترف جهول ، أو يتشدق بها مفتون جريء ، يحسب لنفسه أنه سبق إلى ما لم يفهمه غيره ، وزعم أن ذلك هو الفهم الجديد ، وما هى إلا فتنة استخدعهم فيها شيطانهم ، ليهوتوا على الناس أن يتخطوا حدود ما أنزل الله على رسوله ، ويشاقوا الله فى دينه .

كثيرا ما يقتحم أناس ميسدان الكتابة معتدين بأنفسهم : ظانين ، أو موهمين أنهم أهل رشد وإرشاد ، ولكن الحق والصدق والأمانة فى غير جانبهم : لو كانوا يستحيون وينصفون ، والأمر بحاجة إلى مقاومة هذه النزعات كلها ، حتى يستقيم للناس شأنهم فى دنياهم ودينهم .

ولا جرم أن الذين يفسد فى دخالهم وازع الدين ، وتضعف فيهم خصلة الحياء : لا يمكن أن يكون منهم المواطن الصالح الذى ينضح طبعه بالخير كما تبتغيه الأمة مهما تغطى بأثواب الرياء .

إن قضية التقليد ، ومشكلة العدوان على مهابة الدين ، والتجمل من المبادئ الحقة ، والمحاولات المسافونة التي تعودناها من أناس كثيرين في السياسة وغيرها ، لأمر تقتضى عناية جديدة من أولى الأمر ومن القادرين على إنكار المنكر بأيديهم ، أو بالسنتهم . والسكوت عن الإنكار بالقدر الممكن مسئولية دينية واجتماعية ، ولا يعفى المقصرين فيها عذر يلتمسونه ، أو سبب يرجحونه ، ويتعلقون به .

فإن الله - سبحانه - جعل الأمة الإسلامية في رعاية حكامها يسألون عنها ، وجعلها كذلك في كفالة متبادلة بينها : ينصح بعضها بعضا ، وينهى بعضها بعضا ، ويستمع بعضهم إلى بعض فيما يبذله ناصح لمنصوح ، وفيما ينكره ناه على منهى ، وهذا معنى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فإن تسامح كل فيما يلزمه ، أو تسامح البعض : كانت المسئولية واقعة ، وكان الجزاء بالمرصاد .

وربما تمنع ناصح عن بذل النصح ، أو سكوت عن إنكار المنكر ، وهو يعفى نفسه من المسئولية محتجا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم : لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، إذ يفهم المعتذر عن نفسه أن كل امرئ مسئول عن عمله ، ولا يسأل عن غيره ، ما دام هو معتدلا مهتديا .

والأمر على غير ذلك ، فإن هذه الآية جاءت بعد آية المقلدين لآبائهم ، لتفصح عن شيء هام : هو - أن النصيحة واجبة من المسلم للمسلم ، وأن كل امرئ أمانة في عهده أخيه ، فإذا نصحه وبين له ولم يستمع إليه كان بريئا من عهده الإخاء ، وما عليه من حساب المقصر شيء ، وعليه أن ينصح نفسه ، ويتعهدا بحسن التوجيه ، وليس يضره لثم غيره مادام هو في ذاته مهتديا ، وما دام قد أبرأ نفسه من واجب التناصح .

والمفروض أن المقلدين لآبائهم قد رفضوا نصح الرسول لهم ، والمفروض كذلك أن أصحاب الدعوة المرشدين إلى الخير يلاقون مثل هذا الرنض من العصاة ، ويجهدون أنفسهم في المقاومة ، ثم يلاحقهم أسف لعدم التوفيق في هداية من أرادوا لهم الخير ، فالثق تعالى يخفف عنهم ما يساورهم ، ويعلن إليهم أن مرجعهم جميعا إلى الله ، وأنه صاحب القضاء العادل بين عباده ، فلا حرج عليهم أن يرجحوا أنفسهم من دعوة المكابرين .

وهناك حالة شبيهة بهذا ؛ وهى أن يعرف الأمر بالمعروف أنه سيهان من غيره ؛ وأن دعوته إلى الخير تلابسها مخاوف الإيذاء من السفهاء ؛ دون أن يصل إلى شيء من غرضه ؛ فلا مانع أن يترتب ويتأتى ؛ حتى تحين الفرصة للنصيحة المجدية بالدعوة الحكيمة ؛ فعليه نفسه كذلك ؛ ولا يضره ضلال من ضل .

هذا وكل ما نقوله غير واقف عند أعمال الدين ؛ بل هو منصب وشامل لكل شأن من شئون الناس ؛ وهذه رسالة الإسلام التى انطوت عليها تعاليمه ؛ وهى الكفيلة بخلق أمة ناجحة كاملة ؛ وهى الرسالة التى يحقد عليها أبناء الغرب قديما وحديثا ؛ فهم يأخذون لأنفسهم منها ما يسعد حياتهم ؛ ثم هم يحقدون على المسلمين ؛ ويحاولون استئصالهم من الأرض ، وإن كانوا مع حقهم عليها شامتين كثيرا لما يرونه فاشيا فى المسلمين من عدول عن دستورهم السماوى إلى تلك المهازل التى رسمتها سياسات الاستعمار ، وصبقتها بألوان فاتنة للنفوس التى لم يطبعها طابع إسلامى .

تلك المهازل التى تصاغ مرة فى مناهج ثقافية ، أو فى مشروعات اجتماعية ، أو فى معاهدات سياسية ، أو أفلام تمثل ويذاب فيها تجريح الإسلام ذوبا معسولا فى أفهام الأحداث الذين هم الجيل المقبل ، تلك المهازل التى آزرها الاستعمار طوال عهده ، وحارب بها كل نعمة إسلامية ، وكل فضيلة يشع بها القرآن ، أو يشرق بها حديث نبوى ، وحارب من أجلها رجال الدين فى شخص الأزهر ، وحارب بها الأزهر فى شخص أبنائه وعلمائه ، حتى كان من أثر هذه الحرب الباردة أن أصبح الجمهور الإسلامى فى غير لونه الدينى ، وأصبح الروح الإسلامى فى كماله وحضارته الأصيلة بعيدا عن عقلية الكثيرين ، وبخاصة من أسلموا أنفسهم للهوى ، وطوحوا بها وراء المغريات الذسوية وغير الذسوية فى ظل المدنية الحديثة التقليدية .

إن الشرق كله ، والوطن الإسلامى بخاصة ، ليحس إحساسا جديا بانهماك الغرب فى مناوئته ، والقضاء على كل مقوماته ، وكل مظهر من مظاهر الحيوية السكامة فى تعاليم الإسلام تفصيلا ، وفى دستوره العام ، وفى دخيلة كل مسلم صحيح الوجدان ، ونحن مع الغرب اليوم فى ملحمة تمثل الحروب الصليبية ، وسيكون النصر فيها لدين الله ، والوطن هذا الدين ، بفضل المجاهدين المخلصين لا بفضل المذبذبين .

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

السيرة

سبيل المؤمنين

- ٢ -

الشورى فى الإسلام - مبادرة الفاروق - عهد الصديق -
منشأ الفرق والطوائف - بشارة نبوية - أئمة الجور -
متى يكون الفرار ؟ ! لا يأس من روح الله .

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يا رسول الله : إنا كنا فى جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم ، فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سننى ، ويهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر ، فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها ! فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : نعم ، قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قلت : يا رسول الله فما ترى إن أدركنى ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ! رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

* * *

كان النبي صلى الله عليه وسلم - بمقتضى الدستور الإلهى - هو الحاكم المقدم ، والرئيس الأعظم ، لخير أمة أخرجت للناس ، وكان مع تلك الولاية العظمى مأمورا بمشاورة أئمة فيما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل .

فلما لحق صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى ، كان شأن المشورة بين أمته أعظم ، وكانت لما لم يرد فيه نص من الأحكام ألزم . - وعلى أساس هذه الشورى مضوا رضوان الله عليهم في تولية الخلفاء الراشدين أئمة لهم .

ولئن بادر الفاروق بمبايعة الصديق رضى الله عنهما ، ولما تنضج الشورى في المبايعة ، لقد كان الفاروق مترجما لما في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفوس أصحابه ، من أن أحب الناس إليه ، وخليفته في حياته ، أولى الناس قاطبة بأن يكون خليفته من بعده ، وفاته . - ذلك إلى أنه رضى الله عنه بادر إذ أوجس في نفسه خيفة من أن ينحدر الاختلاف في الشورى . - والاختلاف فيها لا بد منه - إلى عاقبة لا يعلم إلا الله مداها ، وهذه الدنيا من حولهم تريد أن تتخطفهم ، وتربص بهم الدوائر ! .

ولئن عهد أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه ، لقد كان عهدا شوريا ما أجل خيره ، وأعظم ثمره وبره ، لأنه ولید الشورى الصديقية العبقريّة ، التي تمتنعت عن استنباء الأجلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستطلاع آرائهم فيمن يلى أمرهم من بعده ، فكان إجماعهم رائعا على أن من اختاره الصديق لهم ، هو خيرهم وأفضلهم ، وأقوامهم على احتمال هذا العبء غير مدافع .

* * *

ثم كانت الشورى في خلافة ذى النورين ، وأبي الحسنين ، رضوان الله عليهم ، سافرة نيرة . . ولئن حدثت في عهديهما أحداث كانت مذشأ فرق وطوائف ، ثم نحل ومذاهب ، فرقت المسلمين فرقا ، وقطعتهم أحزابا وشيعا ، منى بها المسامون إلى يومنا هذا ، إنه البلاء المبين ، الذى يبتلى الله به عباده حينما بعد حين ؛ ليجمعهم على إمام سيد ، عبقرى مجدّد ، كما جمعهم على الحسن بن على رضى الله عنهما ، لما ترك الأمر لمعاوية وهو أحق به منه ، بعد أن بايعه على هذا الحق أر بعون ألفا على الموت . . .

وبهذا الإصلاح العبقرى العظيم ، حقق الله بشارة جده صلى الله عليه وسلم ، إذ بشر أمته وهو على المنبر والحسن إلى جنبه ، وهو صلى الله عليه وسلم يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (١) .

وقد اشتركت في هذه الأحداث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ؛ لما وليت أمر المطالبة بدم عثمان رضوان الله عليه ؛ ففضى الله أن تزداد شقة الخلاف والفتن من حيث تبتغى هي ومن معها لإحقاق الحق (١) ليرينا الله رأى العين أنه لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ؛ ولو بلغت مرتبة الصديقين ؛ وكانت من أمهات المؤمنين .

وهنا نذكر القراء بأن لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوقا وذنبا ؛ هي من حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر أمته ؛ منها أن نقبل من محسنهم ؛ ونجتاوز عن مسيئهم ؛ فإن لم نتدارس الحسنات ، فلا أقل من أن نتقاضى عن الهفوات ، فإنها ليست شيئا مذكورا بجانب ما قدموا لله ورسوله ، ولنعلم أن محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملها إلا رضوان الله عز وجل .

* * *

ولما سلم الحسن لمعاوية مقاليد الأمر ، اجتمعت عليه القلوب بعدد الفرقة ، وائتلفت بعد النفرة ، ودخل الناس في بيعته أفواجا ، حتى سمي هذا العام بحق عام الجماعة .

ثم كانت أحداث وفتن ، هبت في ثناياها عواصف هوج ، وتكاثر في خلالها طوائف وشيع ، وتزاحمت فيها منكرات وبدع ، لا يزال المسلمون منها إلى اليوم في شقاء وبلاء !! ولولا أن من الله على المسلمين بنعمتين من نعمه الكبرى ، لكان الإسلام منذ قرون أثرا بعد عين : حفظ كتابه الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعدا عليه حقا إذ يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وتأيد هذا الدين الذى أظهره على الدين كله : بمن شاء من عباده ، حتى إنه ليؤيده بأقوام لا خلاق لهم ، وفي صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فى قصة القتال نفسه بعد أن أبلى فى الجهاد بلاء حسنا ! إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

وفى مثل هذا الحديث دليل ساطع على أنه لا يجوز لأحد كائنا من كان ، أن يخرج على أئمة الجور : « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان » .

[١] انظر مختصر التعفة الاثنى عشرية للسيد محمود شكرى الآلوسى ، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب .

بل فيه دليل على الدعاء لهم ، ومضى الجهاد معهم . . . اتقاء الفتنة ، وابتغاء سلامة الأمة ، واجتماع الكلمة .

* * *

فاذا عظم الصدع ، وتشنت الجمع ، وتفرقت الأمة وعاذا بالله أيدي سبا ، ولم يكن لهم إمام يجمعهم ، ولا راد يردعهم : فقد حقت عليهم كلمة العذاب ، وحق لمن يرجو النجاة أن يفر بدينه من الفتن ، ولو أن يأوى إلى أصل شجرة وحيدا فريدا يلاقى من آلام الوحدة ما يلاقى حتى الموت ، فان وحدته حينئذ خير من مجتمعه كله شر لا أمل للخير فيه ، وضلال لا رجاء للهدى معه ! !

* * *

أما بعد ، فعلى الرغم مما نرى في زماننا هذا من موجات يأس متتابة ، وظلمات دنس متلاحقة ، ورءوس رجس متسابقة ، لم يحن وقت الفرار بعد ، ولن يحل لمؤمن أن يئس من روح الله : « إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ط محمد الساكت

رسالة تقدير وتأيد

حول ما نسب إلى ابن حزم

تلقى رئيس تحرير مجلة الأزهر من صديقه الجليل فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسالة أثنى فيها على المقال المصدر به جزء شعبان « حول ما نسب إلى ابن حزم فبما يجوز للخطاب من مخطوبته » وختم فضيلته هذه الرسالة الكريمة بقوله : « ف شكر الله لكم الدفاع عن الإسلام ومحارم الله ، ونحن دائما نتبع ما ينشر في مجلة الأزهر من كلمات قيعة في الدفاع عن الإسلام . وفقكم الله لما يحبه ويرضاه » .

السنة والبدعة

السنة في اللغة هي الطريقة ، وسنن الطريق قصده ، ويقال : سن سنة حسنة : أى طرّق طريقة حسنة . وأصل المادة في اللغة هو جريان الشيء واطراده في سهولة ، يقال : سننت الماء على وجهى ، إذا أرسلته إرسالا ، وصببته صبا سهلا [١] .

والسنة في الشرع تطلق بعدة معان ، فقد يراد منها سيرة النبي صلوات الله عليه ، يقول ابن فارس : « وسنة رسول الله عليه السلام سيرته » [٢] ، وقد تطلق على الأحاديث المروية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد تطلق على المندوب ، وقد تطلق على جميع أقواله وأعماله ، وأوامره ونواهيه ، يقول ابن الأثير عن السنة : « والأصل فيها الطريقة والسيرة ، وإذا أطلقت في الشرع فانما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، ونذب إليه ، قولاً وفعلاً ، مما لم ينطق به الكتاب العزيز ، ولهذا يقال في أدلة الشرع : الكتاب والسنة ، أى القرآن والحديث » [٣] .

وقد يطابق لفظ « السنة » ويراد به الصحيح من المعتقدات والآراء ، وهو ما يقابل الباطل أو المشكوك فيه أو الضعيف من المعتقدات والآراء ، ولذلك يطلق تعبير « أهل السنة » بهذا المعنى على الطائفة التي صح اعتقادها واستقام تفكيرها وسلمت أقوالها الدينية من الزيف أو الضلال أو الإلحاد ، ويصور ابن رجب الحنبلي هذا المعنى بالعبارة التالية : « السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة ، في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر ، وفضايا الصحابة ، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها (كتب السنة) ، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم ، والمخالف فيه على شفا هلكة » [٤] .

[١] أساس البلاغة ، ج ١ ص ٤٦٢ . ومعجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ص ٦٠ .

[٢] المصدر السابق .

[٣] النهاية في غريب الحديث ، ج ٢ ص ١٨٦ .

[٤] كتاب غرابة الاسلام لابن رجب الحنبلي ، ص ٨٨ بتحقيق الكاتب .

وقد ذكرت مادة « السنة » في القرآن الكريم ست عشرة مرة ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة النساء : « يريد الله ليميز لستم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » ، وقوله في سورة الإسراء : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنةنا تحويلا » وفي سورة الأحزاب : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » . وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته ، كما قد يراد منها الإرشاد إلى طريق الحق ، وفي الحديث : « إنما أنسى لأسن » أى أن الله يدفعني أحيانا إلى النسيان ، لأسوق الناس بالهداية إلى الطريق المستقيم ، وأبين لهم ما يحتاجون أن يفعلوا إذا أصابهم النسيان أو عرض لهم ، وكأن هذا مأخوذ من قول العرب : سننت الإبل إذا أحسنت رعيها والقيام عليها .

وقد يراد من السنة معنى التعميم ، أى جعل الشيء مشروعا معروفا عاما ، ومنه الحديث : « أنه نزل المحصب ولم يسنه » أى لم يجعل النزول فيه سنة يعمل بها ، والمحصب هو الشعب الذى مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم نزله من غير أن يسنه للناس ، فمن شاء حصب ، ومن شاء لم يحصب ، ومن هنا قالت عائشة : « ليس التحصيب بشيء » أرادت به النوم بالمحصب عند الخروج من مكة ساعة . وقد يفعل الشيء لسبب خاص فلا يعمل غيره ، وقد يفعل لمعنى فيزول ذلك المعنى ويبقى الفعل على حاله متبعا ، كقصر الصلاة في السفر للخوف ، ثم استمر القصر مع عدم الخوف [١] .

ويقول الجرجاني في « التعريفات » عن السنة : « السنة في اللغة الطريقة ، مرضية كانت أو غير مرضية ، وفي الشريعة هى الطريقة المسلوكة في الدين ، من غير افتراض ولا وجوب ، فالسنة ما واطب النبي صلى الله عليه وسلم عليها مع الترك أحيانا ، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة فسنن الهدى ، وإن كانت على سبيل العادة فسنن الزوائد ، فسنن الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين ، وهى التى يتعلق بتركها كراهة أو إساءة ، وسنة الزوائد هى التى أخذها هدى - أى إقامتها حسنة - ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة ، كسنن النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه وقعوده ، ولباسه وأكله » . وعقب ذلك يعود الجرجاني فيورد هذا التعريف الآخر : « السنة لغة العادة ، وشريعة مشترك

بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليه بلا وجوب ، وهى نوعان : سنة هدى ، ويقال لها السنة المؤكدة ، كالأذان والإقامة والسنن الرواتب والمضمضة والاستنشاق على رأى ، وحكمه كالواجب : المطالبة فى الدنيا ، إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب ، وسنن الزوائد كأذان المنفرد والسواك والأفعال المعهودة فى الصلاة وفى خارجها ، وتاركها غير معاقب « (١) » .

* * *

وأما البدعة لغة فهى من قولهم : أبدع الشيء وأبدعه ، أى اخترعه . ولمادة « بدع » أصلان فى اللغة ، أحدهما ابتداء الشيء وصنعه على غير مثال سابق ، والآخر الانقطاع والكلال والضعف ، ولذلك أورد الزخشرى من مجازات العرب قولهم : أبدعت حجتك إذا ضعفت ، وأبدع بى فلان ، إذا لم يكن عند ظنك به فى أمر وثقت به فى كفايته وإصلاحه ، وأورد ابن زكريا قولهم : أبدعت الراحلة إذا كلت وعطبت ، واشتقت « البدعة » المعروفة فى اصطلاح الشرعيين من البدعة اللغوية ، لأن البدعة الدينية ليس لها أصل ، بل هى مخترعة ، لأن قائلها ابتدعها واخترعها من غير مقال إمام ، ولأنها الفعلة المخالفة للسنة المأثورة ، ولأنها الأمر المحدث الذى لم يكن عليه الرسول والصحاب والتابعون ، ولم يكن ممن اقتضاه الدليل الشرعى (٢) ، ومن شأن الأمر المخترع الذى ينهض على غير سند سابق أو أساس متقدم أن يكون ضعيفا كالا ، ولهذا سميت البدعة فى الدين بالمحدث ، أو الإحداث ، وعرفها النووى بأنها « إحداث ما لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) » ، وإليها يشير الحديث : « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة » ، والحديث الآخر : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وإذا كان النووى قد قال كما قال غيره إن البدعة « منقسمة إلى حسنة وقبيحة » فإنه يراد بذلك مطلق البدعة ، أى مطلق الأشياء التى حدثت بعد الرسول ، دون تخصيصها بالدين ، وأما إذا كانت البدعة فى دين الله زيادة أو نقص أو تبديل أو تحريف

[١] التعميمات ، ص ٨٧ و ٨٣ .

[٢] أساس البلاغة ، ج ١ ص ٣٦ ، ومعجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٣١٠ ، والتعميمات ، ص ٢٩ .

[٣] تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ٢٢ .

فلا خلاف في أنها ضلالة ، وأن صاحبها مستحق للعذاب ، وحينئذ لا يقال عن البدعة في الدين إنها تنقسم إلى حسنة وقيحة ، بل « كل ما أحدثه الناس في أمر الدين ولم يأخذه من كتاب الله أو سنة رسوله المبينة لكتابه فهو بدعة سيئة وضلالة يستحق متبعا العقوبة في النار [١] » ! .

وأما البدعة المطلقة فهي التي يمكن تقسيمها إلى حسنة وقيحة ، وبهذا الإطلاق قسموا البدعة إلى واجبة مثل الاشتغال بالعلوم التي نفهم عن طريقها كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلوات الله عليه ، ومحرمة مثل مذاهب الجبرية والمرجئة والمجسمة ، ومنسوبة مثل الكلام في دقائق التصوف وكل إحسان لم يكن في العصر الأول ، ومكرهة مثل زخرفة المساجد وتزيين المصاحف ، ومباحة مثل التوسع في اللذيق الطيب من المساكين والمشارب [٢] . وقال الشافعي : « المحدثات من الأمور ضربان : أحدهما ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا ، فهذه البدعة الضلالة ، والثانية ما أحدث من الخير ، لا خلاف فيه لواحد من العلماء ، وهذه محدثة غير مذمومة (٣) »

ويقول ابن الأثير : « وفي حديث عمر رضي الله عنه في قيام رمضان : نعمت البدعة . هذه البدعة بدعتان ، بدعة هدى وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار ، وما كان واقعا تحت عموم ما نذب الله إليه ، وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثوبا ، فقال : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها . وقال في ضده : ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه : نعمت البدعة هذه ، لما كانت من أفعال الخير ودخلته في حيز المدح سماها بدعة ومدحها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم ، وإنما صلاها ليالي ثم تركها ، ولم

[١] مجلة المنار ، المجلد السابع ، ص ٥٨ .

[٢] تهذيب الاسماء للنووي ، ج ٢ ص ٢٢ .

[٣] للمصدر السابق ، ص ٢٣ .

يحافظ عليها ، ولا جمع الناس لها ، ولا كانت في زمن أبي بكر ، وإنما عمر رضى الله عنه جمع الناس عليها ، ونديهم إليها ، فبهذا سماها بدعة ، وهى على الحقيقة سنة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنة وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى . وقوله : اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر . وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر : كل محدثة بدعة ، إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة ، وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذم (١) .

وأستحسن أن نختار التعبير بكلمة « البدعة » عما يكون ابتداعا في الدين ، وذلك الابتداع لا يكون إلا مذموما ومضافا إلى الضلال والعذاب ، وقد يقوى هذا الاستحسان الجملة الأخيرة الواردة في عبارة ابن الأثير السابقة وهى قوله « وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفا في الذم » كما أستحسن أن نختار استعمال كلمتى « السنة السيئة والسنة الحسنة » فيما يكون ابتداعا خارجا عن نطاق أحكام الدين ، داخلا نطاق الحياة الدنيا ، وهذا الابتداع كما قررنا قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا ، وقد يزكى هذا الاستحسان حديث الرسول : « من سن سنة حسنة . . . » الخ ، ويقول السيد رشيد رضا : « وأما السنة الحسنة والسنة السيئة في الحديث الآخر فهى تشمل كل ما يخرعه الناس من طرق المنافع والمرافق الدنيوية أو طرق المضار والشور ، فمن اخترع طريقة نافعة كان مأجورا عند الله تعالى ما عمل الناس بسنته ، وله مثل أجر كل عامل به ، لأنه السبب فيه ، وكذلك حكم مخترعى طرائق الشور والمضار ، كالضرائب والغرامات والفواحش ، عليهم وزرها ما عمل الناس بها » [٢] .

ومما يستحق الملاحظة أن مادة « البدعة » قد وردت مرتين في القرآن الكريم ، وليس في إحداهما ما يدل أو يشير إلى الرضى عن البدعة أو قبولها ، بل فيهما ما يشير إلى نفى الابتداع وإنكاره ، ففى سورة الأحقاف جاء قوله تبارك وتعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل » . وفى سورة الحديد جاء قوله عز وجل : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » .

* * *

[١] النهاية ج ١ ص ٦٦ .

[٢] مجلة المنار ، المجلد السابع ، ص ٥٩ .

والصوفية يتحدثون عن السنة والبدعة على طريقتهم ، فترى يحيى بن معاذ الرازى يقول : « العبادة حرفة ، حوائيتها الحلوة ، ورأس مالها الاجتهاد بالسنة ، وربحها الجنة » . وسئل أبو يزيد البسطامى عن السنة والفريضة ، فقال : السنة ترك الدنيا ، والفريضة الصحبة مع المولى ، لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا ، والكتاب كله يدل على صحبة المولى ، فمن تعلم السنة والفريضة فقد كل . « سئل أبو حفص النيسابورى : ما البدعة ؟ . فقال : « التعدى فى الأحكام ، والتهاون بالسنن ، واتباع الآراء والأهواء ، وترك الاقتداء والاتباع » . وقال سرى السقطى : « قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة ، كيف يقل عمل مع التقوى » ؟ . وقال الحارث المحاسبى : « من طبع على البدعة متى يشيع فيه الحق » ؟ ... ويقول الفضيل بن عياض : « من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة » ! .

* * *

وعلى الرغم من تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من البدع والضلالات ومحدثات الأمور ، فإننا نرى البدع من حولنا تزدبح وتشيع ، وتسيطر وتتحكم ، وعلى الرغم من تحريض الرسول على الاستمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين فإننا نرى السنة غريبة ، ونرى أهلها قلة غرباء ، ومن العجيب أن نرى سفیان الثورى المتوفى سنة إحدى وستين ومائة يقول : « استوصوا بأهل السنة خيرا ، فإنهم غرباء » ونرى يونس بن عبيد المتوفى سنة تسع وثلاثين ومائة يقول : « ليس شئ أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها » [١] ! ... فليت شعري ماذا يقول هذان العلمان لو أنهما أدركا العصر الذى نعيش فيه ، ورأيا كيف طغت البدع وضاعت السنن ؟ ! .

إن الواجب على الدعاة إلى الخير الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، أن يعقدوا العزم على مجاهدة البدعة ومناصرة السنة ، وأن يبذلوا جهودهم فى دعوة الناس إلى سنة الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفى المباحة بينهم وبين البدع والمحدثات ومنكرات الأمور ، وعلى من يريد الدعوة إلى السنة والتذكير بها أن يتحلى بالضرورى من آداب الدعوة إليها ، وأول ما يلزم الداعى إلى السنة هو أن يكون عارفا للسنة بصيرا بها ، فقيها فيها ،

حتى يدعو إليها غيره على بصيرة و يقين ، ويلزمه كذلك أن يكون حكيما فدعوته ، لا يهون ولا يتخاذل في مواطن الصدق والصدق ، ولا يقسو أو يغفل حيث يحسن الدين والرفق ، وليتذكر أن ربه عز وجل بعث موسى وهارون إلى فرعون الطاغية الجبار ، وأمرهما أن يقولوا له قولنا لعن الله من يتذكر أو يخشى ؛ وكلم من أناس يظهرون بمظهر الدعاة إلى السنة ، وهم في الواقع ينفرون منها ويباعدون بين الناس وبينها ، وما ذلك إلا لخشوتهم في الدعوة وفضاظتهم في العبارة وجهلهم بطرق التوجيه والإرشاد ، والحسب شديد ثقیل ، والنفوس ضعيفة عليلة ، فلا بد من سوق الحق إلى هذه النفوس بحكمة وموعظة حسنة وطريقة مثلى .

ولا بد من توافر الإخلاص عند الداعية بأن يريد وجه الله بالدعوة إلى السنة والخص عليها ، لا أن يريد الاستغلال أو الاتجار أو الاستعلاء أو التحكم أو الشهرة ؛ وكلم من أناس أمسأوا إلى الدين لأنهم اتخذوا الدعوة إليه تجارة دنيا وسبب مغنم ، ولم يقصدوا وجه الله الذى لا يضيع عنده أجر من أحسن عملا ، ولو توافر الإخلاص عند الداعية لساق الله إليه ما تتطلبه دنياه من حاجات دون أن يقصر همته وغايته على طلب هذه الحاجات : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » .

ومن الواجب على الداعية إلى السنة أن يلاحظ تقديم الأهم على المهم ، والعناية بالأصول قبل الفروع وبالكمالات قبل الجزئيات والجواهر قبل الأشكال والحقائق قبل الأعراض ، ولا شك أن الدين كل لا يتجزأ بمعتقداته وعباداته وأصوله وفروعه وبواطنه وظواهره وأقواله وأعماله وجواهره وأشكاله ، ولا بد لنا من الحرص على ذلك كله ولكن الذى يغرس الدين فى نفوس خربت منه — أو كادت — محتاج إلى التدرج فى هذا الغرس ، وإلى تقديم ما يصلح أن يكون أساسا ودعامة لسواه ! ! ! .

أهم النصائح

المدرس بالأزهر الشريف

خداع وتضليل

كلما اشتد النزاع السياسى بين الدول الكبرى للسيطرة على الشعوب الصغيرة ، والتحكم فى مصائرها ، والإفادة من مواردها وخيراتها ، برزت الغيرة على الإسلام والعناية بشئونه ، والبحث عن الأخطار التى تهدده وتهدد شعوبه . ونشطت أقلام بعض العلماء فى الدول الكبرى للبحث عن أحوال الشعوب الإسلامية فى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ونشطت الإذاعات أيضا للعمل فى هذا الميدان .

وإن المتتبع لصحف العالم وإذاعاته فى الوقت الحاضر ليدعش لهذا النشاط المتدفق بالغيرة على الشعوب الإسلامية ، ففي الشرق وفى الغرب إذاعات متواصلة ومقالات وملاحقة تعالج مشاكل المسلمين ومصالح المسلمين . وإذا كان القارئ على ذكر من حوادث التاريخ القريب أمكن أن يربط بين هذا النشاط والنشاط الذى اشتد فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، والذى كان من أثره أن أنشئت بعض المراكز الإسلامية فى عواصم بعض الدول الكبرى : كالمركز الإسلامى فى لندن ، والمركز الإسلامى فى واشنطن ، وقد أخذت الدعايات السياسية حينذاك تمتدح هذا العمل وتعنى بآثاره ، ويبين الفائدة منه فى ربط الشعوب ، واستغلال الإحسان والبغضاء من قلوبها ، لتعيش متضامنة متعاونة فى ظلال المحبة والسلام .

وإن المسلم الواعى ليعلم مقدار ما فى هذه الغيرة من صدق ، وما تنطوى عليه من أهداف ، ويقرأ ويسمع فيتسم ثم يضحك ، وقد يغلبه الشعور بالعجب فيحققه ملء شذقيه عجباً وسخرية من هؤلاء الذين يقيمون أنفسهم مقام الواعظين المرشدين ، أو مقام الأوصياء الأمناء على الشعوب الإسلامية يعينهم أمرها وتهتمهم شئونها ، نعم يحققه ملء شذقيه من هؤلاء الذين يخادعون الناس وما يخدعون إلا أنفسهم وكأنهم لا يشعرون . ويتساءل أحق ما يدعيه هؤلاء وأولئك من الغيرة على الإسلام ، والاهتمام بشئون المسلمين والعناية بأحوالهم ، وإذا كان ذلك حقاً فن هو الذى تألب على الشعوب الإسلامية وسلبها عزها ومجدها وأمن فى إذلالها وتوهينها ، واستعمل أدنى الوسائل وأخسها للوصول إلى هذه الأهداف ، وشنها حرباً صليبية امتدت من أقدم العصور إلى الآن ، وما تزال

مستنصرة النيران في قلوب الكتلة الشرقية والغربية ، ما تمجد إلا ريثما تشتعل ، وما تزال الشعوب الإسلامية تصطلي بتلك النيران في الشمال والجنوب وفي الشرق والغرب ، وما تزال بعض الدول التي تتشدد بمبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية تمنع في الشعوب الإسلامية تقتيلا وإذلالا وإبادة ، وما تزال أيديها ملطخة بدماء الأبرياء في فلسطين والجزائر ومصر واليمن وغيرها لأسباب أصحها عند البحث والتحجيص هو التعصب على الإسلام ومحاولة النيل منه ، أو القضاء عليه لو أمكن ومعاذ الله ، ولا يخفى ذلك على المسلمين بعد طول التجارب وتكرار المحن .

لقد استيقظت الشعوب الإسلامية واستفاقت ، ونهبتها الحوادث والكوارث إلى الأخطار التي تكتنفها ، واستنار وعيها وصار في طوقها أن تميز بين أعدائها وأصدقائها ، وتعرف مكان المصالحة أو المضرة فيمن تعاديه أو تصافيه ، وتزن هذه الدعايات التي تأخذ أسماعها وأبصارها من الصحف ومحطات الإذاعة في الشرق والغرب بميزان المصالحة والواقع ، وتستكثنه ما فيها من حق وما تنطوى عليه من خداع وتضليل .

ليست الشعوب الإسلامية من الحمافة والغفلة بحيث تصدق أن الكتلة السياسية الشرقية أو الغربية يعنيها أمر الإسلام ، والحرص على عقائده ونظمه ، وتعنيها رفاهية الشعوب الإسلامية ورخاؤها ، فتستجيب لتلك الدعاوى وتؤمن بحسن نيات القائمين بها ، ولكنها تفهم حق الفهم ماذا يراد من تلك الدعاوى ، وما هي الأهداف الحقيقية التي تكن وراءها ، تعلم الشعوب الإسلامية أن التظاهر بالغيرة على الإسلام وشعوب المسلمين إنما هي لأغراض سياسية بحتة توحى بها الظروف والأحداث قصد اجتذابها إلى ناحية معينة ، وربطها بمعسكر خاص . وهي لهذا تتوقف وتتوقف طويلا لتزن تلك الدعاوى وتسير في سبيل لا حب من مصلحتها الدينية والقومية .

إن من المدهش أن تتحدث بعض الألسنة والأقلام عن الخطر على العقائد الإسلامية ، والأخلاق الإسلامية ، وتدعو إلى إلحاح إلى الوقاية من هذا الخطر وتفادى عواقبه ، وتركز اهتمامها في الشعوب الإسلامية ، وكأنما هذا الخطر لم يهدد إلا هذه الشعوب ، أما من عداها من الشعوب فقد استقامت أحوالها وسلمت عقائدها وصحت أخلاقها واستمكن بناؤها الاجتماعي ، فلا تشكو زبغا في عقائدها ولا اضطرابا في أخلاقها ولا قلقا في اجتماعياتها .

من المدهش أن تتحدث بعض الألسنة والأقلام عن الشعوب الإسلامية وتغض عن شعوب قد اختل فيها كل شيء وصارت إلى حال خير منها الجاهلية الأولى . أفلا تستحق تلك الشعوب من أولئك الدعاة شيئاً من العناية ؟ أم أن مصلحة شعوبهم أهون عليهم من مصالح الشعوب الإسلامية ؟

أيها المشفقون على الشعوب الإسلامية ، عليكم أنفسكم وشعوبكم : عظوها أولاً وطهروها من أدران الحقد على الإسلام والمسلمين ، وفكوا أغلالها من قيود التعصب ، وبشروها - وهى المسيحية - بما بشر به رسول المسيحية من تسامح ومحبة وسلام ، وارحسوها من عار التوحش والبربرية وسفك دماء الأبرياء المجاهدين في سبيل حرياتهم وعقائدهم ، ودون ديارهم وأموالهم ، وطالبوها بالكف عن الدسائس والمؤامرات ، وبث بذور التفرقة بين الأمم والجماعات ، عليكم بها وجدوا واجتهدوا وإنه لميدان فسيح للجد والاجتهاد ، فاذا أفلحتم في ذلك واعترفتم للشعوب بحقوقها في حرياتها وأموالها وبلادها ، وبقي لكم فضل من نشاط فابذلوه في العناية باصلاح الشعوب الإسلامية وإنهاضها والأخذ بأيديها .

أما أن تكون الشعوب الإسلامية عرضة للفتك والتدمير والإبادة من الدول الكبرى وأذنانها ، ثم يقوم من بينها نفر بالدعوة إلى العناية بها والأخذ في إنقاذها فذلك هو الخداع والتضليل ، والنفاق الذى لم يعد يجوز عليها بعد ما تجرعت من غصصه وبلت من مره ، ومحال أن تؤمن به أو تتخضع بزخرفته .

إن الشعوب الإسلامية بلغت رشدها وحطمت قيود الذل والاستعباد ، وأمسكت زمام أمورها وأخذت توجهه أينما كانت مصالحها لا تعنيها مذاهب الشرق أو الغرب إلا بمقدار ما يتفق وتلك المصلحة . وقد يرضيها من الدول الكبرى ويصالح ذات بينها ويعيد إليها بعض الثقة أن تكف أيديها عنها ولا تظاهر أعداءها ، عليها ولا تقحم أنفسها في شؤونها ، ولا تخنلق المعاذير للاعتداء عليها وانتقاص حقوقها ، أما أن ترى الشعوب الإسلامية بأعينها غير ما تسمع بأذنانها ، ويكذب أفعال الدول الكبرى أقوالها فهذا هو الكذب والنفاق والخداع والتضليل .

أبو الرفا المرغى

لبيك اللهم لبيك

« لبك اللهم لبك ، لبك لا شريك لك لبك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

بهذا الذميد الإلهي الحبيب إلى النفوس المؤمنة ، وبهذه الكلمات المشرفة العذاب التي هي رمز التوحيد والإيمان ، وعنوان الخضوع والإذعان ، والاعتراف بالجميل والإنعام ، يرفع الججاج أصواتهم مسلمين وجوهمهم لله ومقبلين عليه ، يحدوهم الرجاء في عفو الله ومغفرته ، ويحثهم الشوق إلى زيارة هاتيك البقاع المقدسة التي فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس ، وزمزم العين الثرة المباركة ، ومقام إبراهيم عليه السلام الذي يشهد الله بالقدرة والحلال ، ولإبراهيم بالإخلاص والامتثال .

وقد شاء المشرع الحكيم أن يكون الإهلال بالحج والعمرة بهذه الصيغة الماثورة ، ليكون إيذاناً من الحاج والمعتمر بنبذ الشرك وعبادة كل ما سوى الله من حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان أو إنسان ، وتخصيص العبادة بالله الواحد القهار ، وإقراراً من المسلم بأن قصد بقاع شرفها الله ودعا لزيارتها على لسان أنبيائه ورسله ليس من الشرك ولا من الوثنية في شيء ، وإنما هو امتثال لأمر الله ، فهو الأمر الحكيم المتصرف كما يشاء . فلا تعظيم إلا لما عظمه الله ، والحلال هو ما أحله الله والحرام هو ما حرمه الله ، وليس بالعقل ولا بالتشهي واتباع الأهواء .

وفي رفع الصوت بهذا التوحيد الخالص لإزالة لكل اشتباه ، واحتراس بانغ لأى إيهام قد يتطرق إلى بعض الأذهان . وكأنى بك أيها المسلم ترغب في معرفة صيغة ومعنى هذه التلبية التي يرفع أصواتهم بها الآلاف المؤلفة من المسلمين حين يقصدون إلى بيت الله الحرام محرمين بحج أو عمرة ، وإليك البيان :

« صيغة التلبية » : في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بهذه الصيغة : « لبك اللهم لبك ، لبك لا شريك لك لبك ،

إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . وهذا القدر هو الذى اتفق عليه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وكثير من أصحاب السنن المعتمدة ، لذلك رأى بعض الأئمة الاقتصار فى التلبية على هذا القدر الذى اتفقت عليه غالب الروايات الثابتة ، وذهب البعض الآخر إلى جواز الزيادة وقالوا لا بأس بها من غير استحباب أو كراهة ، واستدلوا بما روى عن بعض الصحابة من زيادتهم بعض العبارات على هذا ، فمن ذلك ما رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه وفيه : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يهل باهلل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الكلمات ويقول : لييك اللهم لييك ، لييك وسعديك والخير فى يديك ، لييك والرغباء إليك والعمل » .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقتدى بأبيه الفاروق ويزيد هذه الزيادة ، وفى صحيح مسلم من رواية نافع عن عبد الله بن عمر أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لييك اللهم لييك ، لييك لا شريك لك لييك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . قال : وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يزيد فيها : لييك لييك وسعديك ، والخير بيدك ، والرغباء إليك والعمل . وقد وردت هذه الزيادة أيضا فى مسند الإمام أحمد . ومما يشهد للزيادة أيضا ما رواه النسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه والحاكم عن أبي هريرة قال « كان من تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لييك إله الحق لييك » وروى أن أنسا رضى الله عنه كان يزيد « لييك حقا حقا ، تعيدا ورقا » . وهكذا نرى أن الزيادة على المتفق عليه من المأثور عن النبي أو الصحابة لا بأس منها .

معنى التلبية :

« لييك اللهم لييك » لييك مصدر مثنى وهو ما عليه إمام العربية سيبويه ، وتبعه على ذلك جماعة من أئمة اللغويين . والتثنية هنا غير حقيقية ، والمراد بهذا التعبير وما شاكله التكثير أو المبالغة فى الإجابة ، ومثل هذا قولهم حنانك أى تحننا بعد تحنن . والمعنى أجيبك ياربى إجابة بعد إجابة ، وأسعى فى طلب مرضاتك سعيا بعد سعى ، وقيل فى معنى هذه الفقرة : اتجأه وقصدى إليك يا الله . وقيل : أنا مقيم على طاعتك لا أبرح عنها . وقيل : إخلاصى لك [١] ، والأولى والأظهر هو المعنى الأول ، لأن استعمال « لييك »

(١) فى القاموس [أ ب : أقام كلب . ومنه « لييك » أى أنا مقيم على طاعتك إلبابا بعد إلباب وإجابة بعد إجابة . أو معناه اتجأه وقصدى لك . من دارى تلأ داره أى تواجهها . أو معناه محبب لك ، من امرأة لبة أى محبة ، أو معناه إخلاصى لك من حب لباب أى خالص] .

في الإجابة أمر معروف، ولأن الملبي يجب داعي الله سبحانه وتعالى ، وهو الخليل إبراهيم عليه السلام ، يوم أن فرغ من بناء السكبة وأمره الله سبحانه أن يؤذن في الناس بالحج ، فقد روى عن ابن عباس بإسناد قوى قال : « لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له : أذن في الناس . قال : رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن وعلّ البلاغ . فنادى إبراهيم : يا أيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه من بين السماء والأرض ، ألا ترى أن الناس يجيبون من أقصى الأرض يلبون » . وفي رواية عنه « فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء » .

وفي اختيار هذا اللفظ الدال على هذا المعنى الكريم تنبيه على تكريم الله سبحانه لعباده المستجيبين له وإشعارهم بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منه ، فهم ضيوفه وزواره ، وحق على المضيف أن يكرم ضيوفه وزواره .

« لبيك لا شريك لك لبيك » إقرار بالوحدانية ، ونفى للشريك وما عسى أن يتوهم ، فنحن وإن كنا جثنا قاصدين تعظيم بيتك وأداء مناسكك ، فما عظمنا إلا ما أمرتنا بتعظيمه ، وقلوبنا عامرة بتوحيديك ، وألسنتنا لاهجة بنفى كل شريك لك ، وكيف لا وآثارك الدالة على وحدانيتك في الأنفس والآفاق متكاثرة ، وفي كل شيء لك آية تدل على أنك الواحد الأحد الفرد الصمد .

وكان أهل الجاهلية يأمسون الحق بالباطل ، وينقضون التوحيد بالإشراك فيقولون : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، ملكته وما ملك » فأبطل الإسلام هذه الزيادة الكافرة ، وأبقى الحق الماثور من لدن الخليل عليه السلام .

« إن الحمد والنعمة لك والملك » روى لفظ أن بكسر الهزة وفتحها ، فالكسر على أنه كلام مستأنف ، والفتح على أنه تعليل لما قبله . والذي عليه جمهور العلماء ترجيح الكسر ، لأنه يقتضي أن تكون الإجابة لله سبحانه غير معاملة بعلة ، وأن الحمد لله على كل حال . ولفظ « الملك » يجوز فيه النصب على العطف ، أو الرفع على أنه مبتدأ ، والخبر مقدر ، أي والملك لك : وكأن الحاج أو المعتمر يقول : إنا نجيبك يا ربنا ونسعى إليك وندوم على طاعتك وكيف لا ؟ وأنت لك الحمد في السموات والأرضين ، ولك الحمد في الأولى والآخرة ، ولك الحمد لأنك متصف بكل كمال وجلال ، ولك الحمد لأنك مولى

النعم ومعطيها ، وما من نعمة من النعم الظاهرة والباطنة والجليلة والعظيمة إلا وهى منك ومردّها إليك ، ونعمك يارب لا تعد ولا تحصى ، وكيف تحصى نعمك ؟ وما من إنسان يتنفس إلا ولك ياربنا فى كل نفس نعم ومن ، وما من نعمة من نعمك إلا ولك فيها حق الشكر علينا ، ومهما شكرنا فنحن عاجزون عن الوفاء ، فكيف لانجد فى السعى إليك ، ونرفع أصواتنا بتوحيدهك والثناء عليك ، وأنت مالك الملك والمتصرف فى الكون كما تشاء ، تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . وما أجل أن نكرر فى هذا الموقف شعار التوحيد ، وأن تترطب ألسنتنا بقولنا : « لا شريك لك » .

« لبيك وسعديك » أى إسماعدا لك بعد إسماعاد ، ومسارة فى طاعتك وطلب رضاك بعد مسارة .

« والخير بيدك » فكل خير فهو منك وبتوفيقك وفضلك ، ومهما يكن من خير فرده إليك ، وفى تعريف الخير بالألف واللام والاقتران عليه فى هذا المقام حسن وأى حسن !

« والرغبة إليك والعمل » روى الرغبة بفتح الراء والمد ، وبضم الراء والقصر أى الرغبي . والمعنى : الضراعة والمسألة إنما هى إليك يا الله ، فأنت المقصود فى الحوائج ، وأنت الحقيق بالإجابة ، وأنت المقصود بما نعمل من طاعات . فتقبل منا أعمالنا ، وارحم ضراعتنا ، وأجب سؤالنا ، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

هذه هى التلبية وهذا هو معناها . فعليك أيها المسلم أن تستشعر هذه المعانى وأنت تلبى رافعا صوتك بها ، وأن تملأ قلبك بها ، فغير الذكر ما كان مفهوم المعنى نابعا من أعماق القلب ما

محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين

فتح مكة

في شهر رمضان المبارك من العام الثامن للهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحت مكة ودانت للمسلمين ، وطهرت من أوثان الكفار ، ودالت بفتحها دولة الشرك والمشركين ، وتتابع الناس بعد ذلك أفرادا وجماعات يدخلون في دين الله أفواجا . فكان فتحها أعظم ما فتح الله به على المسلمين . وقد من الله تعالى على رسوله بفتحها إذ يقول : « إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » . ذلك بأن مكة لم تكن بلدا كسائر البلاد ، فقد كانت أعظم المدن في بلاد العرب وأقدسها على الإطلاق . فيها الكعبة ، بنية أبينا إبراهيم عليه السلام الذي كانت تحج إليه كل قبائل العرب على اختلافها ، والتي كانت تضم في الجاهلية أكبر مجموعة من أصنام القبائل المختلفة . وكانت لقد استها حرما آمنا في الجاهلية ، لا يستطيع فيها العرب حربا أو قتالا . وعليها قامت شهرة قريش بين قبائل العرب . وقد زاد في هذه الشهرة ، وأعان على إقرارها في أذهان الناس ما كان من محاولة أبرهة صاحب الفيل هدمها ورجوعه عن ذلك خائبا ، وتشئت جيشه ، وهلاك أصحابه . وقد جعلت لها هذه المكانة الدينية أولا ، ثم توسطها بين طريق الشام واليمن ثانيا ، شهرة تجارية كبيرة ترعمتها قريش ، فقامت فيها وفيما حولها أكبر أسواق العرب في الجاهلية ، مثل عكاظ بين نخلة والطائف ، وذى المجاز بجانب عرفة ، والمجنة بمر الظهران . وقد كانت هذه المكانة الدينية والتجارية هي السبب الأول في امتناعها على الإسلام ، وفي تشبث قريش بأن تحتفظ بوضعها القديم ولا تغيره ، حرصا على مكانتها الدينية والتجارية ، التي قد تتعرض للزوال والاضمحلال ، بدخولها في الدين الجديد الذي لا يعرف عنه العرب شيئا . فمقاومة قريش للدين الجديد كانت في حقيقة الأمر دفاعا عن مكانتهم الأدبية وعن كياناتهم الاقتصادية .

وقد يبدو للتأمل في السيرة أن التفكير في غزو مكة قد بدأ منذ اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى تركها والهجرة إلى يثرب ، وأن كفاح المسلمين وقاتلهم الذي سبق هذا الغزو لم يكن إلا مقدمات تمهد لذلك الفتح الكبير .

أذن للرسول أن يرحل عن مكة حين ضاق بها وبأهلها إلى مكان يأمن فيه على دعوته وعلى أصحابه . وفي هذا المكان الحديد ، وبين الأنصار الذين أخلصوا له ، أخذت الدعوة سبيلها إلى الانتشار ، تدرجاً - بعون الله وتوفيقه - مقدرة سياسية وحرية عجيبة ، لا تتاح إلا لمن اصطفاه الله وشرفه بحمل عبء أكرم الدعوات وخاتمة الرسالات .

كان همه الأول - صلوات الله وسلامه عليه - أن يوحد صفوف حزبه ويجعل منهم كتلة متماسكة . فهو يؤاخى بين المهاجرين والأنصار ، وينهى عن العصبية ، ويصلح بين الأوس والخزرج ، فيزيل آثار التارات والعداوات .

وكانت السياسة التي تحراها أن لا يحارب عدوين في وقت واحد ، أو بتعبير آخر - حسب اصطلاحنا الحديث - أن لا يحارب في جبهتين .

كانت قریش هي عدوه الأول ، ومكة هدفه الأسمى . ولكنه لم يستطع أن يولى وجهه شطر مكة ووراء اليهود في المدينة ، بحصونهم المنيعه ، وأموالهم الكثيرة ، وعدتهم الضخمة . فلم يكن بد إذن من أن يهادن اليهود أو يهادن قریشا . أما قریش فلم يكن إلى مهادنتها من سبيل . على أن من المجازفة أن تعلن الحرب على قوة كبيرة كاليهود تساكنه في مدينة واحدة . ولذلك فهو يختار مهادنة اليهود ، ثم يتخلص منهم دفعة دفعة ، كلما نقص فريق منهم هذه أجلاه عن المدينة - وما أكثر ما ينقض اليهود العهد - أجل فريقاً منهم في السنة الثانية للهجرة بعد واقعة بدر - وهم بنو قينقاع - أجلاهم إلى أذرعات بلشام . ثم أجل فريقاً آخر في السنة الرابعة للهجرة - وهم بنو النضير - أجلاهم إلى خيبر . ثم أفنى البقية الباقية منهم بعد أن حاصروهم في العام الخامس للهجرة - وهم بنو قريظة - بعد ما كان من يكدهم للمسلمين وأئتمارهم بهم وهم محاصرون بعدوهم في غزوة الخندق .

ومنذ السنة الثانية للهجرة بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يناوش قریشا ويعكر عليها أمنها وطمأنينتها ، ويفسد عليها تجارتها وهي أكبر ما تعزبه ، حتى اضطرت بعبد (بدر) أن تغير طريقها التجاري المعتاد وتسلك طريق العراق ، مستعينة ببعض رجال بكر بن وائل ليدلوهم على الطريق .

ففي السنة الثانية للهجرة خرج الرسول إلى قریش في ودان وفي بواط وفي العشيرة ، ولكنه لم يلتحم بهم . ثم التحم بهم في هذا العام في سفوان ثم في بدر .

وفي السنة الثالثة التحم بهم في أحد . وفي السنة الخامسة حاولت قريش غزو المدينة في واقعة الخندق بتحريض من يهود بنى قريظة . وفي السنة السادسة وصل النبي إلى حدود مكة ، وعاد بصالح الحديبية . وفي العشرين من رمضان سنة ثمان للهجرة فتح الله مكة على رسول الله ، فدخلها في جيوش المسلمين الجواراة التي بلغت اثني عشر ألفا ، في كتيبته الخضراء ، على ناقته « القصواء » ، وهو معتجرب بشقة برد أسود ، وعليه عمامة سوداء ، ورايته سوداء ، ولوائه أسود ، وقد طأطأ رأسه فوق ناقته حتى إن لحيته لتمس واسطة الرحل أو تقرب منه ، تواضعا لله تعالى ، حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين ، حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس فقال : العيش عيش الآخرة .

وقد كانت « الحديبية » هي أول محاولة جدية لغزو مكة . والواقع أن النبي لم يخرج في هذه المرة غازيا كما فهم كثير من صحابته في ذلك الوقت . ولكنه أراد أن يعجم عود عدوه قبل أن يندفع إليها فاتحا مهاجما ، وأن يختبر قوته وقوة خصومه ، وأن يتحسس موضع قدمه قبل أن يخطو ، وأن يفزع عدو الله وعدوه ويأبى الرعب في قلوبهم . ولذلك فهو يذيع بين أصحابه ويعلن لأعدائه أنه لم يخرج إلا معتمرا . ويقرر أنه لا يريد حربا ، وأنه لم يأت إلا زائرا للبيت معظما له . وهو يخرج مع أصحابه ليس معهم إلا السيوف في القرب - وهي سلاح المسافرين لا سلاح المحارب - يقول له عمر بن الخطاب وسعد ابن عباد : لو حملنا يارسل الله السلاح معنا ، فإن رأينا من القوم ريبا كنا له معدين ! فيجيبهما عليه الصلاة والسلام : لست أحب حمل السلاح معتمرا . ثم إنه يخرج مقدما الهدى بين يديه ، حتى إذا انبعثت به ناقته « القصواء » من باب مسجد المدينة مستقبلة القبلة أحرم قلبه . « لبيك اللهم لبيك : لبيك لاشريك لك . لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . » فيحرم عامة الناس باحرامه .

لم يخرج النبي إذا غازيا في هذه المرة . ولكنه كان قد رأى في نومه أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ مفتاح السكينة وعزف مع المعرفين ، فخرج أصحابه معه في نحو ألف وثلاثمائة أو يزيدون قليلا وهم لا يشكون في الفتح ، تأويلا لرؤيا النبي . ومن هنا كانت صدمتهم الفاجعة حين رأوا ما انتهى إليه الأمر من رجوعهم عامهم لم يدخلوا مكة ولم يطوفوا بالبيت ، حتى دخلهم أمر عظيم كادوا يهلكون منه . وهذا هو عمر رضي الله عنه يثب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اتفق على الصلح ، ولم يبق إلا الكتاب ،

فيقول له : يا رسول الله . ألسنا بالمسلمين ؟ فيقول النبي : بلى . فيقول عمر : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فنجيبه النبي : أنا عبد الله ورسوله . ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني . فيذهب عمر إلى أبي بكر فيقول له : ألسنا بالمسلمين ؟ فيقول : بلى . فيقول عمر : فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ فيقول له الصديق رضى الله عنه وأرضاه : الزم غرضه - يعنى اعتلق به وأمسكه ، أى اتبع قوله ولا تخالفه - فأنى أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أمر به ، ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله . وجعل عمر يردد على رسول الله الكلام وهو يقول : أنا رسول الله ولن يضيعني ، ويردد ذلك . فقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك . فجعل عمر رضى الله عنه يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيناً . ثم إن الرسول يدعو الناس بعد أن كتب كتاب الصلح إلى أن ينحروا ويخرجوا من إحرامهم ثلاث مرات ، فلا يجيبونه ، وهم ينظرون إليه ذاهلين عن أنفسهم ، حتى يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فينطلقون إلى الافتداء به ، وكأنهم لم يكونوا يسمعون .

بمثل هذا الوجوم تلقى الصحابة صلح الحديبية ، ولم يكونوا يرون فيه خيراً . ولكن الواقع أن صلح الحديبية كان خيراً كله ، وأنه كان أعظم ما فتح الله به على المسلمين منذ دعا الرسول إلى دعوته حتى ذلك الوقت . ولكن الناس لم يكونوا يعلمون ، وكان الله ورسوله أعلم .

لننظر إذن في شروط هذا الصلح :

١ - أول هذه الشروط أن يرجع النبي من عامه فلا يدخل مكة . فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً ، معهم سلاح الراكب - السيوف في القرب (١) - بعد أن تخرج منها قریش .

٢ - والشرط الثانى أن توضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٣ - والشرط الثالث أن من أتى محمداً من غير إذن وليه رده عليه . ومن جاء قریشاً ممن هو مع محمد لم يردوه .

[١] القرب جمع قراب (بكسر القاف) وهو وطاء يكون فيه السيف بضمه وحالته .

٤ - والشرط الرابع أن من أراد أن يدخل في عقد مجد دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل في عقد قریش وعهد دهم خل فيه .
وأول ما في هذا الصلح أن فيه اعترافا صريحا بالدولة الإسلامية الناشئة . وهو بعد هذا خير كله لمن تأمله متدبرا .

فالشرط الأول يضمن للمسلمين دخول مكة في العام القادم ، يقيمون فيها ثلاثة أيام وقد خرج عنها أهلها . أى نصر هذا ؟! أهل مكة يخرجون عنها ليدخلها المسلمون للمرة الأولى فيحتلونها ثلاثة أيام . وفي ذلك ما فيه من إذلال الكفار ومن إفزاعهم وإفلاقهم وزعزعة نفوسهم . وقد دخلها المسلمون - إنفاذا لهذا الشرط - في عامهم التالى ، يحملون السلاح ، فيها البيض [١] والدروع وفيها مائة فرس . لم يدخلوا بها مكة ، ولكنهم حملوها معهم ليظهروا قریشا على قوتهم ويرهبوهم . ويقول النبي لأصحابه عند الكعبة : رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة . فيطوف صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع بثوبه (قد أخرجه من تحت إبطه الأيمن فغطى به الأيسر) يهرول هو والمسلمون فى الثلاثة الأشواط الأولى . وهذا هو بلال يؤذن للظهر من فوق ظهر الكعبة ، فيقول عكرمة بن أبى جهل حين يسمعه لقد أكرم الله أبا الحكم (يعنى أباه) ، لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . ويقول صفوان ابن أمية وخالد بن أسيد مثل ذلك . ويفطى سهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم مما يسمعون . فهل هناك إذلال للمشركين أكثر من ذلك .

أما الشرط الثانى فهو يضمن للرسول صلى الله عليه وسلم سلما طويلا يتفرغ فيه لفشر الدعوة على نطاق واسع ، وقد أمن طريق المسلمين يذهبون حيث يشاءون ، وقد استطاع الرسول عقب الهدنة مباشرة أن يبعث بكتبه إلى ملوك الأرض يدهوهم للإسلام . فأسلم فى الهدنة أكثر من أسلم من يوم دعا رسول الله إلى يوم الحديبية . ثم إنه لم يكن من صواب الرأى أن يغزو مكة ، ومن ورائه يهود خيبر ، الذين أجلاهم عن المدينة ، فبنوا فى خيبر الحصون ، وظلوا يتربصون به الدوائر . وقد هادن النبي اليهود أولا ليفرغ لمكة . وها هوذا اليوم يهادن مكة ليفرغ لليهود . وقد استطاع الرسول فى العام التالى للهدنة أن يفتح حصونهم ويستولى عليها . وبذلك أمن ظهره وكفى كيدهم ، واستطاع أن يتفرغ لفتح مكة ، متقويا بما وقع فى يده من غنائم حصون خيبر الكثيرة ، من سلاح وحلى وغذاء وكساء .

[١] البيض جمع بيضة وهى غطاء للرأس يقرب مما نسميه الآن [الحوذة] .

أما الشرط الثالث ففي ظاهره إذلال للمسلمين ، لأنهم يردون إلى قريش من جاء إليهم مسلما بغير إذنهم ؛ أما هم فلا يردون عليهم من جاءهم من المسلمين . والحقيقة أن هذا الشرط خير كله للمسلمين وشر كله على قريش ، فما حاجة النبي إلى المسلم الذي يتردد عن إسلامه ويريد قريشا ؟ أليست عودة مثل هذا المنافق إلى قريش خيرا من بقائه بين المسلمين ، يفت في عضدهم ويطلع على عوراتهم ؟ ثم ماذا يضير المسلمين في أن يردوا مسلما من قريش إليهم يقيم بين أظهرهم ، فيكون ظهيرا للمسلمين عند الغزو ، ويكون عونا لهم ، أو (طابورا خامسا) كما نسميه اليوم ؟ .

أما الشرط الرابع فقد مكن للنبي أن يتخذ لنفسه حلفاء من أهل مكة نفسها ، إذ دخلت نزاعة في حلفه ، فكانوا عينا له في مكة ، يطاعونه على دخيلة القوم ويدلون على عوراتهم ، وبذلك أصبحت مكة وفيها فريق يظاهر النبي ، ليس فيها سريخنى عليه ، وأصبحت المدينة يدا واحدة كل أهلها من المسلمين المخلصين لله ولرسوله .

في صلح الحديبية ظهر بعد نظر النبي صلوات الله وسلامه عليه ، وظهرت رباطة جأشه ، وأناته ، وحلمه ، لم تستفزه فظاظة المشركين وسوء أدبهم ، ولم تصرفه عن وجهه . فهذا سهيل بن عمرو يضرب ابنه أمام رسول الله لإسلامه ، وابنه « أبو جندل » يستغيث قائلا : يا معشر المسلمين . أأرد إلى المشركين يفتنوننى في ديني ؟ والمسلمون يبكون لاسلامه ، والرسول يسأل أباه أن يتركه ، فيحلف أن لا يتركه . فيسأله أن يحيره من العذاب ، فيأبى . وبسلامه الرسول لأبيه قائلا : اصبر واحتسب ، وعمر يتعجب ويعانى في نفسه من ذلك عناء شديدا ، حتى لقد امتحن في إيمانه امتحانا قاسيا ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يملك نفسه ، ويمضى لما هدى إليه من إتمام هذا الكتاب الذى غاب عن المسلمين ما فيه من خير كثير ولم يغب عنه . فاذا هموا بالكتاب أملى النبي على علي بن أبي طالب قائلا : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » قال له سهيل (ممثل أهل مكة) : لا أعرف الرحمن . اكتب ما نكتب « باسمك اللهم » ، فيضيق المسلمون ويضيجون . ولكن النبي يملك نفسه ويقول لعل : اكتب « باسمك اللهم » . فاذا أملى : هذا ما اصطاح عليه محمد رسول الله ، قال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولا تبعتك . أفرغب عن اسمك واسم أبيك ؟ ويضح المسلمون وترتفع أصواتهم . ولكن النبي يقول : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب .

وهذا هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كان يقول بعد ذلك : ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ، ولكن الناس يؤمئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه ، والعباد يعجلون ، والله لا يعجل كمجلة العباد ، حتى تبلغ الأمور ما أراد .

* * *

ولم يمض على صلح الحديبية سنتان حتى نقضته قريش ، فأعانت بعض حلفائها من بنى بكر على حلفاء النبي من بنى خزاعة . فأرسلت خزاعة وفدًا إلى الرسول تستعينه وتستجده ، وأدركت قريش سوء صنيعها ، وقد علمت أن المسلمين قد أصبحوا من القوة بحيث لا تنهض لهم قريش ، فأرسلوا أبا سفيان لاسترضاء النبي وتجديد العهد الذي بينهما . ولكن المسلمين لا ذوا عن مطالبه ولم يصرحوا له بشيء ، فعاد إلى مكة لا يعرف حقيقة أمرهم وما انتووه ، حتى فوجئت مكة بجيوش المسلمين الضخمة تطرقها ، فلم يكن لها بد من أن تخضع ، لما رأت من تفوق المسلمين وكثرة عددهم .

ولست أحب أن أتبع تفاصيل هذه المعركة ، فأدخل في سرد طويل يعرفه الناس ، ويستطيعون أن يظفروا به في كتب التاريخ ، فليس في هذا السرد كبير غناء . ولكني أحب أن أقف عند بعض المواطن التي قد نتعلم منها ما يفيد .

لم تتجلبد دقة التنفيذ وبراعته في شيء كما تجلبت في هذه الاحتياطات المحيطة التي اتخذها الرسول لتأمين سلامة الجيوش والتمهيد لانتصارها يوم الفتح . ولم يتجلبد الوفاء والكرم والصفح الجميل في شيء كما تجلبد في صنيع النبي الكريم .

أحاط الرسول غزو مكة بالتسكيم التام ، حتى لقد سارت جيوش المسلمين وهي لا تعرف وجهتها بالضبط ، فقطان يظن أنه يريد الشام ، وطان يظن ثقيفا ، وطان يظن هوازن .

لما قدم وفد خزاعة على الرسول مستصرخا عزم على إغاثته ، ولكنه كتم عنهم ذلك ولم يصرح بشيء . وقدم أبو سفيان في عقب وفدهم ، فلقى أبا بكر ، فتحدث إليه في تجديد الحلف ، فلم يظفر منه بشيء . فانطلق إلى عمر بن الخطاب ، وقال : والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم . فانطلق إلى عثمان ، متوسلا إليه . ما بينهما من قرابة ورحم ، فلم يجبه إلى شيء . حتى لقي عليا ، فقال له : والله ما أجد لك شيئا أمثل من أن

تقوم فتجير بين الناس ، فانك سيد كنانة . فقام وصاح بين الناس : ألا إني قد أجزت بين الناس ، ولا أظن عهدا يخفوني . ودخل على النبي ، فلم يزد على أن قال له : أنت تقول ذلك يا أبا سفيان ؟ وعاد أبو سفيان لا يعرف : أقبل الرسول لإجارته بين الناس ، أم أنه عزم على أمر .

ولا يكاد أبو سفيان يولى قافلا إلى مكة حتى يطلب إلى زوجته عائشة أن تجهزه للقتال ، وأن تخفى ذلك فلا تظهر عليه أحدا . ويدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي مشغولة بتجهيز النبي ، فيقول لها : يا عائشة . أهد رسول الله بغزو ؟ فتقول : لا أدري . فيقول : إن كان هم بسفر فأذننا نتهيا له . فتقول : لا أدري . لعله يريد بنى سليم . لعله يريد ثقيفا . لعله يريد هوازن . فلما استعجمت عليه انطلق إلى رسول الله يسأله ، فأخبره بوجهه ، وطلب منه أن يخفى ذلك .

وأمر النبي بمواقبة الطرق بين الجبال حتى لا تتسرب الأخبار إلى قريش ، وكل ذلك إلى رجال تحت إمرة عمر بن الخطاب ، فكان يطوف عليهم قائلا : لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه .

وأذن مؤذنو الرسول فيمن حوله من القبائل يقولون : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة . فانثالت على النبي الرجال من مختلف القبائل ، في سلاحهم وعدتهم وخيولهم ، حتى بلغوا عشرة آلاف أو أكثر من ذلك بما لا يتجاوز اثني عشر ألفا .

ويحيط النبي جيش المسلمين المجاهد في سبيل الله بكل ما يوفر له أسباب النصر ، ويعينه على قهر الشرك وإعلاء كلمة الله . لما خرج من المدينة نادى مناديه : من أحب أن يصوم فليصم . ومن أحب أن يفطر فليفطر . وصام هو ، حتى إذا كان بالعرج صب على رأسه ووجهه ماء من شدة العطش . فلما كان بالكديد - بين الظهر والعصر - أخذ إناء من ماء في يده حتى رآه المسلمون ، ثم أفطر تلك الساعة . ثم بلغه بعد ذلك أن قوما صاموا فقال : أولئك العصاة . فلما بلغ الرسول « مر الظهران » أمر أصحابه أمرا صريحا بأن يفطروا ، فقال لهم : إنكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لكم .

ويقدم النبي الطليعة من الفرسان أمام الجيش - وعملها شبيه بعمل (الطواير) السريعة التي تتقدم الجيوش الآن - فاذا ظفرت هذه الطليعة برجل من هوازن أخذته واستجوبته علمه عن قريش واستعدادها ، ثم تحبسه حتى تنتهى من الغزو .

وقد كان الرسول يعتمد - فيما يعتمد - على النهويل والإرجاف بالعدو وخادعته . فهو إذا قرب من مكة أمر المسلمين أن يوقدوا النيران ، فيوقد المسلمون عشرة آلاف نار . فلما خرج أبو سفيان يتجسس ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وأوا الأبنية والعسكر والنيران (بمر الظهران) وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل ، فأفزعههم ذلك فزعا شديدا ، وظلوا يتعجبون من كثرة عددهم وهم لا يعرفون من أمرهم شيئا . ثم يقبض المسلمون على أبي سفيان ، ويأمر النبي بحبسهم حتى تمر جيوش المسلمين ويراها . وتمربه الكتائب على راياتها ، كلها حاذته كتيبة كبرت ثلاثا ، وأبو سفيان يتمعجب من كثرتهم وقوتهم . حتى إذا بلغت منه الرهبة وملا قلبه الرعب أطلقوه إلى مكة ليصيح في الناس مذعورا : من أغلق بابيه فهو آمن . ويقول للذين يريدون المقاومة : رأيت ما لم تروا ، رأيت الرجال والكراع والسلاح . ما لأحد بهذا طاقة . فإذا دخل الرسول مكة طاف بالبيت في سلاحه يكبر فيكبر المسلمون لتكبيره ، حتى ارتجت مكة تكبيرا . كل هذا والمشركون ينظرون من فوق الجبال ، قد أخذ منهم الفرع وبلغ منهم الرعب كل مبلغ .

ويتجلى الوفاء والعفو والكرم في كل تصرفات الرسول في ذلك اليوم . فهو يصفح عن أبي سفيان ، ويتجاوز الصفح إلى أن يحفظ عليه مكانته بين الناس ، إذ ينادى منادى المسلمين : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ولا يزال يعطيه من غنائم حنين حتى يرضى . ينظر إلى النبي بعد (حنين) والفضة بين يديه ، فيقول : يا رسول الله . أصبحت أكثر قریش مالا ، فتبسم عليه الصلاة والسلام . فقال أبو سفيان : أعطني من هذا يا رسول الله . فقال : يا بلال . زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل . فسأل لابنه يزيد ، فأعطاه مثل ذلك . ثم سأل لابنه معاوية ، فأعطاه مثلها . فقال أبو سفيان : إنك لكریم ، فذاك أبي وأمي . والله لقد حاربتك ففهم المحارب كنت ، ثم سألته ففهم المسلم أنت . فجزاك الله خيرا . وكذلك فعل النبي مع زعماء قریش ورؤوسها الذين آذوه بالألمس وأخرجوه من بيته ومن وطنه وهو أحب شيء إليه . بل إنه ليطلب من أصحابه أن يتلطفوا معهم ، فيقول لهم حين أغلق سهيل ابن عمرو عليه بابيه وأرسل ابنه يطلب الأمان ، يقول لهم : من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد إليه النظر ، فلمعمرى إن سهيلا له عقل وشرف . ويقول لهم في عكرمة بن أبي جهل حين أمته ، وكان قد هرب إلى اليمن خوف القتل : يأتیکم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا ، فلا تسبوا أباه ، فإن سب الميت يؤذى الحي ، ولا يبلغ إليه .

بمثل ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يملك أهل مكة ، وأن يشد بهم أزر الدعوة ، وهم قومه وعصبية . ولو أنه استجاب لشهوة الغضب والانتقام - وحاشاه - لفرق قريشا وقسمها ، ولبقيت في نفوسهم مرارة لا تزول . ولكنه عفا وأحسن فلم يهجم . وما هو إلا أن أعلن خروجه لهوازن حتى تبعته قريش عن بكرة أبيها وأمدوه بما شاء من مال وسلاح . وتتابعت غزواته وفتوحه ، لا يقف في سبيله شيء ، حتى دانت له العرب ، وأقبلت وفودهم من كل فج تباع بالسلام .

* * *

وبعد ، فلو شاء الله - سبحانه - لعزز الحق بغير قتال ، ومحق الباطل فلم تقم له دولة ساعة من نهار . ولو كان الله مكرما أحدا بذلك لكان خاتم رسله أحق خلقه بأن يساق له النصر بغير قتال ، ويجمع الناس على دعوته دون أن يتكلف ما تكلف من مشاق . ولكن حكمته السامية الخفية - سبحانه وتعالى - قد اقتضت أن يدفع الناس بعضهم ببعض ، وأن يجعل في ذلك خيرا للناس وعمران الكون . ولو آمن الناس لاستناموا وتواكلوا وتعطلت العقول ، ولو آمنوا اضلوا وطغوا وأعرضوا عن ذكر الله . ولولا مداولة الله بين الناس ودفعه بعضهم ببعض لسلطت على الناس المذنيات الفاسدة ، بعد أن يطغيها التعرف الذي تنتهي إليه كل الحضارات . وإذن لغشى قلوبهم ظلام الكفر وكانوا من الهالكين . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

في ظل هذا الصراع تهذب المحن النفوس وتصهرها وتصفيها ، ويلجأ الناس إلى ربهم متضرعين ، وتتفجر للعقل الكادح في سبيل التفوق أسرار الكون وتتفتح مكوناته ، ويصفو إيمان المؤمنين حتى يبلغ الذروة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ، سوء ما يحكون . من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت ، وهو السميع العليم . ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن الله لغني عن العالمين » .

محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي - بجامعة الإسكندرية

أدب الاستماع لكتاب الله الكريم

قال الله تعالى : — « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .
وقال صلى الله عليه وسلم : (اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون
أهل الفسق والكبائر ، فانه سيجيء أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ،
لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم) .
في شهر رمضان يكثر المسلمون قراءة القرآن والاستماع له ، لأن القرآن الكريم بدأ
إنزاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ، ولأن قراءته والاستماع له
من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلمون إلى الله سبحانه وتعالى . وكل عبادة لها حكم
ومقاصد أرادها الشارع الحكيم ، ولها شروط وآداب أوجب الشارع رعایتها ليصل المسلم
بها إلى التقرب من الله وليحقق الحكمة التي أرادها الله ، وقد أرشد الله قارئ القرآن
والمستمع له إلى ما يجب أن يراعى في القراءة والاستماع بقوله سبحانه لرسله « ورتل القرآن
ترتيلا » . والترتيل تبين الكلمات ، والثاني في الأداء ، وإخراج الحروف من مخارجها ،
وإيقاظها حقها من صفاتها اللازمة لها والعارضة كإظهار المظهر ، وإدغام المدغم ، ومد الممدود
وقصر المقصور ، وترقيق المرقق ، وتفخيم المفخم ، وما إلى ذلك من القواعد التجويدية ، لأن
المراد من قراءة القرآن والاستماع له هو تدبر معانيه وفهم مقاصده ومرامييه . وقد سئل الإمام
على كرم الله وجهه عن معنى الترتيل فقال « الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » .
والذي يحقق هذا هو حسن الأداء ، وجودة النطق والوقوف على ما تم معناه ، ولم يتعلق
بما بعده من غير تكلف ولا تعسف . يقول الشمس بن الجزري في هذا المعنى :

مكملا من غير ما تكلف بالالطف في النطق بلا تعسف

وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت :

« لا كسر دكم هذا ، لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدّها » .

ومما يعين على هذا قوة نبرات الصوت وملاءمة الأصوات الندية لها ، وقد روى
أبو داود في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « زينوا أصواتكم بالقرآن »
وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وليس المراد
بتزيين الصوت هو التغنى ومراعاة الألحان الموضوعية لفن النغم ، إنما المراد من تزيين
الصوت بالقرآن والتغنى به مراعاة ما تقتضيه معاني الآيات من صوت حزين في تلاوة

آيات الوعيد والتحذير ، وصوت مستبشر في آيات الوعد والتبشير ، مما ينبه السامع ويعينه على الفهم والتدبر ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن أقرأ الناس فقال : « من إذا قرأ رأيته يخشى الله » وروت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رجلا لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن . هذا وقد أرشد الله سبحانه وتعالى المستمع إلى ما يجب عليه بقوله « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » والاستماع هو الإصغاء بالتدبر والتفكير فيما يستمع له ، والإنصات هو الصمت والسكوت حين الاستماع .

أمر الله المسامعين إذا قرئ القرآن أن يصغوا إليه إصغاء المتفكر المتدبر وأن يصمتوا ولا تشغلهم ألسنتهم عما تسمع آذانهم لأنهم باصغائهم وإنصاتهم يفهمون معانى الآيات ويهتدون بهديها فتحيا قلوبهم ، وتصفو نفوسهم ، وتستيقظ مشاعرهم فتقوى حاسة الاعتبار فيهم ، وتكون نفوسهم أهلا لرحمة ربهم وفضله وإحسانه ولهذا قال سبحانه : « لعلكم ترحمون » . هذه آداب قراءة القرآن الكريم والاستماع له كما بينها الله ورسوله ، وهى الآداب التى تتفق وجلال القرآن وتحقق الغرض من تلاوته والاستماع له .

فالقارئ الذى أنعم الله عليه بنعمة الصوت ، عليه أن يشكر نعمة الله بحسن ترتيل القرآن واستخدام صوته الحسن فى اجتذاب السامعين وترقيق قلوبهم وإيقاظ مشاعرهم ، وعليه أن يستشعر أنه يقرأ كلام الله ، وأن الله يسمعه ويراه ، وأن يستشعر أن خروجه عن حدود الترتيل ليوافق النغم ومبالغته فى التأنيق والتكلف ليستزيد إعجاب السامعين تحت تأثير النغمات خضوعا لحكم التطريب . كل هذه آثام لا ترضى الله ورسوله ولا تتفق وجلال القرآن الكريم ، وأنه لا قيمة لرضا الخلق إذا غضب الخالق .

والسامع الذى وفقه الله أن يستمع إلى القرآن عليه أن يصغى ويخشع ويتدبر فيما يسمع ، وعليه أن يستشعر أنه يستمع ليهتدى ويتعظ ويتوب إلى الله لا ليلهو ويطرب ، وأن اشتغاله فى أثناء الاستماع بالكلام هو إعراض عن أفضل ما ينبغي أن يستمع له ويتدبر ما فيه ، والله سبحانه وتعالى لم يقل « فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحبون » بل قال : « لعلكم ترحمون » .

فلتكن وجهة السامع بالاستماع أن يهتدى بهدى القرآن ، وأما الصخب وتعالى الأصوات للإعجاب والاستحسان والاتجاه إلى مجرد النغم والألحان ، فهذه كلها آثام وغفلة عن أن هذا كلام الله ، وأنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

متولى عبد الله الفقاعى

المدرس بمعهد القراءات

ابن خلدون

وفلسفته الاجتماعية

مقدمة ابن خلدون :

حازت مقدمة ابن خلدون شهرة عالمية في تاريخ الاجتماع البشري ، فهي الأولى من نوعها في علم الاجتماع . وعلى الرغم من أن ابن خلدون كتب مقدمته في مدينة فاس في الأعوام الأربعة التي قضها في العزلة من سنة ٧٧٥ إلى سنة ٧٧٨ هـ ، فإننا لم نعر على مؤلف آخر أتى بمجموعة من العلوم كهذه المجموعة الفريدة من حيث تكوينها ووضعها ، والمقدمة أشبه بدائرة معارف صغيرة أحاطت بكل ما كان يشغل العقل البشري من العلوم والمعارف في القرون الوسطى .

استهل ابن خلدون مقدمته بتعريف علم الاجتماع ، وأوضح طبيعة العمران بقوله : « إن الاجتماع الإنساني ضروري للأفراد والجماعات مادام الإنسان مدنيا بالطبع » . ثم أردف هذا الاستهلال بالقسم الثاني ، وقد تكلم فيه عن العصبية ومدى تعريفها ، وحلل في هذا القسم نفسية الشعوب من الناحية السيكولوجية ، وأما القسم الثالث فقد تكلم فيه عن معنى الخلافة ، وفي القسم الرابع سرد وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه ، وفي القسم الأخير من المقدمة شرح جانبا كبيرا من نظريات الفنون والمعارف .

نقد المقدمة من بعض نواحيها :

عقد ابن خلدون في مقدمته المشهورة فصولا في العمران ، قرر فيها أن البداوة طبيعية ، وأن الغالب على أهل البدو الشجاعة والقرب من الخير إذا قيسوا إلى أهل الحضار ، ثم خص العرب بطائفة من هذه الفصول ذهب فيها إلى أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية ، وأنهم إذا راموا التوسع السياسي من طريق الحرب فلا يتغلبون إلا على السهول والبساتين دون المواقع الجبلية والقلاع الحصينة ، وأنهم أبعد الأئمة عن سياسة الملك ، وأنهم إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب . وأن المباني التي اختطها العرب أسرع إليها الفناء ، وأن العرب أبعد الناس عن الصناعات .

وردا على ذلك نقول : أما أن العرب أبعد الناس عن سياسة الملك . فهذا أبعد الأشياء عن الحقائق . فالعرب هم الذين شادوا دولة انتظمت ما بين حدود الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . ومن سفوح جبال القوقاز شملا إلى السودان جنوبا . وهم الذين ساسوا هذه الدولة ودبروا أمرها زهاء مائتي عام .

أما سياسة الملك ، فقد كان لسياسة عمر بن الخطاب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، والمأمون وغيرهم ، في إدارة شئون المملكة الإسلامية مع اتساع أطرافها ، ما كان من شأنه أن استقرت قواعد الملك على أسس وطيدة ، ما تزال إلى يومنا مضرب المثل في السياسة الرشيدة .

استطاع العرب أن يفتحوا فارس والروم والمغرب والأندلس . مع صعوبة مسالكها ووعورة دروبها . وأما دعوى ابن خلدون أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ، فهي دعوى منقوضة من أساسها . بدليل ما اختطه العرب من المدن كالفسطاط وبغداد ، هذا بجانب ما شادوه من المساجد ، كمسجد قرطبة في الأندلس وجامع دمشق ، وقصور الأمويين الماثلة في بادية الشام كالمشتى وقصير عمرة ورسافة هشام . أما عزوف العرب عن الحرف وورغبتهم عن الصناعات . فأننى أحيل القارئ على ما كتبه العلامة درير في كتابه القيم (المنازعة بين العلم والدين) .

أما عدم قدرة العرب على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، فأمر لا نقر ابن خلدون عليه . إذ لولا جمع كلمة العرب أيام الخليفة عمر لما استطاعوا غزو فارس والروم ومصر ، وفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، ولولا جمع كلمتهم أيام صلاح الدين ما استطاعوا القضاء على الصليبيين في الشام حول بحيرة طبرية .

وفات ابن خلدون أن يذكر أن مبعث جمع كلمة العرب منشؤه الإيمان ، ومن الإيمان نبتت العقيدة ، ومن قوة العقيدة تجمعت وحدة الصفوف ، والذي انتهى بالعرب في كل مواقفهم الحربية إلى النصر والظفر .

نظريات ابن خلدون الاجتماعية والسياسية :

يمتاز ابن خلدون بنفاذ نظريته وسعة اطلاعه على الشؤون الاجتماعية ، وبخاصة فيما يمس النظم الداخلية للدولة . وترجع هذه الخصوصيات فيه إلى استعداده الطبيعي أولا ،

وإلى أنه شغل عدة مناصب سياسية في تونس ، والأندلس ، ومصر ، هيأته لأن يكون واسع الاطلاع على حياة الشرق ، وصاحب رأى سليم في السياسة الدولية التي كانت سائدة في زمانه .

وقد أضاف الأستاذ محمد عبد الله عنان فصلا في كتابه عن ابن خلدون وازن فيه بين ميكافلي السياسي وبين العلامة ابن خلدون . وأوضح سياسة كل منهما على انفراد . ولكن الموازنة بين هاتين الشخصيتين بعيدة كل البعد عن متناول البحث . وذلك نظرا للتفاوت الكبير بين العقليتين من ناحية وإلى استعداد كل منهما من ناحية أخرى . فبينما يدعو ميكافلي إلى نبذ اليهود ، وإلى نكران الشرف تبعا للصالح العامة للدولة ، نرى ابن خلدون يدعو إلى إبعاد الشر عن الدولة سالكا طرق الدهاء السياسي . وشتان بين الطريقتين .

وفي المقدمة كلام كثير عن النظام الاجتماعي ، وتقرير القواعد التي بمقتضاها تتكيف أساليب الحكم ، وتقوم عليها أنظمة الحكومات . وأهمل ابن خلدون وضع قواعد ثابتة وقوانين عامة يسير عليها الرجل السياسي ، ويمكن للدولة تطبيقها في السياسة الخارجية . بينما نجد في كتاب الأمير لميكافلي أشباه هذه القواعد ، وهذه القوانين التي يحتاج إليها الدبلوماسي ، وتزود بها الدول في تنفيذ سياستها وتعزيز سلطانها الخارجي .

تظهر مقدرة الرجل السياسي عادة في المفاوضات السياسية التي يقوم بها في شبه معاهدات بين دولته والدول الأخرى ، سواء أكانت هذه المعاهدات تمس السياسة أو الاقتصاد أو التعاون الثقافي . ولما كانت الدولة الإسلامية مضطربة اضطرابا شديدا وقت ظهور ابن خلدون في مصر نظرا لهجوم التتار على آسيا الصغرى بقيادة تيمورلنك ، اضطرت مصر إلى تعيين ابن خلدون سفيراً لها لدى بلاط تيمورلنك في ذلك الحين . وقد جرت محادثات بين القطبين السياسيين أظهر ابن خلدون في تلك المحادثات السياسية كفاية ونباهة أعلت من قيمته السياسية في نظر تيمورلنك ، وانتهت المحادثات بنحو من الثقة والطمأنينة ، وكانت نتيجتها إبعاد الأذى عن وادي النيل .

ولكن للأسف لانعلم ماهو الحديث السياسي الذي أفضى به ابن خلدون إلى عاهل التتار الغشوم ، وما هي الأساليب التي اتبعها للوصول إلى تحقيق أغراضه ؟ ولكن الذي لا شك فيه ، والذي استطنعنا الوقوف عليه ، أنه كانت هناك مفاوضات سياسية نهض بعبئها ابن خلدون ، وتناقش فيها مناقشة جديّة مع الفاتح تيمورلنك . حتى لقد كوفئ ابن خلدون منه بجائزة سنوية شهادة منه على حنكته السياسية ومرونته في أساليب الكلام .

ثقافة ابن خلدون :

الذى يطلع على مقدمة ابن خلدون يحكم لأول وهله أنه كان ملهما بضروب المعارف التى كانت موجودة فى عصره ، وأنه استفاد من التجارب القاسية التى لقيها فى حياته ، ومن التيارات السيامية التى خاض غمراتها أثناء اشتغاله ببلاط الملوكة فى أفريقية وبلاد الأندلس وفى مصر .

كل ذلك أعان ابن خلدون على وضع مقدمته النفيسة ، وحسبه منها أن تعتبر أنها إنتاج فى علم الاجتماع .

فلسفة ابن خلدون الاجتماعية :

لابن خلدون فلسفة فى حفظ الاجتماع ، وسلامة الدولة ، وثبات سلطانهما ، وتوافر قوتها لصد كل عدوان خارجى . مؤداها العناية ببقاء السلالة من كل دخیل عليها من الأجناس الأخرى . وهذامنه غلو فى مذهب العنصرية Racisme وهو مخالف لمبادئ الحكمة الإسلامية القائمة على أن الناس كلهم سواء أبوهم آدم وأمهم حواء ، وأن جميع ضروب الأجناس صالحة للترقى والتكامل ، كما أن جميعها عرضة كذلك للتدلى والتسفل . وأن لاشأن هنا لاختلاف الدماء فى ذلك . وإنما المؤثر الحقيقى فى كل ذلك هى المبادئ والعقائد . فإذا كانت سليمة سلم المجتمع من آفات الاجتماع ، وإن كان ذووه من أجناس مختلفة . وأعظم شاهد على ذلك الأمة الإسلامية نفسها التى اختلطت الدماء فيها إلى أقصى حد بسبب دخول أمم مختلفة فيه كانت لا تجمعها أية جامعة . فقد أسست إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس ، ورفعت للدينى علما لا يزال خفاقا فى أقطار شاسعة من الأرض . فإذا كان قد دب إلى هذه الإمبراطورية الفساد . فأنما كان ذلك بسبب استبدالها بالمبادئ الإسلامية بمبادئ فاسدة اقتبستها من هنا وهناك .

فالعنصرية التى كان يرفع علمها ابن خلدون فى زمنه مبدأ فاسد . وقد ظهر له أشياء غلاة فى هذا العصر فلم يفلحوا فى إقامتها ، وكانت سببا فى إضعاف كيانهما بما جلبوه على أنفسهم من الأحقاد والسخائم .

وهذا الخطأ فى النظر لا يقدح فى علو كعب الرجل فى كل ما تصدى له من الشؤون الاجتماعية الأخرى ، ولقد لقي جزاء عمله بخلود اسمه فى سجل كبار العقول فى الأمة الإسلامية ما

عبد الحميد سامى يرمى

المؤمن الحق

بيننا لك أيها القارئ في مقالنا السابق أن المؤمن الحق من جمع بين أمور خمسة بينها الله سبحانه في قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا » . وحدثناك عن الأمرين الأولين ، وهما نحن أولاء نحدثك في هذا المقال عن الأمور الباقية والله المستعان .

الأمر الثالث من الأمور التي لا بد أن يتصف بها المؤمن ليسكون مؤمناً حقاً : التوكل على الله عز وجل ، وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « وعلى ربهم يتوكلون » . والتوكل على الله الاعتماد عليه سبحانه في الشئون كلها وتفويض الأمر إليه والثقة به ثقة لا حد لها ، فلا يرجى إلا هو ولا يؤمل الخير إلا منه ولا يخشى سواه ولا يستعان في الأعمال إلا به « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وهو في الحقيقة مبنى على التوحيد فمن اعتقد أن الله واحد لا شريك له ، بيده الخير والشر وهو على كل شيء قدير « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم » واعتقد أن محمداً عبده ورسوله هداًنا إلى الله وأرشدنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، من اعتقد ذلك فوض الأمر جميعه إلى خالقه ووثق به وتوكل عليه ، وليس معنى التوكل القعود عن العمل وترك الأسباب واطراح الوسائل والإخلاد إلى الخمول وإلى الراحة والسكسل ، فهذا توكل الجاهلين وليس من التوكل في شيء ، بل هو تواكل وإهمال لا يرضاه الله ولا رسوله ولا يرضاه أى مفكر عاقل لنفسه ، وإنما التوكل الحق مزاوله الأعمال واتخاذ وسائلها والاعتماد على الله سبحانه في نجاحها واستثمار ثمرتها . ألا تسمع إلى الله سبحانه يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ويقول « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » . وإلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول للرجل الذى جاءه فقال : يا نبي الله أخلى ناقتي وأتوكل على الله أو أهقلها وأتوكل فقال له : بل أهقلها وتوكل على الله ، فقد أمره باتخاذ الأسباب العادية لما أراد .

ويقول عمر رضى الله عنه : إني لأكره أن يكون الرجل سهلاً ، لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة ، فالتوكل الحق تفويض الأمر كله لله مع مزاوله الأعمال والاحتياط لها والاجتهاد فى إيقائها ما تتطلبه من أسباب لتكامل بها .

هذا وإن فضل التوكل عظيم وأثره حميد ، وحسبنا فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً - أى تسرح فى الغدوة والصباح خميصه البطن خاليتهما وترجع آخر النهار مملوءة البطن ، وهكذا من يتوكل على الله يضمنى عليه خيره ونعمه ويرزقه من حيث لا يحتسب .

الأمر الرابع : إقامة الصلوات وهو المشار إليه بقوله سبحانه : «الذين يقيمون الصلاة» ومعنى إقامة الصلاة أدائها فى أوقاتها وتمديد أركانها وحفظها من أن يقع خلل فى فرائضها وسننها وآدابها ، والصلاة وصلة بين العبد وربّه يقف فيها العبد بين يديه مقبلاً عليه بقلبه خاشعاً بجميع جوارحه خاضعاً لأمره ، يناجيه ويضرع إليه ويعظمه أتم التعظيم . ألا تراه يدخل أول ما يدخل فى صلاته بقوله (الله أكبر) أى الله أعظم وأجل من كل شيء ، ثم يظل فيها متقللاً من تكبير إلى تسبيح إلى تحميد إلى تهليل حتى يحتمها بقوله (السلام عليكم) والسلام اسم من أسمائه تعالى ، ولذلك طلب من المصلى أن يتطهر قبل أن يدخل فى صلاته استعداداً لهذا الموقف العظيم ، وتهبوا للقيام بأفضل قربة وأعظم طاعة بعد الشهادتين ، فقد ورد : ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة . وقال صلى الله عليه وسلم : الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن ، وقال عليه الصلاة والسلام : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر .

وقد قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الصلاة لوقتها . وعلى المصلى أن يتم أركانها من ركوع وسجود ويطمئن فيها فلا ينقروها نقر الطائر ولا يستعجل فيها استعجالاً قد يؤدى إلى بطلانها ، فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلى لا يتم ركوعه ولا يسجوده فقال له بعد أن أتم صلاته هكذا : (صل فإنك لم تصل) . حصل ذلك منه ثلاث مرات وهو فى كلها يستعجل ، فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم كيف يصلى ، وقد ورد أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء (أى نقصاً لا يبطلها) قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع لىكمل به ما انتقص من الفريضة . وقال : أسوأ

الناس سرقه الذى يسرق من صلاته - وقال ابن مسعود رضى الله عنه : الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين - وعلى المصلى أن يخشع فى صلاته ويستحضر عظمة ربه وجلاله وهيمته على خلقه فلا يحدث نفسه بهم من هموم الدنيا ولا بشيء من متاعها ، بل يقبل على الله إقبالا كلياً بخشية وتمسك وتضرع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من صلى ركعتين لم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه) ورأى سعيد بن المسيب رضى الله عنه رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : لو خشع هذا لخسعت جوارحه . وكان على بن أبى طالب رضى عنه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ، فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ، ويروى عن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه كان إذا تواضاً اصفر لونه فقيل له : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟

قال الإمام الغزالى رضى الله عنه : لا بد فى الصلاة لتسكون حية غير ميتة من أمور ستة :

١ - حضور القلب وهو أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما ولا يكون الفكر جائلاً فى غيرهما ، ومتى كان فى قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب .

٢ - التفهم لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع المعنى ، وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يستوى الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات ، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر .

٣ - التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب ، إذ الرجل قد يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعانيه ولا يكون معظماً له فالتعظيم زائد عليهما .

٤ - الهيبة وهى أمر زائد على التعظيم ومتفرعة عليه ، فهى عبارة عن خوف منشؤه التعظيم والإجلال .

٥ - الرجاء وهو أمر زائد عما سبق ، فكم من معظم ملائكة من الملوك يهابه ويخاف سطوته ، ولكن لا يرجو منوبته ، والعبد يجب أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل ، كما أنه يخاف بتقصيره عقاب الله سبحانه وتعالى .

٦ - الحياء وهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ، ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب اه بتصرف . ولا شك أن الصلاة بغير ما ذكر تكون صلاة صورية ليس لصاحبها منها إلا التعب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كم من قائم حظه من صلاته التعب والوصب) .

وبعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من ترك صلاة متعمدا فقد برئ بذمة محمد عليه السلام) . ولذلك يرى الإمام أحمد رضى الله عنه تكفير من ترك الصلاة ، أما الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبو حنيفة رضى الله عنهم فانهم يفرقون بين من تركها كسلا ومن تركها جمدا (أى إنكارا لمشروعيتها) فتاركها كسلا عاص فاسق يستتاب ثلاثة أيام فان تاب وإلا قتل حدا لا كفرا ، ومن تركها جمدا فقد ارتد عن الإسلام والعياذ بالله ، لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، وحكمه أنه يقتل كفرا إلا إذا تاب كما هو مذهب مالك رضى الله عنه ، ومن أجل ذلك كانت الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن فرط فيها ولم يقم بها وهن دينه وضعف يقينه ، نسأل الله أن يوفقنا للمحافظة عليها وأدائها كما ينبغي للمسلم أن يؤديها .

(الأمر الخامس) إنفاق الأموال وهو المشار إليه بقوله سبحانه : « ومما رزقناهم ، ينفقون » والمراد الإنفاق فى وجوه البر وسبل الخيرات مع طيب القلب وسماحة النفس ، وسواء فى ذلك الإنفاق الواجب كالزكاة الواجبة والنفقة على الزوجة والوالدين الفقيرين والأولاد الصغار والإنفاق التطوع كالصدقة الجارية على الفقراء والمساكين ، وهذا باب واسع يدخل فيه كل نفقة أريد بها وجه الله سبحانه وتعالى ، فبناء المساجد إنفاق فى سبيل الله وبناء القناطر إنفاق فى سبيل الله ، وبناء المستشفيات والملاجئ إنفاق فى سبيل الله ، وتجهيز الجيوش بالعدة والعتاد إنفاق فى سبيل الله ، وقرى الضيف إنفاق فى سبيل الله إلى غير ذلك مما هو بر وسخاء ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : (من أدى الزكاة وقرى الضيف وأدى الأمانة فقد وقى شئ نفسه) . أى ومن يوق شئ نفسه فأولئك هم المفلحون ، وبهذا تمت الأمور التى لا بد أن يتصف بها المرء ليكون مؤمنا حقا . ولقائل أن يقول إن الآية السكرية اقتضت على خمس خصال ، فهل نفهم من ذلك أن غير ما ذكر فيها لا يشترط فى المؤمن الحق فيكون المرء مؤمنا حقا وإن ترك الصوم والحج والجهاد فى سبيل الله وغير ذلك ، أو ارتكب بعض المؤنمات مما لم تتعرض له الآية السكرية بأمر ولا نهى .

ونقول : إن الآية السكرية بما يلتته تضمنت جميع الطاعات وترك جميع المنهيات ، فالمدكور فيها كالعنوان لما سواه ، فان أعمال الإنسان دائرة بين أعمال القلوب وبين أعمال الجوارح ، فالوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة الآيات والتوكل على الله من أعمال القلوب ، فهي عنوان لجميع أعمال القلوب فعلا كالإخلاص ، أو تركا كترك الحقد والحسد ، وإقامة الصلاة والإنفاق من أعمال الجوارح فهي كالعنوان لجميع أفعال الجوارح من حج وغزو وغير ذلك ، وبالجملة فالآية السكرية تعرضت لجميع الأعمال بما صرحت به وما يتبع ذلك ويلزمه بل بعضه كاف في ذلك فوجل القلب عند ذكر الله وزيادة الإيمان مما يستدعى القيام بجميع الطاعات ومجانبة جميع الآثام ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذلك تقول الآية الأخرى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا » فهي تلاقى الآية الأولى تماما ، ولكن كل آية عنونت بما يناسب ماسيقت له ، ويؤخذ غيره بطريق المفهوم واللزوم ، فان الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله وإيواء المهاجرين ونصر النبي صلى الله عليه وسلم ودينه الحنيف كل أولئك يدل أعظم دلالة على المحافظة على الطاعات والبعد عن المعاصي والمؤمنات .

نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة ما

محمد الطنيجي

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

التمساح . . . والتهيب

عرفوا الحياة نعيمها والبوسا	المسلمون على جهالة بعضهم
وتجرعوه من الخطوب دروسا	أخذوا عن الزن المشاغب علمها
أم يدركون سنا البروق جلوسا	أفيلغون مدى العواصف نوما
جعل التهيب والنكول لبوسا	ليس الذي لبس السلاح كهاجز

أحمد محرم

أبو عبيدة في عهد الشيخين

أبي بكر وعمر

لما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وخلفه أبو بكر رضى الله عنه على شئون الإسلام كان يجتهد جهده أن يحذو حذو النبي صلوات الله وسلامه عليه .

وكان من ذلك أن وضع الناس على منازلهم ، وكان أبو عبيدة أميناً لهذه الأمة كما وصفه الرسول صلوات الله عليه ، فرأى الخليفة أن يجعله على بيت مال المسلمين يحفظه ويباركه ، ويتعهد ويستصلحه .

ولسكن الخليفة القائم على إنشاء دولة إسلامية يعوزه الرجال الأبطال الفاتحون والمجاهدون الناجحون من ذوى السابقة المعروفة ، فاذا كانت الأمانة إلى ذلك ، فالثقة الموفورة والفتح الميمون .

وإذا كان أبو بكر قد رشح أبا عبيدة للخلافة كلها - لولا موقف عمر يوم السقيفة وتأثيره في المسلمين بما أبان من فضل الصديق - فماذا عسى تظن برضاه عنه وترشيحه لكل خطير من شئون الدولة ، وكان أهم الشئون عند الصديق قتال الأعداء لحفظ كيان الإسلام .

ولاه الصديق إذا إمرة جيش من الجيوش التي وجهها إلى الشام وأمره أن يقصد حمص ، على أن هناك قواد آخرين في جهات أخرى ، ولكن أبا بكر أوصاهم إذا اجتمعوا معا على قتال مشترك أن يجعلوا أمير الجميع أبا عبيدة .

ولما فرغ خالد من الفرس بعد أن أظهر في قتالها من المهارة وقوة الإيمان ما كان موضع إعجاب المسلمين وعلى رأسهم الخليفة أبو بكر الصديق أمره الخليفة أن يسير إلى أبي عبيدة لمعاونته على فتح الشام وأمره أن يكون أمير الجماعة وكتب إلى أبي عبيدة بذلك ، فقبل خالد الوضع على استحياء وأدب وفي اعتذار للقائد الأمين ، وأعجب القائد الأمين بما فعل الخليفة وطيب خاطر القائد الحديد بما لا يصدر إلا عن نفوس وهبت نفسها لله وطرححت حظوظ النفس وشهواتها . جعل الله لنا فيهم أسوة صالحة كريمة .

على أن السيد الخليفة يعتذر إلى أبي عبيدة بأن ذلك التصرف لم يكن لأنه لا يفضل أبا عبيدة على خالد ، وإنه ظن أن له خبرة في الحرب ليست لأبي عبيدة - وهو دأب الكبار الكرام من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعيهم باحسان ، يسمعون الناس جميعا بأدبهم وخلقهم وتقديرهم العادل المحسن .

ثم قاد خالد الجيش الذي أصبح أبو عبيدة أحد قواده الموزعين بين أقسامه : فأبو عبيدة على القلب ، وعمرو بن العاص وشرجيل بن حسنة على الميمنة ، ويزيد ابن أبي سفيان على الميسرة .

وفتحت دمشق فتحا عجيبا بعد أن أبلى المسلمون فيها بلاء عظيما واستشهد كثير من الصحابة ، وإنه بعد أن فتكوا بالروم فتكا ، وبعد أن فتحوا بلادا قبل ذلك وهم في طريقهم إلى دمشق .

قال المؤرخون : إنه في أثناء فتح دمشق ورد البريد ب وفاة الصديق وخلافة الفاروق ، وإن عمر رضى الله عنه عزل خالد عن إمرة الجيش وردها إلى أبي عبيدة ، وكان يعيب على خالد أن فيه تبذيرا للمال لأنه يعطى الشعراء ويعطى المجاهدين فوق ما يستحقون ، وكان عمر أدق منه وأبصر بالأمر . وحاول أن يغير من طريقته فلم يفعل خالد اعتداده بنفسه . ونحن نطوى هنا كثيرا من تفصيل المؤرخين وخلافهم ، لأن الوقوف عند ذلك جدير أن يطول به مجال القول بما لا متسع له في هذه العجالات .

على أن موقف كل من خالد وأبي عبيدة بعد ذلك التغير أيضا من الخليفة الجديد هو موقف النبيل الأول والأدب في كل منهما ، وقد تجلّى ذلك في أن أبا عبيدة رضى الله عنه لم يخبر خالدا بخطاب عمر إلا بعد أن انتهى فتح دمشق ، فلم يكن حريصا على أن ينسب فتح هذا البلد العظيم إليه كما قد يصدر من بعض النفوس التي تعنى بالمظاهر ، على أنه احتفظ لخالد بجوهر القيادة حين قال له : أنت مرجى والمستشار في كل ما يعرض لى لا أعصيك ولا أخالفك .

وتجلّى النبيل والأدب في قبول هذا المجاهد الفاتح الذي أنقذ الإسلام ، وطار اسمه في كل مكان ، حتى كاد اسمه يهزم العدو دون قتال ولا محاولة ، وظهر إخلاص خالد في الجهاد تحت إمرة أبي عبيدة كإخلاصه قائدا عاما وأميرا للجيش ، فقد سار الجيش

متساندا يوغل في بلاد الشام ويتوغل في الفتح . فغزا فخل من أرض الأردن وهزم جيش الروم هزيمة منكورة فقد كان الجيش الرومي يبالغ ثمانين ألفا ولم يفلت منهم إلا الشريد . هذا برغم ما كان من تهديد الروم للمسلمين وزعمهم أنهم أعطوا الله عهدا ألا ينصرفوا عنهم وفيهم عين تطرف ، ولكن الله خيب ظنهم وعكس الأمر عليهم .

وفي حمص عبا هرقل لم جيشا جرارا لا يهزم من قلة ، ولكن المسلمين تذرعوا بالإيمان والصبر فانقضوا على الجيش وقتلوا قواده ، ثم تتبعوا أجناده ففتكوا بهم ، ولجأ الباقي منهم إلى الحصون فحاصروهم حتى دوخوهم ، وانتهى الأمر بتسليم الجيش الرومي وكتابة عهد الأمان مع أبي عبيدة . وهكذا ظل أبو عبيدة يفتح بلاد الشام بلدا إثر بلد بعضها بنفسه وبعضها بمن يختاره من كبار المجاهدين ففتحو مرج الروم وقنسرين وحلب وأنطاكية وبيسان وأجنادين وهكذا ، حتى انتهى الأمر إلى فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة على يد عمر بن الخطاب نفسه كما طلب الروم ذلك .

نقل بعض المؤرخين أن الروم امتنعوا عن فتح باب السور حتى يروا عمر ويحسدوا فيه الصفة التي يحسدونها في كتبهم ، فسار عمر إليهم حتى قرب من السور ووقف بازائه فنظر إليه البطريق وهو خلف السور ثم زعق بأعلى صوته : هذا والله الذي نجد نعتة وصفته في كتبنا ، وهو الذي يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ، فانزلوا إليه ويحكم واعقدوا معه الأمان والذمة . ففتحو الباب وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة وعقد الجزية ، فخر ساجدا لله على قتب بعيره ، ثم كتب لهم الكتاب ودخل بيت المقدس وكشف عن الصخرة وأمر ببناء المسجد عليها وأقام عشرة أيام ثم رجع إلى المدينة ، ثم ما زال الفتح يطرد للمسلمين بين الشام والعراق ومصر على يد هذا الخليفة العظيم صاحب الفضل في جعل هذه البلاد إسلامية يدوى فيها صوت الحق ، ويرتفع فيها منار العدل والإحسان .

وكان آخر أمر أبي عبيدة الكريم في تلك البلاد بل في كل هذه الحياة الدنيا أن ظهر الطاهون بالشام سنة ثمان عشرة ، وكان ظهوره كان أثرا لكثرة الجثث المنهثة في الإقليم وتغفن البلاد بها وتلوث مياهها وكل شيء فيها ، وكان يسمى طاهون عمواس لأنه من ذلك المكان بدأ .

وكان رأى أبي عبيدة ألا يخرج من هذه البلاد ، ولو كان فيها ذلك الوفاء على خلاف رأى عمر ، وإن كان عمر قد ألزمه الحجة بأن ذلك فرار من قدر الله إلي قدر الله وبحديث رواه لهم عبد الرحمن بن عوف .

وأصر أبو عبيدة على ألا يخرج ولا سيما بعد أن تفشى الطاعون وفنك بأصحابه برغم أن عمر رضى الله عنه تأنط له بعد عودته من الشام في كتاب رقيق يقول فيه (إنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشفئك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت فى هذا الكتاب ألا تضمه من يدك حتى تقبل إلى) .

ونستطيع أن نتفهم السر فى تشبته بالبقاء بأنه حريص على تحقيق الأمانة بأدق معانيها والوفاء بأخص مميزاته ، فهو فى جماعة لا بد أن يؤاسيهم ولو ضحى بنفسه معهم لإرضاء الجانب الإخلاص والأمانة والإيمان الصادق وإيثار الجانب الروحى ولو عزم عليه الخليفة الذى كان يرى أن طاعته من طاعة الله عز وجل ، وذلك حين يقول فى جوابه « يا أمير المؤمنين إني قد هرفت حاجتك إلى وإني فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فإست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره ، فخلنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى » .

يخرج لك يا أبا عبيدة لقد طببت حيا وميتا وحققت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أنك أمين حق أمين .

وقرأ عمر الكتاب فسكى رثاء لأبي عبيدة قبل أن ينزل به قضاء الله ، ولما سئل أقضى أبو عبيدة يا أمير المؤمنين ؟ قال « لا . وكأن قد » .

وطعن أبو عبيدة بحظه من هذا الوفاء وأحس بالموت فأوصى يقول :

« أقرئوا أمير المؤمنين السلام ، وأعلموه أنه لم يبق من أمانتى شئ إلا وقد تمت وأديته إليه ، إلا ابنة خارجة نكحت فى يوم بقى من عدتها لم أكن قضيت فيها بحكومة ، وقد كان بعث إلى بمائة دينار فردوها إليه » فقالوا له إن فى قومك حاجة ومسكنة ، فقال : ردوها إليه ! .

ثم أوصى بوصاة عامة يقول فيها : « انصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا فان امرءا لو عمر ألف حول ما كان له بد أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون ،

الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم له وأعملهم ليوم معاده .
والسلام عليكم ورحمة الله . يا معاذ بن جبل صل بالناس » .

وتوفى في فخل أو الأردن أو عمواس على اختلاف الروايات . رحم الله أبا عبيدة
وعطر ذكراه وذكرى أصحابه الأبطال المجاهدين .

من صفات أبي عبيدة

١ - عرف رضوان الله عليه بالتواضع ولين الجانب ، وقد كان من مظاهر ذلك
ما مر بك من تنازله عن الإمرة لعمر بن العاص أولاً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم
يوم أرسله عوناً له في غزوة ذات السلاسل على رأس طائفة من الصحابة وفيهم أبو بكر
وعمر . وحاول أصحاب أبي عبيدة أن يجعلوه أميراً عليهم . ولكنه لم يرا أحداث الخلاف
بعد أن تشبث عمرو بطلب الإمرة على الجميع .

وكان من مظاهره ما مر بك من نزوله عن الإمرة لخالد في عهد أبي بكر رضي الله عنه
عن طيب خاطر وتكريم ، ثم إخفائه كتاب عمر باسم الإمرة إلى أبي عبيدة حتى
فتحت دمشق على يد خالد .

وقد ذكروا أن خالداً وأبا عبيدة اقتسما دمشق ففتح خالد جانبه عنوة بشدة بطشه
ولكن أبا عبيدة فتح ناحيته صاحباً لدمانة نفسه واقتياد نفوس الأعداء له ، وهذا معنى
يشيع في سيرته وجميع تصرفاته .

٢ - وأيد ذلك المعنى فيه أن كان زاهداً في الدنيا وفي متاعها وعازفاً عن
كل مظاهرها .

وقد رأيت ما كان من موقفه في أمر الطاعون وهو موقف يدل على أنه كان يرجو
حسن المآب . ولا يطلب الدنيا ولا يحرص على بقاء فيها ولا استزادة منها لأنه يزدريها ،
ويحقر كل ما فيها . وقد اشتهر في كتب التاريخ والأدب والرواية ما كان من قصة
عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة يوم دخل الشام .

قالوا : إن عمر حين دخل الشام قال لأبي عبيدة : اذهب بنا إلى منزلك .
قال : وما تصنع عندي ، ما تريد إلا أن تعصر عينك على ، قالوا : فدخل منزله فلم

ير شيئا قال : « أين متاعك ؟ لا أرى إلا لبدة وصحفة وشنا [١] وأنت أمير ! أهنئك طعام ؟ فقام أبو عبيدة إلى جونه فأخذ منه كسيرات ، فبكى عمر . فقال له أبو عبيدة : قد قلت لك إنك ستعصر عينيكَ على . يا أمير المؤمنين : يكفيك ما بلفك المقييل . قال عمر : غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة . فأى زهد هذا وأى شهادة هذه من رجل كان يلبس المرقع ولا يأكل آدمين في طعام . لقد كان أبو عبيدة كبيرا . لقد مات أبو عبيدة وهو لا يملك من حطام الدنيا إلا فرسه وترسه .

ومن كان هكذا زاهدا في الدنيا معرضا عن حطامها كيف تكون سيرته وكيف يعيش الناس في كنفه ، لقد رأيت أنه أوصى برد مائة دينار كان الأمير بعث بها إليه إلى بيت مال المسلمين ولم يبال أن في جماعته فقراء ومعوذين ، ثم أين نفع من هذه الصفة ونحن نؤثر أنفسنا بالمال ولا نبالي كيف نجعله ، فاللهم رحماك ولطفًا بأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ — على أنه كان قويا في دينه شجاعا مقداما لا يبالى أن يقول كلمة الحق لله ما دام يعلم أنها كلمة حق . إنه لم يبال أن يخالف عمر بن الخطاب ذلك الإمام الشديد القاسي في الحق ، فانه لما هم بالرجوع وقد نزل الطاعون بالشام قال له في صراحة المؤمن الصادق القوى : أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟ قال له عمر : نعم ، فرارا من قدر الله إلى قدر الله ، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة . . .

والخبر مشهور متداول غير أنا نشير إلى ما دل عليه من شجاعة وإقدام ، ولقد أصر على رأيه حتى مات شهيدا بالطاعون كما رأيت .

وقد جاء أن عمر لما ولي الخلافة كتب إليه كتابا مشتركا بينه وبين معاذ ، على أنه جامل أبا عبيدة في أول ما عمل من أعمال الخلافة فعزل خالدا عن الولاية العامة وجعله مكانه ، وكان مما في هذا الكتاب : « وإنك يا عمر أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد أحمرها وأسودها ، يقعد بين يديك الصديق والعدو والشريف والوضيع والشديد والضعيف ، ولكل عليك حق وحصة من العدل ، فانظر كيف أنت يا عمر عند ذلك . وإنا نذكرك يوما تبلى فيه السرائر وتجب فيه القلوب وتكشف فيه العورات وتظهر فيه

المخبات وتعن فيه الوجوه لملك قاهر» . وكتب إليهما عمر يشكرهما ويوصيهما ويطمئنهما ويقول فيه : « وما سلطان الدنيا وإمارتها فان كل ما تريان يصير إلى زوال ، وإنما نحن إخوان فأينا أم أخاه أو كان عليه أميرا لم يضره ذلك في دينه ولا دنياه ، بل لعل الوالى يكون أقرب إلى الفتنة . . وكتبنا تعوذناخى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما ، وإنما كتبنا نصيحة لى ، وقد صدقنا ، فتعهدانى منكما بكتاب ولا غنى لى عنكما » .

هكذا كان المفلحون : صراحة فى الرعية وجرأة فى الحق ، وتواضع من الراعى ، وقبول للنصح وتشجيع عليه . وأوائك الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فكان النجاح والنصر .

٤ — وكان أبو عبيدة شجاعا فى الحرب خبيرا بشئونها وسيفا من سيوف الله على أعدائه ، ولولا ذلك كله ما اختير لذلك الموضع ولا كان ذلك الفتح المبين على يده . لقد وجهه أبو بكر وعمر ذات اليمين وذات الشمال فلم يقف تياره ولم يستقر قراره ، ولكنه فتح وأوغل فى الفتح حتى مات مجاهدا غريبا .

٥ — فأما أمانته ودقته فيها فقد تجلى أثرها فى جميع مواقفه وهو الوصف الذى شهد به الصادق المصدوق له ، فظل ملازما له طول حياته حتى فى آخر لحظاته ، حتى إنه خرج من الدنيا وليس له فيها إلا اعتاد الحرب .

وقد بلغ من أمانته أن كان يكتب إلى الخليفة بكل دقيق وجليل فى أمرى الحرب وغير الحرب من شئون الدين والدنيا لا يدخره نصحا ولا يكتمه أمرا .

إن الحديث عن أبى عبيدة قد يطول ولا ينفد ويقصر فما يستوعب ، رحم الله أبا عبيدة وجعل من سيرته عظة لنا وعبرة لجماعتنا حتى نجد فى الحياة ونأخذ منها بالقسط الصالح الرفيع .

لغويات

السلطة

السلطة من الأطعمة معروفة . وجاء في مستدرك التاج : « والسلطة - محرّكة - : ما يعمل من التوابل ، عامية » ، فكانت هذه الكلمة إذا حية في أيام السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس ، وكانت وفاته سنة ١٢٠٥ هـ ، وكان الأقدمون يقولون : السكاخ ، وهو معرب . وفي معرب الجوابي ٢٩٨ : « والسكاخ الذي يؤتد به معرب » فأما السلطة فهي كلمة إنجليزية ، وهي في الفرنسية Salade ، سالاد . واشتقاقها عندهم من سل Cel أى الملح لدخوله فيها .

وقد بدا لبعض الباحثين أن السلطة عربية ترجع إلى السليط ، وهو الزيت ، وذلك أن الزيت يدخل فيها . ويدفع هذا الزعم أن السلطة لم تعرف إلا في العهد الأخير حين كثر تحول الغربيين إلى المشرق ومعهم أطعمتهم وأمتعتهم .

وكنيت رأيت منذ حين في خطط المقرئى نصا فيه السلائط بعثنى أن أفهم أن السلطة كانت معروفة في عصره ، ثم تبين لى تحريف فيه رجعتنى عن هذا الذى فهمته . أما النص فهو فى « ما كان يحمل فى يوم عاشوراء ج ١ ص ٤٣١ من طبعة بولاق » . وهو : « قال ابن المأمون : وفى يوم عاشوراء - يعنى : من سنة خمس عشرة وخمسة - عبي السماط من دار الملك بمصر التى كان يسكنها الأفضل بن أمير الجيوش ، وهو السماط المختص بعاشوراء ، وهو يعبى فى غير المسكان الجارى به العادة فى الأعياد . ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم ، والسماط يعلوها من غير مراافع نحاس . وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات ، وجميع الخبز من شعير » . وقد وقفت بالاطلاع على النسخ المخطوطة غير المطبوعة أن (سلائط) عترفة عن (سلائق) . والزبادى جمع الزبدية . وفى التاج أنها بكسر الزاى صحفة من خرف . وقد سقط هذا النص هنا لثلا يغتر به أحد ، كما اغتررت حقبة من الدهر . وقد سبق بحث كلمة السلطة فى مجلة المجمع العالمى فى دمشق فى المجلد ١ ص ٣١٥ ، والمجلد ٨ ص ٥٦٥ ، فمن أراد مزيدا فليرجع إلى هذا المرجع .

الشعبة الاثنا عشرية

هم فريق من الشيعة ، يقولون باثني عشر إماما من آل البيت ، أولهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وآخرهم الحسن العسكري . وهم يعتقدون فيهم العصمة عن الخطأ ، وأنهم مرجع دينهم وحجتهم عند ربهم .

ويعتني في هذا المقام صيغة النسب . فاثنا عشر مركب عددي ، وهو يدخل في المركب المزجي ، ووجه النسب إليه أو الإضافة - كما يقول سيويو - أن يقال : اثني أو ثنوي ، أى أن ينسب إلى الجزء الأول ويحمل الجزء الأخير . ويقول سيويو في الكتاب ٢ / ٨٧ : « وسألته - يعنى الخليل - عن الإضافة إلى رجل اسمه اثنا عشر فقال : ثنوي في قول من قال : ثنوي في ابن . وإن شئت قلت : اثني في اثنين ، كما قلت : ابني . وتحذف عشر كما تحذف نون عشرين . فذهب عشر بالنون كما شبهت عشر في خمسة عشر بالهاء . وأما اثنا عشر التي للعد فلا تضاف ولا يضاف إليها » .

والذي منع أن ينسب إلى اثني عشر غير علم أن كلا من العددين مراد ، فلو حذف أحدهما ضاع في اللفظ معناه المقصود ، وهذا بخلاف العلم فقد صار المركب هو الدال بجمانه على المعنى ، فصار حذف أحدهما هينا محتملا ، ولأن العلم إذا تلفظ به غلب على ظن السامع المراد قبل تمامه . ويقول الرضى في شرح الشافية ٢ / ٧٣ : « ولا يجوز النسب إلى العدد المركب غير علم لأن النسب إلى المركب بلا حذف شيء منه مؤد إلى الاستئصال كما مر . ولا يجوز حذف أحد جزأى المركب المقصود منه العدد ، إذ هما في المعنى معطوف ومعطوف عليه ، إذ معنى خمسة عشر خمسة وعشر ، ولا يقوم واحد من المعطوف والمعطوف عليه مقام الآخر » .

فقد بان لك أن الواجب أن يقال : الشيعة الاثنية أو الثنوية . وقد يقول قائل : إن هذا يوقع في الالتباس ، فلا يدرى أهو نسب إلى اثنين أم هو نسب إلى اثني عشر ، والجواب أن العرب قد لا تبالى بالالتباس في هذا الباب اعتمادا على الملابسات والقرائن التي تدفع إلى المراد .

وقد تحزس أبو حاتم السجستاني من الالتباس ونز منه بالنسبة إلى الجزأين منفردين فهو يقول : الثنوي العشري أو الاثني العشري . ذكر هذا ابن سيده في المخصص ١٣ / ٢٤٣ والرضي وغيره .

وترى أن أحدا لا يجيز النسب إلى جملة المركب ، نعم ورد في النسب إلى بعلبك اسم مدينة في الشام - وهو مركب من بعل وبك - بعلبكى . ويقول ياقوت في معجم البلدان « وتقول في النسب إليه بعل [١] كما تقول : طلحي . وأما من قال : بعلبكى فليس بعلبك عنده مركبا ، ولا يكتنه من أبنية العرب » . ويرده أنه ليس من أبنية العرب - فيما أعلم - هذا البناء أى فعلل - ، فانما هو مركب لا محالة . وقد نص الأشموني على أن هذه النسبة شاذة . وذكره الشيخ خالد في التصريح وسكت عن حكمه ، ويخرج عليه المثال الذى نتحدث عنه ، وهو الاثنا عشرية . وقد جاء في مفاتيح العلوم للخوارزمي من رجال القرن الرابع في مبحث التشریح : « الاثنا عشرى : معى متصل بالبوآب ، طوله اثنا عشرة إصبعا » على أنه كان ينبغى أن يقال : الاثنا عشرى ، لأنه منسوب إلى اثنتى عشر كما ترى .

والاثنا عشرية يجرى إعرابها على آخرها أى على التاء . وإذا قيل : الاثنا عشرى فالإعراب على الياء . وهذا ظاهر لاشئ فيه . ويبقى بعد هذا أمر الألف في (اثنا) هل تبقى مع العوامل لا تتغير بتغيرها ، أو تتغير إلى الياء في حالتى النصب والجر .

يرى فريق من الباحثين أن الألف تبقى ، وأنها ليست حرف إعراب ، وإنما أوثرت لأنها علامة الرفع وهو أشرف أحوال الإعراب . فيقال : فلان من الشيعة الاثنا عشرية . ويبدو احتمال آخر . وهو أن تكون الألف في حالة الرفع ، والياء في حالتى النصب والجر ، فيقال فلان من الشيعة الاثنى عشرية . ويسوغ هذا الوجه امتصحاب الأصل قبل النسبة ، ودفع القبح من بقاء الألف فيما هو على صورة المثني في حالتى النصب والجر ، وأن إعراب الجزء الأول قبل النسبة كان على وجه الشذوذ إذ هو مركب مزجى حقه البناء ، وإنما دفع البناء أن اللفظ على صورة المثني ، فيبقى هذا الشذوذ بعد النسب . ولهذا نظير في نحو امرئ وابنم مما يعرف بالمعرب من مكانين .

يستأنس للوجه الأول بقولهم في النسبة إلى البحرين (الإقليم المعروف على الخليج الفارسى) : بحراني . فتراهم التزموا الألف . ويعلل الخليل هذا بقوله : كأنهم بنوه على بحران . والذى يعنيننا هو التزامهم الألف في النسب . ويرى بعض الباحثين أن تحكى حالة المنسوب إليه فاذا كان (اثنا عشر) التزمت الألف ، وإن كان (اثنى عشر) التزمت الياء . وهذا مما لا يجرى فيه الحكاية .

[١] المجلة - وعليه جرى أعلام العلماء من أبناء هذه المدينة ، وكثير منهم من فقهاء الحنابلة اشهر كل منهم بالبلى ، ولهم تراجم في كتب طبقات الحنابلة .

جلست علاء رضى . على ملة مجدين

يقول بعض العرب : جلست علاء رضى ، يريد : على الأرض ، وعهد ملة مجدين يريد : من المجدين . وهذا كثير من أمرهم ، حتى صار منها مسلوكا وطريقا محتذى عند المحققين من علماء العربية . وفي الهمع ٢/٢٠٠ « وجعل ابن مالك هذا قليلا . وجعله ابن عصفور وغيره من الضرورات . ونازعهما أبو حيان فقال : إنه حسن شائع لا قليل ولا ضرورة . قال : ولو تتبعنا دواوين العرب لاجتمع من ذلك شيء كثير ، فكيف يجعل قليلا أو ضرورة . بل هو كثير ويجوز في سعة الكلام . . . قال نعم : لحوازه شرط وهو أن تكون اللام ظاهرة غير مدغمة فيما بعدها فلا تقول في « من الظالم » مظالم ، ولا في « من الليل » : مليل . قال : ونظير ذلك حذف نون (بنى) فانهم يحذفونها إلا إذا كان بعدها لام ظاهرة ، فيقولون في بنى الحارث : بلحارث ، ولا يقولون في بنى النجار : بنجار » ومما جاء من هذا الباب قول قطرى بن الفجاءة الخارجي :

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو وتميم

ويقول المبرد في الكامل [١] في التعليق على هذا الشعر : « : وقوله : غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد : على الماء فان العرب إذا التقت في مثل هذا لامان استجازوا حذف أحدهما استئقالا للتضعيف ، لأن ما بقى دليل على ما حذف . فيقولون : علماء بنو فلان . . . وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فانهم يميزون معه حذف النون التي في قولك : بنو ، لقرب مخرج النون من اللام . وذلك قولك : فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجم . »
والذى يهمنى في هذا الموطن الرسم والإملاء . فالكلمات على ومن وبنو بعد الحذف تبقى على حرف واحد ويوجب الرسم أن يوصل هذا الحرف بما بعده مع حذف ألف أل . فيقال : علماء ، ولا يقال : ع الماء ولا علماء ، وهكذا يجرى سائر الأمثلة . ويكتب قول الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألكة غير الذى قد يقال ملكذب

هكذا ، وأصله : من الكذب . نعم نقل عن الزنجشري أنه كان يصل الحرف بألف أل ، فيكتب : علماء . وعلماء الرسم على خلاف هذا . ويقول الأمير في حاشيته على المغنى في مبحث إن المشددة : « قوله : بلحارث مختصر من بنى الحارث . ترسم الباء متصلة باللام اختصارا بعد حذف الألف في الرسم أيضا . ووجد بخط الزنجشري رسم علماء بالألف بعد العين قياسا على (فالماء) و (كالماء) مثلا . »

محمد على النجار

الحاكم العادل

عمر بن عبد العزيز

لنستطيع أن نحكم على إنتاج أدبي ما ، يجب أن نحدد الهدف الذي سعى المؤلف إلى تحقيقه ، ثم ندين خطواته المتتالية لنعلم مدى توفيقه في سيره ، فتأكد من بلوغه الهدف أو قصوره عنه . . . وتحديد الهدف لا يكون بقراءة المقدمة ، فكثيرا ما يخدع المؤلف قارئه ، فيرسم لإنتاجه صورة براقة لا تنطبق على حقيقته ، ولابد من استشفاف عميق يصل به الناقد إلى رأى صادق تمليه بصيرته الفاحصة وتؤكد ثقافته المحيطة ، وإذا ذلك ينتصب الميزان العادل في يده ، فيرجح أو يشول ، دون تحيف أو انحراف .

وإذا حاولنا أن نستشف الهدف الذي قصد إليه الأستاذ أحمد الشرباصي من مسرحيته : « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » لم يمجزنا أن نجد الخيوط التي تسيّر بنا إلى غايتنا في يسر وسهولة ، فالمؤلف كاتب فاحص زاول المقالة والمحاضرة والبحث العلمي في إنتاجه الأدبي ، ولأول مرة يفرد كتابا خاصا لمسرحية تاريخية تتحدث عن علم بارز من أعلام الإسلام . وكان في وسعه أن يترك المسرحية جانبا ، ويلجأ إلى التحليل التاريخي كما صنع ، إذ تحدث في كتبه السابقة عن أبي بكر الصديق ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وزينب بنت علي ، فلماذا لجأ إلى الأسلوب المسرحي في كتابه عن عمر بن عبد العزيز ؟ ! . . . وهل هناك غاية نستشفها ، أو سبب نتلمسه ، في غير محل أو لحاج ؟ !

إن الواقع الأدبي للحياة المعاصرة يجيب عن هذا السؤال ، فقد طغت الرواية طغيانا كبيرا على الإنتاج في عهدنا الراهن ، فزحرت المكتبات العربية بشتى القصص والمسرحيات ، واندفع القراء إلى التهامها التهاما جعل لها المكان الأول في الذبوع والرواج . . . وقد تنكب كثير من أصحاب هذه القصص الذائعة سبيل الفضيلة والكرامة ، فأخذوا يتلقون الغرائز الهابطة ، ويتحدثون عن النزوات الجنسية ، والشهوات الجاحمة حديثا

يترك أثره السيئ وعواقبه الالئمة . . . إنك لتلتاع أسوأ التباع حين تجد شباب المدارس والجامعات يندفعون إلى إدمان مخدر مهلك يتسالم إلى أفكارهم ، من ممارسة هذه القصص النكراء ، فيعيشون في جو بئيس من التلهب والاستفزاز ، يذكيه الحرمان ، ويؤججه البكت والقنوط والشيطان ، فإذا حاولت مناقشتهم مناقشة عاقلة سمعت على ألسنتهم حديث هذه القصص المدمرة ، وقد نظر هؤلاء الأغوار إلى أصحابها المفاليك نظرات الإكبار والتجلة ، وهم في حقيقة أمرهم صعاليك تافهون يملقون الغرائز المريضة برخيص القول ومبتذل الحديث

ولا سبيل إلى إنقاذ هذا الشباب المتهاك بغير توجيه حى متيقظ ، يقدم القصص الرفيعة ذات المطامح السامية ، لتأخذ مكانها في نفوس الشباب ، فتطرد ما يخيم في عقولهم من تفاهة وما يرين على قلوبهم من نزوات . . . بل إن القصص الإسلامى الصادق من الندرة في الإنتاج بمكان يخز ويؤلم على كثرة من ينتسبون إلى الإسلام من الروائيين . . . وهذه سلسلة « الكتاب الذهبى » مثلا ، قد أخذت منذ سنوات تدفع إلى قرائها على رأس كل شهر قصة عصرية ، وليس فيما أصدرته جميعه ما يخدم الفكرة الإسلامية ، غير قصة « والإسلاماه » فقط ، ولولا مكانة مؤلفها الغيور ما أتيح لها أن تظهر في حلقات السلسلة المتعاقبة للكتاب الذهبى ، أما إذا بحثت عن قصص الغريزة في هذه السلسلة ، فانك واجد كثيرا وكثيرا من التفاهات .

وهذه الحاجة الماسة إلى وضع قصص مسرحى إسلامى ، قد ألحأت المؤلف الباحث الأستاذ أحمد الشراصى إلى كتابة مسرحيته عن عمر بن عبد العزيز . . . وحين ولج هذا المعنى الجديد لم تكن له حرية القاص الطليق ، بل قيد نفسه بقيود مخرجة عاقت أجنحته كثيرا عن الطيران والتحليق ، فقد تعمد أن لا يعدو الحقيقة والواقع في حادثة تذكر أو موقف يسجل ، مع أن خيال الروائى يميزه أن يمزج الأسطورة بالحقيقة ، ليكون صورة مشرفة خلاصة عن بطل قصته . . . وقد زاد المؤلف في قيوده فاختر أشخاص روايته من ذوى السمات الواضحة في التاريخ الإسلامى ، دون أن يكون فيهم شخص خيالى يتبع للكاتب سعة في التصرف أو بسطا في الحديث ، كما تجنب ظهور العنصر النسأى على مسرح روايته ، تخرجنا من الشبهة وقطعا للآسنة . . . وفى ظلال هذه القيود المرهقة ظهر المؤلف بمسرحيته ليقول للقراء : لقد كتبت لكم تاريخ عمر بن عبد العزيز فى أملوب شائق جذاب ، له تسلسل القصة ، وطرافة الحوار ،

ولسكنه لم يعد الحقيقة والواقع ، فاذا أردتم نموذجاً واقعياً للنبل الإسلامى فى بعض مشاهدته . فليدركم ما كتبت عن عمر ، ففيه العظة البالغة ، وفيه التحرى الدقيق ! ! ! .

لقد ذكرتنى هذه المسرحية الإسلامية الجديدة بمسرحية « مجد » التى ألفها الأستاذ توفيق الحكيم . ولن أتعرض إلى الموازنة بين المسرحيتين ، فلكل منهما اتجاه تنفرد به ، ولكنهما تلتقيان فيما فرض عليهما من القيود الشديدة والتحفظ العنيف وتكاد تحس بتبرم توفيق الحكيم وضيقه بما فرضه على نفسه ، إذ يقول فى مقدمة كتابه : « لقد عكفت على الكتب المعتمدة والأحاديث الموثوق بها ، واستخلصت منها ما حدث بالفعل ، وما قيل بالفعل ، وحاولت قدر الطاقة أن أضع كل ذلك فى موضعه ، كما وقع فى الأصل ، وأن أجمل القارئ يتمثل ذلك كأنه واقع أمامه فى الحاضر ، غير مبيح لأى فاصل — حتى الفاصل الزمنى — أن يقف حائلاً بين القارئ والحوادث ، وغير مجيز لنفسى التدخل بأى تعقيب أو تعليق ، تاركاً الوقائع التاريخية والأقوال الحقيقية ترسم بنفسها الصورة » .

فى هذه القيود السالفة سار توفيق الحكيم فقرب لسكثير من الأذهان تاريخ الرسول العظيم ، وفى ظلال القيود السالفة سار الأستاذ أحمد الشرباصى ، فرسم لنا تاريخ عمر ابن عبد العزيز وإذا كان الأستاذ أحمد حسن الزيات قد قال فى العدد (١٣٥) من مجلة الرسالة عن الأستاذ توفيق الحكيم : « إنه يحور الحادث من فضول الرواية ونافلة الحديث ، فبرده إلى جوهره ، ويحيله إلى بساطته ، ثم يبعث الأشخاص ، ويحدد الأمكنة ، ويعيد الملابسات ، ويحيى البيئة ، ويرجع بالقارئ إلى عصره ، فيحيى حياته ويعايش أهله ، يرى بعينه ما يعملون ، ويسمع بأذنيه ما يقولون » إذا كان الأستاذ الزيات قد قال ذلك عن صاحبه ، فأننا نستطيع أن نقوله عن الأستاذ الشرباصى ، نعم نقوله وزيد عليه فنحكم بأن الأستاذ الشرباصى قد جعل من حياة عمر بن عبد العزيز وحدة متماسكة لم تشعب أدوارها بين المناظر والفصول كما فعل توفيق الحكيم ، بل أعطى للقارئ صورة أمينة فى نطاق محكم متسلسل ، فأنت إذا قرأت مثلاً الفصل الأول من مسرحية « الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز » وهو عن حياة عمر الوالى بالمدينة فستجد به صفوة ما ذكره المؤرخون ، دون أن تحتاج إلى مصادر لتستزيد وتتأمل ، بل إن ما يمكن أن يوجه إلى عمر من نقد فى ترفهه وتنعمه قد وجهه المؤلف الكاتب على

لسان بعض الشخصيات في المسرحية ، دون أن يحيد به إعجابه عن تسجيل مؤاخذته العابرة ، وإذا نجح كاتب ما في إبراز مثل هذه الصورة أمينة منصفة في أسلوب مسرحي جذاب ، فقد بلغ ما أراد !! .

وقد بين الأستاذ الشرباصى وجهته التاريخية الواقعية في مقدمة كتابه حيث قال : « وإنما عنيت بإبراز ملامح الشخصية العمرية كما يصورها التاريخ المصفى ، لأنى رأيت هذا الإبراز التاريخى الدقيق عن طريق الحوار أجل قيمة وأعظم ثمرة من العناية بالصناعة الفنية أو الحيلة المسرحية ... ومن الميسور عند تمثيل هذه المسرحية أن نراعى التصوير الذى تتطلبه ظروف التمثيل من الاختيار أو الاختصار » الخ .

فالصناعة الفنية والحيلة المسرحية - وما إلى ذلك مما قد يتوجه إليه الاعتراض - كل أولئك أمر يفهمه الكاتب المؤلف ويعلمه ، ولكنه لا يحرص عليه حرصا تطمس معه بعض المعالم ، ويتجاهل بازائه أكثر الحقائق ، وهو يعترف بأن من الميسور مراعاة هذا الجانب إذا جاء دور المسرحية في الإخراج والتمثيل ، ولئن ترك الكاتب بعض مقاييس الفن في مسرحيته عامدا فحسبه أنه قد وافق الواقع ، وأرضى الحقيقة والتاريخ !! .

إن القصة التاريخية تتعرض وقائعا الصادقة إلى الإرجاف إذا سبغ الكاتب وراء خياله فزجه بالواقع ، فالأشخاص الخياليون في أدوارهم المتعاقبة يفسدون على التاريخ كل شيء : ولعل مما يهون ذلك أن قارئ القصة لا يتلمس بها الحقائق ، ولكنه يقصد الإمتاع الأدبى مع بعض الإلمام بالصورة العامة للجو التاريخى الذى يتصفحه ويرثيه ، وقد كتب الأستاذ إبراهيم رمزى رواية « باب القمر » فتحدث عن نشأة الدولة الإسلامية الأولى في بحر الإسلام ، ومع حرصه البالغ على سرد الحقائق التاريخية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حرصا يشكر عليه رحمه الله رحمة واسعة - فقد كان بطل الرواية شخصا خياليا أضعف قيمتها التاريخية ، ومال ببعض حقائقها إلى المبالغة والإغراق ، وإن قرب الأستاذ رمزى كثيرا من الحقائق ورسم الصورة العامة على قدر المستطاع .

محمد رجب البيومى

المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية

كلمة الاستاذ الأكبر

في عيد الفطر المبارك

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد - فإنه يحفل بي في هذا اليوم العظيم ، يوم عيد الفطر المبارك ، أن أهني إخواننا المسلمين ، في الأقطار الإسلامية جميعها ، بما من الله عليهم ، إذ وفقهم لإتمام فريضة الصيام ، واستقبال يوم هو عند الله من أكرم الأيام : يوم يصل موسمين من مواسم الخير ، ويربط بين ركنين قويين من أركان الإسلام ، هما صوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام .

هو يوم فرح وبهجة باتمام طاعة ، وتأهب واستعداد لأداء طاعة أخرى . فكان جدرا أن يكرم بالذكر والشكر لله ، على أن أتم على المسلمين نعمة القيام بأمره ، ووفقهم أن يفتنموا دائماً من فيض فضله وبره ، كما يرشد إلى ذلك قوله جل شأنه : « ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

وإن من مظاهر شكر الله على هذه النعمة ، أداء ما أوجبه في هذا اليوم من صدقة الفطر التي جعلها طهرة وزكاة للصائمين ، وبراً بذوى الأرحام وغيرهم من المعوزين ، وربطاً بين المسلمين : غنيهم وفقيرهم ، فتتواصل بذلك قلوبهم ، وتتواد أفرادهم وجماعاتهم ، ويتعاونون بالبر والتقوى على بناء مجتمع يسوده الخير والسلام .

ومن هنا كان هذا العيد يوماً عظيماً من أيام الفوز والظفر ، وكانت فرحة المسلمين باساقبته فرحة انتصار عظيم ، في معركة جهاد النفس بالصبر وقوة الجسد ، وبالثبات على مشاق الحرمان ، طوال شهر رمضان ، فرحة يشعر الصائمون فيها بالسعادة ، بما غنموه في جهادهم من مغائم كبيرة ، لها أثرها الجميل في طهارة نفوسهم ، وتقوية روابطهم . ثم هي فرحة تشعر المسلمين بيوم الفوز الأكبر ، يوم يفرحون بلقاء الله ، وينالون جزاء ما قدموا من عمل صالح في هذه الحياة .

فيأياها المسلمون : أقبلوا على الله في هذا اليوم بالشكر على ما أفاء عليكم بالصوم وجهاد النفس ، من خير جزيل ، وفضل عظيم ، وتواصلوا فيه بالتعاطف والمودة ،

وتواصوا فيه بالبر والرحمة ، فقد جعل الله لكم من هذه الشعائر التي تجمعكم إلى عبادته في وقت واحد ، إرشادا بأنكم أمة واحدة ، مهما اختلفت بكم الديار ، وتباعدت الأقطار . كما جعل لكم من مواسم الطاعة ، التي تعود عليكم عاما بعد عام ، تذكرة وتبصرة للاخذ بأسباب العزة والقوة .

أيها العرب ، أيها المسلمون : إنه ليس على وجه الأرض اليوم أمة مثلكم ، تداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع ، وتكالبت عليها فعل الذئاب الجياع ، قصد تمزيقها وامتصاص حيويتها ، وإذلالها والقضاء على حريتها .

وإني — مع هذا — لا أود اليوم أن أقول : إن هذه الحروب الشنيعة ، التي تشنها على الشرق بعض الدول الطاغية الباغية من أرم الغرب ، هي حروب دينية ، يستعيد بها أولئك الطغاة البغاة ، تاريخ أسلافهم أصحاب الحروب الصليبية ، ولكنني أكتفى الآن بالوقوف عند ظواهر الأمور ، غير متكلف كشف ما قد يكون وراءها من أسرار ومخبات نوايا .

أكتفى بذلك لأقول : إنها حروب على الدنيا ، حروب اقتصادية استعمارية ، قوامها الشره والجشع ، والباعث عليها حب التسلط والاستعمار ، لانتهاج مافى بلادنا من كنوز وثمرات ، واقتناص ما وهبنا الله من أرزاق وأقوات . وشعوب الشرق وأمه هم الهدف الذي تصوب إليه دائما هذه الحروب الفاجرة ، وبلادهم هي الغرض الذي يدبر له الشر والسوء ، ترتكب في سبيل السيطرة عليها كل خيانة ، وتنتهك للتغلب على أهلها كل حرمة ، والغاية عند أولئك الطامعين الجشعين تبرر كل وسيلة ، مهما كانت خسيصة رذيلة .

أيها المسلمون . أيها العرب

إني أوجه الخطاب إليكم وإلى شعوب أهل الشرق جميعا ، فإن أمرنا جميعا واحد ، وآمالنا في الحياة واحدة ، وإن اعتصمنا بالحق ، وكفاحنا للتمتع بعزة الحرية ، والتخلص من السيطرة الأجنبية الغريبة ، هي الأمور المجيدة التي يجب أن نتعاون في سبيلها ، وتنضافر للوصول بها إلى أهدافها ، وأن نتواصى فيها بالخير ، ونتناصح بخالص النصيح ، حتى ندرك الغاية ، وحتى يستقر لكل شعب من شعوبنا حقه الكامل في الحرية والاستقلال .

أيها المسلمون ، أيها العرب ، أيها الشرقيون : إنه ليس بينكم إحن أو عداوات يمكن أن تصرفكم عن مقاومة العدو الحقيقي الذي هو عدوكم جميعا ، وليس بينكم من المشاكل ما يستعصى على الحل ، وعلى إرادة الحياة الآمنة ، وعيشة السلم والاستقرار الشامل ، فليس عند دولة من دولكم ، ولا شعب من شعوبكم ، قصد الخيف والجور ، أو حب التسلط الظالم الفاجر ، على دولة أخرى أو شعب آخر .

وإذا كانت حياة الجماعات لا تخلو من بعض المشاكل والخلافات ، تخلافات الأحزاب السياسية في الأمة الواحدة ، وكشاكل الجوار بين دولة ودولة ، فليست هذه في الحقيقة عداوات أصيلة ، إنما هي هنات هيئات ، ولولا أن الأجانب الطغاة محترقو الغزو والحرب والنهب والسلب ، ينفخون دائما في آذان تلك الخلافات ، ويوسوسون دائما في صدور من يستخفونهم من أطرافها ، لما طال أمدها ، ولقضى عليها في مهدها .

فالاستعمار هو أصل الشر وأساس البلاء ، هو العدو الحقيقي ، العدو المشترك ، الذي يجب أن نشترك في دفعه ، والقضاء على جميع أساليبه وأذنيه ، حتى لا يجد ثغرة ينفذ منها إلى صفوفنا ، أو يتحكم منها في أي مرفق من مرافق بلادنا .

أيها العرب ، أيها المسلمون : إن لكم في دينكم قوة دافعة كقيلة بأن تبعث فيكم النهضة ، وتدفع عنكم كيد أعدائكم ، وترد مكرم إليهم . ألا وإن النصر معقود بالصدق مع الله ، فاصدقوا مع الله ، واعملوا على ألا تتنازعكم الأهواء ، أو تخدعكم حيل الأعداء .

نقوا بالله ، واستمسكوا بحكمكم في الحياة ، واعلموا أن أعداءكم يتربصون بكم ، وينتظرون الفرص لالتهاكم والقضاء عليكم ، فأجمعوا أمركم ، ووحّدوا كلمتكم ، وألقوا بين صفوفكم ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، وابدلوا من أرواحكم وأموالكم ما يدرأ عنكم الشر ويدفع عنكم المهانة .

أسأل الله العليّ القدير ، أن يؤلف بين المسلمين ، ويشد أزرهم ، ويقوى عزائمهم ، ويؤيد زعماءهم المخلصين ، بالنصر والفتح المبين ، إنه سميع مجيب ، وهو نعم المولى ونعم النصير ما

عبد الرحمن تاج

شيخ الجامع الأزهر

برقيات التهاني

بمناسبة عيد الفطر المبارك

أبرق صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية البرقية التالية بمناسبة عيد الفطر المبارك :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر مصر

يسرني أن أبعث إلى سيادتكم بخالص التهنية بعيد الفطر المبارك : راجيا لسيادتكم ولأعوانكم المخلصين ولقادة العرب ، دوام التوفيق والنجاح ، لخدمة قضية السلام ، وتوطيد دعائم الوحدة ، ورفعة شأن العرب والمسلمين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

وقد تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر من السيد الرئيس البرقية التالية :

قصر الجمهورية

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر .

تلقيت بخالص التقدير تهنئتكم الرقيقة بمناسبة عيد الفطر المبارك ، وإنه ليسرني أن أبعث إليكم بصادق الشكر مقرونا بأطيب التمنيات .

جمال عبد الناصر

كما أبرق فضيلته إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية يهنئهم بعيد الفطر المبارك، ويرجو للأمم العربية والشعوب الإسلامية العزة والقوة واتحاد الكلمة .

وتلقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر بركات تهنئة بمناسبة عيد الفطر المبارك من الهيئات الدينية والإسلامية من مختلف أقطار العالم : شرعية وغربية ، وكان من بينها البرقيتان التاليتان :

۱ - طشقند :

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأغر حضرة شيخ عبد الرحمن تاج - حفظه الله .

أهني فضيلتكم خاصة ومعشر العلماء والموظفين بالأزهر الشريف عامة بهذا العيد السعيد واليوم المبارك ، عني وعن حضرة والدي المفتي وعن مسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان . هذا يوم تبتهج فيه وجوه المسلمين في عامة البلاد والشعب المصري بوجه خاص ، إذ في هذه الستة كلل الإله سبحانه كفاحكم ودفاعكم عن استقلال وطنكم العزيز بالنصر المبين ، ونور وجوهكم عند العالمين ، كما نبتج ونشكر الله تعالى ، فليبتج المصريون بعيدهم الذي تلاحات آياته في جو من سعادة الدين والدنيا .
وليشكروا الله على ما تم لهم من الكرامة والحسنى .

نائب رئيس الإدارة الدينية
بآسيا الوسطى وكازاخستان
(الشيخ الحفيظ ضياء الدين ابن المفتي اشان باباخان)

وقد اجاب فضيلة الأستاذ الأكبر بالبرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الكبير مفتي آسيا الوسطى وكازاخستان طشقند

أشكر لفضيلتكم ولابنكم الكريم الشيخ الحافظ ضياء الدين جميل تهنئتكم ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد أمثال هذا اليوم السعيد عليكم وعلى المسلمين في بلادكم وفي جميع الأقطار بالفوز والنصر المبين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

٢ - موسكو

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وإخوانه المحترمين .

إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو قمر الدين صالح يرسل باسمه وبإمام جميع المسلمين في موسكو خالص التحية وأبرك التهاني بعيد الفطر السعيد، ويرجو لكم وللشعب المصري كل فلاح وتوفيق ، مع أطيب التحية .

(قمر الدين صالح)

ثم أجاب عليه فضيلة الأستاذ الأكبر بالبرقية التالية :

فضيلة الأستاذ الشيخ قمر الدين صالح - إمام وخطيب ومحتسب مسجد موسكو أشكر لكم وللمسلمي موسكو تهنتكم بالعيد، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم وعلى المسلمين عامة باليمن والخير والسلام .

(عبد الرحمن تاج)

شيخ الجامع الأزهر

تبرعات الأزهر

لمدينة بورسعيد

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فيسرني أن أرفع إلى سيادتكم الشيك رقم ٧٠٨٧٢ على البنك الأهلي المصري بالقاهرة بمبلغ ١٠٦ ج و ١١٤ م (مائة وستة من الجنيهات ومائة وأربعة عشر مليا) قيمة الدفعة الرابعة من تبرعات الأزهر لمنسوبي بورسعيد .

ونضرع إلى الله القوى العزيز أن يحفظ للوطن عزته وكرامته ، وأن يشملكم بتوفيق من عنده للعمل على ما فيه قوته ومنعته .

كما نسأله تعالى أن يجمع كلمة العرب ويوحد بين صفوفهم ، ويوفقهم إلى كل ما يعلى شأن بلادهم وإعزاز دينهم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

* * *

نشرنا في العدد الماضي « رمضان ١٣٧٦ » قائمة تبرعات الأزهر لمنكوبي مدينة بورسعيد وقد بلغت في مجملتها :

مليم جنيه
١٧٦٠٣ ر ٥٩٢

وقد وردت التبرعات التالية لنفس الغرض :

من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر	٢٥
« « « « عبد العال العقباوى } مبعوثى الأزهر بالهند	٢٥
« « « « محمد محمد عبد الرؤوف مبعوث الأزهر بالملايو	٥٠
باقية من مبالغ سبق التبرع بها من الموظفين .	١١٤ ر ٦
جملة التبرعات .	١٧٧٠٩ ر ٧٠٦

* * *

هذا وقد ورد إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مبلغ ٢٠ ج عشرين جنيها من المواطن السيد / حسن البدرى ٢٣ شارع همدان بالجيزة تبرعا منه لمساعدة محاربى الجزائر ، ووجه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى سيادته خطابا يشكر فيه صادق عاطفته وحسن بره .

الامام البخارى

وكتابه الجامع الصحيح

البخارى : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (بردزبة كلمة فارسية معناها الزراع) . كانت أجداده على دين المجوس ، وأول من أسلم من أجداده المغيرة ، أسلم على يد النيمان الجعفي والى بخارى ، فكان ولاؤه له ، وتنقل الولاء في أولاده ، فلذلك يقال في البخارى إنه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي .

اتفق مؤرخو التاريخ الإسلامى أن البخارى ولد بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ وأنه توفي يوم السبت عند صلاة العشاء ، ودفن ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما ، ودفن بخرنك ، قرية على فرسخين من سمرقند .

كان والد البخارى محدثا ، مات وهو صغير وترك له مالا جليلا ، فنشأ في حجر أمه وأسلم إلى الكتاب . فلما بلغ عشر سنين بدأ في حفظ الحديث في كتب ابن المبارك ووكيع ، وهما محدثان مشهوران .

وقد روى كتاب طبقات الشافعية وكتاب الخطيب البغدادي أن البخارى كان يحفظ في صباه سبعين ألف حديث وأكثر ، ولا يجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا ويعرف مولد أكثرهم ووفاتهم ومسكنهم . وكان البخارى يقول عن نفسه - كما هو مذكور في تاريخ أبي الفدا - ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب ابن عشر سنين ، فلما بلغت ثمانى عشرة سنة ، صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم ، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خطا البخارى في جمع الحديث خطوة جديدة ، فمالك بن أنس يجمع أحاديث الحجاز وخاصة أهل المدينة ، وابن جريج أحاديث الحجازيين وخاصة أهل مكة ، ولكن البخارى وسع في هذه الدائرة وسن سنة لمن بعده من المحدثين في الإمعان في الرحلة لطلب العلم ،

وبعبارة أخرى لطلب الحديث ، فبعد أن سمع حديث أهل بلده ذهب إلى بلخ وسمع محدثيها ورحل إلى مرو ونيسابور والرى وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص ، فهو بهذا وضع له خطة أن يجمع ما تفرق من الحديث في الأمصار وأقام في هذه الرحلات نحو ستة عشر عاما لقي فيها عناء شديدا لا يتحمله إلا الصابرون ، وأخيرا عاد إلى موطنه ثم مات سنة ٢٥٦ هـ .

كما أنه خطأ بالحديث خطوة أخرى ، في جده في التمييز بين الحديث الصحيح وغيره ، وقد كانت الكتب قبله لا يمتنى فيها بهذا الموضوع عنايته ، فكان المحدث يجمع ما وصل إليه تاركا البحث عن رواته ومقدار الثقة بهم إلى القارئ أو السامعين .

وهذا العمل - أعنى تعرف صحيح الحديث من ضعيفه - كان يحتاج البدء فيه إلى عناء لا يقدر ، فهو يحتاج إلى معرفة واسعة بتاريخ رجال الحديث وتاريخ حياتهم ووفاتهم ، ليعرف هل التقي الراوى بمن روى عنه أولا ، ويحتاج إلى معرفة دقيقة برجال الحديث من زمن البخارى إلى زمن الصحابي ، ما مقدار صدقهم والثقة بهم وحفظهم ، ومن منهم صادق أمين ، ومن منهم مستور الحال ، كما يحتاج إلى مقارنة الأحاديث التي تروى بها الأمصار المختلفة وما بينها من فروق وموافقات وما فيها من علل ، كما يحتاج إلى معرفة مذاهب الرواة ونزعاتهم ، من خارجي ومعتزلي ومرجئي وشيعي إلى غير ذلك ليتبين منها مقدار ما يحمله مذهبه على القول بحديث غير صحيح أو تأويل له غير راجح وهي مهمة في غاية العسر والمشقة ، لأن كثيرا منها يتصل بالنيات والضمائر وخفايا السرائر ، فكم من باطن لا يتفق والظاهر وكم من متصنع تقوى وصلاحا وقد اتخذ ذلك سلاحا (ضحى الإسلام - الجزء الثانى) .

كتابه الجامع الصحيح :

أراد البخارى في كتابه أن يقتصر على جمع الأحاديث الصحيحة ، والحديث الصحيح في اصطلاح المحدثين : هو الحديث المسند الذى يتصل إسناداه - من الراوى إلى النبي صلى الله عليه وسلم - ويكون كل راو من رواته عدلا ضابطا ، وقد أنفق البخارى في جمع كتابه هذا ستة عشر عاما ، وسماه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جمع فيه على ما ذكره ابن حجر (٧٣٩٧) حديثا ، وهذا العدد تدخل فيه الأحاديث المسكرة ، ولا تدخل فيه المعلقات والمتابعات والموقوفات والمقطوعات .

فاذا أضيفت إليه التعليقات والمتابعات بلغت (٩٠٨٢) حديثا غير الموقوف والمقطوع ،
وإذا حذف المكرر واقتصر على عدّ الأحاديث الموصولة السند غير المكررة كانت
٢٧٦٢ حديثا .

وقد جاء في الجزء الأول من مقدمة فتح البارى ، أن البخارى اشترط في جمعه
للأحاديث التى يصححها شروطا تسمى « شروط البخارى » ، كما اشترط مسلم شروطا
تخالف بعض الشيء شروط البخارى ويسمونها شروط مسلم ، فكلاهما اشترط في الحديث
أن يكون إسناده متصلا ، وأن يكون كل راو من روايته مسلما صادقا غير مدلس
ولا مختلط ، متصفا بصفات العدالة ، ضابطا متحفظا ، سليم الذهن قليل الوهم سليم
الاعتقاد . وكان البخارى يرى أن المحدث إذا كان من أساطين المحدثين وهم المكثرون
من جمع الحديث وروايته كالزهري ونافع ، فإن أصحابه الذين يروون عنه درجات تختلف
في مقدار الصلة به ، وفي الحفظ والإتقان ، فالدرجة الأولى من كان يزامله في السفر
ويلازمه في الحضر ، والدرجة الثانية من لم يلازمه إلا مدة قصيرة ، وكلا النوعين عرف
بالثبوت ، وبلى ذلك درجات ، فالبخارى يشترط في الرواة أن يكونوا من الدرجة
الأولى عادة ، وقد يروى عن رجال الدرجة الثانية ، ولكنه في الغالب يرويه تعليقا
على حديث ، ويسمى ذلك أيضا شرطا من شروط البخارى ، ومسلم يقبل رجال الدرجة
الثانية كما يقبل الأولى ولا يقتصر في الدرجة الثانية على التعليق ، وأما غير المكثرين
فاكتفى فيهم عند البخارى ومسلم بشرط الثقة والعدالة وقلة الخطأ .

أما السبب الجوهري في اتباع البخارى لشروط قيد بها الأحاديث التى جمعها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرجع إلى أن أحاديث العهد الأموى أكثر من أحاديث
عهد الخلفاء الراشدين ، وأحاديث العصر العباسى أكثر من أحاديث العهد الأموى (١) ،
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أدخل اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أهل
الديانات الأخرى في الأحاديث أشياء أخرى كثيرة من دياناتهم وأخبارهم ، فملت
الأحاديث بما في التوراة وحواشيها وبعض أخبار النصرانية وتعاليم الشعوبية كالأحاديث

(١) المجلة - ليس معنى هذا أن متون الأحاديث زاد عددها ، وإنما الزيادة نشأت عن ازدياد
عدد الرواة ، فالحديث الذى كان يرويه الزهري صار يرويه عشرات من تلاميذه فكثرت طرق
الحديث الواحد .

التي تدل على فضل الفرس والروم « انظر جولد زيهر ودائرة المعارف الإسلامية في مادة حديث » ، فكان هذا الخلط في الأحاديث من أقوى الأسباب في هجرة البخارى إلى الأمصار المختلفة لتنقية الأحاديث ونقدها وتمييز الجيد والزائف منها .

وفي الحق أن ثقات المحدثين بذلوا من الجهد في التمهيص ما لا يوصف ، واجتهدوا في وضع رواية الحديث من التابعين ومن بعدهم في موازين دقيقة بقدر الإمكان مع شرح تاريخهم ، ووضعوا في ذلك قواعد للجرح والتعديل .

أما القواعد فنوعان: نوع يستند فيه على الرواية وصحتها ، والرجال ومقدار الثقة فيهم ، وهذا سماه النقد الخارجى ، ونوع يعتمد فيه على الحديث نفسه ، هل معناه يصح أولا يصح ؟ وما هى أوجه الصحة وهدم الصحة ؟ إلى غير ذلك من سباب الدفاع والانهاك ، ويسمى هذا النوع بالنقد الداخلى .

ولقد جرت هذه القواعد المحدثين إلى تقسيم الحديث باعتبار ذلك إلى حديث صحيح وحسن وضعيف وإلى مرسل ومنقطع ، وإلى شاذ وغريب ، وغير ذلك .

وقد اشتهر في هذا الباب يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، وعبد الرحمن ابن مهدي المتوفى سنة ١٩٨ هـ ، ثم يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣ هـ ، وأحمد بن حنبل سنة ٢٤١ هـ ، وعبد بن سعد في طبقاته سنة ٢٣٠ هـ . وبالرجوع إلى كتاب الجامع الصحيح نرى أن البخارى كان مع قدرته الفائقة في الحديث فقيها ، فيعده السبكي شافعيًا في كتابه طبقات الشافعية ، والظاهر أن البخارى كان مجتهدا مستقلا وله استنباطات تفرد بها وآراء توافق أحيانا مذهب أبى حنيفة ، وأحيانا مذهب الشافعى ، وأحيانا تخالفهما ، وأحيانا يختار مذهب ابن عباس ، وأحيانا مذهب مجاهد وعطاء .

(يتبع)

عباس ط
الحامى

من مفومات الشخصية الإسلامية:

الإيجابية الفعلية_____الآلة

من أكبر ما يهدد الأمم والأفراد السلبية القاتلة ، والآلية الرتيبة - إذ يغدو الفرد وقد هبط من الآفاق الإنسانية العليا إلى صورة من المعيشة الغريزية والأعمال التلقائية ... يعيش ليا كل ، وينزوج لينجب ! !

والنتيجة الحتمية لهذه السلبية هي إصابة الطاقة البشرية بالشلل الشلل العقلي الذى ينجم عن تضيق الأفق والارتباط بدائرة محدودة من الاهتمامات ، والشلل النفسى إذ تقعد العزائم الإنسانية محصورة مقصورة على أنماط من الحياة لاتزيد كثيرا عما يحدث فى عالم الحيوان - بل والجماد أيضا .

ذلك أن العقل سما بالإنسان عن أن يكون قانون علاقته بالكون والأحياء مثل قانون الجسم الصلب الذى يتمدد بالحرارة ، ودوره فقط أن (يتمدد) إذا صادف الحرارة ! ! كذلك سما العقل بالإنسان عن أن يكون مثل النبات المشدود إلى الأرض ، والحيوان المرتبط بالغريزة

ولن يشغل الإنسان مكانه تحت الشمس إن كان تكرر خلق الله فى عالم المادة والنبات والحيوان ، وإن لم يكن نمطا جديدا فريدا فى الحياة والأحياء ! !

ويخطئ الإنسان إذا ظن أن اختيار هذا اللون من الحياة السلبية الآلية ، سيكفل له الهدوء والثناء ، إن انفعالاته الإنسانية وإدراكاته العقلية ستظل تضغط عليه ، فتعذبه على الرغم منه

وسينفق طاقته العقلية والنفسية - وهى لابد أن تعمل مثلما تعمل معدته ورثاه - فى حجره الذى يعيش فيه ، وسيدفع ضريبة الإنسانية التى تنازل عنها ورضى بالدون منها ! ! !

سيتعذب هذا الإنسان فى دائرته الصغرى - دائرة نفسه وأولاده ، وجيرانه وشركائه -

وسيفضض عليه عقله كي يستعمله في اتقاء الشر واجتلاب الخير ، وستدفعه أعصابه إلى التفاعل مع الناس القلائل بحكم الضرورة ، وستتجسم مشكلاته الصغيرة ، وستتضخم متاعبه القليلة ، وسيضحى من راحته ومتعته ما يضحى الإنسان الذي عرف مكانه ومكانته وربما أكثر منه ، وهو يدرى أو لا يدرى !!

إن تهرب الإنسان من أعباء الإنسانية لن يهيئ له انخلاعا من تكوينه العقلي والنفسى ، ومن هنا يشقى شقاء مضاعفا حين لا يستعمل أدواته وملكانه استعمالها الصحيح
اللهم إلا إن تصورنا إنسانا يبلغ من النجاح في تجاهل ذاته ، والتعود على أسلوب الجملد والحيوان ، أن يفقد خصائص الإنسان ! !

وسلبية الإنسان تفقده كل شيء حتى الأهداف الصغيرة التي يرتبط بها بحكم نوازعه البيولوجية أو السيكولوجية تفقده نفسه وأسرته وهما من أول ما يتجه إليه إنسان أو حيوان إذ يصاب مثل هذا المخلوق باضطراب وتخليط فتلتبس عليه المعالم ، وتضيع الأهداف - مهما كانت صغيرة - وترتبك الخطوات وتخبط التصرفات فإذا به لا يمسك نفسه ولا يحصى أسرته ، ويفقد كل شيء منذ فقد أن يكون شيئا ! !

والسلبى قد تهبط عليه الثروة وقد يصيبه الجاه ! ولكنه لا يستفيد من ثروة أو جاه ... ويراه الناس فيقولون : يا ليت لنا مثل ما أوتي ، إنه لذو حظ عظيم ولو تبينوا لعلموا أن الذى لا يشعر بذاته لا يشعر بماله ومنزلته ... وأن الذى قرر أن يعيش على هامش الحياة سيعيش على هامش المال والجاه

وقد يرى (العاقل !) أن يعيش سلبيا كي يكسب المال أو يصل إلى الجاه فسرعان ما يزداد بالمال والجاه هبوطا في نظر الناس ، إذ فقد الهدف الذى به تتحدد قيمة الوسائل وما تجدى طائفة بجرك ذرى تسابق سرعة الصوت أو الضوء شخصا لا يريد أن ينتقل من حجرة نومه ؟ ؟ ؟

* * *

والإسلام حريص على أن يفوز أفراد وجماعاته بالحياة إنهم دفعة للانسانية فكيف يدفعون إذا فقدوا أولى الخصائص والمقومات ؟ ؟

إن عقيدة الإسلام الأساسية عقيدة إيجابية ، تدعم الشخصية الإسلامية من أول الطريق .

« لا إله إلا الله »

قد يكون من الممكن أن يقول المؤمن : الله موجود هذا القول يسمح بجواره
لآلهة أخرى تخلفها الأهواء ...

ومن هنا كانت هذه الصيغة التي تنفى كل ألوهية عن غير الله إنها صرخة
إيجابية تتحدى الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى إنها صيحة لتقرير الوضع الصحيح
الصریح الذي لا يحتمل معه أى قيل وقال

ولربما كان العرب يتكون مجدا لو دعا لإلهه وترك ثلاثمائة وستين إله آخر يعيشون
حول الكعبة لكنهم ألغى اعتبار هذه الأصنام ، وما زال يكافحها حتى هذا
يوم الفتح وهو يقول « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

« محمد رسول الله »

يؤمن المؤمن برسل الله أجمعين ، لا يفرق بين أحد منهم لكنهم لا يعلن في شعار
عقيدته ما قد يجمعه بالناس من أتباع عيسى وموسى ، إنه يعلن ما يميزه عن الجميع وما يفترق
بينه وبين غيره ... إنها خطة إيجابية في الحياة !!

والقرآن ...

كتاب واضح صريح ... يعلن رأيه في الديانات وأتباع الديانات ، ويدعو للجهر
بهذا الرأي فينتشر مكتوبا أو مقروءا لا يتوارى ولا يدارى !!

* * *

ثم يطلب الإسلام من أبنائه أن يبلغوا دعوته ويقوموا بدولته .
وما دام هذا الدين (دين دعوة) فهو إيجابي ... وسيصل إلى نقطة محتمة لا مناص
منها ترتفع فيها الأهواء بالسيوف في وجه هذه الإيجابية الدافعة وهنا يكون من المنطق
ومن مسابرة الدفعة الإيجابية أن يحمل الدين السيف ليدافع عن نفسه ويكون من المنطق
ومن الإيجابية كذلك ألا يترك الميئدان خلاء إذا صرع الأعداء فيقيم دولة الإسلام
لتحمي الكسب الذي أحرزه العقل الإنساني والعزم الإنساني طوال طريق الكفاح .

والدولة الإسلامية : حين تقوم تواصل كفاحها الإيجابي في الداخل وفي الخارج ،
فليس سلطانها نهاية تتفصل جهودها على حمايته ، فتخمره وتخمر نفسها ، بل هي تواصل

الجهود والجهاد في إيجابيتها العالمية : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

* * *

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الإسلام الإيجابية .

إن الناس حين يسمعون : ينبغي أن نكون كذا أو نعمل كذا ، قد يسكتون ... لكنهم حين يسمعون الحرب تشن على باطلهم ، يحسون الغضاضة ويبدأون النكير !! والإسلام يقرن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويجمع بين البناء والهدم ، حتى لا تفرخ الشرور من جراء تجميع الدعاة إلى الخير ، وحتى لا يضيع الحق بين (المعروف) الذي يدعى إليه باللسان ، وبين (المنكر) القائم في الناس بالعمل ولا تمسه يد إنسان !! لقد دعا الإسلام الفرد والمجتمع والدولة إلى إنكار المنكر بكل وسيلة مستطاعة مشروعة ، ودعوة الإسلام صريحة في النهي عن الشرور وزجر أصحابها ، وهي لا تفنن بكلمات منمقة من الخير تطير في الهواء (تتمصص) لها الشفاه ...

إن كثيرا من أصحاب اللباقة يحسبون الخير في الابتعاد عما يفضب الناس على الدوام ، وفي تملقهم بما يحبون ، أو بما يسكتون عنه ويتحملونه على الأقل .
وقديما كان الملك المخلوع إذا دخل مسجدا فقفز القارئ إلى آيات النعيم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » ... !!!

* * *

ودولة الإسلام لا تقف سلبية إزاء العالم ... إنها تقابل المنافع والثقافات مع الغير ، وتطلب العلم والخير من كل طريق .

وهي لا تترك المظالم الدولية تستشري ، فتهدد القيم التي تدعو إليها وقد تهدد هي نفسها من بعد حين ، تترك الباغي يرتفع والمظلوم يتلوى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

* * *

وتستطيع أن تتلمس جذور النزعة الإيجابية في تكوين الشخصية الإسلامية حين تتعرف على مدى إيمان هذا الدين بكرامة الإنسان ... « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

« ولقد كرّمنا بنى آدم وحمّلناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً »

« فإذا سويته ونفخت فيه من روئى فقموا له ساجدين »

وإن مما تميز به الانسان وحقق له كرامته أمانة الله التى أودعها إياه ... العقل . وبقدر ما نحرص على الإفادة من عقولنا ، وترقية مداركنا ، بقدر ما نعبد الله باستعمال نعمه .
علينا أن نفكر ... وعلينا أن نتعلم لنرقى بجهاز تفكيرنا ... وعلينا أن نعمل بما يستقر عليه فكرنا لتربو قدرتنا على التفكير وترشد مسالكنا فى العمل .
والإسلام قد رفع العقل الإنسانى إلى الذروة ، يوم اعتمد عليه فى كشف سر الوجود والتعرف إلى رب الكون والناس والتفهم لحقائق الدين .

لقد عرض الله الإيمان به جل جلاله على منطق العقل الإنسانى ... وأنزل كتابه يعلم الناس مرة ومرة ومرة ... ويعرض حجة وحجة وحجة ... ويورد اعتراضات المعترضين ليرد ويفند !!

لقد أكرم الله العقل الإنسانى ... وعلى هذا التكريم يقوم الأساس الإيجابى فى تكوين الشخصية الإسلامية .

ومن هنا قام العربى المسلم يناقش الرسول المعصوم : أهو منزل أنزل الله ، أم هو رأى والحرب والمكيدة ؟ ... فلما أجابه بأنه اجتهد ورأى : قال له - وإن كان هو رسول الله - ليس هذا بمنزل !!

إن من لا يحترم العقل الإنسانى لن يحترم الإنسان نفسه ... وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خاطب عقولنا ، فانظر إلى شناعة الجريمة التى يرتكبها مخلوق يريد أن يفرض على الناس قولاً بغير حجة ، ورأياً بغير دليل ، وانظر إلى شناعة الجريمة التى يرتكبها من يعطل (أمانة الله) فى الإنسان ، ونعمته التى ميز بها بنى آدم عن الحيوان ، والجوهرة التى حظيت بالتكليف والخطاب ، بعد منة الله بالخلق والإبراء ...

ما أصدق الأستاذ هز الدين اسماعيل حين كتب فى هذه المجلة منذ سنوات ، يعالج الأزمة الثقافية عندنا بأنها أولاً وقبل كل شئ « أزمة أخلاقية »

من أعلام النهضة الفكرية :

الشيخ حسين المرصفي

هذا علم من الأعلام ، طوت الأحداث ذكره في مطاوي النسيان ، فقليلون هم الذين يذكرون شيئا من خيره ومن أثره [١] ، على أنه كان دعامة من دعامات النهضة الأدبية والفكرية في مصر ، بل كان الرائد الأول لهذه النهضة التي عمت آفاق الشرق العربي .

والشيخ حسين المرصفي من بلدة « مرصفا » في مديرية القليوبية ، وهي بلدة أنجبت عددا لا يحصى من علماء الشريعة وأعلام الأدب ، وما نحسب أن في مصر بلدة تطاولها فيما أنجبت من فحول العلم والأدب ، نذكر منهم الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي أول أستاذ للشريعة في دار العلوم ، والشيخ زين المرصفي الذي كان أستاذا للأمر حسين كامل الذي أصبح سلطان مصر ، والشيخ سعيد بن علي المرصفي أستاذ الجيل في الأدب العربي ، والشيخ محمد حسن نائل المرصفي صاحب المؤلفات الأدبية والذي أخرج مجلة الحديد منذ عشرين عاما فكانت فتحة جديدا في الصحافة المصرية ، والشيخ حسين المرصفي الذي نسوق الحديث عنه اليوم .

وكان والد الشيخ حسين المرصفي عالما كذلك من علماء الأزهر النابغين ، يتمتع بمكانة مرموقة في عصره ، وتميز بشخصيته بطابع ملحوظ من العزلة والهيبية .

وما كان طالب يستطيع أن يرفع صوته في درسه ولو بالسعال كما يقول على باشا مبارك في ترجمته ، ودرج ولده حسين في طريقه ، فطلب العلم في الأزهر حيث كان والده يشتغل بالتدريس فيه ولسكن شأن الابن كان عجباً من العجب ، فقد كان ضريرا ، يؤثر العزلة عن الناس ، ولعل محنته كان لها أثر في ذلك ، وكان يتميز بحافظة قوية نادرة ، حتى كان كما يقول على مبارك باشا لا يسمع شيئا إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج وحدة ذهن

[١] المجلة — لقد ألف الأستاذ محمد عبد الجواد من رجال دار العلوم كتابا جيدا عن المرصفا وحياة حسين المرصفي .

وقد استغل هذه المواهب في الدرس والتحصيل، فبرزت شخصيته، وظهرت براعته، فلما تخرج في الأزهر جلس للتدريس فيه، واستوى بين نظرائه شيخاله مكانته وطريقته، وأبرز ما كان نبوغه وظهوره في علوم العربية وآدابها ..

ويظهر أن مجال الثقافة الأزهرية في ذلك الوقت كان أضيق من أن يكون مراداً لمهمة الشيخ حسين ومواهبه الممتازة، فأقبل على تعلم الفرنسية حتى حذقها، كما تعلم القراءة والكتابة على طريقة العميان المعروفة، وبهذا فتح بنفسه لنفسه آفاقاً جديدة من الثقافة التي كان لابد منها لتكوين شخصية علمية كاملة. فلا عجب أن أصبح من أجلاء العلماء وأفاضلهم، وصاحب السيد الطولي في كل فن كما وصفه على مبارك معاصره ومؤرخه، ولا عجب أن انتدبه القائمون بالأمر يومذاك - وهو الشيخ الضرير - ليسهم في بناء النهضة الثقافية والفكرية التي كان الخديو إسماعيل يعمل على تثبيت دعائمها وتشيد بنيانها، فاختير مدرسا في مدرسة العميان، ثم اختير أستاذا للأدب العربي في دار العلوم يوم كانت مدرجا عاما لإلقاء المحاضرات الثقافية العامة، وفي هذا المجال برزت شخصية الشيخ حسين حقا وتجلت مواهبه وعبقريته، وكان عمله الخالد الذي أقامه دعامة من دعائم النهضة الأدبية المسائلة .

ففي دار العلوم أخذ الشيخ حسين يلقي محاضراته في الأدب، وقد رسم لنفسه وللطلاب في ذلك منهجا جديدا أو على التحديد منهجا لم يكن لأبناء ذلك الزمن عهد به، وذلك أنه اعتبر علوم العربية من النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والإنشاء والكتابة وسيلة إلى الأدب وفهم نصوصه والتبريز فيه، وكانت كل هذه العلوم تعتبر غاية في نفسها، ولذلك عني بالإفاضة في شرح هذه الوسيلة، وكان أبرز ما في هذا المنهج إيراد النصوص الأدبية للاستشهاد، والاستطراد في شرحها وتحليلها، وهنا كانت كل عبقرية الرجل، وكان ذوقه وفنه وتجديده .

وقد جمع هذه المحاضرات في كتاب ضخم طبع باسم « الوسيلة الأدبية ». هذا المنهج الجديد أضفى عليه الشيخ جديدا آخر، ذلك أنه كان صديقا للشاعر الكبير محمود سامي البارودي باشا، والمثنوي البليغ عبدا لله فكري باشا، وكان شعر البارودي بعثا جديدا للشعر العربي في أروع صورة، كما كان نثر عبدا لله فكري لونا من النثر في أروع نسجه، فكان يستشهد بآثارهما، ويفيض في شرحها وتحليلها، ويظهر للحدثين كيف يكون فن القول إبداعا واختراعا وانطلاقا على السجية في الأداء والتعبير، وكانت هذه جرأة من الشيخ،

إذ لم يجعل المعاصرة حائلا دون الحكم والتقدير ، في عصر كان الناس فيه يقدسون القديم تقديسا ، ولا يرون خيرا في أثر معاصر ، ومن ثم كان تأثير كتاب الوسيلة الأدبية في الجيل الذي أتى من بعده كأقوى ما يكون التأثير .

قال السيد مصطفى صادق الرافعي فيما كتبه عن شوقي : « إن الكتاب الأول الذي راض خيال شوقي وصقل طبعه وصحح نشأته الأدبية هو بعينه الكتاب الذي كانت منه بصيرة حافظ ، أي كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفي ، وليس السر في هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة ، فهذا كله كان في مصر قديما ، ولم يغن شيئا ، ولم يخرج لها شاعرا كشوقي ، ولكن السر ما في الكتاب من شعر البارودي لأنه معاصر ، والمعاصرة اقتداء ومتابعة على صواب - إن كان الصواب - وعلى خطأ إن كان الخطأ ، فكل ما في الكتاب أنه ينقل روح المعاصرة إلى روح الأديب الناشئ ، فتبعته هذه الروح على التمييز وصحة الاقتداء ، فإذا هو على ميزة وبصيرة ، وإذا هو على الطريق التي تنتهي به إلى ما في قوة نفسه ما دام فيه ذكاء وطبع ، وبهذا ابتداء شوقي وحافظ من موضع واحد ، وانتهى كلاهما إلى طريقة غير طريقة الآخر ، والطريقتان معا غير طريقة البارودي » .

والحق أن شوقي لم يتلمذ على كتاب « الوسيلة الأدبية » فحسب ، بل كذلك تلمذ على مؤلفه شخصيا ، حدث شوقي عن نشأته الأدبية فقال : « وفقت لنظم الشعر وأنا في الرابعة عشرة من عمري ، وكان أستاذي يومئذ المغفور له الشيخ حسين المرصفي ، وعليه قرأت الكشكول ، وديوان البهاء زهير ، حتى إذا بلغت في مطالعة الكشكول إلى قول الشاعر :

ونحور عنه القميص نخاله بين البيوت من الحياء سقيا
حتى إذا حمى الوطيس رأيتَه عند اللواء على الخميس زعيا
استخف الطرب الشيخ ، وطلب إلى أن أشرط البيتين فقلت :

ونحور عنه القميص نخاله ملكا تم به السماء كريما
يحمي الحمى عف اللواظظ والخطا بين البيوت من الحياء سقيا
حتى إذا حمى الوطيس رأيتَه نارا على نار الوغي وحميا
وإذا القبائل أطبقت ألفيته عند اللواء على الخميس زعيا

فاستحسن البيت الأول والثاني ، وأرشدني إلى مواضع التكلف من الثالث والرابع ،

ثم اقترح أن أجرب لسانى فى الحكمة فعملت هذين البيتين وهما أول مهدى بانشاء الشعر:

قصارى العيش أن يذ هب إن حلوا وإن مرا
فان شئت فمت عبدا وإن شئت فمت حرا

فأعجب الشيخ بهما كثيرا ، وبشرنى بمستقبل فى الحكمة غزير . وهذا الذى ذكره شوقى ينبئ بما كان يتمتع به الشيخ من طبع مرهف ، وذوق دقيق ، فى فهم الشعر وتمييزه لما يدل على ما كان له من يد وجهه فى خلق ذلك الجليل العظيم الذى حمل لواء النهضة الأدبية فى مصر والشرق العربى .

على أن أثر الشيخ حسين المرصفى فى الحركة الثقافية لم يقف عند هذا المنهج الجديد الذى نهجه فى دراسة الأدب وبعث الآثار الأدبية الرائعة ، ولم يقتصر على تلك المحاضرات التى كان يلقيها على تلامذته فى دار العلوم ، والدروس التى كان يؤديها لمن يقصدون الاغتراف من معينه ، فاننا نجد له إلى جانب ذلك أثرا آخر يدل على وجهة جديدة فى التفكير وعقلية واسعة الآفاق فى فهم الحياة ومقوماتها ، ويتجلى هذا فى كتابه «الكلم الثمان» ، وهو كتاب ضمنه الشيخ ثمانى مقالات ، أو كما يقول : ثمانى كلمات ، هى كلمات « الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة والحرية والتربية » وقد شرح هذه الكلمات شرحا وافيا مخاطبا به شبان ذلك الزمان الذين كانوا يلهجون بها ويؤدونها دون أن يقفوا على حدود معانيها ، وأن افتتاحهم هذه الناحية بالحديث والكتابة لأمر عجيب من شيخ أزهرى فى ذلك الزمن ، ويبدو أن هذا كان من آثار الثقافة الفرنسية للشيخ حسين ، ومخالطته للاستاذة الأجانب الذين كانوا يزاملونه فى التدريس بدار العلوم ، وإن كانت مادته كلها فى سياق الكلام والاستشهاد لما يقول عربية إسلامية ، ولقد مضى ما مضى من الزمن ، وما زال هذا الكتاب بموضوعاته وبمادته جديدا طريفا ، فن الجدير بالشبان أن يطالعوه وأن ينتفعوا به .

رحم الله ذلك الشيخ العظيم ، وأسدى إليه من الثواب بقدر ما أسدى من الجهد فى خدمة الثقافة العربية والحياة الفكرية .

محمد فوزى عبد المطفيف

تعليقاً

(١) عبرة شاخصة

(ب) توجيه لمن يعي

(١) آخر ما مر بنا من الأحداث الكونية تلك الهزات الأرضية التي اضطربت لها الجبال والأبنية ، وذعرت لها الوحوش ، ووجفت منها الأفئدة ، وكثيرا ما ترتجف الأرض وما عليها ، ويكون لذلك من المسكاره والأضرار ما يكون في بعض الأقطار... وفي كل مرة تستشعر الأنفس الغافلة أن الله قدرة خارقة تتحكم في هذه الدنيا ، وأن له رحمة بالأرض وساكنيها ، وتستلهم الخواطر من تلك الأحداث أن الله حينما يذكرنا بجبروته يتداركنا برحمته ، ويتلطف بنا في قضائه ، ويمثل للمؤمنين قوله سبحانه : « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » .

ومع هذا التنبيه إلى ما في أقدار الله من عبر لا نلبث أن ننسى ، ثم تذهب العبرة وكأن الأمر كان خبرا لا واقعا... وتلك قضية زمنية تلازم الناس ولا يتحولون عنها وإن ذكرهم القرآن ، أو تسكرت بهم التوازل ، وطالت عليهم القرون .

وكانت سنة الله في الأمم أن يسوق إليهم العبر ، ويمهلهم أمدا طويلا حتى إذا تبادوا أخذهم بالعذاب من عنده على أي نحو يريد من أنواع الهلاك .

ولكن رحمته بالناس بعد الرسالة المحمدية أن يمهلهم ، ويفسح لهم ، وهو اللطيف الخبير .

وإذا كان لطف الله وأقيا لنا من عذابه المعجل ، وكانت رحمته بنا حافظة لنا من مهالك أخرى كنا نتوقعها أو نحن مهددون بها : فمن حقه علينا أن نحسن الجوء

إليه ، وأن نفى له بما عهد إلينا الوفاء به ، وأن تحجب إليه ، وفي ذلك الغناء لنا عن كل وسيلة نزعها مجدية مع الغفلة عن جانبه ، وفي جانبه القوة التي لاتهن ، والحول الذي لا يطاقول .

(ب) وها نحن - أهل مصر - في ضوء العبر التي مرت بنا ، وفي استقبال ما ننتظره ، نذكر أننا نخطو في فجاج واسعة من مناحى الحياة ، ودوافع الأمل تحدوننا إلى مواصلة الخطى نحو مستقبل يتصل بماضينا ، وفي سبيلنا لمحات النجاح المنشود .

والظاهرة التي تتمثل فيها اليوم وجهتنا وتتضح في ضوءها نوايانا ومساعدتنا هي إعداد وسائل الحياة النيابية على ما ترتجيه الأمة من مغامرة حياة برلمانية سابقة كانت في جملتها مغامم لأفراد ، وخسارة فادحة على المجموع --- ولم تعد في مظهرها أن تكون خداعا سياسيا ، جارفا بالقيم الأخلاقية ، وهاجما في غير تراث على التقاليد الإسلامية في ظل دستور كان مزعوما فيه أن دين الدولة هو الإسلام .

والظاهرة البادية اليوم هي نشاط المتهيين للنياحة والراغبين في الإدلاء من طريقها إلى الهيئة التشريعية والهيمنة على القائمين بالحكم .

ومع أن هذه شواغل تزعم خواطر الكثيرين عن شئون أخرى ، فأنها لن تشغل أحدا عما يحاك لمصر من مؤامرات ، وما يهب عليها من لفحات الغيظ الكامن في أوكار الاستعمار .

ومصر إزاء هذه الموجات الصاخبة ، وإزاء ما هنالك من خبيثات مأكرة ، تحتاج إلى كفايات وجهود ، وتقدير للأمانة في النياحة ، وسمو بها عن المتاجرة ، والخيلاء باللقب ، والزهو بعضوية مجلس الأمة ، والإخلاص في الانضواء تحت الراية بنفسية غير تلك النفسيات التي سلكت في الحزبيات ، وتموجت في هوامش السياسة أوفى عباها تموجا يكفى للقفذ بها عن حومة هذا المجلس الجديد .

غير أننا مع ما نلاحظه من حرص الحكومة على صيانة الانتخابات من التأثيرات ، والإسفاف في الدعاية ، نرى أشخاصا نفذوا إلى الصفوف الأولى من منافذ خفية ، بعد أن كانوا في معتزك الدعايات الحزبية أدوات في يد الأحزاب ، وبعد أن كانوا أبواقا تستأجر للجهر بمناقب فلان ومساوى فلان .

ونرى من هؤلاء الأشخاص من يستخدم كلمة الحياد في تكرار الإعلان عن نفسه ، ويستغلها في خداع الناخبين واستدراجهم إلى الثقة فيه ، وتغطية نفسه بأغطية كثوب الرياء لبصرف الناس عن الدقة في الاختيار... والناس يعلمون بفطرتهم أن الشخص المتهدم في كيانه الأدبي مثلاً ، والشخص المجاهر بالتحلل ، أو بالجرأة على آداب دينه ، لا يصلح بحال لأن يكون عضواً في ذلك السور الحصين الذي يكفل للأمة حياة كاملة أو قريبة من الكمال .

إن شخصاً أو أشخاصاً عرفوا بالانزلاق فيما يقولون ، أو فيما يوجهون به الناس دون احتشام ، لا يصلحون لحمل الأمانة ، ولا يطاع لهم قول فيما يزعمونه لأنفسهم أو على غيرهم ، والناخب لو أحد ممن عرفوا بشيء من ذلك يكون هو نفسه مسيئاً إلى نفسه وإلى وطنه ، وفي اعتقادنا أن الشعب الواعي سيواجه تجميع المرشحين من الشخصيات المخدوشة في ماضيهم أو حاضريهم ، ومن الشخصيات التي جاهرت بفتنة الناس يوماً ما عن دينهم أو عن خلقهم واحتشامهم ، ولو كان أولئك المخدوشون ممن يخفى حالهم على أناس من الناس أو كانوا متشحيين بوشاح براق .

ويجب أن تكون العين التي ينظر بها الناخبون في صفحات المرشحين بصيرة في حذر ، وألا يتغاضوا عن سواة لأحد ولو كانت في نظرهم هنة من الهنات .

عبد المظيف السبي

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

نحن جزء منها ، وهي جزء منا

لما انتفضت أوروبا الصليبية انتفاضة البغضاء على العرب في القرن الخامس الهجري وما بعده ، زحفت جموع الصليبيين في وقت مما على غرابة في الأندلس ، وعلى بيت المقدس في فلسطين ، وعلى انطاكية في الشام ، وعلى دمياط في مصر ، وعلى قرطاجة في تونس ، لأنها جميعاً في اعتبار الصليبية بلاد عربية .

بلى ، قد صدقوا ، إنها جميعاً بلادنا ، نحن جزء منها وهي جزء منا ، فليغضب اليوم من يغضب من ساستهم وكبرائهم حين نقولها ، فقد قالوها قبل أن نقولها ...
جمال عبد الناصر

الكتب

في ظلال الكعبة

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي - ٢٣ صفحة - مطبعة السنة المحمدية
 فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء ومدير
 التفتيش بالأزهر ، شخصية لامعة في المجتمع الإسلامي ، وهو معروف لقراء هذه المجلة
 بحوثة الفقهية ، ونفحاته القرآنية ، وتعليقاته الحكيمة ، وقد أراد أن يتقرب إلى الله
 بعمل صالح في هذه الأيام ، فأصدر رسالة بعنوان : « في ظلال الكعبة » يقول في تقديمها :
 « هذه صفحات من القصص الحق ، أوجزت فيها القول عن بيت الله الحرام - الكعبة -
 الذي شعت منه إشراقة الهدى فأنبجت دياجير الضلالة ، ووضحت في ضوئه معالم الوطن
 الأول للإسلام . . . » .

ونكتفي بذكر الموضوعات التي تناولها في بحثه : « البيت الحرام في كتاب الله -
 حادث الفيل - كسوة الكعبة - الجانب التشريعي للكعبة - الصفا والمروة - عرفات -
 منى - برزخ زمزم » .

وبهذا استوعب فضيلته جميع ما يهم المسلم معرفته : عن تاريخ الكعبة وما حولها ،
 وأسرار مناسك الحج ، في أسلوب ممتاز ، وروحانية صافية ، مما لا يستغنى عنه مسلم .
 وقد اختار فضيلته إصدار هذه الرسالة في موسم الحج لتكون هدية منه إلى حجاج
 بيت الله الحرام .

تفسير الطبري

الجزء التاسع - ٢٤٠ ص - دار المعارف بمصر

صدر أخيراً الجزء التاسع من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الكبير
 أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وفيه تفسير سورة النساء من الآية ٨٨ إلى نهايتها بالآية ١٧٦ ،
 والآيات الخمس الأولى من تفسير سورة المائدة . وقد تضمن تفسير هذه الآيات من السورتين
 استشهادات بنحو ألف ومائتين وخمسين حديثاً وأثراً .

وإذا كان علم الإمام المجتهد محمد بن جرير قد يسر للمسلمين استعراض أهم ما يحتاجون إليه من نصوص البطون الثلاثة الأولى من صدر الإسلام في كل ما يتعلق بالآيات التي تصدى لتفسيرها ، فإن علمه - في هذه الطبعة - قد ماثنى علم الأستاذ الشيخ أحمد شاكر في تحقيق تلك النصوص من أحاديث وآثار ونقد سندها والتعريف برواتها ، مما لا يجده الباحث مجتمعاً في غير هذا التفسير . أضف إلى ذلك علم أخيه الأستاذ محمود شاكر بعلموم العربية ومذاهب الأدب ودخائل التاريخ الإسلامى .

إن هذه الطبعة من تفسير ابن جرير تحفة من تحف المكتبة العربية والتراث الإسلامى ، وكل جزء من أجزائه مدرسة يحتاج إليها كل دارس لعلموم الإسلام وشرائعه .

الله والعلم الحديث

للأستاذ عبد الرزاق نوفل - ٢٥٨ ص - مكتبة مصر بالقاهرة

الدين الحق يهذى إلى الحق ، والعلم الصحيح ينشد هذا الحق ويدل عليه ، فكأنهما المعنيان بقول الله عز وجل في كتابه الحكيم « مرج البحرين يلتقيان » ولذلك كان من رسالة القرآن توجيه العقل الإسلامى إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض .

إن الإسلام يرحب بكل حقيقة قطعية الثبوت لا تقوى أحداث المستقبل على نقضها أو تغيير حكم العقل عليها ، وإنما يرحب بكل حقيقة لأنه « دين الحق » وهذا هو اسم الإسلام كما سماه القرآن .

ولقد حاول كثير من المؤلفين أن يسجلوا نواحي الالتقاء بين نصوص الإسلام وحقائق الـكون ، ومنهم الدكتور عبد العزيز اسماعيل باشا فى كتابه « الإسلام والطب الحديث » والغازى أحمد مختار باشا فى كتاب له عن تفسير آيات من القرآن بحقائق حديثة عن علم الفلك ، والأستاذ محمد أحمد الغمراوى فى سلسلة أحاديث كان ألقاها فى دار الشبان المسلمين بالقاهرة ، والأستاذ محمد محمود إبراهيم أستاذ الجيولوجيا وهندسة التعدين بجامعة القاهرة فى كتابه « إعجاز القرآن فى علم طبقات الأرض » ، وبين أيدينا الآن أحدث كتاب فى مثل هذه المعانى وهو كتاب « الله والعلم الحديث » للأستاذ عبد الرزاق نوفل الذى سبق لنا الإشارة إلى صدوره فى جزء ربيع الأول من هذه السنة (ص ٢٧١) وقد صدره السيد الأستاذ إبراهيم الطحاوى بكلمة قيمة قال فيها : « نحن بنى الانسان فى أيامنا هذه وقد سادت ديناً ضلالة الهوى وسيطرة الظالمين ، فى حاجة إلى أن نتعرف

إلى الله ثانية لكي ننجو من العذاب الأليم ، وإن كتاب اليوم (الله والعلم الحديث) لمفتاح طيب من مفاتيح الطريق ، نحن المسلمين - بل نحن بني الإنسان - في حاجة إليه لنعرف ونحس ونهتدى . »

وقد أبى المؤلف أن يضع لفصول كتابه فهرسا ثلثا يكتفى بتصفحها بالرجوع إلى بعض فصوله دون سائرهما ، ونحن نجاريه في الإمساك عن بيان ما احتواه الكتاب من نفائس ، لنغرى القارئ بقراءة الكتاب متسلسلا من أوله إلى آخره لأن شيئا منه لا يغنى عن شيء آخر فيه ، فكله نفيس نافع إن شاء الله .

مصر في القرن الثامن عشر

للأستاذ محمود الشرفاوى - الجزء الأول ١٩١ ص - مكتبة الإنجلو المصرية لما أهدى الينا الأستاذ المحقق محمود الشرفاوى الجزء الثانى ثم الجزء الثالث من كتابه « مصر في القرن الثامن عشر » ونوهنا بهما في ص ٩٢١ من السنة الماضية و ص ١١١ من هذه السنة ، كان الجزء الأول من الكتاب قد نفدت نسخ طبعته الأولى . والآن صدرت طبعته الثانية فأهداه الينا ، وهو مصدر بفصل عن الشيخ عبد الرحمن الجبرقى وأسرتة وكتابه عجائب الآثار ومخطوطاته وطبعاته وترجمته الفرنسية . يليه فصل عن الحياة الفكرية في عصر الجبرقى وأعلام معاصريه وحياة المجتمع في زمانه ، يلي ذلك استعراض للآثار الاجتماعية الذى تركته الحملة الفرنسية في مصر وحياتها وحالة المرأة والتنظيم الإدارى والتكافل الاجتماعى والمحافظة الوطنية ومركز الأجانب إلى غير ذلك مما انطوت عليه حويليات هذا المؤرخ المصرى الأمين الذى كان تاريخه الحلقة الأخيرة في سلسلة تاريخ مصر فكانت نالية لتاريخ ابن إياس وتاريخ ابن الفرات قبله . وإن الدراسات التى قام بها الأستاذ الشرفاوى في كتاب الجبرقى قد يسرت للقارئ صورة عن عصر الجبرقى هى أصدق صورة كانت تكون غامضة لولا تسجيل الجبرقى لملاحظاتها ولحاثاتها يوما فيوما .

رحمه الله ، وجزى صاحب الدراسات في تاريخه ما هو أهل له من خير .

مواكب الارواح إلى عالم الافراح

للأستاذ الشيخ على رفاعى - ١٢٦ ص - المطبعة المنيرية بالقاهرة لفضييلة الأستاذ الشيخ على رفاعى المفتش العام للوعظ بالأزهر نشاط حميد فى التأليف ، إلى جانب مهمته الرسمية فى الوعظ ، وقد سبق لنا التعريف ببعض مؤلفاته . وكتابه هذا عن الروح ، والروح من أمر الله استأثر بعلم أوليتها لما دبت الحياة فى أهل الحياة

من مملكتي الحيوان والنبات ، فظل ذلك لغزا مجهولا من العلم إلا ما علمه الله لنا . وقد استعرض المؤلف معارف المسلمين وغير المسلمين في أمر الروح بفصول شيقة ولطيفة ، واستطرد إلى ما يتجر به بعض الإفرنج ومقلدوهم وما توسعوا فيه من خرافات التنويم المغناطيسى وتحضير الأرواح مما كنا نتمنى لو تجرد منه الكتاب ، واقتصر على ما صح في كتبنا مما استمده من كتاب ابن القيم وأمثاله ، على أن المؤلف أشار إلى أن هذا ليس من غرض كتابه ، وإنما قصد إقناع من يريد معرفة عجائب الروح وأنها شيء غير الجسم . شكر الله له .

فكرة الجذسية (أى القومية)

في التشريع الإسلامى المقارن

للأستاذ أحمد طه السنوسى - ٧٢ ص - مكتبة وهبة بالقاهرة

هذه دراسة قانونية دقيقة ومركزة للعلاقة أو الرابطة القانونية والسياسية التى تربط بين الفرد من جهة والدولة من جهة أخرى ، والنظر إليها من الناحية الإسلامية ، أى من ناحية تعريف الشخص المتمتع بجذسية دار الإسلام . وبحوث الكتاب تنطوى فى ثلاثة فصول : الأول فى الدلة وتقسيم العالم بحسب نظرية اختلاف الدارين ، ونظرية انقطاع العصمة ، مع بيان تنازع القوانين وتعريف الموطن والجذسية . والفصل الثانى فى رابطة الجذسية فى التشريعات الحديثة وفى الشريعة الإسلامية والتعريف بمهاية الجذسية الإسلامية ودور الدين فيها . والفصل الثالث فى تعريف «المسلمين» و«الذمين» ومعنى عقد الذمة أو الأمان المؤبد وتأصيل علاقة الذمين بدار الإسلام ، كل ذلك مقارنا بين الفقه الإسلامى والتشريع الغربى . وقد سبق للأولف تحقيق هذه الموضوعات فى مجلات متنوعة كمجلة المحاماة ومجلة الثقافة ، ولعل القراء يذكرون بحثه بعنوان « اختلاف الدارين فى التشريع الإسلامى » فى المجلد ٢٥ من هذه المجلة .

المخترعون

للأستاذ أحمد طه السنوسى - ١٢٨ ص - الحلقة ١٧٢ من سلسلة «اقرأ»

وأهدى الينا الأستاذ السنوسى كتيباً آخر له عن المخترعين هو حلقة من سلسلة «اقرأ» مؤلفاً من ثمانية فصول : أولها من هم المخترعون ، والثانى فى درجات المخترعين ، والثالث عن المخترعين بين الإخفاق والنجاح ، وعنوان الرابع المخترعون والبحث العلمى ، والخامس الدولة والمخترعون ، والسادس المخترعون والنهضة الحديثة ، والسابع المخترعون والتقدم البشرى ، والثامن تقدير المخترعين . ومثل هذا الموضوع يرجى له الأثر الطيب فى جمهور المثقفين فى نهضتنا الصناعية المباركة .

الأدب والعلوم

بدائع الصنائع للكاساني

رأت مشيخة الأزهر إعادة طبع كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لمؤلفه الإمام علاء الدين أبي بكر ابن مسعود الكاساني ، وأصدر مجلس الأزهر الأعلى قرار بتأليف لجنة من أصحاب الفضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد شيخ كلية اللغة العربية رئيساً ، والشيخ أحمد الشعراوي الأستاذ المساعد بالكلية ، والشيخ محمود العقدة المدرس بها ، والشيخ زكريا البري المدرس وأمين الفتوى بالأزهر أعضاء . وتتولى اللجنة مراجعة النسخة المطبوعة القديمة على الأصول الخطية ومراجعة الآراء في المذاهب الأربعة والإشارة إلى مواطنها والتعليق على النقول التي تخالف الراجح في المذاهب وضبط الآيات والأحاديث والأعلام وتخريج الأحاديث ووضع فهراس منوعة على النظام الحديث حتى يتيسر لرجال التمرير الانتفاع به بأيسر طريق

كليات إقليمية

قال وزير التربية والتعليم في زيارته الأخيرة للاسكندرية : إنه تقرر إنشاء ثمانى كليات فنية في عواصم بعض المديريات في بداية العام الدراسى المقبل ، والوزير يتطلع بإيمان وثقة إلى اليوم الذى يصبح فيه بهامسة كل

إقليم مجموعة من المعاهد العليا الفنية تستوعب جميع أبناء الإقليم وتؤهلهم لنفع الإقليم وبالتالى لنفع الشعب جميعا .

بيع المدارس الأجنبية

لمؤسسة التربية القومية وافقت وزارة المالية على ما طلبته وزارة التربية والتعليم من الترخيص بشراء المدارس والمعاهد الأجنبية الموضوعة تحت الحراسة لحساب مؤسسة التربية القومية التابعة لنقابة المعلمين . وستتخذ الإجراءات لتقدير قيمة هذه المدارس وتوطئة لتسليمها إلى المؤسسة بعد توقيع العقد الابتدائى .

والمنتظر أن يدفع ثمن هذه المدارس على أقساط طويلة الأجل ، وسيعين لادارتها أحد كبار رجال التعليم السابقين .

دراسة ألفاظ الحضارة

تشتغل لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة في المجمع اللغوى بدراسة الألفاظ الخاصة بالعمارة وبعض فروع الفنون الجميلة .

وقد اقترح فضيلة الأستاذ العلامة السيد محمد الخضر حسين على المجمع دراسة أسماء العقاقير المستعملة في الطب تيسيرا للأطباء والصيادلة في الاستغناء عن أسمائها الأفرنجية وتمجيلا لتعريب التذاكر الطبية في وصف العلاج للأمراض .

إنشاء المجلس الإسلامي

لنتيجة المحادثات التي جرت في القاهرة ومكة في جو من الإخاء والتعاون الحقيقيين لما فيه خير الدول العربية وبما فيه القضاء على الخطط الاستعمارية .

بيان سعودي أردني مشترك

طار الملك حسين بخافة إلى المملكة السعودية يوم الأحد ٢٨ رمضان وفي أثناء زيارته للملك سعود جرت بينهما محادثات حول الشؤون العربية التي تهم العالم العربي ومن بينها الوضع الراهن في الأردن باعتبار أنه القطر العربي الواقع في الخطوط الأمامية للدفاع القومي العربي ، والذي يهم أمره البلاد العربية جميعاً ، وعلى الأخص الدول الثلاث المتحالفة معه : مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية . وقد أذيع بيان مشترك من العاهلين أعلننا فيه أنها خرجا من هذا الاجتماع على تفاهم صريح واضح بأن السيادة القومية العربية التي وضعت خطوطها في اجتماع القاهرة الأخير بتاريخ ٢٧ رجب الموافق ٢٧ فبراير بالاشتراك مع الرئيس شكري القوتلي والرئيس جمال عبد الناصر هي السياسة العربية القومية التي ارتبطا بها ارتباطاً وثيقاً وتعاهدا على الوفاء بمبادئها مهما كانت الظروف ...

الرئيس السوري في مصر والحجاز
وصل إلى القاهرة يوم الخميس ٢٥ رمضان رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي ، واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر ثلاث مرات استعرضا فيها الموقف بالشرق الأوسط وبخاصة في الأردن عقب التطورات الأخيرة .

ثم غادر القاهرة صباح اليوم التالي إلى الحجاز مع بعثة مصرية للاجتماع بالملك سعود الذي بعث إلى الرئيس جمال برسالة خاصة يطلب فيها إيفاد مبعوثين إلى المملكة السعودية لبحث الموقف في المنطقة . وقد اجتمع الملك سعود في مساء الجمعة بالرئيس السوري والوفدين السوري والمصري في قصر جلالتهم بجوار الكعبة المشرفة ، واستمر الاجتماع من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل حيث جرت مباحثات بشأن الأزمة التي نشبت في الأردن . وعاد الرئيس السوري والوفدان السوري والمصري في يوم الأحد إلى مصر ، وبعد الاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر عاد الرئيس السوري إلى دمشق وعقد مجلس الوزراء برئاسته . وأعرب رئيس مجلس الوزراء السوري على أثر فضاء المجلس عن ارتياحه

فهرس

المجلد الثامن والعشرين

(لسنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م)

(١)

الاستقامة ١٣٧ ، بقطة المروية ٢٤١ ،

التصوف بين التأيد وللعارضة ٣٨٢ ،

فروسية الشباب في الاسلام ٤٣٩ ، شرعة

البذل والاتفاق ٥٨٥ ، النصر بين الله

والعباد ٦٤٥ ، الاسلام يحارب الجشع ٧٢٣

موقفنا من الدين ٨٢٥ ، السنة والبدعة ٩١١

أحمد طه السنوسي : السبيل وتأثيرها على المراهقين

والأحداث ٨٣٤ ، فكرة الجنسية في التثريب

المقارن (كتاب) ٩٨٧ المخترعون

(كتاب) ٩٨٧

إحياء العلوم ونهضاتها في ثقافة أوروبا مستقاة من

الثقافة الاسلامية ٤٤٢ ، ٧٢٦

أخلاق جديدة لحياة جديدة ١١٣

الأخلاق المحمدية (شعر) لتوقي ٢٣٣

أدب الاستعاب إلى كتاب الله ٩٣٥

أدب القوة في مؤتمر أدباء العرب ٣٣١

الأدب المفرد للبخاري (كتاب) ٢١٩

الأزهر للدين أولا (قصيدة) ٢٠٢

» في أندونيسيا وبأستان ٢١٧

» في صفوف الجهاد ٤١٥

» في للمركة الأخيرة ٦٦٥

» وعيد الأم ٨٥٤

الأزهر يون المجدد ٢١٨

أسباب النصر ٤٥٥

أستاذ قانوني فرنسي يحتج على هجبة فرنسا في

الجوائز ٨٩٤

آيات التوحيد في القرآن (كتاب) ١١٠

الابداع في مضار الابتداع (كتاب) ٨٨٩

إبراهيم على بديوي : بورسميد [قصيدة] ٥٩١

ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ٩٣٧

أبو الأعلى للدودي : نظرية الاسلام الخلقية

(كتاب) ٦٢٠ ، الاسس الاخلاقية للمركة

الاسلامية [كتاب] ٦٩٨

أبو بكر بخيون : عين السكبال ١٥٦

أبو زيد شلي : حكم تلحين القرآن ٤٧ ، الندم

والتوبة ٤٧٣ ، ٥٤٥ ، ٧٧٩

أبو عبيدة في عهد الشيعين ٩٤٦

أبو الوفا للراعي : مذاهب ومذاهب ٣٥٦ ،

ذيل طبقات الشعراء ٤٧٠ ، مسئولية

للورخ ٥٢٧ ، الأزهر في للمركة الأخيرة

٦٦٥ ، الدين ووسائل تعليمه ٧٧٠ ، أعياد

ومواسم وذكريات ٨٦٩ ، خداع وتضليل ٩١٨

الانجاء إلى الله ٧٣٣

الانجاءات الوطنية في الأدب للماصر [كتاب] ٣٣٣

الاتحاد البناني العربي ٨٩١

اتفاقية التضامن العربي ٧٠٠

اتفاقية قاعدة القناة ٦٢١

أحاديث الاستاذ الأكبر ٥٩٨ ، ٦٧٥

أحدث كلية لصيدلة ١٠٨

أحمد الشرباصي : مظاهر النظام في الاسلام ٥٢ ،

الامتحانات ٨٩٢

أمل الشرق العربي [شعر] لمحمد الهامى ٢٩٣

أمين هذه الأمة [أبو عبيدة] ٧٤٤

انفجار في الشمس ٢١٦

إنما نريد أن نعيش ٦١٣

أوضاع الهلال وحدود رؤيته ٨٣٨

الإنجائية الفعالة ٩٧٢

إيدن وجمال عبد الناصر ٥٠٨

الايمن والحياة [كلة لمفتوطى] ٨٧٨

(ب)

بحوث في مصادر الشريعة النظرية ٢٢ ، ١٧٩ ، ٦

٢٦١ ، ٣٧٤ ، ٤٨٩ ، ٦٥٧ ، ٧٧٤

بدائع الصنائع (كتاب) ٩٨٨

بدء الشهر القمري الشرعى ٢٩٨

البر والائتم ٢٦٧

برنارد شو يصف الاسلام ٦٤١

بريطانيا والاردن ٥٠٤

بشارة لهذه الأمة ٦٨٦ ، ٧٣٦

بعثات مصر التعليمية في الخارج ٥١

بمد هجوم الأعداء على مصر ٦٠٩

بنى إسرائيل والمؤامرة المبيتة ٤٠٨

البغى البريطانى على اليمن ٦٢٢

بلال [سابق الحبشة] ١٧٣

بنو إسرائيل في الماضى والحاضر ٢٢

بورسميد [قصيدة] ٥٩١

المجاهدة ٦٢١

بوليس لحماية الأحداث ٨٩٢

بيان سمودى أردنى مشترك ٩٨٩

بيان للمستقبل من معانى القرآن [كتاب] ٦٢٠

من علماء الأزهر بشأن أحداث العراق ٥٤٢

يرم التونسي : قطع الصلة بين المسلمين وكتبهم ١٦٤

يبيع الدين ونقله ١٦٥

يبيع المدارس الأجنبية بمصر ٩٨٨

استئناف الدراسة في مصر ٦٢٣

استخدام الأجانب في مصر ٥٠٤

الاستعمار يتآمر والعروبة تعمل ٢٠٦

الاستقامة ١٣٧

استلف واستلف وتلف ٨٧٦

الاسراء والممرج ٦٦٨

الأسس الأخلاقية لحركة الإسلامية (كتاب)

٦٩٨

الاسلام [كلة لقسم اسحاق تيلر] ٥٦٦

د في الصف ٧٩١

د والأسرة ٤٢

د والشجاعة ٧٩٠

د والقرب وجهها الوجه ٢٤٦

د يحارب المجتمع ٧٢٣

أصحاب فلسطين الحقيقيون ٦٦٤

أصداء الدين في الشعر الحديث [كتاب] ٥٠٣

أصدق ما وصفت به المرأة ٣٤٩

إضراب الأزهر تضامنا مع شعب الجزائر ٧٠٣

أضواء على التاريخ الاسلامى [كتاب] ٧٩٣

الاعتدال [كلة لشارل وانير] ٦٠

أعداء الحقيقة [كلة لتولستوى] ٥٢٢

أعياد ومواسم وذكريات ٨٦٩

الاقتصاد في الموعظة ٣٥٠

افقه أكبر جاء النصر ٣٨٩

افقه والعلم الحديث (كتاب) ٢٧١

إلى مائة مليون مربي [شعر] ٧٣٥

الالفاظ الأوربية في اللغة العربية ١٨٤ ، ٢٦٨

الامام البخارى : استنباطه المعانى والأحكام من

الحديث الواحد ٨٧ ، ٤٦٤ ، كتابه [الأدب

المفرد] ٢١٩

الامام البخارى وكتاباه الجامع الصحيح ٩٦٨

الامام محمد بن إدريس الشافعى ٨٥٦

الأمبراطورية العربية في خطاب موليه ٣٢٩

(ت - ث)

- التأمر على سوريا ٥٠٩
التاريخ السياسى للدولة العربية ٥٥٦
تأميم قناة السويس ١٠٦
تأنيث هيئة التدريس للبنات ٣٣٢
تجربات الأزهر لمدينة بورسعيد ٨٨٧ ، ٩٦٦
تجارب الشرق ٢٠٤
تحرير الاقتصاد المصرى ٧٠١
التحرير والتنوير [تفسير] لظاهر بن عاشور ٢٢١
التدريب العسكري بالأزهر ٦٨٢
تراث إسلامى [شعر أحمد محرم] ٧٤٩
تراجم إسلامية حليلة [كتاب] ٦١٩
تربية روح المقاومة فى الأمة ٨٨١
التربية الرياضية ٦٩٩
تركة سيد الخلق ١٩٣
تسعة كتب فى الدين والعبادة ١١١
التذلل ... والتب [شعر] لأحمد محرم ٩٤٥
تجميع التأليف الإسلامى ، ونجوى من كتاب
من ألف كتاب ٦٢٥
التصوف بين التأييد والمعارضة ٣٨٢
التفصيح بالنفس والمال [حديث نبوى] ٣٦٧
التعاون العربى ٥٠٥
تأليفات ٨٠ ، ٢٠٤ ، ٣١٤ ، ٤٩٥ ، ٦٠٩ ،
٧٨٨ ، ٨٨٥ ، ٩٨١
التعليم الثانوى فى الجزائر ٢١٨
تعليم موحد ٦٢٣
تفسير الطبرى ١٠٩ ، ٣٣٣ ، ٦٩٦ ، ٩٨٤
التقليد فى الخطأ مهانة ومهلكة ٩٠٢
تلطف القرآن ٢٢٩
تمصير أقدم مدرسة إنجليزية بمصر ٣٣١
تنسيق جهود العرب ٢١٤
توجيه الناس إلى مسالك الأرزاق ٨٠٧
- توحيد مستوى الشهادات ٢١٦
يوم العطلة الأسبوعى ١٠٧
توفيق عاشور : ربيع النعم ٣٠٩
الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة [تحليل لموقف
أمريكا من الإسلام] ٧٣٩ ، ٨١٥
نحن البنى ٥٠٦
نورة الإسلام على الفقر والاحتسار ١٩٤ ،
٢٥٦ ، ٧٦٠
(ج - ح - خ)
جرح الإسلام [شعر] لأحمد محرم ٧٨٩
جلاء الحقنة ٥١٩
جلوب يقول : خسرها الشرق الأوسط ٤٢٩
جمعية الأمم تقرر انسحاب للعدين ٤١١
» » تصدر قراراً آخر بالانسحاب ٥٠٧
» » تقرر انسحاب إسرائيل ٢٠٩
الجهاد فى الشريعة الإسلامية وتاريخه ٣٩١
جهاد النساء ٢١٦
الجهاد والشهادة [شعر] لخليل مردم ١٣٦
جولات إسلامية [كتاب] ٦١٩
حاجام يشرب بالحجل لأنه يهودى ٥٨٠
الحاكم العادل عمر بن العزيز ٩٥٧
حالة ليبيا ٢١٤
حديث الهجرة [قبل الجزء الأول]
الحرم الملكى [توسيعه] ١٠٦
حريق مكتبة الاسكندرية ٨٢٤
الحرية [شعر] لشفيق جبرى ١٣١
حسنين محمد مخلوف [رئيس لجنة الفتوى] : فتاواه
فيما نسب فى الصحف إلى وزير الأوقاف بشأن
ما يباح للمخاطب من مخطوبته ، ومخصص
النساء بمسجد ٨٦١
حسن عبد المجيد هاشم : الماثدون ٦٨٥
حظوظ الدنيا وحظوظ الآخرة ٥٦
حفيد خليفة يعظ خليفة ٣٦٣

حقوق الانسان بين الشرق والغرب [كتاب] ٧٩٤ ذيل طبقات الشعراء ٤٧٠

(ر - ز)

الرئيس السوري في مصر والحجاز ٩٨٩

رابعيات الحيام ٢٢٣

ربيع النصر في مصر ٣٠٩

رجال التاريخ [كلمة لرافى] ٨٧٧

الرحمة في قلب أرحم مولود ٢٦٠

رسالة تقدير وتأييد ١٩٠

رسالة رمضان ٨٩٠

الرسول وإنشاد الشعر ٥٤٩

رعاية الأحداث وتعليمهم ٢١٨

روسيا تنذر فرنسا وإسرائيل ٨٩٣

الروض الفائق [كتاب] ٦٩٧

زكى الدين شعبان : بحوث في مصادر الشريعة

النظرية ٢٢ ، ١٧٩ ، ٢٦١ ، ٣٧٤ ،

٤٨٩ ، ٦٥٧ ، ٧٧٤ .

زهد محمود شكركى الألوسى ٣١٣

زيارة لقائمقام البطرك لمناسبة تنصيبه ، ثم استقبله

عند رده الزيارة [قبل الجزء السادس]

(س - ش)

سابق الحبشة [بلال] ١٧٣

سابق الروم [صهيب] ٤٣٣

سبيل المؤمنين ٨١١ ، ٩٠٧

سحب قوات فرنسا من فزان ٥٠٧

سعد بن معاذ (سيد الأوس) ١٧

السنة ١٣ ، ١٢٤ ، ٢٣٤ ، ٣٥٠ ، ٤٣٠ ،

٥٢٣ ، ٦٤٢ ، ٧١٦ ، ٨١١ ، ٩٠٧

السفة والبدعة ٩١١

سورة الاسراء تفسر نهاية إسرائيل ٦٨٩

سيادة العرب على أوطانهم وحيادهم الايجابي

(بيان أقطاب العرب) ٧٩٦

حكم تلحين القرآن ٤٧

حكمة مشروعية الرق في الاسلام ٨٧٨

حكومة بنى وكتاب يهدمون ٨٠

الحلال بين والحرام بين ٧٨٨

حلقات دراسية للجامعة العربية ٢١٨

حلقة الدراسات الاجتماعية بالأزهر ٦٩٩

حول التوسع في تعليم الفتيات ٣١٤

حول الأقويات ٦٦٣

حول ما نسب إلى ابن حزم فيما يجوز للخاطب من
خطوبته (قبل الجزء الثامن)

حى على الجهاد ٤٣٠ ، ٦٤٢

الحياء من الله (حديث نبوى) ١٢

خالد بن الوليد في عهد النبوة ٥٦٧ ، ٦٥٢ ، ٧٥٤

خداع وتضليل ٩١٨

الحراب والعمران في بورسميد ٥٠٧

الخاسر البريطانية الفرنسية ٦٢٣

خطر للمستشرقين ٤٥٧

الخر (آيات للمعري) ٥٩٧

خير الأساة (شعر لأحمد محرم) ٦٨١

(د - ذ)

دار العلوم ديوبند [أزهر الهند] ٥١١

الدراسة في الأزهر ٢١٨

درس ٤١٧

دور الأزهر في السكفاح ٤٧٩

الدين مادة أساسية في مدارس السودان ٥١١

الدين ووسائل قلمه ٢٧٠

ذكاء أعراى ٦١٢

ذكرى استقلال تونس ٨٩٤

ذكرى السنوسى الكبير ٢١٤

ذكرى الهجرة النبوية ١٥٠

ذكريات بين الصفا والمروة ٣١١

(ع - غ)

سيد الأوس [سعد بن معاذ] ١٧
السيّد مسعود الأطروش : المهرى الناهض

[قصيدة] ٥٦٤

سيف الله خالد في عهد النبوة ٥٦٧ ، ٦٥٢ ،
٧٥٤

السينا وتأثيرها على المرافقين والأحداث ٨٣٤

الشجاعة عماد الفضائل ١٤١

شريعة البذل والانفاق ٥٨٥

شركات مقاولي قاعدة القناة ٧٩٨

شفاء الغرام لائقى الفاسى [كتاب] ٦٩٦

شفاعة المروءة [حكم عمرى] ٥٥

الشكليات وروحها [رسالة] ٢٢٢

شهادات سفراء أمريكا ٧٩٩

شهدوا على أنفسهم بالوحشية ٤٩٥

الشيخ حسن المرصنى ٩٧٧

الشيخ سليمان الجوسقى ٨٤٩

(ص - ط)

صابر على رمضان الجوشقى : الأزهر لدين أولا

[قصيدة] ٢٠٢

صافتنا : بعض ميوبها ٤٦

صفحات من البطولة فى الاسلام ٢٥٣ ، ٣٥٩

الصلاة سلاح النصر ٥٢٣

الصلاة والجهاد ٤٧٢

الصلة بين الاسلام والقومية العربية ٥٩٨

صهيب [سابق الروم] ٤٣٣

صوم رمضان [قبل الجزء التاسع]

طه الساكت: السنة : (عيد الجلاء الاول ١٣، ١٢٤،

٢٣٥ ، الانتصاد فى الموعظة ٣٥٠ ، حتى على

الجهاد ٤٣٠ ، ٦٤٢ ، الصلاة سلاح النصر

٥٢٣ ، جهاد النساء ٧١٦ ، سبيل المؤمنين

(٨١١ ، ٩٠٧)

عباس طه : فى العام الهجرى الجديد ٩٣ ، النثر

والشعر فى تقدير الاسلام ١٤٤ ، العمدة فى

أسباب الخلاف بين حملة الأديان ٢٨٩ ،

ثقافة أوروبا مستقاة من الثقافة الاسلامية

٤٤٢ ، ٧٢٦ ، كيف يسود السلام العالم

٥٣٦ ، للتدريب العسكري بالأزهر ٦٨٢ ،

الامام محمد بن إدريس الشافعى ٨٥٦ ،

الامام البخارى ٩٦٨

عبد الحيد سامى ييوى : ابن خلدون ٩٣٧

عبد الرحمن بن عوف ٢٨٠

عبد الرحمن تاج (فضيلة الاسماء) الكبر شيخ

الجامع الأزهر) : حديث الهجرة (قبل

الجزء الاول) ، عبد الجلاء ٦٨ ، عيد

الأضحى ٧١ ، عيد الثورة ٧٤ ، الموت دفقا

من الوطن شهادة ٧٨ ، نداء شيخ الأزهر

وعلمائه ٣٧٢ ، الله أكبر جاء النصر ٣٨٩ ،

نداء بمناسبة الأحداث فى العراق (قبل الجزء

الخامس) ، نشاط الأزهر فى مكافحة الطغيان

٦٠١ ، تبادل الزيارة مع قائم مقام البطريرك

بمناسبة تنصيبه [قبل الجزء السادس] ،

الصلة بين الاسلام والعربية ٥٩٨ ، حديث

من الأزهر مع صحفى بلغارى ٦٧٥ ، زيارة

الوفد الصحفى الصينى للأزهر ٦٧٦ ، بركة

إلى جهة التحرير الجزائرى ٧٠٣ ، صوم

رمضان [قبل الجزء التاسع] ، كلمة عيد الفطر

٩٦١ ، بركات التهانى بعيد الفطر ٩٦٤

عبد الرزاق نوفل : الله والعالم الحديث [كتاب]

٢٧١ ، ٩٨٥

عبد العزيز الاسلامبولى : بحكم ابن سيده ١٥٧

عبد القادر مختار : موجة الانحلال والضعف النهائية

على تقديرها ٣٦٤

عبدوى أحمد عبدوى : بيع الدين وثقة ١٩٥
 عين السكال (مدحة نبوية) ١٥٦
 عيوب التعليم الجامعى ٣٢٦
 غابة في شمال القاهرة ٢١٥
 غلام أحمد القاديانى وفصائله ٦٢٥
 غنائم مصر من مذكرات قلعة الاننة ٧٩٨

(ف-ق)

الفتاوى : حكم تبني أيتام بور سعيد ٤٩٧ ،
 افتتاح عماد نسب في الصحف إلى وزير
 الأوقاف بشأن ما يباع لأطباء من عطوبته ،
 وتخصيص النساء بمسجد ٨٦١
 فتح مكة ٩٢٥
 فرن ذرى في مصر ٨٩٥
 الفرنسية والألمانية ٨٩١
 الفرنسيون كما وصفهم للمارشال بيتان ٤٧٨
 فروسية الشباب في الاسلام ٤٣٩
 فكرة الجنسية في التشريع المقارن [كتاب] ٩٨٧
 فؤاد الخطيب : يوم غد [شعر] ٢٠٣
 في جامعة القرويين ٣٢٢
 في الصبر لا غش ولا سرقة ١٤٩
 في ظلال الكعبة [كتاب] ٩٨٤
 في الصام المجرى الجديد ٩٣
 في مدارس مصر الابتدائية ١٠٨
 القاديانية ومواقفها ٦٢٥
 قاديانيات ٦٣٦
 القرآن [كلمة لمؤرخ جيبون] ٥٧٣
 القوآن في اللاهوت الابتدائية ٧٩٥
 قرار مجلس الأمن في مسألة القناة ٣٢٨
 قرارات ملوك العرب رؤسائهم ٥٠٥
 القضايا المصرية : إذاعة عنها في الحرمه ١٠٧

عبد الطيف السكي (نفعات القرآن) : مذكورية
 المرء من أقواله ٨ ، العمل لديناعباد ١١٩ ،
 تلطف القرآن ٢٢٩ ، الوقت في نظر الاسلام
 ٣٤٥ ، الهدى قوام المجتمع ٤٢٥ ، جلاء
 المحنة ٥١٩ ، معالم الطريق إلى الفلاح ٦٣٧ ،
 الموالاة - المسألة - الحذر ٧١١ ، توجيه
 الناس إلى مسالك الأرزاق ٨٠٧ ، التقليد
 في الخطأ مهلة ومهلكة ٩٠٣
 (تعليقات) : حكومة تبني وكتاب يهدمون
 ٨٠ ، تجارب الطرق ٢٠٢ ، حول القوس
 في تعليم الفتيات ٣٩٤ ، شهد الانجليز
 وللفرنسيون على أنفسهم بالوحشية ٤٩٥ ،
 بعد هجوم الأعداء على مصر ٦٠٩ ، الحلال
 بين والحرام بين ٧٨٨ ، نقطة دينية محمودة
 ٨٨٥ ، عبرة شائعة ، توجيه لمن يسي ٩٨١
 في ظلال الكعبة [كتاب] ٩٨٤
 عبد المنعم النمر : الاسلام والغرب ٢٤٦
 العرب في مقدمة ابن خلدون ١٣٢
 العربية في جامعة جنيف ، وفي ألمانيا الشرقية ٩٠٨
 عز الدين احميل : نقد كتاب التاريخ السيلسي
 لدولة المربية ٥٥٦
 عقيدة للتوحيد [قصيدة] ٨٤٢
 على الهامى : التجاهة عماد الفضائل ٩٤٩
 العمدة في أسباب الخلاف بين حملة الأديان ٢٨٩
 عمر طلعت زهران : الألفاظ الأدبية في اللغة
 المربية ١٨٤ ، ٢٦٨
 العمل لديناعباد ١١٩
 الملاق بين أهله ويومه ٣٣٧
 ميد الأرضي ٧٤
 ميد الثورة ٧٤
 ميد الجلاء ٦٨
 عيد الجلاء الأول ١٣ ، ١٢٤ ، ٢٣٥

الطريان - أيار ١٦٢ ، لا أدري ما الفرق
بين ١٦٣ ، للواضيع والمشاكل ٣٠١ ، فلان
يمافر ، ديس الثوب بدبوس ٣٠٤ ، لثمن
بأسر فلان ٤٥١ ، من جديد ٤٥٢ ، عمل
مستديم ، الفرقوشة ٤٥٣ ، الشاه في لعب
الشطرنج ٤٥٤ ، اشترك محمد مع محمود ٥٨١
فك لمحمد اذهب إلى المنزل ٥٨٣ ، عبدالكريم
(بكسر الكاف) ٥٨٤ ، ما قام سعد لكن
قام سعيد ٦٧٨ ، للنص السكوى ٦٨٠ ،
قارن بين الأسرين ٦٨٠ ، استلف واستسلف
٧٤٦ ، محمد بن محمود ، كويس ٧٤٨ ، قر
الدين ٨٧٢ ، الفيط ، عيشة ، الميدة ٨٧٣ ،
لقب « ملـكة ليبيا » ٥٠٤

لساذنح ٨٩٧

(م)

متحف الفن الاسلامى بمصر ٣٣٢
متولى عبد الله الفقاوى : أدب الاستيعاب - ككتاب
الله ٩٣٥
المثالية الواقعية فى الفكرة الدينية ٧٦٤ ، ٨٢١
مجلس الأزهر الأعلى يستذكر عدوان فرنسا على
الجزائر ٣٨٨

مجلة معهد الاسكندرية الدينى ٨٩٠

محب الدين الخطيب : هجرة تنجدد ١ ، يحاربون
الله ٢ ، أخلاق جديدة لحياة جديدة ١١٣ ،
هذا هو الغرب ٢٢٥ ، العملاق بين أمسه
ويومه ٣٣٧ ، الجهاد فى شريعة الاسلام
وتاريخه ٣٩١ ، درس ٤١٧ ، والآل ٥١٣ ،
يحاربون الله بالحياة والافتراء على الشباب
البرى ٦١١ ، تشجيع التأليف الاسلامى

فضية الجزائر فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ٧٩٩
قضيتنا بين عواصم العالم ٣١٦
قطع الصلة بين المسلمين وكتبهم ١٦٤
النوات السعودية بالعقبة ٨٩٣
القومية العربية فى خطاب تأميم القناة ١٠٥
القومية العربية فى مناهج الدراسة الحربية ٦٢٣

(ك - ل)

كثيثة علماء الأزهر ٢١٥
كشعر بمجلس الأمن ٧٠٢
كلمة الأزهر فى المؤتمر الشعبى النبطى ٣٠٥
» فى حفلة افتتاح الدراسات الاجتماعية
٧٣٠

كلمة الأستاذ الأكبر فى ميد الفطر ٩٦١
كلمة مجاهد [شعر] ٣٧١
كليات إقليمية بمصر ٩٨٨
الكلية الجامعية للبنات ٢١٧
كلية الحقوق فى ليبيا ٧٠٣
كهبة خزان أسوان ٣٣٠
كيف يتخلص الشرق من الغرب ٢٧٩
كيف يسود السلام العالم ٥٣٦
لا حيلة فى المرأة [كلمة لـقراط] ٨٦
لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ١٩٠
ليبك اللهم ليبيك ٩٢١

الاقعة العربية فى الشركات وللؤسسات بمصر ٧٩٨
لقويات : قل ولا تقل ، استلف نقودا ٨٢ ،
حوامج جمع حاجة ، وقف باهتا ٨٣ ، اختصاصى
فى الطب ٨٤ ، أناط فلان فى كذا ، أخذت
بناصر فلان ٨٥ ، ثلاثى الشيء ، رجل
متعوس أو تميم ٨٦ ، سأوطن نفسى على
الصبر للبر ١٦١ ، انقلبنى من هوة الغافة ،

ونجوى هن كتاب من ألف كتاب ٦٢٥ ،
نحو حياة أفضل وأسعد ٧٠٥ ، من البلبلة
إلى الاستقرار ٨٠١ ، لماذا نخرج ٨٩٧ ،
باب التعريف بالكتب ، باب الآداب والعلوم ،
أنباء العالم الاسلامى ، ترتيب فهرس هذا
العام .

محمد ابن سيدة ١٥٧

محمد (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى ٢٩٤
محمد أبو الملا البنا : بدء الشهر القمري الشرعى
٢٩٨ ، أوضاع الهلال وحدود رؤيته ٨٣٨
محمد أبو المكارم : لا يصلح أسر هذه الأمة إلا
بما صلح به أولها ١٩٠ رسالة الوجودية
فى الليزان ٢٢٢

محمد رجب البيوى : موسى بن أبى النسان ٦١ ،
العرب فى مقدمة ابن خلدون ١٣٢ ، خطر
المستشرقين ٤٥٧ ، الرسول وإنشاد الشعر
٥٤٩ ، عمر بن عبد العزيز ٩٥٧
محمد ذكرى البرديسى : حكمة مشروعية الرق فى
الاسلام ٨٧٨

محمد سعاد جلال : محمد المثل الأعلى ٢٩٤
محمد السيد ندا : ثورة الاسلام على الفقر والاحتكار
١٩٤ ، ٢٥٦ ، ٧٦٠

محمد الطاهر بن عاشور : كتابه فى التفسير ٢٢١
محمد عبد الثواب : ذكرى الهجرة النبوية ١٥٠ ،
كلمة الأزهر فى حفلة افتتاح الدراسات
الاجتماعية ٧٣٠ ، عقيدة التوحيد (قصيدة)
٨٤٢

محمد على اللاهورى داعية قاديانى ٦٢٥
محمد على النجار (انويات) ٨٢ ، ١٦١ ، ٣٠١ ،
٤٥١ ، ٥٨١ ، ٦٧٨ ، ٧٤٦
محمد فطحى محمد عثمان : هجرة فى سياقتنا الخارجية

١٠٠ ، الاستعمار يتآمر والعروبة تعمل ٢٠٦ ،
قضيتنا بين عواصم العالم ٣١٦ ، المعركة فى
بلدنا ٤٠٢ ، انما نريد أن نعيش ٦١٣ ،
للتالية الواقعية فى الفكرة الدينية ٧٦٤ ،
٨٢١ ، أضواء على التاريخ الاسلامى (كتاب)
٧٩٣ ، الانجائية القعالة ٩٧٢

محمد فهمى عبد الطيف : الشيخ سليمان الجوسقى
٨٤٩ ، الشيخ حسن للرسنى ٩٧٧
محمد فهم اسماعيل : الأزهر وعيد الأم ٨٥٤
محمد فؤاد عبد الباقي : استنباط البخارى المعانى
والاحكام للمعدة من الحديث الواحد ٨٧ ،
٤٦٤

محمد محمد أبو شهبه : بنو إسرائيل فى الماضى
والحاضر ٣٢ ، المختار من صحيح مسلم
ابن الحجاج ١٠٩ ، صفحات من البطولة فى
الاسلام ٢٥٣ ، ٣٥٩ ، مؤامرات اليهود
الفادرة ٤٧٧ ، ٥٣٠ ، الاسراء والمراج
٦٦٨ ، من مبدى القرآن الكريم ٧١٩ ، مبدى
الرسول فى رمضان ٨٣٠ ، ليك اللهم ليك ٩٢١
محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الادب
المعاصر [كتاب] ٣٣٣ ، الثقافة الاسلامية
والحياة للماصرة ٧٣٩ ، ٨١٥ ، فتح مكة
٩٢٥

محمد محمد خليفة : ذكريات بين الصفا واللوة ٣١١
محمد عبد الطنيزى : الهجرة الشريفة ١٢٨ ، للؤمن
الحق ٢٣٨ ، ٣٥٤ ، ٥٦١ ، ٦٧٢ ،
٨٦٥ ، ٩٤١ كلمة الأزهر فى للؤمن التسمى
القبطى ٣٠٥

محمد محمود زيتون : ترجمة الشيخ محمد المعطى
الفرشىمى ٥٧٤
محمود إبراهيم طهيرة : من وحي للولد ٣٦٨ ،
مضى ٧٥٠

محمود فرج المقدة : حظوظ الديند وحظوظ الآخرة
٥٦ ، للقاطعة الأدبية ٢٥٢ ، بشارة هذه
الأمة ٦٨٦ ، ٧٣٦
محمود محمد زليدة : وأصل بن عطاء ٣٦
محمود النواوى : سيد الأوس ١٧ ، سابق الحينة
١٧٣ ، عبد الرحمن بن عوف ٢٨٠ ، سابق
الروم ٤٣٣ ، سيف الله خالد في عهد النبوة
٥٦٧ ، ٦٥٢ ، تراجم إسلامية (كتاب)
٦١٩ ، جولات إسلامية (كتاب) ٦١٩ ،
أمن هذه الأمة ٨٤٤ ، أبو عبيدة في عهد
الشيخين ٩٤٦
المختار من صحيح مسلم بن الحجاج (كتاب) ١٠٩
المختصر [كتاب] ٩٨٧
المختصر لابن سيدة (دراسة ودليل) ٣٣٥
مداوى تحفيظ القرآن ٥٩١
مداوى الكنائس بالأسودان ٨٩٢
مداوى البحريين بالأسودان ٧٩٥
مذاهب ومذاهب ٣٥٦
مذكورة مصر بشأن القناتة ٨٩٣
الرواة ٨٣٣
مزقوا أهدانا (شعر) لكamal عبد الحليم ٣٨١
مزار الفن وللدفع (شعر لرافى) ٥٢٩
مستولية الرء من أقواله ٨
مستولية المؤرخ ٥٢٧
مصر أمام الطغافوت الثالث ٤٩٢
مصر بلغت القمة ٥٠٩
مصر قطاب بالتصويضات ٦٢٢
مصر في القرن الثامن عشر (كتاب) ١١٠ ،
مصر والإسلام ٤٩٨
مصر والسودان ٨٩٥
المصري الناهض (قصيدة) ٥٦٤
مضى ٧٥٨
مظاهر النظام في الإسلام ٥٢

معلم الطريق إلى الفلاح ٦٣٧
المعلمة القومية الهيبية ٧٠٢
المركبة في بلهنا ٤٠٢
معيد ديني في بورسعيد ٥٠٨
معيد الفتيات الهيبى ٢٨٧
معرض عوض إبراهيم : الإسلام والأسرة ٤٢ ،
نجوى إلى رجال الهند ١٩٨
المقاطعة الأدبية ٢٧٢
مكافآت للتفوق في الأزهرين ٨٩١
للك سعود في أمريكا ٧٠١
من البلبلة إلى الاستقرار ٨٠٩
من روائع البطولة في تاريخ الإسلام ٥٠٠
من هدى الرسول في رمضان ٨٣٠
من هدى القرآن الكريم ٧١١
من وحى الفئال (شعر) ٢٩٧
من وحى لؤلؤ النبوى ٣٦٨
من وصايا السلف (أبيات لمفتى) ٩٢
مناهج التعليم في البلاد العربية ٦٢٣
مناهج الدراسة النسوية ٧٩٩
مواكب الأرواح إلى عالم الأفراح [كتاب] ٩٨٦
للوالدة ، للسائلة ، الحذر ٧١١
مؤامرات اليهود القادرة ٤٤٧ ، ٥٣٠
الموت دفاعا عن الوطن شهادة ٧٨
مؤتمر البحوث الإسلامية سنة ١٩٥٣ بأمرىكا
٨٩٥ ، ٧٣٩
مؤتمر توحيد للتأماج والمراحل التعليمية ٧٩٥
موجة الانحلال والمصحف الدائبة على قديتها ٣٦٤
موسى بن أبى انسان (قائد غرناطة) ٦١
موقف دول الحضارة من المؤامرة على مصر ٤٩
موقفنا من الدين ٨٤٥
المؤمن الحق ٨٣٨ ، ٣٥٤ ، ٥٦١ ، ٦٧٢ ، ٨٦٥ ،
٩٤٩

(ن - ه)

- النثر والشعر في تقدير الاسلام ١٤٤
 نجوى إلى رجال الغد ١٩٨
 نحو حياة أفضل وأسعد ٧٠٥
 نحو الوحدة الثقافية ٧٠٣
 نداء الاستاذ الأكبر بمناسبة أحداث العراق (قبل
 الجزء الخامس)
 نداء إلى الشعوب العربية ٥٥٩
 نداء من شيخ الأزهر وعلماؤه لمناسبة النبى على
 مصر ٣٧٢
 الندم والتوبة ٤٧٣ ، ٥٤٥ ، ٧٧٩
 نشاط الأزهر في مكافحة الطغيان ٤٨١
 نشيد الجهاد لمحمود محمد بكر هلال ٤٤٦
 النصر بين الله والعباد ٦٤٥
 نظرية الاسلام الخلقية (كتاب) ٦٢٠
 نفعات القرآن ٨ ، ١١٩ ، ٢٢٩ ، ٣٤٥ ،
 ٤٢٥ ، ٥١٩ ، ٦٣٧ ، ٧١١ ، ٨٠٧ ،
 ٩٠٢
 النور والحكمة (شعر) لأحمد محرم ٨٦٤
 هذا هو الغرب ٢٢٥
 هجرة تتجدد ١
 الهجرة الشريفة بطولة وحسن سياسة ١٢٨
 هجرة في سياستنا الخارجية ١٠٠
 همجية غرنا في الجزائر ٨٩٤

(و - ى)

- وأسماء (مرثية) ٥٥٤
 واصل بن عطاء ٣٦
 والآن ٥١٣
 وثائق محاكمة المرابيين ٣٣٠
 الوجودية في الميزان [كتاب] ٢٢٢
 الوحي في الميراث [كتاب] ٣٣٥
 وحدات الأزهر الطبية ٥٠٥ ، ٥٩٥
 وسائل لتيسير التدريس ١٠٨
 الوفاء في نظر الاسلام ٣٤٥
 وفد الجامعات اليوغوسلافية في زيارة الأزهر ٧٩٨
 الوقاية من انحراف النثر ٣٧٨
 وقف الدراسة بمصر للتعيشة ٤١٥
 ولوا [قصيدة] ٦٩٥
 يا طيب لغار [أبيات للشيخ محمد عبد المطلب] ٩٩
 يا عصبة الايمان [شعر] لعمد الهياوى ٣٥٨
 يا للعار ٤٠٧
 يحاربون الله ٢
 يحاربون الله بالخيانة والافتراء على الشباب البرى
 ٦١١
 يسر الاسلام في مناسك الحج ٢٢٠
 نقطة دينية محدودة ٨٨٥
 نقطة الضمير بجامعة كبريج ٧١٥
 نقطة العروبة ٢٤١
 اليهود في مصر ٥٠٤
 يوم غد [شعر] ٢٠٣

الفهرس

صفحة

للوضوع

بفـلم

الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير	٨٩٧ لماذا نخرج
» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء	٩٠٢ نفحات القرآن : التقليد فى الخطأ مهانة . .
» طه محمد الساكت	٩٠٧ السنة : سبيل المؤمنين — ٢ —
» أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر	٩١١ السنة والبدعة
» أبو الوفا الراغى	٩١٨ خداع وتضليل
» محمد محمد أبو شبة الاستاذ بكلية أصول الدين	٩٢١ لبيك اهم لبيك
» محمد محمد حسين	٩٢٥ فتح مكة
» متولى الفقاعى	٩٣٥ أدب الاستماع لكتاب الله الكريم
» عبد الحميد سامى	٩٣٧ ابن خلدون
» محمد الطنبخى عضو جماعة كبار العلماء	٩٤١ للمؤمن الحق
» محمود النواوى	٩٤٦ أبو عبيدة فى عهد الشيعين
» محمد على النجار	٩٥٣ لفويات
» محمد رجب اليومى	٩٥٧ الحاكم المادل عمر بن عبد العزيز
فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر	٩٦١ كلمة الاستاذ الأكبر فى عيد الفطر المبارك . .
.	٩٦٤ برقيات التانى بعيد الفطر
.	٩٦٦ تبرعات الأزهر لمدينة بور سعيد
الاستاذ عباس طه	٩٦٨ الامام البخارى وكتابه الجامع الصحيح
» فتحي عثمان	٩٧٢ الابجائية الفعالة
» محمد فهمى عبد الطيف	٩٧٧ من أعلام النهضة الفكرية : الشيخ حذافى الرسمى
» عبد الطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء	٩٨١ قلميقات
المجلة	٩٨٤ المكتب
»	٩٨٨ الادب والعلوم
»	٩٨٩ العالم الاسلامى
»	٩٩٠ فهرس المجلد الثامن والعشرين



